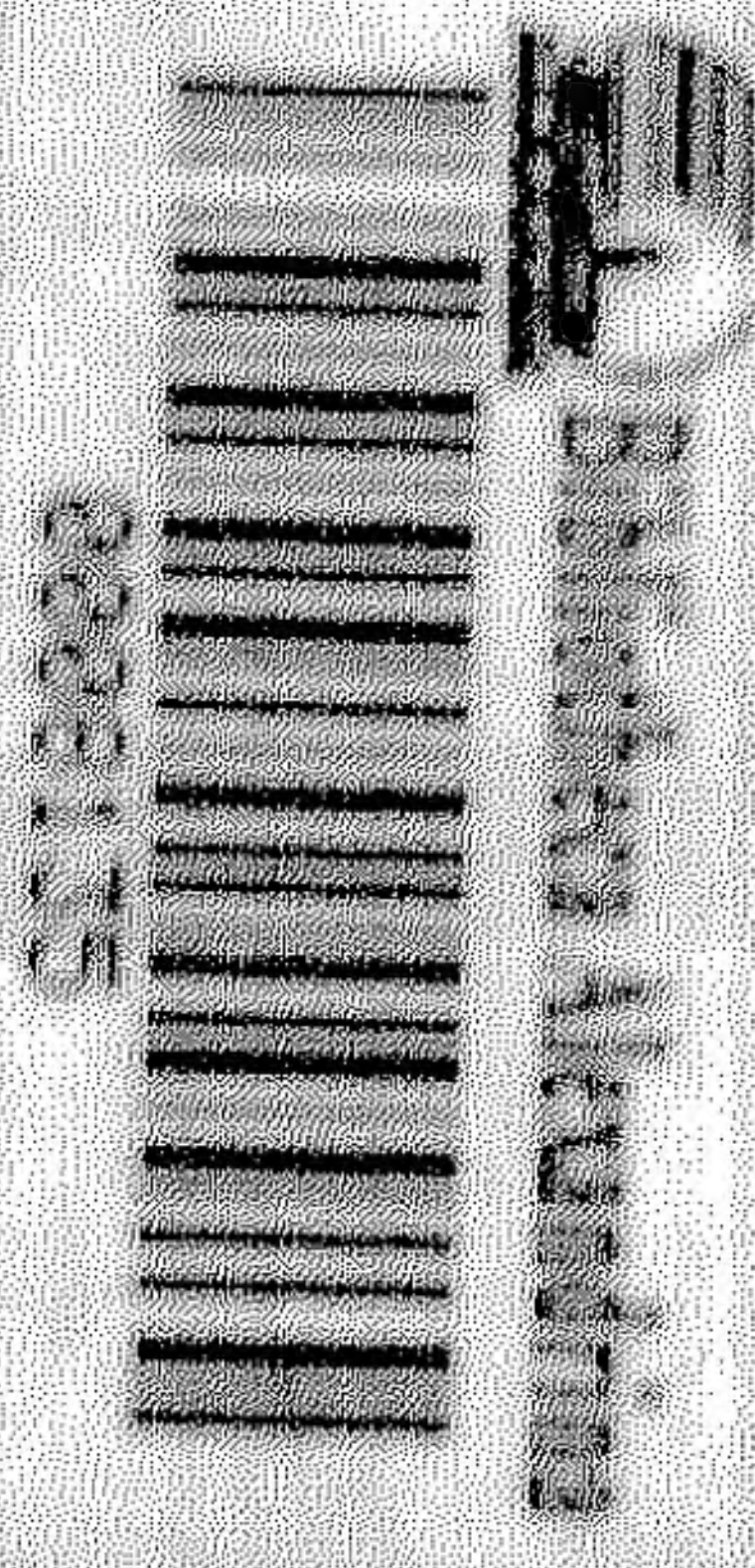


ديوان حافظ الشافعي



مختار من شعره
محمد أمين ، أحمد الزين ، إبراهيم الأبياري



ديوان
حکمافظ البرہم

ديوان خافض إبراهيم

ضبطه ومصححه وشرحه ورتبه

أحمد أمين أحمد الزين إبراهيم الأبياري



المكتبة الوطنية المصرية العامة للكتاب

١٩٨٧

الطبعة الثالثة





المرموم حافظ إبراهيم بك

نموذج من خط حافظ ابراهيم

شكرتُ جميل صنعكم بدعي
ودمع العين ثقباس الصور
مدول رقة قد ذاهد جفني
على ما ذاقه قمع السرور
منقذ ابراهيم

وهما بيتان قالهما في المجمع العالمى العربى بدمشق عند ما استقبل فيه

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة ديوانه حافظ ابراهيم

بقلم محمد اسماعيل كاني

المبحث الأول	في عصر الشاعر
المبحث الثاني	في نشأة الشاعر وبيئته وسيرة حياته
المبحث الثالث	في طبيعة الشاعر وما يتميز به من خصائص
المبحث الرابع	في شعر الشاعر

تمهيد :

جرت العادة بتقديم ديوان الشعر بمقدمة نتناول التعريف بالشاعر ومنشأه وبيئته وعصره ، ثم نتحدث عن منهجه الشعرى ومميزاته وخصائصه ، ثم تنتهى المقدمة عادة بالحديث عن مكانته الشعرية ومرتبته بين الشعراء .

ولا شك فى أهمية هذه المقدمة للدارسين ، حيث تعطى فكرة عن الشاعر وشعره ، تمكنهم من تقديره وتقويمه .

وحافظ ابراهيم ، كان عالما من أعلام الشعر فى العصر الحديث ، ووطنيا مصرياً وعربياً ضخماً ، وقف حياته وشعره على النضال ضد قوى البغى والاستعمار التى أحاطت بالعالم العربى كله من أخريات القرن الماضى إلى ما جاوز منتصف قرننا الحالى .

فدراسة شعر حافظ ، فوق أنها دراسة للأدب العربى المتطور إلى أرقى صور الجزالة والريانة والأصالة العربية ، هى أيضا دراسة لتاريخ مظلم طويل ، وكفاح مضى مرير ، لمصر وللعالم العربى أجمع ، فى تلك الحقبة العسرة من التاريخ ... وهى على ما كانت عليه من ظلام وظلم ، فإنها تعتبر مفخرة من مفاخر الشعب المصرى ، وآية من آيات أصالته وصلابته وقدرته على احتمال الشدائد وتحملها . فما كان هناك شعب يتحمل ما تحمله الشعب المصرى فى تلك الحقبة الكالحة من حياته دون أن يستسلم أو يتلاشى ، ولكن الشعب المصرى تحمل وصبر ، وعمل وكافح ، لم يهدأ ، ولم يلق ، ولم يستكن ، وظل ساهرا عاملا واعيا مترقبا ، حتى انتصر واستعاد وجوده وكيانه واستقلاله .

في تلك الحقبة السقيمة التي أسدلت ستورها السوداء على عالمنا العربي ،
ظهر حافظ ابراهيم ، فكان بشعره ووطنيته وكفاحه السياسي العنيف ، نتاجا
شريفا ، ونبأ أصيلا طيبا ، ليثنه وعصره ، ولمصريته وعروبته الخالصة
النقية .

لذلك اهتز العالم العربي كله بوفاة سنة ١٩٣٢ ، وحزن لفقده أشد الحزن ،
معتبرا وفاته نكبة وطنية أضافها إلى ما ابتلى به من محن وكوارث . واجتمعت
العروبة بشعرائها وأدبائها وكبار قادتها ومفكرها في دار الأوبرا المصرية ، وأقيمت
حفلات التأبين ، ونشرت الصحف المصرية والعربية بمجلة بالسواد ، وخصصت
مجلاتها أعدادا كاملة في رثائه وذكر فضله وعظيم بلائه في خدمة الوطن والعرب
أجمعين .

وتنهدت وزارة المعارف العمومية في مصر ، إلى أن شعر شاعرها الكبير لم يجمع
في ديوان ، فخشيت عليه أن يندثر ويضيع ، فكون وزيرها الجليل المغفور له
على زكي العرابي باشا ، لجنة من الأدباء ، رأسها الأستاذ الكبير المغفور له
أحمد أمين ، عميد كلية الآداب بجامعة فؤاد « جامعة القاهرة الآن » وعضوية
الشاعر الكبير المرحوم أحمد الزين والأستاذ الأديب المحقق ابراهيم الابياري ،
وعهد إليها بجمع قصائد حافظ وشرحها في ديوان تطبعه الوزارة ، وتوزعه على طلاب
مدارسها ، تغذية لهم بأنقى وأدسم لبان الوطنية ، في أسنى الأساليب والصور
الشعرية ، وتعريفا لهم بأصالة أوطانهم العربية وكفاح آبائهم الجاد الدائب في
سبيل التحرر والاستقلال ، كفاحا قاسيا مريرا لم يؤثته إلا أولو العزم من
الرجال .

وقامت اللجنة الوزارية بجمع الديوان بمهامها ، وكان مرجعها في ذلك ما نشرته الصحف والمجلات من شعر الشاعر ، وشرحته شرحا طيبا ، كما وضع رئيسها الأستاذ الكبير المرحوم أحمد أمين مقدمة الديوان ، بذل فيها من الجهد ما يليق بمثله ، وما يليق بالشاعر العظيم .

ولكن العجلة التي اكتنفت عمل اللجنة ، فوق تعدد المصادر التي تعين الرجوع إليها ، وتناثرها واختفاء أكثرها لقدم العهد أو لاحتجاب كثير من الصحف والمجلات ، أدى كل ذلك إلى عدم عبور اللجنة على كثير وكثير جدا من شعر الشاعر الكبير ، ولا زال الكثير منها مفقودا .

وقد اتصل بي بعض محبي الشاعر ومريديه ، يحملون إلى بعض القصائد التي منقطعت من الديوان ، وقدم بعضهم قصاصات من الصحف نشرت فيها قصائد للشاعر خلا منها ديوانه . فجمعت هذا وذاك في انتظار إصدار طبعة ثانية جديدة للديوان

وكما تنبه المغفور له الأستاذ علي زكي العراقي باشا عندما كان وزيرا للعارف العمومية ، إلى وجوب المسارعة إلى جمع ديوان حافظ من الصحف والمجلات ، تنبه جميع وزراء الثقافة في مصر في عهد الثورة الوطنية ، إلى خلو المكتبة العربية من ديوان حافظ ، وإلى أن وزارة التعليم أوقفت طبعه من عهد طويل ، فضلا عن أنه لم يطبع من قبل لعامة الناس وخاصتهم ، فعهدوا إلى الهيئة العامة للكتاب بطبع الديوان وإخراجه للأمة العربية ، متضمننا ما عثر عليه أخيرا من شعر الشاعر بعد تحقيقه وشرحه .

وقد أبت الهيئة العامة للكتاب — كالعهد بها — إلا أن يخرج الديوان في صورة كاملة متطورة ، فلم تر الاكتفاء بالمقدمة التي وضعها المغفور له الأستاذ أحمد أمين لطبعة وزارة المعارف للديوان ، بل آثرت أن أضع بنفسى مقدمة طبعتها ، ففى تقديرها أنى ، وأنا من أسرة الشاعر ، أقدر على الحديث عنه ، وأكثر معرفة به من غيرى ، وقد أصحح بعض ما جاء فى المقدمة السابقة ، أو أجبب عن بعض ما ورد فيها من تساؤلات لم يجحدوا لها وقت وضعها إجابات تشفى أو تعليقات مقبولة .

وكان لهيئة الكتاب ما أرادت ، وهانذا أضع المقدمة ، فما كان لى أن أعذر: بأى حذر ازاء الهيئة التى حملت مسئولية الكتاب فى مصر ، وازاء حافظ وديوانه على وجه الخصوص

والواقع أن الحديث عن حافظ ، حديث لا يفرغ ولا يمل ، فقد كان أمة فى رجل .. كان ملء القلوب والأسماع والأبصار من رجال بجيلنا الماضى فى كل أرجاء عالمنا العربى .. كان شخصية فذة متعددة الجوانب ، حمل لواء الشعر الوطنى والاجتماعى ما عاش ، يلهب حماس الجماهير ويدفعهم دفعا إلى الثورة على الاستعمار والمستعمرين ، ويقرعههم بقوارص الكلم إذا وجد منهم استنامة أو استرخاء .. ويحى دارس الآمال فيهم ، ويبعد عنهم أشباح اليأس وعوامل الاستسلام ، ويتناول عيوبهم الاجتماعية فيبصرهم بها فى غير هوادة ولا مداراة ، ويبين لهم سوء أثرها فى مجتمعهم ومآلهم ومآل بلادهم . كان أستاذا فى السياسة ، وأستاذا فى الاجتماع ، نصب نفسه وأوقف حياته من أجل رسالته التى ارتضاها لنفسه ، والتى دفعه إليها حبه المثالى لوطنه ولبنيه وللعروبة كافة . ولعل بابى

السياسة والاجتماع أهم أبواب شعره ، بل لاعدوا الحقيقة اذا قلنا اننا إذا اسقطنا هذين البابين من شعره ، مضافا إليهما باب المراثي باعتباره امتدادا لشعره السياسى ، لا نجد أمامنا حافظا بما يتميز به عن سائر شعراء عصره وعن كثير قبلهم . وحسب الشاعر أن يجيد في باب من الأبواب الشعرية العديدة ، ليشتهر ويخلد ، فما بالناس وقد خلق حافظ أبوابا جديدة أضحت أهم أبوابه وأكثرها لفتا للناس ، فخرج بالشعر من الكآلية إلى الضرورية ، ومن الرفاهة الذهنية إلى استخدامه سلاحا روحيا لا يقاوم في كفاح المستعمرين وفي تهيئة أذهان الشعب وحفزه على الكفاح الوطنى الكبير .

حافظ ابراهيم إذن هو نتاج عصره ونتاج بيئته ونتاج مصر ته وعروبته ، كان بكل اختصار : « مصر تتحدث عن نفسها » .

ويقتضينا المنهج العلمى فى البحث ، أن نبدأ فى تقديم الديوان ، بعصر الشاعر ، ثم بنشأته وبيئته لما لها من كبير الأثر فيه وفى شعره ، ثم نتناول طبيعة الشاعر كإنسان وما يتميز به من خصائص ، ثم نتناول شعره بعد ذلك بالتقويم والتقييم لنصل إلى مرتبته وأثره ومكانته فى اللغة والأدب وفى الشعر العربى خاصة .

فاذا نحن سلكنا هذا المسلك فى وضع التقديم ، نكون — على ما نرى — قد بلغنا القصد ، بإعطاء القارئ والباحث ما يرجوه من العلم بالشاعر وشعره كمدخل للديوان .

المبحث الأول ... فى عصر الشاعر

لم يعرف بالضبط تاريخ مولد الشاعر — ومن واقع الأوراق الرسمية فى ملف خدمته ، يتبين أنه عندما أحيل إلى القومسيون الطبى لتحديد سنه عندما أريد

مقدمة الطبعة الثانية

تعيينه في دار الكتب ، وكان ذلك يوم ٤ من فبراير سنة ١٩١١ ، قدر القومسيون الطبي سنة يومئذ بتسع وثلاثين سنة . وتأسيسا على هذا قرر أنه ولد يوم ٤ من فبراير سنة ١٨٧٢ . ولما كان قد توفي يوم ٢١ من يولييه سنة ١٩٣٢ فكأنه عاش ستين سنة وبضعة أشهر ، حكم مصر خلالها من أسرة محمد علي ، الخديويون اسماعيل ومحمد توفيق وعباس حلمي الثاني ، ثم السلطان حسين كامل والملك أحمد فؤاد الأول من بعده .

وفي سنة ١٨٨٢ أي بعد مولد حافظ بعشر سنين ، احتل الإنجليز مصر بعد إخفاق الثورة العرابية ، التي قامت أولا للمطالبة بحق الضباط المصريين في التسوية بينهم وبين الضباط الأتراك والجرأكة في الجيش المصري ثم امتد هدفها إلى المطالبة بحق الشعب المصري في إدارة شئونه . وظل احتلال الإنجليز لمصر حتى سنة ١٩٥٦ حين تم جلاؤهم عن البلاد في شهر يونيو من تلك السنة .

وكانت مصر ولاية تابعة لسلطان تركيا وقت قيام دولة الخلافة ، فلما احتل الإنجليز مصر ، أصبح يحكمها حاكمان : حاكم شرعي هو الخديوي أو السلطان أو الملك ، وهو في حقيقته أجنبي بأصله عن البلاد وإن استمد شرعية حكمه من القرارات التي كان يصدرها سلطان تركيا بجعل الولاية في مصر لكبير أسرة محمد علي ، ثم تعدلت إلى أكبر أبناء الخديو اسماعيل .

وحاكم فعلي ، وهو أجنبي أيضا عن البلاد والعباد ، هو معتمد الدولة البريطانية التي احتلت مصر بجيوشها ، وأصبح له كل الحول وكل السلطان الحقيقي في البلاد ، يمارسه خفية باستخدام الحاكم الشرعي حينما ، ويمارسه جهارا وعلانية بصفة مباشرة أحيانا كثيرة .

ولعل السبب في إبقاء الحاكم الفعلي البريطاني على الحاكم الشرعي وهو الخديو، هو أن السند الذي استندت إليه بريطانيا في غزو مصر واحتلالها هو الإبقاء على العرش الخديو وتثبيت دعائمه ضد الخارجين عليه من الشعب ، فإذا هي طردت الخديو ، وأزالت وجوده ، فقد قضت على سند بقائها في مصر ، ولم تكن السياسة البريطانية لتقع في مثل هذا الخطأ ، فأبقت على الخديو ، إبقاء على وجودها ، وإن نزعته منه كل سلطة .

وهكذا قدر لمصر في عصر حافظ أن يحكمها حاكم أجنبيان عنها ، تنافسا على السلطان وعلى سلب خيراتهما ، كل بقدر ما استطاع وتمكن . . تألفا في الظاهر والعلن ، وتباغضا أشد البغض في السر والباطن ، فقد عز على الحاكم الشرعي أن يشاركه في الحكم والسلطان من امتعان به في تثبيت حكمه وعرشه ضد شعبه ، بل لقد تجاوز هذا الشريك كل حد معقول في المشاركة ، إلى الانفراد الحقيقي بالحكم والتوجيه ، حتى وجد الحاكم الشرعي نفسه وليس له من الأمر شيء ، وإن ألبس ثوب السلطان ، وإن أسكن في قصوره ، وإن دموا له كولي أمر على المنابر .

أما عن الإنجليز ، فقد احتلوا مصر وغزوها بجيوشهم ، وبذلك أصبح لهم فيها حق الغزو والفتح ، ومن ثمت فلا عمل لذلك السلطان المتداعي ، الأجنبي بأصله عن البلاد ، ولكن مقتضيات السياسة البريطانية وقتئذ وما سارت عليه في حكم البلاد التي تحتلها ، ألا تفس مظاهر الحكم فيها وما ألفه الناس ، تهدئة ومهادنة للشعور العام ، حتى لا تتور عليهم تلك الشعوب فيكون ما لهم الطرد وإن طال الزمن . هذا ما أمل على الإنجليز الإبقاء على الإمرة الحاكمة في مصر ، فمن طريقها يمكنهم ، ومن طريقها ينسى الشعب وجودهم واحتلالهم ، ثم هي أسرة مكروهة من الشعب منعزلة عنه ، فلا خشية منها على الإنجليز ولا خطر .

ومع هذا فيجب أن يعلم ذلك الحاكم الشرعى جيدا ، وألا ينسى ، أنه لم يعد في الوضع الذى كان عليه من قبل ، وضع الحاكم المنفرد المستقل بإرادته وبتصرف شئون الحكم في البلاد ، فقد قام الى جانبه ، بل مقدما عليه حاكم إنجليزى كبير مسئول ، فاذا لان الخديو وخضع بقى في مكانه ، وإلا بفحش الاحتلال موجود يستطيع أن يتناوله في أية لحظة ويلقى به خارج البلاد ، ويأتى بخديو جديد ، وما أكثر الطامعين في المنصب من تلك الأسرة الحاكمة ، أسرة محمد على . ولقد كان من آثار احتلال الانجليز لمصر أن ازداد نفوذ الأجانب وشوكتهم في مصر ، وبخاصة رعايا الدول الممتازة التى أقتر لها السلطان العثمانى بامتيازات لها ولرعاياها في مصر . هؤلاء الأجانب جميعا وجدوا من الانجليز الناصر القوي الممكن لهم في مصر وثرواتها على حساب الشعب المصرى كله ، وفي سنوات قليلة استطاع هؤلاء الأجانب أن يستولوا على معظم أراضيها الزراعية وأن يسيطروا على أسواقها المالية والتجارية سيطرة تكاد تكون مطلقة ، وأخذوا يمتصون خيرات البلاد وينقلونها نقل نازح البثر الى بلادهم ، لا يتركون فيها من الفئات إلا أقل قدر يحى أهلها في ضنك ، وبالجملة التى تسمح للحياة بأن تسير في شرايين البلاد ضعيفة واهنة دون أن تقدر على ثورة أو تمرد .

فاذا بحثت بعد ذلك عن الشعب ودوره في ذلك الخضم النائر الفائر من الحصوم الأقوياء المتفقيين عليه ، وجدته شاردا ذاهلا من هول صدمة المفاجأة القاسية بهزيمة جيشه بقيادة أحمد صرابى ودخول الجيش الانجليزى القاهرة ، وسيطرته على البلاد كل مسيطر ، وما وقر في نفسه بعد ذلك من شعور بالغ المرارة بالضيق ، وزاد من شعوره ذلك ، تلك الحملة الانتقامية المسعورة التى شنها الاحتلال على

الوطنيين من أهل البلاد ، فصادر من ثرواتهم ما صادر ، وحكم بالسجن أو بالنفى أو التشريد على من حكم عليه منهم ، ووقعت مصر كلها فى طوفان من الظلم والعسف والتفكيك دون جريئة إلا الوطنية الخالصة ، وإلا رفض احتلال الأجنبي وقيده ... وفى مثل هذه الظروف القاسية المعروفة بكل القيم ، تصبح الوطنية أو كما كان يقال « الحديث فى السياسة » كبرى الجرائم ، تودى بصاحبها الى أسفل سافلين ، وما من منجد ولا من معين .

وإذا كان الشعب المصرى ، فى مبدأ عهد الاحتلال ، قد أخذ وفوجئ على غرة منه بما لم يكن فى حسبانته ولا توقعه ، فانهارت مقاومته فترة قصيرة من الزمان للاحتلال الغاشم المدجج بالسلاح ، وهو الشعب الأعزل المسالم ، فقد كان ذلك بسبب وقوعه فى طبيعة بشريته ، فماذا كان يمكن لأعزل يحكمه أجنبية أن يفعل شيئاً إزاء طوفان هائج مدمر إلا أن يلم شعثه ، وإلا أن يصبر ويحسن الصبر ، حتى تنكشف الآفة التى ليس لها من دون الله كاشفة .

وبدأت عرابة الشعب المصرى تعمل ، وأصاليته تطفو وتظهر بعد قليل من تلك الكارثة الطاحنة التى فاجأته وبجعتة ، وبدأ يسترد أنفاسه ويفيق من الصدمة ، وبدأ العملاق يتحرك بطيئاً وينهض متثاقلاً ، وينصب قامته ، ويسترد مواقفه موقعا فوقما ، وظهرت زعاماته الوطنية ، مفتحة عهودها بحال الدين الأفغانى ، بفناء الشيخ محمد عبده ومصطفى كامل ومحمد فريد وحسين رشدى وعلى شعراوى وسعد زغلول وعبد العزيز فهمى وغيرهم وغيرهم ... ولا تنسى فضل شبابنا الوطنى الذى بذل من روحه ودمه ما يسجل له فى سجل الخالدين ، وظل الشعب بجميع طوائفه يكافح الاحتلال والاستعمار لا يهدأ ولا يلين ، وقامت

الثورات والجمعيات الوطنية حتى انتصر على أعدائه انتصارا نهائيا بثورة سنة ١٩٥٢ ، حينما أجبر قوات الاحتلال على الجلاء عن البلاد كلها في يونيه سنة ١٩٥٦ .

وكان من حظ حافظ أن عاش أيام بؤس مصر كلها ، ذاق مرارتها ، وتجرع غصصها حتى الثمالة ، وشارك في الجهاد الوطنى بأوفى نصيب ، حينما سخر شعره وأوقفه على قضايا وطنه وقضايا العروبة والاسلام ، حتى لقي ربه راضيا مرضيا عنه في فجر الحادى والعشرين من شهر الثورات ، شهر يولييه سنة ١٩٣٢ . فانطوت بوفاته صفحة من أنقى وأطهر الصفحات في سجل جهادنا الحراأمين .

المبحث الثانى . . فى نشأة الشاعر و بيئته وسيرة حياته

هو محمد حافظ ، ابن المهندس ابراهيم فهمى ، أحد المهندسين المشرفين على قناطر ديروط ، رزق بابنه حافظ وهو يقيم فى « ذهبية » كانت راسية على شاطئ النيل سنة ١٨٧٢ ملى السند التاريخى الذى أوضحناه من قبل .

وعلق المرحوم الأستاذ أحمد أمين ملى ولادة حافظ على صفحة النيل ، بأنه « كان ارهاصا لطيفا ، وإيماء طريفا ، إذ شاء القدر إلا يولد شاعر النيل الا على صفحة النيل . »

وكان أبوه ابراهيم فهمى مصريا صميا . أما أمه فهى السيدة « هانم بنت أحمد البورصه لى » من أسرة تركية محافظة عريقة تسكن حى المغربلين ، أحد الاحياء الشعبية القديمة بمدينة القاهرة ، تعرف باسم أسرة الصروان . وسبب تسمية الأسرة بهذا الاسم أن والد أم حافظ ، أى جده لأمه ، كان أمين الصرة فى الحج . فلقب

« الصروان » معناه القيم على الصرة ، وهى المال الذى كانت تبعث به حكومة مصر سنويا فى موسم الحج للأقطار المجازية ، معونة لساكنى الاراضى المقدسة وحكومتها ، بعضه هبة من حكومة مصر ، والبعض الآخر هو ريع الأعيان المصرية الموقوفة على الحرمين الشريفين بمكة والمدينة .

وبذلك اجتمع فى حافظ دمان ، دم مصرى صميم مستمد من والده ، ودم تركى طاهر نقي من والدته . ومن مجموع خصائص كلا الدماءين وتفاعلها فى نفس وتكوين حافظ ، تكونت شخصية حافظ وبرزت خصائصه ومميزاته .

ولعل من أبرز الخصائص المصرية فى حافظ هى قوة احتماله للكروه والسخرية الميزة منه ، وديمقراطيته الواضحة ، وتواضعه للناس جميعا وحبهم وأنسه بهم ، ولعل بجرأته التى لا تعرف الحدود فى مواجهة السلطات دون أى تقدير للعواقب ، وتضحياته بلقمة العيش والأمن ، وترفعه عن كل المفريات ، وهُزأه بكل المحاولات التى بذلت لاستمالة إلى الحاكمين ، وصلابته فيما يراه حقا وعدلا ، هى من الخصائص التركية فيه ، وإن شاركتها خصائصه المصرية أيضا .

ولقد تحدث المرحوم الأستاذ أحمد أمين عن الدم التركى الذى كان يجرى فى حافظ فقال إنه « دم تركى ديمقراطى » وشتان بين الدم التركى الديمقراطى والدم التركى الارستقراطى .

وأرى أن أقف هنا وقفة قصيرة ، لأقول إن الدم يتأثر فعلا بالديمقراطية أو الارستقراطية . فالارستقراطية فى الدم تدفع حاملها إلى الكبر والتعالى والشعور بالامتياز ، وما يتبع ذلك من الشعور بالأثرة وحب النفس والبعد عن الناس ، مما يؤدي إلى كراهيتهم له وعدم اطمئنانهم إليه . أما الدم الديمقراطى فذو خصائص

واحدة في جميع الشعوب والأجناس . ولعل أقوى دليل على ديمقراطية الدم التركي في حافظ أن جده لأمه ، التركي الأصل اختار حي المغربلين لإقامته ، أى في حي من صميم الأحياء الشعبية ، مجاورا ومخالطا ومندمجا في الشعب المصري ، فلولا ديمقراطيته الأصيلة لما أقام في هذا الحي ، ولأثر حيا خاصا يضمه والسادة الأتراك من مواطنيه وقتئذ .

ورغم مركز هذا الجدد ، كأمين للصرة المصرية وهو منصب كبير مرموق في ذلك العصر حيث كان ينتقى له أكبر الشخصيات وأكثرهم أمانة وتقى ، فلم يترك لورثته شيئا يعيشون منه إلا ناتج عملهم وما يكسبونه بجهودهم . وفي ذلك ما فيه من دلالة على عفقه وإبائه وترفعه عن كل ما يشين ، وإلا كان كغيره من السادة الأتراك الذين كانوا يسرقون وينهبون ويكتزون ما يجمعون من ثروات ضخام . ولعل أقوى دليل على ديمقراطية أسرة ذلك التركي العظيم أنها زوجت ابنتها لمهندس مصري صميم في مصريته هو والد حافظ ممن كان يأنف الأتراك والأرستقراطيون من جوارهم بله مصاهرتهم . وما لنا نتحدث عن ديمقراطية جدد حافظ ، وحافظ نفسه أقوى دليل على هذه الديمقراطية الأصيلة الموروثة إلى جانب عفقه وإبائه وترفعها ! .

والفرع ينبي عن كريم أصوله * والشمس تبعث دفئها وشعاعها
وماش حافظ في كنف أبيه أربع سنوات ، مات بعدها الوالد فعادت به أمه من ديروط إلى بيت أسرتها . وتوفي جدد حافظ قبل مولده ، فتولى أمره وأمر الأسرة الصغيرة ، خاله محمد نيازى الذى كان مهندسا بتنظيم القاهرة ، وبلغ حافظ السن التى تبعث به إلى المدرسة فأدخله خاله أقرب مدرسة إلى منزله في ذلك

الحين ، وكانت المدرسة الخيرية بالقلعة فتعلم فيها القراءة والكتابة وشيئا من العربية والحساب والدين ، ثم التحق بعد ذلك بمدرسة القربية الابتدائية ، تحول بعدها إلى مدرسة المبتديان ثم المدرسة الخديوية وهما من المدارس الثانوية .

والتقى حافظ وهو في المدرسة الخيرية بالقلعة بالزعيم مصطفى كامل ، حيث تزاملا في التعليم وحيث كانت بين أسرتهما صلات قرابة ونسب ، فقد كانت أم حافظ وأم مصطفى كامل بنتى خالة . ثم ما لبثت أن فرقت بينهما الأحداث حتى التقيا ثانية في شبابهما في الجهاد الوطنى الذى خاضاه ضد الاستعمار .

ونقل خال حافظ الذى يرعاه ويتولى شئونته الى وظيفة مهندس تنظيم طنطا ، فكان لزاما أن ينتقل معه حافظ ، وخرج حافظ من القاهرة الى طنطا ، من عالمه الذى ألفه واطمأن اليه الى عالم جديد غريب عليه ، ليس له فيه إلا خاله . وهذا الحال مهما كان عطفه وحده ، فهو رجل ، وإنه لرجل تركى جاد يسعى وراء لقمة العيش حيثما كانت وإنما كتبت له . ورجل بهذه الحال هو أبعد ما يكون عن الملاينة أو تقدير الظروف التى يمر بها الغلام ، والتى تحتاج الى مداواة النفس مما ألحقته بها الأحداث .

وألحقه خاله بمدرسة ثانوية بطنطا لاستكمال تعليمه ، وانصرف خاله الى عمله الذى يستغرق كل وقته . ويتمرد الغلام ، ويصعب تمرده على المدرسة ودروسها ، فكان يذهب يوما اليها ليغيب عنها عشرة ، لا انصرافا عن التعليم ، وإنما لأن الذى كان يتلقاه فيها من دروس لا يتفق وميوله الطبيعية التى وجدها فى الجامع الأحمدي بطنطا ، فكان يجلس فى حلقات الدرس يتلقى عن الأئمة العلماء دروسا فى علوم اللغة والفقه والشريعة ، وتلفته اللغة وآدابها ، ويشد الشعر بموسيقاه ووقعه فى النفس كل

انتباهه ، ويملك عليه حواسه فيبدأ بدراسة الشعر ، ويطلع على دواوين الشعراء
القدامى ويحسد نفسه قد حفظ كل ما تقع عليه عيناه من عيون الشعر والأدب ،
دون جهد يبذله أو تعتمد للحفظ . ثم اذا به بعد قليل يقرض الشعر وينظمه على
نحو آثار إعجاب الكثيرين من شيوخ الأدباء وذواق الأدب في مدينة طنطا . ولم
يستطع خال حافظ أن يقبل من ابن شقيقته هذه الفوضى ولا هذا الانقلاب
المضيع وهو المسئول الأول والأخير عنه ، فزاد من تأنيبه وتقريعه ، فيحتاج حافظ
ويعزم على قطيعة خاله الذي يقف عقبة في سبيل سلوكه طريق الأدب الذي
رضيه لنفسه واختطه لحياته ، وسرمان ما تلقفه نقيب المحامين في طنطا وقتئذ ،
فضمه الى مكتبه مساعدا له في القضايا بعد ما لمس فيه من فصاحة اللسان وقوة
اللمحة وغمارة البيان . ولم تكن المحاماة وقتئذ منظمة بقانون أو مشترطا فيها مؤهل ،
وانما كانت مهنة مفتوحة يلجها ويخروط فيها كل من آس في نفسه صلاحها .
وأخذ حافظ ينتقل من مكتب الى مكتب ، فقد كان ملولا بطبعه ، لا يستقر على
حال ، ولعله داء القلق النفسى الذى لازمه طوال حياته نتيجة لما تعرض له من
أزمات نفسية توالى عليه منذ طفولته .

في هذه الآونة كان هناك ضابط مصرى شاب اسمه محمد كانى ، يعمل
مهندس أركان حرب بالجيش المصرى وكان يجاور أسرة حافظ فى السكن فى حي
المغربين .

ولما كان من شباب الجيش العربى المرموقين — تحاصل على أعلى شهادة
فى هندسة أركان الحرب على يد الجنرال ستون الأمريكى الذى كان من كبار
ضباط الحرب الأهلية الأمريكية واستقدمه الخديو اسماعيل للنهوض بمستوى

الجيش المصرى وإعادة بنائه . ولما كان مهندسنا المصرى ذاك قد أبلى بلاء حسنا ضد الغزاة الانجليز باختياره مدينة كفر الدوار وتحصينها ونجاسه في منع وصولهم الى مصر من الاسكندرية ، في مطلع غزو الانجليز للبلاد ، فقد كان أول المفصولين من خدمة الجيش المصرى بعد الاحتلال وأمر بملازمة قريته التى جاء منها ، وهى القرية المعروفة الى اليوم باسم « كفر قورص » من أعمال مركز أشمون محافظة المنوفية .

ثم لما رأى بعد ذلك إعادة تكوين الجيش ، دعى ثانية الى الخدمة لحاجة الجيش الحديد الى مهندسين حربيين بتركية من الجنرال ستون نفسه ، فعاد الى مسكنه القديم بالمغربلين . ولما أنس في أسرة حافظ من عراقة الأصل والمحافظة تقدم اليها طالبا يد ابنتها عائشة شقيقة حافظ ، وتم القران ، وعاشت معه عمرا ليس بالطويل ، أعقب منها خلافا أربعة أبناء ، ثم توفيت . وتلفت أم حافظ بعد ذلك أبناء ابنتها الأربعة تربيهم وتقوم عليهم ، لغياب والدهم عنهم بسبب نقل الإنجليز له من الجيش الى وزارة الأشغال بعد ان ضاقوا به ذمرا كرجل وطنى غير مسالم لهم ، وألحق مهندسنا للرى بأسير . وتلقى حافظ بفقد شقيقته صدمة أخرى ، بفقد شقيقته الحبيبة الأثيرة لديه وهى فى ميعه الصبا وزهرة العمر .

ولقد ساء صهر الاسرة محمد كانى الضابط بالجيش حال حافظ شقيق زوجته ، إذ رآه شابا صالحا قوى البنية متين البنيان وعلى ثقافة طيبة ، ولكنه مضطرب التفكير فى الطريق الذى يختطه لحياته العملية ، كما ساءه أن أدركته « محنة الأدب » فقد كان الأدب وقتذاك يعتبر محنة من المحن حيث لم يكن امتنانه يغنى من جوع ، فعرض عليه أن يلحقه بالمدرسة الحربية عندما كان لا يزال فى الجيش ، حيث لم يكن يشترط أكثر من الشهادة الابتدائية للالتحاق بها . فوافق حافظ مرحبا

حيث وجدها تكفل له وظيفه تدرّ عليه راتبا شهريا يدرأ عنه الحاجة ، وفي الوقت نفسه يستطيع أن يشبع هوايته الأدبية كما يشتهي .

ذكرت كل ذلك ردا على ما جاء في مقدمة الأستاذ أحمد أمين لديوان حافظ عن قصة التحاقه بالمدرسة الحربية ، حيث يقول « فشل في المحاماة ، ففكر فيما يعمل ، فهداه تفكيره الى أن يسافر من طنطا الى القاهرة ويدخل المدرسة الحربية .. ويبدو هذا التفكير غريبا ، فأديب ناشئ ، ومحام فاشل ، يفكر في أن يكون ضابطا ، لسنا ندرى الباعث على هذا التفكير ، قد يكون الباعث عليه قراءة سيرة البارودي الحربى الشاعر ، وقد يكون ما رأى في نفسه من بسطة في الجسم ، وقد تكون المصادفة البهجة هيات له ذلك » .

وتخرج حافظ سنة ١٨٩١ فى المدرسة الحربية ضابطا فى الجيش ، ثم نقل الى الشرطة التى كانت تستعد ضباطها من الجيش وقتئذ ، ثم أعيد الى الجيش وخدم فى السودان ما يقرب من السنتين منتقلا بين سواكن وطوكر وقبلى حلقا ، ثم أحيل الى الاستيداع مرتين ثم طلب إحالته الى المعاش سنة ١٩٠٣ .

يتبين مما سبق أن حياة حافظ منذ نشأته حتى تركه خدمة الجيش ، حياة مضطربة لا تستقر على حال . فحيث أراد لنفسه الاستقرار بوظيفة تضمن له العيش إذا بطبيعته الثائرة والقلق الذى يلزمه بإبيان عليه الهدوء الذى ينشده والاستقرار الذى يتغنيه ، وإذا بوطنيته الثائرة تدفعه دفعا إلى أن يشعل ويشارك فى حركات صغار الضباط فى تمردهم على كبار ضباطهم الذين كانوا يضطرون إلى مبالاة الإنجليز . وكثيرا ما قدم هؤلاء الضباط الصغار إلى المحاكمات العسكرية فكانوا ينيون حافظا للدفاع عنهم ، مستفيدا من أيام المحاماة ، حتى جاءت

سنة ١٨٩٩ فحدثت ثورة في الجيش المصرى بالسودان ، فقد جاهرت فرقة من فرق الجيش السودانى بالعصيان ، وأخذ الإنجليز تلك الثورة بعد ذلك وحاكوا عددا من زعمائها أمام المجالس العسكرية ، فأحيل منهم ثمانية عشر ضابطا إلى الاستيداع وأبعدوا عن السودان إلى مصر وكان منهم حافظ ، وحكم على البعض الآخر بالسجن مددا مختلفة وأرسلوا إلى مصر ليقتضوا مدة السجن فيها .

وعاد حافظ الى مصر ولا مورد له ولا عمل يقتات منه بعد أن استقال من الجيش وهو فى الاستيداع يأسا من إمكان استمراره فى خدمة جيش فى قبضة عدو يضعه تحت المراقبة وينظر إليه نظرة الريبة فيه والنعمة عليه .

ودخل حافظ فى طور جديد من حياته كان أهم ما مر به من أطوار .

كان حافظ قد بلغ من ذبوع الصيت والشهرة فى الأوساط الوطنية التى بدأت تتحرك ، مبلغا كبيرا ، فقد شد شعره الوطنى وسيرته كضابط حرجىء جسور ، كل الأنظار والأسماع ، وكان يتردد على مجالس الزعماء الأحرار فى ذلك الوقت ، وعلى رأسهم الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده ومصطفى كامل باشا وسعد باشا زغلول ومحمود باشا سليمان وآل أباطة وآل عبد الرازق وغيرهم ، فأحبوه جميعا وقربوه اليهم ، وقد وجدوا فيه ذخيرة وطنية تستحق المراقبة ، كما وجدوا فى شعره سلاحا من أمضى الأسلحة التى يجب استخدامها فى الهاب الشعور الوطنى فى البلاد وتحريك مشاعر الجماهير تمهيدا للقيام بالحركة الوطنية .

وإذا كان الإنجليز قد طاردوه وأغلقوا فى وجهه كل أبواب الرزق ، فقد كان فى رعاية كبار زعماء البلاد له فى ذلك الحين خير عوص . إلا أن كرمه الزائد الذى فطر عليه ، وعدم تقديره لعواقبه لم يمنعا عنه الشعور بالفاقة والحاجة الدائمة .

فقد كان يأتيه المال غزيرا من هنا ومن هناك ، وكان أخرى به أن يحافظ عليه وأن ينفق منه بحساب ، إلا أنه كان لا يحتمل وجود المال في يده دون أن ينفقه أو أن يرى صاحب حاجة دون أن يمد إليه يده ببذخ وسرف ، ولا أن يقصده قاصد دون أن يعطيه ما في جيبه كله بالغا ما بلغ . وهكذا عاش حياته ، لا يقيم للمال وزنا ولا يرضن به على قاصد ولا محتاج ، وبخاصة أدباء عصره .

وتفرغ حافظ للشعر ومنابره ، لا يترك أمرا من الأمور ولا مناسبة وطنية إلا وضع فيها أقوى القصائد وأشدّها حرارة واشتعالا . صاحب مصطفى كامل ومحمد فريد ثم صاحب مسعدا وفيره من الزعماء في جهادهم الوطني الطويل . وعلى ما كان بين الزعماء في ذلك الوقت من اختلاف كبير في وجهات النظر أدى إلى خلاف أكبر بينهم ، فإن حافظا ظل على علاقته الطيبة بهم جميعا ، يرى فيهم جميعا أبناء أوفياء بررة بوطنهم وإن ساءت منهم تلك الخلافات الصغيرة التي ظل أتباع كل منهم ينفخ فيها بنفثات الشيطان حتى صارت كبيرة وحتى استدار كل منهم لمحاربة الآخر . وكان ذلك أقصى ما كان يحلم به المستعمرون . وصارت فتنة في البلاد بهبوط أسهم الحزب الوطني بعد وفاة زعيمه مصطفى كامل وخروج محمد فريد من مصر وظهور حزب الأمة وبدء ظهور مسعد وغلول وقد كان من رجال ذلك الحزب قالف حزب الوفد المصري ، ثم صارت فتنة ثانية في البلاد حينما انشق بعض رجال الوفد عليه وألفوا حزب الأحرار الدستوريين ، وانقسمت البلاد قسمين . . . قسم ظالب مع الوفد وقسم قليل مع الأحرار الدستوريين ، ولم تقف القسمة عند حد الخلاف في الرأي ، بل أصبح الوفد وأنصاره حربا على خصومهم في الرأي ، وكذلك كان الأحرار الدستوريين ، وإن كانت خصومة الأحرار قد ظلت ولم تتعد الخصومة العسكرية . ثم شاء الله خيرا

بمصرفائلفت كلمتهم ، تلاقى سعد زغلول وعدلى وثروت إلا أن ذلك الائتلاف لم يدم طويلا ، فقد سارع الموت باختطاف سعد ، ثم لحقه ثروت ، وعادت مصر إلى دوامة الخلاف الداخلى . وظل حافظ فى مستواه الوطنى العالى فوق الخصومات الحزبية ، لا يخضع لها ولا يخضعونه لها ، فكان صديقا لسعد ولرجال الوفد جميعا كما كان صديقا لعدلى وثروت ورشدى ومجد محمود ولطفى السيد وهىكل من أقطاب الأحرار فضلا عن رجال الحزب الوطنى ، يزور هؤلاء وهؤلاء ويلقى قصائده فى محافل كل منهم ، والجميع حريصون على وده ومحبه وإيثاره ، ولعله كان الوحيد من رجالات ذلك العهد من كان له مثل هذا الموقف الخاص ، العام فى الوقت نفسه ، ومرجع ذلك ولا شك أن حافظا كان من الرجال القلائل المشهود لهم بالوطنية الخالصة ، وبلاستقلال فى الرأى ، وكانت له مكاتته الوطنية الكبرى فى نفوس الشعب كله ، ولم يكن فى صالح أى حزب من الأحزاب أن يتخذ موقفا معاديا لحافظ ، بل على العكس كان كل حزب يشعر بحق أن حافظا قوة وطنية يجب أن تكسب ، فكان أن قبل منه ما لم يقبله من غيره . قبل منه هذا الموقف الذى يساوى بينها ولا يفرق .

وإذا كان هذا هو رأى رجالات مصر وأحزابها فى حافظ وموقفها منه ، فقد كان ذلك أيضا رأى القصر فيه وموقفه منه . فقد تقرب إليه الحديو عباس حلمى ثم السلطان حسين كامل وأخيرا الملك فؤاد ، رغم علم الجميع بعدم إمكان أحد احتوائه . فلقد عين رئيسا للقسم الأدبى فى دار الكتب سنة ١٩١١ وأنعم عليه برتبة البىكوية سنة ١٩١٢ ثم بنيشان النيل حيث أطلق عليه بعد ذلك لقب شاعر النيل ، وإن كان يفضل دائما أن يلقب بالشاعر الاجتماعى . فقد كان يرى

أن النيل جزء من العروبة والعروبة جزء من الشرق والإسلام . وهو شاعر العروبة والشرق والإسلام بالمضمونين الاجتماعى والوطنى .

ولم يكن الإنجليز أقل إدراكا لمكانة حافظ الشعبية فى مصر والشرق العربى ، فأخذوا بدورهم يتقربون إليه بعد أن وجدوا أن حربهم عليه لم تجدهم نفعا ، ولم تنل منه شيئا ، فتعرف إليه السكرتير الشرقى لدار المندوب السامى وقتئذ وكان اسمه السير ولتر سمارت ، وكان منصب السكرتير الشرقى من أكبر مناصب دار المندوب السامى ، إذ كان يلى المندوب السامى مباشرة ، فكان يزور حافظا فى بيته بين الحين والحين ويدعو نفسه إلى مائدته الشرقية التى اشتهر بها حافظ . وقد سأله حافظ ذات مرة عما دهاه إلى التعرف به ومصادقته وزيارته ، فكان رد المستر سمارت أنهم يقدرون كل وطنى مخلص لبلاده ولو كان من ألد أعدائهم ، ويحترمون ويحنون الجباه لكل مجاهد نظيف ، وأنهم لذلك لا يغضبون منه ولا يحقدون عليه مهما قال فيهم ومهما أثار الشعب عليهم .

وعلى الرغم من زيارات أقطاب الحكام الإنجليز له فى بيته ، فلم يدخل حافظ دار المندوب السامى البريطانى طوال حياته . وظل حافظ على ولائه لبلاده ودعوته ضد الاحتلال رغم الصداقات الخاصة التى قامت بينه وبين بعض رجاله ، مثلما كانت تقوم بيننا ونحن طلبة بالمدارس الثانوية وبين أساتذتنا الإنجليز فى مدارسنا من صداقات ، وكثيرا ما كانوا يدعوننا إلى حفلات شاي صغيرة يقيمونها لنا فى بيوتهم . ورغم وجودنا فى بيوتهم وجلوستنا إلى مواعيدهم لم يكن يحلو لنا الحديث إلا فى السياسة وإلا فى وجوب جلاء الإنجليز عن مصر واستقلالها التام بشؤونها . . وكثيرا ما كانوا يصصحون لنا بعض التعابير عندما كنا نقول مثلا تسقط إنجلترا باللغة الإنجليزية .

والحق يقال . . إن الإنجليزى كفرد رجل ممتاز وصديق طيب، أما الإنجليز
حكومة وسياسة فالصورة معكوسة تماما، هى القبح كله والغدر كله والانتهازية
كلها .

وما دمتنا نتحدث عن صداقات حافظ ، فما أكثرها وما أكثر تنوعها . ولعل
السبب فيها بساطة فى نفس الرجل ، وروح طيبة وديعة مرحة ، ونفس متفتحة
متقبلة للناس جميعا لا تعقيد فيها ولا التواء . ولذلك كنت تجد من أصفياه
وأحبائه أمراء البيت المالك وشيوخ الأزهر والآباء الروحيين والوزراء والعظماء
وأقطاب الأحزاب وأساتذة الجامعات والأطباء والمحامين والمهندسين ومن جميع
المهن ، حتى من لا مهنة له من عامة الشعب . . . قلبه مفتوح للجميع وبيته مفتوح
للجميع ويده مبسوطة للجميع .

— وبكل اختصار كان الرجل مثلا حيا لمصر . . بل لقد تجسدت مصر فيه كلها ،
بترفها ، بإيائها بسممها بطيبتها ببساطتها بصدقها ، بعنادها ، بقوتها بصلابتها
بصبرها على المكاره ، بأخلاقيها بديمقراطيتها بإيمانها بالله الواحد الأحد .

بقى أن نسأل أنفسنا ، هل وطنية حافظ ومكانته كانتا السبب الوحيد فى إقبال
تلك الجموع المتباينة عليه أم أن هناك سببا آخر . . الواقع أننا نرى أن الوطنية
وحدها لا يمكن أن تكون السبب الوحيد لذلك ، فقد كان الرجل حلوا المعشر
ساحر الحديث ، حاضر البديهة رائع النكتة راوية للشعر والأدب ولطائف
النوادر من الطراز الأول ، ولتصور ما كان يحدث إذا اجتمع حافظ والشيخ
عبد العزيز البشرى والدكتور محبوب ثابت فى مجلس ، ولكل منهم شخصيته
الفكهة المرحة النادرة المثال والتي قل أن يجود بمثلها الزمان .

بقيت جزئية أخيرة في سيرة حافظ تتعلق بشخصه ، فقد تزوج حافظ بعد عودته من السودان ببضع سنين من إحدى قريات زوج خاله . ولكن لم تطق طبيعة حافظ المنطلقة قيود الزوجية ، وانتهى الأمر بالفرقة بين الزوجين ولما تنقض على الزواج بضعة أشهر ولم يعد حافظ بعد هذه التجربة إلى الزواج أو التفكير فيه .

وكان حافظ باراً بأهله ، يزورهم دائماً في بيوتهم ، ويدعوهم دائماً إلى زيارته في داره ، ويساعدهم بكل ما في طوقه . كفل طفلة يتيمة اسمها جلييلة ، رباه في داره حتى كبرت فزوجها وأث لها بيتها وظل بواليتها برعايته حتى لقي ربه . كما ربى طفلة أخرى هي إحدى قريات زوج خاله ، اسمها رفيعة حتى كبرت ولحقت بأهلها قبيل وفاته .

وهو لم ينس رعاية السيدة أمينة هانم زوج خاله المرحوم المهندس محمد نيازي له أثناء إقامته معهما في مصر وطنطا على ما أسلفنا . فعندما مات خاله ولم تكن لزوجته أمينة هانم من يكفلها ضمها حافظ إليه معززة مكرمة وأصبحت سيدة داره والقيمة عليه . ولما توفيت قبل وفاة حافظ بحوالى ثلاث سنوات قام على خدمته خادمه حسن الذى أخلص له كل الإخلاص فعينه حافظ وزيرا لماليتيه المضطربة ، يعطيه مرتبه كله لينفق على البيت ، ويسحب منه ما يحتاج إليه من مال ، فلم يكن حافظ يطمئن إلى نفسه وإلى سلامة تديره الذى كثيرا ما أوقعه في أزمات .

• •

المبحث الثالث : في طبيعة الشاعر كإنسان وما يُميّز به من خصائص :

علمنا مما سبق أن شاعرنا رجل من عامة الشعب ، نشأ وربى في أحيائه الوطنية بين أترابه المصريين البسطاء . كما علمنا ما اكتنف حياته منذ نشأته وفي أدوار طفولته وشبابه من مآسٍ بفقد أقرب الناس إليه بالوفاة ثم بانتقاله من بيت أبيه بعد وفاته إلى بيت جده بالمغربلين إلى بيت خاله بحى الخليفة بمصر وطنطا وقيام خاله برعايته والإنفاق عليه حيث لم يورثه أبوه مالا ، ولا شك فيما تركه ذلك كله في نفسه من جروح غائرة ، فكان بادی الحزن والتجهم ما انفرد بنفسه ، أما إذا خرج للناس فعكس ذلك تماما ، لا تشاهد منه إلا المرح ، والفكاهة الحلوة ، والنادرة المستعجلة . وقصارى القول إنه حيث كان يوجد حافظ يوجد السرور وتعلو الضحكات والفقهية التي تنبعث عالية حتى من أشد الرجال ترمنا ووقارا .

ما السر في هذا . . هل ما يقال من أن شر البلية ما يضحك ؟ وأن الشيء إذا زاد على الحد انقلب إلى الضد ؟ كما تدمع عيوننا من شدة الضحك ؟ أو تجدد العيون عن الدمع عند اشتداد البلوى ؟

ومع ذلك فلا نكاد نرى لفكاهة الشاعر أثرا يذكر في شعره ، وإنما هو جاد كل الجدة فيه ، رزين فيه كل الرزانة ، بل كثيرا ما تلمس في شعره من القوة والعنف والحزن الدفين والألم الممض ما لا يتصور في قائلها أن يكون مرحا فكها بساما في حياته الإجتماعية .

والذى أعتقد أن شعر الشاعر كشاف لحبيئة نفسه ، ما صدق مع نفسه وصدق في شعره ، أما الحياة أمام الناس وما يرتديه لها من ألبسة وأقنعة ، فكلها مظاهر خارجية قد تقتضيها الظروف وترغم بها .

فطبيعة شاعرنا إذن هى الطبيعة الجادة التى نطقت بها شاعريته المنبعثة من قرار مكين فى نفسه . أما المرح والدعابة والفكاهة التى اشتهر بها بين الناس ، فقد تكون من باب إنسانية الشاعر ، فما ذنب الناس ليحملهم همومه ومتاعبه ، وما شأنهم فيما لاحقه به الدهر من مأس ونكبات ، ألا يكفى الناس ما يحملونه منها ؟ أما يكفيهم ذل الأسر والإحتلال ونكبة الوطن ليزيد هم همه فوق همومهم .

إن المذكوبين المهمومين أحق الناس بالتسرية عنهم ، فلماذا لا يكون حاملا على ذلك وقد أحب وطنه ومواطنيه الحب كله ، ذلك الحب الذى ملأ عليه فؤاده ومشاعره ولم يجعل فيها مكانا لحب آخر .

وخلق الإنسان هو نتاج طبيعته الخاصة والمظهر الذى يبدو فيه للناس ، فإذا نحن تكلمنا عن خلق إنسان فلنمنا فى الواقع نتكلم عن طبيعته كما يكشف عنها خلقه .

وتأسيسا على هذا يمكن تلخيص طبيعة حافظ فى أنها طبيعة حزينة ، يلفها أمام الناس برداء كثيف من المرح والفكاهة لعل السبب فيها ما ذكرنا من الإشتاق على الناس ، ولعلها الكبرياء الطبيعية فيه ، فقد يرى فى الحزن ضعفا لا يليق بالرجال ، ولعله أخيرا التنفيس الطبيعى عن النفس ، شأنه فى ذلك شأن المصريين جميعا ، حيث يقابلون كل مأساة أو نكبة بالنكتة اللاذعة والسخرية القارعة .

ومن المظاهر الواضحة فى طبيعة حافظ أيضا أنها طبيعة قلقة لا تستقر على حال ، كما أنها طبيعة جادة فى تناوله الشعر وتخيير الأبواب الجادة منه ، فى بساطة نفس أدت إلى بساطة فى الأسلوب وبساطة فى العرض وبساطة فى التناول ، بغير عمق ولا تعسير ، كل ذلك فى رصانة وقوة أداء وقوة فى الإقناع . يعرف مواطن الحساسية فى النفس فيضرب عليها حتى يثد إليه الأسماع والإفئدة والمشاعر جميعها .

بقيت مسألة أخيرة تتعلق بطبيعة الشاعر وما يتميز به من خصائص ،
أود أن أتعرض لها ، استكمالا لهذا المبحث من المقدمة ، وردا على أسئلة كثيرة
راودت نفوس الباحثين وأفكارهم في شعره ، ويمكن إيجازها أو تضمينها السؤالين
التاليين :

السؤال الأول — ما هذه البساطة اللغوية الواضحة في شعر حافظ ، إذا
ما قورنت بشعر زميله ومعاصره أحمد شوقي ؟ صحيح
أن شعر حافظ من نوع السهل الممتنع ، وهذا إعجاز
في حد ذاته ، ولكن هل لهذا سبب يرجع إلى حصيلة
لغوية ضيقة أو محدودة ؟

السؤال الثاني — كيف يكون هذا الشاعر الضخم بلا مكتبة خاصة
يرجع إلى كتبها عند الحاجة ؟ بل كيف تنتهى حياته
وبيتته خالٍ من قصائده حتى يرجع إلى الصحف
والمجلات العديدة في جمعها ؟

وللاجابة عن هذين السؤالين وغيرهما من الأسئلة العديدة أقول :

إن حافظا كان عالما من علماء اللغة العربية ، درسها في الكتاب وفي المدارس
الأميرية ، ثم درسها دراسة أزهريّة مستفيضة في الجامع الأحمدى بطنطا ، وبما
كان يقرأه ويستوعبه من أمهات الكتب العربية ، وعلى رأسها وفي مقدمتها
القرآن الكريم الذي أصبح من قديم المراجع الثابت الوحيد للغة العربية .

لا محل للشك مطلقا في علو كعب حافظ في اللغة وتعمقه فيها ، ثم لم يوجد
كتاب في اللغة أو في الأدب ، ولا ديوان للشعر ، لم يطلع عليه حافظ أو لم
يدرسه دراسة واعية مستفيضة . بهذه الحصيلة الوفيرة الغنية ، لم يكن متمكنا

من اللغة فحسب ، بل كان مرجعا موثوقا به فيها ، يرجع إليه كثير من الكتاب والأدباء والشعراء فيما قد يتشككون في صحته ..

وكان لحافظ من اسمه أوفى نصيب .. كان قوى الحافظة بغير حدود .. لا يقرأ كتابا حتى يستطيع أن يعيد ما قرأه بالفاظه وأرقام صحائفه مهما طال به الزمن على قراءته ..

والأعجب من هذا ، أنه لم يكن يستعين بورقة وقلم في نظم قصائده ، بل كان ينظم القصيدة من مطلعها إلى نهايتها في ذهنه .. ينظمها ويهذبها ويرتب أبياتها ، ويقدم فيها ويؤخر ، كل ذلك يتم في ذهنه ، ثم يقبل على الحفل ، ويلقى قصيدته من الذاكرة ، وكان رجال الصحافة يُعدُّون أنفسهم له لسرعة التدوين حتى لا يفوتهم شيء منها .

فليس بصحيح إذن ، الظن بأن حصيلة حافظ اللغوية حصيلة ضحلة أو محدودة ، ولكن الصحيح أن حافظا اختط لنفسه أن يكون شاعر الشعب ، فكان عليه إذن وهو يخاطب الشعب أن يتخير من الألفاظ والعبارات والأساليب ما يسهل فهمه على الكافة ، وإلا انزل عن الشعب لاختلاف لغة التفاهم بينه وبينهم .. ولا شك في صعوبة مخاطبة الشعب بالعربية الفصحى ، وبالشعر أيضا ، وبالأسلوب وبالمعاني المؤثرة النافذة إلى صميم النفوس والوجدان ، وتلك قدرة وعبقريّة انفراد بها حافظ ولا جدال ..

وقد بلغ من حرص حافظ الشديد على البساطة اللغوية مع الجزالة والمتانة الشعرية ، أنه تخير رجلا من عامة الشعب ، اعتبره المستوى العام لفهم « ابن البلد » المصرى ، وكان اسمه على محمود حسن الكرماتى ، فكان يعرض عليه أولا كل قصيدة يضعها ، بيتا بيتا ، فإذا وجد منه فهما للبيت أجزاه ، وإلا غير وبدل ،

بل وحذف أحيانا ، حتى يطمئن إلى أن كل الشعب المصرى بمستوياته الثقافية المختلفة سيفهم وسيعى كل بيت فى القصيدة ، فإذا فهم الشعب المصرى فهمت بعده كل الشعوب العربية فى مختلف أرجائها . .

وكانت حافظة حافظ النادرة قد أغتته عن الرجوع إلى كتب اللغة وآدابها ، ثم كان فى عمله بدار الكتب المصرية كل الننى عن الحاجة إليها أيضا ، وقليل ما كان يرجع إلى بعض الكتب ويطلب صفحات معينة فيها للاستيثاق مما فى ذاكرته منها ، وأشهد ، ويشهد معاصروه وقد أصبحوا أقل من القليل ، أن ذاكرته لم تخنه فى يوم من الأيام ، لا فى الموضوع الذى أراد ، ولا فى صفحة نشره .

ولقد كانت حافظته السبب فى عدم اهتمامه بتدوين قصائده والاحتفاظ بها فى بيته ، فقد كان يستطيع أن يعيد على المسامع قصيدة قالها من عشرات السنين ويذكر مناسبتها ويوم القائها بل ومن حضروها من الشخصيات البارزة وقتها . . فلما فاجأه الموت ، وقع المحذور ، وفقدنا بفقدته كثيرا وكثيرا جدا من تراثه الغالى الثمين . .

أعتقد أن ما رددت به من ذلك على أسئلة السائلين قد أقنعهم ، وسد ثغرة كانوا يجدونها فى بحوثهم عن حافظ ، وقفوا إزاءها حائرين طويلا .

المبحث الرابع - فى شعر حافظ

الشعر فى حقيقته روح وإحساس وماطفة ، وقد جاء لفظ الشعر من الشعور . ويجب أن تكون الروح فى الشاعر صادقة مرهفة والإحساس لديه عميقا نافذا والعاطفة قوية جياشة حتى يمكن أن يطلع بشعره على الناس فكرا صائبا وعرضا

جيلا لما يهمهم وينفعهم . وليس لدى الناس كلهم الشعور الصادق المرهف ، ولا الإحساس العميق النافذ ، كما أنه ليس لدى كل الناس تلك النظرة الفاحصة المدققة اللاقطة لما يقع تحت بصرها من مرثيات ومشاهد ، يستبطنها ويستنبط منها ، ولكن هي ميزة لا تتوافر إلا في الأديب والشاعر . ثم إن الشعراء والأدباء يتفاوتون في ذلك أيما تفاوت ، ومن هنا يجيء شعراء المرتبة الأولى ثم الثانية ثم الثالثة والرابعة وهكذا تبعا لما منحه الله للشاعر أو الأديب من وفرة في الشعور والإحساس والعاطفة . ثم تأتي بعد ذلك القدرة على التعبير عن الشعور والأحاسيس ، وفي ذلك يتفاوت الشعراء والأدباء أيضا . وإذا كان صدق الشعور ورهافته ، وعمق الإحساس ونفاذه في النفس ، هبتين من هبات الله للأديب أو الشاعر ، فكذلك القدرة على التعبير هي أيضا هبة من أجل الهبات ، ولكن بقدر ، إذ على الإنسان أن يقوى من هذه القدرة وينميها كملكة من أهم الملكات ، بالاطلاع والدرس واستيعاب جلائل ما أبدعته قرائع القدامى ، ليكون نفسه كأديب لا غنى له عن ذخيرة وفيرة تساعد وتثري شعره بما تعطيه له من نماذج وتعبيرات وطرق في تناول الموضوعات التي يطرقها . فالشاعر كالنحلة ، تسقط على ما يهرها أو يجذبها من روائح الزهور ، فتمتص من رحيقها ما تمتص ، ثم تخرج ما امتصته بعد ذلك غذاء آخر شيئا نافعا للناس ، وكلما حسنت تغذية النحل . واختير لها من أنواع الزهور ، كان نتاجها . فمن النحل ما يعطيك عسلا برائحة الزهور ، أو برائحة البرتقال أو بلا رائحة ، ولا يتأق لها هذا بطبيعة الحال إلا بالنوع الذي استمدت منه رحيقه ، ومع ذلك فليس كل ما يعطيه النحل عسل ، فمن النحل ما لا يعطيك منه إلا لسعته ، وكذلك الشاعر .

اذن فالعناصر التي تكون الشاعر ثلاثة ...

العنصر الأول : هو الموهبة التي لا غنى عنها ولا محيص ، وتلك من هبات

الله جل شأنه ، يمنحها من يشاء من عباده ولا دخل للإنسان فيها .

وهنا نجد الفارق واضحا وكبيرا بين الشاعر والناظم . فالناظم فاقد الموهبة وإن تعلم أوزان الشعر وبحوره ، فيضع نظمه بلا روح شعرية فيكون شعره أشبه بالزهور الصناعية ، لا روح فيها ولا شذى ولا تأثيرا جماليا لها تنفعل به النفس .

العنصر الثاني : هو القدرة على التعبير عما يحس به الشاعر ويحرك

مشاعره . وعلى كل ذي موهبة شعرية أن ينمي من هذه القدرة بالقراءة والاطلاع والعلم بالأساليب وأصول اللغة وعلوم البلاغة وقواعد الشعر ، فهي أركان التعبير وأدواته ، وهي الجزء الذي يجب على الشاعر أن يسبقه في نفسه بنفسه . وبمعنى آخر هي الجزء العلمي المكتسب في أمر أساسه الموهبة .

والعنصر الثالث : والأخير هو ثقافة الشاعر ، فبقدر ما يتقف الشاعر

نفسه بثقافات عصره المتنوعة يحى شعره بقدرها ، بل عليه أن يزيد من حصيلته الثقافية حتى يسبق عصره أو يواكبه على الأقل بفكره فيما يقول . وكلما زادت ثقافة الشاعر زادت قيمة شعره وعلت مرتبته .

وفي شاعرنا حافظ نجد أن العنصرين الأول والثاني قد توافرا فيه إلى حد

بعيد ، فالموهبة الشعرية قد وضحت فيه كل الوضوح ، بل هي التي قادته في مستقبل صباه إلى أن يتفرغ لها ، أما قدرته على التعبير فقد كان خيرا بارعا متمكنا منه ، يساس في الصياغة ، ويحسن اختيار الكلمات ، ويضع اللفظ موضعه تماما .

بل إنه تفوق في ذلك تفوقا واضحا في صياغته للشعر ، ولا نعدو الحقيقة إذا قلنا أنه أول من صاغ الشعر صياغة خطابية تتفق وطبيعة موضوعات شعره وتزيده جلالة وتأثيرا وانتشارا . أما عن العنصر الثالث وهو ثقافة الشاعر ، فقد تناولها المرحوم الأستاذ أحمد أمين بقوله :

« ولكنه أكل ثقافته ، ووسع معارفه من نواح متعددة ، فقد أكثر من قراءة كتب الأدب وأطال النظر خاصة في كتاب الأغانى ، فقد حدث أن قرأه مرات ، وتحدث هو عن نفسه أنه كان يطيل النظر في دواوين الشعراء ويتخير من أمثال شعر بشار بن برد ، ومسلم بن الوليد وأبي نواس ، وأبي تمام ، والبحتري ، والشريف الرضى ، وابن هانيء الأندلسي ، وابن المعتز ، والعباس ابن الأحنف ، وأبي العلاء المعرى ، يدل على ذلك ما كان يحفظ من متشخل الأدب وعيون الشعر . فإذا جلست إليه أخذ يسمعك من محفوظه ما يهرك ، حتى لقد خيل إلى أنه لو دون ما يحفظه لفاق أبا تمام في اختياره « ديوان الحماسة » إذ كان حافظ يتخير بذوق العصر ، وروح العصر — وكان له حافظه قوية تسعف ذوقه وتلبى اختياره . فما يختار جيدا من القول حتى يرتسم في حافظته ، ويبقى في ذاكرته ، ثم يتجلى ذلك في شعره — لكنه — مع ذلك لم يعكف على دراسة منظمة ، ولم يقرأ قراءة مستفيضة في عمق ولم يرسم له خطة يلتزمها في الدراسة ، بل كان كالنحلة تنتقل من زهرة إلى زهرة ، وترتشف من هذه رشفة ومن تلك رشفة ، فهو يرضى ذوقه في أوقات فراغه بالمطالعة المشتتة ، فإذا عثر على أسلوب رشيق أو معنى دقيق اختزنه في نفسه .

وقد عاقه عن المطالعة الراتب المنظمة ، أنه كان ملول الطبع ، كما يدل عليه تاريخ حياته ، عمل في المحاماة فلم تعجبه ، واشتغل في « البوليس » فمله ، وفي الجيش فسئمه ، ولولا أنه كان حرا طليقا — إلى حد كبير — في دار الكتب لملها

أيضا ، ثم كانت هذه الفوضى في قراءته يتبعها إهمال في حياته الأدبية ، فقلما يكتب قصيدته وقلما يحافظ على شعره ، بل لا نبالغ إذا قلنا إنه قلما كان يعنى أن يكون في بيته دواة وقلم ، أو مكتبة منظمة ، كان لديه كتب تبثر ، فيأتي زائر يأخذ جزءا من الأغاني ، وجزءا من غيره ، حتى أنه لما مات - رحمه الله - لم يكن في بيته من الكتب غير جزء من « تذكرة داود » وجزءا من تفسير الأحلام لابن سيرين ، فأما الأول فلأنه كان في منيه الأخيرة دائم الشكوى من المرض ، كثير توهم العلل ، فكان كلما سمع بوصف مرض تخيل أنه مصاب به ، ولعله اقتنى « تذكرة داود » ليرجع إليها فيما يتخيل من ادواء ، وأما « تفسير الأحلام » فلأنه كان يعتقد في الرؤى وأثرها في حياة الإنسان ، وكان يرجع إليه في التناذر على بعض الأصدقاء ، فقد حدثنا أنه كان في ضيافة المرحوم مسعد زغلول باشا ، في مسجد وصيف ، وكان حافظ وصحبه يتنادرون على صديق من الأضياف ، كان يعتقد في الأحلام وصحتها ، ويتفائل بها في آماله في منصب كبير ، أو مطلب خطير .

وشيء آخر يعد مصدرا كبيرا من مصادر ثقافته ، وهو كثرة غشيانه لمجالس العلماء وقادة الرأي في الأمة ، فقد اتصل بالاستاذ الإمام الشيخ محمد عبده ، وعد نفسه فتاه ، وكان يحضر بعض دروسه التي يلقيها على نخبة من الفضلاء في منزله بعين شمس ، ويجلس في مجالسه ، ويصحبه في أسفاره ، ثم يغشى مجالس أمثال مسعد زغلول ، وقاسم أمين ، ومصطفى كامل ، ونحوهم وكانت مجالسهم مدارس من أرقى المدارس ، تطرح فيها المسائل العلمية ، والمعضلات السياسية ، والمشكلات الاجتماعية ، وتعرض فيها الحلول المختلفة ، وتبسط فيها أدواء الأمم ، وكيف هوجلت وما إلى ذلك - وحسبك بمدارس كان المعلم فيها أمثال محمد

عبده ، وسعد ، ومصطفى كامل . ولعل هذا كان أكبر منبع استقى منه حافظ أفكاره التي صاغها في شعره .

ثم كان له مجلس من الأدباء في المقاهي والمتدييات أمثال : خليل مطران والبشرى ، وامام العبد ، وكانت مجالس تجتمع فيها الفكاهة الحلوة ، والنادرة الطريفة ، ويستعرض فيها الأدب وطرائفه ، فكان كل منهم مفيدا عارضا سامعا .

وقد كان حافظ يلم بالفرنسية ، فمكثته من الاطلاع على شيء من آدابها ، وقد ترجم البؤساء لفكتور هوجو ، وترجم بعض قطع لجان جاك روسو ، واشترك مع الأستاذ خليل مطران في ترجمة كتاب « موجز الاقتصاد » وكان يقرأ بعض ما يترجم من الأدب الانجليزي ، كما ترى أثر ذلك في ترجمته لبعض قطع شكسبير ، ولكنه على كل حال ، لم ينل حظا وافرا من الأدب الغربي ، ولم يكن أثر ذلك كبيرا في شعره ، انما شعره — على الأكثر — نتاج الأدب العربي ، والثقافة العربية والتجارب الشخصية .

وأخيرا — وإن شئت أولا — كان من مصدر ثقافته ، تجاربه الواسعة ، فقد أتاح له يؤسه الامتزاج بنهار الناس ومجالستهم ومشاركتهم في الخير والشر ، ومطارحتهم النكات والنوادر كما مكن له ظرفه وأدبه أن يتصل بسادة الناس وقادتهم يسمع لحديثهم ، ويسمعون لأدبه وأن يتصل برجال النهضة الوطنية فيأخذ عنهم ، ويلتهب حماسة من حماسهم ، ويمتلئ وطنية من وطنيتهم .

أما وقد اكتملت العناصر المكونة للشاعر في شاعرنا فما هي الطبيعة التي تميز حافظا وشعره عن غيره من الشعراء ؟ وما هي أبواب الشعر وفنونه التي

طرقها وبرز فيها ؟ فليس من المفروض ولا من المعقول أن يبرز الشاعر ، أى شاعر ، فى كل نواحى الشعر وأغراضه ، فحسبه أن يجيد فى باب أو باين من أبواب الشعر اجادة تامة أو اجادة ملحوظة . والعبرة بالإجادة لا بالكمرة ولا بالتنوع . والعبرة أيضا بأن يعطى الشاعر ما تريده منه أمتة وما يحتاج اليه شعبه وعصره . ولعل ذلك ما يفسر لنا تعريف البلاغة بأنها مطابقة الكلام لمقتضى الحال ، كما يفسر لنا الحكمة العربية بأن لكل مقام مقالا .

فاذا كان ذلك كذلك ، فقد كان حافظ شاعر عصره ، وشاعر أمتة وشاعر عروبتة وشاعر شرقية بل شاعر عالمه الاسلامى فى ذلك الحين .

حدث أن كنت أتناول الغداء على مائدة المرحوم الدكتور محمد حسين هيكل باشا ، وهو على ما نعلم كان أديب مصر والمؤرخ الكبير لقادة الإسلام ، والوطنى الوفى ، والسياسى العملاق البعيد النظر فى الأمور ، وكان يحلوه على مائدة الغداء أن يتحدث فى بعض المسائل الأدبية أو الفقهية أو السياسية ، فسألنى عن رأيى فى حافظ بعد أن فرغت من حديثى عن بعض معجزات شوقى الشعرية . ولما كنت أعلم أنه كان صديقا لكلا الشاعرين ومعجبا كل الإعجاب بكليهما ، ولما كنت أعلم أنه هو الذى وضع مقدمة ديوان شوقى ، وأنه يعلم قرابتي لحافظ ، فقد صغت ردى على سؤاله صياغة ابتسم لها ، حيث قلت إن من دلائل عظمة حافظ ومكانته الشعرية أنه استطاع أن يوجد له مكانا واسما الى جوار شوقى . وعجبت أيما عجب من تعقيبه على تلك الكلمة بقوله : ولم لا تقول إن من دلائل عظمة شوقى أنه استطاع أن يوجد له مكانا واسما الى جوار حافظ ، فقد كان الوقت وقت حافظ ، والعصر عصر حافظ ، والمجال مجال حافظ !!! وسكت الأديب العالم الحصيف عند هذا . . فاذا رجعنا الى ما سبق أن ذكرته عن ال

البلاد في هذه المقدمة ، أيقنا بأن البلاد وهي في بالغ عسرتها الوطنية ، كانت أحوج ما تكون الى الشاعر الوطني والى الشعر الوطني ولا غير ، فالوصف والغزل والمديح وما أشبه لم تكن البلاد في حاجة اليها ولا حاجة لشبابها ورجالها الى سماعها والالتفات اليها ، وفي مثل تلك الأبواب تحفل دواوين كبار شعراء العربية مما لا مزيد بعده لمستريد .

إن البلاد والشعب المكافح في عسرتة ، كانا أحوج ما يكونان الى الشاعر الذى يلهب حماسهم ويجمع صفوفهم ويبصرهم بأحوالهم ، ويذكرهم بأبجادهم ، ويضرب الأمثال لهم ، ويعالج أدواءهم ويحيى دارس الآمال فيهم ، أما ما عدا ذلك فلا حاجة للبلاد والناس اليه ، فهي رفاة وخيال ونعم ينكرها الشعب ، ويأبأها القادة المصلحون لشعب عليه أن يكافح ويستमित في كفاحه في سبيل الحرية والاستقلال .

وكما قال أستاذنا الجليل المرحوم الأستاذ أحمد أمين في مقدمته : إن ميزة حافظ الكبرى أنه تبلورت في شعره آمال أمته أولا ، وآمال الشعب العربى ثانيا . كانت الامة تشكو من فوضى الأخلاق ، وتشكو من الاحتلال ، وتشكو من تضيق الغرب على الشرق ، وكان الخطباء يحاولون إيقاظه ، وكان حافظ بما له من حس مرهف ، وعاطفة حساسة يجمع كل ذلك في نفسه ، فلما ثار على الشعر القديم وحطمه ، بنى على أنقاضه شعره الجسديد في الوطنيات والاجتماعيات والسياسيات ، وكان في شعره يقف موقف الصحافة الوطنية ، والخطباء الوطنيين وقادة الراى الاجتماعيين ، يغشى مجالس كل هؤلاء ، ويتشرب من أرواحهم ، ويستمد من وحيهم ، ويغذى عواطفه من عواطفهم ، ثم يخرج ذلك كله شعرا

قويا ملتبها ، يفعل في النفوس — وذلك شأن الشعر الحى — ما لا تفعله الخطب والمقالات ، فكان حافظ — حقا — شاعر الوطنية ، وشاعر الشعب ، وشاعر السياسة والاجتماع ، ولم يجاره أحد في ذلك من شعراء عصره .

وقف حافظ في ذلك مواقف مختلفة ، فتارة يقرع الامة تقرىعا جارحا مؤلما على استنامتها واخلادها الى السكون واستسلامها للأجانب ، وتارة تبدأ الأمة بحركة وتقف موقفا مشرفا فيحيي أمله ، ويبشر بعد أن كان ينذر ، ويعاوده الأمل بعد اليأس ، والرجاء بعد الخيبة . . وهكذا يضطرب في شعره بين التفاؤل والتشاؤم ، اضطراب الأمة بين اليقظة النوم ، والعمل والتواكل والاصابة والخطأ فهو صدى لها في حركاتها ، وهو المدرس الحكيم الذى يأخذ موضوع درسه من حوادث يومه .

نعم إنه بعد ثورته على الشعر القديم ، نظم في موضوعاته ، ولكنه حتى في هذه لا ينسى مقامه ، ولا يجهل رسالته ، ولا يفوته غرضه ، فهو ينتهز فرصة تحية العام الجديد ، وتحية الملك وثناء الفقيد ، وتبأنى العيد ، ليثبت في ذلك كله عاطفته الوطنية ، ونظراته الأخلاقية ، وليبشر وينذر ، ويرغب ويهيب ، فهو مجتهد من هذه الناحية ، في موضوعاته الجديدة وموضوعاته القديمة ، حتى في وصفه لا يريد أن يخليه من غرضه الذى ملك عليه قلبه ، ولا يحاول أن يجعله أدبا صرفا فهو يشبه طول الليل بعهد الاحتلال الى كثير من أمثال ذلك . ويتغزل في هذا الطور من الحياة ، ولكن لا في جارية ولا في غلام ، ويتغنى ولكن لا في كأس أو مدام ، إنما يتغزل في مصر ، ويتغنى بمصر ، ويأرق في حب مصر .

لم يشأ حافظ أن يكون شعره في وطنياته طبلا أجوف ، يقول قولاً عاما لا يستند إلى مادة من حقائق ، وإنما اتخذ ما يحدث من أحداث اجتماعية

في عصره أساسا لدعوته ، وسنادا لهجمته . فقد كان يتربص كل حادث هام يعرض ، فيخلق منه موضوعا لشعره ، ويملؤه بما يجيش في صدره . . كان في شعره سجل الأحداث ، إنما يسجلها بدماء قلبه ، وأجزاء روحه ، ويصوغ منها أدبا قيما يستحث الهمم ويدفع الى النهضة ، سواء أضحك في شعره أم بكى ، أتمل أم يئس . ويتسع أفقه في كثير من الأحيان ، فينظر الى الوحدة العربية ، والوحدة الإسلامية ، فكم قال في علاقة الشاميين والمصريين ، وفي الدعوة الى الإخاء والقضاء على من يبذر بذور البغضاء ، وكم قال في علاقة مصر بالآستانة ، وتمنى نهضة الخلافة ورفع لوائها وعودة مكاتها ، وكم شعر في وحدة الشرق وتعاونه وتبادل المنافع بين أجزائه ، فكان شعره مقربا للقلوب داعيا الى ائتلاف الشعوب ، ينتهز لذلك كل فرصة ، بل أحيانا يزيد اتساع أفقه فينظر الى الانسانية كلها .

وقد أجاد حافظ كل الإجادة في الرثاء واحسن كل الإحسان ، وسبب ذلك أنه استطاع في كثير من الأحيان أن ينقل الرثاء من حادثة فردية الى مأساة اجتماعية فموت الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده نكبة على مصر وعلى العالم الإسلامى ، وموت مصطفى كامل كارثة على مصر وعلى الوطنية الحققة ، فهو يتسلل في حذق ومهارة بعد تصوير الفقيد في صورة كاملة الى المسائل العامة الاجتماعية ، وبذلك يجلس حافظ على عرشه ، ويقول في سهولة وحزالة ما برع فيه وفاق أقرانه .

* *

ولقد عاب البعض على حافظ أنه لا يعتبر شاعرا من شعراء الطبيعة ، كأن الطبيعة هى كل شئ في الحياة ، أو كأن من لا يصف الطبيعة ليس شاعرا أو شاعرا محدود الشاعرية ، وينسى أو يتناسى القائلون بهذا أن الإنسان هو أول وأكبر مظهر للطبيعة في الوجود وهو أعقد مشكلاتها .

ولا نعدو الحقيقة اذا قلنا إننا لا نجد شاعرا أحسن في وصف الإنسان وحالاته وخلجات نفسه ما أحسن حافظ . واذا كان الإنسان مخلوقا معقدا بطبعه وطبيعته ، فإنه لا يتعرض لوصفه ووصف حالاته إلا ذو القدرة المكين .

ثم إن كل إنسان ، أديب أو شاعر ، يستطيع ان يتعرض للطبيعة بالوصف ، ولكن ليس أحد من هؤلاء بمستطيع أن يتناول الإنسان بالوصف والتحليل وإبراز المشاهد الإنسانية متناول حافظ لها ، ولنرجع الى قصائده في الانقلاب العثماني وفي حادث دنشواي ، وفي رحلته الى إيطاليا ، وفي زلزال مسينا وفي غيرها من قصائده كثيرة ، تأكيد لما نقول .

والشاعر بحق ، هو من ينقل أحاسيسه الصادقة بالطبيعة والحياة ، وشعوره بها ، الى نفس ووجدان ومشاعر قارئه ، ويترجمها له ترجمة دقيقة واضحة المعالم اخاذة نفاذة . وهكذا كان حافظ وصافا للرثيات والمحسوسات ، بعيدا عن مجرد الخيال المحض ، بما يعجز عنه أى معبر مهما بلغ من عمق ودقة وبلوغ قصد .

والطبيعة أيضا من الرثيات والمحسوسات ، ولقد تناولها حافظ فيما تناول ، ولكنه لم يتناولها إلا عبورا وبمناسبة تلفت اليها ، فلم تكن في غالبية شعره مقصدا من مقاصده ، ولا هدفا من أهدافه .

والعبرة فيما يكتبه الشاعر ، سواء كان وصفا أو غيره ، انه حيث يتناول موضوعا من الموضوعات أن يأتي فيه بجديد ، يتعمق في الفكرة مع حسن العرض وإكتماله . وكثيرا ما رأينا موضوعات نحسبها تافهة أو رخيصة ، فاذا تناولها الكاتب الكبير أو الشاعر الفحل ، تتغير فيها النظرة ، ونعجب كيف كنا نصفها بهذا الوصف . وعلى هذا يمكن أن نقول إن العبرة بالتناول وقدرته ، لا بأهمية

الموضوع أو تفاهته ، فالعظيم اذا تناول الحقيـر من الأمور أضخى الحقيـر بيده عظيما ، وكذلك الصغير اذا تناول أجل الامور أضخى الجليل بيده مستصغرا نافها .

تحضرنى فى ذلك أبيات لشيخ المعرة ، فى وليد توفى بعد ثلاثة أيام من مولده ، فلننظر فى هذا الموضوع اليسير الذى لا غرابة فيه ، وكيف خرج من يد العظيم عظيما . قال أبو العلاء :

أعجبت بالطفل الصغير بمهده * لم يخط ، كيف سرى بغير رواحـل
قد عاش يوميه وعُمَّرَ ثالـثا * ثم استراح من المدى المتاحـل
كم سار من سنة أبوه ، فياله * قطع المسافة فى ثلاث مراحل
رَفَعَتْ له بَحَجِّ البحارِ فعامها * ونجا ، وأصبح سالما بالساحل

وإذا كانت هذه المقدمة قد طالت ، ولم يعد فيها متسع للامثال من شعر حافظ على ما ذكرنا ، وهذا ديوانه كله بأيدينا ، إلا أننى لا أرى بأسا من إيراد وصفه لبعض المشاهد الإنسانية للدلالة على ما ذكرنا .

ففى زلزال مسينا الذى وقع فى إيطاليا وقضى على المدينة ومن فيها من الأحياء يصف هذا المشهد

رب طفل قد ساخ فى باطن الار * ض ينادى أمى أبى أدركانى
وفتاة هيفاء تشوى على الجمر تعاني من جره ما تعاني
وأب ذاهل الى النار يمشى * مستميتا ، تمتد منه اليدان
باحثا عن بناته وبنيه * مسرع الخطو ، مستطير الجنان
تأكل النار منه ، لا هوناج * من لظاها ، ولا اللظى عنه وان

ثم هو يصل الى أعلى مراتب الإنسانية حين يدعو الى تبرع المصريين لغوث هؤلاء المنكوبين فيقول :

ذاك حق الإنسان عند بني الإنسان لم أدعكم إلى إحسان
ويصف تنفيذ أحكام الأعدام والجلد في أمالي دنشواي ، وزهو المستشار
الإنجليزي في ساحة الأعدام :

جلدوا ولو منيتهم لتعلقوا * بحبال من شنقوا ولم يتهيبوا
شنقوا ولو منحوا الخيار لأهلوا * بلظى سياط الجالدين ورجبوا
يتحاسدون على الممات ، وكأسه * بين الشفاه ، وطعمه لا يعذب
موتان ، هذا عاجل متنمر * يرنو ، وهذا آجل يترقب
والمستشار مكائر برجاله * ومعاجز ومناجز ومحزب
يختال في انحنائها متبسما * والدمع حول ركابه يتصبب
ثم يختم القصيدة بيتين سارا مسرى المثل مع ما فيهما من تقرير شديد للامة
على استكاتها ، صاغها في صورة نصيحة للعمد البريطاني وقتئذ :

واذا سئلت عن الكنانة قل لهم * هي أمة تلهو ، وشعب يلعب
واستبق غفلتها ، ونم عنها تم * فالناس أمثال الحوادث قلب
ومن المشاهد الإنسانية الدقيقة ما وصف به المرحوم الأستاذ حفي ناصف
كأب مفجوع في ابنته التي فقدتها في قصيدته في رثائها :

أنا لم أذق فقد البنين ولا البنات على الكبر
لكنني لما رأيت فؤاده وقد انفطر
ورأيت قد كاد يحرق زائريه اذا زفر

ورأيت أنه أنى خطأ * خطوا تخبل أو عثر
أيقنت معنى الحز * ن حزن الوالدين، فما أمر
ولعل أحدا من الشعراء والكتاب لم يبلغ ما بلغه حافظ في وصفه للرجل
السياسي ، وهو ما جاء في رثائه للمرحوم عبد الخالق ثروت باشا ، حيث قال :
لله سر في بناية ثروت * سبحان باني هذه الأعصاب
إني سألت العارفين فلم أفز * منهم على عرفاته بجواب
هو مستقيم ملتو ، هو لين * صلب ، هو الواعي هو المتغابي
هو حوّل هو قلب ، هو واضح * هو غامض ، هو قاطع هو نابي
ما جاء من باب لصيد دهائه * إلا نجا بدهائه من باب
والامثلة على ذلك كثيرة ، لو استطردنا فيها لما انتهينا .
ومن ميزات حافظ الكبرى أنه كان يحسن إلقاء الشعر ، فكان يلقي قصائده
بنفسه ، ولا ينوب عنه أحدا في إلقائها إلا ما ندر لعذر قاهر يمنعه عن الحضور ، كان
جهير الصوت ، قوى الاداء ، إذا اعتلى المنبر اهتز تحته ، كأنها البراكين تتفجر ، يعلو
صوته كالرعد في وطنياته ، وجموع الشعب تصنح في إعجاب وانبهار وقد ملك عليها
أفئدتها وأنفاسها وكل مشاعرها ، حتى إذا انتهى الى مقطع من مقاطع القصيد ،
جاوبه الشعب بهدير وزجيرة تعبر عن شعورهم وتقديرهم ومكنون ضمائرهم . وإذا رثى
لا يتمالك السامعون أنفسهم من البكاء والنحيب شعورا بما عبر عنه من فداحة
المصاب فيمن يرثيه . . وهكذا كان رحمه الله ... كانت قوته أيضا في إلقائه ، حتى
كان يؤثر عن المرحوم الاستاذ عباس محمود العقاد أنه قال : شعر حافظ لا يقرأ
ولمّا يسمع : ولو كانت في عهده أجهزة تسجيل ، لسجل شعره بدلا من طبعه .

والآن ، ما هي مكانة حافظ بين شعراء عصره ؟ وما مكانته بين شعراء العربية .

عاصر حافظا شعراء كثيرون ، نذكر من كبارهم محمد عبد المطلب واحمد شوقي و خليل مطران وولي الدين يكن واسماعيل باشا صبرى ، ومن قبلهم محمود سامى باشا البارودى . إلا أن أكبر شاعر من هؤلاء المعاصرين كان بلا شك أحمد شوقي بك الملقب بأمير الشعراء والذي عاصر حافظا وزامله فى الشعر طول حياته : حتى لقد لقيا الله فى سنة واحدة هى سنة ١٩٣٢ ، حيث توفى حافظ فى ٢١ من يولييه ، ووقفاه شوقي فى ١٤ من أكتوبر من نفس السنة .

وقد انقسم الناس فى عهدهما فريقين : فريقا فضل حافظا وآثره عمن سواه ، وفريقا فضل شوقي كمعجزة شعرية مع حبه لحافظ وأعجابه به ، و قليلا من وقف موقفا وسطا . كانت هذه حال الناس ، لا فى مصر وحدها ، بل فى مشارق الارض العربية ومغاربها . . ولكل وجهة هو موليها . .

ولقد تناول عميد الأدب العربى المرحوم الأستاذ الدكتور طه حسين فى كتابه « حافظ وشوقي » فيما تناوله من دراسة الشاعرين ، اختلاف الناس فيهما ، وتعرض للسؤال التقليدى الذى ثار بينهم حول من هو أشعر من صاحبه . ولعلنا فى هذه العجالة نحسن اذا نحن أتينا بخاتمة بحثه فى رده على هذا السؤال . . حيث يقول الدكتور العميد :

« وصل شوقي فى شيخوخته الى ما وصل اليه حافظ فى شبابه ، لأن شوقي سكنت حين كان حافظ ينطق ، ونطق حين اضطر حافظ الى الصمت . بالسوء الحظ ، ليت حافظا لم يوظف قط ، وليت شوقي لم يكن شاعرا الأمير قط . ولكن

هل تنفع شيئاً لبت ؟ لقد أسكت حافظ ثلث عمره ، ومجن شوقي « في القصر »
ربع قرن ، وخسرت مصر والأدب بسعادة هذين الشاعرين العظميين شيئاً كثيراً .
... كلا الشاعرين قد رفع لمصر مجداً بعيداً في السماء ، وكلا الشاعرين قد
غذى قلب الشرق العربي نصف قرن أو ما يقرب من نصف قرن بأحسن الغذاء .
وكلا الشاعرين قد أحيا الشعر العربي ورد إليه نشاطه ونضرتة ورواه . وكلا
الشاعرين قد مهد أحسن تمهيد للنهضة الشعرية المقبلة التي لا بد من أن تقبل .
هما أشعر أهل الشرق العربي منذ مات المتنبي وأبو العلاء ، هما ختام هذه الحياة
الأدبية الطويلة الباهرة التي بدأت في نجد وانتهت في القاهرة وعاشت
خمسة عشر قرناً والتي ستستحيل وتتطور وتستقبل لونا جديداً من ألوان الفن وضرباً
جديداً من ضروب المثل العليا في الشعر . هما أشعر العرب في عصرهما . . . ولكن
أيهما أشعر من صاحبه ؟

أقترى أن ليس من هذا الحكم بد ؟ أقترى أن تفضيل أحد الرجلين على
صاحبه يغني أو يفيد ؟ نعم ، ليس من هذا الحكم بد ، لأنه تقرير الحق الواقع ،
وفي هذا الحكم نفع عظيم لأنه وضع للأشياء في نصابها ، لأنه يبين للبندئين في الشعر
من الشباب أين يكون المثل الأعلى .

أما أنا فلا أستطيع أن أقول إن أحد الشاعرين خير من صاحبه على الإطلاق .
ولكن شوقي لم يبلغ ما بلغ حافظ من الرثاء ، ولم يحسن ما أحسن حافظ من تصوير
نفس الشعب وآلامه وآماله ولم يتقن ما اتقن حافظ من إحساس الألم وتصوير
هذا الإحساس وشكوى الزمان .

لم يبلغ شوقي من هذا ما بلغ حافظ . وهو بعد هذا أخصب من حافظ طبيعة ،
وأغنى منه مادة وأنفذ منه بصيرة ، وأسبق منه إلى المعاني ، وأبرع منه في تقليد

الشعراء المتقدمين ، لأن حافظا كان يقلد الالفاظ والصور ، وكان شوقي يقلد
فيهما وفي المعاني أيضا ، ولشوقي فنون لم يحسنها حافظ وما كان يستطيع أن يحسنها .
شوقي شاعر الغناء خير مدافع ، وشوقي شاعر الوصف غير مدافع ، وشوقي
منشئ الشعر التمثيلي في اللغة العربية .

يلتقي الرجلان في كثير ، ويفترق الرجلان في كثير ، ولكنهما على كل حال
أعظم المحدثين حظا في إقامة مجدنا الحديث .

بهذا انتهى الدور كله في حكمه على كلا الشاعرين ، وليس بعد حكم الاستاذ
العميد حكم ، وخلاصته أن حافظا وشوقي كانا أشعرا أهل الشرق العربي منذ مات
المتنبي وأبو العلاء ، وأنهما كانا ختام حياة أدبية طويلة باهرة بدأت في نجد
وانتهت في القاهرة ...

وأن ليس أحد الشاعرين خيرا من صاحبه ، فلكلا الشاعرين مجاله وميدانه .
وأن كليهما قمة من قمم الشعر في عصرنا الحديث .

وبهذا يكون رأينا في مكانه شاعرنا حافظ وتحقيق مرتبته بين شعراء عصره
وبين شعراء العربية جميعا .

أما وقد انتهينا الى ما انتهينا اليه ، فلم يعد أمامنا إلا أن تقدم الديوان بما
حواه من ذخائر وقيم ، ودروس وعظات ، وتجديد للشعر في موضوعاته ، فلمما
اجتمعت في ديوان من دواوين الشعراء قديما وحديثا .

والله نسال ، وهو نعم المسئول ، وخير مستعان ومأمول ، أن ينتفع به شباب
مصر والعرب أجمعين ، وأن يكون لهم ضياء يستضيئون به ، ومثلا طيبا يحتذونه ،
ودروسا في الجهاد الخالص لوجه الله والوطن ، وتاريخنا ولغة وأدبا يزيدهم ثقافة
وعلميا وبصرا بالحياة .

محمد اسماعيل كاني

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة ديوانه حافظ ابراهيم للاستاذ أحمد أمين

معلومات رسمية عنه مستقاة من ملف خدمته
المحفوظ الآن بإدارة المعاشات

(١) لم يعرف بالضبط تاريخ مولده . ولم يعرفه حافظ نفسه ، كما أقر بذلك .
وقد عُرض على القومسيون الطبي عند ما أريد تعيينه في دار الكتب ، فقدر سنة
تسعا وثلاثين سنة . وكان الكشف الطبي عليه يوم ٤ فبراير سنة ١٩١١ ، برئاسة
الدكتور بتسي ، وهذا هو السبب الذي اعتمد عليه من قال : إنه ولد يوم ٤ فبراير
سنة ١٨٧٢ م وهو سبب واه كما ترى .

(٢) كتب حافظ بخطه ما يأتي : ” ولدت في ذهية (أى حراقة) بالنيل ،
بالقرب من قناطر (ديروط) بالصعيد “ .

(٣) كُتب الى (ديروط) للبحث في الدفاتر عن تاريخ ميلاد حافظ ، فأجابت
بأنها بحثت من سنة ١٨٧٠ الى سنة ١٨٨٠ فلم تعثر عليه في دفاتها .

(٤) كتب حافظ بخطه أن ” أباه اسمه إبراهيم فهمي ، واسم أمه الست هانم
كريمة أحمد البورصة لى بك “ .

(٥) الدبلومات والشهادات الحاصل عليها : ” عريضة ملازم أول “ .

(٦) وظائفه :

في وزارة الحربية : من الى

ملازم ثان ١٨٩١/ ٢/ ١٣ ١٨٩٣/ ٧/ ٣١

ملازم أول ١٨٩٣/ ٨/ ١ ١٨٩٤/ ٥/ ٦

في وزارة الداخلية :

ملاحظ مركز بنى سويف ... ١٨٩٤/ ٥/ ٧ ١٨٩٥/ ٣/ ٢٣

معاون بوليس مركز الإبراهيمية ١٨٩٥/ ٣/ ٢٤ ١٨٩٥/ ١٠/ ١٥

في وزارة الحربية ثانية :

أحيل على الاستيداع ١٨٩٥/ ١٠/ ١٦ ١٨٩٦/ ٣/ ١٧

ملازم أول بإدارة التعيينات ... ١٨٩٦/ ٣/ ٨ ١٩٠٠/ ٥/ ٢

أحيل على الاستيداع ١٩٠٠/ ٥/ ٣ ١٩٠٣/ ١٠/ ٣١

أحيل على المعاش ١٩٠٣/ ١١/ ١

(٧) كانت إحالته على المعاش بناء على طلبه ، فقد كتب تظلمها قال فيه ”إنه

مكث بخدمة الجيش ١٢ سنة ، ولم يحصل فيها على غير رتبة ملازم أول . ومضى

عليه أربع سنوات وهو فى الاستيداع ، وأنه فقد الأقدمية ، ويلتمس إحالته على

المعاش ليتسكن من وجود شغل له يقوم بنفقته ونفقة عائلته الكبيرة التى لا يقوم

مرتب الاستيداع بلوازمها “ . ” وبناء على ذلك تقرر إحالته على المعاش كالتماسه “ .

(٨) كان مرتبه فى الاستيداع ٤ جنيهات .

(٩) فى أثناء خدمته بإدارة التعيينات سافر الى السودان . وقد أمضى فيه

مدة ، منها :

يوم	شهر	
١٥	٩	في سواكن .
٥	٢	» وطوكر .
-	١٠	قبلى حلفا .

(١٠) حينما أحيل إلى المعاش كتب وكيل الحربية مانصه: "إن محمد حافظ إبراهيم الملازم أول المحال على المعاش سلم السيف والقائش (الذين كانوا في عهده) " .

(١١) عين رئيسا للقسم الأدبي بدار الكتب في ١٤/٣/١٩١١ تحت الاختبار، بمرتبة قدره ٣٠ جنيها . وفي ١/٤/١٩١٢ عين بصفة دائمة . وفي ٧/٢/١٩١٦ عين رئيسا للمغيرين بدار الكتب أيضا .

(١٢) كتب وهو في سن الخامسة والخمسين يطلب إحالته على المعاش ، وأن يعطى خمسين جنيها شهريا . لأنه خدم اللغة والأدب مدة طويلة ، فلم يُجِب إلى طلبه .

(١٣) ظل مرتبه في دار الكتب يزيد إلى أن بلغ ثمانين جنيها .

(١٤) أحيل إلى المعاش من دار الكتب في ٤/٢/١٩٣٢

(١٥) مجموع مدة خدمته في الحكومة : ٣٥ سنة و ٤ أشهر و ٢٩ يوما .

وبيانها كالاتي :

يوم	شهر	سنة	
٨	٦	١٤	مدة خدمته في الحربية والداخلية .
٢١	١٠	٢٠	» بدار الكتب .

(١٦) ملف خدمته مملوء بطلب الإجازات الاعتيادية والمرضية . وفي سنة ١٩٢٣

طلب اجازة ثلاثة أشهر لقضاها خارج القطر ابتداء من ٣٠ غسطس .

حياته — حوالى سنة ١٨٧٢ م . كانت سفينة (ذهبية) ترسو على شاطئ النيل أمام بلدة (ديروط) فى أعلى الصعيد، وكان يسكنها إبراهيم افندى فهمى أحد المهندسين المشرفين على قناطر ديروط وزوجته الست هانم .

ففى يوم منها أو قريب منها ، ولد لهذه الأسرة فى هذه السفينة مولود سموه "محمد حافظ" وهو شاعرنا فيما بعد، فكان ذلك إرهابا لطيفا، وإيماء طريفا، إذ شاء القدر ألا يولد "شاعر النيل" إلا على صفحة النيل .

كان أبوه "إبراهيم فهمى" مصريا صميا، وكانت أمه "هانم بنت أحمد البورصهلى" من أسرة تركية الأصل، تسكن "المغربلين" تعرف بأسرة الصروان، إذ كان والدها أمين الصرة فى الحج، فلقب بالصروان (القيم على الصرة) ولقبت الأسرة به .

ومع أن الدم التركى كان يجرى فى عروقه كالدم المصرى، لم يترنم بمدح الترك ترنمه بمدح مصر والعرب، ولم يُشيد بذكر الأتراك إشادة (شوقى) بهم، لأن ما كان فى (شوقى) دم تركى أرستقراطى، وما فى حافظ دم تركى ديمقراطى؛ ولأن تركية شوقى غنثها بيئة القصور التى ولد بها، وعاش فى أكافها، وتنفس فى جوها؛ وتركية حافظ غلبتها حياته البائسة، وعيشه فى أوساط الجماهير، واندماجه فى غمار الناس، يعيش عيشتهم، ويمجى حياتهم، فماتت عصبية التركية إلا نادرا؛ فكان شوقى إذا شعر فى الترك وحروبهم والخلافة وشؤونها شعرت أنه يتحدث عن قومه، يفخر بنصرهم، ويعتز بعزهم، ويراعى العلاقة القوية بين عابدين وبلدز، وبين الخديوى والخليفة؛ وإذا شعر حافظ فى ذلك لم تر عصبية جنسية، إنما هى عصبية دينية ووطنية، فهو يفخر بنصرة الترك، لأنها نصرة للإسلام، ويخشى على الخلافة لأن فى ضعفها ضعفا لدينه، وفى النيل منها نيلًا من وطنه .



لم يعيش أبو حافظ طويلاً بعد ولادته ، ولم يرزق ولداً غيره ؛ وقد توفي إبراهيم في ديروط وحافظ في الرابعة من عمره ، فانتقلت به والدته إلى القاهرة ، ونزلت عند أخيها ، فتولى أمره ، وقام بتربيته .

أدخله خاله مدرسة " تسمى المدرسة الخيرية " كان مقرها (القلعة) ، وكانت مكتبة تُعَلِّم فيه القراءة والكتابة وشيء من العربية وشيء من الحساب .
ثم دخل مدرسة القربية وهي مدرسة ابتدائية يُعَلِّم فيها ما يُعَلِّم في المكتب على نمط أرقى .

ثم تحول إلى مدرسة المبتديان ، ثم صار إلى المدرسة الخديوية ، ولكن لم يطل مقامه فيها ، فانتقل مع خاله " محمد افندي نيازى " إلى طنطا ، وكان خاله هذا مهندساً تنظيماً بها .

وقد تعرّف به هناك الأستاذ الشيخ عبد الوهاب النجار وكان هذا طالبا بالمعهد الأحمدي ، وذلك في شعبان سنة ١٣٠٥ هـ - أبريل سنة ١٨٨٨ م . وسنّ حافظ إذ ذاك نحو ستة عشر عاماً . قال الأستاذ النجار : "عند ما عدت من القرشية إلى طنطا في شعبان من تلك السنة ، رأيت إخواني وأصدقائي يلوذون بفتى غض الإهاب ، جديد الشباب ، وقد أسرعوا بتقديمي إليه وتقديمه إليّ ، باسم الأديب الشاعر "محمد حافظ إبراهيم" ولم تمر إلا عشية أو صباحها حتى أحسست من نفسي ميلاً إليه يجاذب من الأدب الذي كان نهمة نفسي ، حتى آل ذلك إلى غرام بادبه وما يشتمل عليه من ظرف ولطف محاضرة ، وبديهة مطاوعة ، وبسرعة خاطر ، وحضور نادرة " .

” وقد قضيتا رمضان هذه السنة نصلي المغرب والعشاء والتراويح معا ، ثم نلبث في سمر ممتع ، ومطارحة للشعر ، ومذاكرة في نوادر الأدب ، وما كان يطرفني به مما يقف عليه من جيد القريض ، إلى أن يأتي وقت السحور ، ثم نعود بعد السحور إلى ما كنا فيه إلى ابتياق الفجر . فتؤديه ، ثم نخرج بغلس إلى خارج المدينة . ثم نعود وقد آذنت الشمس بالطلوع ، فيذهب كل منا إلى بيته ^(١) .“

فهو في سن السادسة عشرة يربي نفسه بالمطالعات ، ويحفظ جيد الشعر ، ويسمر به مع أصدقائه ، ويقلده فيما يقوله هو من الشعر ، لا عمل له ولا مدرسة إلا مدرسته التي أنشأها بنفسه لنفسه ، وكان فيها وحده المعلم والمتعلم .

وحدثت حادثة طريفة تدل على شدة شعوره بجمال الطبيعة ، وحسن ذوقه وجودة حسه ؛ فقد رأى طائرا جميلا هو (اللقاق) أو كما يسمى في مصر «البشروش» في حديقة مدرسة الفرير بطنطا ، فكان يفزعه بتحريك حلقة باب المدرسة ليرى جمال شكله وجمال حركته ، واستمر على هذا حتى ضج رجال المدرسة ، وأكبنوا له وقبضوا عليه ، وأسلموه للضبطية ، ثم عفوا عنه لما رأوا من سذاجته وطهارة الباعث على عمله ^(٢) .
طبيعي أن يمل خاله هذه الحال التي عليها ابن أخته ، ولو كان أبوه حيا ملها منه ، فشاب ليس في مدرسة ، وليس له ثروة ، ثم لا يتكسب ، حالة توجب الملل ؛ أشعره خاله بذلك ، أو شعره هو به . فنظم له بيتين يدلان على ما في نفسه من ألم عميق ، فهو يقول :

ثَقَلَتْ عَلَيْكَ مُؤَوَّتِي * إِنِّي أَرَاهَا وَاهِيَةً
فَافْرَحْ فَإِنِّي ذَاهِبٌ * مُتَوَجِّهٌ فِي دَاهِيَةٍ

(١) مقال للأستاذ النجار نشر في مجلة أبولو : يولييه سنة ١٩٣٣ (٢) المصدر نفسه .

شعر ساذج في سنّ الصبا ، ولكنه يكنّ عاطفة قوية حزينة . موقف أليم في بيت خاله يذكره دائماً بيطمه وعدمه ، ويصور له دائماً بؤسه وشقاءه ؛ وهذا يفسر لنا ما كان في نفس حافظ من حزن عميق ، وألم كامن ، على الرغم مما يلوح على سطحها من ضحك وسرور .

يذكر لنا الأستاذ النجار أنه في هذه الحالة ، كان كثيراً ما يشكو الدهر ويندب سوء حظه ، ويتبرم بأحداث الزمن . ويتمنى لو يوافيه حمامه ؛ فمن ذلك قوله :
عَجِبْتُ لِعُمُرِي كَيْفَ مَدَّ فَطَالًا * وَمَا أَثَرْتُ فِيهِ الْهُمُومُ زَوَالًا
وَلِلْمَوْتِ ، مَا لِي قَدْ أَرَاهُ مُبَاعِدًا * وَجُلُّ مُرَادِي أَنَّ أَوْسَدَ حَالًا
فَلِلْمَوْتِ خَيْرٌ مِنْ حَيَاةٍ أُرَى بِهَا * ذَلِيلًا وَكُنْتُ السَّيِّدَ الْمِفْضَالًا
ماذا يصنع وقد ضاقت به السبل ، وعضه الفقر ، لقد أبي أن يأكل من بيت خاله ، فمن أين يأكل ؟

كانت أمامه إحدى سبيلين : سلكهما قبله من كان على شاكلته ممن تعلموا علماً لم يتبع نظاماً ، ولم يستند إلى « شهادة » وهي أن يكون معلماً في مكتب أو شبهه . كما فعل قبله (عبد الله نديم) وكثير غيره ، أو يكون محامياً ، كلاهما إذ ذاك كان مهنة حرة يدخلها من شاء بلا قيد ولا شرط .

ولعل حافظاً رأى أنه طلق اللسان ، حسن التأني إلى ما يريد ، مداور محاور ، وأن المحاماة تدرّ على صاحبها إذا نجح ما لا يدرّ عليه التعليم إذا نجح . ففضل أن يكون محامياً .

ولكنه لا يستطيع أن يفتح مكتباً ، وينتظر شهرته ” فذهب إلى أحد المحامين الشيخ محمد الشيمي المحامي بطنطا (بك فيما بعد) واشتغل عنده في مكتبه ، وكان

يسافر إلى المحاكم الجزئية القريبة من طنطا، ويترافع في القضايا ويكسبها؛
ثم اختلف معه وتركه " وترك له بيتين وهما :

جرب حظي قد أفرغته طمعا * يبأب أستاذنا الشيمى ولا عجبا

فعاد لي وهو مملوء فقلت له * تماً؟ فقال: من الحسرات وأحرباً

ثم انتقل بعد ذلك الى مكتب محمد أبى شادى بك بطنطا ، فمكث عنده مدة
كان فيها مغتبطا كل الاغباط ، وكان أبوشادى بك يرى نفسه قد عثر على كثر ثمين
فكانا يتنادران بالأدب ، ويتطارحان الشعر .

ثم خرج من مكتبه إلى مكتب عبد الكريم فهمى افندى المحامى ، فمكث فيه
مدة من الزمن يشتغل عنده^(١) .



لم تطمئن نفس حافظ إلى المحاماة ، ولم ينبجج فيها ؛ ويرجع ذلك - فى نظرى -
إلى أمور : فالمحاماة تتطلب عكوفاً على درس القضايا وكتابة وقائعها ، ووضع
مذكراتها ، وليس «حافظ» بالصبور على ذلك ، فهو يجيد الكلام ويجيد الدفاع
بالخطرات تخطر له ، ولكنه لا يجيد البحث والكتابة ؛ ثم كان قتي غرا ، فهو
فى السادسة عشرة ، أو السابعة عشرة لم تحنكه التجارب ، ولم تعلمه الأيام ، إنما كان
همه أن يستعرض ديوان شعريقع منه على ما يرضى ذوقه ، فيرتسم فى حافظته ؛
أما العناية بكتب الفقه والقانون ومراجعتها ، واستخراج الحكم منها ، فعمل لم يألفه
حافظ ، ولم يدرسه ، ولم يتذوقه ، ثم هو ملول لا يشتغل فى مكتب واحد حتى يمله
وهى خصلة لا تُتَّجَح ، كالتاجر يفتح كل يوم دكانا فى مكان ثم يغلقها ليفتح فى مكان

(١) المصدر نفسه .

آخر - وأخيرا - هو متلاف ، ينفق كل ما تصل إليه يده ، فلا يستطيع أن يقتصد ما يمكنه من فتح مكتب يعتمد فيه على نفسه .

فشل في المحاماة ففكر فيما يعمل ، فهداه تفكيره الى أن يسافر من طنطا الى القاهرة ، ويدخل المدرسة الحربية .

يبدو هذا التفكير غريبا ، فأديب ناشئ ، ومحام فاشل ، يفكر في أن يكون ضابطا ! لسنا ندرى الباعث على هذا التفكير ، قد يكون الباعث عليه قراءة سيرة البارودي الحربي الشاعر ، وقد يكون ما رأى في نفسه من بسطة في الجسم ، وقد تكون المصادفة البحتة هيأت له ذلك .

وأيا ما كان فقد دخل المدرسة الحربية واعتبط بدخولها ومنى نفسه بمنصب حكومي يُضمن له فيه الرزق ، ثم يقول الشعر بعد ذلك ، يغني به لنفسه ولإخوانه ، وظل في المدرسة الى أن تخرج سنة ١٣٠٩ هـ - ١٨٩١ م ، فيكون عند تخرجه في سنّ العشرين تقريبا .

وكانت المدرسة الحربية قد نظمت في عهد الخديوى توفيق باشا عقب الثورة العربية ، وأدخل عليها تعديلات جديدة ، وعين لها البكاشى هولوت (Huleatt) الإنجليزى قومنداناً ، وكان ناظرها اللواء لارمى باشا الفرنسى . وزادوا عدد تلاميذها الى بضع وتسعين ، وكان ذلك سنة ١٨٨٧ ؛ وجعلت الدراسة فيها نوعين : دروسا مشتركة لجميع التلاميذ ، ودروسا خاصة للأقسام ؛ فالمشتركة هي القوانين ، والتعليمات العسكرية ، والجغرافيا ، واللغة الأجنبية ، والطبيعة ، والكيمياء ، والرسم ؛ والخاصة هي الطبوغرافيا ، والاستحكامات ، والتمريعات في الطوبجية والسوارى (والجنّاز والشيش) . وعين المستر براين الإنجليزى أيضا في وظيفة معلم أول بالمدرسة سنة ١٨٨٩ ، وأصدر السردار أمرا ببيان اختصاص القومندان والمعلم الأول

فكان اختصاص القومندان النظر في كل شيء يتعلق بإدارة المدرسة، واختصاص المعلم الأول النظر في البرامج؛ وبذلك سلب من الناظر الفرنسي كل شيء^(١).
هذا هو عهد المدرسة أيام كان فيها حافظ، بدأت تتدخل فيها السلطات وتحدد برامجها، وتحدد من تعليمها. وكانت الثقافة فيها سطحية ضعيفة لم يستفد منها حافظ كثيرا من ناحية معارفه العامة، فما كان عنده من ذلك فهو ما استفاده من مطالعته الشخصية.

عين في الحربية بعد تخرجه وظل بها نحو ثلاث سنوات، ثم نقل إلى الداخلية ملاحظ بوليس في بني سويف، ثم الإبراهيمية لأن مدرسة البوليس لم تكن أنشئت بعد فكان يؤخذ للبوليس من الحربية، ثم أعيد للحربية. وسافر منها إلى السودان في الحملة الأخيرة التي كانت بقيادة اللورد كتشنر، وكانت منطقة عمله في السودان الشرقى.

تبرم حافظ من عمله بالسودان، وأكثر من الشكوى إلى أصدقائه، وعاوده داء الملل القديم، ولم يطق جو السودان، ولا جفاء العيشة في السودان، فتحسر على أصدقائه في مصر، وليالي الأتس بها، وجوها البديع، وعيشها الناعم، كما يدل على ذلك شعره في هذه الفترة.

قال في ذلك يصف حاله :

وما أعذرتُ حتى كان نعلي * دما ووسادتي وجه التراب
وحتى صيرتني الشمس عبدا * صبيغا بعد ما دبغت إهابي
وحتى قلم الإملاق ظفري * وحتى حطمت المقدار نابي
متى أنا بالغ يا مصر أرضا * أشم بتريها ريح الملاب

(١) انظر الجزء الثاني من حقائق الأخبار لاسماعيل مرهوك باشا.

وزاد حاله سوءا في السودان كراهية كتشترله ، إذ كان حافظ غير معنيّ بنظام ، ولا مراعيًا حسن هندام ، وعبر عن ذلك بما كتب به إلى الأستاذ الإمام من السودان ، إذ يقول ” وقعدت همسة النجمين ، وقصرت يد الجديدين ، عن إزالة ما في نفس ذلك الجبار العنيد ؛ فلقد نَمَا ضُب ضغنه على ، وبدَرَتْ بواذر السوء منه إلى ، فأصبحت كما سر العدو ، وساء الحميم “ الخ .

وكان رئيس فرقته رفعت بك يكرهه ، ويرفع التقارير السيئة عنه ، إذ كان حافظ يعمل الأراجيز في ذمه يحدوها هو وأصحابه ، فمنها قوله فيه :

تراه إذ ينفخ في المِزمار * تحسبه في رتبة السردار
يحتنب العاقل والنبهيا * ويعشق الجاهل والسفها



وافادته أيام عمله في المحاماة فاستغلها في السودان ، فقد عرف بين إخوانه بقوة الحجّة ، وحسن البيان ، فكان كثيرا ما يتفيه الضباط المتهمون في الدفاع عنهم أمام المجالس العسكرية .

حتى إذا جاءت سنة ١٨٩٩ م حدثت ثورة في السودان ، اتهم فيها ثمانية عشر ضابطا ، كان من بينهم حافظ ، فحُكوا وأُحيلوا إلى الاستيداع .

وقد قال اللورد كرومر في كتابه « عباس الثاني » عن هذا الحادث ما يأتي :

” عند ما شبت حرب جنوبي افريقيا ، عاد كثير — من أفضل الضباط البريطانيين ، الذين كانوا يقودون فرق الجيش السوداني — إلى فرقهم الأصلية في الجيش البريطاني ، ونظرا لبعض الملابس التي لا حاجة بي إلى ذكرها — والتي ما كانت تقع لو لم يضطر هؤلاء الضباط الخيرون إلى السفر — حدث استياء في الجيش

وجاهرت فرقة من فرق الجيش السوداني بالعصيان — وقد كثرت الإشاعة بأن الخديوى قد قال أقوالا تجعل النافرين يعتقدون أنه راض عنهم عاطف عليهم . على أن الثورة أنحلت بدون إراقة دماء ، وحكم عدد من الزعماء أمام المجالس العسكرية ، وحكم عليهم بالسجن مددا مختلفة ، وأرسلوا إلى مصر ليقضوها بها .

ولما حدثت الخديوى فى هذه المسألة ، رأيت من الحكمة أن أتجاهل ما كان يقال عن اشتراكه فى الثورة ، لأن ذلك لا سبيل إلى إثباته ، واقتصرت فى حديثى على وصف الحادثة والخيانة العظمى التى ارتكبها بعض جنده نحو سموه ، واقتضت عليه أن يرى المحكوم عليهم ، ويخاطبهم بكلمات اخترتها وعربت بها له ، فوجد الخديوى نفسه فى مأزق حرج ، وموقف لا يدرى كيف يخرج منه ، لأنه إذا رفض يعرض نفسه للشبهة فى أنه حرض على الثورة فى جيشه ، كما فعل جده من قبله ، وإذا قبل يتضح للنافرين أن لا أمل لهم بمساعدته ، وبذلك يفقد كثيرا من احترامه ونفوذه فى الجيش ، على أنه — كما كنت أتوقع — اختار الأمر الأخير^(١) .

أثر هذا الحادث كثيرا فى نفس حافظ وملاؤه ياسا وخالط نفسه شىء ليس بقليل من الخوف ، فلم يقل فى ذلك شعرا ، أو قاله وكتمه ، وزاد فى خوفه ويأسه ، ما صار إليه أمر الثورة ، وأمر الأمير .

وخير ما يمثل فى هذا الموقف قوله :

إذا نطقتُ فقاعُ السجنِ متكأً * وإن سكَّتْ فإنَّ النفسَ لم تطبِ

ثم التمس إحالته إلى المعاش ، فأجيب إلى طلبه ، وكان قد أخذ يبحث عن عمل يعمل به ، فعرض نفسه على جريدة الأهرام ليتولى عملا فيها ، ويظهر أن ذلك كان

(١) كتاب الورد كرومر «عباس الثانى» .

بإيعاز الخديوى، لأنه شعر بتبعته نحو هؤلاء الضباط، وأنه هو السبب فيما آلت إليه حالهم، وأنه لا يستطيع توظيفهم فى الحكومة، فأخذ يسهل لهم الأعمال الحرة، يدل على ذلك أن الذى قدم حافظا لصاحب الأهرام هو شوقى بك . وصلته بالقصر معروفة. ولكن ذلك لم يتم، ولستأ ندرى السبب فى ذلك .

فظل بلا عمل يغشى مجلس الأستاذ الإمام، وكان قد اتصل به أيام كان فى السودان، فلما عاد زاد اتصاله به، وعطف عليه الأستاذ، وأنهله من علمه وفضله، كما غشى مجالس الأدباء والعظماء، يسمع منهم، ويغنى لهم بشعره وأدبه، حتى كانت سنة ١٩١١ فساعدته المرحوم أحمد حشمت باشا ناظر المعارف وعينه رئيسا للقسم الأدبى فى دار الكتب المصرية، وظل بها إلى فبراير سنة ١٩٣٢، إذ أحيل إلى المعاش بعد أن ظل بها نحو من عشرين سنة .

كما أعانه حشمت باشا، إذ طلب له رتبة البكوية من الدرجة الثانية، فأنعم عليه بها سنة ١٩١٢ م . ثم أنعم عليه بنشان النيل من الدرجة الرابعة .

فى سنة ١٩٠٦ بعد أن عاد حافظ من السودان، تزوج من أسرة بحى عابدين ولكن لم يدم زواجه أكثر من أربعة أشهر، فافترق الزوجان، ولم يعقب منها؛ ثم لم يعد بعد ذلك إلى الزواج .

وتوفيت والدته حول سنة ١٩٠٨ فظل يعيش مدة فى بيت خاله، وبعد أن توفى خاله، كان يعيش مع زوجة خاله نيازى بك الست عائشة هانم؛ فكانت تدبر بيته، وتقوم بأمره، وكانت لم ترزق بأولاد، فكانت تثبنى بنين وظلت تقوم بشؤونه إلى أن توفيت قبل وفاة حافظ بنحو ثلاث سنين .

وفى بيت صغير بالزيتون من ضواحي القاهرة ، توفى حافظ فى الساعة الخامسة من صباح الخميس ٢١ يولييه سنة ١٩٣٢ ، أى بعد إحالته الى المعاش بنحو أربعة أشهر ونصف .

دعا فى ليلة وفاته صديقين من أصدقائه لتناول الطعام معه ، ولكنه لم يستطع مشاركتهما لما أحس من تعب . فافتصر على أن آتسهما بجديته .

وبعد انصرافهما ازداد ألمه ، فأسرع خادمه الى مخاطبة صديق له ليحضر ومعه طبيب ، فلما حضرا ، كان حافظ فى الترع الأخير ، وما لبث أن فاضت روحه ، رحمه الله .

أخلاقه — انتاب حافظا كثير من الشدائد منذ حداشته ، فقد مات والده صغيرا ، ولم يورثه ثروة . وكان بائسا فى بيت حاله ، ولم ينبجج فى الحمامة ، وأصيب فى منصبه فأحيل الى الاستيداع ، ثم الى المعاش فى مستقبل عمره ، وكانت له الى هذا نفس شاعرة ، وحس مرهف ، فأثر كل ذلك فى نفسه أثرا بليغا ، فهو ناغم على الدهر ، ناغم على قومه ، يكثر من شكوى الزمان وشكوى الناس .

ولكن أبت الطبيعة إلا أن تجد لثوران نفسه منفذا ، ولشقاؤه مسعدا ، فمنحته القدرة الفائقة على الفكاهة الحلوة ، والنادرة المستملحة ، فضحك من البؤس ، ومن الشقاء ، ومن كل شىء ؛ وكان له ذوق بارع فى اختراع النكتة من كل ما يدور حوله ، فما يسمع حديثا ، أو يعرض أمامه شىء ، حتى يدرك موضع الفكاهة منه فيصوغ ذلك صياغة تستخرج ضحك السامعين من أعماق صدورهم ، وقرارات قلوبهم ؛ فكان فى مجالسه موضع إعجابهم ، ومنبع سرورهم ، يرسل النكتة من بديهية حاضرة ، فتستخف الوقور ، وتستهوى الرزين ، فهو زينة المجلس ، وبهجة النادى .

ومن العجيب مع هذا أنك قلما ترى للنوادر والنكات في شعره مجالا، فمن قرأ شعره وحده، ولم يعرف شيئا من صفاته، لا يشعر بأنه كان فكها مزاحا، وسبب ذلك أن الأديب في كثير من الأحيان تكون له شخصيتان أو أكثر؛ فله في حياته العامة شخصية خاصة، فإذا أراد أن يصوغ شعره أو نثره، انصب في قالب خاص، وتقمص شخصية أخرى؛ ولو قد أتيح له أن يدخل كثيرا من فكاهته في شعره، لربحنا من وراء ذلك الشيء الكثير. وسبب آخر، وهو أن الناس كانوا ينظرون إلى هذه النوادر، كأنها من الأدب الشعبي الذي لا يصح أن يرتقى إلى الأدب الأرستقراطي، ولذلك قل أن يدخلوا — حتى الآن — فكاهتهم ونوادرهم في الأدب، كما احتقروا القصة، واحتقروا ألف ليلة وليلة، وقصة عنترة ونحوها، ولم يعرھا الأدباء الراقون اهتماما إلا في الأيام الأخيرة؛ فكان حافظ إذا قال شعرا في فكاهة أو مزح، عده من سقط متاعه، ولم ينظر إليه عند ما يتخير شعره للنشر أو التدوين.



ثم قد تعود في حياته ألا يقيم للال وزنا، فهو كريم، واسع العطاء، ذاق طعم البؤس، فعرف موقعه من الناس، فسخت كفه، ونديت راحته، حتى لو ملك الدنيا كلها لفرقها في يوم واحد؛ قد يعرض له الفقير البائس فيسمح له بما في يده وهو أحوج ما يكون إليه لسد رمقه وتفريج همه.

وكما كان كريما على الناس فهو كريم على نفسه، يتمتع بما تشتهى ما وجد إلى ذلك سبيلا، يأكل خيرا ما يؤكل، وقد عرف إخوانه بيلته بذلك، ويدخن خير "سيجار" وأغلاه، ويستمتع بكل ما تصبو إليه نفسه، فإذا فرغ جيبه عرف كيف يصبر؛ له يد صناع في الكسب، خرقاء في الإتفاق؛ خير أيامه وهو "موظف"

بضعة أيام في أول الشهر، ثم لا شيء، فإذا لم يكن "موظفاً" خيراً أيامه ما استفاد فيها مالا فحسب، لو كان تاجراً لأضاع رأس ماله في أول شهره ثم أعلن إفلاسه، ولو وضع ميزانية دولة لجعل الإنفاق كله في أيامها الأولى ثم لا إنفاق. ومن طريف ملاحظاته في ذلك أنه كان يقترح على الحكومة أن تعطى موظفيها أكبر مرتب أول استخدامهم، ثم تنقصه شيئاً فشيئاً كلما تقدمت به السن، لا أن تعطيه مرتباً يزيد مع القدم؛ وكان يعلل ذلك بأنه يبدأ وظيفته وهو يبدأ شبابه، وهذا هو زمن الإنفاق، فإذا هرم ثم شاخ فيكفيه القليل، وحسبه من غنى شبع وري.

ومع هذا فلم يكن سخياً بمنصبه سخاءه بماله، فهو حريص على بقائه في عمله بدار الكتب أشد الحرص، ضنين به أشد الضن، فهو لا يقول شعراً يغضب به أحداً من ذوى السلطان خشية أن يزحروه عن منصبه، أو ينالوه بأذى فيه؛ وإن قال شعراً سياسياً أخفاه ولم ينسبه إلى نفسه، فقد قال قصيدته في مظاهرة السيدات سنة ١٩١٩، ولكنها نشرت في منشور من غير اسمه، ولم تنشر في الصحف إلا سنة ١٩٢٩ حين أمن عاقبة نشرها؛ وكذلك قصيدته التي قالها حين خيف على الآستانة من احتلال الأجانب، لم تنشر إلا سنة ١٩٣٢، وهكذا؛ وما قاله من الشعر السياسى في ذلك العصر - صراحة - هادئ لين، أو في ظروف تحميه؛ بل قد قال في ذلك العهد أحياناً ما يخالف منهجه، ولا يجرى مع ما عرف من حماسه، كقوله للغفور له السلطان حسين يطلب إليه أن يوالى الانجليز ويمادهم بحال الود.

ووالِ القومَ منهم كرامٌ * ميامينُ النقيبةِ أين حلُّوا
وليس كقومهم في الغرب قومٌ * من الأخلاق قد نهَلُوا وعلُّوا

وإن شاورتهم والأمر جِدُّ * ظفِرتَ لهم برأي لا يَنزِلُ
فماددهم جبالُ الوُدِّ وأنهض * بنا قِيادنا للخير سَهْلُ



ومن ثم كانت هذه الفترة في حياته — وما أطولها — فترة نضوب في شعره،
وجمود في قريحته إلا نادراً؛ فكان منصبه نعمة عليه، ونقمة على فنه، ومنفعة له،
ومضرة على الناس — ولعل أيام يؤسه الأولى روعته وأفرغته حتى قامت شبحاً
دائماً أمام عينه تنذره بالويل والثبور، وعظائم الأمور، إن هو أصيب في منصبه
أو مسّ في مرتبه .

ولعل ذلك الخوف لازمه بعد خروجه من وظيفته بإحاطته إلى المعاش، إذ ألف
حب الأمن واعتاده، وعقد عليه، حتى لقد أنشدني قبيل وفاته قصيدته التي مطلعها:
قد مرّ عامٌ يا سعاد وعامٌ * وأبن الكانة في حماءٍ يضامُ
وكانت نحو مائتي بيت، يصف فيها وزارة إسماعيل صدق باشا فأشرت
عليه أن ينشر بعضها، أو يكتبها، أو يملئها، أو يحتفظ بها بأي شكل من الأشكال
فقال: ”إني أخاف السجن، ولست أحتمله“ .



ثم هو واسع الصدر في نقدك شعره، إذا كنت وهو على انفراد، فإذا نشرت
نقدك في صحيفة أو على ملاء من الناس، فهو غضوب أشد الغضب، ناغم أشد
النقمة: حريص على منزلته في فنه أكثر من حرصه على شخصه، حتى لأحب إليه
أن تهجوه من أن تهجو شعره .



وثقافته الرسمية — إن جاز هذا التعبير — ثقافة محدودة، فهي لا تعدو دراسته في مكتب أو مدرسة ابتدائية، ثم دراسة فنية وما تستلزمها في المدرسة الحربية . ولكنه أكل ثقافته ، ووسع معارفه من نواح متعددة، فقد أكثر من قراءة كتب الأدب، وأطال النظر خاصة في كتاب الأغاني؛ فقد حدث أنه قرأه مرات . وتحدث هو عن نفسه أنه كان يطيل النظر في دواوين الشعراء ويتخير من شعرهم ويحفظ ما يتخير من أمثال شعر بشار بن برد ، ومسلم بن الوليد ، وأبي نواس ، وأبي تمام ، والبحتري ، والشريف الرضي ، وابن هاني الأندلسي ، وابن المعتز والعباس بن الأحنف ، وأبي العلاء المعري . يدل على ذلك ما كان يحفظ من متنخل الأدب وعيون الشعر ، فإذا جلست إليه أخذ يسمعك من محفوظه ما يبهرك ، حتى لقد خيل إلى أنه لو دون ما يحفظه لفاق أبا تمام في اختياره ”ديوان الحماسة“ إذ كان حافظ يتخير بذوق العصر ، وروح العصر — وكان له حافظة قوية تسعف ذوقه، وتلي اختياره ، فما يختار جيداً من القول حتى يرسم في حافظته ، ويبقى في ذاكرته ، ثم يتجلى ذلك في شعره — لكنه — مع ذلك لم يعكف على دراسة منظمة، ولم يقرأ قراءة مستفيضة في عمق، ولم يرسم له خطة يلتزمها في الدراسة ؛ بل كان كالنحلة تنتقل من زهرة إلى زهرة ، وترتشف من هذه رشفة، ومن تلك رشفة، فهو يرضى ذوقه في أوقات فراغه بالمطالعة المتنقلة؛ فإذا عثر على أسلوب رشيق أو معنى دقيق اخترته في نفسه .

وقد عاقه عن المطالعة الراتبية المنظمة ، أنه كان ملول الطبع ، كما يدل عليه تاريخ حياته ؛ عمل في المحاماة فلم تعجبه، واشتغل في البوليس فله ، وفي الجيش

فسئمه ، ولولا أنه كان حرا طليقا — إلى حد كبير — في دار الكتب لملأها أيضا .
ثم كانت هذه الفوضى في قراءته يتبعها إهمال في حياته الأدبية ، فقلما يكتب
قصيدته وقلما يحافظ على شعره ؛ بل لا نبالغ إذا قلنا إنه قلما كان يعنى أن يكون
في بيته دواة وقلم ، أو مكتبة منظمة . كان لديه كتب تبعثر ، فيأتي زائر ويأخذ
جزءا من الأغاني ، وجزءا من غيره ، حتى إنه لما مات — رحمه الله — لم يكن في بيته
من الكتب غير جزء من تذكرة داود ؛ وجزء من تفسير الأحلام لابن سيرين . فأما
الأول فلأنه كان في سنيه الأخيرة دائم الشكوى من المرض ، كثير توهم العلل ؛
فكان كلما سمع بوصف مرض تخيل أنه مصاب به ، ولعله اقتنى تذكرة داود ليرجع
إليها فيما يتخيل من أدواء ؛ وأما ”تفسير الأحلام“ فلأنه كان يعتقد في الرؤى وأثرها
في حياة الانسان ؛ وكان يرجع إليه في التناذر على بعض الأصدقاء ، فقد حدثنا أنه كان
في ضيافة المرحوم سعد زغلول باشا ، في مسجد وصيف ، وكان حافظ وصحبه
يتنادرون على صديق من الأضياف ، كان يعتقد في الأحلام وصحتها ؛ ويتفاعل بها
في آماله في منصب كبير ، أو مطلب خطير .

وشئ آخر يعد مصدرا كبيرا من مصادر ثقافته ، وهو كثرة غشيانه لمجالس
العلماء وقادة الرأي في الأمة ، فقد اتصل بالأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده ، وعد
نفسه فتاه ، وكان يحضر بعض دروسه التي يلقيها على نخبة من الفضلاء في منزله
بعين شمس ، ويجلس في مجالسه ، وقد يصحبه في أسفاره ؛ ثم يغشى مجالس أمثال
سعد زغلول ، وقاسم أمين ، ومصطفى كامل ، ونحوهم ؛ وكانت مجالسهم مدارس
من أرقى المدارس ، تطرح فيها المسائل العلمية ، والمعضلات السياسية ، والمشكلات
الاجتماعية ، وتعرض فيها الحلول المختلفة ، وتبسط فيها أدواء الأمم ، وكيف عوبلت

وما إلى ذلك — وحسبك بمدارس كان المعلم فيها أمثال محمد عبده ، وسعد ، ومصطفى كامل ، ولعل هذا كان أكبر منبع استقى منه حافظ أفكاره التي صاغها في شعره .

ثم كان له مجلس من الأدباء في المقاهي والمتدييات أمثال : خليل مطران والبشرى ، وإمام العبد ، وكانت مجالس تجتمع فيها الفكاهة الحلوة ، والنادرة الطريفة ، ويستعرض فيها الأدب وطرائفه ، فكان كل منهم مفيدا مستفيدا عارضا سامعا .

وقد كان حافظ يلم بالفرنسية ، فمكثته من الاطلاع على شيء من آدابها ، وقد ترجم البؤساء لفيكتور هوجو ، وترجم بعض قطع بلخان چاك روسو ، واشترك مع الأستاذ خليل مطران في ترجمة "كتاب موحز الاقتصاد" وكان يقرأ بعض ما يترجم من الأدب الانجليزي ، كما ترى أثر ذلك في ترجمته لبعض قطع شكسبير ، ولكنه على كل حال ، لم ينل حظا وافرا من الأدب الغربي ، ولم يكن أثر ذلك كبيرا في شعره ، إنما شعره — على الأكثر — نتاج الأدب العربي ، والثقافة العربية ، والتجارب الشخصية .

وأخيرا — وإن شئت أولا — كان من مصدر ثقافته ، تجاربه الواسعة ، فقد أتاح له بؤسه الامتراج بفجار الناس ومجالسهم ومشاركتهم في الخير والشر ، ومطارحتهم النكات والنوادر ، كما مكن له ظرفه وأدبه أن يتصل بسادة الناس وقادتهم يسمع لحديثهم ، ويسمعون لأدبه ، وأن يتصل برجال النهضة الوطنية فيأخذ عنهم ، ويلتهب حماسة من حماسهم ، ويمتلئ وطنية من وطنيتهم .

✧ شعره — منح حافظ عاطفة قوية ، ونفسا فنية سمت به عن أقرانه من نابتة العصر ، ومن طلبة المدرسة الحربية التي كان بها ، وإلا فما الذي جعله وسط صليل

السيوف، والتدريب العسكري، وترويض الخيل، يتجه نحو الشعر يطالعه ويتذوقه، ويتخيره ويحفظه، ثم يحاول أن يقلده، وينظم على غرارهِ، وكان له أسوة حسنة في محمود سامي البارودي باشا، فقد تخرج في المدرسة الحربية، وتعلم فنونها، وترقى في رتب الجيش، وخاض معامع القتال، وكان ربّ القلم، كما كان رب السيف، وكان مؤسس النهضة الحديثة في الشعر، أعاد إليه بهجته الأولى ونضارته وقوته. فاتخذ حافط مثله الأعلى يحذو حذوه، ويختط نهجه، ويأمل أن يبلغ في الحياة مبلغه، فيكون ذا الرأسيتين، وحامل اللواءين، وقد عبر عن تقديره له للبارودي وإعجابه به في قصيدة من قصائده يمدحه بها إذ يقول فيه :

أمير القوافي إن لي مستهامة * بمدح ومن لي فيه أن أبلغ المدى
أعزني لمديحك اليراع الذي به * تخط وأقرضني القريض المسددا
ومر كل معنى فارسي بطاعتي * وكل تقور منه أن يتوددا
وهبني من أنوار علمك لمعة * على ضوءها أسرى وأقفو من اهتدى
وأربو على ذاك الفخور بقوله * إذا قلت شعرا أصبح الدهر منشدا

ومدحه في هذه القصيدة بالإجادة في الحماسة والنسيب واللعب بالسيف والتفنن في التشبيب، فكانه في مدحه البارودي يرسم لنفسه مثله، ويحدد مستقبله؛ وقد قلد البارودي أيضا في ناحيته الأدبيتين، فقد غنى البارودي بالتخير من شعر الفحول، فاختر لثلاثين شاعرا من الشعراء المولدين، ثم أنشأ شعرة، وجود نظمه، وكذلك فعل حافط، فقد تخير وشعر، وحفظ ونظم. ولكن قعد بحافط عن جمع مختاره ما عهد فيه من إهمال، ولولا نعمة الصحف والمجلات تنشره بعض ما نظم لكان مصير شعره مصير مختاره.

ولكن شاء الله لحافظ أن يقارب شأو البارودى فى دولة القلم لا فى دولة
السيف، فانهى - على عجل - تاريخ حافظ الحربى بإحاطته فى شبابه إلى المعاش،
واستمر - طول حياته - تاريخه الأدبى، فلم يتحقق إلا شطر رجاءه، ولم يدرك
من البارودى إلا إحدى دولتيه .

وكان حريا بحافظ أن يدرك أن ما ناله البارودى فى عهد الاستقلال، لا يمكن
أن يناله حافظ فى عهد الاحتلال، إذ كيف يرضى الاحتلال أن يبلغ أحد مبلغ
العظمة فى الحروب، ومبلغ العظمة فى الآداب، والاحتلال هو الذى حطم
سيف البارودى، بل وحطم قلمه القوى، وقدم له قلما آخر يشكو به الدهر،
ويبكي على زمانه الغابر؛ ولكن أنى لشباب حافظ أن يدرك هذه الحقائق المرة،
والشباب يهزأ بكل قوة .

على أنه يحيل لى أن حافظا لم يخلق رجل قتال؛ نعم كان منظره رجل حرب،
فهو مستحکم الحلقة، وثيق التركيب، مفتول الساعدين، عريض المنكبين؛ ولكن
لا أظن أن قلبه يشاكل جسمه، لقد ظل وهو فى السودان يشكو فى شعره حره،
ويشكو حرمانه من لذائذ القاهرة وترفها ونعيمها :

فمن لى أن أرى تلك المغانى * وما فيها من الحسن المقيم
وها أنا بين أنياب المنايا * وتحت براثن الخطب الجسيم
أتيتك والخطوب تزف رحلى * ولى حال أرق من السديم

وهكذا ظل فى السودان يبكى ويتوجع ويتشوق، ويستغيث بالأستاذ الإمام
المرّة بعد المرّة أن يرده إلى مصر "ردّ الشمس قطرة المزن إلى أصلها"، ورد
الوفى الأمانات إلى أهلها" . وليست هذه بالنفس الحربية؛ ثم لما ثار الضباط

في السودان وهو منهم، وطردهوا وعادوا إلى مصر، وأحيلوا إلى المعاش، لم ينطق بشكوى، ولم يثر على من ظلمه، ولم يهيج من نكبه؛ ولكنه سكت واستسلم، وأخذ يسعى إلى وظيفة في القصر، أو أن يكون شاعرا لخليفه أو أمير.

ولما عين في دار الكتب سكت وأمعن في السكوت، إلا ما كان يقوله في المواسم والحفلات، أو ما تدعو إليه المناسبات.

كل هذا يرى أنه كان مغاليا في أمله - إن كان - أن يجمع في يده بين السيف والقلم.



ولكن إن أخفق حافظ في حربه فقد نجح في شعره، بدأ ينظمه في أغراض اعتاد الناس أن ينظموا فيها، من مدح للخدوي والأغنياء، ومداعبة الإخوان، والشكوى إليهم، ونحو ذلك؛ وقل أن تجد في هذا النوع من الشعر معنى جديدا أو خيالا رائعا، وإنما هو أسلوب من سبقه ومعانيهم وأغراضهم. ومع هذا فكان يرى في نفسه أنه في هذا العهد أكبر شاعر في مصر لا يفضله إلا شوقي؛ فيقول من قصيدته التي قالها سنة ١٩٠١ :

قل للألى جعلوا للشعر جائزة * فيم الخلاف ألم يرشدكم الله
إني فتحت لها صدرا تليق به * إن لم تحلوه فالرحمن حلاه
لم أخش من أحد في الشعر يسبقني * إلا فتى ماله في السبق إلاه
ذاك الذي حكمت فينا يراعتنه * وأكرم الله والعباس مشواه

وكان في عصره من كبار الشعراء المصريين أمثال البارودي، وإسماعيل صبري، وشوقي، ومحمد عبد المطلب.

ولكن يحق له هذا القول ، لأن حظ مصر في هذا العصر من الشعر ، بل من الأدب عامة ، كان محظا ضعيفا ، فلم يحافظ له ندا غير شوقي ، لأن البارودي على إجادته وفتحته للناس باب الشعر الحى القوى بعد أن أغلق طويلا ، كان فى أنحيات أيامه ، وقد برحت به الحوادث ، ودلف إلى القبر ، إذ أدركته وفاته سنة ١٩٠٤ .

وإسماعيل صبرى باشا كان أشعر من حافظ فى ناحية خاصة ، وهى مقطوعاته الصغيرة ، يعبر بها عن معان دقيقة ، وعن شعور نفسى عميق — ولم يكن يحترف الشعر كما احترفه شوقي وحاول أن يحترفه حافظ — وكان منصبه الحكومى يسمو به عن ذلك .

لهذا جهر حافظ بأنه خير شاعر فى مصر إذا استثنى شوقي ، ولعله كان يرى فى أعماق نفسه أن "شوقي" لم يفضل به بشاعريته ، وإنما فضله بقربه الى القصر وأنه شاعر الأمير ، ولولا ذلك لما فضله ، ويشير إلى هذا المعنى من طرف خفى فى هذه القصيدة نفسها ، إذ يقول :

ذاك الذى حكمت فىنا يراعتة * وأكرم الله والعباس مشواه

*
* *

قامت بعد ذلك حركة فى مصر من بعض الأدباء المثقفين ثقافة غربية وبعض قادة الرأى ، تعيب على الشعراء هذا الشعر التقليدى فى أسلوبه وفى أغراضه ، وفى أوزانه وقوافيه ، وت نقد شوقي وحافظا من النقد ، لأنهما قديمان فى أفكارهما ، مقلدان فى أغراضهما ، محافظان فى أوزانهما .

كان من آثار هذه الحركة فى حافظ أن ثار هو أيضا على الشعر القديم ، فقال قصيدته المشهورة فى الشعر ، التى مطلعها :

ضمت بين النهى وبين الخيال * يا حكيم النفوس يا ابن المعالي
عاب فيها على شعراء الشرق شعرهم في الكاس والطاس ، والمدح والهجاء
والرثاء ، وحب سلمى وليلي ، ومكان الآثار والأطلال ، والرحال والجمال ، ثم يقول :

آن يا شعرا أن تفك قيودا * قيدتنا بها دعاة المحال
فأرفعوا هذه الكهائم عنا * ودعونا نشم ريح الشمال

فكانت ثورة صارخة على الشعر القديم . فهل جدد حافظ بعد في شعره ؟
لم يجدد في بحوره وأوزانه . ولم يجدد في أسلوبه وبيانه ، ولا تفكيره وخياله ،
إنما جدد في شيء هو فوق ذلك كله ، جدد في موضوعه وأغراضه ، فبدلا من
أن ينظم في موضوعات أمري القيس وطرفة ، أو جرير والفرزدق ، أو يشار
وأبي نواس ، نظم في موضوعات عصره وأمانى قومه .

وساعده على هذا الاتجاه تربيته الحربية ، فإن فشل في حرب السيف
فليحارب بالقلم ، وإن تكسر سنّ رمحہ فليشرع سنّ قلمه ، وإن أخطأ النجاح
في ثورة الضباط في السودان ، فليكتب له التوفيق في إثارة الأمة على الاحتلال .

ميزة حافظ الكبرى أنه تبلورت في شعره آمال أمته أولا ، وآمال الشعب
العربي ثانيا .

كانت الأمة تشكو من فوضى الأخلاق ، وتشكو من الاحتلال ، وتشكو من
تضييق الغرب على الشرق ، وكان زعماء الوطنية يلهجون حماسه ، ويشعلون غيظه ،
وكان الخطباء يحاولون إيقاظه ؛ — وكان حافظ — بما له من حس مرهف ،
وعاطفة حساسة — يجمع كل ذلك في نفسه ، فلما ثار على الشعر القديم وحطمه ،

بنى على اتقاضه شعره الجديد في الوطنيات والاجتماعيات والسياسيات ؛ وكان في شعره يقف موقف الصحافة الوطنية ، والخطباء الوطنيين ، وقادة الرأي الاجتماعيين ؛ يغشى مجالس كل هؤلاء ، ويتشرب من أرواحهم ، ويستمد من وحيهم وينغذى عواطفه من عواطفهم ، ثم يخرج ذلك كله شعرا قويا ملتبها ، يفعل في النفوس — وذلك شأن الشعرا الحى — ما لا تفعله الخطب والمقالات ؛ فكان حافظ — حقا — شاعر الوطنية ، وشاعر الشعب ، وشاعر السياسة والاجتماع ، ولم يجاره أحد في ذلك من شعراء عصره .

وقف حافظ في ذلك مواقف مختلفة ، فتارة يقرع الأمة تقريرا جارحا مؤلما على استنামتها وإخلادها إلى السكون ، واستسلامها للأجانب .

أمة قد فت في ساعدها * بغضها الأهل وحب الغربا
تعشق الألقاب في غير العلا * وتفدى بالنفوس الرتبا
وهى والاحداث تستهدفها * تعشق اللهو وتهوى الطربا
لا تبالى لعب القوم بها * أم بها صرف الليالى لعبا
ويقول :

فما أنت يا مصر دار الأديب * ولا أنت بالبلد الطيب

* *

وكم ذا بمصر من المضحكات * كما قال فيها أبو الطيب
أمور تُمتر وعيش يُمتر * ونحن من اللهو في ملعب
وشعب يفتر من الصالحات * فرار السليم من الأجر

ويقول :

وإذا سئلت عن الكانة قل لهم * هى أمة تلهو وشعب يلعب
ونحو ذلك كثير في ديوانه .

وتبدأ الأمة بحركة ، وتقف موقفا مشرفا يوما ؛ فيحيي أمله ، ويبشر بعد
أن كان ينذر ، ويعاوده الأمل بعد اليأس ؛ والرجاء بعد الخيبة ، فيقول مخاطبا
سعدا :

فاوض خلفك أمة قد أقسمت * ألا تنام وفي البلاد دخیل
عزل ولكن في البلاد ضراغم * لا الجيش يفرعها ولا الأسطول
ويقول :

النسر يطمع أن يصيد بأرضنا * سنريه كيف يصيده زغلول
ويقول :

أقنأ بعد نوم فوق نوم * على نوم كأصحاب الرقيم
إلى كثير من أمثال ذلك .

وهكذا يضطرب في شعره بين التفاؤل والتشاؤم ، اضطراب الأمة بين اليقظة
والنوم ، والعمل والتواكل ، والإصابة والخطأ ، فهو صدى لها في حركاتها ، وهو
المدرس الحكيم الذي يأخذ موضوع درسه من حوادث يومه .

نعم إنه بعد هذه الثورة على الشعر القديم ، نظم في موضوعاته ، ولكنه حتى
في هذه لا ينسى مقامه ، ولا يجهل رسالته ولا يفوته غرضه ، فهو يتنزه فرصة تحية
العام الجديد ، وتحية الملك ، وثناء الفقيد ، وتهنأ العيد ، ليبث في ذلك كله عاطفته
الوطنية ، ونظراته الأخلاقية ، وليبشر وينذر ، ويرغب ويهيب ؛ فهو مجتهد من
هذه الناحية في موضوعاته الجديدة وموضوعاته القديمة ، حتى في وصفه لا يريد
أن ينخله من غرضه الذي ملك عليه قلبه ، ولا يحاول أن يجعله أدبا صرفا ، فهو
يشبه طول الليل بعهد الاحتلال ، إلى كثير من أمثال ذلك .

ويتغزل في هذا الطور من الحياة ، ولكن لا في جارية ولا في غلام ، ويتغنى
ولكن لا في كاس أو مدام ، إنما يتغزل في مصر ، ويتغنى بمصر ، ويأرق
في حب مصر :

وما أنا والغرام وشاب رأسي * وغال شبابي الخطب الجسام
لعمرك ما أرقى لغير مصر * ومالي دونها أمل يرام
ذكرت جلالها أيام كانت * تصول بها الفراعنة العظام
وأيام الرجال بها رجال * وأيام الزمان لها غلام
فأقلق مضجعي ما بات فيها * وباتت مصر فيه فهل ألام

لم يشأ حافظ أن يكون شعره في وطنياته طبلا أجوف ، يقول القول عاما
لا يستند إلى مادة من حقائق ، وإنما اتخذ ما يحدث من أحداث اجتماعية في عصره
أساسا لدعوته ، وسنادا لهجمته .

فقد كان يتربص كل حادث هام يعرض فيخلق منه موضوعا لشعره ، ويملؤه
بما يحيش في صدره .

تقوم حركة الجامعة ، ويستخدم الجدال بين أنصار الكتائب وأنصار الجامعة ،
فيناصر الحركة الوطنية ، ويدعو إلى التبرع للجامعة ، ويبين مزاياها ، ويكتب هو
بالشعر — كما يقول — ليكتب قومه بالمسال .

وتحدث حادثة المؤيد ، وينقسم فيها الرأي العام في مصر قسمين : قسم يطالب
بحرية المرأة في الزواج ، وقسم يطالب بالمحافظة على التقاليد ، فيتخذ ذلك وسيلة إلى
تقريع المصريين باهتمامهم بصغائر الأمور ، وتركهم جسامها ، وتخزيهم فئات : منهم
من يلوذ بالأمير ، ومن يلوذ بالعميد ، ومن يصبح مع الصائحين ، ثم يلذعهم لذعا

أليما في حبهم للجمالة ، وتركهم الصراحة ، وإلا فما لهم يقرعون صاحب المؤيد
على فعلته ، والوفود تتوافد على بيته .

وتحدث حادثة دنشواى فيشن الغارة على الانجليز في تصرفهم ، وعلى بعض
المصريين في معاوتهم ، وعلى المصريين جميعا في استكانتهم ، ويلهب الشعور ،
ويشعل الحماسة ، ويستثير الدمع .

ويتحدث الناس في اللغة العربية ، وهل هي أداة صالحة للعلوم الحديثة ،
والأدب الحديث ، فيبين محاسنها ، ويظهر مزاياها ، ويدعو إلى إنهاضها ، وينعى على
من لم يأخذ بيدها ، وهكذا شعره في رعاية الأطفال ، والجمعية الخيرية الإسلامية ،
ومساعدة العميان ، وما إليها .

كان في شعره سجل الأحداث ، إنما يسجلها بدماء قلبه ، وأجزاء روحه
ويصوغ منها أدبا قيما يستحث النفوس ، ويدفع إلى النهضة ، سواء أضحك في شعره
أم بكى ، وأمل أم يئس .

ويتسع أفقه في كثير من الأحيان ، فينظر إلى الوحدة العربية ، والوحدة
الإسلامية ، فكم قال في علاقة الشاميين والمصريين ، وفي الدعوة إلى الإخاء
والقضاء على من يبذر بذور البغضاء ، وكم قال في علاقة مصر بالآستانة ، وتمنى
نهضة الخلافة ، ورفع لوائها ، وعودة مكاتها ، وكم شعر في وحدة الشرق وتعاونه
وتبادل المنافع بين أجزائه ، فكان شعره مقربا للقلوب ، داعيا إلى ائتلاف الشعوب ،
ينتهز لذلك كل فرصة ، كافتتاح السكة الحديدية الجبازية ، وأعياد الدستور للأمة
التركية ، وحفلات التكريم التي يشترك فيها أدياء الشرق ، ونحو ذلك ، بل أحيانا يزيد
اتساع أفقه ، فينظر إلى الإنسانية كلها ، كالذى يقوله في زلزال مسينا :

فسلام عليك يوم توليت بما فيك من مغان حسان
وسلام على امرئ جاد بالدم * مع وثني بالأصفر الرنان
ذاك حق الإنسان عند بني الإنسان لم أدعكم إلى إحسان
ومما يتصل بناحية حافظ الاجتماعية أشد اتصال، شعره في الرثاء، فقد أكثر
منه، كما في ديوانه، وقد قال في ذلك عن نفسه :

إذا تصفحت ديواني لتقرأني * وجدت شعر المراثي نصف ديواني
وقد أجاد فيه كل الإجادة، وأحسن كل الإحسان، وسبب ذلك، أنه
استطاع في كثير من الأحيان أن ينقل الرثاء من مسألة فردية إلى مسألة اجتماعية،
فموت الأستاذ الشيخ محمد عبده نكبة على مصر، وعلى العالم الإسلامي، وموت
مصطفى كامل كارثة على مصر وعلى الوطنية الحقة، فهو يتسلل في حذق ومهارة بعد
تصوير الفقييد صورة كاملة، إلى المسائل العامة الاجتماعية، وبذلك يجلس حافظ
على عرشه، ويقول في سهولة وبساطة ما برع فيه وفاق أقرانه .

وشيء آخر، وهو أن الموت كان عند حافظ وسيلة من وسائل شكوى الزمان
والحق عليه، والغيظ منه. فالزمان قد فعل بحافظ الأفاعيل، فرماه بالبؤس والفقر،
ورمى أمته بالتفرق والتواكل، وبالاحتلال، ورمى العالم الإسلامي بالغرب يمتص
دمه، ويسومه سوء العذاب، فما هو إلا أن يموت ميت من أصدقائه حتى يعبر
بحرجه وينفجر ألمه .

وثالث، هو أنه رحمه الله كان شديد الحزن من الموت، دعاء ذلك إلى أن ينسى
نفسه، ويتألم كثيرا لشيخوخته، وبتوهم المرض في كل عضو من أعضائه، فإذا مات
قرين له أو صديق أو نديم راعه ذلك . لأن موته إنذار بموت حافظ، وما أشد وقع
ذلك على نفسه .

فكان يصوغ من نبوغه في الناحية الاجتماعية، ومن بغضه للدهر وحنقه عليه،
ومن إشفاقه على نفسه، رثاء يقطع الأحشاء، ويذيب لفائف القلب؛ ولولا هذه
مجتمعة ما بلغ في الرثاء ما بلغ.



قد يؤخذ عليه أنه لم يكن يتعمق في دراسة المسائل الاجتماعية، ولم يكن يكون
فيها رأيا بعد بحثها وتمحيصها، ودرس حججها، كموقفه في مسألة الزوجية، لقد
هرب من إبداء رأيه فيها، ولم يتحيز إلى أحد الفريقين، وترك المتنازعين يتنازعون
في حرية المرأة وتقييدها، وحلق في المسائل العامة التي أشرت إليها قبل؛ وموقفه
إزاء دعوة قاسم أمين، فقد حكى عنه بعض أصدقائه رواية عنه، أنه لم يقرأ كتاب
تحرير المرأة، وإن كان قال فيه شعرا، ولم يقطع بإصابة قاسم أو خطئه، ويظل على
هذا حتى في رثائه، فيقول :

إن رأيت رأيا في انجباب ولم * تعصم فتلك مراتب الرسل
الحكم لا يام مرجعه * فإيا رأيت فتم ولا تسئل
فإذا أصبت فأنت خير فتى * وضع الدواء مواضع العلل؟
أولا فحسبك ما شرفت به * وتركت في دنياك من عمل؟

فتراه مضطربا لا يستطيع الجزم برأى؛ أو هو لا يريد . وتراه في بعض
المواقف السياسية يكتفى بسرد آراء الفريقين وحججهم، كما في قصيدته في وداع
الورد كرومر، فقد حكى فيها آراء المادحين وآراء الناقدين، ثم قال :

نهذا حديث الناس والناس أنسن * إذا قال هذا حاج ذاك مفندا
ولو كنت من أهل السياسة بينهم .. لسجنت لى رأيا وبلغت مقصدا
ولكننى في معرض القول شاعر * أضأف إلى اتسار يخ قولاً مخلدا

وهرب بذلك من إبداء رأى ، وترجيح قول على قول .

ولكن قد يخفف من هذا النقص أن هناك فرقا كبيرا ، بين الأديب والعالم ، فالعالم يلاحظ الأشياء ليستكشف ظواهرها وقوانينها ، وعلاقتها بالأشياء الأخرى ، وعلاقتها بالظروف التى تحيط بها ، على حين أن الأديب يلاحظ الأشياء من حيث علاقتها بعواطف الانسان وطبيعته الأخلاقية ؛ فالعالم بالنبات مثلا يدرسه ليكشف كل الطبائع الخاصة ، وأوجه الشبه بينه وبين أمثاله من النباتات الأخرى ، ووظيفة كل جزء منه ، والتغيرات التى تطرأ عليه كلما نما ، حتى يصل به إلى الموت والفناء . أما الأديب فلا يهتم كل ذلك ، إنما النبات فى نظره قد خلق لجماله ، وليس شجرة الورد فى نظره إلا زهرته الجميلة وأريجها العطر .

فهذه الناحية الخاصة التى يعنى بها الأديب تغتفر لحافظ قلة عمقه فى البحث وإمعانه فى الدرس ، وتخفف حدة نقدنا فى أنه كان ينظر إلى الأشياء نظرة عامة من ناحية اتصالها بعواطف الجمهور .

ومما يتصل بهذا أن حافظا كان يؤثر فى الجمهور بإلقائه بالقدر الذى يؤثر فيهم بنفس شعره ، لقد كان فى نبرات صوته وحسن إجادته فى الإلقاء يلعب بعواطف السامعين كما يلعب بها بالفاظه ومعانيه ، ومن أجل هذا ، يحسن ألا يقوم شعر حافظ ومقدار أثره فى الجمهور بمقدار ما يقيسه قارئ لديوانه ، فهو بقراءته يفقد جزءا كبيرا من تأثيره السحرى الذى كان يتركه فى سامعه . ومن أجل هذا كان يطيل الوقت فى تخير اللفظ الذى يحسن وقوعه فى السمع ، كما يتخير الانسجام فيتغنى بالبيت قبل أن يدخله فى عداد شعره ، وينصت إلى جرسه ووقعه على سمعه قبل أن يبدأ بإيقاعه على أسماع الناس .

وعلى الجملة، كان حافظ يرصد الحوادث الاجتماعية والسياسية كما يرصدها رجال مصر على اختلاف مناحيهم؛ فيصوغها الصحفيون الوطنيون مقالات حارة قوية؛ ويصوغها القادة وأولو الرأي أفكارا ينادون بها في مجلس الشورى، أو الجمعية العمومية، أو أحاديث وحكا وأمثالا في مجالسهم الخاصة؛ ويصوغها حافظ شعرا قويا يغذى نفوس الشباب، ويلهب شعور من سمعه.

كان طلبة المدارس الثانوية والعالية ينحازون إلى معسكرين: قسم يتعصب لحافظ ويفضله على شوقي، وقسم يتعصب لشوقي ويفضله على حافظ؛ وكنا نلاحظ أن من فضل حافظا كان يفضله لأن شعره غذاء قلبه، وغذاء وطنيته، ومن فضل شوقي فضله لفنه وخياله. فشيبة الوطنية إمامهم حافظ، وشيبة الفن إمامهم شوقي.



ظل حافظ يغنى بشعره التقليدى — أولا — والحديد — ثانيا — نحو خمسة عشر عاما تنتهى سنة ١٩١١، لما عرضت عليه «وظيفة» دار الكتب. وطبعى أن «الوظيفة» الحكومية لم تكن تتفق وشعر حافظ السياسى والاجتماعى فهو يدعو المصريين إلى الثورة، والانجليز إلى الجلاء، وحرام على الموظف وقتذاك أن يتكلم فى السياسة، وأن يتصل بالجرائد، فكيف يسمح بالشعر السياسى عامة، ولشعر حافظ خاصة.

كان حافظ يفهم كل هذا حق الفهم، فلما قبل الوظيفة كان معنى قبولها سكوته فى هذا الباب، وقد بر بوعده، ووفى بشرطه غالبا، فلم يقل من الشعر إلا قليلا، وفى مناسبات ملحة، وبحفظ تام وحذر شديد، أو أن تجميه الظروف.

غيره كثيرون بذلك وبقبوله الوظيفة، ولكن لماذا نعيه وحده بالوظيفة ولا نعي من الجاه، لماذا نطلب منه التضحية بقوة، ونؤنبه على سكوته، ولا نؤنب

الأمة وفنداك تعجب به، ثم يتأخر هذا الإعجاب، ولا يتحول إلى قليل من مال يتبلغ به — الحق أن الأمة في تاريخها الماضي أبدت جمودا عجيبا وشحا أليما في حافظ وأمثاله؛ تصفق لهم طويلا، وتركهم يألون من الحاجة إلى ضروريات الحياة، وتعيهم إذا ركنوا إلى الوظيفة، ولا تشجعهم بقليل مما في أيديها، وتعم وتغرق في الترف، وتدعو المغنى أن يغنى لها، ثم تضن عليه بأجره، فإذا طالبها به غضبت منه .

إذا — فليس من العدل أن نسرف في نقده على صمته، ونعيبه بكسر عوده وقشارته، فلم يفعل غير ما فعله من قبله :

غزلت لهم غزلا رقيقا فلم أجده * لغزلى نساجا فكسرت مغزلى

إنما يصح أن يوجه إليه نقد من نوع آخر، وهو أن حافظا لم يكن يستطيع — حقا — وقد قبل المنصب في دار الكتب أن يقول الشعر فيما كان يقول فيه قبل من اجتماعيات وسياسيات، ولكن لماذا سكنت عن فنون الشعر الأخرى، والمجال أمامه فسبح؟ فليس كل شعر سياسة واجتماعا، فهناك شعر الطبيعة، وهناك شعر القصص، وهناك شعر الوصف، وغيره من أنواع الشعر، ولم تكن وظيفته تمنعه من أن يقول في كل ذلك، أو في شيء من ذلك، وفي شوق المثل لهذا، فقد كان مقيدا في القصر بأشد من قيود دار الكتب، ومع هذا ظل يقول في فنون مختلفة من الشعر لا تتنافى وتقاليده القصر .

ولكن ما ذنب حافظ، ونبوغه إنما كان في ثورته، وإجاداته في فورته، وطبيعته وتعليمه ودرسته تدعو إلى النبوغ في سياسياته واجتماعياته، لا في غزله ونهرياته، وما يعيب الموسيقى أن يكون ملك العود، وليس ملك القانون، أو ملك الكمان، وليس ملك الناي، فملك في أحدها خير عندي من سوقه في جميعها .



وبعد، فما منزلة شعر حافظ في الشعر، وما قيمته الأدبية ؟

الشعر الجيد — في نظري — فيضان من شعور قوى، سما به الخيال، وحلّاه اللفظ، ووقع على نغمات الأوزان . فهو لا بد أن تتجمع فيه — ككل نوع من الأدب — عاطفة وخيال، وصياغة وجمال؛ ويمتاز الشعر بأن له لغة خاصة غير لغة النثر، وللشاعر ملكة لا يمكن توضيحها تمام الوضوح، يستطيع بها أن يتخير من ألفاظ اللغة ما يرى أنها أبعت على إثارة المشاعر، وأفعّل في نفس السامع؛ ثم هو يضعها بعد في أساليب خاصة يتخيرها من بين التراكيب اللغوية، والأساليب الأدبية، يرى أنها تؤدي غرضه، وتخدم مآربه؛ كما يمتاز بما له من موسيقى عبر عنها بالبحور والأوزان، ولهذه الأوزان فعل في النفوس كفعل «رنات المثلث والمثنى»، وللشاعر قدرة على أن يختار منها ما يناسب موضوعه، من رقة ولين في شعر الغزل، وقوة وجلبة في شعر الحماسة . والقصيدة على قافية قد يكون لها من الأثر في النفس ما ليس لقافية أخرى، وهكذا . وأخيرا حاجة الشاعر إلى الخيال الحصب أقوى من حاجة النثر! فلا بد له من اختراع صور، وتأليف مناظر، ومقارنة صورة بصورة، ومنظر بمنظر، حتى يثير المشاعر، ويحرك العواطف، ويفعل في النفوس فعل السحر .

وقد سلم لشاعرنا من هذه الأمور ثلاثة، قوة العاطفة، وحسن الصياغة، وجمال الموسيقى . وأعوزه أمر منها وهو قوة الخيال .

فأما عاطفته فقوية فياضة، وأكبر مظهر لقوتها إثارة نفس السامع والقارئ؛ فبا يسمع شعره سامع ولا يقرؤه قارئ إلا توثبت نفسه، وحاجت مشاعره؛ وعواطفه صحيحة لا مريضة، والعاطفة الصحيحة هي التي تدعولأن تكون حياتنا

أسعد وأقوى ؛ حافظ يريد منا أن نتبوا مقعدنا بين الأمم ، وأن يرفع عنا نير الاحتلال ، وأن يعادل الشرق الغرب ، وأن تكون حياتنا الاجتماعية خيرا مما هي ، فلا تواكل ولا استنامة ولا خنوع . ويريد أن تكون لغتنا حية قوية ؛ وأن نجده في الحياة حتى تنعم بطبيعتها ، ونحو ذلك من وجوه الإصلاح ، فهو يمتلئ شعورا بذلك ، ثم يصوغه شعرا يسير فينا سير العافية ؛ وأجمل ما في هذه العاطفة أنها ليست من ذلك النوع المألوف الذي اعتدناه في كثير من الأدب العربي من إفراط في المديح ؛ فان العاطفة التي يبعثها ضعيفة من ناحية ميلها إلى أمور شخصية ؛ والأدب الذي ينبعث من عاطفة عامة ويبعث عليها ، خير من الذي ينبعث عن عاطفة شخصية ويبعث عليها . كما أن عاطفته ليست من هذا النوع الذي يذوب رقة في غزل ، أو هياما في حب ؛ فان هذا النوع قد كثر حتى ملّ ، وهو في كثير من الأحيان أجوف ؛ وهو في كثير من الأحيان نتاج عاطفة مريضة ، فليس من الخير أن يبيع الإنسان عواطفه بهذه السهولة وهذا الرخص .

فمزية عاطفة (حافظ) في شعره عمومها وقوتها ، وإن شئت فقل : وجدها ؛ فلم نعرف شاعرا عربيا قبله ، ولا معاصرا له أفاض في العاطفة الوطنية والاجتماعية إفاضة .

قد يؤخذ عليه أن عاطفته ينقصها التنوع — كما أشرنا إلى ذلك قبل — فلا تجد كثيرا من شعره في جمال الطبيعة ، بل لا تجد شعره فيها حيا قويا ، كما ترى في قصيدته في الشمس .

وسبب ذلك — على ما يظهر — أن طبيعة حافظ كانت مخالفة تمام المخالفة لمظهره الخارجي . كان مظهره الخارجي ضحوكا مرحا ، لا يراه الرائي حتى يضحك

من ضحكته ، ولا يكون في مجلس حتى يملأه سرورا وضحكا، ولكنه في أعماق نفسه حزين ، كالشمعة تضيء وهي تحترق ، أو كالمثل يجيد تمثيل دور الضاحك وهو في نفسه يذوب حسرات .

وهذا ما يعلل أيضا ضعف الفكاهة في شعره، وقوتها في مجلسه؛ وهذا ما يعلل أن نصف شعره رثاء كما يقول هو .

هذا الطبع الحزين يبعث عواطف حزينة، ويحمل على الإجابة فيها، فتوافق طبعه وشكوى الزمان والرثاء والبكاء على الأمة وعلى الشرق، ونحو ذلك .

ومن أجل هذا أيضا أجاد حافظ في أحد وجهي الوطنية، أكثر مما أجاد في وجهها الآخر، ذلك أن الشعر في الوطنيات والسياسيات والاجتماعيات يدور على التفاؤل والتشاؤم، والتأمل وعدمه، والترغيب والترهيب، والمدح للتشجيع، والذم للتقريع، فأجاد حافظ في التشاؤم وفي الترهيب وفي التقريع أكثر مما أجاد في التفاؤل والترغيب والتشجيع . لأن الضرب الأول أنسب لحزنه، وأقرب إلى نفسه؛ والثاني يحتاج إلى مقدار كبير من الأمل، والأمل يحتاج إلى سرور، وهو قليل في نفسه . نغير شعر حافظ ما اتصل بعاطفته الحزينة؛ فاما فرح بالطبيعة، وفرح بنفسه ونحو ذلك مما ينبعث من عاطفة السرور، فلم يكن له كبير مجال في شعره .

هذه العاطفة القوية التي شرحنا، بحثت لها عن الثوب الذي تلبسه حتى عثرت عليه، فكانت صيغتها قوية، وموسيقاها قوية . يفتش عن اللفظ حتى يجد أنسبه لنفسه، وأنسبه لمعناه، ويعرض للترادفات، يقلبها حتى يختار خيرها، وينثر كلماته ليتخير أشدها عودا، وأصلها مكسرا؛ ويعمد إلى الأساليب يتصفحها ليوائم بين المعنى واللفظ والأسلوب . وكان «حافظ» يسمى هذه «العملية» كلها «التذوق» ،

يمدح بعض الشعراء بأنه «ذواق» يريد بذلك أن له ذوقا مرحفا في اختيار اللفظ واختيار الأسلوب، وقد بالغ في ذلك حتى كان جهده في اختيار الألفاظ والأساليب يفوق جهده في ابتكار المعاني، فهو يذهب مذهب من يرى أن المعاني مطروحة في الطريق، وإنما الإجابة في الصياغة. وهو يستعين على ذلك بالموسيقى، موسيقى اللفظ، وموسيقى الأسلوب، وموسيقى الأوزان والقوافي.

قد كان يصنع البيت فيردده على أذنه بإنشاده اللطيف حتى يتبين موقعه من أذنه قبل أن يوقعه على آذان الناس، ويتذوق موسيقاه بنفسه قبل أن يتذوقها الناس، فكان يراعى موسيقى الطول والقصر، وموسيقى الفخامة والرقّة، وموسيقى اللين والشدة، ويوائم بين ذلك وموضوعه، وبين ذلك ومعانيه وأغراضه، فيوفق في ذلك توفيقا كبيرا.

أما خياله، فكان مع الأسف — خيالا قريبا — قلل حظه من الابتكار، وقلل حظه من التصوير، قصر خياله عن أن يفوص في باطن الشيء فيصل إلى مكان الحياة منه، ثم يخرج به إلى الناس كما يشعربه؛ وقصر عن أن يخلق في السماء فيصور منظرا عاما يجذب النفوس إليه.

لقد حاول أن يخلق بخياله قصة، ولكنها خرجت قصة عرجاء، تتخلج على الأرض، ولا تسبح في السماء، قرية المنال، مضحكة التصوير — إن شئت فاقرا. قصته في مدح البارودي التي مطلعها * تعمدت قتلى في الهوى وتعمدنا * إذ يصف ذهابه إلى حبيبته خفية، فيقلد عمر بن أبي ربيعة في رائيته المشهورة، ثم لا يحسن التقليد، ولا يأتي خياله بجديد، أو فاقرا قصته الشعرية التي وضعها في ضرب الأسطول الطلياني لمدينة بيروت، والتي مطلعها :

ليلاى ما أنا حى * يربى ولا أنا ميت

ترخيالا ساذجا وتصويرا مهلهلا .

ولكن من ذا الذى حاز الكمال أجمع ، ومن ذا الذى بلغ شأو الفن فى جميع
عناصره ، حسب الشاعر النابغة أن تكتمل فيه صفات ، ثم يستطيع أن يعرض
ما نقص بالبراعة التامة فيما أتقن ؛ لئن نقص حافظ فى الخيال فقد غطى عيبه شيوع
الجمال فى مائرتواحيه ، وكفاه ذلك موهبة .



وقد رأى حضرة صاحب المعالى على زكى العرابى باشا وزير المعارف العمومية
حبا منه فى الأدب ، وتقديرا لحق الوطن ، أن يجمع شعر حافظ ، وتقوم على طبعه
وزارة المعارف .

وكان من حظى أن ندبني معاليه للقيام بهذا العمل ، فتفضل وطلب إلى جمع شعره
وضبطه وشرحه ، وتبويبه وتقديمه ، فاغتبطت للمساهمة فى هذا العمل الجليل ، لأن
حافظا شاعرا كبيرا ، ومن واجبه الأدبى أن نخلد شعره ، ونحفظ ذكره ؛ وهو شاعر
الوطنية فى عصرنا ، غذى شعره الشعور الوطنى ، وألهبه غيرة وحماسة ، وكان داعيا
للنهضة والمطالبة بالحركة حتى ننال استقلالنا .

فكان واجبا — وقد بدأنا — نجنى ثمار جهادنا ، أن نؤرخ قادة حركتنا ؛
وأول واجب نفعله فى تاريخ شاعر أن نجعل شعره ، ونعنى بنشره ، ونأخذ فى درسه .
ومن حسن الطالع أن يكون صدور ديوانه ، معاصرا لنجاح دعوته ودعوة
زملائه من القادة والزعماء والخطباء والأدباء الذين تعهدوا الحركة الوطنية ، وسهروا
عليها ، وضحوا فى سبيلها ، ولم يدركهم فى ذلك سأم ولا ملل ، ولم يفت فى ساعدتهم

تعذيب ولا اضطهاد، حتى تمت المعاهدة، وبدأنا ننعم بالاستقلال، نحمل عبئنا على ظهورنا، ونبذل جهدنا لنيل سعادتنا بأيدينا .

فإخراج ديوان حافظ أمانة في عنقنا تؤديها، وواجب نهض به .



وكان من حظي أيضا أن شاركني في هذا العمل الأستاذان : (أحمد الزين)، (وإبراهيم الإبياري) ؛ فقد لقيا من العناية في الضبط والشرح والتصحيح والترتيب ما أترك تقديره للقارئ الكريم . وكان لهما من العمل وبذل الجهد في ذلك فوق مالى . وإليهما يرجع أكثر الفضل في إخراج الديوان على هذا الوضع .

كان حافظ رحمه الله غير منظم في عمله ، ولا حريص على تدوين شعره ، فيكتبه في ورقة حيثما اتفق ، ويلقيها أيضا حيثما اتفق ، فضاع كثير منه ، ولولا فضل الصحف والمجلات في نشره والاحتفاظ به ، لما بقى من شعره إلا القليل .

وقد جمع في حياته بعضا منه ، معتمدا على ما نشر في الصحف والمجلات ، وعلى ما كان منه عند الأصدقاء ، ولكن وقف في ذلك عند أجزاء ثلاثة صغارا؛ نشر الجزء الأول منها سنة ١٣١٩ هـ مع تعليقات قيمة بقلم محمد إبراهيم هلال بك ، وقد استفدنا منها ؛ ونشر الثاني سنة ١٣٢٥ هـ ١٩٠٧ م ، والثالث سنة ١٣٢٩ هـ ١٩١١ م ؛ فأما شعره بعد ذلك فلم يجمع في حياته .

فلما توفي حافظ جمع الأديب الدمشقي السيد أحمد عبيد طائفة من شعره لم تنشر في ديوانه ، ونشرها بدمشق سنة ١٣٥١ ، وكذلك فعل في شوقي وجمع ما نشر في رثائهما ، وبعض ما كتب عنهما ، وسمى كتابه ” ذكرى الشعراء ” .

ثم نشرت مكتبة الهلال في مصر سنة ١٣٥٣ ديوانه مجموعا فيه ما نشر من قبل في الأجزاء الثلاثة ، وما نشره السيد أحمد عبيد ” في ذكرى الشعراء ” .

ولكن ما ورد في ذلك كله ليس وافيا ولا مستقصيا، فاضطررنا إلى أن نرجع إلى المجلات والصحف نتصفحها عددا عددا، من يوم أن نشر له شعر، إلى يوم وفاته؛ ورجونا على صفحات الجرائد من القراء أن يبعثوا إلينا ما كان عندهم من شعره، فتمت لنا بذلك مجموعة هي أقصى ما وصل إليه جهدنا .

ثم رتبناها حسب الموضوعات، فذكرنا كل ما قاله في المديح، ثم ما قاله في الهجاء... الخ . وفي كل باب رتبنا ما جاء فيه حسب تاريخ قوله أو نشره، ثم أتبعنا ذلك بما قاله ولم تقف على تاريخه بالضبط، حتى ولو كانت القرائن تدل على زمنه، ورأينا هذا الوضع أقرب إلى الإفادة، وأدل على مناحي الشاعر . ووضعنا فهرسا مرتبة فيها القصائد حسب حروف الهجاء في آخر الديوان، ليسهل الرجوع إلى القصيدة لمن حفظ قافيتها .

وقد ضبطناه ضبطا كاملا لتسهيل قراءته على الناشئ، وشرحناه نوعين من الشرح : شرحا يذكر ظروف القصيدة وملايساتها وتاريخ نشرها أو قولها، حتى يتمكن القارئ من معرفة إشاراتها وجوهرها؛ إذ في ذلك أكبر إغاثة على فهمها وتقديرها؛ وشرحا لغويا لمفرداتها وأساليبها؛ وبيان المراد من عباراتها، وذكر الحوادث التاريخية التي أشار إليها في أبياتها، وقد نكون بالغنا بعض الشيء في كثرة الشرح والضبط، وعذرنا أننا راعينا نايبة الأدب، وناشئة الشعر، أكثر مما راعينا الخاصة والمنتبهين؛ وقد رنا أن الديوان ستناوله أيدي الطلبة في المدارس الثانوية ومن في مستواهم، فقصدناهم بالشرح، ونظرنا إليهم في البسط. ونرجو أن نكون قد وفقنا في تحقيق ما ندبنا له، وأدبنا شيئا من واجب الأمة والوزير والشاعر، والله الموفق ما

أحمد أمين

١٧ فبراير سنة ١٩٣٧

ديوان حافظ ابراهيم

المحتويات

صفحة	
٣	المدائح والتهاني
١٥٩	الأهاجى
١٦٢	الإخوانيات
٢٠٥	الوصف
٢٣٩	الخمريات
٢٤٦	الغزل
٢٥٠	الاجتماعيات
٣١٩	السياسيات
٤٢٦	الشكوى
٤٤٥	المراثى
٥٦٣	قصائد لم تنشر فى الطبعة الأولى

(١)
فَرِحَتْ أَرْضُ الْجِجَارِ بِكُمْ * فَرَحَهَا بِالْهَاطِلِ الْهَتَنِ
(٢)
وَسَرَتْ بِشَرَى الْقُدُومِ لَهُمْ * بِكَ مِنْ مِصِيرٍ إِلَى عَدَنِ

(٣)
تهنئة الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده بمنصب الإفتاء
(١٣١٧ هـ - ١٨٩٩ م)

(٤)
بَلَّغْتُكَ لَمْ أَنْسُبْ وَلَمْ أَتَزَلْ * وَلَمَّا أَقْفَيْنَ الْهَوَى وَالتَّذَلُّ
(٥)
وَلَمَّا أَصْفَ كَأْسًا وَلَمْ أَيْكْ مَتَرَلًا * وَلَمْ أَتَحَلَّ نَفَرًا وَلَمْ أَتَبَلَّ
(٦)
فَلَمْ يَبْقَ فِي قَلْبِي مَدِيحُكَ مَوْضِعًا * تَجُولُ بِهِ ذِكْرِي حَيْبٍ وَمَتَرَلٍ
(٧)
رَأَيْتُكَ وَالْأَبْصَارُ حَوْلَكَ خُشَعٌ * فَقُلْتُ (أَبُو حَفِصٍ) يَبْرُدِيكَ أُم (عَلِي)
(٨)
وَحَفَّضْتُ مِنْ حُزْنِي عَلَى مَجْدِ أُمَّةٍ * تَدَارَكْتُهَا وَأَلْخَطُبُ لِلْخَطْبِ يَعْتَلِي

(١) سكن الشاعر « الفرح » لضرورة الوزن . والهاطل : المطر المتتابع العظيم القطر . والهنن : المنصب .
(٢) عدن : مدينة معروفة باليمن على ساحل بحر الهند . ويلاحظ أن آخر هذه القصيدة مفقود ؛ ولم يتسر لنا العثور عليه ، فأثبتناها على اقتضاها . (٣) الشيخ محمد عبده ، هو ابن عبده بن حسن خير الله ؛ ولد في محلة نصر من إقليم البحيرة بمصر سنة ١٢٦٦ هـ . وتعلم العلم في الجامعين الأحدي والأزهر ، وتولى عدة مناصب علمية وقضائية ودينية ، وآخر منصب تولاه منصب الإفتاء ، وظل فيه إلى أن توفي بالاسكندرية في سنة ١٣٢٣ هـ - سنة ١٩٠٥ م ، ودفن في القاهرة . (٤) بلغتك ، أي وصلت إلى مدحك . ولم أنسب : لم أشبب بالنساء . يريد أنه ابتداء القصيدة بمدحه ولم يسلك طريق الشعراء في تقديم النزل والفخر وما إليهما على المدح في أوائل القصائد . (٥) اتحل الشيء : ادعاه لنفسه وهو لغيره . وتبل الرجل : تكلف النيل وتشبه بالنبل . (٦) يشير إلى بيت امرئ القيس :
فما نيك من ذكرى حبيب ومزمل * الخ

(٧) أبو حفص : كنية أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، وهي في الأصل كنية الأسد . وعلى : هو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب . (٨) يريد بقوله « والخطب للخطب يعنلي » : تراكم الخطوب بعضها فوق بعض .

(١) طَلَعَتْ بِهَا بِالْيَمِينِ مِنْ خَيْرِ مَطْلَعٍ * وَكُنْتَ لَهَا فِي الْقَوْزِ قَدْحَ (أَبْنِ مُقْبِلِ)
(٢) وَجَرَدَتْ لِلْفُتَيَّا حُسَامَ عَزِيمَةٍ * بِحَدِيثِهِ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُنْتَزِلِ
مَحَوَتْ بِهِ فِي الدِّينِ كُلَّ ضَلَالَةٍ * وَأَثَبَتْ مَا أَثَبَتْ غَيْرُ مُضَلَّلِ
لَنْ ظَفِيرَ الْإِفْتَاءِ مِنْكَ بِفَاضِلِ * لَقَدْ ظَفِيرَ الْإِسْلَامِ مِنْكَ بِأَفْضَلِ
(٣) فَا حَلَّ عَقْدَ الْمُشْكِلَاتِ بِحِكْمَةٍ * سِوَاكَ وَلَا أَرَبِي عَلَى كُلِّ حَوْلِ



وقال يمدحه ويصف حضرته :

(٤) قَالُوا صَدَقْتَ فَكَانَ الصَّدَقُ مَا قَالُوا * مَا كُلُّ مُتَسَيِّبٍ لِلْقَوْلِ قَوْلُ
(٥) هَذَا قَرِيبِي وَهَذَا قَدْرٌ مُتَدَحِي * هَلْ بَعْدَ هَذَيْنِ إِحْكَامٌ وَإِجْلَالُ
إِنِّي لَا أَبْصِرُ فِي أَثْنَاءِ بُرْدَتِهِ * نُورًا بِهِ تَهْتَدِي لِلْحَقِّ ضُلَالُ
(٦) حَلَلْتُ دَارًا بِهَا تُثَلَّى مَنَاقِبُهُ * بِيَابِهَا أَرْدَحَتْ لِلنَّاسِ آمَالُ

(١) القدح (بكسر القاف) : واحد قداح الميسر، وهي مهامه ، وقدح ابن مقبل ، يضرب مثلا في حسن الأثر والقرز . وابن مقبل : رجل من جاهلية العرب ، واسمه : تميم بن أبي بن مقبل ، شاعر مخضرم من المعمرين ، وكانت كثير المقامرة ، فاز قدحه سبعين مرة متواليه ، فضرب به المثل في القوز . (٢) جرد الحسام : سله من غمده . (٣) أربي : زاد . والحوّل : البصير بالأمور وتحويلها ، لا تؤخذ عليه طريق إلا نقد في غيرها . (٤) القوال : حسن القول اللسن . أى قالوا صدقت في مدح الإمام وهم صادقون فيما وصفوني به . (٥) القريض : الشعر . ومتدحى ، أى بمدوحى . (٦) المناقب : المفاخر والأفعال الكريمة ، الواحدة : منقبة .

- (١) تيمّمها والليل في غير زيه * وحاسدُها في الآق يُغري بني العدا
(٢) سريت ولم أحتذر وكانوا يمرصِد * وهل حذرت قبلي الكواكب رصدا
(٣) فلما رأوني أبصروا الموت مقبلا * وما أبصروا إلا قضاء تجسدا
(٤) فقال ككثير القوم قد ساء فالنا * فإننا نرى حقا بحتف تقلدا
(٥) فليس لنا إلا اتقاء سبيله * وإلا أعلّ السيف منا وأوردا
(٦) فغطوا جميعا في المنام ليصرفوا * شبا صارمى عنهم وقد كان مغندا
(٧) وخضت بأحشاء الجميع كأنهم * نيام مقامهم فاجئ الرعب مرقدًا
ورحّت إلى حيث ألتى تبعت ألتى * وحيث حدا بي من هوى النفس ما حدا

(١) تيمّمها : قصدت إليها . ويريد بقوله « في غير زيه » : أنه ليل بقمر ليس في هيئته المبهودة من السواد والظلمة . ويريد « بالحاسد » (هنا) : البدر، لشبهها به في الجمال . (٢) سري يسرى : صار بالليل . والمرصد : المرقب . والرصد : الرقاء، جمع راصد . (٣) يريد بقوله : « تجسد » : أنه قضاء محقق لا شك فيه ، حتى كأنه جسد بلبس وينظر . (٤) يقال : ساء فله ، أى ساء ظنه . و « حتنا بحتف تقلد » ، أى موتا تقلد موتا ، يريد نفسه متقلدا سيفه . وقد خطأ بعضهم حافظا في تعديّة " قلد " بالباء في هذا البيت ، وقال : « إنه من الأفعال المتعدية بنفسها لا بالحرف » . وهو مردود بقول الزجاج في قوله تعالى : (ولا الهدي ولا القلائد) : إنهم كانوا يقلدون الإبل بلحاء شجر الحرم . (٥) أعلّ : من العلل (بالتحريك) ، وهو السقية الثانية . أى إن لم نخل له سبيله متى السيف من دماثنا مرة بعد مرة . (٦) غط النائم غطا وغطيطا : نخر وتردد نفسه ماعدا إلى حلقه حتى يسمعه من حوله . وشبا الصارم : حده ، وجمعه : شبا . وقد يستعمل هذا الجمع في الشعر مكان المفرد كما في هذا البيت ، قال الشاعر :

أما شبا السيف مسلولا على القمم * فقد حدا ولم نذم شبا القلم

(٧) خضت بأحشاء الجميع : مررت وسطهم ومبرت عليهم . والمرقد : الشراب الذي يجلب

- (١) وَحَيْثُ قَتَاةُ الْحَذِيرِ تَرْقُبُ زَوْرَتِي * وَتَسْأَلُ عَنِّي كُلُّ طَيْرٍ تَفَرَّدَا
(٢) وَتَرْجُو رَجَاءَ اللَّصِّ لَوْ أَسْبَلَ الدُّجَى * عَلَى الْبَدْرِ سِتْرًا حَالِكَ اللَّوْنِ أَسْوَدَا
(٣) وَلَوْ أَنَّهُمْ قَدَّوْا غَدَائِرَ فَرْعِهَا * فَاكُؤُوا لَهَا مِنْهَا نِقَابًا إِذَا بَدَا
فَلَمَّا رَأَيْتِي مُشْرِقَ الْوَجْهِ مُقْبِلًا * وَلَمْ تَتَّيْنِي عَنْ مَوْعِدِي خَشْيَةَ الرَّدَى
(٤) تَنَادَتْ وَقَدْ أَعْجَبَتْهَا - كَيْفَ قَتَهُمْ * وَلَمْ تَتَّخِذْ إِلَّا الطَّرِيقَ الْمُعْبَدَا
فَقُلْتُ: سَلِي أَحْشَاءَهُمْ كَيْفَ رُوِّعَتْ * وَأَسْيَافَهُمْ هَلْ صَاحَتْ مِنْهُمْ يَدَا
(٥) فَقَالَتْ: أَخَافُ الْقَوْمَ وَالْحَقْدُ قَدَ بَرَى * صُدُورُهُمْ أَنْ يَبْلُغُوا مِنْكَ مَقْصِدَا
(٦) فَلَا تَتَّخِذْ عِنْدَ الرُّوَاكِ طَرِيقَهُمْ * فَقَدْ يَقْنَصُ الْبَازِي وَإِنْ كَانَ أَصِيدَا
(٧) فَقُلْتُ: دَعِي مَا تَحْذَرِينَ فَلِأَنِّي * أَصَاحِبُ قَلْبًا بَيْنَ جَنِّي أَيْدَا
(٨) فَالَتْ لَتَغْرِيبِي وَمَالَاهَا أَلْهَوَى * فَحَدَّثْتُ نَفْسِي وَالضَّمِيرُ تَرَدَّدَا
(٩) أَهْمٌ كَمَا هَمَّتْ فَادْكُرْ أَتَنِي * فَتَاكَ فَيَدْعُونِي هُدَاكَ إِلَى الْهُدَى

- (١) تفرد الطائر، كترد: رفع صوته وطرب به. (٢) أسبل: أرخى. والحالك: الشديد السواد. (٣) قدوا: قطعوا. والغدائر: الضفائر. والفرع من المرأة: شعرها، جمعه فروع. وحاكوا: نسجوا. والنقاب: البرقع. ويريد بهذا البيت والذي قبله أن محبوبته ترجو كما يرجو اللص أن يشتد الظلام ويستتر البدر، أو أن تجعل للبدر نقاباً من غداثرها السود ستراً لمحبوبها عن أعين الرقباء. (٤) الطريق المعبد: المهدى المسلك. (٥) يرى الحقود صدورهم، أي أسقمها وأذاها. (٦) يقنص: يصاد. والبازي: نوع من الصقور يتخذ للصيد. والأصيد (هنا): الأقدر على الصيد الأعراف به. (٧) الأيد (بتشديد الياء): القوى الشديد. (٨) مالاًها: ساعدها وشايعها. (٩) يريد بهذا البيت والذي قبله أنها آمنت لتغريه بنفسها وساعدها على ذلك هواها له وهواه لها، فهبت به وهم بها، ثم ذكر هدى الممدوح فاهتدى بهديه.

وَأُنْشِدُ أَشْعَارِي وَإِنْ قَالَ حَاسِدِي * نَعَمْ شَاعِرٌ لَكِنَّهُ غَيْرُ مُثَارٍ
 فَخَسِي مِنْ الْأَشْعَارِ بَيْتٌ أَزِيئُهُ * بِذِكْرِكَ يَا (عَبَّاسُ) فِي رَفْعٍ مَقْدَارِي
 كَذَا فَلَيْكُنْ مَدْحُ الْمُلُوكِ وَهَكَذَا * يَسُوسُ الْقَوَافِي شَاعِرٌ غَيْرُ ثَرَارٍ^(١)
 وَيَسْلُبُ أَصْدَافَ الْبِحَارِ بَنَاتِهَا * بِنَفْتَةٍ سَحَرٍ أَوْ بِمَخْطَرَةِ أَفْكَارٍ^(٢)
 مَعَانٍ وَأَلْفَاظُ كَمَا شَاءَ (أَحْمَدُ) * طَوْتُ جَزَلٍ (بَشَارٍ) وَرِقَّةٌ مَهْيَارٍ^(٣)
 إِذَا نَظَرْتُ فِيهَا الْعُيُونُ حَسِبْنَهَا * لِحُسْنِ أَنْسَجَامِ الْقَوْلِ كَالْجَدْوْلِ الْجَارِي^(٤)
 أَمْوَلَايَ هَذَا أَلْعِيدُ وَأَفَاكَ فَاحِبُهُ * بِجُلَّةِ إِقْبَالٍ وَيَمْنٍ وَإِشَارٍ^(٥)
 وَيَمْنُهُ وَأَنْثَرُ مِنْ سُعُودِكَ فَوْقَهُ * وَتَوَجَّهُ بِالْبُشْرَى وَمُرَّهُ بِالسَّفَارِ^(٦)
 فَلَا زَالَتِ الْأَعْيَادُ تَبْغِي سُعُودَهَا * لَدَى مَلِكٍ يَسْرِي عَلَى عَدْلِهِ السَّارِي^(٧)
 وَلَا زِلَّتْ فِي دَسْتِ الْجَلَالِ مُؤَيِّدًا * وَلَا زَالَ هَذَا الْمُلْكُ فِي هَذِهِ الدَّارِ^(٨)

-
- (١) يسوس القوافي : يروضها ويذلها . والثرار : المتشدد الذي يكثر الكلام تكلفا .
 (٢) بنات الأصدا ف : اللاتي التي تكون فيها . والنفت : النفخ ، وأضافه الى السحر ، لأن السحر
 ينفت في العقد . (٣) الظاهر أنه يريد « بأحمد » : أبا الطيب أحمد بن الحسين المتنبي . ويقول :
 إن لشعره من الجزالة والركة ما يفوق جزالة بشار ورقة مهيار . (٤) الجدول : النهر الصغير .
 (٥) حباه يحبوه : أعطاه بلا جزاء ولا من . وآثره إيثارا : خصه بالإكرام .
 (٦) يمنه ، أي أفض عليه من اليمن ، وهو البركة . والذي في القاموس وشرحه : « يمن عليه »
 بتعدية هذا الفعل بالحرف . والإسفار : الإضاءة والإشراق . (٧) يسرى على عدله الساري .
 أي أن عدله قد ظهر واشتهر حتى صار منارا يهتدى به .
 (٨) الدست : صدر المجلس ؛ فارسي معرب .



وقال أيضا يمدحه ويهنته بعيد جلوسه في ٨ يناير سنة ١٩٠١ م

(١) ما ذا أدنرت لهذا العيد من أدب * فقد عهدتُك ربَّ السبق والغلب

(٢) تشدو وترهف بالأشعار مُرتجلاً * وتبرزُ القول بين السَّحر والعجب

(٣) وتَصقلُ اللفظ في عيني فأحسبني * أرى فيرند سيوف الهند في الكتب

هذا هو العيدُ قد لاحت مطالعته * وكلنا بين مشتاق ومرتب

(٤) فادعُ البيانَ ليوم لا تطاوله * يدُ البلاغة في الأشعار والخطب

(٥) إني دعوتُ القوافي حين أشرق لي * عيدُ الأمير فلبت غرة الطلب

(٦) وأقبلت كأياديهِ إذا انسجمت * على ألوري وغدت مني على كسب

(٧) ففمتُ أختار منها كل كاسية * تاهت بنضرتها في ثوبها القشب

وحار فيه بياني حين صحتُ به : * بالعزَّيبدأ أم بالمجد والحسب ؟

(٨) يا من تنافس في أوصافه كلمي * تنافس العرب الأبحاد في النسب

- (١) في هذا البيت وما بعده يوجه الشاعر الخطاب الى نفسه . (٢) تشدو : تترنم .
وترهف بالشعر : قاله على البديهة ولم يهتبه قبل إنشاده . (٣) تصقل اللفظ : تجلوه وتكسبه
ورنقا وطلاوة . وفرند السيف : مأثوه الذي يجري فيه ؛ معرب . يشبه الشعر في بهجته وبهائه بالسيف
في لبعانه وروائه . (٤) لا تطاوله : لا تبلغ مدى وصفه . (٥) غرة الطلب : أوله :
يريد أن الشعر أجابه أول ما طلبه ولم يحوجه الى تكرار الطلب . (٦) الأيادي : المتن .
وانسجمت : توالى وتتابع . والكسب : القرب . (٧) الكاسية : ذات الكسوة ؛ ويريد
بها الألفاظ في ثوب من الجمال . والنضرة : الحسن . والقشب : الجديد .
(٨) تنافس : تنافس وتبارى .

سَلُّوا الْفَلَكَ الدُّوَارَ هَلْ لَاحَ كَوَكَّبٌ * عَلَى مِثْلِ هَذَا الْعَرْشِ أَوْ رَاحَ كَوَكَّبٌ؟
 وَهَلْ أَشْرَقَتْ شَمْسٌ عَلَى مِثْلِ سَاحَةِ * إِلَى ذَلِكَ الْبَيْتِ (الْحَمِيدِي) ^(١) تُنْسَبُ؟
 وَهَلْ قَرَّ فِي بُرْجِ السَّعُودِ مَتَوَجٌّ * كَمَا قَرَّ فِي (يَلْدِينِ) ذَاكَ الْمُعَصَّبُ؟ ^(٢)
 تَجَلَّى عَلَى عَرْشِ الْجَلَالِ وَتَاجُهُ * يَهْشُ وَأَعْوَادُ السَّرِيرِ تُرْحَبُ ^(٣)
 سَمَا فَوْقَهُ وَالشَّرْقُ جَذْلَانُ شَيْقٍ * لَطَلَعَتْهُ وَالْغَرْبُ جَذْلَانُ يَرْقُبُ ^(٤)
 فَقَامَ بِأَمْرِ اللَّهِ حَتَّى تَرَعَّرَعَتْ * بِهِ دَوْحَةُ الْإِسْلَامِ وَالشَّرْكَ مُجْدِبُ ^(٥)
 وَقَرَّبَ بَيْنَ الْمَسْجِدَيْنِ تَقَرُّبًا * إِلَى الْمَلِكِ الْأَعْلَى فَنِعَمَ الْمُقَرَّبُ ^(٦)
 وَكَمْ حَاوَلُوا فِي الْأَرْضِ إطفَاءَ نُورِهِ * وَإطفَاءَ نُورِ الشَّمْسِ مِنْ ذَاكَ أَقْرَبُ
 فَرَأَوْهُمْ مِنْهُ بِجَيْشٍ مُدَجَّجٍ * لَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْحَقِّ مَذْهَبُ ^(٧)
 يُدَانِي شُخُوصَ الْمَوْتِ حَتَّى كَأَنَّمَا * لَهُ بَيْنَ أَظْفَارِ الْمَنِيَةِ مَطْلَبُ

- (١) الحميدي : نسبة إلى السلطان عبد الحميد . (٢) يلديز : كان قصر الخلافة بالآستانة .
 والمعصب : المتوج ، وذلك لأن التاج يحيط بالرأس كالعصابة ، قال عمرو بن كلثوم :
 بكل معصب من آل سعد * بتاج الملك يحيى المجرينا
 (٣) تجلى : ظهر . ويهش : يرتاح . (٤) جذلان : من الجذل (بالتحريك) ، وهو
 القرح . والشيق : المشتاق . ويريد بالجذلان : المخدول . ولم نجد هذه الصيغة بهذا المعنى فيما
 راجعناه من مدونات اللغة ؛ وإنما ذكرها الشاعر موافقة لقوله في الشطر الأول : « جذلان » .
 (٥) الدوحة : الشجرة العظيمة المنتعة الظل . (٦) يريد « بالمسجدين » (هنا) :
 بيت المقدس ومسجد المدينة ؛ ويشير بذلك إلى الخط الحميدي الجازي من دمشق إلى المدينة ، وقد بدى
 العمل فيه في مايو سنة ١٩٠٠ م ، واحتفل بالقراغ منه وافتتاحه سنة ١٩٠٨ م .
 (٧) راعهم : أفزعهم . والمدجج : المسلح .

(١) إذا ثَارَ في يَوْمِ الْوَعْنَى مَالٌ مِّنْكَ * مِّنَ الْأَرْضِ وَالْأَطْوَادِ وَأَنْهَالَ مِّنْكَ
(٢) لَهُ مِنْ رُّؤُوسِ الشُّمِّ فِي الْبَرِّ مَرْكَبٌ * وَمِنْ نَّائِرِ الْأَمْوَاجِ فِي الْبَحْرِ مَرْكَبٌ
(٣) فِدَى لَكَ يَا (عَبْدَ الْحَمِيدِ) عِصَابَةٌ * عَصَتْ أَمْرَ بَارِيهَا وَحِزْبٌ مَذْبَذِبٌ
مَلَكَتْ عَلَيْهِمْ كُلُّ فَجٍّ وَجَلَّةٍ * فَلَيْسَ لَهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ مَهْرَبٌ
(٤) تَقَاذِفُهُمْ أَيْدِي اللَّيَالِي كَانَهُمْ * بِهَا مَثَلُ النَّاسِ فِي الْقَوْمِ يُضْرَبُ
(٥) وَكَمْ سَأَلُوهَا لَسَمَ أَذْيَالُكَ الَّتِي * لَهَا فَوْقَ أَجْرَامِ السَّمَوَاتِ مَسْحَبٌ
فَمَا بَلَّغُوا سُؤْلًا وَلَا بَلَّغُوا مَنًى * كَذَلِكَ يَشْقَى الْخَبَائِنُ الْمُتَقَلِّبُ
(٦) فَيَا صَاحِبَ الْعِيدَيْنِ لَا زِلْتَ سَالِمًا * يَهْنِكَ بِالْعِيدَيْنِ شَرْقٌ وَمَغْرِبٌ
فَفِي كُلِّ رَوْضٍ مِنْكَ طِيبٌ وَنَضْرَةٌ * وَفِي كُلِّ أَرْضٍ مِنْكَ عِيدٌ وَمَوْكَبٌ
(٧) أَرَى يَصْرُ وَالْأَنْوَارُ : مِنْهَا مُورِدٌ * وَمِنْهَا الْجُبْنِيُّ ، وَمِنْهَا مُذَهَّبٌ
(٨) وَأَشْكَالُهَا شَتَّى فَهَذَا مُنْظَمٌ * وَذَلِكَ مَشُورٌ وَذَلِكَ مُقَبَّبٌ

- (١) الوعنى : الحرب لما فيها من الأصوات والجلبة . ومنكب من الأرض ، أى ناحية منها .
والأطواد : الجبال العظيمة ، الواحد طود (بفتح الطاء) . والمعنى أن الأرض تيمد بهذا الجيش
لكثرته وعدته . (٢) الشم : الجبال العالية ، واحدا : أشم .
(٣) يشير الى حزب تركيا الفتاة الذى كان يعارض السلطان عبد الحميد فى سياسته .
(٤) تقاذفهم ، أى تقاذفهم فى تشريحهم فى البلاد بالأمثال السائرة بين الناس
من لسان الى لسان . (٥) سألوها ، أى سألوا الليالى . وأجرام السموات : أفلاكها .
والمسحب : المكان الذى تسحب عليه الأذيال . (٦) يريد « بالعيدين » : عيد جلوس السلطان
وعيد تأسيس الدولة العثمانية . (٧) الجبني : نسبة الى الجبل ، وهو الفضة . (٨) المقبب :
المصنوع على أشكال القباب .

(١) وبعضُ تجلّ في مصاييحَ، زيتها * يضيءُ ولا نارُ وبعضُ مكهربُ
(٢) وأنظرُ في بُستانها النّجمَ مشرقاً * فهل أنت يا بُستانُ أفقُ مكوكبُ
(٣) وأسمعُ في الدّنيا دُعاءَ بنصره * يردده البيتُ العتيقُ ويثربُ

تهنئة جلالة ادوارد السابع بتويجه^(٤)

[نشرت في ٩ أغسطس سنة ١٩٠٢ م]

(٥) تحتُ من مِصرَ ذاك التاج والقمرَا * فقلتُ للشعرِ هذا يومٌ من شعرا
(٦) يادولةً فوقَ أعلامٍ لها أسدُ * تخشى بوادره الدّنيا إذا زارا
(٧) بالأمس كانت عليك الشمسُ ضاحيةً * واليومَ فوقَ ذراكِ البدرِ قد سفرا
(٨) يؤولُ عرشُك من شمسٍ إلى قمرٍ * إن غابت الشمسُ أولت تاجها القمرَا
(٩) من ذا يُناويك والاقْدَارُ جاريةً * بما تشائينَ ، والدنيا لمن قهرا

- (١) يريد بقوله : « يضيء ولا نار » : أن هذا الزيت صاف براق . (٢) المكوكب : ذوا الكواكب . (٣) البيت العتيق : الكعبة . ويثرب : اسم قديم لمدينة الرسول صلى الله عليه وسلم .
(٤) ولد ادوارد السابع في سنة ١٨٤١ م ، وولى الملك في يناير سنة ١٩٠١ م ، وتوفى في سنة ١٩١٠ م .
(٥) يريد « بالقمر » : صاحب التاج . وشعر ، أى قال الشعر . (٦) الأسد : شعار الدولة الإنجليزية ، كما جعل النسر شعار الدولة الألمانية ، والهِلال شعار الدولة العثمانية ، وغير ذلك .
والبواذر : جمع بادرة ، وهى ما ييدر من الشر . أى يسبق منه عند الحدة والغضب . (٧) يريد « بالشمس » : الملكة فكتوريا ملكة الإنجليز . والذرا : جمع ذروة ، وهى ما ارتفع من المواضع . ويريد « بالبدر » : ابنها الملك ادوارد السابع . وسفر : ظهر وانكشف . (٨) أولت : أعطت .
(٩) المتاراة : المعاداة والمعارضة .

- (١) اذا أَبْتَسَمَتْ لَنَا فَالْدَهْرُ مُبْتَسِمٌ * وَإِنْ كَثُرَتْ لَنَا عَنْ نَابِهِ كَشَرًا
لا تَعْجَبَنَّ لِمَلِكٍ عَزَّ جَانِبُهُ * لَوْلا التَّعَاوُنُ لَمْ تَنْظُرْ لَهُ أَثَرًا
(٢) مَائِلٌ رَبُّكَ عَرْشًا بَاتَ يَحْرُسُهُ * عَدْلٌ ، وَلَا مَدَّةٌ فِي سُلْطَانٍ مَنْ غَدَرًا
(٣) خَبَرْتَهُمْ فَرَأَيْتُ الْقَوْمَ قَدْ سَهَرُوا * عَلَى مَرَافِقِهِمْ وَالْمَلِكُ قَدْ سَهَرَا
(٤) تَشَاوَرُوا فِي أُمُورِ الْمَلِكِ مِنْ مَلِكٍ * إِلَى وَزِيرٍ إِلَى مَنْ يَنْوِسُ الشَّجَرَا
وَكَانَ فَارِسُهُمْ فِي الْحَرْبِ صَاعِقَةً * وَذُو السِّيَاسَةِ مِنْهُمْ طَائِرًا حَذَرَا
(٥) بِالْبَرِّ صَافِنَةً دَاسَتْ سَنَايُكُهَا * مَنَاجِمَ التَّيْرِ لَمَّا عَافَتْ الْمَدَرَا
(٦) وَفِي الْبَحَارِ أَسَاطِيلُ إِذَا غَضِبَتْ * تَرَى الْبَرَائِكِينَ فِيهَا تَقْنِفُ الشَّرَا
(٧) وَهَنٌ فِي السَّلَامِ وَالْأَيَّامُ بِاسْمَةٍ * عَرَائِيسُ يَكْتَسِينِ الدَّلَّ وَالْخَفَرَا
(٨) حَتَّى إِذَا نَشَبَتْ حَرْبٌ رَأَيْتَ بِهَا * أَغْوَالَ قَفِيرٍ وَلَكِنْ تَنْهَشُ الْحَجَرَا

(١) كثر عن نابه : كشف عنه وأبداه ؛ وهو مستعمل هنا في معنى التشر والفضب .

(٢) ثل الله عرشهم ، أى هدم ملكهم وأذهب عزهم .

(٣) المرافق : المنافع والمصالح . والملك (يتسكين اللام) : لغة في الملك (بكسرهما) .

(٤) من ينرس الشجر ، أى الفلاح .

(٥) الصافنة : الخيل . والشافن منها : ما قام على ثلاث قوائم وطرف حافر الرابطة ، وهو من الصفات

المحمودة فيها . والسنايك : أطراف الخوافر ، الواحد : سنيك (بضم السين والباء) . والمدر : التراب المطبد .
يريد أن جيوشهم ملكت من الأرض أغناها وأكثرها ثروة حتى إن خيولهم تدوس ما تضمنت الأرض من
ذهب ، لكثرة ما في أيديهم من الأماكن الغنية ، وكرهت أن تدوس التراب .

(٦) شبه سفنهم في الحرب ببرائكين النار . (٧) الخفر (بالتحريك) : شدة الحياء .

(٨) الأغوال : جمع غول ، شبه بها ما ترميه السفن من القذائف .

- (١) اليوم يُشْرِقُ "إِدْوَارُ" على أَمْسٍ * كأنها البَحْرُ بِالْآذَى قَدْ زَحَرَ
- (٢) لو أَمَطَرَ الْغَيْثُ أَرْضًا تَسْتَظِلُّ بِهِمْ * عَدَتْ رُءُوسُهُمْ عَنْ وَجْهِهَا الْمَطَرَا
- (٣) اليومَ يَلِيْكُمْ تَاجُ الْعِزِّ مُحْتَشِمًا * رَأْسًا يَدْبُرُ مَلَكًا يَكْلَأُ الْبَشَرَا
- (٤) يَصْرِفُ الْأَمْرَ مِنْ مِصْرِ إِلَى عَدَنِ * فَالْهِنْدِ فَالْكَابِ حَتَّى يَغْبِرَ الْجُزُرَا
- (٥) قَدْ سَأَلْتَهُ اللَّيَالِي حِينَ أَنْجَزَهَا * عَقْدُ لِمَا حَلَّ أَوْ تَقْوِيمُ مَا أَطَرَا
- (إِدْوَارُ) دُمْتَ وَدَامَ الْمُلْكُ فِي رَغَدٍ * وَدَامَ جُنْدُكَ فِي الْآفَاقِ مُتَّصِرَا
- (٦) حَقَنْتَ بِالصُّلْحِ وَالرَّأْيِ السَّيِّدِ دَمًا * رَوَى الشُّعَابَ وَرَوَى الصَّارِمَ الذِّكْرَا
- هُمْ يَذْكُرُونَكَ إِنْ عَدُّوا عَدُوْلَهُمْ * وَنَحْنُ نَذْكُرُ إِنْ عَدُّوا لَنَا (عُمَرَا)
- (٧) كَأَنَّمَا أَنْتَ تَجْزِي فِي طَرِيقَتِهِ * عَدْلًا وَحِلًّا وَإِقَاطًا بِمَنْ أَشْرَا

- (١) آذى البحر : موجه ، وجمعه : أواذى (بتشديد الياء) . شبه به الأمم التي تحت سلطان التاج البريطاني في كثرتها .
- (٢) « عادت رؤوسهم » انخ . أي صرفت رؤوسهم المطر عن وجه الأرض . يصفهم بكثرة العدد ، حتى إنهم لكثرتهم يحجبون وجه الأرض برؤوسهم فلا يمسه المطر .
- (٣) محتشما ، أي مستحيا . ويكلا : يحفظ ويحرس . (٤) يصرف الأمر : يديره ويقبله كما يشاء .
- (٥) أطره ، عوجه وثناء . والمعنى أن الدهر قد صالحه وسأله حين لم يقدر على مناوئته ومعارضته فيما أراد .
- (٦) يقال : حقن فلان دم فلان ، إذا حل به القتل فألقاه . ويريد « بالشعاب » : الطرق ، الواحد : شعب (بكسر الشين) ، وهو في الأصل : الطريق في الجبل . والصارم الذكر : السيف الذي شفرته من الحديد الذكر ، ومنه من الحديد الأنثى . والحديد الذكر : هو أيس الحديد وأجوده . ويشير بهذا البيت إلى الصلح في الحرب التي كانت بين البرير والإنجليز ، وقد ابتدأت في سنة ١٨٩٩م وانتهت في سنة ١٩٠٢م وهي السنة التي قال فيها الشاعر قصيدته في تنويع إدوارد السابع .
- (٧) أشر بأشر (من باب فرح بفرح) : بطر ، يريد العاصي المتمرد .

إلى الأستاذ الإمام الشيخ محمد^(١) عبده

قالها في سفره إلى بعض بلاد الوجه البحري وكان مصاحباً له في هذا السفر

- صَدَفْتُ عَنِ الْأَهْوَاءِ وَالْخُرِّ يَصْدِفُ * وَأَنْصَفْتُ مِنْ نَفْسِي وَذُو اللَّبِّ يَنْصِفُ^(٢)
 صَحِبْتُ أَلْهَدَى عِشْرِينَ يَوْمًا وَلَيْلَةً * فَقَرَّ يَقْبَنِي بَعْدَ مَا كَانَتْ يَرْجِفُ^(٣)
 فُرَحْتُ وَفِي نَفْسِي مِنَ الْيَأْسِ صَارِمٌ * وَعَدْتُ وَفِي صَدْرِي مِنَ الْحِلْمِ مُصْحَفُ^(٤)
 وَكُنْتُ كَمَا كَانَ (أَبْنُ عِمْرَانَ) نَاشِئًا * وَكَانَ كَهْنًا فِي (سُورَةِ الْكَهْفِ) يُوصَفُ^(٥)
 كَأَنْ فِئَادِي إِبرَةً قَدْ تَمَقَّطَسَتْ * بِحَبِّكَ أُنِي حَرَقْتُ عَنْكَ تَعَطَّفُ^(٦)
 كَأَنْ يَرَايَ فِي مَدِيحِكَ سَاجِدٌ * مَدَامِعُهُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ تَذَرِفُ^(٧)
 كَأَنَّكَ وَالْأَمَالُ حَوْلَكَ حُومٌ * نَمِيرٌ عَلَى عِطْفَيْهِ طَيْرٌ تَرْقُوفُ^(٨)
 وَأَزْهَرَ فِي طَرْسِي يَرَايَ وَأَتَمَّلِي * وَلَقَطِي فَبَاتَ الطَّرْسُ يَحْنِي وَيَقْطَفُ^(٩)

- (١) انظر التعريف بالأستاذ الإمام في الحاشية رقم ٣ ص ٤ من هذا الجزء . (٢) صدفت : أعرضت وصددت . (٣) يرجف : يضطرب . ويشير بهذا البيت إلى قصة سمعاناً منه وهي أن حافظاً كان يظن بالأستاذ الإمام أنه شاك في عقيدته الدينية غير قائم بالشعائر الإسلامية من صلاة وصوم ونحوهما فلما صحبه في هذا السفر واتصل به تلك المدة المذكورة كان يراه في الليل يكثر الصلاة والتضرع لله تعالى مبالغاً في كثرة ذلك عن حوله ؛ فأحسب الشاعر اعتقاده بالأستاذ الإمام وأيقن أنه كان على خطأ في ظنه الأول به ؛ ثم اهتدى بهديه ، وبذل شكه يقينا . (٤) يشير إلى قصة نبي الله موسى الكليم مع الخضر عليهما السلام ، وإكثار موسى على الخضر في الأسئلة ؛ وقد ذكر الله تعالى ذلك في سورة الكهف . (٥) تعطف : ترجع . (٦) تذرف : تسيل . (٧) الحرقم من الطيور : التي تدور حول الماء ، الواحد : حاتم . والنمير : الماء الناجع في الري . والمطفان : الجانبان . (٨) أزهر : أخرج الزهر . والطرس : الصحيفة التي يكتب فيها .

(١) وَجَمَعَ مِنْ أَنْوَارِ مَدْحِكَ طَاقَةً * يُطَالِعُهَا طَرْفُ الرَّيِّسِ فَيُطَرْفُ
 (٢) تَهَادَى بِهَا الْأَرْوَاحُ فِي كُلِّ مُخْصَرَةٍ * وَتَمْشِي عَلَى وَجْهِهِ الرِّيَاضُ فَتَعْرِفُ
 (٣) إِمَامَ الْهُدَى إِنِّي أَرَى الْقَوْمَ أَبْدَعُوا * لَمْ يَدْعَا عَنْهَا الشَّرِيعَةُ تَعْرِفُ
 رَأَوْا فِي قُبُورِ الْمَيِّتِينَ حَيَاتَهُمْ * فَقَامُوا إِلَى تِلْكَ الْقُبُورِ وَطَوَّفُوا
 (٤) وَبَاتُوا عَلَيْهَا جَائِمِينَ كَأَنَّهُمْ * "عَلَى صَنِمٍ لِلْجَاهِلِيَّةِ عَكْفُ"
 فَأَشْرَقَ عَلَى تِلْكَ النَّفُوسِ لَعَلَّهَا * تَرِقُّ إِذَا أَشْرَقَتْ فِيهَا وَتَلْطَفُ
 (٥) فَأَنْتَ بِهِمْ كَالشَّمْسِ بِالْبَحْرِ إِنَّمَا * تَرْدُّ الْأَجَاجَ الْمِلْحَ عَذْبًا فَيُرْشَفُ
 (٦) كَثِيرُ الْأَيَادِي، حَاضِرُ الصَّفْحِ، مُنِصِفٌ * كَثِيرُ الْأَعَادِي، غَائِبُ الْحَقْدِ، مُسَعِفٌ

(١) الأنوار: جمع نور (يفتح النون)، وهو الزهر، والطاقة: الحزمة من الزهر. ويطالعها طرف الريبع، أى تنظر إليها عينه. فيطرف، أى يصاب بما يؤذيه؛ يقال: طرف فلان عين فلان، إذا أصابها شيء، فدمعت؛ وقد طرفت عينه (مبنيًا للجهول) فهي مطروقة. يريد أن مدحه للاستاذ الإمام يفوق أزهار الربيع حسنا، فإذا نظر إليه الربيع ارتدت طرفه عنه حسيرا.

(٢) تهادى، أى تهادى. والتهادى: المشى فى لين وتثن؛ ويجوز أن يكون التهادى (هنا) من الإهداء، أى أن الرياح تحمل طيب هذه الطاقة فيهدى بعضها بعضا به. والسحرة: أول وقت السحر. وتعرف (بضم الراء)، أى تصوير ذات عرف (يفتح العين وسكون الراء)، أى رائحة طيبة؛ أى أن الرياح تمر على الرياض حاملة طيب هذه الطاقة فتعطر الرياض به. (٣) أبدهوا: أهدوا. وتعرف (بضم الزاى وكسرهما): تنصرف وتعرض. (٤) جائمون: ملازمون لما لم يرحوها؛ وفعله من باب (نصر وضرب). وقوله: «على صنم» الخ: عجز بيت من نصيدة للفرزدق، وقوله:

لقد علم الجيران أن قدرنا جوامع للأرزاق والريخ زفر

ترى حوّلن المقترين كأنهم على صنم ... الخ

والعكف: الماكفون، من عكف على الشيء، إذا لزمه وحبس نفسه عليه.

(٥) بهم، أى نهم. ويشير إلى ما هو معروف من تبخر ماء البحر بحرارة الشمس وصيرورة هذا البخار سحابا، ثم مطرا. والأجاج من الماء: الشديد الملوحة. ويرشف، أى يشرب. وأصل الرشف: مص الماء بالشفتين. (٦) الأيادى: النعم. وغائب الحقد: لا يحقد على أحد.

له كل يوم في رضى الله موقف * وفي ساحة الإحسان والبر موقف
 تجلى (جمال الدين) في نور وجهه^(١) وأشرق في أنشاء برديه (أحنف)
 رأيتك في الإقناء لا تغضب أحبا * كأنك في الإقناء والعلم (يوسف)^(٢)
 فانت لها إن قام في الشرق مرجف * وانت لها إن قام في الغرب مرجف^(٣)
 كنت كالألو تاول كفرة * لأصبح إيمانا به يخفف^(٤)

++

وقال يهته بعودته من سياحته في بلاد الجزائر :

[نشرت في ٦ أكتوبر سنة ١٩٠٢ م]

بكرًا صاحبي يوم الإياب * وقفا لي (بين شمس) قفاي
 إني والذي يرى ما ينفسى * لمشوق لظل تلك الرحاب^(٥)

- (١) يشير الى أستاذ المدوح الشيخ جمال الدين الأفغاني العالم الفيلسوف المعروف ، ورد مصر في زمن إسماعيل باشا ، وتلقى عليه العلم أذكاء الطلاب بالأزهر ، ومنهم الأستاذ المدوح ، فكانوا دعاة النهضة الحديثة وهداتها . ويريد بالأحنف : الأحنف بن قيس التميمي ، وكان من سادات التابعين ، مشهورا بالحلم ، وأسلم في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ولم يصحبه ، وشهد بعض الفتوحات ، وتوفي حوالى سنة سبع وستين .
- (٢) الجا : العقل . يريد أن الأستاذ الإمام وفق بين الدين والعقل في فتاويه . ويوسف ، هو نبي الله يوسف الصديق عليه السلام ، ويشير الى قوله تعالى في سورة يوسف : (ولما بلغ أشده آتينا حكما وعلمها) الآية .
- (٣) لها ، أى لمة الإسلام . والمرجف : الذى يخوض في الأخبار السبئية على أن يوقع في الناس الاضطراب من غير أن يصح عنده شئ . منها . (٤) يخفف به : يتعبده . يشير الى ما هو مأثور في كلام القرس من قولهم : كل شئ يتناوله الليل يتحول الى علة ، وكذلك العكس ، فكل شئ يتناوله الصحيح يتحول الى صحة ، والكامل لما يتناول الكفر صار إيمانا . وكان الأستاذ الإمام كثيرا ما يردد هذه العبارة . ويريد الشاعر أن كمال الأستاذ الإمام لو تناول كفر هذا المرجف لصيره إيمانا .
- (٥) الذى يرى ما بنفسه هو الله تعالى .

يا أَمِينًا عَلَى الْحَقِيقَةِ وَالْإِفْذِ * سَاءَ وَالشَّرْعِ وَالْهُدَى وَالْكَتَابِ
 أَنْتَ نِعَمَ الْإِمَامُ فِي مَوْطِنِ الرَّأْيِ * يَ وَنِعَمَ الْإِمَامُ فِي الْمَحْرَابِ^(١)
 خَشَعَ الْبَحْرُ إِذْ رَكِبْتَ جَوَارِدِ * بِهِ خُشُوعَ الْقُلُوبِ يَوْمَ الْحِسَابِ^(٢)
 وَبَدَأَ مَائِهِ نَحَاطِرَكَ الْمَضَى * تَقُولِ أَوْ كَالْفِرْنِدِ أَوْ كَالسَّرَابِ^(٣)
 يَجْعَلِي كَأَنَّهُ صُحُفُ الْأَبَدِ * رَارِ مَنَشُورَةً يَوْمَ الْمَأْبِ^(٤)
 عَلِمْتَ مَنْ يُقَلُّ فَاَنْبَعَثَ لِذِ * قَصْدِ مِثْلِ أَنْبِعَاثِهِ لِلثَّوَابِ^(٥)
 فَهِيَ تَسِرِي كَأَنهَا دَعْوَةُ الْمَضَى * طَرَفِي مَسْبِجِ الدُّعَاءِ الْمَجَابِ^(٦)
 وَضِيَاءُ (الْإِمَامِ) يُوضِحُ لِلرُّبُوبَانِ سُبُلَ النِّجَاةِ فَوْقَ الْعُبَابِ^(٧)
 بَاتَ يُغْنِيهِ عَنْ مُكَافَةِ الْبَحْرِ * بِرِ وَرُقِي النَّجُومِ وَالْأَقْطَابِ^(٨)
 وَسَرَى الْبَرْقُ لِلْجَزَائِرِ بِالْبُشَى * رَى بِقُورِبِ الْمُطَهَّرِ الْأَوَابِ^(٩)
 فَسَعَى أَهْلُهَا إِلَى شَاطِئِ الْبَحْرِ * بِرِ وَفُودًا بِالْبُشْرِ وَالتَّرْحَابِ^(١٠)
 أَدْرَكُوا قَدْرَ ضَيْفِهِمْ فَأَقَامُوا * يَرْقُبُونَ (الْإِمَامَ) فَوْقَ السَّحَابِ

- (١) الجوارى : السفن . (٢) المصقول : المجلو . وفرند السيف : مائه الذي يترقق فيه ؛ وهو فارسي معرب . والسراب : ما يرى على البعد في نهاية الأفق كأنه الماء وليس به . شبه الشاعر به ماء البحر في الصفاء . (٣) المأب : المرجع ، ويوم المأب ، أى يوم القيامة . شبهه ماء البحر يصحف الأبرار في النصوص والنقاء . (٤) علمت ، أى السفينة . ونقل : تحمل . (٥) مسبح الدعاء ، أى طريقته . (٦) عباب البحر : موجه . (٧) الرقي : المراقبة . (٨) الأواب : الكثير الرجوع إلى الله ، (٩) يشير بهذا الكلام إلى ما ذهب إليه بعض الشيعة من أن محمد بن الحنفية سرجع إليهم في ظلال من الغمام ؛ فشبّه الأستاذ الإمام به .

لَيْتَ مِصْرًا كَغَيْرِهَا تَعْرِفُ الْفَضْلَ * لَيْلِي لَذِي الْفَضْلِ مِنْ ذَوِي الْأَلْبَابِ
 لَهَا لَوْ دَرْتُ مَكَانَكَ فِي الْحَجِّ * يَدِ وَحَرَمَاكَ فِي صُدُورِ الصَّعَابِ
 وَتَفَانِيكَ فِي سَبِيلِ (أَبِي حَفْصَ * يَحْصِ) وَمَسْعَاكَ عِنْدَ دَفْعِ الْمُصَابِ (١)
 لَاظْلَمْتَكَ بِالْقُلُوبِ مِنَ الشُّمِّ * يَسِ وَوَارَتْ عِدَاكَ تَحْتَ التُّرَابِ
 أَنْتَ عَلَّمْتَنَا الرُّجُوعَ إِلَى الْحَقِّ * وَرَدَّ الْأُمُورِ لِلْأَسْبَابِ (٢)
 ثُمَّ أَشْرَقْتَ فِي (الْمَنَارِ) عَلَيْنَا * بَيْنَ نُورِ الْهُدَى وَنُورِ الصَّوَابِ (٣)
 فَقَرَأْنَا عَلَى ضِيَائِكَ فِيهِ * كَلِمَاتِ الْمُهَيَّمِينَ الْوَهَابِ (٤)
 وَسَكَنَّا إِلَى الَّذِي أَنْزَلَ اللَّهُ * هُ وَكُنَّا مِنْ قَبْلِهِ فِي أَرْتِيَابِ
 أَيُّهَا الْإِمَامُ أَكْثَرْتَ حُسَا * دِي فَبَاتَتْ نَفُوسُهُمْ فِي الْتِهَابِ
 أَبْصَرُوا مَوْفِيهِ فَعَزَّ عَلَيْهِمْ * مِنْكَ قُرْبِي وَمِنْ عِلَاكَ أَتْسَابِي (٥)
 أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ عِشَاءً وَبَاتُوا * يُسْمِعُونَ الْوَرَى طَيْنِ الدُّبَابِ (٦)
 وَتُسُّوْا رَبَّهُمْ وَقَالُوا خَمِينَا * بَعْدَهُ عَنْ رِحَابِ ذَاكَ الْجَنَابِ

-
- (١) « وتفانيك في سبيل أبي حفص » ، أي أستماتك في نصرته الحق ، وهو سبيل أمير المؤمنين
 عمر بن الخطاب . (٢) يريد (مجلة المنار) المعروفة ، التي كان يحررها المرحوم الشيخ محمد رشيد رضا
 تلميذ الأستاذ الإمام ، وقد أنشئت هذه المجلة في سنة ١٣١٥ هـ (سنة ١٨٩٨ م) .
 (٣) يشير بذلك إلى ما كان ينشر في (مجلة المنار) من تفسير الأستاذ الإمام لبعض آيات القرآن
 الكريم . (٤) سكن إلى الأمر : اطمان إليه ووثق به .
 (٥) أجمعوا أمرهم عشاء ، أي يتنوا النية على الكبدل والوشاية بي .
 (٦) يريد جناب الأستاذ الإمام .

(١) قُلْ لَجَمْعِ الْمُنَافِقِينَ وَمِنْهُمْ * خُصَّ بِالْقَوْلِ عَبْدَ أُمِّ الْحَبَابِ
(٢) عَبْدَ تَلَكَ الَّتِي يُحَرِّمُهَا اللَّهُ * إِزَاءَ الْأَزْلَامِ وَالْأَنْصَابِ
(٣) أَنْتَ نَفْسَ الْإِمَامِ فَوْقَ مُنَاهُمْ * مَا تَمَنَّسُوا وَإِنِّي غَيْرُ صَابِي
شَابَ فِيهِمْ وَلَاؤُهُمْ حِينَ شَابُوا * وَوَلَائِي فِي عُفُوفِ الشَّابِ



وقال فيه عند عودته من بعض أسفاره :

(٤) لَوْ يَنْظُمُونَ الْأَلَاكِ مِثْلَ مَا نَظَّمْتُ * مُذْ غَبَّتْ عَنَّا عُيُونُ الْفَضْلِ وَالْأَدَبِ
(٥) لَا قَبْرَ الْجِيدِ مِنْ دُرٍّ يُحِيطُ بِهِ * وَالثَّغْوَيْنِ لَوْ لَوْ وَالْكَاسُ مِنْ حَبِّ



وقال مدافعا عنه أيضا ضد من حمل عليه من أعدائه في الصحف

ورسموا له صورة تزرى بقدره :

إِنْ صَوَّرُوكَ فَإِنَّمَا قَدْ صَوَّرُوا * تَاجَ الْفَخَّارِ وَمَطْلَعَ الْأَنْوَارِ

(١) أم الحباب : كناية عن الخمر . والحباب : الفقائيع التي تعلو الشراب في الكأس . ويريد « بعد أم الحباب » : أحد الساعين في التفريق بينه وبين الأستاذ الإمام ، وكان مدمنا للخمر .
(٢) إزاء الأزلام ، أى سها . والأزلام : سهام الميسر ، الواحد زلم (بالتحريك) . والأنصاب : ما ينصب من الأوتان لعبادة من دون الله ، الواحد نصب (وزان عتق وقفل) . ويشير بهذا إلى قوله تعالى : (إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام) الآية . (٣) صابى ، أى صابى (بالهمز) ، وهو الخارج من دين إلى دين ، واستعمله هنا في التحول عن مودته . (٤) يريد « بعيون الفضل والأدب » : ما كان يحبه الأستاذ الإمام في غيته من مقالات وخطب . (٥) الجيد : العتيق . وحجب الكأس : الفقائيع التي تعلو سطح الشراب . والمراد بهذا البيت والذي قبله أن الناس لو أرادوا أن ينظموا مثل ما نظمت في خطبك ورسائلك لم يجدوا غير در النحور ولآل الثغور وحجب الكؤوس شيئا بما قلت ، ولا استفاد قلمهم كل ذلك .

أَوْ تَقْصُوكَ فَإِنَّمَا قَدْ تَقْصُوا * دِينَ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ الْمُخْتَارِ
 سَخِرُوا مِنَ الْفَضْلِ الَّذِي أُوتِيَتْهُ * وَاللَّهُ يَسْخَرُ مِنْهُمْ فِي النَّارِ
 لَا تَجْزَعَنَّ فَلَسْتَ أَوَّلَ مَا جِدِ * كَذَبَتْ عَلَيْهِ صَحَائِفُ الْفُجَّارِ
 رَسَمُوا بِذَانِكَ لِلنَّوَاطِرِ جَنَّةً * مَحْفُوفَةً بِمَكَارِهِ الْأَشْعَارِ
 وَتَقُولُوا عَنْكَ الْقَبِيحَ وَهَكَذَا * يُمْنَى الْكَرِيمُ بِغَارَةِ الْأَشْرَارِ
 لَنْ يَحْجُبُوكَ عَنِ الْوَرَى أَوْ يَحْجُبُوا * فَلَقَى الصَّبَاحَ وَمَشَرَاقَ الْأَقْصَارِ
 أَوْ يَبْلُغُوا عَلَيْكَ حَتَّى يَبْلُغُوا * يَنْبَغِي الزَّوَاهِرِ صُورَةَ الْجَبَّارِ
 مَا أَنْتَ ذِيَاكَ الْبَغِيضُ فَتَنْتَنِي * مُتَسَرِّبًا بِالْعَارِ فَوْقَ الْعَارِ
 لَعِبُوا بِهِ فِي صُورَةٍ قَدْ أَسْفَرَتْ * عَنْ عَزْلِهِ فَأَقَامَ حِلْسَ الدَّارِ

(١) يشير الى قوله صلى الله عليه وسلم : «حفت الجنة بالمكاره» . شبه صورة الإمام في صحف أعدائه وما كتبوه حولها من مستكره المجهوب بالجنة التي حفت بالمكاره . (٢) يقال : تقول عليه الخير، اذا اقترأ . ويمنى : يتلى ويصاب : (٣) أو يحجبوا، أى حتى يحجبوا . وعلق الصباح : ضوءه أول ما يبدو . (٤) الزواهر : النجوم . والجبار : اسم الجوزاء ؛ يقال : «طلع الجبار» وذلك لأنها على صورة ملك متوج على كرمى . (٥) المتسريل : اللابس . (٦) حلس الدار : الذى يلزمها ولا يرحها . ويشير الى أنهم كانوا قد رسموه على صورة تشمر أنه قد عزل من منصب الإفتاء وأقام فى داره . واستعماله «أسفرت» بمعنى «سفرت» ، أى كشفت وأظهرت ، لم يرد فى كتب اللغة التى بين أيدينا ؛ وهو استعمال شائع بين كتاب المعصر . والذى فى كتب اللغة أن «أسفر» بمعنى أضاء وأشرق ؛ وليس مراداً هنا .

تهنئة الخديوى عباس الثانى بعيد الأضحى سنة ١٣٢١ هـ

[نشرت فى ٢٥ فبراير سنة ١٩٠٤ م]

- (١) طُفْ بِالْأَرِيكَهَ ذَاتِ الْعِزِّ وَالشَّانِ * وَأَقِضْ الْمَنَاسِكَ عَنْ قَاصٍ وَعَنْ دَانِي
- (٢) يَا عَيْدُ لَيْتَ الَّذِي أَوْلَاكَ نِعْمَتَهُ * بِقُرْبٍ صَاحِبٍ بِضِيرٍ كَانَتْ أَوْلَانِي
- (٣) صُنْتُ الْقَرِيضَ فَمَا غَادَرْتُ لُؤْلُؤَهُ * فِي تَاجٍ (كَسْرَى) وَلَا فِي عَقْدٍ (بُورَانِ)
- (٤) أَغْرَيْتُ بِالْفَوْصِ أَقْلَامِي فَمَا تَرَكْتُ * فِي بِلْحَةِ الْبَحْرِ مِنْ دُرٍّ وَمَرْجَانِ
- (٥) شَكَا (عُمَانُ) وَضَجَّ الْغَائِصُونَ بِهِ * عَلَى اللَّالِي وَضَجَّ الْحَاسِدُ الشَّانِي
- (٦) كَمْ رَامَ شَأْوِي فَلَمْ يُدْرِكْ سِوَى صَدْفٍ * سَامَحْتُ فِيهِ لِنَظَامٍ وَوَزَانِ
- عَابُوا مُكُوتِي وَلَوْلَاهُ لَمَا نَطَقُوا * وَلَا جَرَتْ خَيْلُهُمْ شَوْطًا بِمِيدَانِ
- (٧) وَالْيَوْمَ أَتَشِدُّهُمْ شِعْرًا يُعِيدُهُمْ * عَهْدَ (النَّوَاسِي) أَوْ أَيَّامَ (حَسَّانِ)

- (١) الأريكة : سرير الملك . وقد شبه فى هذا البيت ما يؤديه المخلصون للخديوى من شعائر الولاء بالذين يؤدون مناسك الحج . ومناسك الحج : أموره وشؤونه ، أو المواضع التى تذبج فيها ذبائحهم .
- (٢) أولاك : أعطاك . (٣) كسرى : لقب ملك الفرس . وبوران ، هى بوران دخت بنت كسرى ؛ أو هى بوران بنت الحسن بن سهل . شبه شعره باللالى التى فى هذا التاج وذلك العقد .
- (٤) أغراه به : حظه عليه . (٥) عمان ، كورة عربية على ساحل بحر اليمن والهند يجلب منها اللؤلؤ . يقول : إن مناص اللؤلؤ بهذا الموضع ومن يفوصون به قد شكوا وتغيظوا من كثرة ما أفاله من اللآلى الغالية التى أرفع بها شعري وأحول بينهم وبينها ؛ وهى مبالغة فى تشبيه شعره بالنفاسة . والشانى بالهمز (وسهل للشعر) : المبعض السئ الخلق . (٦) الشأو : الغاية . ويريد « بالنظام والوزان » : الذين يقولون الشعر خاليا من المعانى ذات القيمة . (٧) يريد « بالنواسى » : أبانواس الشاعر المعروف . وحسان ، هو أبو الوليد حسان بن ثابت الأنصارى شاعر النبي صلى الله عليه وسلم ؛ وكانت وفاته سنة أربع وخمسين هجرية .

- (١) أَزُفَ فِيهِ إِلَى (الْعَبَّاسِ) غَانِيَةً * عَفِيفَةً الْخَذِرِ مِنْ آيَاتِ عَدْنَانِ
 مِنَ الْأَوَانِسِ حَلَّاهَا يَرَاغُ قَتَّى * صَافِي الْقَرِيحَةِ صَاحِجٌ غَيْرِ نَشْوَانِ
 (٢) مَا ضَاقَ أَصْغَرُهُ عَنْ مَدْحِ سَيِّدِهِ * وَلَا اسْتَعَانَ بِمَدْحِ الرَّاحِ وَالْبَانِ
 (٣) وَلَا اسْتَهْلَ بِذِكْرِ الْغَيْدِ مَدْحَتَهُ * فِي مَوْطِنٍ يَجْلَلُ الْمُلُوكَ رَيَّانِ
 أَغْلَيْتَ بِالْعَدْلِ مُلْكًا أَنْتَ حَارِسُهُ * فَاصْبَحْتَ أَرْضَهُ تُشْرَى بِمِيزَانِ
 جَرَى بِهَا الْخَضْبُ حَتَّى أَنْبَتَتْ ذَهَبًا * فَلَيْتَ لِي فِي ثَرَاهَا نَصَفَ قَدَارِ
 نَظَرْتَ لِلنَّيْلِ فَاهْتَرَّتْ جَوَانِبُهُ * وَفَاضَ بِالْخَيْرِ فِي سَهْلٍ وَوِذْيَانِ
 (٤) يَجْرِي عَلَى قَدَرٍ فِي كُلِّ مُنَحَدَرٍ * لَمْ يَخَفْ أَرْضًا وَلَمْ يَعِمِدْ لَطْفِيَانِ
 كَانَهُ وَرِجَالُ الرِّىِّ تَحْرُسُهُ * مُمْلِكٌ سَارَ فِي جُنْدٍ وَأَعْوَانِ
 (٥) قَدْ كَانَ يَشْكُو ضِيَاعًا مَذْجَرَى طُلُقًا * حَتَّى أَقَمَتْ لَهُ نَحْرَانِ أَسْوَانِ
 (٦) كَمْ مِنْ يَدٍ لَكَ فِي الْقَطْرَيْنِ صَالِحَةٍ * فَاضَتْ عَلَيْنَا بِجُودٍ مِنْكَ هَتَانِ

- (١) شبه قصيدته في حسنها وجمالها بالغانية ، وهي الفناة التي غنيت بجمالها عن الخلى . ويريد بقوله : « عفيفة الخدر » : اختصاص مدحته بالخدوي تشبها لها بالغانية التي لم يطرق خدرها غير حليلها . « ومن آيات عدنان » أى أنها عربية صميمية . (٢) أصغره ، أى لسانه . والراح : الخمر . ويريد بقوله : « ولا استعان » الخ . أنه لم يجر على طريقة الشعراء في ابتداء قصائده المديح بوصف الخمر وما إليها . (٣) استهل : ابتداء . والغيد من النساء : النواغم اللينات منهن ، الواحدة غادة . (٤) على قدر ، أى على حساب ومقدار . ويريد بقوله : « ولم يعمد لطفيان » : أنه لم يفرق البلاد بكثرة فيضانه . ويشير بهذا البيت الى ما يقوم به المهندسون في تدبير ماء النيل . (٥) طلقا (بضم الطاء واللام) ، أى مطلقا بلا قيد ولا حبس . (٦) يريد « بالقطرين » : مصر والسودان . وهتان ، أى منصب .

- (١) رَدَدْتَ مَا سَلَبْتَ أَيْدِي الزَّمَانِ لَنَا * وَمَا تَقَلَّصَ مِنْ ظِلِّ وَسُلْطَانِ
(٢) وَمَا قَعَدْتَ عَنِ السُّودَانِ إِذْ قَعَدُوا * لَكِنْ أَمَرْتَ فَلَبَّى الْأَمْرَ جَيْشَانِ
(٣) هَذَا مِنَ الْغَرْبِ قَدْ سَأَلَتْ مَرَاكِبُهُ * وَذَا مِنَ الشَّرْقِ قَدْ أَوْفَى بِطُوفَانِ
وَلَاكَ رَبُّكَ مُلْكًا فِي رِعَايَتِهِ * وَمَدَّهُ لَكَ فِي خِصْبٍ وَعُمُرَانِ
(٤) مِنْ كُرْدَفَانٍ إِلَى مِصْرٍ إِلَى جَبَلٍ * عَلَيْهِ كَلَّمَهُ (مُوسَى بْنُ عِمْرَانَ)
(٥) فَكُنْ بِمُلْكِكَ بَنَاءَ الرِّجَالِ وَلَا * تَجْعَلْ بِنَاءَكَ إِلَّا كُلَّ مِعْوَانِ
وَأَنْظُرْ إِلَى أُمَمٍ لَوْلَاكَ مَا طَلَبَتْ * حَقًّا وَلَا شَعَرَتْ حُبًّا لِأَوْطَانِ
(٦) لَأَذَتْ بِسُدَّتِكَ الْعُلِيَاءَ وَأَعْتَصَمَتْ * وَأَخْلَصَتْ لَكَ فِي سِرٍّ وَإِعْلَانِ
(٧) حَسْبُ الْأَرِيكَ أَنْتَ اللَّهُ شَرَفَهَا * فَأَصْبَحَتْ بِكَ تَسْمُوقُ فَوْقَ كِبْوَانِ
(٨) تَاهَتْ بِعَهْدِ مَلِيكَ فَوْقَ مَفْرِقِهِ * لِمُلْكٍ مِصْرٍ وَلِلْسُّودَانِ تَاجَانِ
هَذَا هُوَ الْمُلْكُ فَلْيَهْنِئْ مُمْلَكَكَ * وَذَا هُوَ الشَّعْرُ فَلْتُنَشِّدْهُ أَرْزَامِي

(١) تقلص، أى تقبض وتقاصر . (٢) يشير بهذا البيت الى إعادة فتح السودان الذى تم

سنة ١٨٩٨ م . ويريد « بالجيشين » : الجيش المصرى والجيش الانجليزى .

(٣) أوفى بطوفان، أى جاء بعدد كثير كطوفان الماء . (٤) كردفان : إقليم من السودان

معروف . ويريد « بالجبل » : جبل الطور الذى كلم الله نبيه موسى بن عمران عليه السلام فوقه .

(٥) يقول : هني لشعبك رجالا تعتد بهم شدة الشدائد ، ولا تعتمد إلا على كل عظيم المعونة منهم .

(٦) سدتك، أى بابك . (٧) كبوان : اسم زجل بالفارسية ؛ وهو ممنوع من الصرف

وإنما أوردته الشاعر هنا مجرورا بالكسر لضرورة القافية . (٨) المفرق (بفتح الراء وكسرها) :

وسط الرأس ، وهو الموضع الذى يفرق فيه الشعر .



وقال أيضا يهني سموه بالعام الهجري :

[نشرت في ١٩ مارس سنة ١٩٠٤]

(١) قَصَرْتُ عَلَيْكَ الْعُمْرَ وَهُوَ قَصِيرٌ * وَغَالَبْتُ فِيكَ الشُّوقَ وَهُوَ قَدِيرٌ
(٢) وَأَنْشَأْتُ فِي صَدْرِي لِحُسْنِكَ دَوْلَةً * لَهَا الْحُبُّ جُنْدٌ وَالْوَلَاءُ سَفِيرٌ
فَوَادَى لَهَا عَرْشٌ وَأَنْتَ مَلِكُهُ * وَدُونَكَ مِنْ تِلْكَ الضُّلُوعِ سُتُورٌ
(٣) وَمَا انْتَقَضَتْ يَوْمًا عَلَيْكَ جَوَانِحِي * وَلَا حَلٌّ فِي قَلْبِي سِوَاكَ أَمِيرٌ
كَنْمَتْ فَقَالُوا: شَاعِرٌ يُنْكِرُ الْهَوَى * وَهَلْ غَيْرُ صَدْرِي بِالْغَرَامِ خَبِيرٌ
(٤) وَلَوْ شِئْتُ أَذْهَلْتُ النُّجُومَ عَنِ السَّرَى * وَعَطَّلْتُ أَفْلَاكًا يَهْنُ تَدُورُ
وَأَشَعَلْتُ جِلْدَ اللَّيْلِ مِنِّي بِزُفْرَةٍ * غَرَامِيَّةٍ مِنْهَا الشَّرَارُ يَطِيرُ
(٥) وَلَكِنِّي أَخَفَيْتُ مَا بِي وَإِنَّمَا * لِكُلِّ غَرَامٍ عَاذِلٌ وَعَازِرٌ
أَرَى الْحُسْبَ ذُلًّا وَالشُّكَايَةَ ذِلَّةً * وَإِنِّي بَسْتِرِ الدَّلَّتَيْنِ جَدِيرٌ
(٦) وَلِي فِي الْهَوَى شِعْرَانِ: شِعْرُ أَذِيعِهِ * وَآخَرُ فِي طَيِّ الْفُؤَادِ سَتِيرٌ
(٧) وَلَوْلَا بِلْجَاجُ الْحَاسِدِينَ لَمَا بَدَأَ * لِمَكْنُونٍ سِرِّي فِي الْغَرَامِ ضَمِيرٌ

- (١) قصرت عليك العمر، أي حبسته على حبك . (٢) الولاء، (بفتح الواو) : الإخلاص .
(٣) انتقضت، أي فسدت، كما تنتقض الإمارات على أمرائها، أي تخرج عليهم وتنتهي عنها الطاعة .
(٤) السرى : السير بالليل . يقول : إنني لو شئت بثنت من اللوعة وحرارة الوجد ما يذهل النجوم
عن سيرها ، ويعطل الأفلاك عن دررائها، فتصغي لبني، وترقي لوجدى . (٥) العذير : العاذر
والنصير أيضا . (٦) ستير، أي مستور، فعيل بمعنى مفعول . (٧) اللجاجة : التنادي في العناد
والخصومة . يقول : لولا عناد ذري الحسد والبغضاء، لما بدأ ما أكتمه من غرامي وشوقي ما يشعر الناس بهما .

(١) ولا شرعت هذا اليراع أناملي * لشكوى ولكن الجراح يُشيرُ
 (٢) على أني لا أركب اليأس مرّجاً * ولا أكبر البأساء حين تُفسرُ
 (٣) فكّم حاد غنى الحين والسيف مُصلّت * وهان على الأمر وهو عسيرُ
 وكم لَمعة في غفلة الدهر نَفست * هُوما لها بين الضلوع سَيعرُ
 فقد يشفى الصب السقيم بزورة * ويَجو بلفظ عاثر وأسيرُ
 عسى ذلك العام الجديد يُسرني * بشرى وهل للبائسين بشيرُ
 (٤) ويتظّر لي رب الأريكة نظرة * بها يتجلى ليل الآسى ويُشيرُ
 (٥) مليك إذا غنى اليراع بمذحه * مرّت بالمعالي هزة وسرورُ
 (٦) أمولاي إن الشرق قد لاح نجمه * وأن له بعد الممات نُشورُ
 (٧) تفاعل خيراً إذ رآك مُملّكا * وفوقك من نور المهيمن نُورُ
 (٨) مضى زمن والغرب يسطو بجوله * على ومالي في الأنام ظهيرُ

- (١) يقال : شرع الريح ، إذا سَدَّده وصَوَّبَه . شبه القلم بالريح في ذلك . ويشير : يهيج .
- (٢) « لا أكبر البأساء » إلخ ، أي لا أستعظم الشدة إذا نزلت بي ، بل أستبين بها وأصبر على مضضها .
- (٣) الحين (بفتح الحاء) : الهلاك . والسيف المصلت : المجزّد من غمده . (٤) رب الأريكة هو خديوي مصر . والأريكة : العرش ؛ وأصل معناها السرير المنجد المزين في قبة أو بيت .
- (٥) الهزة (بكسر الهاء) : الأريحية والخفة . (٦) النشور : البعث . (٧) التفاعل : من القال (يسكون الهزة) ، وهو ضد التطير ، فهو فيما يستحب ، أما التطير ، فهو فيما يسوء .
- (٨) هذا البيت والذي بعده على لسان الشرق المتقدم ذكره . ويسطو : يهدو . والحول : القوة . والظهير : المعين والنصير .

إلى أن أتاح الله للصقر نهضة * فقلت غرّار الخطيب وهو طير^(١)
جرت أمة اليابان شوطاً إلى العلا * ومضراً على آثارها متسير^(٢)
ولا يمنع المصيرى إدراك شأوها * وأنت لطلاب العلا نصير^(٣)
فقف موقف (الفاروق) وانظر لأمة * إليك بجبات القلوب ثبير^(٤)
ولا تستشر غير العزيمية في العلا * فليس سولها ناصح ومشير^(٥)
فعرشك محروس وربك حارس * وأنت على ملك القلوب أمير^(٦)

تهنئة الى رفعت بك بوكالته لمصلحة السجون

أهنيك أم أشكو فراقك قائلاً * أيا ليتني كنت السجين المصفاً^(٥)
فلو كنت في عهد (ابن يعقوب) لم يقل * لصاحبه : أذكرك ولا تنسني غداً^(٦)

- (١) كنى « بالصقر » عن الشرق . وقل السيف : تلم حده . والفرار : الحد . والطير : المحدث . يقال : طر السيف ونحوه يطره (من باب نصر) طرا وطرورا ، أى حده .
- (٢) الضمير في « شأوها » لأمة اليابان السابق ذكرها . والشاؤ : الغاية .
- (٣) الفاروق : أمير المؤمنين عمر بن الخطاب . (٤) يقول : إذا حاولت أمراً تكون غايته المحجد والعلا فافعله ، ولا تستشر غير عزمك الوثاب ، وعزمك البعيدة الغاية .
- (٥) المصفا : المقيد . (٦) يريد بهذا البيت : أن السجناء يمتنون بقاءهم في السجن لحسن أخلاقه وجميل عثرته ، فلو تولى السجن في عهد يوسف عليه السلام لأثر البقاء بجانبه في السجن ولم يقل لصاحبه الذى نجا : (اذكرنى عند ربك) كما حكى الله تعالى ذلك في القرآن في سورة يوسف .

مدحة كتب بها الى محمد بك هلال^(١)

^(٢) هَجَمْتُ يَا طَيْرٌ وَلَمْ أَهْجِجْ * مَا أَنْتَ إِلَّا عَاشِقٌ مُدَّعِي

^(٣) لَوْ كُنْتَ تَمَنَّيَ يَعْرِفُونَ الْجَوَى * قَضَيْتَ هَذَا اللَّيْلَ سَهْدًا مَعِي

^(٤) يَا مَنْ تَحَامَيْتُمْ سَبِيلَ الْهَوَى * أَعْيَدْتُكُمْ مِنْ قَلْقِ الْمَضْجَعِ

^(٥) وَحَسْرَةً فِي النَّفْسِ لَوْ قُسِّمَتْ * عَلَى ذَوَاتِ الطُّوقِ لَمْ تَسْجَعِ

وَيَا بَنِي الشُّوقِ وَأَهْلَ الْأَمَى * وَمَنْ قَضَوْا فِي هَذِهِ الْأَرْبَعِ

^(٦) عَلَيْكُمْ مِنْ وَاجِدٍ مُغْرِمٍ * تَحِيَّةُ الْمُوجَعِ لِلُّوجَعِ

لِلَّهِ مَا أَقْسَى فُؤَادَ الدُّجَى * عَلَى فُؤَادِ الْعَاشِقِ الْمُوَلِّعِ

^(٧) هَذَا غَلِظٌ لَمْ يَرْضَهُ الْهَوَى * مَا يَنْبَغِي جَنِّي أَسْوَدَ أَسْفَعِ

^(٨) وَذَاكَ فِي جَنَنِي فَتَى مُدَنِّفٍ * عَلَى سَوَى الرِّقَةِ لَمْ يُطْبَعِ

(١) هو ابن ابراهيم بك هلال؛ وكان — رحمه الله — شاعرا مجيدا وكاتبًا فاضلا، قد اشتغل

بالصحافة زمنا غير قصير، وكانت له صحيفة أممها «التواب»، كما كان واسع العلم بأخبار ما حدث في البلاد في نصف القرن الأخير. وتوفي رحمه الله في ليلة الأحد ١١ ديسمبر سنة ١٩٣٢ م.

(٢) الهجوع: النوم بالليل. (٣) الجوى: الحرة وشدة الوجد من عشق أو حزن.

(٤) تحامى الشيء: تجنبه وبعد عنه. (٥) ذوات الطوق: الحائم؛ والطوق، هو اليأس

المحيط بأعناقها. وتسجع: تهدر وتردد أصواتها. (٦) الواجد: ذو الوجد.

(٧) يشير بقوله: «هذا» إلى «فؤاد الدجى» السابق ذكره. وراضه يروضه: ذلله. والأسفع:

الشديد السواد؛ يريد الليل. (٨) يشير بقوله: «ذاك» إلى فؤاد العاشق «السابق ذكره».

والمدنف: الذي أثقله المرض المشرف على الموت.

(١) وَأَغْيِدِ أَسَكَّتَهُ فِي الْحَشَا * وَقُلْتُ : يَا نَفْسُ بِهِ فَاغْنِي
نِفَارَهُ أَسْرَعُ مِنْ خَاطِرِي * وَصَدُّهُ أَقْرَبُ مِنْ مَذْمِي
(٢) وَخَذُّهُ لَا تَطْفِي نَارَهُ * كَأَنَّمَا يَقْبِسُ مِنْ أَضْلِي
تَسَاءَلْتُ عَنِّي نُجُومُ الدُّجَى * لَمَّا رَأَيْتَنِي دَانِيَ الْمَصْرِعِ
قَالَتْ : نَرَى فِي الْأَرْضِ ذَا لَوْعَةٍ * قَدْ بَاتَ بَيْنَ الْيَاسِ وَالْمَطْمَعِ
(٣) يَنْتُ كَالْمَقْشُودِ أَوْ كَالَّذِي * أَصَابَهُ سَهْمٌ وَلَمْ يُتْرَعِ
إِنْ كَانَ فِي بَدْرِ الدُّجَى هَائِمًا * أَمَّا هَذَا الْبَدْرِ مِنْ مَطْلَعِ؟
أَوْ كَانَ فِي ظِلِّي الْهَمَى مُغْرَمًا * أَمَّا هَذَا الظِّلُّ مِنْ مَرْتَعِ؟
(٤) هَيْهَاتَ يَا أَتَجُمُّ أَنْ تَعْلَمِي * مُشِيرَ أَشْجَانِي أَوْ تَطْمَعِي
(٥) إِنِّي لَضَنَانٌ يَذْكُرُ أَسْمِي * ضَنِّي بُوَدَّ الْكَاتِبِ الْأَلْمِي
(٦) الضَّارِبِ الْحَزِيَّةَ مِنْذُ أَنْشَى * عَلَى يَرَاعِ الشَّاعِرِ الْمُبْدِعِ

(١) الأغيد : المائل العتق ، اللين الأعطاف ، المتنتى لنا ، والأثى : غداء .

(٢) قبس النار وأقتبسها : أخذ منها قبسا (بالتحريك) ، أى شعلة .

(٣) المقشود : المصاب بفؤاده .

(٤) أو تطمعي ، أى تطمعي في علم ذلك .

(٥) الضنن : الشديد الضر ، وهو البخل . والألمى : الذكي المتوقد ذكاً .

(٦) الجزية : ما يفرض من الضرائب على الروس . ومعنى البيت أن هذا المدوح قد فرض منذ نشأته

على المبدعين من الشعراء أن يوردوا إليه من المدح والثناء جزاء بما أسدى إليهم من النعم والآلاء . ولم نجد في راجعناه من كتب اللغة « انشى » بمعنى نشأ ، كما هو المراد في هذا البيت .

- (١) والْحَامِلِ الْأَقْلَامِ مَشْرُوعَةً * كَأَنَّهَا بَعْضُ الْقَنَائِشِ الشَّرِيعِ
 (٢) إِذَا دَعَا الْقَوْلُ أَتَى طَائِعًا * وَإِنْ دَعَاهُ الْعِيُّ لَمْ يَسْمَعْ
 (٣) صَحْبُهُ دَهْرًا فَالْقَيْتُهُ * قَتَّى كَرِيمَ الْأَصْلِ وَالْمَنْزَعِ
 (٤) مَوَدَّةً كَأَنَّهَا لَمْ تَقُتْ * جَادَتْ وَفَضَّلُ بِاسْمِ الْمَشْرِعِ
 (٥) وَعَزَمَةً لَوْ قُسِمَتْ فِي الْوَرَى * بَاتُوا مِنَ الشَّعْرِى عَلَى مَسْمَعِ

تهنئة (على حيدر بك) بعيد الأضحي

وكان مديرا لبني سويف إذ ذاك

لِلَّهِ عِيدٌ كَبِيرٌ * يَزْهَوُ بِنُورِ جَبِينِكَ
 (٦) لَمْ تَقْتَبِلْهُ الْبَرَايَا * إِلَّا لِلَّهِ يَمِينِكَ

- (١) المشروعة : المسددة نحو الغرض . والقنا : الرماح ، الواحدة قناة . والشرع ، بمعنى المشروعة .
 (٢) العي (بالكسر) : الحصر والعجز عن اليان . (٣) المنزع : الأصل الذى ينزع إليه
 أى يجذب ويميل ؛ ويقال : «نزع فلان الى عرق كريم» ، «ونزع الى أبيه» ، أى مال إليه وأشبهه .
 (٤) انجر المعلقة (بتشديد التاء) : القديمة . والمشرع : المورد الذى يستقى منه . (٥) الشعري :
 كوكب نير يطلع بعد الجوزاء . ومعنى البيت : أن عزيمته لو وزعت على الناس لسموا الى منزلة الشعري .
 وبلاحظ أن آخر هذه القصيدة مفقود ؛ ولم يتيسر لنا العثور عليه ، فأثبتناها على نقصها .
 (٦) اقتبل الأمر : استقبله .

تهنئة سليمان أباطة باشا^(١)

بإبلاله من مرض ألم به ، وبعرس نجله (على بك)

تَرَأَى لَكَ الْإِقْبَالَ حَتَّى شَهِدْنَاهُ * وَدَانَ لَكَ الْمِقْدَارُ حَتَّى أَمِنَاهُ^(٢)
 (سُلَيْمَانُ) ذَكَرْتَ الزَّمَانَ وَأَهْلَهُ * بَعِزَّ (سُلَيْمَانَ) وَإِقْبَالَ دُنْيَاهُ^(٣)
 إِذَا مَرَّتْ يَوْمًا حَذَرَ النَّمْلِ بَعْضُهُ * خِشَاةَ جَيْشٍ مِنْ مَوَالِيكَ يَغْشَاهُ^(٤)
 وَإِنْ كُنْتَ فِي رَوْضٍ تَغَنَّتْ طُيُورُهُ * وَصَاحَتْ عَلَى الْأَفْنَانِ : يَحْرُسُكَ اللَّهُ^(٥)
 وَكَانَ (أَبْنُ دَاوُدَ) لَهُ الرَّيْحُ خَادِمٌ * وَتَحْدُمُكَ الْأَيَّامُ وَالسَّعْدُ وَالْجَاهُ
 تَحُلُّ بِمِثِّهِ التَّجْدُ أَلْقَى رِحَالَهُ * "فَطَاهِرَةٌ" وَالْبَيْتُ وَالْقُدْسُ أَشْبَاهُ^(٦)
 لَيْسَتْ الشَّفَا ثَوْبًا جَدِيدًا مُبَارَكًا * فَالْبَسْتَنَا ثَوْبًا مِنْ أَلِيزُ نَرْضَاهُ
 وَكَانَ عَلَيْكَ الدَّهْرُ يَحْفِقُ قَلْبُهُ * فَلَمَّا شَفَاكَ اللَّهُ أَهْدَاتِ أَحْشَاهُ
 وَهَنًا جَدِيدَاهُ الزَّمَانَ وَأَصْبَحَتْ * تَسْوِقُ لَنَا الْأَيَّامُ مَا تَتَنَاهُ^(٧)

(١) سليمان أباطة باشا ، هو ابن حسن أباطة ، وكان مولده في نحو سنة ١٨٣٤م ، وتولى عدة مناصب في الحكومة المصرية ، وآخر منصب تولاه نظارة المعارف في عهد المغفور له توفيق باشا الخديوي عقب الثورة العرابية ، وكانت وفاته في سنة ١٨٩٧م . (٢) تَرَأَى لَكَ : تصدَّى لك لراه . «ودان» : خضع . والمقدار : القدر بالتحريك . بالغ في تصوير الإقبال حتى جعله شيئاً يرى . (٣) يريد بسليمان الثاني نبي الله سليمان بن داود ، عليهما السلام . (٤) يشير بهذا البيت الى ما حكاه الله تعالى عن النمل حين رأى نبي الله سليمان مقبلاً بجنوده ، إذ قال تعالى في سورة النمل : (حتى إذا أتوا على وادى النمل قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون) . والموالى العبد ، الواحد مولى . (٥) الأفنان : الأغصان ، الواحد فنن (بالتحريك) . (٦) ألقى رحاله : أقام . وطاهرة : بلد باقليم الشرقية من أعمال مركز الزقازيق ، وهو بلد المذوح . ويريد «بالبيت» : الكعبة . (٧) الجديدان : الليل والنهار . ولا يفردان ، فلا يقال : الجديد لواحد منهما .

(١)
وَبَاتَ بَنُوكَ الْغُرُّ مَا بَيْنَ رَافِلٍ * بِحُسْلَةٍ يُمْنٍ أَوْ شَكُورٍ لَمَوْلَاهُ
(سُلَيْمَانُ) دُمَ مَا دَامَتِ الشُّهْبُ فِي الدَّجَى * وَمَا دَامَ يَسِيرِي ذَلِكَ الْبَدْرُ مَسْرَاهُ
وَكُنْ (لَعَلَّ) بَهْجَةَ الْعُرْسِ إِنَّهُ * بِمِزَّكَ فِي الْأَفْرَاجِ ثَمَّتْ مَزَايَاهُ
وَلَا تَنْسَ مَنْ أُمْسَى يُقَلِّبُ طَرْفَهُ * فَلَمْ تَرَ إِلَّا أَنْتَ فِي النَّاسِ عَيْنَاهُ

(٢) فكتور هوغو

[نشرت سنة ١٩٠٧ م]

أَعْجَمِي كَادَ يَعْزُو نَجْمُهُ * فِي سَمَاءِ الشَّعْرِ نَجْمَ الْعَرَبِي
(٣)
صَنَافِعَ الْعَلْيَاءِ فِيهَا وَالتَّقَى * «بِالْمَعْرَى» فَوْقَ هَامِ الشُّهْبِ
(٤)
مَا تُغَوِّرُ الزَّهْرَ فِي أَكْثَامِهَا * ضَائِعَاتٍ مِنْ بُكَاءِ السُّحْبِ
(٥)
نَظَّمَ الْوَسْمِيَّ فِيهَا لَوْلَا * كَثَايَا الْغَيْدِ أَوْ كَالْحَبِيبِ

- (١) الفر: جمع أغر، وهو السبد الشريف الكريم الأفعال. ورقل في ثوبه: جر ذيله وتجنّز. واليمن: البركة. (٢) هو الشاعر الفرنسي المعروف؛ ولد سنة ١٨٠٢ م، وكانت وفاته بباريس سنة ١٨٨٥ م. ومن كتبه: كتاب البؤساء الذي نقله إلى العربية المرحوم حافظ بك. وفي هذه القصيدة يشير حافظ إلى نفي فكتور بأمر لويس بوناپرت في سنة ١٨٥١ م إلى خصوبة فريجنه في منفاه، وكثرة ما وضع من المؤلفات. (٣) الهام: الروس، الواحدة هامة. وقد قارنه بأبي العلاء المعري لأبنت كليها شاعر فيلسوف. (٤) الأكام: جمع كم، وهو غطاء الزهر؛ وكنى بضلعك الأزهار عن تفتحها. ويريد «بكاء السحب»: مطرها. (٥) الوسمي: المطراول الربيع. والثنايا: الأسنان الواحدة ثنية (بفتح الثاء وتشديد الياء). والغيد: جمع غيداء، وهي المرأة المتتفة لنا.

- (١) عند مَنْ يَقْضِي بِأَبْهَى مَنَظَرًا * مِنْ مَعَانِيهِ الَّتِي تَلْعَبُ بِي
بَسَمَتْ لِلدَّهْنِ فَاسْتَهَوَتْ نُهَى * مُغْرَمَ الْفَضْلِ وَصَبَّ الْأَدَبِ
(٢) وَجَلَّتْهَا حِكْمَةً بِالْفَنَةِ * أُعْجَزَتْ أَطْوَاقَ أَهْلِ الْمَغْرِبِ
(٣) سَائِلُوا الطَّيْرَ إِذَا مَا هَاجَمُ * شَدَّوْهَا بَيْنَ الْهَوَى وَالطَّرِبِ
(٤) هَلْ تَغْنَّتْ أَوْ أَرَنْتَ بِسَوَى * (شِعْرِ هُوغُو) بَعْدَ عَهْدِ الْعَرَبِ
(٥) كَانَ مَرَّ النَّفْسِ أَوْ تَرْضَى الْعَلَا * تَظَلُّمًا الْأَفْلَاكُ إِنْ لَمْ يَشْرَبِ
(٦) عَافَ فِي مَنَافَاهُ أَنْ يَدْنُو بِهِ * عَفْوُ ذَاكَ الْقَاهِرِ الْمُغْتَصِبِ
(٧) بَشَّرُوهُ بِالتَّدَانِي وَنُسُوا * أَنَّهُ ذَاكَ الْعِصَامِيُّ الْأَبِي
(٨) كَتَبَ الْمُنَى سَطْرًا لِلَّذِي * جَاءَهُ بِالْعَفْوِ فَاقْرَأْ وَاعْجَبِ
أَبْرَى عَنْهُ يَعْفُو مُذْنِبٌ ؟ * كَيْفَ تُسَيِّدِي الْعَفْوَكَفَّ الْمُدْنِبِ ؟
(٩) جَاءَ وَالْأَحْلَامُ فِي أَصْفَادِهَا * مَالَهَا فِي يَجْنِيهَا مِنْ مَذْهَبِ

- (١) يقضى : يحكم . وأبهى منظرا : خير «لما» في قوله السابق : «ما تغور» الخ .
(٢) جللتها : صقلتها . والأطواق : جمع طوق ، وهو الطائفة والجهد . (٣) شدوها :
تفريدها وترنمها . (٤) أرنت : صاح . (٥) مر النفس : شديد المراس .
(٦) يشير إلى نفي فكتور سنة ١٨٥١ إلى بروكسل حين اشترك في الحرب ضد لويس بوناپرت ، وقد بقي
بعيدا عن وطنه ثمانى عشرة سنة ، وقد أقسم ألا يعود إلى أرض فرنسا ما دام الامبراطور على العرش ، ولقد برز
بقسمه ، فلم يعد إليها إلا بعد سقوط الامبراطور سنة ١٨٧٠ م . ويريد «بالقاهر المغتصب» : لويس بوناپرت
السابق ذكره . (٧) العصامي : الذى ساد بنفسه ، نسبة إلى عصام المذكور في قول الشاعر :
* نفس عصام سودت عصاما *
(٨) المنى : فكتور هوجو . (٩) الأحلام : العقول ، الواحد حلم (بالكسر) .
والأصفا : القيود ، الواحد صفا (بالتحريك) .

(١) طَبَعَ الظُّلُمُ عَلَى أَقْفَالِهَا * يَلْظَاهُ خَاتَمًا مِنْ رَهَبٍ
 (٢) أَمَنَّ التَّقْلِيدُ فِيهَا فَغَدَتْ * لَا تَرَى إِلَّا بَيْنَ الصُّكُوبِ
 أَمَرَ التَّقْلِيدُ فِيهَا وَنَهَى * يُجْوِشُ مِنْ ظُلَامِ الْحُجُبِ
 (٣) جَاءَهَا (هُجُوجُ) بَعْزِمِ دُونَهُ * عِزَّةُ التَّاجِ وَزَهْوُ الْمَوَكِبِ
 (٤) وَانْبَرَى يَصْدَعُ مِنْ أَغْلَالِهَا * بِالْيَرَّاعِ الْحُرِّ لَا بِالْقُضْبِ
 (٥) هَالَهُ إِلَّا يَرَاهَا حُرَّةً * تَمْتَطِي فِي الْبَحْثِ مَتْنِ الْكَوَكِبِ
 سَاءَ إِلَّا يَرَى فِي قَوْمِهِ * سِيرَةَ الْإِسْلَامِ فِي عَهْدِ النَّبِيِّ
 (٦) قُلْتَ عَنْ نَفْسِكَ قَوْلًا صَادِقًا * لَمْ تَشْبِهْ شَائِبَاتُ الْكَذِبِ :
 أَنَا كَالنَّجْمِ يَبْرُ وَثَرِي * فَاطْرَحُوا ثُرِّي وَصُونُوا ذَهَبِي

تهنئة سمو الخديوي عباس الثاني بعيد الأضحى^(٧)

(١٣٢٥ هـ - ١٩٠٨ م)

سَكَنَ الظُّلَامُ وَبَاتَ قَلْبُكَ يَخْفِقُ * وَسَطًا عَلَى جَنَّتِكَ هَمٌّ مُقْلِقُ
 (٨) حَارَ الْفِرَاشُ وَحَرَّتْ فِيهِ فَأَنْثَا * تَحْتَ الظُّلَامِ مُعَذِّبٌ وَمُورِقُ

(١) اللقى : النار . (٢) أمن : بالغ . (٣) الزهو : الاختيال . (٤) يصدع : يكسر ويحطم . والأغلال : السلاسل ، الواحد غل (بضم الغين وتشديد اللام) . والقضب : السيوف ، الواحد قضيب . (٥) المتن : الظهر . (٦) لم تشبه : لم تحالطه . (٧) في هذه القصيدة يشكر سمو الخديوي على عفوه عن مسجونى دنشواي . وهو يجارى بهذه القصيدة قصيدة اسماعيل صبرى باشا التي مطلعها :
 لو أن أطلال المنازل تنطق * ما ارتد حران الجوانح شئش
 (٨) المورق : المسهد الذي ذهب عنه النوم .

(١) دَرَجَ الزَّمَانُ وَأَنْتَ مَفْتُونُ الْمُنَى * وَمَضَى الشَّبَابُ وَأَنْتَ سَاهٍ مُطَرِّقُ
عَجَبًا يَلِدُ لَكَ السُّكُوتُ مَعَ أَهْوَى * وَمِثْلُكَ يَبْعَثُهُ الْغَرَامُ فَيَنْطِقُ
(٢) خَلَقَ الْغَرَامُ لِأَصْغَرِيكَ وَطَالَمَا * ظَنُّوا الظُّنُونِ بِأَصْغَرِيكَ وَأَغْرَقُوا
وَرَمَوْكَ بِالسُّلُوبِ وَلَوْ شَهِدُوا الَّذِي * تَطْوِيهِ فِي تِلْكَ الضُّلُوعِ لِأَشْفَقُوا
(٣) أَخْفَيْتَ أَسْرَارَ الْفُؤَادِ وَإِنَّمَا * سِرُّ الْفُؤَادِ مِنَ النَّوَاطِرِ يُسْرِقُ
(٤) نَفْسَ بَرِّكَ عَنْ فُؤَادِكَ كَرْبُهُ * وَأَرْحَمَ حَشَاكَ فَإِنَّهَا تَمَزَّقُ
وَإِذْ كُنَّا لَنَا عَهْدَ الَّذِينَ بَيْنَاهُمْ * جَمَعُوا عَلَيْكَ هُمُومَهُمْ وَتَفَرَّقُوا
(٥) مَا لِلْقَوَائِي أَنْكَرَتِكَ وَلَمْ تُكُنْ * لِكِسَادِهَا فِي غَيْرِ سُوقِكَ تَتَفَقَّ
(٦) مَا لِلْبَيَانِ بَغْيٌ بِإِيكَ وَاقِفًا * يَبْكِي وَيُعْجِلُهُ الْبُكَاءُ فَيَشْرِقُ
(٧) إِنِّي كَهَمِّكَ فِي الصَّبَابَةِ لَمْ أَزَلْ * أَلْهُو وَأَرْجُلُ الْقَرِيضَ وَأَعْشَقُ
نَفْسِي بِرَغَمِ الْحَادِثَاتِ فِتْنَةً * عُوْدِي عَلَى رَغَمِ الْكَوَارِثِ مُورِقُ
(٨) إِنْ الَّذِي أَغْرَى الشُّهَادَ بِمُقَلَّتِي * مُتَعَتُّ قَلْبِي بِهِ مُتَعَلِّقُ
(٩) وَاتَّقُهُ أَلَا أَبُوحَ وَإِنَّمَا * يَوْمَ الْحِسَابِ يُحَلُّ ذَاكَ الْمَوْثِقُ

- (١) درج : ذهب ومضى ، ومفتون المني ، أى طامع فيما لا ينال . (٢) الأصفران :
القلب واللسان . وأغرقوا : بالنوا وأفرطوا . (٣) يقول : إن ما يكتنه الفؤاد تبديه العين .
(٤) نفس : فرج وخفف . (٥) تنفق : تروج . (٦) يشرق : ينفص .
(٧) الهم : العزم والقصد . (٨) أغراه به : أوله به وحضه عليه .
(٩) راققه : عاهده . يريد أن سرجه سيظل مكتوما الى يوم القيامة .

وَشَقِيتُ مِنْهُ بِقُرْبِهِ وَيَعَادِهِ * وَأَخُو الشَّقَاءِ إِلَى الشَّقَاءِ مُوَفَّقٌ
 صَاحِبْتُ أَسْبَابَ الرِّضَا لِرُكُوبِهِ * مَتْنُ الْخِلَافِ لِمَا بِهِ ^(١) ائْتَلَقُ
 وَصَبَرْتُ مِنْهُ عَلَى الَّذِي يَبْعَا بِهِ * حِلْمُ الْحَلِيمِ وَيَتَّقِيهِ الْأَحْمَقُ ^(٢)
 أَصْبَحْتُ كَالْدَهْرِيِّ أَعْبُدُ شَعْرَهُ * وَجَيْنَهُ وَأَنَا الشَّرِيفُ الْمُعْرِقُ ^(٣)
 وَغَدَوْتُ أَنْظِمُ مِنْ ثَنَائِهِ نَغْرَهُ * دُرًّا أَقْلَدُهَا الْمَهَا وَأَطُوقُ ^(٤)
 (صَبْرِي) أَسْتَرْتُ دَفَائِنِي وَهَزَزْتَنِي * وَأَرَيْتَنِي الْإِبْدَاعَ كَيْفَ يَنْسُقُ ^(٥)
 فَأَجَمْتُ لِي شَكْوَى الْهَوَى وَسَبَقْتَنِي * فِي مَذِجِ (عَبَّاسٍ) وَمِثْلِكَ يَسْبِقُ
 قَالَ الرَّئِيسُ فَمَا لِقَوْلٍ بَعْدَهُ * بَاعُ تَطُولُ وَلَا لَمَذِجُ رَوِّقُ ^(٦)
 (شَوْقِي) نَسَبْتُ فَمَا مَلَكَتْ مَدَامِي * مِنْ أَنْ يَسِيلَ بِهَا النَّسِيبُ الشَّقِيقُ ^(٧)

- (١) المتن : الظهر . وركوبه متن الخلاف : كناية عن المغاضبة والشقاق . يقول : إني وإياه
 لمتخالفان ، أنا ملازم فعل ما يرضيه ، وهو دائب على أن يخالف ما في طبعي وأخلاق . (٢) يعا به :
 بعجزه . (٣) الدهري : الملحد الذي ينكر الإله وينسب الفعل إلى الدهر . ونخص الشاعر
 الشعر والجين بالذكر لما في الأول من سواد يشبه ظلمة الليل ، وما في الثاني من تألق يشبه بياض النهار ؛
 وليس الدهر إلا الليل والنهار . وهو في البيت يعجب من جمعه بين شبه متباينين : إلحاد في العقيدة ، وشرف
 في النسب . والمعرق (بفتح الراء وكسرهما) : الذي له أصل في الكرم . (٤) المهما : البقر الوحشي ،
 يريد النساء التي تشبهها في جمال العيون ، الواحدة مهامة . (٥) استثار : هيج . ويريد « بالدقائق » :
 ما يضره القلب من الشجون ، الواحدة دققة . ويشير بذلك إلى قصيدة صبري التي أوردنا مطلعها في سابق .
 (٦) يريد « بالرئيس » : اسماعيل صبري باشا . وطول الباع : كناية عن اتساع المقدرة وقوة
 الاستطاعة . (٧) يريد أحمد شوقي بك الشاعر . والنسيب : التشبيب بالنساء وذكر محاسنهن .
 ويريد « بالشقيق » : الشائق ؛ والذي وجدناه في كتب اللغة أن « الشقيق » بمعنى المشتاق ؛ وليس مرادنا
 هنا . ويشير بهذا البيت إلى قصيدة شوقي في هذا العيد ، والتي جاري فيها صبري ، ومطلعها :
 أما العناب فبالأحبة أخلق * والحب يصلح بالعناب ويصدق

(١) أَتَجَزَّتْ أَطْوَاقَ الْأَنَامِ بِمَدْحَةٍ • سَجَدَ الْبَيَانُ لَرَبِّهَا وَالْمَنْطِقُ
 لَمْ تَتْرُكْ لِي فِي الْمَدَائِحِ فَضْلَةً • يَجْرِي بِهَا قَلَمِي الضَّعِيفُ وَيَلْحَقُ
 نَفْسِي عَلَى شَوْقٍ لِمَدْحِ أَمِيرِهَا • وَيَرَاعَتِي بَيْنَ الْأُنَامِلِ أَشْوَقُ
 مَاذَا أَقُولُ وَأَتَمْنَى فِي مَدْحِهِ • بَحْرَانِ بَاتَ كِلَاهُمَا بِتَدَقُّقِ
 الْعَجْزُ أَقْعَدَنِي وَإِنَّ عَزَائِمِي • لَوْلَا كُنَّا فَوْقَ السَّمَاءِ تُحَلَّقُ
 فَلَيْهِنِي الْعَبَّاسُ أَنْ بَكَّفَهُ • عَالَمَيْنِ هَزَّهُمَا الْوَلَاءُ الْمَطْلَقُ
 وَلَيْسَقَ ذُنُورًا لِلْبِلَادِ وَأَهْلِهَا • يَعْقُو وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ وَيَعْتِقُ
 (عَبَّاسُ) وَالْعِيدُ الْكَبِيرُ كِلَاهُمَا • مَتَالِقُ بِإِزَائِيهِ مُتَالِقُ
 هَذَا لَهُ تَجْرِي الدَّمَاءُ وَذَا لَهُ • تَجْرِي الْقَرَائِحُ بِالْمَدِيحِ وَتُعْنِقُ
 صَدَقَ الَّذِي قَدْ قَالَ فِيهِ وَحَسْبُهُ • أَنْ الزَّمَانُ لِيَا يَقُولُ مُصَدِّقُ
 (لَكَ مِصْرُ مَاضِيهَا وَحَاضِرُهَا مَعًا • وَلَكَ الْغَدُ الْمُتَحَسِّمُ الْمُتَحَقِّقُ)

- (١) الأطواق : جمع طوق ، وهو الوسع والطاقة .
 (٢) البراعة : القلم .
 (٣) السماء : أحد مجيئين نيرين يقال لأحدهما : السماء الراح ، وللآخر : السماء الأعزل .
 (٤) يريد « بالعالمين » : صبرى وشوقى السابق ذكرهما .
 (٥) هذا ، أى العيد الكبير . ويشير بقوله « تجرى الدماء » : إلى دماء الأضاحى . وذا ، أى
 العباس . وتعنى : تسرع .
 (٦) هذا البيت من قصيدة صبرى فى هذا العيد ، والى أشارنا إلى مطلعها فيما سبق .

تهنئة السلطان عبد الحميد ^(١) بعيد جلوسه

[نشرت في أول سبتمبر سنة ١٩٠٨ م]

(٢)

أَتَى الْحَجِيجُ عَلَيْكَ وَالْحَرَمَيْنِ * وَأَجَلَ عِيدَ جُلُوسِكَ الثَّقَلَيْنِ

أَرْضَيْتَ رَبَّكَ إِذْ جَعَلْتَ طَرِيقَهُ * أَمْنًا وَفُزْتَ بِنِعْمَةِ الرِّضْوَانِ

وَجَمَعْتَ بِالْأُسْتُورِ حَوْلَكَ أُمَّةً * شَتَّى الْمَذَاهِبِ جَمَّةَ الْأَضْغَانِ

(٣)

فَعَدَوْتَ تَسْكُنُ فِي الْقُلُوبِ وَتَرْتَعِي * حَبَاتِهَا وَتَحُلُّ فِي الْوُجْدَانِ

رَاعَيْتَهُمْ حَتَّى عَلِمْتَ بِأَنَّهُمْ * بَلَّغُوا أَشَدَّهُمْ عَلَى الْأَزْمَانِ

بَفَعَلْتَ أَمْرَ النَّاسِ سُورَى بَيْنَهُمْ * وَأَقَمْتَ شَرْعَ الْوَاحِدِ الدِّينِ

لَوْ أَنَّهُمْ وَزَنُوا الْجُيُوشَ بِمَشْهَدِ * رَجَحْتَ بِجَيْشِكَ كِفَّةَ الْمِيزَانِ

(٤)

لَوْ شَاءَ زَلَزَلَهَا عَلَى أَعْدَائِهِ * أَوْ شَاءَ أَذْهَلَهَا عَنِ الدَّورَانِ

(٥)

يَمْشُونَ فِي حَلْقِ الْحَدِيدِ إِلَى الْعِدَا * وَكَأَنَّهُمْ سَدُّ مِنَ الْإِنْسَانِ

(٦)

وَكَأَنَّ مَقْدَمَهُمْ إِذَا لَمَعَ الضُّحَى * سَيْلٌ مِنَ الْهِنْدِيِّ وَالْمُرَانِ

(٧)

يَتَوَاقِعُونَ عَلَى الرَّدَى وَصُفُوفُهُمْ * رَغَمَ الْوُثُوبِ كَأَنَّ بَنِيَانِ

(١) انظر التعريف بالسلطان عبد الحميد في الحاشية رقم ٤ ص ١٥ من هذا الجزء . (٢) الحجيج :

جمع حاج . والثقلان : الإنس والجن . (٣) حبات القلوب : سويداواتها . وترتعي حباتها :

الارتقاء : الرعى ؛ وهو تبالغة في تعلق القلوب به . (٤) زلزلها وأذهلها ، أى الأرض . يصف جيشه

بالقوة والكثرة ، حتى إنه لو شاء أمال الأرض بأعدائه ، أو جعلها تقف ذاهلة لما ترى من بأسه وقوته .

(٥) حلق الحديد : الدروع . (٦) الهندي : السيف . والمران : الرماح القوية اللدنة ،

الواحدة : مرانة . (٧) الردى : الهلاك .

فإذا المدافعُ في التَّزَالِ تَجَاوَبَتْ * بَزْئِيرِهَا وَتَلَّاحِمَ الْجَيْشَانِ
(١)
وإذا القنابلُ دَمَدَتْ وَتَهَجَّرَتْ * تَحْتَ الْغُبَارِ تَهَجَّرَ الْبُرْكَانِ
(٢)
وإذا البنادقُ أَرْسَلَتْ نِيرَانَهَا * طُلُقًا وَأَسْبَابُ الْمَلَائِكِ دَوَانِي
(٣)
أَبْصَرَتْ جَنًّا فِي مَسَالِخِ قِتْيَةٍ * وَشَهْنَتَ أَفْئِدَةٍ مِنَ الصُّوَانِ
(٤)
مُرُّهُمْ يَخْوَضُوا الزَّاحِرَاتِ وَيَنْسِفُوا * شُمَّ الْجِبَالِ بِقُوَّةِ الْإِيمَانِ
(٥)
تَلَجَّتْ صُدُورُهُمْ وَقَرَّ قَرَارُهُمْ * لَمَّا حَلَقَتْ بِأَوْثِقِ الْأَيْمَانِ
(٦)
تَالَلَهُ مَا شَكَّوْا بِصِدْقِكَ دُونَهَا * هُمْ يَعْرِفُونَ شَمَائِلَ السُّلْطَانِ
(٧)
لَكِنَّهُمْ دَرَجُوا عَلَى سَنَنِ بِهِ * لِيُوقَايَةَ الدُّسْتُورِ خَيْرُ ضَمَانِ
يَا أَيُّهَا الشَّعْبُ الْكَرِيمُ تَمَاسَكُوا * وَخُذُوا أُمُورَكُمْ بِغَيْرِ قَوَانِي
مَالِي أَدَّكُمْ وَتِلْكَ رُبُوعُكُمْ * مَرَعَى النَّهْيِ وَمَنَابِتُ الشُّجْعَانِ
(٨)
أَدَّرَكُمُ الدُّسْتُورَ غَيْرَ مُلَوِّثٍ * بِدَمٍ وَلَا مُتَلَطِّخًا بِهَوَانِ

- (١) استعمال «القنابل» بمعنى قذائف المدافع، استعمال شائع في لغة العصر؛ ولم ترد به لغة العرب.
ودمدت عليهم، أي أرحفت الأرض بهم وأطبقت عليهم العذاب. (٢) طلقا (بضم الطاء واللام)،
أي انطلاقا بلا احتباس ولا تقييد. (٣) المسالخ والمسالخ: الجلود، الواحد: مسلاخ.
يقول: إناهم جن في صور الإنس. (٤) الزاحرات: البحار. وشم الجبال: أعاليها.
(٥) تلج صدره بالشيء: برد واطمأن وسكن قلبه إليه. ويريد «بأوثق الأيمان»: اليمين التي حلفها
السلطان على احترام الدستور. (٦) دونها، أي دون اليمين. (٧) درجوا: ساروا.
والسنن (بالتحريك): الطريق. يقول: إناهم ساروا على الطريقة الدستورية المنتجة في جميع الممالك
وهي أن يحلف الملك اليمين على احترام الدستور، وإن كان الملك مقطوعا بصدقه عند رعيته، ولكن
ليكون ذلك الحلف ضمانا للدستور. (٨) الهوان: الذل.

وَقَلَّمْتُ فَعَلَ الرِّجَالِ وَصَكْتُكُمْ * يَوْمَ الْفَخَّارِ كَأُتْمَةِ الْيَابَانِ
 (١) فَتَفَيَّسُوا ظِلَّ الْهَلَالِ فَإِنَّهُ * جَمُّ الْمَبْرَةِ وَاسِعُ الْإِحْسَانِ
 يَرْعَى لِمُوسَى وَالْمَسِيحِ وَأَحْمَدِ * حَقُّ الْوَلَاءِ وَحُرْمَةُ الْأَذْيَانِ
 نَحْذُوا الْمَوَاتِقَ وَالْعُهُودَ عَلَى هَدًى * نُورِ الْإِنْجِيلِ وَالْفُرْقَانِ
 وَتَذَوَّقُوا مَعْنَى الْحَيَاةِ فَإِنَّهَا * فِي مِصْرَ الْفَاطِ بِغَيْرِ مَعَانِي
 وَدَعُوا التَّقَاطُعَ فِي الْمَذَاهِبِ بَيْنَكُمْ * إِنَّ التَّقَاطُعَ آيَةُ الْخِذْلَانِ
 (٢) وَتَسَابَقُوا لِلْبَاقِيَّاتِ وَأُظْهِرُوا * لِلْعَالَمِينَ دَفَائِنَ الْأَذْهَانِ
 (٣) وَلِي زَمَانُ الْمُعْتَدِينَ كَمَا أَنْطَوَتْ * جِئِلُ الشُّيُوخِ وَإِمْرَةُ الْخَصِيَانِ
 (٤) لَا الشُّكَّ يَذْهَبُ بِالْيَقِينِ وَلَا الرُّؤْيَى * تُجْدِي الْمُسِيءَ وَلَا رُقَى الشَّيْطَانِ
 (٥) وَضَعَ الْكِتَابُ وَيَسِقُّ جَمْعُهُمْ إِلَى * يَوْمِ الْحِسَابِ وَمَوْقِفِ الْإِذْهَانِ

(١) تفَيَّسُوا ظل الهلال ، أى التجسَّسوا إليه واستظلوا به ؛ يقال : تفَيَّسْتُ الشَّجَرَةَ ، إذا دخل
 فى أقبائها ، أى ظلها ، واستظل بها . (٢) الباقيات : المآثر الخالدة بعد زوال أصحابها .
 ويريد «دفائن الأذهان» : نتائج الفرائخ وثمرات العقول . (٣) يريد «إمارة الخصيان» :
 السلطة التى كانت للأقارن فى القصور . (٤) الرؤى : الأحلام ، الواحدة : رؤيا . والرقى :
 جمع رقية ، وهى الموضة التى يرقى بها من به علة . ويشير «بالرؤى والرقى» : الى أحوال أبى الهدى العبادى
 فى زمن السلطان عبد الحميد ، وما كان يدخل به الى قلب السلطان من الحيل والأكاذيب بالرق والتعاوين
 والأحلام وغير ذلك . (٥) يشير بقوله : «وضع الكتاب» : الى قوله تعالى لإخبارا عما يكون
 فى البعث يوم الحساب : (وضع الكتاب قرى المجرمين) الآية . والمراد بوضع الكتاب هنا : الاستعداد
 لحساب المجرمين من الشعب على ما قدمت أيديهم قبل الدستور . والكتاب ، هو السجل الذى أحصيت
 فيه أعمالهم . والإذعان : الخضوع والالتقياد .

(١) وَتَوَسَّمُوهُمْ فِي الْقُيُودِ قَقَائِلُ * هَذَا فُلَانٌ قَدْ وَشَى بِفُلَانٍ
(٢) وَمَلَّبَ لَغَرِيمِهِ وَمُطَالِبُ * بَدِمَ أَرِيقَ بِمَسِجِ الْحِيتَانِ
(٣) قَدْ جَاءَ يَوْمُهُمْ هُنَا ، وَأَمَامَهُمْ * بَعْدَ النُّشُورِ هُنَاكَ يَوْمٌ ثَانِي
(٤) سُبْحَانَ مَنْ دَانَ الْقَضَاءُ بِأَمْرِهِ * لِيَدِ الضَّعِيفِ مِنَ الْقَوِيِّ الْجَانِي
(٥) يَا يَوْمَ عَادَ النَّازِحُونَ لِأَرْضِهِمْ * يَتَسَابَقُونَ لِرُؤْيَا الْأَوْطَانِ
(٦) لِلَّهِ كُمْ أَطْفَآتٍ مِنْ نَارٍ ذَكَتْ * دَهْرًا وَكَمْ هَدَّاتٍ مِنْ أَشْجَانِ
(٧) هَذَا يَطِيرُ إِلَى (فُرُوقٍ) وَمَنْ بِهَا * شَوْقًا وَذَاكَ إِلَى رَبِّي لُبَانِ
(٨) خَلَعُوا الشَّبَابَ عَلَى الْبَشِيرِ وَأَخْلَقُوا * بِاللَّتَمِ عَهْدَ خَلِيفَةِ الرَّحْمَنِ
(٩) وَتَعَانَقُوا بَعْدَ النَّوَى نَحْمَائِلُ * يَحُلُّوْهُنَّ تَعَانِقُ الْأَغْصَانِ
قَتَرَى النَّسَاءَ مَعَ الرِّجَالِ سَوَافِرًا * لَا يَتَّقِينَ عَوَادِي الْأَجْفَانِ

- (١) توسمهم ، أى تفرسوا فى وجوههم وتعزفهم . (٢) يقال : لبب فلان فلانا ، اذا أخذ بتليبه ، أى جمع ثيابه عند صدره ونحوه فى الخصومة ثم جره . ومسج الحيتان : البحر . يشير الى من كان يأمر السلطان بإغراقهم فى مضيق البسفور . (٣) النشور : الإحياء بعد الموت ، أى يوم القيامة . (٤) « دان القضاء » الخ : أى اقتص للضعيف من القوى . (٥) النازحون : البعدون ؛ ويريد رجال السياسة الذين كان قد تقاهم السلطان عبد الحميد عن بلادهم لمطالبتهم إياه بالدستور . (٦) ذكت النار : اشتد لها . (٧) فروق (بفتح الفاء) : اسم القسطنطينية . والرب : جمع ربوة ، وهى ما أرتفع من الأرض . (٨) خلعوا الشباب على البشير ، أى انهم كادوا من فرحهم يبشرى العودة الى بلادهم يحلمون على من بشرهم بذلك حل شبابهم بدل ثيابهم . وأخلقوا باللتم الخ ، أى أكثروا من تقيل عهد الخليفة الى أن صار كالثوب الخلق ، أى الرث البالى . ويريد «بعهد الخليفة» : فرمان المكتوب بعهد إليهم ، وتأمين الخائفين منهم . (٩) الخمائيل : جمع نحيلة ، وهى الموضع الكثير الشجر .

عَجَبًا لَمَنْ وَقَدْ خُلِقْنَ أَوَانِسَا * يَبْرُزْنَ فِي فَرَجٍ وَفِي أَحْزَانِ
 أَهْلًا بِحَاسِرَةِ اللَّثَامِ وَمَنْ إِذَا * سَفَرَتْ عَنَّا لَجَمَاهَا الْقَمَرَانِ
 خَطَرَتْ فَعَطَّرَتْ الْمَشَارِقَ عِنْدَمَا * هَبَّتْ نَسَائِمُهَا مِنَ الْبَلْقَانِ (٢)
 بِأَلَيْتَهَا نَخَطَرَتْ بِمَضَرٍّ وَأَشْرَقَتْ * فِي يَوْمٍ أَسْعَدَهَا عَلَى طَهْرَانِ (٣)
 أَضْنَاهُمَا شَوْقٌ قَدْ أَبْيَضَتْ لَهُ * كَكَيْدَاهُمَا وَتَصَدَّعَ الْقَلْبَانِ (٤)
 عَرَفَ الْوَرَى مِيقَاتَهَا فَتَرَقَّبُوا * (تَمْوَزُ) مِثْلَ تَرَقُّبِ الظُّمَأَانِ (٥)
 شَهْرٌ بِهِ بُعِثَ الرَّجَاءُ وَأَنْشِرَتْ * أُمَمٌ وَبُدِّلَ خَوْفُهَا بِأَمَانِ (٦)
 فَلَهُ عَلَى الدُّنْيَا الْجَدِيدَةِ نِعْمَةٌ * يَشْدُو بِذِكْرِ صَدِيعِهَا الْفَتَيَانِ
 وَعَلَى قَرْنَيْسِ الْحَضَارَةِ مِنَّةٌ * تُثَلِّي أَنَاشِيدُهَا وَأَغَانِي
 تَمْوَزُ، أَنْتَ أَبُو الشُّهُورِ جَلَالَةً * تَمْوَزُ، أَنْتَ مُنَى الْأَسِيرِ الْعَانِي
 هَلَّا جَعَلْتَ لَنَا نَصِيبًا عَلَنًا * تَجْرِي مَعَ الْأَحْيَاءِ فِي مَيْدَانِ
 أَعُودُ مِنْكَ الْآمِلُونَ بِمَا رَجَوْا * وَنَعُودُ نَحْنُ بِذَلِكَ الْحِرْمَانِ

- (١) حاسرة اللثام : كاشفته . ويريد بها الحرية . وعنا : نخضع . والقمران : الشمس والقمر .
 (٢) طهران : مدينة بإيران معروفة ، وهي عاصمتها . يمتنى في هذا البيت الدستور والحرية لمصر وإيران
 مثل تركيا . (٣) أضناه الشوق : أسقمه . وأبيضاض الكبد : كناية عن شدة الحزن .
 (٤) ميقاتها : وقتها . وتموز : اسم شهر من السنة المسيحية ، يقابل شهر يوليو ، وهو الشهر الذي نالت
 فيه الأمة العثمانية دستورها ، كما نالت فيه فرنسا حريتها ، وامتنعت فيه أمريكا ؛ ولهذا جعله الشاعر
 ميقات الحرية وإبانها . (٥) أنشرت : من الإنبات ، وهو الإحياء بعد الموت .
 (٦) الدنيا الجديدة : أمريكا . ويشدو : يترنم . والفتيان : الليل والنهار .

تَمْوِزُ، إِنَّ بِنَا إِلَيْكَ لِحَاجَةً * فَتَى الْأَوَانُ وَأَنْتَ خَيْرُ أَوَانٍ
(١)
مِنِّي عَلَى دَارِ السَّلَامِ ثَبِيَّةٌ * وَعَلَى الْخَلِيفَةِ مِنْ بَنِي عُثْمَانِ
(٢)
وَعَلَى رِجَالِ الْجَيْشِ مِنْ مَا شِئَ بِهِ * أَوْ رَاكِبٍ أَوْ نَازِحٍ أَوْ دَانِي
(٣)
وَعَلَى الْأَلَى سَكَنُوا إِلَى الْحُسْنَى سَوَى * ذَاكَ الَّذِي يَدْعُو إِلَى الْعِصْيَانِ
(٤)
وَالِي الْجِجَارِ الْخَارِجِيَّ وَمَا بِهِ * إِلَّا اقْتِنَاصُ الْأَصْفَرِ الزَّانِ
(٥)
مَا لِلشَّرِيفِ الْمُتَمَيِّحِ حَسَبًا إِلَى * خَيْرِ الْبَرِيَّةِ مِنْ بَنِي عَدْنَانِ
(٦)
أَمْسَى يَمَالُئُهُ وَيَنْصُرُ غِيَّهُ * وَضَلَّاهُ بِجُمَالَةِ الْعُرْبَانِ
(٧)
تَاللهِ لَوْ جَنَّدْتُمَا رَمْلَ النَّقَا * وَتَزَلَّمَا بِمَوَاطِنِ الْعُقْبَانِ
(٨)
وَعَرَسْتُمَا أَرْضَ الْجِجَارِ أَسِنَّةً * وَأَسَلْتُمَا بَحْرًا مِنَ النَّيرَانِ
(٩)
وَأَقَمْتُمَا فِيهَا الْمَعَاقِلَ مَنَعَةً * مِنْ أَرْضِ تَجَدَّ إِلَى خَلِيجِ عُثْمَانِ
(١٠)
لَدَهَا كَمَا وَرَمَاكُمَا وَذَرَاكُمَا * مَا حَى الْحُصُونِ وَمَا سَحَى الْبُلْدَانِ
إِنْ تَأْتِيَا طَوْعًا وَإِلَّا قَاتِيَا * كَرَمًا بِلَا حَوْلٍ وَلَا سُلْطَانِ

- (١) دار السلام : الآسنة . (٢) النازح : البعيد . (٣) سكنوا الى الحسنى : اطمأنوا إليها ولاذوا بها . (٤) الأصفر الزان : الذهب . ويشير بهذا البيت وما بعده الى ما كان يضمه والى الجواز والشريف من عهيدان السلطان والانتقاض عليه إذ ذاك . (٥) الشريف : أمير مكة . والمتميح : المنتسب . (٦) يمالئه : يشايه . والحنالة : سفلة الناس . (٧) الضمير في «جندتما» يعود الى والى الجواز وشريف مكة . والنقا : القطعة العظيمة من الرمل تنقاد محدودة ، شبه بها الجنود في كثرة العدد . ويريد « بمواطن العقبان » : رهوس الجبال ، إذ هي التي تسكنها . والعقبان : جمع عقاب ، وهو من جوارح الطير ، وتسميه العرب بالكاسر . (٨) يريد « بالأسنة » : الرماح . (٩) المعادل : الحصون ، الواحد معقل . (١٠) يقال : ذرت الريح التراب في الهواء تذرره ذررا وتذريه ذريا ، إذا فرقته وأطارته . ويريد « بمأوى الحصون » الخ : السلطان .

- (١)
 وَإِلَيْكَ يَا فَرَعَ الْخَلَائِفِ مِدْحَةً * عَزَّتْ شَوَارِدُهَا عَلَى (حَسَانِ)
 (٢)
 مِنْ شَاعِرٍ تَبُّ النُّهَى لِقَرِيضِهِ * وَتَبَّ النَّفُوسِ لِرَنَّةِ الْعِيدَانِ
 (٣)
 يَهْدِي الْمَدِيحَ إِلَى الْمَلِكِ سَبَائِكًا * تَعْنُو لَهْنُ سَبَائِكِ الْعِقْيَانِ
 (٤)
 إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا أَسْتَوَتْ أَلْبَسَتْهَا * بِالْمَدْحِ تِيْجَانًا عَلَى تِيْجَانِ

إلى أحمد شوقي بك^(٥)

يهنئه حين أنعم عليه بالرتبة الأولى العلمية

إِنْ هَتَأُوكَ بِهَا فَلَسْتُ مُهْتِنًا * إِنِّي عَهْدُكَ قَبْلَهَا مُحْسُودًا
 قَدْ كَانَ قَدْرُكَ لَا يُحْدِثُ نَبَاهَةً * وَسَعَادَةٌ فَغَدَا بِهَا مُحْدُودًا

تهنئة الخديوى عباس الثانى بقدومه من الحج

[١٣٢٧ ١٩٠٩ م]

مُنَى نَلَّتْهَا يَا لَابِسَ الْمَجْدِ مُعَلِّمًا * أَدِينًا وَدُنْيَا؟ زَادَكَ اللَّهُ أَنْعَمًا^(٦)

- (١) الشوارد من الشعر : المعاني التى تشرد عن أذهان الشعراء وتغرب عنها لغرابتها . وحسان هو ابن ثابت الأنصارى الشاعر المعروف . (٢) القريض : الشعر . (٣) تعنو : تخضع . والعقيان : الذهب الخالص . (٤) استوت ، أى جلست على عروشها وتملكت . (٥) ولد أحمد شوقي بك بالقاهرة حوالى سنة ١٨٦٨ م وبعد أن أتم علومه الابتدائية ثم الثانوية التحق بمدرسة الحقوق ، وبعد تخرجه فيها اتصل بمعية أمير مصر ، ثم سافر الى أوروبا لينتم دراسته ، ثم عاد الى المهية ثانية ، ربقى بها حتى خلع عباس الثانى ، فاستقال . وتوفى رحمه الله فى ١٤ أكتوبر سنة ١٩٣٢ عن نحو أربعة وستين عاماً ، وله ديوان شعر مطبوع ، جمع فيه أكثر شعره وغير ذلك من الكتب . (٦) الثوب المعلم ، هو الذى له علم من طراز وغيره ؛ شبه به المجد فى وضوحه واشتهاره .

فَلِلَّهِ مَا أَهْبَاكَ فِي مِصْرَ حَالِيَا * وَلِلَّهِ مَا أَتَقَاكَ فِي الْبَيْتِ مُحْرِمَا
 أَقُولُ وَقَدْ شَاهَدْتُ رَكْبَكَ مُشْرِقَا * وَقَدْ يَمَّمُ الْبَيْتَ الْعَتِيقَ الْمُحَرَّمَا ^(١)
 مَشَتْ كَعْبَةُ الدُّنْيَا إِلَى كَعْبَةِ الْهُدَى * يَفِيضُ جَلَالُ الْمُلْكِ وَالَّذِينَ مِنْهُمَا
 فَيَا لَيْتَنِي أَسْطَعْتُ السَّبِيلَ وَلَيْتَنِي * بَلَغْتُ مَنَى الدَّارَيْنِ رَجَبًا وَمَغْنَمَا ^(٢)
 وَفِي الرُّكْبِ شَمْسٌ أَنْجَبَتْ أَنْجَبَ الْوَرَى * فَتَى الشَّرْقِ مَوْلَانَا الْأَمِيرَ الْمُعْظَمَا ^(٣)
 تَسِيرُ إِلَى شَمْسِ الْهُدَى فِي حَفَاوَةِ * مِنَ الْعِزِّ تَحْدُوهَا الزَّوَاهِرُ أَيُّهَا ^(٤)
 فَلَمْ أَرَأَقًا قَبْلَ رَكْبِكَ أَطْلَعْتَ * جَوَانِبُهُ بَدْرًا وَشَمْسًا وَأَنْجَبَا
 وَلَوْ أَنَّي خَيْرْتُ لَأَخَّرْتُ أَنْ أَرَى * لِعَيْسِكَ وَحْدَى حَادِيًا مُتَرَمَّمَا ^(٥)
 أَسِيرُ خِلَالَ الرُّكْبِ نَحْوَ حَظِيرَةِ * عَلَى رَبِّهَا صَلَّى الْإِلَهُ وَسَلَّمَا
 إِلَى خَيْرِ خَلْقِ اللَّهِ مَنْ جَاءَ نَاطِقًا * بَأْيَاتِهِ إِنْجِيلُ عَيْسَى بْنِ مَرْيَمَا
 حَلَلَتْ بِأَخْخَافِ الْجَزِيرَةِ حَابِرًا * فَأَنْضَرْتَ وَادِيهَا وَكُنْتَ لَهَا سَمَا ^(٦)
 وَأَشْرَقَتْ فِي بَطْحَاءِ مَكَّةَ زَائِرًا * فَبَاتَ عَلَيْكَ الْبَيْلُ يُحْسَدُ زَمَرَمَا ^(٧)

(١) يم : قصد . والبيت العتيق : الكعبة . (٢) اسطعت : استطعت ؛ ويريد قدرته على أداء فريضة الحج ؛ يشير إلى قوله تعالى : (ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا) .
 (٣) يريد «بالشمس» : أم الخديوي ، وكانت قد حجّت معه . (٤) يريد «بشمس الهدى» : رسول الله صلى الله عليه وسلم . والحفاوة : العناية والإكرام . والزواهر : النجوم ، والمراد وصفقاتها .
 وأينما ، أي أينما سارت . (٥) العيس : الإبل ؛ ويطلق في الأصل على الإبل البيض يتخالط بياضها شقرة ؛ ويقال : إنها كرام الإبل ، الواحد أعيس ، والآخر عيساء . (٦) أخفاف الجزيرة : جوانبها . وأنضرت واديا ، أي جعلته ناضرا حسنا بهيجا بن الخصب . ويريد بقوله : «وكنْتَ لها سما» : أنه كان لها مطرا ؛ وقد هطل المطر في جزيرة العرب أيام حجه .
 (٧) البطحاء والأبطح : مسيل للآء واسع ، فيه دفاق الحصى . وبطحاء مكة : مسيل واديا .

- (١) وما ظفرت من بعد (هارون) أرضها * بمثلك ميمون النقيصة منيعا
 ولا أبصر الججاج من بعد شخصيه * على عرفات مثل شخصك محرما
 (٢) رميت فسدت الجمار فلم تكن * حمارا على إبليس بل كن أسهما
 (٣) وإن الذي ترميه وقف على الردى * وإن لاذ بالأفلاك يا خير من رمى
 وبين الصفا والمروة أزدت عزه * يسعيك يا (عباس) لله مسليما
 (٤) هروول للمولى الكريم معظما * وتم هروول الساعي إليك وعظما
 (٥) وطقت وكم طافت بسدتك المنى * وتم أمسك الراجي بها وتحرمها
 (٦) ولما استلمت الركن حاجت شجونه * فلو أنه أسطاع الكلام تكلمها
 (٧) تذكر (زين العابدين) وجده * وما كان من قول (الفرزدق) فيها

(١) يريد هارون الرشيد الخليفة العباسي المعروف . وميمون النقيبة ، أى محمود المختبر (بفتح الباء) .
 (٢) الجمار : الحصى الذى يرمى به الججاج فى منى . (٣) الردى : الهلاك . يقول : إن الذى ترميه هالك لا محالة وإن تحصن منك بأفلاك السماء . (٤) الهرولة : الإسراع فى المشى .
 ويريد « بالساعى » : طالب المعروف . (٥) السدة : الباب . وتحترم بسدته : احتفى بها واستأن من نواب الدهر بالوقوف بها كما يستأن الداخل فى الحرم من العدران عليه . (٦) شجونه ، أى أشواقه . (٧) زين العابدين ، هو أبو الحسن على بن الحسين بن على رضى الله تعالى عنهم ، أحد الأئمة ، وهو من سادات التابعين ، ولد فى سنة ثمان وثلاثين للهجرة . وتوفى سنة أربع وتسعين ؛ وقيل : اثنتين وتسعين . والفرزدق ، هو أبو فراس هماد بن غالب التميمي أحد فحول الشعر فى العصر الأموي ؛ وكانت ولادته ونشأته بالبصرة ؛ وتوفى بها نحو ستة مائة وعشر هجرية . ويشير الشاعر فى هذا البيت الى قول الفرزدق فى قصيدته المشهورة فى مدح زين العابدين ، ومنها :

هذا الذى تعرف البطحاء وطأته * والبيت يعرفه والحل والحرم

هذا ابن خير عباد الله كلهم * هذا التقي النقي الطاهر العلم

(١) فلو يَسْتَطِيعُ الرُّكْنُ أَمْسَكَ رَاحَةً * مَسَحَتْ بِهَا يَا أَكْرَمَ النَّاسِ مُتَمَيِّ
دَعَوْتَ لَنَا حَيْثُ الدُّعَاءُ إِجَابَةٌ * وَأَنْتَ بَدَعَوَى اللَّهِ أَطْهَرُنَا فَمَا
أَمَانِيكَ الْكُبْرَى وَهَمَّكَ أَنْ تَرَى * بِأَرْجَاءِ وَادِي النَّيْلِ شَعْبًا مُنْعَمًا
(٢) وَأَنْ تَبْنِيَ الْمَجْدَ الَّذِي مَالَ رُكْنُهُ * وَأَنْ تُرْهِفَ السَّيْفَ الَّذِي قَدْ تَثَلَّمَا
دَعَوْتَ لِمَصِيرٍ أَنْ تَسُودَ وَكَمْ دَعَتْ * لَكَ اللَّهُ مِصْرًا أَنْ تَعِيشَ وَتَسَلِّمًا
(٣) فَلَيْتَ مُلُوكَ الْمُسْلِمِينَ تَشَبَّهُوا * بِمَلِكٍ إِذَا مَا أَحْجَمَ الدَّهْرُ أَقْدَمًا
سَلِيلَ مُلُوكٍ يَشْهَدُ اللَّهُ أَنَّهُمْ * أَقَامُوا عُمُودَ الدِّينِ لَمَّا تَهَدَّمَا
(٤) لَنْ بَاتَ بِالْمَجْدِ الْمُؤْتَلِ مُغْرَمًا * لَقَدْ كَانَ (إِبْرَاهِيمُ) بِالْمَجْدِ مُغْرَمًا
(٥) وَإِنْ تَامَ حُبُّ الْمَكْرُمَاتِ فَوَادَهُ * لَقَدْ كَانَ (إِسْمَاعِيلُ) فِيهَا مُتَمَيِّ
(٦) وَإِنْ سَكَنْتَ تَقْوَى الْمُهِمِّينَ قَلْبَهُ * فَقَدْ كَانَ مِنْهَا قَلْبُ (تَوْفِيقٍ) مُفْعَمًا
(٧) وَإِنْ بَاتَ نَهَاضًا بِمِصْرٍ إِلَى الذَّرَا * فَمِنْ جَدِّهِ الْأَعْلَى (عَلِيٌّ) تَعَلَّمَا

(١) المتَمَيِّ : الأصل الذي ينتمى إليه الإنسان ، أى ينتسب . ومعنى هذا البيت مأخوذ من قول الفرزدق في زين العابدين :

يَكَادُ يَمْسُكُهُ عِرْفَانُ رَاحَتِهِ * رُكْنُ الْحَطِيمِ إِذَا مَا جَاءَ يَسْتَلِمُ

(٢) أرهف السيف : حذده . وتثل : تكسر حذده ، أى تعبد لمصر القوة التي تطرق إليها الضعف .

(٣) الملك (يسكون اللام) : لغة في الملك (بكسرهما) . وأحجم : تأخر . (٤) المجد المؤتل :

المؤصل الثابت . وإبراهيم ، هو إبراهيم باشا ابن محمد علي باشا الكبير ؛ ولد سنة ١٧٨٩ م ؛ وتولى عرش مصر في حياة أبيه سنة ١٨٤٨ م وتوفي في نفس السنة التي ولي فيها . (٥) تامة الحب والعشق بيا :

استعبده . وإسماعيل ، هو إسماعيل باشا ابن إبراهيم باشا ؛ ولد سنة ١٨٣٠ م ؛ وولى خديوية مصر في ١٨

يناير سنة ١٨٦٣ م ؛ وعزل عنها سنة ١٨٧٩ م وتوفي في ٢ مارس سنة ١٨٩٥ م . (٦) توفيق ،

هو محمد توفيق باشا ابن إسماعيل باشا ولد في سنة ١٨٥٢ م ، وتولى الخديوية سنة ١٨٧٩ م وتوفي

سنة ١٨٩٢ م . والمفعم : المتلى . (٧) علي ، أى محمد علي باشا جد الأسرة المالكة ؛ ولد

بمدينة قولة عام ١٧٦٩ م ؛ وولى مصر عام ١٨٠٥ م ، وتوفي في ٢ أغسطس سنة ١٨٤٩ م .

- (١) حَوَى مَا حَوَى مِنْ مَجْدِهِمْ وَنِجَارِهِمْ * وَزَادَ فَأَعْيَا الْمَادِحِينَ وَأَفْخَسَا
 (٢) دَعَوْا بِكَ وَأَسْتَسْقُوا فَلَبَّى دُعَاءَهُمْ * مِنْ الْأَفْقِ هَتَانٌ مِنَ الْمُزْنِ قَدْ هَمَّى
 (٣) أَلَحَّ عَلَى أَوْعَارِهِمْ وَسُهُولِهِمْ * وَحَيَّا عِبُوسَ الْفَقْرِ حَتَّى تَبَسَّيَا
 (٤) وَلَمَّا طَوَى بَاطِحَاءَ مَكَّةَ هَزَّه * إِلَى الْبَيْتِ شَوْقُ الْمُسْتَهَامِ فِيمَا
 (٥) أَطَافَ بِهِ ثُمَّ أَنْتَى عَنْ فَنَائِهِ * وَلَوْ عَبَّ مِنْهُ (السَّامِرِيُّ) لَأَسْلَمَا
 (٦) طَلَعَتْ عَلَيْهِمْ أَسْعَدَ الْخَلْقِ مَطْلَعًا * وَعُدَّتَ الْيَنَاءُ أَيْمَنَ الْخَلْقِ مَقْدَمًا
 رَجَعْتَ وَقَدْ دَاوَيْتَ بِالْجُودِ فَقَرَّهُمْ * وَكُنْتَ لَهُمْ فِي مَوْسِمِ الْجِّ مَوْسِمَا
 (٧) وَأَمَنْتَ لِلْبَيْتِ الْحَرَامِ طَرِيقَهُ * وَكَانَ طَرِيقُ الْبَيْتِ مِنْ قَبْلِهَا دَمًا
 (٨) وَيَسَّرْتَهُ حَتَّى آسَاطَعَ رُكُوبَهُ * أَخُو الْفَقْرِ لَا يَطْوِيهِ جُوعٌ وَلَا ظَلَمًا

- (١) التجار: الأصل . وأخمه : أعجزه عن الكلام . (٢) استسقوا ، أى طلبوا السقيا .
 والضمير فى «دعوا» «واستسقوا» لأهل مكة . والهتان : المنصب . والمزن : السحاب ذو الماء .
 وهى : سال لا يثنى شئ . ويشير بهذا إلى مطر غزير نزل بمكة أيام حج الخديوى فأخصبت به الأرض
 وقاضت بالخير . (٣) ألح على أوعارهم : دام عليها . والأوعار : ما صعب من الأرض . وعيوس
 الفقر : ما أجذب منه رقل نباته ، فصار كالوجه العابس الذى لا بشر فيه . وتبسم ، أى أخصب وكثر
 نباته ، فاستعار «التبسم» لخصب الأرض وظهور ألوان النبات فيها . (٤) طوى ، أى المزن
 السابق ذكره . وبطحاء مكة : مسبل واديا . وهزه : حركه . ويمم : قصد .
 (٥) الفناء : الساحة . ويريد الشاعر بهذا البيت والذى قبله أن السحاب لما روى بطحاء مكة
 تشوق إلى الكعبة فسار إليها ، ثم ارتد عنها إحلالا لها ولم يطر عليها . وعب منه : شرب . ويريد
 بالسامرى : موسى السامرى الوارد ذكره فى القرآن فى قصة بنى إسرائيل ، إذ صنع لهم عجلا من الخلى
 وحضهم على عبادته ، وكان ذلك فى غيبة نبي الله موسى عليه السلام فى ميقات ربه ؛ قال تعالى فى سورة
 طه : (قال فإنا قد فتنا قومك من بعدك وأضلهم السامرى) الآيات . (٦) أيمن الخلق ، أى أبركهم .
 (٧) دما ، أى علموا بالقتل وسفك الدماء . (٨) لا يطويه ، أى لا يرده ولا يصرفه .

(١)
وَجَدْتَ وَجَدَاتِ رَبَّةِ الطُّهْرِ وَالتَّقَى * عَلَى الْعَامِ حَتَّى أَخَصَّبَ الْعَامُ مِنْكَ
فَلَمْ تُبْقِيَا فَوْقَ الْجَزِيرَةِ بَائِسًا * وَلَمْ تَتْرُكَا فِي سَاحَةِ الْبَيْتِ مُعْدِمًا
فَأَرْضَيْتُمَا الدِّينَ وَالدِّينَ كُلَّهُ * لَقَدْ رَضِيَ الدِّينُ وَالدِّينُ عَنْكُمَا

(٢) (تحية محمد سعيد باشا)

بمناسبة عودته من أوروبا في اليوم الحادى عشر من شهر شوال سنة ١٢٣٠ هـ وكان رئيسا للحكومة إذ ذاك

(٣)
فِيكَ السَّعِيدَانِ اللَّذَانِ تَبَارَيَا * يَا مِصْرُ فِي الْخَيْرَاتِ وَالْبَرَكَاتِ
نَيْلٌ يَفِيضُ عَلَى سُهْلِكَ رَحْمَةً * وَقَتِي يَفِيكَ غَوَائِلُ الْعَثَرَاتِ
عَادَ الرَّئِيسُ فَرَحِي بِقُدُومِهِ * وَتَهَلَّى بِمُفَرِّجِ الْأَزْمَاتِ

(الى أمين واصف بك)

قال هذين البيتين لكتابا في لوحة مهداة إليه من مدرسة طوخ الصناعية ، إذ كان مديرا للقلوبية

[نُشِرَ فِي ٩ مَآيُوسَ ١٩١٢]

لَمْ نَجِدْ مَا يَفِي بِقَدْرِكَ فِي الْحَجَّ * يَدِ فَيْهَدَى إِلَى حِمَاكَ الْكَرِيمِ
فَبَعَثْنَا إِلَيْكَ بِاسْمِكَ مَكْتُو * بَأْ عَلَى صَفْحَةِ الْوَلَاءِ الْمُقِيمِ

- (١) يريد «بربة الطهر» : والده الخديوى . (٢) محمد سعيد باشا هو الوزير المعروف
ولد في سنة ١٨٦٢ م وبعد أن أتم علومه تولى عدة مناصب قضائية وعدة وزارات ؛ ورأس الوزارة مرتين
الأولى من سنة ١٩١٠ م الى سنة ١٩١٤ م والثانية سنة ١٩١٩ م وكان وزيرا للعارف في الوزارة السعدية
سنة ١٩٢٤ م ثم اعتزل السياسة إلى أن توفى في ٢٠ يولييه سنة ١٩٢٨ م ؛ وكان معروفا بالعقل
والدهاء في الشؤون السياسية . (٣) تباريا : تسابقا .



وقال يودّعه :

أنشدنا في حفل أقامه بكار موظفي مديرية القليوبية إذ كان مديرا لمديريتهم ونقل.

[نشرت في ٩ مايو سنة ١٩١٢]

إِنِّي دُعِيتُ إِلَى احْتِفَالِكَ بِحَفَاةٍ * فَأَجَبْتُ رَغْمَ شَوَاغِلِي وَسَقَامِي
(١)
وَدَعَوْتُ شِعْرِي يَا (أَمِينُ) نَحَانِي * أَدْبِي وَلَمْ يَرَّعَ الْقَرِيضُ ذِمَامِي
فَأَتَيْتُ صِفْرَ الْكَفِّ لَمْ أَمْلِكْ سِوَى * أَمَلِي بِصَفْحِكَ عَنْ قُصُورِ كَلَامِي
وَأَتَجَلَّتِي أَيْكُونُ هَذَا مَوْفَى * فِي حَفْلَةِ التَّوْدِيعِ وَالْإِكْرَامِ
وَأَنَا الْخَلِيقُ بِأَنْ أَرْتَلَ لِلْوَرَى * آيَاتِ هَذَا الْمُصْلِحِ الْمِقْدَامِ
وَأَقُومُ عَنْ نَفْسِي وَعَنْ غَيْرِي بِمَا * يَقْضِي الْوَلَاءُ وَوَجِبُ الْإِعْظَامِ
(٢)
(بِنَهَا)، لَقَدْ وُفِّيتَ قِسْطَكَ مِنْ مَنَى * وَسَعَادَةٍ وَرِعَايَةٍ وَنِظَامِ
فَدَعَى سِوَاكَ يَفْزُ بِقَرَبِ مَوْفَى * هُوَ فِي الْحُكُومَةِ مُنْجَبَةُ الْحُكَامِ
لَيْسَ التَّوَاضُّعُ حُلَّةً وَمَشَى إِلَى * رُتَبِ الْجَلَالِ مُسَدِّدِ الْأَقْدَامِ
وَعَدَا بِأَبْرَاجِ الْعُلَا مُتَقَلَّلاً * كَالْبَذْرِ يُسْعِدُهُ السُّرَى بِتَمَامِ

(١) الذمام : الحق والحكمة .

(٢) بنها : عاصمة مديرية القليوبية .

تهنئة محمود سامي بك (باشا)^(١)

قالها في حفل أقيم لتكريمه بفندق الكونتنتال لمناسبة ترقبته إلى منصب كبير في نظارة الأشغال

[نشرت في ١٢ يولييه سنة ١٩١٢ م]

رَبَّكَ وَالِدَكَ الْكَرِيمُ عَلَى التَّقَى * وَعَلَى الزَّاهَةِ وَالضَّمِيرِ الطَّاهِرِ
فَنَشَأَتْ بَيْنَ رِعَايَةٍ وَعِنَايَةٍ * وَدَرَجَتٍ بَيْنَ تَحَامِدٍ وَمَفَاحِرِ
وَسَمَّوَتْ يَا (سَامِي) إِلَى أَوْجِ الْعُلَا * وَبَرَعَتْ قَوْمَكَ بِالذِّكَايِ النَّادِرِ
رَبِّي أَبُوكَ عَقُولَنَا وَنُفُوسَنَا * فَأَهْنَأُ بِوَالِدِكَ (الْأَمِينِ) وَفَاحِرِ
وَأَهْنَأُ بِمَا أُوتِيَتْهُ مِنْ نِعْمَةٍ * فِي عَهْدِ مَوْلَانَا الْأَمِيرِ الزَّاهِرِ
يَا مَالِيَّ الْكُرْسِيِّ مِنْهُ مَهَابَةٌ * وَكِفَايَةٌ يَا مِلَّءَ عَيْنِ النَّاطِرِ
إِنِّي أَلَّتِي قُلْدَتَهَا فِي حَاجَةٍ * لِعَزِيمَةٍ تَمْضِي وَرَأْيِي بَاتِرِ
فَأَفِضْ ضِيَاءَكَ فِي النِّظَارَةِ كُلِّهَا * وَأَقْبِضْ عَلَى الْأَعْمَالِ قَبْضَ الْقَادِرِ
وَأَخْدُمْ بِإِلَادِكَ بِأَلَدِي أُوتِيَتْهُ * مِنْ فِطْنَةٍ وَأَقْلَ عِشَارِ الْعَائِرِ
هَنَأْتُ مِصْرَ وَنِيلَهَا وَرِجَالَهَا * لَمَّا رَأَيْتُكَ فِي ثِيَابِ الْأَمِيرِ
وَرَأَيْتُ فِي الدِّيَوَانِ قَدْرَكَ عَالِيًا * وَالنَّاسَ تَهْتَفُ بِالشَّيْءِ الْعَاطِرِ

- (١) هو ابن صاحب السعادة الأستاذ أمين سامي باشا المربي المعروف . تولى رحمه الله عدة مناصب عالية في الحكومة المصرية آخرها منصب الوزير المفوض لمصر في أمريكا ، وتوفي في يولييه سنة ١٩٣٦
- (٢) يشير بهذا البيت إلى أن والد الممدوح من رجال التربية بوزارة المعارف ، وكان ناظرا للمدرسة دار العلوم مدة طويلة من الزمن ، وتخرج في أيام نظارته لهذه المدرسة كثيرون من الأساتذة الأجلاء .
- (٣) العهد الزاهر : المضيء المشرق ، ويريد عهد الخديوي عباس الثاني . (٤) الباتر : انقطاع .
- (٥) يقال : أقال فلان عثار فلان وعثرته ، إذا صفح عن زلة ودفع عنه ما يتوقع بسببها من مكروه .

مَا يَنْ مَعْتَرِفٍ بِفَضْلِكَ مُعْلِنٍ * أَوْ ضَارِعٍ لَكَ بِالْدُّعَاءِ وَشَاكِرٍ
 آمَهِنْدَسَ النَّيْلِ السُّعِيدِ تَحِيَّةً * مِنْ مِصْرَ تَحْدُوها تَحِيَّةُ شَاعِرٍ
 يَدْعُو إِلَهَكَ أَنْ يُكْثِرَ بَيْنَنَا * أَمْثَالَ (سَامِي) فِي الزَّمَانِ الْحَاضِرِ

إلى الدكتور علي إبراهيم بك (باشا) الجراح المعروف

[نشرت في ١٥ سبتمبر سنة ١٩١٢]

هَلْ رَأَيْتُمْ مُوَفَّقًا (كَعَلِيَّ) * فِي الْأَطِبَّاءِ يَسْتَحِقُّ الثَّنَاءَ
 أَوْدَعَ اللَّهُ صَدْرَهُ حِكْمَةَ الْعِذِّ * سِيمَ وَأَجْرَى عَلَى يَدَيْهِ الشِّفَاءَ
 (١)
 كَمْ نَفُوسٍ قَدْ سَلَّهَا مِنْ يَدِ الْمَوْتِ * تِ بِلُطْفٍ مِنْهُ وَكَمْ سَلَّ دَاءَ
 (٢)
 فَأَرَانَا (لُقْمَانَ) فِي مِصْرَ حَيًّا * وَحَبَانَا لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءَ
 (٣)
 حَفِظَ اللَّهُ مِبْضَعًا فِي يَدَيْهِ * قَدْ آمَاتَ الْأَسَى وَأَحْيَا الرَّجَاءَ

تحية خليل مطران بك

أنشدتها في حفل أقيم بدار الجامعة المصرية لتكريمه بمناسبة الإنعام عليه بالنيشان المجيدى

يوم ٢٤ أبريل سنة ١٩١٣ م

(٤)
 جَازَ بِي عَرَفُهَا فَهَاجَ الْغَرَامَا * وَدَعَانِي فِرْزُهَا إِلْمَامَا
 جَنَّةُ تَبْعُثُ الْحَيَاةَ وَتَجْلُو * صَدَا النَّفْسِ رَوْنَقًا وَنِظَامَا

(١) سَلَّهَا: اقترعها وأخرجها. (٢) لُقْمَان: حكيم معروف. وَحَبَانَا: أعطانا. (٣) المِبْضَع: المشروط. وَالْأَسَى: الحزن. (٤) العُرف: الریح الطيبة. وَإِلْمَامَا: أى زيارة قصيرة.

- (١) زُرْتُهَا مَوْهِنًا وَفِي طَيِّ نَفْسِي * ذِلَّةُ الصَّبِّ وَأَنْكَسَارُ الْيَتَامَى
(٢) وَتَقَلَّتْ فِي خِمَائِلِهَا الْخُضْ * بِرِ يَمِينًا وَيَسْرَةً وَأَمَامَا
(٣) فَإِذَا رَوْضَاتٍ فِي ذَلِكَ الرَّوْ * ضِ تَمِيسَانِ تَحْتَ رِيحِ الْخُزَامَى
(٤) جَاءَتَا تَخْطِرَانِ وَالنَّجْمُ سَاهٍ * وَعُيُونُ الْأَزْهَارِ تَبْنِي الْمَنَامَا
(٥) جَازَتَا مَوْضِعِي فَهَبَّ نَسِيمٌ * أَذْكَى مِنْ الْأَمْسَى وَهَاجَ الْهَيَامَا
(٦) فَتَرَسَّيْتُ مِنْهُمَا أَثَرَ الْخَطِّ * بِوِ خَافَتُ فِي الْمَسِيرِ احْتِشَامَا
(٧) وَتَسَمَّعْتُ عَلَيَّ أَطْفِئُ الشَّوْ * قَ وَأُرْوِي مِنَ الْفُؤَادِ الْأَوَامَا
(٨) فَإِذَا لَهَجَتَانِ مِنْ لَهَجَاتِ الْشَّ * رْقٍ قَدْ شَاقَتَا فُؤَادِي فَهَامَا
تلك سُورِيَّةٌ تَفِيضُ بَيَانًا * تلك مِصْرِيَّةٌ تَسِيلُ أَنْسِجَامَا
فِطْنَةٌ عِنْدَ رِفْقَةٍ عِنْدَ ظَرْفٍ * عِنْدَ رَأْيٍ تَحَالُهُ الْهَامَا
(٩) مَالَتَا نَحْوَ دَوْحَةٍ تُرْسِلُ الْأَغْ * صَانَ وَأَخْتَارَتَا لَدَيْهَا مَقَامَا

- (١) الموهن : نحو نصف الليل . (٢) الخمائل : المواضع الكثيرة الشجر، الواحدة نخيلة .
(٣) تميمسان : تبختران . والخزاي : خيري البر، وزهره من أطيب الأزهار رقحة .
(٤) كنى « بسو النجم » و « نوم الزهر » عن سكون الليل وركود ظلامه .
(٥) يلاحظ أنه لا يستقيم الوزن إلا بحذف حرف العلة من قوله « أذكى » ؛ وهو خطأ لا يجيزه اللغة، ولعل في لفظي « أذكى » « وهاج » في هذا الشطر تقدما وتأخيرا ؛ والصواب « هاج » في الأول و « أذكى » في الثاني لسم من ذلك العيب . والأسى : الحزن . والهيام : شدة الشوق .
(٦) خافت في المسير، أي خففت منه وخففت من وقع الخطو لئلا يسمع .
(٧) الأوام : شدة العطش . ويريد الاشتياق إلى حديثهما .
(٨) المراد « باللهجة » هنا : طريقة النطق بالألفاظ وجرس الكلام .
(٩) الدوحة : الشجرة العظيمة المنسعة .

(١) ثم أَلَقْتُ قِنَاعَهَا بِنْتُ مِصْرٍ * وَأَمَاطَتْ بِنْتُ الشَّامِ الشَّامَا

فَتَوَهَّمْتُ أَنْ قَدْ انْفَلَقَ الْبَدُ * رُوقْدُكُنْتُ أَنْكِرُ الْأَوْهَامَا

(٢) فَوَارَيْتُ ثُمَّ عَلَّقْتُ أَنْفَا * سِيَّ مَا اسْطَظَعْتُ وَأَرْتَدَيْتُ الظَّلَامَا

ظُتًا ذَلِكَ الْمَكَانَ خِلَاءَ * لَا رَقِيبًا يُخْشَى وَلَا نَمَامَا

بِخَرَى فِيهِ مَا جَرَى مِنْ حَدِيثٍ * كَانَ بَرْدًا عَلَى الْحَشَا وَسَلَامَا

حِينَ قَالَتْ لِأَخْتِهَا بِنْتُ مِصْرٍ : * إِنَّكُمْ أُمَّةٌ أَبَتْ أَنْ تُضَامَا

(٣) صَدَقَ الشَّاعِرُ الَّذِي قَالَ فِيكُمْ * كَلِمَاتٍ نَبَّهْنَ مِنْهَا النَّيَامَا

(٤) رَكِبُوا الْبَحْرَ جَاوَزُوا الْقُطْبَ فَأَتُوا * مَوْقِعَ النَّيِّرِينَ خَاضُوا الظَّلَامَا

يَمْتَطُونَ الْخُطُوبَ فِي طَلَبِ الْعَيْدِ * شِيشٌ وَيَبْرُونَ لِلنَّضَالِ السَّهَامَا

(٥) فَأَنْبَرَتْ ظَبْيَةُ الشَّامِ وَقَالَتْ : * بَعْضُ هَذَا فَقَدْ رَفَعَتْ الشَّامَا

أَنْتُمْ الْأَسْبَقُونَ فِي كُلِّ مَرَمَى * قَدْ بَلَّغْتُمْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَرَامَا

(٦) إِنَّمَا الشَّامُ وَالْكِنَانَةُ صَنُوتَا * نِي رَغَمِ الْخُطُوبِ عَاشَا لِزَامَا

(٧) أُمُّكُمْ أُمَّنَا وَقَدْ أَرْضَعْتَنَا * مِنْ هَوَاهَا وَنَحْنُ نَابِي الْفِطَامَا

(٨) قَدْ تَزَلْنَا جِوَارِكُمْ فَمِدْنَا * مِنْكُمْ الْوُدَّ وَالنَّدَى وَالذَّمَامَا

(١) أَمَاطَتِ الشَّامُ : أَبْعَدَتْهُ وَنَحَتْهُ . (٢) عَلَّقَتْ أَنْفَاسِي ، أَيِ حَبْسَتْهَا عَنْ التَّرَدُّدِ فِي مَدْرَى

لِتَلَا تَسْمَعَ فَيَعْرِفَ مَكَانِي . (٣) الشَّاعِرُ ، هُوَ حَافِظٌ ، وَالْبَيْتَانِ اللَّذَانِ بَعْدَ هَذَا الْبَيْتِ مِنْ قَصِيدَةٍ

لَهُ سَتَانِ فِي هَذَا الدِّيَّانِ . (٤) النَّيْرَانُ : الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ . يَصِفُ عِزْمَ الشَّامِيِّينَ وَكَثْرَةَ ارْتِمَاحِهِمْ

فِي طَلَبِ الرِّزْقِ . (٥) بَعْضُ هَذَا ، أَيِ قَوْلِي بَعْضُ هَذَا إِذْ لَا تَسْتَحِقُّ كُلَّهُ . (٦) الصُّنُوتُ :

الْأَخُ الثَّقِينِ . (٧) رِيدَ «بِالْأَمِّ» : اللُّغَةُ الْعَرَبِيَّةُ . (٨) الذَّمَامُ : الْحَرَمَةُ وَالذَّمَةُ .

وَحَلَّلْنَا فِي أَرْضِكُمْ فَاصْبِنَا * مَنَزِلًا مُنْخَصِبًا وَأَهْلًا كِرَامًا
 وَغَشِينَا دِيَارَكُمْ حَيْثُ شِئْنَا * فَلَقِينَا طَلَاقَةً وَابْتِسَامًا
 (١) وَشَرِبْنَا مِنْ نَيْلِكُمْ فَتَسِينَا * مَاءَ لُبَانٍ سَلْسَلَا وَالْغَمَامَا
 وَقَبَسْنَا مِنْ نُورِكُمْ فَكَتَبْنَا * وَأَجَدْنَا يَثَارَنَا وَالنُّظَامَا
 وَتَلَوْنَا آيَاتِ شَوْقِي وَصَبْرِي * فَرَأَيْنَا مَا يَهْرُ الْأَفْهَامَا
 مَلَأَ الشَّرْقَ حِكْمَةً وَأَقَامَا * فِي ثَنَاءِ النُّفُوسِ أَنِّي أَقَامَا
 غَيِّبَ الْمَشْرِقَيْنِ مَا تَرَكَ الْأَفْ * لَكَ حَيْرِي وَأَذْهَلَ الْأَجْرَامَا
 (٢) وَأَعَادَا عَهْدَ الرَّشِيدِ لَعْبَا * سَ فَكَانَا يَرَاعُهُ وَالْحُسَامَا
 (٣) فَأَشَارَتْ فِتَاءُ مَضْرُوقَاتٍ : * قَدْكَ، لَمْ تَتْرُكِي لِمَضْرُوكَاتَا
 أَنْتُمْ النَّاسُ قُدْرَةٌ وَمَضَاءُ * وَنُهُوضًا إِلَى الْعُلَا وَأَعْتَرَامَا
 (٤) أَطْلَعْتُ أَرْضَكُمْ عَلَى كُلِّ أَفْقٍ * أَنْجُمًا إِثْرَ أَنْجُمٍ تَسْرَامِي
 (٥) تَرْكُ الْهَوْلِ لَا تَفَادِي وَتَمْشِي * فَوْقَ هَامِ الصَّعَابِ لَا تَتَحَامِي
 قَدْ سَمِعْنَا "خَلِيلَكُمْ" فَسَمِعْنَا * شَاعِرًا أَقْعَدَ الْهُنَى وَأَقَامَا
 (٦) وَطَمَعْنَا فِي شَأْوِهِ فَقَعَدْنَا * وَكَسَرْنَا مِنْ عَجْزِنَا الْأَقْلَامَا

(١) السلسل : العذب . (٢) يريد « بالرشيد » : الخليفة العباسي ، وكان عصره

حافلًا بالأدباء والشعراء . ويريد « بعباس » : الخديوي السابق عباس حلمي الثاني .

(٣) قَدْكَ : حبك . (٤) يريد « بالأنجم » : رجال سوريا المفرقين في أنحاء العالم .

(٥) لا تفادي ، أي لا تفادي . (٦) الشار : الناية .

نَظَمَ الشَّامَ وَالْعِرَاقَ وَمِصْرًا * سِلْكُ آيَاتِهِ فَكَانَ الْإِمَامَا
 فَشَى النَّثْرَ خَاضِعًا وَمَشَى الشُّعْرُ * وَأَلْقَى إِلَى الْحَلِيلِ الزَّمَامَا
 وَرَأَى فِيهِ رَأَيْنَا صَاحِبُ النَّيِّ * لَمْ فَاتَّهَدَى إِلَيْهِ ذَلِكَ الْوَسَامَا^(١)
 شَارَةً زَانِتِ الْقَزِيضِ فَكَانَتْ * شَارَةً النَّصْرِ زَانِتِ الْأَعْلَامَا
 فَعَقَدْنَا لَهُ اللَّوَاءَ عَلَيْنَا * وَاحْتَفَلْنَا تَزْيِيدَ إِكْرَامَا
 ذَلِكَ مَا دَارَ مِنْ حَدِيثٍ شَهِيٍّ * يَسْتَفِزُّ النَّهْيَ وَيَشْجِي النَّدَامَا
 قَدْ تَسَقَّطَتْهُ وَخَالَفَتْ فِيهِ * مَنْ يَرَى الثَّقَلَ سُبَّةً وَاجْتِرَامَا^(٢)
 فَمِنْ الثَّقَلِ مَا يَكُونُ حَلَالًا * وَمِنْ الثَّقَلِ مَا يَكُونُ حَرَامًا

* * *

صَدَقَ الْغَادَتَانِ يَا لَيْتَ قَوْمِيَّ * نَا كَمَا قَالَتَا هَوَىٰ وَآلِئَامَا
 نَحْنُ فِي حَاجَةٍ إِلَى كُلِّ مَا يُنْدُ * مِمِّي قُؤَانَا وَيَرْبِطُ الْأَرْحَامَا
 فَاجْعَلُوا حَفْلَةَ الْحَلِيلِ صَفَاءً * بَيْنَ مِصْرِ وَأُخْتِهَا وَسَلَامَا
 وَأَسْأَلُوا اللَّهَ أَنْ يُدِيمَ عَلَيْنَا * مَلِكُ "عِبَاسٍ" نَاضِرًا بِسَامَا^(٣)
 هُوَ آمَانَا وَحَايِي جَمَانَا * أَيُّدُ اللَّهِ مُلْكُهُ وَأَدَامَا

(١) صاحب النيل، أي أمير مصر، وكان إذ ذاك عباس الثاني .

(٢) تسقط الأخبار: تقيها واحدها شيئا به شيء .

(٣) منع "عباسا" من الصرف لغزوة الوزن .

تهنئة له أيضا للإناعام عليه بالوسام السابق ذكره

[نشرت في أول أبريل سنة ١٩١٣ م]

(١)
وَسِعَ الْفَضْلُ كُلَّهُ صَدْرَكَ الرَّحْمَ * بُفْمَنْ شَاءَ فَلْيَهْنِ وَسَامَهُ
لَمْ يَزِدْكَ الْوِسَامُ قَدْرًا وَلَكِنْ * زَادَ قَدْرَ الْعِلَا وَقَدْرَ الْكَرَامَةِ
كَمْ وَسَامٍ كَمْ حِلْيَةٍ كَمْ شِعَارٍ * فَيْكَ كَمْ شَارَةٍ وَكَمْ مِنْ عَلَامَةٍ
لِإِبَاءٍ وَحِكْمَةٍ وَإِخَاءٍ * وَصَفَاءٍ وَهِمَةٍ وَشَهَامَةٍ

تحية إلى واصف غالى بك (باشا)

أنشدها في فندق شبرد في ٤ يونيو سنة ١٩١٤ عند ما نشر كتابه المعروف « بحديقة الأزهار »
الذى ترجم فيه بعض الشعر العربي القديم إلى اللغة الفرنسية ، وكان يلقي محاضرات وخطب
في فرنسا ينوه فيها بالعرب ومصر والشرق

(٢)
يَا صَاحِبَ الرُّوضَةِ الْغَنَاءِ هَجَّتْ بِنَا * كَرَى الْأَوَائِلِ مِنْ أَهْلِ وَجِيرَانِ
نَشَرْتَ فَضْلَ كِرَامٍ فِي مَضَاجِعِهِمْ * جَرَّ الزَّمَانُ عَلَيْهِمْ ذَيْلَ نَسِيَانِ
إِنِّي أَحْيَيْكَ عَنْهُمْ فِي جَزِيرَتِهِمْ * وَفِي الْعِرَاقِ وَفِي مِصْرٍ وَلُبْنَانِ
جَلَوْتَ لِلْغَرْبِ حُسْنَ الشَّرْقِ فِي حُلٍّ * لَا يُسْتَهَانُ بِهَا نَسَاجُ (هَرْنَانِي) (٣)

(١) الضمير في « وسامه » للصدر . (٢) الروضة الغناء : هي التي تمر الريح فيها غير صافية
الصوت لكثافة ثباتها والتفافه . (٣) نساج هرناني . يريد تشبيه واصف غالى بفكتور هوجو
الشاعر الفرنسي المعروف مؤلف رواية هرناني ، وهي رواية تمثيلية معروفة نعت من عيون الأدب الفرنسي ،
وقد ترجمت إلى العربية .

- (١) ظَنُّوكَ مِنْهُمْ وَقَدْ أَنْشَأَتْ تَخَطُّبُهُمْ * بِمَا عَنَّا لَكَ مِنْ سِحْرِ وَتَيَّانٍ
 مَا زِلْتَ تَبْهَرُنَا طَوْرًا وَتَبْهَرُهُمْ * حَتَّى آدَعَاكَ وَحْيَاكَ الْفَرِيقَانِ
 لَوْلَا أَسِيرَارُكَ فَازُوا فِي آدَعَائِهِمْ * (بِوَصِيفِ) وَخَيْرُنَا أَيْ خُسْرَانِ
 غَرَسْتَ مِنْ زَهْرَاتِ الشَّرْقِ طَائِفَةً * فِي أَرْضِ (هَيْجُو) بِفَاءَتْ طُرْفَةَ الْجَانِي
 حَذِيقَةً لَكَ لَمْ نَعْهَدْ لَهَا شَبَهَا * بَيْنَ الْحَدَائِقِ فِي زَهْرِ وَأَفْنَانِ
 يُحْيِي شَذَاهَا نَفُوسَ الْوَاقِدِينَ وَمَا * مَرُّوا بِوَرْدٍ وَلَا طَافُوا بِرَمْحَانِ
 لَكِنَّهَا مِنْ أَزَاهِيرِ النَّهْيِ جَمَعَتْ * مَا لَا تُنَافِخُهُ أَزْهَارُ بُسْتَانِ
 بِالْأَمْسِ كَانَ لَهَا شَرْقٌ تَضُوعٌ بِهِ * وَالْيَوْمَ صَارَ لَهَا بِالْعَرَبِ شَرْقَانِ
 أَسْمَعْتَهُمْ مِنْ نَسِيبِ الْقَوْمِ فَانْطَلَقَتْ * سُؤُونَ كُلِّ شَيْءٍ الْقَلْبِ وَلَهَانِ
 وَزِدْتُهُمْ مِنْ كَلَامِ (الْبَحْرِيِّ) قِطْعًا * مِثْلَ الرِّيَاضِ كَسَتْهَا كُفَّ (نَيْسَانَ)
 سَلَّ (الْفَرِيدَ) وَ (لَا مَرْتَيْنَ) هَلْ جَرَّيَا * مَعَ (الْوَلِيدِ) أَوْ (الطَّائِي) بِمَيْدَانِ

(١) ظنوك منهم، أي ظنك الفرنسيون فرنسيًا منهم. وعنا: خضع وذل. (٢) يريد بالزهرات: المقطوعات الأدبية التي ترجمها. وهيجو، هو فيكتور هوجو الشاعر المعروف انظر التعريف به في الحاشية رقم ٢ من صفحة ٣٨ من هذا الجزء. والطرفة: الغريب المستحسن المعجب. (٣) الشذا: قوة ذكاء، الراححة. (٤) تنافخه، أي تباريه وتغالبه في النفع، أي الراححة الطيبة. (٥) تضوع: تفويج وتنتشر. (٦) النسيب: التشبيب بالنساء وذكر محاسنهن في الشعر. ويريد بالقوم شعراء العرب. والشؤون: مجاري الدموع. (٧) نيسان: شهر من شهور السنة المسيحية معروف، وهو يقابل أبريل. (٨) انظر التعريف بالفريد ديموسيه في الحاشية رقم ٢ من صفحة ١٢٦ من هذا الجزء. ولا مارتين، هو الفونس دلا مارتين الشاعر الفرنسي؛ ولد سنة ١٧٩٠ وتوفي في سنة ١٨٦٩ وهو معروف بركة الغزل حتى قيل له: شاعر الحب والجمال. والوليد، هو أبو عبادة البحرى. والطائى، هو أبو تمام حبيب بن أوس؛ وكلاهما شاعر معروف.

(١) وَهَلْ هُمَا فِي سَمَاءِ الشَّعْرِ قَدْ بَلَّغَا * شَاوُ (النَّوَاسِي) فِي صَوْنٍ وَإِتْقَانٍ
(٢) وَذَا وَقَدْ شَهِدَا بِالْحَقِّ أَنَّهَا * فِي بَيْتِ (أَحْمَد) لَوْ يَرْضَى نَدِيمَانِ
أَمْسَى كِتَابُكَ "كَالْسِيَا" يُعِيدُ لَهُمْ * مَرَأَى الْحَوَادِثِ مَرَّتْ مِنْذُ أَرْمَانِ
(٣) قَدْ شَاهَدَا فِيهِ تَحْتَ النَّقْعِ عَشْرَةٌ * يُصَارِعُ الْمَوْتَ عَنْ عَبَسٍ وَذُبْيَانِ
وَشَاهَدُوا أَسَدًا يَمْشِي إِلَى أَسَدٍ * كِلَاهُمَا غَيْرُ هَيَّابٍ وَلَا وَانِي
(٤) هَذَا مِنَ الْعَرَبِ لَا يُلَوِّى بِهِ فَرْعٌ * وَذَاكَ أَرَوَّعُ مِنْ آسَادِ خَفَّانِ
يَهْ دَرَّ يَرَايَ أَنْتَ حَامِلُهُ * لَوْ كَانَتْ فِي أَعْمَلِي يَوْمًا لَأَغْنَانِي
وَقَفْتَ تَدْفَعُ عَنْ آدَابِنَا تُهْمًا * كَادَتْ تَقْوُضُ مِنْهَا كُلُّ بُنْيَانِ
فَكُنْتَ أَوَّلَ مِصْرِيٍّ أَقَامَ لَهُمْ * عَلَى نَبَالَةٍ مِصْرِيٍّ أَلْفَ بُرْهَانِ

(١) وهل هما، أى ألفريد ولا مارتين . والنواسي ، هو أبو نواس الحسن بن هاني، الشاعر المعروف . والشاؤ : الغاية . (٢) يريد أبا الطيب أحمد بن الحسين المتنبى الشاعر المعروف . (٣) النقع : الغبار في الحرب . وعشرة ، هو ابن شداد العبسي ، وهو من فحول شعراء الجاهلية ومن فرسانهم المعروفين بالشجاعة والبأس ، وهو صاحب المعلقة التي أولها :

هل غادر الشعراء من مرقم * أم هل عرفت الدار بعد ترحم

وعبس وذبيان : قيلتان من قبائل العرب معروفتان ، ويشير إلى أن الممدوح قد ترجم بعض شعر عشرة في كتابه .

(٤) « لا يلوى به فرع » ، أى لا يصرفه ولا يردّه خوف . والأروع : الشهم الشجاع . وخفان : موضع قرب الكوفة تأوى إليه الأسود . ويشير بهذا البيت والذي قبله إلى قصيدة البديع الحمذاني التي قالها على لسان بشر بن عوانة ، وذكر فيها لقاءه للأسد وموانبته إياه حتى قتله ، وهي من القصائد التي ترجمها الممدوح إلى اللغة الفرستية في كتابه السابق ذكره ، وأولها :

أفاطم لو شهدت يبطن خبت * وقد لاقى المزبر أخاك بشرا

(١) ما زِلْتَ تُلقَى على أَسْمَاعِهِمْ حُجْجًا * في كُلِّ نَادٍ وَتَأْتِيهِمْ بِسُلْطَانِ
(٢) حَتَّى أَتَنَبَّيْتَ وما لِلْعَرَبِ مُجْتَرِي * على الْبِنَاءِ ولا زَارِ على الْبَانِي
(٣) مَحَوْتَ ما كَتَبُوا عَنَّا بِقَاطِعَةٍ * مِنَ الْبَرَاهِينِ قُلْتُ قولَ (رِيَّانِ)
(٤) أَنَحَى على الْأَدَبِ الشَّرْقِيِّ مُفْتَرِيًا * عَلَيْهِ ما شاءَ مِنْ زُورٍ وَبُهْتَانِ
ظَنَّ الْحَقِيقَةَ في الْأَشعارِ تَنَقُّصًا * وَاللَّفْظَ وَالْقَصْدَ والتَّصْوِيرَ في آنِ
(٥) وَأَنَّا لَمْ نَصِلْ فيها إلى مِثْلِهِ * عَدَا وَذاكَ لِيَّ أوْ لِنُقْصَانِ
(٦) وَلَوْ رَأَى (ابْنَ جُرَيْجٍ) في قِصائِدِهِ * لَقَالَ آمَنْتُ في سِرِّي وإِعْلَانِي
مَالِي أَفْأَحِرُ بِالْمَوْتِ وَبَيِّنَ يَدِي * مِنْ شِعْرِ أَحْيائِنَا ما لَيْسَ بِالْفَانِي
في شِعْرِ (شَوْقٍ) وَ(صَبْرِي) ما تَنَبَّيْ بِهِ * على نَوائِجِهِمْ دَعَّ شِعْرَ (مُطْرانِ)
(٧) بُوْرُكْتَ يا بْنَ الْوَزِيرِ الْحُرِّ مِنْ رَجُلٍ * لَمْ يَخْتَلِفْ فِيهِ أوْ في فَضْلِهِ أَثْنانِ
بَلَّغَ إِذا جِئْتَ (بارِيزًا) أَفْاضِلَها * عَنَّا التَّحِيَّاتِ وَأَشْفَعُها بِشُكْرانِ

(١) السلطان : الحجة والبرهان . (٢) الزاري : العائب . (٣) ريَّان

هو الفيلسوف الفرنسي المعروف الذي ردَّ عليه الأستاذ الإمام المرحوم الشيخ محمد عبده فيما رى الإسلام والمسلمين به من تهم ؛ وقد غمز الأدب الشرق بعدة مغامر سيد كرها الشاعر بعد . (٤) يقال :

أنحى عليه بالشتم ، إذا أقبل عليه به . والمفتري : الكاذب المخلوق . (٥) «وأنا» الخ ، أى ظن

أن شعراء العرب لم يصلوا في القصيدة الى مئة بيت ، ونسب ذلك إلى العجز في المنطق ونقصان اللغة العربية

وقصورها عن تادية ما يريده الشاعر . (٦) يريد بـابن جريج أبا الحسن علي بن العباس بن جريج الروي

مولى بنى العباس ، الشاعر المكثّر ، صاحب التوليد الغريب والمعاني المبكرة ؛ ولد ببغداد سنة ٢٢١ هـ .

وتوفى سنة ٢٨٣ هـ وهو مشهور بالمطولات من القصائد . (٧) الوزير ، هو بطرس غالى باشا

أبو المذوح .

- (١) وَخُصَّ كَاتِبُهُمْ (زُولَا) بِأَطْيَبِهَا * كَيْمَا يُقَابِلُ إِحْسَانُ بِإِحْسَانِ
(٢) وَاجْعَلْ لِسَفْرِكَ ذِيلاً فِي شَوَاعِرِنَا * وَقِفْ لَهْنُ هُنَاكَ الْمَوْقِفَ الثَّانِي
(٣) وَانْتَرَعِ الْغَرِيبَ مِنْ تِلْكَ الْحُلَى وَأَشِدْ * بِكُلِّ حُسْنَانَةٍ فِينَا وَحُسْنِ
(٤) وَعُدْ إِلَى الشَّرْقِ عَوْدَ الْفَاتِحِينَ لَهُ * وَخُذْ مَكَانَكَ فِيهِ فَوْقَ (كِيَوَانِ)
(٥) وَأَشْكُرْ رِعَايَةَ عَبَّاسٍ وَمِيتَتَهُ * وَأَشْرَحْ وَلَاءَكَ يَا (غَالِي) (لُعْمَانِ)
(٦) وَأَضْرَعْ إِلَى اللَّهِ أَنْ يَرَعَى أَرِيكَتَنَا * مَرْفُوعَةَ الشَّانِ مَا مَرَّ الْجَدِيدَانِ

تهنئة المغفور له السلطان حسين كامل بالسلطنة^(٧)

[نشرت في أول يناير سنة ١٩١٥ م]

- هَيْئَةً أَيُّهَا الْمَلِكُ الْأَجَلُّ * لَكَ الْعَرْشُ الْجَدِيدُ وَمَا يُظَلُّ
(٨) تَسْمُ عَرْشَ (اسْمَاعِيلَ) رَحْبًا * فَانْتَ لَصَوْبِلْجَانِ الْمَلِكِ أَهْلُ

- (١) هو اميل زولا الكاتب الفرنسي المعروف؛ ولد في باريس سنة ١٨٤٠ م، وتوفي سنة ١٩٠٢ م.
(٢) يرغب حافظ الى الممدوح أن يترجم الى اللغة الفرنسية كتاباً آخر من شعر النساء العربيات يكون
ذيلاً لكتابه الأول . (٣) أشاد بذكره، أي رفعه بالثناء عليه . وبكل حسنة وحسان، أي بكل
مجيدة محسنة في الشعر ومجيد محسن . ويجوز أن يقرأ هذان اللفظان بفتح الحاء، على معنى شاعرة وشاعر
يشبهان حسان بن ثابت . (٤) كيوان : اسم كوكب زحل بالفارسية . (٥) يرغب الى ممدوحه
أن يشرح لعثمان مرتضى باشا إخلاصه للنديوي ليلقه إياه، وكان عثمان باشا في سراي النديوي عباس الثاني
في منزلة كبير الأمراء الآن . (٦) الأريكة : سرير الملك . والجديدان : الليل والنهار .
(٧) ولد السلطان حسين كامل في يوم (١٩ صفر سنة ١٢٧٠ هـ) (٢١ نوفمبر سنة ١٨٥٣ م)، وفي يوم
١٩ ديسمبر سنة ١٩١٤ تولى عرش مصر؛ وتوفي رحمه الله في ١٩ أكتوبر سنة ١٩١٧ م. (٨) تسم العرش :
علاه . والصوبلجان : العصا المعوجة من الطرف؛ وهو لفظ فارسي معرب؛ وكانت الملوك تتخذ شعاراً للآل .

وَحَصَّنَهُ بِإِحْسَانٍ وَعَدِلُ • فِخْصُنُ الْمَلِكِ إِحْسَانٌ وَعَدِلُ
 وَجَدَّ سِيرَةَ الْعَمَرَيْنِ فِينَا • فَإِنَّكَ بَيْنَنَا لِلَّهِ ظَنُلُ^(١)
 لَقَدْ عَزَّ السَّرِيرُ وَتَاهَ لَمَّا • تَبَوَّاهُ الْمَلِكُ الْمُسْتَقِيلُ^(٢)
 وَهَشَّ التَّاجُ حِينَ عَلَا جِينًا • عَلَيْهِ مَهَابَةٌ وَعَلَيْهِ بُيُوتُ^(٣)
 تَمَنَّى لَوْ يَقَرُّ عَلَى أَبِي • تَنِيْلُ لَهُ الْخُطُوبُ وَلَا يَنِيْلُ^(٤)
 وَقَدْ نَالَ الْمَرَامَ وَطَابَ نَفْسًا • فَهَاهُوَ ذَا بِلَايِسِهِ يُنِيْلُ^(٥)
 وَمَا كُنْتَ الْغَرِيبَ عَنِ الْمَعَالِي • وَلَا التَّاجُ الَّذِي بِكَ بَاتَ يَعْلُو^(٦)
 وَإِنَّكَ مِنْذُ كُنْتَ وَلَا أَغَالِي • حُسَامٌ لِلْأَرِيكََةِ لَا يُفْسِلُ^(٧)
 فَكَمْ نَهْنَهَتْ مِنْ غَرْبِ الْعَوَادِي • وَكَمْ لَكَ فِي رُبُوعِ النَّيْلِ فَضْلُ^(٨)
 وَمَا مِنْ مَجْمَعٍ لِلْخَيْرِ إِلَّا • وَمِنْ كَفَيْكَ سَمْعٌ عَلَيْهِ وَبُلُ^(٩)
 فَقَدْ عَرَفَ الْفَقِيرُ نَدَاكَ قَدَمًا • وَقَدْ عَرَفَ الْكَثِيرُ عُلاكَ قَبْلُ
 لَكَ الْعَرْشَانِ: هَذَا عَرْشُ مِصْرَ، • وَهَذَا فِي الْقُلُوبِ لَهُ مَحَلُّ
 قَالَتْ ذَاتٌ بَيْنَهُمَا بِرَأْيٍ • وَعَزِيمٌ لَا يَحْكُلُ وَلَا يَمَلُّ

- (١) العمران : أبو بكر وعمر رضي الله عنهما . (٢) تاه : اختال . وتبواه : جلس عليه .
 (٣) هش للأمر : ارتاح إليه . (٤) يذل ، أى يفرط في التيه والاختيال .
 (٥) قوله : « ولا التاج الذى بك بات يعلو » أى ليس التاج الذى علا بهلاك غربيا عن المعالي
 أيضا . (٦) لا أغالي ، أى لا أبالغ . ولا يغل ، أى لا يثلم حده . (٧) « نهنت من
 غرب العوادي » ، أى كفتت من النوايب وصرقتها عن مصر . وغرب السيف ونحوه : حده .
 (٨) الويل : المطر الكثير .

(١) فَمَرُّشٌ لَا تَحُفُّ بِهِ قُسْلُوبٌ * تَحُفُّ بِهِ الْخُطُوبُ وَيَضْمَعِلُ
(٢) (أَبَا الْفَلَاحِ) كَمْ لَكَ مِنْ أَيْادٍ * عَلَى مَا فِيكَ مِنْ كَرَمٍ تَدُلُّ
(٣) وَآلَاءٍ وَإِنَّ أَطْلَبْتُ فِيهَا * وَفِي أَوْصَافِهَا فَا نَا الْمِقْلُ
(٤) عُحَيْتَ بِحَالَةِ الْفَلَاحِ حَتَّى * تَهَيَّبَ أَنْ يَزُورَ الْأَرْضَ مَحَلُّ
(٥) وَكَيْفَ يَزُورُ أَرْضًا سِرَتْ فِيهَا * وَانْتَ الْغَيْثُ لَمْ يُمْسِكْهُ بُحْلُ
(٦) وَكَمْ أَحْيَيْتَ مِنْ أَرْضٍ مَوَاتٍ * فَانْخَحْتَ تُسْتَرَادُ وَتُسْتَقْلُ
(٧) وَأَخْصَبَ أَهْلُهَا مِنْ بَعْدِ جَدِّبٍ * وَفَاضَ عَلَيْهِمْ رَغْدٌ وَنَقْلُ
(٨) وَكَمْ أَسْقَيْتَ فِي مِصْرِ جَرِيماً * عَلَيْهِ الْمَوْتُ مِنْ كَثْبٍ يُطْلُ
(٩) وَكُنْتَ لِكُلِّ مُسْكِينٍ وَقَاءً * وَأَهْلًا حِينَ لَمْ تَنْفَقْهُ أَقْلُ
(١٠) وَكُنْتَ قَتَى بَعْدَ أَيْكَ نَدْبًا * لَهُ رَأْيٌ يُسَدِّدُهُ وَيَفْعَلُ
(١١) لِكُلِّ عَظِيمَةٍ تُدْعَى قُبْلِي * بَلَاءٌ مُجَرَّبٌ يَحْدُوهُ عَقْلُ
(١٢) تَوَلَّيْتَ الْأُمُورَ قَتَى وَكُهْلًا * فَلَمْ يَلْبُغْ مَدَاكَ قَتَى وَكُهْلُ

- (١) يضمحل : ينحل ويذهب . (٢) كان المقفولة السلطان حين كامل يعني كل
العناية بخير الفلاح ورخائه ؛ وكان رئيسا للجمعية الزراعية مدة من الزمن . (٣) الآلا : النعم .
والقفل : الموجز في الكلام . (٤) المحل : الجذب . (٥) استراد المكان : طلبه
وتخيره للتزول فيه . (٦) النفل : زيادة الخير . (٧) من كَثْبٍ ، أى من قرب .
(٨) الوقاء : الحفظ . (٩) التدب ، هو من اذا تدب الحاجة أسرخ في قضائها ، والسريع
الى الفضائل . (١٠) يشير بقوله : «توليت الأمور قتي وكهلا» ، الى المناصب التي تولاه في عهد
أبيه اسماعيل وأخيه توفيق وابن أخيه عباس الثاني .

(١) وَجَرَّبْتَ الْحَوَادِثَ مِنْ قَدِيمٍ * وَمِثْلَكَ مَنْ يُجَرِّبُهَا وَيَبْلُوُ
 (٢) وَكُنْتَ لِمَجْلِسِ الشُّورَى حَيَاةً * وَنِيرَاسًا إِذَا مَا الْقَوْمُ ضَلُّوا
 (٣) فَلَمْ يَلَيْمُ بِسَاحَتِهِ جُحُودٌ * وَلَمْ يَجْلِسْ بِهِ عُضْوٌ أَشَلُّ
 (٤) وَمَا غَادَرْتَهُ حَتَّى أَفَاقُوا * وَمِنْ أَمْرَاضِ عَيْشِهِمْ أَبْلُوا
 فِعْشَ لِلنَّيْلِ سُلْطَانًا أَيًّا * لَهُ فِي مُلْكِهِ عَقْدٌ وَحَلُّ
 (٥) وَوَالِ الْقَوْمَ إِنَّهُمْ كِرَامٌ * مَيَّامِينَ النَّقِيبَةِ أَيْنَ حَلُّوا
 (٦) لَهُمْ مُلْكٌ عَلَى التَّامِيزِ أَصْحَحْتُ * ذُرَاهُ عَلَى الْمَعَالِي تَسْتَهْلُ
 (٧) وَلَيْسَ كَقَوْمِهِمْ فِي الْغَرْبِ قَوْمٌ * مِنْ الْأَخْلَاقِ قَدْ نَهَلُوا وَعَلُّوا
 فَإِنْ صَادَقْتَهُمْ صَدَقُوكَ وَدَا * وَلَيْسَ لَهُمْ إِذَا قَشَّتْ مِثْلُ
 (٨) وَإِنْ شَاوَرْتَهُمْ وَالْأَمْرُ جِدُّ * ظَفِرتْ لَهُمْ بِرَأْيٍ لَا يَزِلُّ
 وَإِنْ نَادَيْتَهُمْ لَبَّاكَ مِنْهُمْ * أَسَاطِيلُ وَأَسْيَافٌ تُسَلُّ
 (٩) فَمَادَدَهُمْ حِبَالُ الْوَدِّ وَأَنْهَضُ * بِنَا فِقْيَادُنَا لِلْخَيْرِ سَهْلُ

-
- (١) يبلو : يختبر . (٢) النيراس : المصباح . (٣) ألم بالمكان :
 زاره زيارة غير طويلة . (٤) أبل المريض : شفى .
 (٥) يريد بالقوم : الانجليز . وميون النقيبة : محمود المختبر .
 (٦) التاميز : نهر بانجلترا معروف . والذرا : المرتفعات ، الواحدة ذروة . وتسهل : تظهر .
 (٧) النهل (بالتحريك) : الشرب الأول . والعلل (بالتحريك أيضا) : الشرب الثانى . يريد أنه
 ليس فى أمم أوروبا أمة مثل الانجليز قد ارتوت من منهل الأخلاق . (٨) يزل : يختل .
 (٩) يقال : تماذا حبال الود ، اذا تواذا .

(١)
وَحَقَّقَ مِنْ مُصَابِ الشَّرِقِ فِينَا * فَنَحْنُ عَلَى رِجَالِ الْغَرْبِ ثِقُلُ
إِذَا نَزَلَتْ هُنَاكَ بِهِمْ خُطُوبُ * أَلَمْ بِنَا هُنَا قَلَقٌ وَشُغْلُ
(٢)
حِبَارَى لَا يَقَرُّنَا قَرَارُ * تُنَازِلُنَا الْخُطُوبُ وَنَحْنُ عَزَلُ
فَاهْلًا بِالذَّلِيلِ إِلَى الْمَعَالِي * أَلَا سِرِّيَا (حُسَيْنٌ) وَنَحْنُ نَتَلَوُ
وَأَسْعِدُنَا بِعَهْدِكَ خَيْرَ عَهْدٍ * بِهِ أَيَّامُنَا تَصْفُو وَتَحْلُو
(٣)
فَأَمْرُكَ طَاعَةٌ وَرِضَاكَ غُفْرٌ * وَسَيْفُكَ قَاطِعٌ وَتَدَاكَ جَزَلُ

إلى الطيبة (لونا)

قال هذين البيتين فيها بمناسبة طفلة رزقها صديقه محمد بك بدر
وكانت (لونا) هي المولدة

[نشرت في ١٥ فبراير سنة ١٩١٦ م]

(لُؤَنَا) شُهْرَةٌ فِي الطَّبِّ تَاهَتْ * بِهَا مِضْرُوتَاهُ بِهَا مَدِيحِي
(٤)
وَمِنْ تَجَبُّ تَدِينُ بَدِينِ (مُوسَى) * وَتَأْتِنَا بِمُعْجِزَةِ (الْمَسِيحِ)

-
- (١) يريد بالشطر الثاني من هذا البيت أن تأخرنا عن الغريمين جعلنا حملاً ثقيلاً على كواهلهم .
(٢) العزل : الذين لا سلاح لهم ، الواحد أعزل .
(٣) الجزل : الكثير .
(٤) يريد تشبيه هذه الطيبة في طبها بنبي الله عيسى عليه السلام ، إذ كانت معجزته إحياء الموتى .

ذكرى شكسبير^(١)

قالها تلبية لدعوة المجمع العلمى بانجلترا الذى أقام احتفالا

بذكرى شكسبير لمرور ثلثمائة عام على وفاته

[نشرت فى ١ مارس سنة ١٩١٦ م]

يُحْيِكَ مِنْ أَرْضِ الْكِفَانَةِ شَاعِرٌ * شَغُوفٌ بِقَوْلِ الْعَبَقَرِيِّينَ مُفْرَمٌ
وَيُطْرِبُهُ فِي يَوْمِ ذِكْرِكَ أَنْ مَشَتْ * إِلَيْكَ مُلُوكُ الْقَوْلِ عَرَبٌ وَأَعْجَمٌ^(٢)
نَظَرَتْ بَيْنَ الْغَيْبِ فِي كُلِّ أُمَةٍ * وَفِي كُلِّ عَصْرِ ثُمَّ انْشَأَتْ تَحْكُمُ
فَلَمْ تُخْطِئِ الْمَرْمَى وَلَا غَرَوْ أَنْ دَنَتْ * لَكَ الْغَايَةُ الْقُصُوى فَإِنَّكَ مُلْهِمٌ^(٣)
أَفَقَ سَاعَةً وَأَنْظَرُوا إِلَى الْخَلْقِ نَظْرَةً * تَجِدُهُمْ - وَإِنْ رَاقَ الطَّلَاءُ - هُمُ هُمُ^(٤)
عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ شَرِّ أَطْلَاعِهِمْ دَمٌ * وَفَوْقَ عُبابِ الْبَحْرِ مِنْ صُنْعِهِمْ دَمٌ^(٥)
تَفَانُوا عَلَى دُنْيَا تَفَرُّ وَبَاطِلٌ * يَزُولُ إِلَى أَنْ حَبَّتِ الْأَرْضُ مِنْهُمْ
فَلَيْتَكَ تَحْيَا يَا أَبَا الشَّعْرِ سَاعَةً * لَتَنْظُرَ مَا يُصْبِي وَيُدْهِى وَيُسْؤِلُ^(٦)
وَقَائِعَ حَرْبٍ أَجَّجَ الْعِلْمُ نَارَهَا * فَكَادَ بِهَا عَهْدُ الْحَضَارَةِ يُخْتَمُ^(٧)

(١) وليام شكسبير، هو الشاعر الانجليزى المعروف؛ ولد سنة ١٥٦٤م، وكانت وفاته سنة ١٦١٦م.

(٢) الأعجم : وصف يطلق على الجمع كما هنا ، وعلى المفرد ؛ يقال : رجل أعجم ، وقوم أعجم .

(٣) القصوى : البعيدة . (٤) راقى طلائه : أعجبني ظاهره . (٥) ظهرها ، أى

ظهر الأرض . (٦) أسماء السهم : قتله . (٧) أجج العلم ناراها ، أى أشعلها العلم

بمحرطاته المهلكة .

وَتَعْلَمُ أَنَّ الطَّيْعَ لَا زَالَ غَالِبًا * سَوَاءُ جَهُولِ الْقَوْمِ وَالْمُتَعَلِّمِ
 فَمَا بَلَّغْتَ مِنْهُ الْحَضَارَةَ مَأْرَبًا * وَلَا نَالَ مِنْهُ الْعِلْمُ مَا كَانَتْ يَزَعُمُ^(١)
 أَهَبْتَ بِهَذَا مِنْ قُرُونٍ ثَلَاثَةَ * وَكُنْتَ عَلَى تِلْكَ الطَّبَائِعِ تَنَقِّمُ^(٢)
 وَمَا هَدَمَ التَّجْرِبُ رَأْيَا بَنَيْتَهُ * وَلَا زَالَتِ الْآرَاءُ تُبْنَى وَتُهْدَمُ
 أَلَا إِنَّ ذِكْرِي شَكْسِيرٌ بَدَتْ لَنَا * بِشِيرٍ مَلَامٍ ثَعْرَهُ يَتَبَسَّمُ^(٣)
 فَلَوْ أَنْصَفُوا أَبْطَلَهُمْ لَهَادَنُوا * قَلِيلًا وَحَيَّوْا شِعْرَهُ وَتَرَنَّمُوا^(٤)
 وَلَمْ يُطْلِقُوا فِي يَوْمٍ ذِكْرَاهُ مِدْقًا * وَلَمْ يُزَهِّقُوا نَفْسًا وَلَمْ يَتَقَحَّحُوا^(٥)
 لَهُ قَلَمٌ ماضٍ الشَّبَابَ كَأَنَّمَا * أَقَامَ بِشَقِيهِ الْقَضَاءُ الْمُحْتَمُ^(٦)
 طَهُورٌ إِذَا مَا دُنُسَتْ كُفٌّ كَاتِبٍ * وَثُوبٌ إِذَا مَا قَرَّ فِي الطَّرِيسِ مِرْقَمُ^(٧)
 وَلَوْعٌ بِتَصْوِيرِ الطَّبَاعِ فَلَمْ يَحْزُ * بِمَاطِنَةٍ إِلَّا حِسْبَانَهُ يَرْسُمُ^(٨)
 أَرَانِي فِي (مَا كَيْتِ) لِلْحَقْدِ صُورَةً * تَعْكَادُ بِهَا أَحْشَاؤُهُ تَنْقُصُ^(٩)
 وَمَثَلٌ فِي (شَيْلُوكَ) لِلْبُخْلِ بِمُحَنَّةٍ * عَلَيْهَا غُبَارُ الْمَوِينِ وَالْوَجْهُ أَقْتَمُ^(١٠)
 وَأَقْعَدَنِي عَنْ وَصْفِ (مَمْلَيْتِ) حُسْنًا * وَفِي مِثْلِهَا تَعْبَا الْبِرَاعَةُ وَالْقَسَمُ

(١) مه، أى من الطمع . (٢) أهبت : دعوت .

(٣) تهادنوا قتلوا، أى كفوا من الحرب . يشير إلى ما كان إذ ذاك من توقد نار الحرب العظمى .

(٤) تنعم الحرب واتحمتها : دخل فيها وخالطها . (٥) شاة القلم : مه .

(٦) المرقم : القلم . (٧) يشير بهذا البيت إلى قصيدة شكير في خنجر ما حكيث

التي ترجعها حافظ ونشرت في هذا الديوان . (٨) الممون : النذل ، والأقتم : العايس

المنجهسم .

دَعِ السَّحَرَ فِي (رُمُيُو) وَ (جُولِيَتَ) إِنَّمَا * يُحِسُّ بِمَا فِيهَا الْأَدِيبُ الْمُتَمِّمُ
 أَنَاهُمْ بِشَعْرِ عَبْقَرِيٍّ كَأَنَّهُ * سَطُورٌ مِنَ الْإِنْجِيلِ تُتْلَى وَتُكْرَمُ
 نَدَى عَلَى الْأَيَّامِ يَزْدَادُ نَضْرَةً * وَيَزْدَادُ فِيهَا جِدَّةً وَهُوَ يَقْدَمُ^(١)
 يُؤْتِي إِلَى قُرَائِهِ أَنْ نَسْجَه * لِيَوْمٍ وَأَنْتَ الْحَائِكُ الْيَوْمَ فِيهِمْ^(٢)
 كَيْتَلِكَ النُّفُوشُ الزَّاهِيَاتِ بِمَعْبِدٍ * لِفِرْعَوْنَ لَا زَالَتْ عَلَى الدَّهْرِ تَسْلَمُ
 فَلَمْ يَذَنْ مِنْ إِحْسَانِهِ مُتَأَخَّرٌ * وَلَمْ يَحْرِ فِي مِيدَانِهِ مُتَقَدِّمٌ
 أَطَّلَ عَلَيْهِمْ مِنْ سَمَاءٍ خَيَالِهِ * وَحَلَّقَ حَيْثُ الْوَهْمُ لَا يَتَجَسَّمُ^(٣)
 وَجَاءَ بِمَا فَوْقَ الطَّبِيعَةِ وَقَعُهُ * فَأَكْبَرَ قَوْمٌ مَا أَنَاهُ وَأَعْظَمُوا
 وَقَالُوا تَحَدَّانَا بِمَا يُعْجِزُ النَّهْيَ * فَلَسْنَا إِذَنْ آثَارَهُ نَتَرَسَّمُ^(٤)
 وَلَمْ يَتَحَدَّ النَّاسَ لَكِنَّهُ أَمْرٌ * بِمَا كَانَ فِي مَقْدُورِهِ يَتَكَلَّمُ
 لَقَدْ جَهِلُوهُ حَقَبَةً ثُمَّ رَدُّهُمْ * إِلَيْهِ الْهُدَى فَاسْتَغْفَرُوا وَتَرَحَّمُوا^(٥)
 كَذَلِكَ رِجَالُ الشَّرْقِ لَوْ يُنْصِفُونَهُمْ * لَقَامَ لَهُمْ فِي الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ مَوْسِمُ
 أَضَاءَ بِهِمْ بَطْنُ الثَّرَى بَعْدَ مَوْتِهِمْ * وَأَعْقَابُهُمْ عَنْ نُورِ آيَاتِهِمْ عَمُوا

- (١) يريد «بالندى» تشبيه شعره بالزهر المبتل بالندى ؛ والذي وجدناه في كتب اللغة بهذا المعنى (الندى) يتخفيف الياء مع كسر الدال لا بتشديد ها .
- (٢) يقول : إن شعره بلغة معانيه ومسايرتها لكل عصر ينحيل لقراءته أنه قد قيل في هذا العهد الذي قراوه فيه ، وأن قائله لا يزال حيا بينهم .
- (٣) لا يتجسم ، أى لا يتكلف .
- (٤) نتحدانا : بارانا ونازعنا الغلبة . وترسم آثاره : اقتدى بها وسار عليها .
- (٥) الحقبة : المدة من الدهر .

فَقُلْ لِيَنِ التَّامِيزِ وَالْجَمْعُ حَافِلٌ * بِهِ يُنْشَرُّ الدُّرُّ الثَّمِينُ وَيُنْظَمُ
لَنْ كَانَ فِي ضَخْمِ الْأَسَاطِيلِ نَحْرُكُمْ * لَفَخْرُكُمْ بِالشَّاعِرِ الْفَرْدِ أَعْظَمُ

الى عظمة السلطان حسين كامل^(١)

ألقاها بين يديه أثناء زيارته لمدينة طنطا في السراوق الذى أقيم له هناك

[نشرت فى ٦ مايو سنة ١٩١٦ م]

فِي سَاحَةِ (الْبَدَوِيِّ) حَلَّتْ سَاحَةٌ * عِزُّ الْبِلَادِ بِعِزِّهَا مَوْصُولُ^(٢)
وَأَتَى (الْحُسَيْنُ) يَزُورُ قُطْبَ زَمَانِهِ * يَرْتَعَى وَيَحْرُسُ رَكْبَهُ (جَبْرِيلُ)
زَادَتْ مَوَاسِمُنَا (بَطْنًا) مَوْسِمًا * لِمَلِكِهِ التَّقْدِيسُ وَالتَّبَجُّيلُ
بِالسَّاحَتَيْنِ لِكُلِّ رَاجٍ مَوْئِلُ^(٣) * وَلِكُلِّ عَافٍ مَرْبَعٌ وَمَقِيلُ^(٤)
قُلْ لِلْفَقِيرِ إِذَا سَأَلَتْ فَلَا تَحْفَ * رَدًّا فَمَا فِي السَّاحَتَيْنِ بَنِيْلُ
بَرَكَاتُ هَذِي لَا يَغِيضُ مَعِينَهَا * نَقَعَاتُ تِلْكَ كَثِيرُهَا مَأْمُولُ^(٥)
قَدْ أَخْصَبَ الْإِقْلِيمُ حِينَ حَلَّتْهُ * وَالْغَيْثُ لَا يَبْقَى عَلَيْهِ مُحْوَلُ^(٥)

- (١) انظر التعريف بالمغفور له السلطان حسين كامل فى الحاشية رقم ٧ ص ٦٧ من هذا الجزء .
(٢) يريد « بالبدوى » : السيد احمد البدوى المعروف ضريحه ومسجده بطنطا . ويريد بالساحة الثانية : ساحة السلطان . (٣) العافى : طالب المعروف . والمرجع : المكان يقام فيه وقت الربيع . والمقيل : موضع الراحة نصف النهار . (٤) « هذى » ، إشارة الى ساحة البدوى . ولا يغيبض معينا ، أى لا يقل ولا يتقص موردها . والمعين فى الأصل : الماء الجارى . « وتلك » ، إشارة الى ساحة السلطان . (٥) المحول : الجذب .

وَبَدَا يَمْوِجُ بِسَاكِنِيهِ وَعِطْفُهُ * قَدْ كَادَ مِنْ طَرَبِ اللَّقَاءِ يَمِيلُ^(١)
 ذَكُّوا بِمَقْدَمِكَ الْمُبَارِكَ مَوْقِفًا * قَدْ قَامَ فِيهِ أَبُوكَ (إِسْمَاعِيلُ)
 فِي مِثْلِ هَذَا الْيَوْمِ خَلَّدَ ذِكْرَهُ * أَثَرُهُ يَنْبُتُ الْعِبَادِ جَلِيلُ
 تَرَاثُ السُّعُودَ عَلَى الْوُفُودِ وَحَوْلَهُ * يَتَجَاوَبُ التَّكْثِيرُ وَالتَّهْلِيلُ
 دَامَتْ مَائِرُهُ وَمَنْ يَكُ صُنْعُهُ * كَأَيْكَ إِسْمَاعِيلُ كَيْفَ يَزُولُ؟
 فَاهْنًا بِمُلْكِكَ يَا (حُسَيْنُ) فَمَهْدُهُ * عَهْدُ بَحْقِيقِ الرَّجَاءِ كَفِيلُ
 وَانْهَضْ بِشَعْبِكَ فِي الشُّعُوبِ فَإِنَّمَا * لَكَ بَعْدَ رَبِّكَ أَمْرُهُ مَوْكُولُ
 وَلِيَهْنِي الْبَدَوِيُّ أَنَّ صَدِيقَهُ * عَنْ وَدِّهِ الْمَعْهُودِ لَيْسَ يَحُولُ
 قَدْ جَاءَهُ يَسْعَى إِلَيْهِ وَحَوْلَهُ * أَعْلَى وَأَكْرَمُ مَنْ سَقَاهُ النَّيْلُ^(٢)

(١) يَمْوِجُ : يضطرب . والعطف : الجانب .

(٢) يريد « بالأعلى » و « الأكرم » : من كان في ركب السلطان .

عمر بن الخطاب^(١)

أنشدما في الحفل الذي أقيم لسماع هذه القصيدة بمدرج وزارة المعارف بدرب الجمايز

مساء الجمعة ٨ فبراير سنة ١٩١٨ م

- (٢) حَسْبُ الْقَوَائِي وَحَسْبِي حِينَ أُقِيهَا * أَنِّي إِلَى سَاحَةِ (الْفَارُوقِ) أُهْدِيهَا
(٣) لَاهُمْ ، هَبْ لِي بَيَانًا أَسْتَعِينُ بِهِ * عَلَى قَضَاءِ حُقُوقِ نَامٍ قَاضِيهَا
(٤) قَدْ نَارَعَتْنِي نَفْسِي أَنْتَ أَوْفِيهَا * وَلَيْسَ فِي طَوْقِي مِثْلِي أَنْ يُوقِيهَا
(٥) فُتْرَسِرِي الْمَعَانِي أَنْ يُوَاتِنِي * فِيهَا فَإِنِّي ضَعِيفُ الْحَالِ وَاهِيهَا

(مقتل عمر)

- (٦) مَوْلَى الْمَغِيرَةِ، لَا جَادَتَكَ غَادِيَةً * مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ مَا جَادَتْ غَوَادِيهَا

(١) ولد أبو حفص عمر بن الخطاب بمكة سنة ٢٧ قبل الهجرة، وكان قبل إسلامه من أشد الناس عداوة للإسلام وأهله، ثم أسلم رضي الله عنه بعد ست سنين من مبعث النبي صلى الله عليه وسلم، وشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مشاهد كلها؛ ولما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت له اليد الطولى في حسم الخلاف بين المسلمين على الخلافة؛ ولما أحس أبو بكر بدتو أجله استخلف عمر. وتاريخ عمر حافل بالأموال الجسام؛ وقتل رضي الله عنه يوم الأربعاء لأربع ليال بقين من ذي الحجة سنة ٢٣ هـ.

(٢) الفاروق: اسم لعمر بن الخطاب، سماه به رسول الله صلى الله عليه وسلم، لأنه فرق بين الحق والباطل.

(٣) لاهم، أي اللهم. (٤) الطوق: الجهد والطاقة. (٥) سري المعاني: شريفها ورفيعها. ويواتيني: يطعنني ويمدني.

(٦) مول المغيرة، هو أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبه وهو فارسي الأصل، وكان قد شكا إلى عمر ارتفاع الخراج الذي ضربه عليه مولاه المغيرة، ورجاه في تخفيفه، فلم يجبه إلى ما طلب، فأسرعا في نفسه، وتحين به الفرص حتى طعننه بخنجره وهو قائم يصلي. ويقال: إن قتل عمر لم يكن نتيجة حقد أبي لؤلؤة عليه، ولكنه كان نتيجة مؤامرة سياسية كان أكبر العاملين فيها الهرمزان الفارسي، واختير أبو لؤلؤة لتنفيذ هذا الفرض. والغادية: السحابة تنشأ غداة واجمع الغوادي. وجادتك: أمطرتك؛ يدعو عليه بانقطاع الخير والرحمة عنه.

(١)

مَزَّقَتْ مِنْهُ أَدِيمًا حَشَوَهُ هِمٌّ * فِي ذِمَّةِ اللَّهِ عَالِيَهَا وَمَاضِيهَا

(٢)

طَعَنْتَ خَاصِرَةَ (الْفَارُوقِ) مُتَقِيًّا * مِنْ الْحَنِيفَةِ فِي أَعْلَى مَجَالِيهَا

(٣)

فَأَصْبَحَتْ دَوْلَةُ الْإِسْلَامِ حَائِرَةً * تَشْكُو الْوَجِيعَةَ لَمَّا مَاتَ آسِيهَا

(٤)

مَضَى وَخَلَّفَهَا كَالطُّودِ رَاسِيَةً * وَزَانَ بِالْعَدْلِ وَالتَّقْوَى مَغَانِيهَا

(٥)

تَبَّوْا الْمَعَاوِلَ عَنْهَا وَهِيَ قَائِمَةٌ * وَالْمَهَادِمُونَ كَثِيرٌ فِي نَوَاحِيهَا

حَتَّى إِذَا مَا تَوَلَّاهَا مُهَدِّمُهَا * صَاحَ الزَّوَالُ بِهَا فَاذْكُ عَالِيَهَا

(٦)

وَأَهَا عَلَى دَوْلَةٍ بِالْأَمْسِ قَدْ مَلَأَتْ * جَوَانِبَ الشَّرْقِ رَغْدًا مِنْ أَيَادِيهَا

(٧)

كَمْ ظَلَّلَتْهَا وَحَاطَتْهَا بِأَجْنِحَةٍ * عَنْ أَعْيُنِ الدَّهْرِ قَدْ كَانَتْ تُوَارِيهَا

(٨)

مِنَ الْعِنَايَةِ قَدْ رِيشتُ قَوَادِمُهَا * وَمِنْ صَمِيمِ الثَّقَى رِيشتُ خَوَافِيهَا

(٩)

وَاللَّهُ مَا غَالَهَا قَدَمًا وَكَادَهَا * وَأَجْبَثَتْ دَوْحَتَهَا إِلَّا مَوَالِيَهَا

لَوْ أَنَّهَا فِي صَمِيمِ الْعُرْبِ قَدْ بَقِيَتْ * لَمَّا نَعَاهَا عَلَى الْآيَامِ نَاعِيَهَا

(١) الأديم : الجلد . وقوله : « عَالِيَهَا وَمَاضِيهَا » يصف همة عمر بالرفعة والمضاء .

(٢) الخاصرة : الخصر . وفي أعلى مجاليها ، أى فى أرفع مظاهرها .

(٣) الآسى : الطيب . (٤) الطود : الجبل العظيم . والمغانى : المنازل ، الواحد مغنى .

(٥) تبو : تكل وترتد . (٦) الأيادى : النعم . (٧) كم ظللها ، أى أن هذه الدولة

ظلت جوانب الشرق . (٨) القوادم : عشر ريشات فى مقدم الجناح ، وهى كبار الريش

الواحدة قادمة . والخوافى : منار الريش ، وهى تحت القوادم . (٩) غالها : اغتالها وأهلكها .

راجبث : استأصل . والدوحة : الشجرة العظيمة المتسعة الظل ، والجمع دوح . ويريد « بالموالى » : غير

العرب . ويشير بهذا البيت الى نكبة الدول الإسلامية على أيديهم ، فهم الذين قتلوا عمر ، وكانوا سببا

فى إسقاط الدولة الأموية وإضمار الدولة العباسية حتى سقطت .

(١) يَأْتِيَهُمْ سَمِعُوا مَا قَالَه (عَمْرُ) * وَالرُّوحُ قَدْ بَلَغَتْ مِنْهُ تَرَاقِيهَا:
لَا تُكْثِرُوا مِنْ مَوَالِيكُمْ فَإِنَّ لَهُمْ * مَطَامِعًا بِسَمَاتِ الضَّعِيفِ تُخْفِيهَا

(إسلام عمر)

(٢) رَأَيْتَ فِي الدِّينِ آراءَ مُوقَّعةً * فَأَنْزَلَ اللَّهُ قُرْآنًا يُزَكِّيهَا
وَكُنْتَ أَوَّلَ مَنْ قَرَّتْ بِصُحْبَتِهِ * عَنِ الْحَنِيفَةِ وَاجْتَاذَتْ أَمَانِيهَا
قَدْ كُنْتَ أَعْدَى أَعَادِيهَا فَصَرَّتْهَا * بِنِعْمَةِ اللَّهِ حِصْنًا مِنْ أَعَادِيهَا
نَخَرَجْتَ تَبْغِي أَذَاهَا فِي (عَهْدِهَا) * وَلِلْحَنِيفَةِ جَبَّارُ يُوَالِيهَا
فَلَمْ تَكْذُ تَسْمَعْ الْآيَاتِ بِالْغَنَةِ * حَتَّى أَنْكَفَأَتْ تُتَاوَى مِنْ يُتَاوِيهَا

- (١) يقال بلغت روحه التراقي، اذا شارف الموت . والتراقي : أعالي الصدر حيث يترقى النفس .
(٢) يزكّيها : يعزّزها ويؤيدها . ويشير بهذا البيت الى ما كان من عمر — رضى الله تعالى عنه — حين كان يرى الرأى فينزل به القرآن ، حتى بلغت موافقاته نيفا وعشرين آية ، منها آية التحريم في الخمر لما قال : « اللهم بين لنا في الخمر بينا شافيا » . ومنها آية الاستئذان في الدخول ، وذلك أنه دخل عليه غلامه ، وكان ناعما ؛ فقال : « اللهم جرم الدخول » ؛ فنزلت آية الاستئذان الخ . (٣) يشير الشاعر بهذا البيت الى ما عرف عن عمر من شدّته على النبي والمسلمين قبل إسلامه ، ثم ما كان منه بعد ذلك من اعزاز الاسلام بدخوله فيه . (٤) يواليا : يناصرها ، وهو الله تعالى . ويشير الشاعر بهذا البيت والأبيات بعده الى السبب في إسلام عمر ، وذلك أنه كان خرج في يوم من الأيام ليواصل أذاه للنبي صلى الله عليه وسلم ، فلقبه نعيم بن عبد الله وأخبره بإسلام أخته وزوجها سعيد بن زيد ؛ وعيره ذلك ، فرجع عمر اليهما غاضبا ، وكان عندهما خباب بن الأرت ومعه صحيفة فيها سورة طه يقرئها إياها ؛ فلما دنا عمر من البيت سمعهم ، وأحسوا هم به ، فاختنى خباب ، ودخل عمر ، فشرع على الصحيفة وقرأ ما فيها ، فأعجب به وأطراه ، ومال قلبه الى الاسلام ، فقصده الى النبي صلى الله عليه وسلم وأسلم على يديه .
(٥) انكفأ : رجع . وتتاوى : تتأوى ، أى تماذى .

- (١) سَمِعْتَ (سُورَةَ طه) مِنْ مُرَتَّلِهَا * فَزَلَزْتَ نَبِيَّةً قَدْ كُنْتَ تُنَوِّيهَا
 (٢) وَقُلْتَ فِيهَا مَقَالًا لَا يُطَاوِلُهُ * قَوْلُ الْمُحِبِّ الَّذِي قَدْ بَاتَ يُطْرِيهَا
 (٣) وَيَوْمَ أَسَلَمْتَ عِزَّ الْحَقِّ وَارْتَفَعْتَ * عَنْ كَاهِلِ الدِّينِ أَثْقَالَ يُعَانِيهَا
 (٤) وَصَاحَ فِيهِ (بِلَالٌ) صَيْعَةً خَشَعَتْ * لَهَا الْقُلُوبُ وَلَبَّتْ أَمْرَ بَارِيهَا
 (٥) فَانْتَ فِي زَمَنِ (الْمُخْتَارِ) مُنْجِدُهَا * وَأَنْتَ فِي زَمَنِ (الصَّدِّيقِ) مُنْجِيهَا
 (٦) كَمْ أَسْتَرَكَ رَسُولُ اللَّهِ مُقْتَبِطًا * بِحِكْمَةٍ لَكَ عِنْدَ الرَّأْيِ يُلْفِيهَا

(عمر وبيعة أبي بكر)

- (٧) وَمَوْقِفُكَ بَعْدَ (المُصْطَفَى) أَفْتَرَقَتْ * فِيهِ الصَّحَابَةُ لَمَّا غَابَ هَادِيهَا
 بَايَعَتْ فِيهِ (أَبَا بَكْرٍ) فَبَايَعَهُ * عَلَى الْخِلَافَةِ قَاصِيهَا وَدَانِيهَا

- (١) يريد «بالتبعية» : النية التي كان ينويها عمر قبل اسلامه من إيذاء رسول الله صلى الله عليه وسلم .
 (٢) لا يطاوله : لا يقابله . وأطراه بطريه : أحسن الثناء عليه وبالغ في مدحه .
 (٣) الكاهل : مقدم أعلى الظهر مما يلي العنق . (٤) بلال ، هو ابن رباح ، وكان مولى لأبي بكر الصديق رضي الله عنه ، اشتراه ثم أعنته ، وكان له خازنا ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم مؤذنا ، ومات رحمه الله بدمشق سنة عشرين هجرية . ويشير الشاعر بهذا البيت الى اظهار المسلمين أمر دينهم بسبب إسلام عمر بعد ما كانوا يخفونه خوفا من المشركين ، ويجهر بلال بالأذان .
 (٥) يريد بالصديق : أبا بكر أول الخلفاء الراشدين ؛ ويشير بالشطر الثاني من هذا البيت الى الخلاف الذي سبق مبايعة أبي بكر ، وحسنه عمر يوم السقيفة ، ومناصرتة لأبي بكر مدة خلافته ، ويشير الشاعر الى ذلك بعد . (٦) استراك : أصلها استرهالك ، أى طلب رأيك . (٧) يشير الى اختلاف المسلمين في يوم السقيفة بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم ، وما كاد يلحقهم من انقسام الكلمة في اختيار خليفة لهم ، وإلى فضل عمر يومها بله شعهم وإسراعه الى مبايعة أبي بكر بالخلافة .

- (١) وَأُطِفَّتْ فِتْنَةُ لَوْلَاكَ لَأَسْتَعَرْتُ * بَيْنَ الْقَبَائِلِ وَأَنْسَابَتْ أَفَاعِيهَا
(٢) بَاتَ النَّبِيُّ مُسَجِّىً فِي حَظِيرَتِهِ * وَأَنْتَ مُسْتَعِيرُ الْأَحْشَاءِ دَائِمِيهَا
(٣) تَهِيمٌ بَيْنَ تَجْيِيجِ النَّاسِ فِي دَهْشٍ * مِنْ نَبَأَةٍ قَدْ مَرَى فِي الْأَرْضِ سَارِيهَا
(٤) تَصِيحٌ : مَنْ قَالَ نَفْسُ الْمُصْطَفَى قُبِضَتْ * عَلَوْتُ هَامَتَهُ بِالسَّيْفِ أُرِيهَا
أَنْسَاكَ حُبَّكَ طَهَ أَنَّهُ بَشَرٌ * يُجْرَى عَلَيْهِ شُؤْنُ الْكَوْنِ مُجْرِيهَا
وَأَنَّهُ وَارِدٌ لَا بَدَّ مَوْرِدَهُ * مِنْ الْمَنِيَّةِ لَا يُعْفِيهِ سَاقِيهَا
نَسِيتَ فِي حَقِّ طَهَ آيَةً تَزَلَّتْ * وَقَدْ يُذَكَّرُ بِالآيَاتِ نَاسِيهَا
(٥) ذَهَلَتْ يَوْمًا فَكَانَتْ فِتْنَةً عَمَمٌ * وَتَابَ رُشْدُكَ فَانْجَابَتْ دِيَابِجِيهَا
(٦) فَلِلْسَقِيفَةِ يَوْمٌ أَنْتَ صَاحِبُهُ * فِيهِ الْخِلَافَةُ قَدْ شِيدَتْ أَوَاسِيهَا
(٧) مَدَّتْ لَهَا (الْأَوْسُ) كَفًّا كَيْ تَتَاوَلَهَا * فَمَدَّتْ (الْخَزْرَجُ) الْأَيْدَى تُبَارِيهَا

- (١) استعرت : اتقدت . (٢) بينى الميت : مدَّ عليه ثوبه وغطاه به .
(٣) هام يهيم : ذهب على وجهه لا يدرى أين يذهب . والعجيج : الصباح ورفع الصوت . والنباة :
الصوت الخفى ، ويريد نبأ وفاة النبي صلى الله عليه وسلم . ويشير بهذا البيت والآيات الخمسة بعده الى
ما تولى الناس وعمر معهم من الدهش بوفاة النبي صلى الله عليه وسلم ، حتى إن عمرو وقف بينهم يهددهم
بقطع رأس كل من يقول : " مات محمد " حتى جاءهم أبو بكر ، فخطبهم خطبة ذكرهم فيها بقوله تعالى :
(وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل) الآية ؛ فعادوا الى صوابهم . (٤) الهامة : الرأس .
(٥) عمم : عامة . وانجابت : انقضت وزالت . والدبابجى : الظلمات .
(٦) الأواسى : جمع آسية ، وهى العمود .
(٧) الضمير فى « لها » و « تاتاولها » للخلافة . والأوس والخزرج : قبيلتا الأنصار . وتباريها :
تنازعاها الغلبة على الخلافة .

(١). وظنَّ كلَّ فريقٍ أنتَ صاحبهم * أولى بها وأتى الشَّخَنَاءَ آتيها
(٢) حتى أنبريتَ لهم فارتدَّ طامِعُهُم * عنها وأخى (أبو بكر) أواخيها

(عمر وعليّ)

(٣) وقَوْلُهُ (لعلِّي) قالها (عمر) * أَكْرَمَ بِسَامِعِهَا أَعْظَمَ بِمُلْقِهَا!
حرقتُ دارَكَ لا أُبقي عليك بها * إنَّ لم تُبايعْ وبنتُ المصطفى فيها
ما كان غيرُ (أبي حفص) يَفْوهُ بها * أَمَامَ فَارِسِ (عَدْنَانٍ) وَحَامِيهَا
كَلَامُهُمَا فِي سَبِيلِ الْحَقِّ غَزَمَتُهُ * لا تَتَّقِي أَوْ يَكُونِ الْحَقُّ ثَانِيهَا
فَاذْكُرْهُمَا وَتَرَحَّمْ كُلُّمَا ذَكَرُوا * أَعَظِمَا أُلْهُوا فِي الْكَوْنِ تَأْلِيهَا

(عمر وجبله بن الأيهم)

(٤) كَمْ خِفْتَ فِي اللَّهِ مَضْعُوقًا دَعَاكَ بِهِ * وَكَمْ أَخَفْتَ قَوِيًّا يَنْتَقِي تَيْبَا
(٥) وَفِي حَدِيثِ قَتِي غَسَّانَ مَوْعِظَةٌ * لِكُلِّ ذِي نَعْرَةٍ يَأْبَى تَنَاسِيهَا

(١) صاحبهم ، أى الذى نصبوه للخلافة منهم . (٢) أخى أواخيها ، أى مكن لها ووقع صلاتها وقوامها . والأواحي : العرا ، الواحدة أخية . (٣) يشير بهذه الأبيات الى امتناع علي عن البيعة لأبي بكر يوم السقيفة ، وتهديد عمر إياه بخريق بيته اذا استمر على امتناعه وكان فيه زوجة على فاطمة بنت الرسول صلى الله عليه وسلم . (٤) المضعوف ، أى الضعيف ؛ والقياس مضعف ، كقولهم : أسعده الله فهو مسعود ؛ والقياس مسعد (بفتح العين) . وبه ، أى بالله . وتبها : كبرا . (٥) قتي غسان ، هو جبله بن الأيهم أحد أبناء الغساسنة ملوك الشام ، كان قد اعتنق الإسلام ، وبينما هو يوما يطوف إذ وطئ أعرابي ثوبه ، فظلمه جبله لطمه هشمت أُنْفَهُ ، فشكاه الأعرابي الى عمر ، فأمر أن يقتل منه ، وأبى جبله ذلك ، وهرب ، والتجأ الى القسطنطينية ، وتنصر . والنقرة (بفتح العين) — وسكنت هنا للضرورة — : الخيلاء والكبر .

فما القوي قويا رَغَمَ عِزَّتَهُ * عند الخُصومة (والفاروق) قاضيا
وما الضعيف ضعيفا بعد حُجَّتِهِ * وإن تخاصمَ وإليها وراعيها

(عمر وأبو سفيان)

(١) وما أَقَلَّتْ (أبا سفيان) حِينَ طَوَى * عَنْكَ الْهَدِيَّةَ مُعْتَرَاً بِمُهْدِيهَا
لَمْ يُغْنِ عَنْهُ وَقَدْ حَاسَبْتَهُ حَسْبُ * وَلَا (مُعاوية) بِالشَّامِ يُجْبِيهَا
قَيَّدَتْ مِنْهُ جَلِيلًا شَابَ مَفْرِقُهُ * فِي عِزَّةٍ لَيْسَ مِنْ عِزِّ يَدَانِيهَا
قَدْ نَوَّهُوا بِأَسْمِهِ فِي جَاهِلِيَّتِهِ * وَزَادَهُ سَيِّدُ الْكَوْنَيْنِ تَتْوِيهَا
فِي فَتْحِ مَكَّةَ كَانَتْ دَارُهُ حَرَمًا * قَدْ أَمَّنَ اللَّهُ بَعْدَ الْبَيْتِ غَاشِيهَا

(١) وما أقلت أبا سفيان، أي مازكته ولا تناضيت عنه . وبمهديا، أي معاوية . ويشير الشاعر بهذه الأبيات إلى ما يروى من أن معاوية - وهو على الشام - بعث مرة إلى عمر بن الخطاب بمال وأدم وكتب إلى أبيه أبي سفيان أن يدفع ذلك إلى عمر، فخرج الرسول حتى قدم على أبي سفيان بالمال والأدم؛ فذهب أبو سفيان بالأدم والكتاب إلى عمر، واحتبس المال لنفسه؛ فلما قرأ عمر الكتاب قال: فأين المال يا أبا سفيان؟ قال: كان علينا دين ومعونة، ولنا في بيت المال حق، فإذا أخريجت لنا شيئا قاضيتا به؛ فقال عمر: اطرحوه في الأدم (أي القيد) حتى يأتي بالمال، فأرسل أبو سفيان من أماله بالمال، فأمر عمر بإطلاقه من الأدم، فلما قدم الرسول على معاوية قال: أرايت أمير المؤمنين أعجب بالأدم، قال: نعم، وطرح فيه أباك؛ قال: ولم؟ قال: جاءه بالأدم وجبس المال؛ قال: أي والله، والخطاب لو كان لطرحه فيه .

(٢) يريد بقوله: "جليلًا" وما بعده من الأوصاف: أبا سفيان . والمفروق: وسط الرأس .
(٣) توه به . رفع ذكره ومدحه وعظمه . (٤) يشير بهذا البيت والذي قبله إلى ما اختص به رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا سفيان يوم فتح مكة من جعل بيته أمنا لمن دخله واعتصم به من المشركين . وقوله: «بعد البيت»، أي بعد الكعبة .

وَكُلُّ ذَلِكَ لَمْ يَشْفَعْ لَدَى (عُمَرِ) * فِي هَفْوَةٍ (لَأَبِي سُفْيَانَ) يَأْتِيهَا

(١)

تَاللَّهِ لَوْ فَعَلَ (الْخَطَّابُ) فَعَلَّتَهُ * لَمَا تَرَخَّصَ فِيهَا أَوْ يُجَازِيهَا

(٢)

فَلَا الْحَسَابَةُ فِي حَقِّ يُجَامِلُهَا * وَلَا الْقَرَابَةُ فِي بُطْلِ يُجَاهِيهَا

(٣)

وَتِلْكَ قُوَّةُ نَفْسٍ لَوْ أَرَادَ بِهَا * ثُمَّ الْجِبَالُ لَمَا قَرَّتْ رَوَاسِيهَا

(٤)
(عمر وخالد بن الوليد)

(٥)

سَلَّ قَاهِرَ الْفُرْسِ وَالرُّومَانِ هَلْ شَفَعَتْ * لَهُ الْفُتُوحُ وَهَلْ أَغْنَى تَوَالِيهَا

(٦)

غَزَى فَأَبَى وَخَيَّلُ اللَّهِ قَدْ عُدَّتْ * بِالْيَمَنِ وَالنَّصْرِ وَالْبُشْرَى نَوَاصِيهَا

- (١) ترخص في الأمر : تساهل . يقول : لو فعل الخطاب ، وهو أبو عمر ، مثل هذا ، ما تساهل في عقابه حتى يجازيه . (٢) الحسابة : الحسب . والبطل : الباطل . (٣) الشم : المرتفعة . والروابي : الثابتة . (٤) بينما كان خالد بن الوليد يقود جيوش المسلمين في فتح الشام ، إذ جاء البريد من المدينة ينعي أبا بكر ، ويخبر باستخلاف عمر بن الخطاب ، ومعه أمر بعزل خالد بن الوليد ، وإسناد إمارة الجيش العامة إلى أبي عبيدة بن الجراح ، فكتم أبو عبيدة الأمر عن خالد ريثما تم النصر للمسلمين ، وكان وصول البريد على أصح الروايات والمسلمون على حصار دمشق . ويقال : إن سبب عزل خالد أمران : أولهما ما كان في نفس عمر بن الخطاب على خالد بن الوليد منذ قتل خالد مالك بن نويرة ، وتركه امرأاً في حرب الردة ؛ وثانيهما إقبال جند المسلمين على خالد بن الوليد وحبيهم له واستماتتهم بين يديه في جميع حروبه في العراق والشام ، وذلك لين طالعه في الحروب وشجاعته . وقد علم عمر بذلك ، فغشى من افتتان الناس به ، لهذا بادر بعزله قبل أن يصل خبر توليه الخلافة إلى المسلمين ؛ وخالد أمير على جيش عظيم منهم . ولم يكتم عمر عن خالد ما في نفسه من جهته ، بل أظهره له ، فقال له بعد عزله : « وما عزلتك لريبة فيك ، ولكن افتتن الناس بك ، فغمت أن تفتن بالناس » . وبقى خالد إلى آخر حياته مطيعاً لعمر ، وقبل موته أوصى عمر بأولاده ؛ وقد أشار الشاعر إلى ذلك . (٥) قاهر الفرس والرومان : خالد بن الوليد . (٦) النواصي : جمع ناصية ، وهي مقدم الرأس . والمسموع في مثل هذه العبارة إدخال الباء على « النواصي » لا على « اليمن » كما هنا ؛ ومنه قوله صلى الله عليه وسلم : « الخيل معقود بنواصيها الخير » فدخولها على اليمن على سبيل القلب ، والقلب في اللغة سماعي .

- (١) يَرْمِي الْأَعَادِي بَأْرَاءٍ مُسَدَّدَةٍ * وَبِالْفَوَارِسِ قَدْ سَالَتْ مَذَاكِهَا
(٢) مَا وَقَعَ الرُّومَ إِلَّا فَرَّ قَارِحُهَا * وَلَا رَمَى الْفُرْسَ إِلَّا طَاشَ رَامِيهَا
(٣) وَلَمْ يَحْزُ بِلَدَّةٍ إِلَّا سَمِعَتْ بِهَا * اللَّهُ أَكْبَرُ تَدَوَّى فِي نَوَاحِيهَا
(٤) عِشْرُونَ مَوْقِعَةً مَرَّتْ مُحَجَّلَةً * مِنْ بَعْدِ عَشْرِ بَنَانِ الْفَتْحِ تُحْصِيهَا
(٥) وَ(خَالِدٌ) فِي سَبِيلِ اللَّهِ مُوقِدُهَا * وَ(خَالِدٌ) فِي سَبِيلِ اللَّهِ صَالِيهَا
(٦) أَنَاهُ أَمْرٌ (أَبِي حَفِصٍ) فَقَبْلَهُ * كَمَا يُقْبَلُ آيَ اللَّهِ تَالِيهَا
وَأَسْتَقْبَلِ الْعَزَلَ فِي إِبَانِ سَطَوَتِهِ * وَبِحَيْدِهِ مُسْتَرِيحَ النَّفْسِ هَادِيهَا
(٧) فَاعْجَبْ لَسِيدِ مُخْزُومٍ وَفَارِسِيهَا * يَوْمَ التَّرَالِ إِذَا نَادَى مُنَادِيهَا
(٨) يَقُودُهُ حَبِشِيُّ فِي عِمَامَتِهِ * وَلَا تُحَرِّكُ مُخْزُومٌ عَوَالِيهَا
(٩) أَلْقَى الْقِيَادَ إِلَى الْجَرَاحِ مُتَثَلًا * وَعِزَّةُ النَّفْسِ لَمْ تُجْرَحْ حَوَاشِيهَا
وَأَنْضَمَّ لِلْجُنْدِ يَمْشِي تَحْتَ رَايَتِهِ * وَبِالْحَيَاةِ إِذَا مَالَتْ يُفَدِّيهَا

- (١) المذاكي : الخيل التي تم سنها وكلت قوتها . وانسيال المذاكي : كناية عن انتشارها وكثرتها
تشبيها بانسيال الماء . (٢) قارحها ، أي القوى المكتمل منهم . (٣) المسموع
تدوى (بتشديد الواو) ، أي يرتفع الصوت بها . (٤) محجلة ، أي واضحة مشرقة بالانتصار فيها .
ومعنى البيت أن خالدا ظفر في ثلاثين موقعة تسجلها له يد الفتح . (٥) صالها : أي يقامى
حرها وشدها . (٦) أمر أبي حفص ، أي أمر عمر بعزله . (٧) مخزوم : قبيلة خالد .
(٨) يريد « بالحبشي » بلال بن رباح ، وهو الذي قذف أمر عمر في خالد بأن يجبره بعمامة حين استجبا
أبو عبيدة من تنقيده ، فهد بلال عمامة خالد ووضعها في رقبته ، ثم رجمها إلى رأسه ثانية ، وقال : نطبع
أمرأنا ونكرم سادتنا . والعوالى : الرماح . وتحريكها : كناية عن الثورة على عمر والانتصاف لخالد .
(٩) الضمير في « ألقى » : يعود إلى فارس مخزوم خالد بن الوليد . والجراح ، هو أبو عبيدة بن الجراح .

(١) /

وما عرته شُكوكٌ في خليفته * ولا ارتضى إمرة الجراح تمويها

(٢)

(نخالد) كان يدري أن صاحبه * قد وجه النفس نحو الله توجيها

(٣)

فما يعالج من قول ولا عمل * إلا أراد به للناس ترفيها

(٤)

لذلك أوصى بأولاده (عمرًا) * لما دعاه إلى الفردوس داعيها

(٥)

وما نهى (عمر) في يوم مضرعه * نساء مخزوم أن تبكي بواكيها

(٥)

وقيل: خالفت يا (فاروق) صاحبنا * فيه وقد كان أعطى القوس باريها

(٦)

فقال: خفت أفتان المسلمين به * وفنت النفس أعيت من يداويها

(٧)

هبوه أخطأ في تأويل مقصده * وأنها منقطة في عين ناعيها

(٧)

فلن تعيب حفيف الرأي زلته * حتى يعيب سيوف الهند نايها

(٨)

تالله لم يتبع في (ابن الوليد) هوى * ولا شفى غلة في الصدر يطويها

(٨)

لكنه قد رأى رايًا فأتبعه * عزيزة منه لم تثل مواضيها

(١) التويه: إظهار ما يخالف الباطن. (٢) صاحبه، أى عمر بن الخطاب. (٣) الترفيه:

الرجد والنعيم. (٤) يشير إلى ما يروى من أن عمر بلغه أن نسوة من نساء بني المنيرة اجتمعن

في دار يكين على خالد بن الوليد، فقال: وما عليهن أن يكينن أبا سليمان ما لم يكن تقع أو لقلقة.

(٥) صاحبنا، يريد أبا بكر، «وفيه»، أى فى خالد. وأعطى القوس باريها، أى استعان فى الحرب

بمن له معرفة وحذق، وهو مثل يضرب فى تفويض الأمر إلى من يحسنه ويبيده.

(٦) هبوه. أى هبوا عمر، وهو خطاب من الشاعر إلى الناس. وفى عين ناعيها، أى فى عين من

يمدد سقطات عمر وزلاته. (٧) حفيف الرأي: جيده ومحكمه. و«نايها»، أى ما ينبو من

سيوف الهند ويكل ويرتد. يقول: من عرف بالحكمة فى رأى لا تعيبه زلة، كما لا يحط من قدر

سيوف الهند أن تنبو مرة. (٨) المواضى: السيوف الماضية. و«لم تثل»، أى لم تكسر أشفارها.

(١) لَمْ يَرَّعَ فِي طَاعَةِ الْمَوْلَى خُؤُولَتَهُ * وَلَا رَعَى غَيْرَهَا فِيمَا يُنَافِيهَا
(٢) وَمَا أَصَابَ ابْنَهُ وَالسَّوْطُ يَأْخُذُهُ * لَدَيْهِ مِنْ رَاقَةٍ فِي الْحَدِّ يُبْدِيهَا
(٣) إِنْ الَّذِي بَرَأَ (الْفَارُوقَ) نَزَّهَهُ * عَنِ النَّقَائِصِ وَالْأَغْرَاضِ تَتَرِيهَا
فَذَاكَ خُلِقَ مِنَ الْفِرْدَوْسِ طَبَقَتَهُ * اللَّهُ أَوْدَعَ فِيهَا مَا يُنْقِيهَا
لَا الْكِبْرِيَّاتُ سَكُنُهَا ، لَا الظُّلُمُ يَصْحَبُهَا ، * لَا الْحَقْدُ يَعْرِفُهَا ، لَا الْحِرْصُ يُغْوِيهَا

(٤) (عمر وعمر بن العاص)

(٥) شَاطَرْتَ دَاهِيَةَ السَّوَاسِ ثَرْوَتَهُ * وَلَمْ تَخْفَهِ بِمَصِيرٍ وَهُوَ وَالِيهَا
وَأَنْتَ تَعْرِفُ (عَمْرًا) فِي حَوَاضِرِهَا * وَلَسْتَ تَجْهَلُ (عَمْرًا) فِي بَوَادِيهَا
لَمْ تُنْبِتِ الْأَرْضُ كَابْنَ الْعَاصِ دَاهِيَةً * يَرْمِي الْخُطُوبَ بِرَأْيٍ لَيْسَ يُحْطِ بِهَا

(١) - خؤولته ، أى خؤولة قبيلة خالد لعمر : فأم عمر حنمة بنت حاشم بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم . وفيما ينافيا ، أى فى معصية المولى .
(٢) يقول : إن ابنه لم يزل معه راقاة وهو يحد في شرب الخمر ، والسياط تأخذ من جسمه . ويشير بذلك الى حذره ولده عبد الرحمن في الخمر وقد مرض بعد ذلك ومات .
(٣) برأ الفاروق : خلقه .
(٤) كان شأن عمر رضى الله عنه مع عماله أن يصادروهم فى أنصاف أموالهم ؛ لأنه كان يرى أن ما يجمعونه من المال إنما هو حق للمسلمين ، فينبغى أن يؤخذ منهم ويرد لبيت المال ، فعل هذا عمر مع من رأى لديهم ثروة لم يعلم مصدرها . وقد كتب الى عمرو بن العاص : إنه قد فشت لك فاشية من متاع ورقيق وآنية وحبوان لم تكن حين وليت مصر . فكتب اليه عمرو : إن أرضنا أرض مزدراع وشجر ، فنحن نصيب فضلا عما نحتاج اليه لنفقتنا . فكتب اليه : إني قد خبرت من عمال السوء ما كفى ، وكأبك إلى كتاب من أفلقه الأخذ بالحق ، وقد سؤرت بك ظنا ؛ وقد رجعت اليك محمد بن مسلمة ليقاسمك مالك ، فأطلعه عليه وأخرج اليه ما يطالبك به ، وأعفه من النظطة عليك . فلم يسع عمرو بن العاص على دكانه وعلو مكانه وبعدد عن أمير المؤمنين إلا الخضوع لما أمره به ، ومقاسمة ابن مسلمة ماله . وإلى هذه القصة يشير الشاعر .
(٥) داهية السواس : عمرو بن العاص .

(١) فَلَمْ يُرِغْ حِجْلَةً فَيَا أُمِّتَ بِهِ * وَقَامَ (عَمْرُو) إِلَى الْأَجْمَالِ يُزْجِيهَا
(٢) وَلَمْ تُقَلِّ حَامِلًا مِنْهَا وَقَدْ كَثُرَتْ * أَمْوَالُهُ وَفَشَا فِي الْأَرْضِ فَاشِيهَا

(عمر وولده عبد الله)

(٤) وَمَا وَقَى ابْنُكَ (عَبْدُ اللَّهِ) أَيْتَقَهُ * لَمَّا أَطْلَعْتَ عَلَيْهَا فِي مَرَاغِبِهَا
يُهَا فِي حِمَاءٍ وَهِيَ سَارِحَةٌ * مِثْلَ الْقُصُورِ قَدْ أَهْتَرَتْ أَطَالِيهَا
فَقُلْتُ: مَا كَانَ (عَبْدُ اللَّهِ) يُشْبِعُهَا * لَوْ لَمْ يَكُنْ وَلَدِي أَوْ كَانَ يُرْوِيهَا
قَدْ اسْتَعَانَ بِجَاهِي فِي تِجَارَتِهِ * وَبَاتَ بِأَسَمِ (أَبْنِي حَفِصٍ) يُنَمِّيهَا
رُدُّوا النَّيَاقَ لَيْتَ الْمَالِ إِنَّ لَهُ * حَقَّ الزَّيَادَةِ فِيهَا قَبْلَ شَارِيهَا
(٦) وَهَذِهِ خُطَّةٌ لِلَّهِ وَاضِعُهَا * رَدَّتْ حُقُوقًا فَأَغْنَتْ مُسْتَمِيعِيهَا
(٧) مَا الْأَشْرَاقُ الْكَثْرُ الْمَنْشُودُ جَانِبُهَا * بَيْنَ الْوَرَى فَيَرْمِي مَنْ مَبَانِيهَا
(٨) فَإِنْ نَكُنْ نَحْنُ أَهْلِيهَا وَمَنْبَتُهَا * فَلَا نَهْمُ عَرَفُوهَا قَبْلَ أَهْلِيهَا

- (١) أرغ يرغ : طلب . وزججها : يسوقها . (٢) ولم تقل حاملا منها ، أى لم تصف
أحدا من عمالك من مشاطرة ماله . وفشا ، أى انتشر وكثر .
(٣) يشير الشاعر بهذه الأبيات إلى ما يروى من أن عمر مر يوما بنوق قد بدت عليها آثار النعمة
فسأل عن صاحبها ، فقيل له : عبد الله ، فساقها إلى بيت المال فلما به أن ثروة ابنه لا تقى لها ، وأنه
لولا جانه بين الناس ما قدر على إطعامها . (٤) الأيتق : النياق .
(٥) ينميا : يزيدا . (٦) أغنت مستمعيها ، أى أغنت أصحاب الحقوق عن استجدائها
والتماسها بمذلة السؤال . (٧) المنشود : المطلوب . يريد أن المذهب بالاشترائك المعروف ما هو
إلا فرع من هذه الخطة التي سار عليها عمر . (٨) فإن نكون نحن ، أى العرب ، أهل هذه
الخطة وفيها ثبتت ، فإن الغربيين قد عرفوها وعملوا بها قبلنا ونحن أحق بها وأهلها .

(عمر ونصر بن حجاج^(١))

جَنَى الْجَمَالَ عَلَى (نَصْرِ) فَغَرَّبَهُ * عَنِ الْمَدِينَةِ تَبْكِيهِ وَيُبْكِيهَا
وَكَمْ رَمَتْ قَسِمَاتُ الْحُسْنِ صَاحِبَهَا * وَأَنْعَبَتْ قَصَبَاتُ السَّبْقِ حَاوِيَهَا^(٢)
وَزَهْرَةُ الرُّوضِ لَوْلَا حُسْنُ رَوِّقِهَا * لَمَّا اسْتَطَالَتْ عَلَيْهَا كُفٌّ جَانِبِهَا
كَانَتْ لَهُ لِمَّةً فَيُنَانُهُ عَجَبٌ * عَلَى جَبِينِ خَلِيقِ أَنْفٍ يُحَلِّبُهَا^(٣)
وَكَانَ أَنَّى مَشَى مَالَتْ عَقَائِلُهَا * شَوْقًا إِلَيْهِ وَكَادَ الْحُسْنُ يَسْبِيهَا^(٤)
هَتَفَنَ تَحْتَ اللَّيَالِي بِأَسْمِهِ شَفَقًا * وَلِلْحُسْنِ تَمَنَّى فِي لَيَالِيهَا
جَزَزَتْ لَيْتَهُ لَمَّا أُتِيَ بِهِ * فَفَاقَ عَاطِلُهَا فِي الْحُسْنِ حَالِيهَا^(٥)

(١) يشير الشاعر بهذه الأبيات إلى ما روى من أن عمر - رضي الله عنه - مر ليلة في المدينة فسمع امرأة تقول :

هل من سبيل إلى نهر فاشربها * أو من سبيل إلى نصر بن حجاج

فقلت لها امرأة معها : من نصر؟ قالت : رجل أود لو كان معي طول ليلة ليس معاً أحد . فدعا بها عمر ، فلفقها بالدرة ، ودعا بنصر فلفق لته ، فداد أحسن مما كان ؛ فقال : لانسأكني في بلدة يتنالك النساء بها ، وأخرجه إلى البصرة . وحاول نصر أن يعود إلى المدينة ، فأبى ذلك عليه عمر وقال : أما ولي سلطان فلا . وكان نصر من أجمل الناس .

(٢) قسِمَاتُ الْحُسْنِ : مجاليه . وقصبة السبق : ما ينصب في ميدان السباق ، فن سبق أقطمها وأخذها ليعلم أنه السابق .

(٣) اللمة (بالكسر) : الشعر المجاور شحمة الأذن ، والجمع لم . وفينانة : طويلة حسنة .

(٤) عَقَائِلُهَا ، أى عقال المدينة . وعقال النساء : كرائمهن ، الواحدة عقيلة . ويسبها : يأسرها .

(٥) عَاطِلُهَا : المجرد منها . وحاليها : المتزين بها .

فَصَحَّتْ فِيهِ تَحَوُّلٌ عَنْ مَدِينَتِهِمْ * فَإِنَّهَا فِتْنَةٌ أَخْشَى تَمَادِيهَا

(١)

وَفِتْنَةُ الْحُسَيْنِ إِنْ هَبَّتْ نَوَاحِيهَا * كَفِتْنَةِ الْحَرْبِ إِنْ هَبَّتْ سَوَافِيهَا

(٢) (عمر ورسول كسرى)

وَرَاعَ صَاحِبَ (كَسْرَى) أَنْ رَأَى عُمَرَا * بَيْنَ الرَّعِيَةِ عُظْلًا وَهُوَ رَاعِيهَا

وَعَهْدُهُ بِمُلُوكِ الْفَرَسِ أَنْ لَهَا * سُورًا مِنَ الْجُنْدِ وَالْأَحْرَاسِ يَحْمِيهَا

رَأَاهُ مُسْتَغْرِقًا فِي نَوْمِهِ قَرَأَى * فِيهِ الْجَلَالََةَ فِي أَشْمَى مَعَانِيهَا

فَوْقَ النَّوَى تَحْتَ ظِلِّ الدَّوْحِ مُشْتِمِلًا * بِبُرْدَةٍ كَادَ طُولُ الْعَهْدِ يُبْلِيهَا

فَهَانَ فِي عَيْنِهِ مَا كَانَ يُكْبِرُهُ * مِنْ الْأَكَايِرِ وَالْذَنَبِ بِأَيْدِيهَا

وَقَالَ قَوْلَهُ حَقٌّ أَصْبَحَتْ مَثَلًا * وَأَصْبَحَ الْجَيْلُ بَعْدَ الْجَيْلِ يَرْوِيهَا :

أَمِنْتُ لِمَا أَقَمْتُ الْعَدْلَ بَيْنَهُمْ * فَنِمْتُ نَوْمَ قَرِيرِ الْعَيْنِ هَانِيهَا

(١) نواحيها : أى درانجها الطيبة ، جمع ناحة . وسوافى الحرب ، أى عواصفها - والأصل فى السوافى :

الريح تحمل النبار . يقول : إن الحسن يفعل فى النفوس بلفظه ورقته ما تفعله الحرب بقسوتها وشدةها .

ويرويه بعض الأدباء قلا عن حافظ «لواحيها» باللام مكان «نواحيها» بالنون ، والواحي : الرياح

الحارة المحرقة ، جمع لاحة ؛ والمعنى عليه يستقيم أيضا كما هو ظاهر .

(٢) يشير بهذه الأبيات إلى ما يروى من أنه لما وصل رسول كسرى إلى المدينة يريد مقابلة الخليفة

جعل يستهدى إلى قصره ، فلم أنه لا يسكن قصرًا ، وانتهى به الأمر إلى أن وصل إلى بيت كيوث أفقر العرب

وشناك كان الخليفة العظيم راقدا على الرمل أمام البيت ، جاعلا منه وسادة أسند إليها رأسه ، ولم يكن حوله

من مظاهر هذه الحياة ما يميزه من أصغر فرد فى رعيته ؛ فلما رأى الرسول ذلك دهش ، ووقف أمامه خاشعا

وقال عبارته المعروفة : عدلت يا عمر وأمنت فمنت . (٣) عطلا (بالضم) ، أى متجردا من

مظاهر الأبهة . (٤) الدوح : جمع دوحة ، وهى الشجرة العظيمة المتسعة الظل ، واشتمل الرجل

بنوبه : قلقف به وأداره على جسده .

(عُمَر والشورى)^(١)

يَارَافِعًا رَايَةَ الشُّورَى وَحَارِسَهَا * بَزَاكَ رَبُّكَ خَيْرًا عَنْ مُجِيهَا
لَمْ يُلْهِكَ التَّرْعُ عَنْ تَأْيِيدِ دَوْلَتِهَا * ^(٢) وَالْمَنِيَّةِ آلَامُ تُعَانِيهَا
لَمْ أَنَسْ أَمْرَكَ لِلْمِقْدَادِ يَحْمِلُهُ * إِلَى الْجَمَاعَةِ إِنْذَارًا وَتَنْبِيهَا
إِنْ ظَلَّ بَعْدَ ثَلَاثِ رَأْيَا شُعْبًا * ^(٣) بَجَرْدِ السَّيْفِ وَأَضْرِبَ فِي هَوَادِيهَا
فَاعْجَبْ لِقُوَّةِ نَفْسٍ لَيْسَ يَصْرِفُهَا * طَعْمُ الْمَنِيَّةِ مُرًّا عَنْ مَرَامِيهَا
دَرَى عَيْدُ بَنِي الشُّورَى بِمَوْضِعِهَا * فَعَاشَ مَا عَاشَ بَيْنَهَا وَبُعْلِهَا
وَمَا آسَنَبَدَّ بَرَأْيٍ فِي حُكُومَتِهِ * إِنَّ الْحُكُومَةَ تُغَيِّرُ مُسْتَبَدِّيَهَا
رَأَى الْجَمَاعَةَ لَا تَشْقَى الْبِلَادُ بِهِ * رَغَمَ الْخِلَافِ وَرَأَى الْفَرْدَ يُشْقِيهَا

(١) كان عمر من يأخذون بالشورى في أمورهم ، وكان يقول : لا خير في أمر أبرم من غير شورى .
وهو أول من قرر قاعدة الشورى في انتخاب الخليفة ، فقد سئل عند ما طعن عمر بن الخطاب عليه ، فقال
للقداد بن الأسود : اذا وضعتموني في حفرتي فأدخل عليا وعثمان والزبير وسعدا وعبد الرحمن بن عوف
وطلحة إن قدم ، وأحضر عبد الله بن عمر ، ولا شيء له من الأمر ، فقم على رؤوسهم ، فإن اجتمع نخبة
ورضوا رجلا وأبى واحد فاضرب رأسه بالسيف ؛ وان اتفق أربعة فترضوا رجلا منهم وأبى اثنان فاضرب
رأسهما ، فان رضى ثلاثة رجلا وثلاثة رجلا منهم ، لحكموا عبد الله بن عمر ، فأبى الفريقين حكم له فليخاروا
رجلا منهم ، فإن لم يرضوا بحكم عبد الله فكونوا مع الذين فيهم عبد الرحمن بن عوف ، واقتلوا الباقين
إن رغبوا عما اجتمع عليه الناس . والى هذه القصة يشير الشاعر .

(٢) دولتها ، أى دولة الشورى .

(٣) بعد ثلاث ، أى بعد ثلاث ليال . والهواذى : الأعناق .

(مثال من زهده)

(١) يا مَنْ صَدَفَتْ عَنِ الدُّنْيَا وَزِيلَتْهَا * فَلَمْ يَغْرُكْ مِنْ دُنْيَاكَ مُغْرِيهَا
 ماذا رَأَيْتَ بِيَابِ الشَّامِ حِينَ رَأَوَا * أَنْ يُلْبِسُوكَ مِنَ الْأَثْوَابِ زَاهِيهَا
 (٢) وَيُرْكِبُوكَ عَلَى الْبِرْدُونِ تَقْدُمُهُ * خَيْلٌ مُطَهَّمَةٌ تَحُلُو مَرَائِيهَا
 (٣) مَشَى فَهَمَلَجَ مُخْتَالًا بِرَاكِبِهِ * وَفِي الْبَرَاذِينِ مَا تُرْهِى بِعَالِيهَا
 فَصِحَّتْ : يَا قَوْمُ ، كَادَ الزَّهْوُ يَقْتُلُنِي * وَدَاخَلَتْنِي حَالٌ لَسْتُ أَدْرِيهَا
 (٤) وَكَادَ يَصُبُّ إِلَى دُنْيَاكُمْ (عُمَرُ) * وَيَرْتَضِي بَيْعَ بَاقِيهِ بِفَانِيهَا
 رُدُّوا رِكَابِي فَلَا أَبْنِي بِهِ بَدَلًا * رُدُّوا شَيْأِي فَخَسْبِيَ الْيَوْمَ بِأَلِيهَا

(مثال من رحمته)

(٦) وَمَنْ رَأَاهُ أَمَامَ الْقَدْرِ مُنْبَطِحًا * وَالنَّارُ تَأْخُذُ مِنْهُ وَهُوَ يُذَكِّيهَا
 (٧) وَقَدْ تَحَلَّلَ فِي أَثْنَاءِ لِحْيَتِهِ * مِنْهَا الدُّخَانُ وَفُوهُ غَابَ فِي فِيهَا

- (١) صدف: أعرض وصد. (٢) البردون: ضرب من الدواب دون الخيل وأقوى من الحر. ويشير بهذا البيت وما بعده إلى أن عمر لما شخص إلى بيت المقدس رأى فرسه يتوجع، فنزل عنه وأتى بردون فركبه، فهزه، فنزل فضرب وجهه بردائه ثم قال: فبح الله من عليك، هذا من الخيلاء، ثم دعا بفرسه بعد ما أجه أياها فركبه؛ ثم سار حتى انتهى إلى بيت المقدس، ولم يركب قبله ولا بعده بردونا.
- (٢) المملجة: حسن السير في تجر. وأزهى (بالبناء للجهول): اختال. وعاليها: راكبا.
- (٣) يصبر: يميل. (٤) يشير بالأبيات الآتية إلى ما روى من أن عمر رضى الله تعالى عنه كان يتعسس بالليل، فرأى امرأة توقد النار على حصى وماء، تشغل بذلك أولادها عن طلب الطعام حتى يناموا، فحمل إليها عمر من بيت المال شيئا من الدقيق، وجلس هو يشعل النار وينضج الطعام؛ ولم ينصرف حتى أكل الأطفال وناموا. (٥) انبطح: نام على وجهه ممتدا على الأرض.
- وأذكي النار: أوقدها. (٧) فود غاب في فيها، أي فود غاب في فم النار وهو ينفخها.

رَأَى هُنَاكَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى * حَالٍ تَرُوعُ - لَعَمْرُ اللَّهِ - رَائِبَهَا
يَسْتَقْبِلُ النَّارَ خَوْفَ النَّارِ فِي غَدِهِ * وَالْعَيْنُ مِنْ خَشْيَةٍ سَالَتْ مَا قِيَهَا^(١)

(مَثَالٌ مِنْ تَقَشُّفِهِ وَوَرَعِهِ)^(٢)

إِنْ جَاعَ فِي شِدَّةٍ قَوْمٌ شَرِكْتَهُمْ * فِي الْجُوعِ أَوْ تَجَلَّى عَنْهُمْ غَوَاشِيَهَا^(٣)
جُوعُ الْخَلِيفَةِ - وَالْدُّنْيَا بِقَبْضَتِهِ - * فِي الزُّهْدِ مِثْلُ مِزْلَةٍ سُبْحَانَ مُوَلِّيَهَا
فَمَنْ يُبَارَى (أَبَا حَفِصٍ) وَسِيرَتِهِ * أَوْ مَنْ يُحَاوِلُ (لِلْفَارُوقِ) تَشْبِيهَا
يَوْمَ اشْتَهَتْ زَوْجَهُ الْحَلْوَى فَقَالَ لَهَا : * مِنْ أَيْنَ لِي ثَمَرُ الْحَلْوَى فَأَشْرِيهَا
لَا تَمْتَطِي شَهَوَاتِ النَّفْسِ جَامِحَةً * فِكْسَرَةُ الْخُبْزِ عَنْ حَلْوَاكِ تَجْزِيهَا^(٤)
وَهَلْ يَفِي بَيْتُ مَالِ الْمُسْلِمِينَ بِمَا * تُوحِي إِلَيْكَ إِذَا طَاوَعْتَ مُوَحِيَهَا^(٥)
قَالَتْ : لَكَ اللَّهُ إِنِّي لَسْتُ أَرْزُوهُ * مَالًا لِحَاجَةِ نَفْسٍ كُنْتُ أَبْغِيهَا^(٦)
لَكِنْ أُجَنِّبُ شَيْئًا مِنْ وَظِيفَتِنَا * فِي كُلِّ يَوْمٍ عَلَى حَالٍ أَسْوِيهَا

(١) المآق : جمع ماق وموق ، وهو طرف العين مما يلي الأنف ، وهو يجري الدمع .

(٢) يشير الشاعر بهذه الأبيات الآتية الى حادثتين من تقشف عمر : الأولى ، ما يحكى عنه من أنه كان اذا نزلت بالقوم مجاعة لا يأكل داخل بيته ، وياخذ طعامه ويشترك مع القوم الى أن تنتهى المجاعة ، حتى يعلموا أن الخليفة لا يأكل من غير ما يأكلون . والثانية ، ما حكى عنه من أن امرأته اشتبهت الحلواء ، فأذخرت لذلك من نفقة بيتها حتى جمعت ما يكفي لصنعها ، فلما نى هذا الى عمر رد ما أذخرت الى بيت المال وقصص من تقفها بقدر ما أذخرت . (٣) «أو تجلى» الخ ، أى حتى تكشف عنهم غواشيها ، أى ما يغشاهم ويشملهم من الشدة والقحط ، الواحدة غاشية . (٤) تجزئها ، أى تقضى عنها .

(٥) لست أرزوه مالا ، أى لست أصيب من بيت المال شيئا .

(٦) وظيفتنا ، أى ما يجري علينا من بيت المال .

(١)

حَتَّى إِذَا مَا مَلَسْنَا مَا يُكَافُّهَا * شَرَّيْتُهَا ثُمَّ إِنِّي لَا أَتْنِيهَا

(٢)

قَالَ : اذْهَبِي وَأَعْلَمِي إِنَّ كُنْتَ جَاهِلَةً * أَنَّ الْقَنَاعَةَ تُغْنِي نَفْسَ كَاسِيهَا

وَأَقْبَلْتُ بَعْدَ تَحْسِينِ وَهِيَ حَامِلَةٌ * دُرِّيَمَاتٍ لَتَقْضِي مِنْ تَشْبِيهَا

فَقَالَ : نَبَّهْتَ مِنِّي غَافِلًا فَدَعِي * هَذِي الدَّرَاهِمُ إِذَا لَا حَقَّ لِي فِيهَا

(٣)

وَيَلِي عَلَى عَمْرِ يَرْضَى بِمُؤْفِيَةٍ * عَلَى الْكَفَافِ وَيَنْهَى مُسْتَرِيدِيهَا

مَا زَادَ عَنْ قُوَّتِهَا فَالْمُسَائِمُونَ بِهِ * أَوَّلَى فَقُومِي لَيْتَ الْمَالِ رُدِّيَهَا

كَذَلِكَ أَخْلَاقُهُ كَانَتْ وَمَا عُدَّتْ * بَعْدَ النُّبُورَةِ أَخْلَاقُ تُحَاكِهَا

(مِثَالٌ مِنْ هَيْبَتِهِ)

فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَالْإِسْلَامِ هَيْبَتُهُ * تَتَّبِعِي الْخُطُوبَ فَلَا تَعْدُو عَوَادِيهَا

فِي طَلْقِ شِدَّتِهِ أَسْرَارُ مَرَحَمَةٍ * لِلْعَالَمِينَ وَلَكِنْ لَيْسَ يُفْشِيهَا

(٤)

وَيَنْ جَنْبِيهِ فِي أَوْفَى صَرَائِمِهِ * فُؤَادُ وَالِدَةٍ تَرَعَى ذُرَارِيهَا

(٥)

أَعْنَتْ عَنِ الصَّارِمِ الْمَصْقُولِ دِرَّةً * فَكَمْ أَخَافَتْ غَوَى النَّفْسِ طَائِفَهَا

(٦)

كَانَتْ لَهُ كَعَصَا (مُومَى) لِصَاحِبِهَا * لَا يَنْزِلُ الْبُطْلُ مُجْتَازًا بِوَادِيهَا

(١) لَا أَتْنِيهَا، أَي لَا أَعُودُ إِلَى طَلَبِ ذَلِكَ مَرَّةً ثَانِيَةً : (٢) كَاسِيهَا، أَيِ الْمُتَجَمِّلِ بِهَا .

(٣) بِمُؤْفِيَةٍ عَلَى الْكَفَافِ، أَيِ بِمَا يَزِيدُ عَلَى الْحَاجَةِ مِنَ الرِّزْقِ . (٤) أَوْفَى صَرَائِمِهِ، أَيِ

فِي أَقْصَى شِدَّتِهِ . (٥) الصَّارِمِ الْمَصْقُولِ : السِّيفُ الْمَجْلُوزُ . وَالِدَةُ : الْعَصَا يُضْرَبُ بِهَا، وَدِرَّةٌ

عِمْرٌ مَعْرُوفَةٌ . وَالنَّفْسُ : الْفُضَالُ . (٦) الْبُطْلُ (بِالضَّمِّ) : الْبَاطِلُ . وَيُرِيدُ بِالشَّطْرِ الثَّانِي أَنَّهُ

لَا يُضْرَبُ بِهَا إِلَّا فِي حَقِّ .

- (١) أَخَافُ حَتَّى الدَّرَارِي فِي مَلَاعِيهَا * وَرَاعَ حَتَّى الْغَوَانِي فِي مَلَاهِيهَا
(٢) أَرَيْتَ تِلْكَ أَلَّتِي لِلَّهِ قَدْ نَذَرْتُ * أَنْشُودَهُ لِرَسُولِ اللَّهِ تُهْدِيهَا
قَالَتْ: نَذَرْتُ لئن عادَ النَّبِيُّ لَنَا * مِنْ غَزْوَةٍ لَعَلِّي دُقُّ أَغْنِيهَا
وَيَمُتَ حَضْرَةَ الْهَادِي وَقَدْ مَلَأْتُ * أَنْوَارُ طَلْعَتِهِ أَرْجَاءَ نَادِيهَا
(٣) وَأَسْتَأْذِنْتُ وَمَشْتُ بِالْأُذُنِّ وَانْدَفَعْتُ * تُشْجِي بِأَلْحَانِهَا مَا شَاءَ مُشْجِيهَا
(المصطفى) (وَأَبُو بَكْرٍ) بِجَانِبِهِ * لَا يُنْكِرَانِ عَلَيْهَا مِنْ أَغَانِيهَا
حَتَّى إِذَا لَاحَ مِنْ بَعْدِهَا (عُمَرُ) * خَارَتْ قُؤَاهَا وَكَادَ الْخَوْفُ يُرْدِيهَا
(٤) وَخَبَّاتُ دُفَّهَا فِي ثَوْبِهَا فَرَقًا * مِنْهُ وَودَّتْ لَوْ أَنَّ الْأَرْضَ تَطْوِيهَا
(٥) قَدْ كَانَ حِلْمُ رَسُولِ اللَّهِ يُؤْنِسُهَا * بِخَاءِ بَطْشِ (أَبِي حَفْصٍ) يُخَشِّهَا
(٦) فَقَالَ مَهِيْطُ وَحْيِ اللَّهِ مُبْتَسِمًا * وَفِي ائْتِسَامَتِهِ مَعْنَى يُوَاسِيهَا
قَدْ فَرَّ شَيْطَانُهَا ، لَمَّا رَأَى عُمَرَا * إِنَّ الشَّيَاطِينَ تَخْشَى بَأْسَ مُخْزِيهَا

(١) الغواني : النساء غنن بحسن وجمالهن عن الزينة ، الواحدة غانية .

(٢) أريت ، أى أرايت : ويشير الشاعر بهذا البيت وما بعده الى ما يروى من أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سافر منفرا ، فنذرت جارية من قريش لئن رده الله تعالى أن تضرب بالدف ، وتغنى بين يديه ؛ فلما عاد رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءت الجارية لتغنى بنذرها ، وضربت على الدف وكان أبو بكر إلى جانب الرسول لا ينكر أن عليها ذلك ، فلما طلع عليها عمر أسقط في يدها واضطربت ففرّج عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال متبما : « لقد فر شيطانها » حين رأى عمر .

(٣) تشجى : تطرب . (٤) خارت قواها : ضعفت . وأرداه : أهلكه .

(٥) الفرق : الخوف . (٦) يخشها : يخزوها .

(١)
(مِثَالٌ مِنْ رُجُوعِهِ إِلَى الْحَقِّ)

(٢) وَفَيْتِهِ وَلِعُوا بِالرَّاحِ فَاَنْتَبَذُوا * لَهُمْ مَكَانًا وَجَدُوا فِي تَعَاطِيهَا
(٣) ظَهَرَتْ حَائِطُهُمْ لَمَّا عَمِلَتْ بِهِمْ * وَاللَّيْلُ مُعْتَكِرُ الْأَرْجَاءِ سَاجِيهَا
(٤) حَتَّى تَبَيَّلَتْهُمْ وَانْتَمَرُقَدْ أَخَذَتْ * تَسْلُو ذُؤَابَةَ سَاقِيهَا وَحَاسِيهَا
(٥) سَفَهَتْ آرَاءَهُمْ فِيهَا فَا لَيْثُوا * أَنْ أَوْسَعُوكَ عَلَى مَا جِئْتَ تَسْفِيهَا
(٦) وَرُمْتَ تَفْقِيهِهُمْ فِي دِينِهِمْ فَإِذَا * بِالشَّرْبِ قَدْ بَرَّعُوا (الْفَارُوقَ) تَفْقِيهَا
قَالُوا : مَكَانَكَ قَدْ جِئْنَا بِوَاحِدَةٍ * وَجِئْنَا بِثَلَاثٍ لَا تُبَالِيهَا
(٧) فَأَيُّ الْيُوتِ مِنَ الْأَبْوَابِ (يَا عُمَرُ) * فَقَدْ يَزُنُّ مِنَ الْحَيْطَانِ آتِيهَا
(٨) وَأَسْتَأْذِنُ النَّاسَ أَنْ تَغْشَى بَيُوتَهُمْ * وَلَا تُلِمَ بِدَارٍ أَوْ تُحْيِيهَا

(١) يشير بهذا البيت وما بعده إلى ما روى من أن عمر تسور الحائط على جماعة يشربون الخمر يريد أن يباغتهم ، فانكروا عليه أمورا ثلاثة أتاها ، وهي دخوله عليهم من غير الباب ، وعدم استئذانه ، ومحاسنه عليهم ، وكل هذه نهي عنها الله ، فالتفت عنهم بعد أن لزمته جهنم . (٢) الراح : الخمر .
(٣) ظهر الحائط : علاه . واعتكر الليل : اختلط ظلامه . والليل الساجي : الساكن الرأكد الظلمة .
(٤) يريد بالذؤابة أعلى الرأس . والذؤابة في الأصل : الضفيرة من الشعر . وحاسيها : شاربها .
(٥) فيها ، أى في الخمر . (٦) الشرب : الشاربون . وبرعوا : فاقوا .
(٧) نون « عمر » هنا لضرورة الوزن . وفي كتب النحو أن المنادى المبني على الضم إذا اضطر الشاعر إلى تنوينه فله فيه وجهان : الضم والنصب ؛ فن الأول :
الشاعر إلى تنوينه فله فيه وجهان : الضم والنصب ؛ فن الأول :

* سلام الله يا مطر عليها *

ومن الثاني :

* يا عديا لقد وقتك الأواق *

ويزن : يهتم . (٨) أى لا تدخل الدار حتى تستأذن وتسلم على أهلها .

ولا تجسس فهذي الاى قد تزلت * بالتهى عنه فلم تذكر نواهيها
فعدت عنهم وقد اكبرت حجبتهم * لما رايت كتاب الله يملها
(١)
وما انفت وإن كانوا على حرج * من أن يحجك بالآيات عاصيها

(٢) عُمَرُ وَشَجَرَةُ الرُّضْوَانِ

(٣)
وسرحة في سماء السرج قد رفعت * بيعة المصطفى من رأسها تها
(٤)
أزلتها حين غالوا في الطواف بها * وكان تطوافهم للدين تشويها

(الخاتمة)

هذي مناقبه في عهد دولته * للشاهدين والأعقاب أحكيها
(٥)
في كل واحدة منهم نائلة * من الطبايع تغذو نفس واعيا
(٦)
لعل في أمة الإسلام نايبة * تجلو لحاضرها مראה ماضيا
حتى ترى بعض ما شادت أوائلها * من الصروح وما عاثه بانها
(٧)
وحسبها أن ترى ما كان من (عمر) * حتى ينبسه منها عين غافيا

- (١) الحرج : الإثم . وجه يحجه : فله بالحجة . (٢) شجرة الرضوان : هي الشجرة التي بايع النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه تحتها يوم الحديبية ، وقد رأى عمر أن الناس يصلون عندها ويطوفون بها ، يخاف أن ينصرف تكريمهم لها إلى معنى من معاني الوثنية ، فأمر بقطعها ، فقطعت ، وإلى هذا يشير الشاعر بالآيات الآتية . (٣) السرحة : الشجرة الطويلة ؛ أو هي من الشجر ما لا شوك فيه . يقول : إن هذه الشجرة قد تعالت بها وافتخارا على مثيلاتها من أعالي الأشجار بهذه البيعة . (٤) غالوا : بالنوا وأكثروا . (٥) نائلة ، أى حجة شريفة من سجايا النبل . (٦) النايبة : الناشئون . (٧) الغافى : النائم .

تحية محمد عسران عبد الكريم

أنشدها في الحفل الذي أقيم لتكريمه في فندق شبرد في ٧ يولييه سنة ١٩١٩ م حين استقال من الحكومة
أول مرة ، وهي على لسان تجار الغلال

لقد عَاشَرْتَنَا فَلَبِثْتَ فِينَا * مِثَالًا لِلزَّاهَةِ وَالْكَمَالِ
بِحِلْمٍ كَانَ تَحْمُودَ الْمَزَايَا * وَعَنْدِلٍ كَانَ تَمْدُودَ الظَّلَالِ
فَإِنْ كُنْتَ اعْتَرَلْتَ إِبَاءَ ضَمِيمٍ * فَثَلُوكَ بِالْوِظَائِفِ لَا يُيَالِي
حَبَاتُ الْقُلُوبِ تَسُوقُ شُكْرًا * إِلَيْكَ بِقَدْرِ حَبَاتِ الْغِلَالِ^(١)

تحية أحمد شوقي بك

وكان حافظ قد أعدّها ليقابلها بها عند قدومه الى مصر من منفاه بالأندلس ، ولكنه عجل بنشرها
قبل قدومه مخافة أن يلحقه القدر المحتوم ، كما قال في رسالته الى الأهرام

[نشرت في ١٤ أغسطس سنة ١٩١٩ م]

ورد الْكَانَةُ عَقِيرَى زَمَانِهِ * فَتَنْظُرِي يَامِصْرُ سِحْرَ بَيَانِهِ^(٢)
وَأَتَى الْحُسَانَ فَهَتَّوْا مُلْكَ النَّهْيِ * بِقِيَامِ دَوْلَتِهِ وَعَوْدِ حُسَانِهِ^(٣)
النَّيْلُ قَدْ أَلْقَى إِلَيْهِ بِسْمِعِهِ * وَالْمَاءُ أَمْسَكَ فِيهِ عَنْ جَرْيَانِهِ
وَالزَّهْرُ مُصْبِغٌ وَالْجَمَائِلُ خُشْعٌ * وَالطَّيْرُ مُسْتَمِيعٌ عَلَى أَفْنَانِهِ^(٤)

(١) حبات القلوب : سويداواتها . (٢) تنظري : انتظري .

(٣) الحسان من الرجال (بضم الحاء) والحسن (بالتحريك) : كلاهما بمعنى واحد

(٤) الجمائل : المواضع تكثر فيها الأشجار الواحدة نخيلة .

(١) والقَطْرُ فِي شَوْقٍ لَأَنْدَلُسِيَّةٍ * شَوْقِيَّةٌ تَشْفِيهِ مِنْ أَشْجَانِهِ
(٢) يُصْنِي لِأَحْمَدَ إِنْ شَدَا مُتَرَنِّمًا * إِصْغَاءً أُمِّةَ أَحْمَدٍ لِأَذَانِهِ
(٣) فَاصْدَحْ وَغَنِّ النَّيْلَ وَأَهْرَزْ عِطْفَهُ * يَكْفِيهِ مَا عَانَاهُ مِنْ أَحْزَانِهِ
(٤) وَأَذْكُرْ لَنَا الْحُمْرَاءَ كَيْفَ رَأَيْتَهَا * وَالْقَصْرَ مَاذَا كَانَ مِنْ بُنْيَانِهِ
(٥) مَاذَا تَحَطَّمَتْ مِنْ ذُرَاهُ وَمَا الَّذِي * أَبْقَتْ صُرُوفُ الدَّهْرِ مِنْ أَرْكَانِهِ
وَاهًا عَلَيْهِ وَأَهْلِهِ وَبُنْيَانِهِ * أَيَّامَ كَانَ النُّجْمُ مِنْ سُكَّانِهِ
(٦) إِذْ مُلِكُ أَنْدَلُسٍ عَرِيضٌ جَاهُهُ * وَشَبَابُهُ الْمَبْكِيُّ فِي رَيْعَانِهِ
الْفَتْحُ وَالْعُمَرَانُ آيَةُ عَهْدِهِ * وَكَتَائِبُ الْأَقْدَارِ مِنْ أَعْوَانِهِ
(٧) لَيْسَتْ بِهِ الدُّنْيَا لِبَاسَ حَضَارَةٍ * قَدْ كَانَ يَحْلَعُهُ عَلَى جِيرَانِهِ
(٨) زَالَتْ بَشَاشَتُهُ وَزَالَ وَأَقْفَرَتْ * مِنْ أَنْسِهِ الدُّنْيَا وَمِنْ إِنْسَانِهِ
(٩) وَطَوَى الثَّرَى سِرَّ الزَّوَالِ فَيَأْتُرَى * هَلْ ضَاقَ صَدْرُ الْأَرْضِ عَنْ كِتَابِهِ

(١) أندلسية شوقية ، أى قصيدة من شعر شوقي في وصف الأندلس .

- (٢) يريد « بأحمد » الثانى رسول الله صلى الله عليه وسلم . (٣) صدى : رفع صوته بالغناء .
والعطف : الجانب ، (٤) الحمراء ، هو ذلك البناء الذى لا يزال على طول عهده فى غرناطة أجمل ما يرى فى البلاد الأيبانية ، وكان قلعة تضم بين جدرانها القصر السلطاني ، وفى هذا القصر كان يعيش سلاطين بنى الأحمر . (٥) تحطم : تهدم . وذراء : أعاليه . وصروف الزمان : حوادثه وتغيراته .
(٦) ريعان كل شىء : أوله . (٧) جيرانه ، أى ممالك الغرب المجاورة للأندلس .
(٨) إنسانه ، أى أهله . (٩) سر الزوال ، أى السبب فى زوال ملك العرب عن الأندلس يستفسر الشاعر فى هذا البيت والذى بعده : هل ضاق صدر الأرض عن حفظ ذلك السرفاج به

لشوقي لما وقف على أطلال الحمراء ؟

فَتَكَلَّمْتَ تِلْكَ الطُّلُولُ وَأَفْصَحْتَ * لَمَّا وَقَفْتَ مُسَائِلًا عَنْ شَانِهِ
 وَلَعَلَّ نَكْبَتَهُ هُنَاكَ تَفَرَّقُ * وَتَعَدُّ قَدْ كَانَ فِي تَيْجَانِهِ
 عِبْرٌ رَأَيْنَاهَا عَلَى أَيَّامِنَا * قَدْ هَوَّنَتْ مَا نَابَهُ فِي آيِهِ
 وَحَوَادِثُ فِي الْكَوْنِ لِأَثَرِ حَوَادِثِ * جَاءَتْ مُشْمَرَةً لِمَدِّ كِيَانِهِ
 سُبْحَانَ جَبَّارِ السَّمَوَاتِ الْعُلَا * وَمُقَلِّبِ الْأَكْوَانِ فِي أَكْوَانِهِ
 أَهْلًا بِشَمْسِ الْمَشْرِقَيْنِ وَمَرْحَبًا * بِالْأَبْلَجِ الْمَرْجُوِّ مِنْ إِخْوَانِهِ
 أَشْكُو إِلَيْكَ مِنَ الزَّمَانِ وَزُمَرَةٍ * بَحَرَحْتُ فُؤَادَ الشَّعْرِ فِي أَعْيَانِهِ
 كَمْ خَارِجٍ عَنْ أَفْقِهِ حَصَبَ الْوَرَى * بِقَرِيضِهِ وَالْمُعْجَبِ مِلْءُ جَنَانِهِ
 يَحْتَالُ بَيْنَ النَّاسِ مُتِّدَ الْخُطَا * رِيحُ الْغُرُورِ تَهْبُ مِنْ أَرْدَانِهِ
 كَمْ صَبَّكَ مَسْمَعَنَا يَجْنِدِلُ لَفْظُهُ * وَأَطَالَ مُحَنَّتَنَا بِطَوِيلِ لِسَانِهِ
 مَا زَالَ يُعَلِّنُ بَيْنَنَا عَنْ نَفْسِهِ * حَتَّى آسَتْغَاثَ الصَّمِّ مِنْ إِعْلَانِهِ
 نَصَحَ الْهُدَاةَ لَهُمْ فَرَادَ غُرُورَهُمْ * وَاشْتَدَّ ذَاكَ السَّيْلُ فِي طُغْيَانِهِ
 أَوْ لَمْ تَرِ الْفُرْقَانَ وَهُوَ مُفَصَّلٌ * لَمْ يَلْفِتِ الْبُودِيَّ عَنْ أَوْثَانِهِ

(١) الأبلج : الطلق الوجه . (٢) أعيانه ، أى رجال الشعر المبرزين فيه . « ويريد بالزمرة »
 ضعاف الشعراء ، وكان منهم فى رأى حافظ عبد الحليم المصرى الشاعر ، وهو المقصود بقوله بعد : « كم
 خارج » الخ وكانا قد تلاحيا قبل مقدم شوقى ثم احتكما إليه حين قدم . (٣) أصل الحصب : الرى
 بالحصى ثم استعمل فى كل رى . (٤) متدد : متمهل . وأردانه ، أى أوثابه . والأردان : جمع
 ردن بضم الراء ، وهو أصل الكم . (٥) الجندل : الصخر .

- (١) قُلْ لِلَّذِي قَدَامَ يَشَاوُ أَحْمَدًا * خَلَّ الْقَرِيضَ فَلَسَتْ مِنْ فُوسَانِهِ
(٢) الشَّعْرُ فِي أَوْزَانِهِ لَوْ قِسْتَهُ * لظَلَمْتَهُ بِالْأَدْرِ فِي مِيزَانِهِ
(٣) هَذَا أَمْرٌ قَدْ جَاءَ قَبْلَ أَوَانِهِ * إِنْ لَمْ يَكُنْ قَدْ جَاءَ بَعْدَ أَوَانِهِ
(٤) إِنْ قَالَ شِعْرًا أَوْ تَسَمَّ مِنْبَرًا * فَتَعَوَّذَا بِاللَّهِ مِنْ شَيْطَانِهِ
(٥) تَحِيدُ الْخَيَالَ لَهُ بِرَاقًا فَأَعْتَلَى * فَوْقَ السُّهَائِلِ فِي طَيْرَانِهِ
(٦) مَا كَانَ يَأْمَنُ عَثَرَةً لَوْ لَمْ يَكُنْ * رُوحَ الْحَقِيقَةِ مُسَكًّا بِعَيْنَانِهِ
(٧) فَأَتَى بِمَا لَمْ يَأْتِهِ مُتَقَدِّمٌ * أَوْ تَطْمَعُ الْأَنْهَارُ فِي إِيَّانِهِ
(٨) هَلْ لِلْخَيَالِ وَالْحَقِيقَةِ مَنَهْلٌ * لَمْ يَبْغِهِ الرُّوَادُ فِي دِيْوَانِهِ
(٩) إِنَّا لَنَلَهُوَ إِذْ نَجِدُ وَانَهُ * لَيَجِدُ إِذْ يَلَهُو بِنَظْمِ جُمَانِهِ
(١٠) أَقْلَامُهُ لَوْ شَاءَ شَكَّ قَصِيرُهَا * هَامَ الثَّرَيَّا وَالسُّهَائِلُ بِسِنَانِهِ
(١١) يُمَلِّي عَلَيْهَا عَقْلُهُ وَجَنَانُهُ * مَا لَيْسَ يُنْكِرُهُ هَوَى وَجَدَانِهِ

- (١) يشار أحدا، أى يبلغ غاية شوق . (٢) فى أوزانه، أى فى الأوزان التى ينظم منها شوق . و « بالدر » : متعلق بقوله : « نفسه » . (٣) يريد أن شوقيا قد جاء فى غير زمانه، وزمانه الجدير به إما أن يكون زمن السابقين من الفحول الأقدمين ، أو من سيحود بهم الزمن بعد اكتمال الفن . (٤) تسنم الشيء : ملاه . (٥) البراق ، هى الدابة التى يروى أن النبي صلى الله عليه وسلم ركبها ليلة المعراج . والسها : كوكب خفى من بنات نضج الصغرى . ويستق : يسرع . (٦) العنان : سير الجمام الذى تمسك به الدابة . يقول إن الذى حنى شعره من الزلل والخلط ، وهو أنه جعل الحقيقة غرضه الذى يرمى إليه فى قصائده ، ولولا ذلك لم يأمن الزلل . (٧) المنهل : المورد ينهل منه الظالمون . والرواد : الطالبون . (٨) الجمان : الثؤلؤ . (٩) الهام : الرومن الواحدة هامة .

- (١) بَسَّلْ عَلَى شُعْرَانَا أَنْ يَنْطَقُوا * قَبْلَ الْمُتَوَلِّدِ وَأَسْتَيْدَانِهِ
(٢) عَافَ الْقَدِيمَ وَقَدْ كَسَتْهُ يَدُ الْبَلَى * خَلَقَ الْأَدِيمَ فَهَانَ فِي خُلُقَانِهِ
(٣) وَأَبَى الْجَدِيدَ وَقَدْ تَأْتَى أَهْلُهُ * فِي الرَّقِشِ حَتَّى غَرَّ فِي أَلْوَانِهِ
(٤) بِجَدِيدِهِ بَعَثَ الْقَدِيمَ مِنَ الْبَلَى * وَأَعَادَ سُودَدَهُ إِلَى إِبَانِهِ
(٥) وَرَمَى جَدِيدَهُمْ نَحْرَ بِنَاؤِهِ * بِرُوءٍ زُخْرِفِهِ وَبَرَقِ دِهَانِهِ
(٦) شُعْرَاءُ تَفْجِعُ الطَّيِّبَ أَنْشَرِ ذِكْرَهُمْ * فِي أَرْضِ أَنْدَلُسٍ أَدِيبُ زَمَانِهِ
(٧) وَدَّ (ابْنُ هَانِيٍّ) (وَابْنُ عَمَارٍ) بِهَا * لَوْ يَطْفِرَانِ مَعًا بَلْثَمَ بَنَانِهِ
(٨) وَلَوْ أَسْتَطَامَا فَوْقَ ذَاكَ لِأَقْبَلَا * رَغَمَ الْبَلَى وَالْقَبْرِ يَسْتَبْقَانِهِ
(٩) يَا كَرَمَةَ (الْمَطْرِيَّةِ) أَبْتَهِجِي بِهِ * وَاسْتَقْبِلِي الظُّمآنَ مِنْ أَخْدَانِهِ
مُدَى الظَّلَالِ عَلَى الْوُفُودِ وَجَدْدِي * عَهْدًا طَوَاهُ الدَّهْرُ فِي بُسْتَانِهِ

- (١) بسل : حمام . (٢) عاف القديم : تجنب القديم من أغراض الشعر ومعانيه التي رثت وبليت . (٣) الرقش : النقش والتزيين . (٤) السؤدد : السيادة والرفعة . وإبان الشيء : زمانه . (٥) الرواء : حسن المنظر . (٦) تفجع الطيب ، هو كتاب تفجع الطيب تأليف أبي العباس أحمد بن محمد بن يحيى المقرئ المغربي ، نزيل فاس ، ثم مصر ، المتوفى في شهر جمادى الآخرة سنة ١٠٤١ هـ . وصف في هذا الكتاب جزيرة الأندلس ورجالها من الكتاب والشعراء وغيرهم . ومعنى البيت أن شوفيا قد أحيأ بحسن شعره ذكر الشعراء الذين ورد ذكرهم في هذا الكتاب . (٧) بها ، أى بالأندلس ، وابن هاني هو أبو القاسم محمد بن هاني الأسدي الأندلسي الشاعر المعروف ، ومنع « هانثا » من الصرف لضرورة الوزن . وابن عمار ، هو ذو الوزارتين أبو بكر محمد بن عمار الأندلسي الشاعر المشهور ، وقد مات بأشبيلية سنة سبع وسبعين وأربعمائة ، وكانت ولادته سنة اثنين وعشرين وأربعمائة . (٨) يستبقانه ، أى يمشيان أمامه تجلّة واحتراما . (٩) المطرية : ضاحية من ضواحي القاهرة معروفة ، وفيها كان بيت المرحوم شوقي بك المعروف بكرمة ابن هاني .

(١) كم تجلس للهو فيه شهيدته * فسكرت من ديوانه ودنائه
(٢) غنى مغنيه فهاج غناؤه * شجوا الحمام على ذوائب بانه
(٣) فترنحت أشجاره وتمألت * أعوادها طرباً على عيدانه
(٤) فكان مجلسنا هناك قصيدة * من نظمته طلعت على عيدانه
فالحمد لله الذي قد رده * من بعد غرته الى أوطانه
فتنظروا آياته وتسمعوا * قد قام ببلبلكم على أغصانه

في حفل عكاظ

أنشد هذه القصيدة في حفل من الأدباء والشعراء برئاسة أحمد شوقي بك بدار التمثيل العربي لحجة جريدة عكاظ يوم ٣ ديسمبر سنة ١٩٢٠ ، وقد سمي صاحب الجريدة هذا الحفل « سوق عكاظ » .
وهي تتضمن مدحا لشوقي بك رئيس الحفل ونعيا على المصريين امتنانهم بلثت ملوكهم الأقدمين

أتيت سوق عكاظ * أسعى بأمر الرئيس
(٥) أزجي إليه قواف * منكسات الرؤوس
(٦) لست بذات رواء * تزهى به في الطروس
ولا بذات جمال * يسرى بها في النفوس

(١) الدنان : جمع دن (بالفتح) ، وهو إناء كبير للتمر . (٢) شجوا الحمام : بكأوه . والبان : شجر سبط القوام لين ، ورقه كورق الصفصاف ، الواحدة بانه . وذوائبه : أعاليه . (٣) يريد عيدان التناء . (٤) الضمير في "نظمه" لشوقي . وعيدانه (بضم العين وكسرهما) ، أى عيده من بقية الشعراء . (٥) أزجي : أسوق . (٦) الرواء : حسن المنظر . والطروس : الصحف يكتب فيها ، الواحد طرس .

(١)
 لَمْ يَجِبْهَا فَضْلُ شَوْقٍ * بَقِيَّةً مِنْ نَسِيسٍ
 فَهَنْ قَفَرُ خَوَالٍ * مِنْ كُلِّ مَعْنَى نَفِيسٍ
 وَهَنْ جُهْدُ مِقْلٍ * حَلِيفَ هَمٍّ وَبُوسٍ
 قَالَ الرَّئِيسُ وَمَنْ ذَا * يَقْبُولُ بَعْدَ الرَّئِيسِ
 سَقَى الْحُضُورَ شَرَابًا * يُنْبِئِي شَرَابَ الْقُسُوسِ (٢)
 مَعْتَقًا قَبْلَ عَادٍ * فِي مُظْلِمَاتِ الْحُبُوسِ
 تُذَكِّي الدِّيَارَاتُ مِنْهُ * نَارًا كَنَارِ الْمَجُوسِ (٣)
 يُرِيكَ وَاللَّيْلُ دَاجٍ * شُمُوسُهُ فِي الْكُؤُوسِ
 بَنَاتُ أَفْكَارِ شَوْقٍ * فِي جَلْوَةٍ كَالْعُرُوسِ
 تُزْهِى بِمَعْنَى سَرَى * أَلَى بِمَعْنَى شُمُوسِ (٤)
 وَلَيْلَةٌ مِنْ "عُكَاظٍ" * ضَمَّتْ حُمَاةَ الْوَطَيْسِ (٥)
 أَحْيَا بِهَا ذِكْرَ عَهْدٍ * آثَارُهُ فِي الطُّرُوسِ (٦)
 عَهْدُ سَمَا الشَّعْرِفِيهِ * إِلَى تَجَالِي الشُّمُوسِ

(١) النسييس : بقية الروح . (٢) يريد « شراب القسوس » : الخمر، وذلك لما اشتهر به
 القساوسة والرهبان من أدخار الخمر وتعتيقها في الأديار . (٣) تذكي : تشعل .
 ونار المجوس : النار التي يعبدونها ؛ ويضرب بها المثل في قوة الاشتغال ودوامه . وقد شبه بها الخمر
 في الحمرة حتى كأنها تلتهب . (٤) السرى : الرفيع . والشوس : الثغور الصعب المثال .
 (٥) الوطيس : الحرب . ويريد « بحماة الوطيس » : حملة الأعلام . (٦) يريد عهد سوق
 عكاظ الأول في الجاهلية ، أيام كان يحضرها لحول الشعراء يتناشدون الأشعار .

(١) وَوَرْدُهُ كَانَ أَصْفَى * مِنْ مَوْرِدِ الْقَامُوسِ
يَخْتُمُنَا بِحَدِيثٍ * أَسْوَفُهُ لِلْجُلُوسِ
قَدْ زُرْتُ مُتَحَفٍ مِصْرٍ * فِي ظَهْرِ يَوْمِ الْخَمِيسِ
(٢) فِي زُمْرَةٍ مِنْ رِفَاقٍ * غُرَّ الشَّمَائِلِ شُوسِ
(٣) فَضِيقْتُ ذَرْعًا بِأَمِيرٍ * عَلَى النَّفُوسِ بِئِيسِ
(٤) وَكَدْتُ أَصْرَعَ غَمًّا * لِحَظِّهَا الْمَعْكُوسِ
(٥) وَصَرَعَةُ الْغَمِّ أَدهَى * مِنْ صَرَعَةِ الْخَنْدَرِيسِ
(٦) رَأَيْتُ جُثَّةَ (خُوفُو) * بِقُرْبِ (سِيزُوسْتَرِيسِ)
فَقُلْتُ يَا قَوْمُ هَذَا * صُنْعُ الْعُقُوقِ الْخَسِيسِ
(٧) أَجْسَادُ أَمْلَاحٍ مِصْرٍ * وَشَائِدِي مَتَفِيسِ
(٨) مِنْ بَعْدِ نَحْمَسِينَ قَرَنًا * لَمْ تَسْتَرْحِ فِي الرُّمُوسِ
أَرَى قَرَاعِينَ مِصْرٍ * فِي ذِلَّةٍ وَنُحُوسِ
مَعْرُوضَةٌ لِلْبَرَايَا * أَجْسَادُهُمْ بِالْفُلُوسِ

(١) القاموس : البحر أويلته . (٢) شوس ، أى من علية القوم وعظماهم ، الواحد أشوس وهو فى الأصل : الذى يتطرب بمؤثر العين تكيرا وتيا . (٣) بئيس : شديد .
(٤) حظها ، أى حظ مصر . (٥) الخندريس : الخمر المعلقة . (٦) خوفو وسيزوستريس : ملكان معروفان من ملوك مصر الأقدمين . (٧) متفيس : مدينة مصرية قديمة كان لها شأن كبير معروف فى تاريخ مصر القديم ، وموضعها الآن البدرشين ومبنة رهينة . (٨) الرموس : القبور ، الواحد رمس .

(١)
عَنَّهُمْ نَبَشْنَا زَمَانًا * فِي مُظْلِمَاتِ الدُّرُوسِ
فَدَيْسَ ظُلُمًا حَامِمًا * وَكَانَ غَيْرَ مَدُوسِ
(٢)
لَعَلَّهُمْ حَصَّنُوهُمْ * مِنْ هَادِمَاتِ الْفُؤُوسِ
(٣)
عَلِمَا بَأَن سَوْفَ يُمْنَى * بِيَوْمٍ شَرَّ عَبُوسِ
(٤)
لَوْ أَن أَمْثَالِ (مِينَا) * فِي الْغَرْبِ أَوْ (رَمْسِيْسِ)
بَنَوْا عَلَيْهِمْ وَخَطُّوا * حَظَائِرَ التَّقْدِيْسِ

مدحة للمغفور له (فؤاد الأول)

(٦)
أَنشدهما بين يدي جلالة حين زيارته مدرسة فؤاد الأول بقصر الزعفران في ديسمبر سنة ١٩٢٢ م

أَقْصَرَ الزُّعْفَرَانُ لَأَنَّتَ قَصْرٌ * خَلِيقٌ أَنْ يَتِيَهَ عَلَى النُّجُومِ
(٧)
كَلَّا عَهْدِيكَ لِلْأَجْيَالِ نَحْرٌ * وَزَهْوٌ لِلْحَدِيثِ وَلِلْقَدِيمِ

- (١) الدروس : العفاء والبل . ويريد «بمظلمات الدروس» : طبقات الأرض التي دفنوا فيها .
(٢) يشير إلى ما اشتهرت به مقابر قدماء المصريين من التحصين والامتناع على من يريد اقتحامها .
(٣) الضمير في «يمنى» يعود على «حمى» المتقدم ذكره . ويمنى : يتلى ويصاب . (٤) مينا ورمسيس : ملكان معروفان من ملوك مصر الأقدمين . (٥) ولد المغفور له الملك فؤاد الأول بقصر الجيزة في ٢ ذى الحجة سنة ١٢٨٤ هـ وارتقى عرش المملكة المصرية في ٢٢ ذى الحجة سنة ١٣٣٥ هـ وتوفي بعد ظهر يوم الثلاثاء ٧ صفر سنة ١٣٥٥ هـ . (٦) قصر الزعفران بالعباسية ، من القصور التي بناها المغفور له إسماعيل باشا الخديوى ، وسمى قصر الزعفران لأن الأرض التي بنى فيها كان يزرع بها الزعفران قديما ، وكانت هناك ترعة يقال لها : ترعة الزعفران ، وردمت هذه الترعة قريبا . وهذا الموضع الذي بنى فيه القصر يتبع الوايل الصغرى ، وقد استبدل به المغفور له الملك فؤاد الأول قطعة أرض في مركز طلعا ، مديرية الغربية من أملاك الحكومة . (٧) يريد «بالمهدين» : عهد هذا القصر أيام إسماعيل ، وعهده أيام كان مدرسة ثانوية .

تَوَى بِالْأَمْسِ فَيْكَ عَلًا وَمَجْدًا * وَأَنْتَ الْيَوْمَ مَشَوَى لِلْعُلُومِ^(١)
 فَمِنْ نُبَيْلٍ ، إِلَى مَجْدٍ أَثْبِيلٍ ، * إِلَى عِلْمٍ ، إِلَى تَفْعٍ عَمِيمٍ
 أَضَفْتَ إِلَى صُرُوحِ الْعِلْمِ صَرَحًا * بِزُورَةِ ذَلِكَ الْمَلِكِ الْحَكِيمِ
 فَيَا لَكَ مَنَزِلًا رَجَبًا سَرِيًّا * بَنَتْهُ أَتَانِلُ الذُّوقِ السَّلِيمِ
 وَحَاطَتْهُ بُلُستَانِ أُنَيْقِ * يُرِيكَ جَمَالَهُ وَجْهَ النَّعِيمِ^(٢)
 (أَبَا فَارُوقَ) أَنْتَ وَهَبْتَ هَذَا * لِمِصْرَ وَهَكَذَا مَنَحَ الْكَرِيمِ
 وَلَا عَجَبٌ فَمِصْرٌ عَلَى وِلَايٍ * وَمَالِكُهَا عَلَى خُلُقٍ عَظِيمِ
 يُطَالِعُهَا بِرُكْلٍ يَوْمٍ * وَيَرَاهَا بِعَيْنِ أَبِي رَجِيمِ
 وَيُرْهِفُ مِنْ عَزَائِمِ آلِ مِصْرِ * إِذَا خَارَتْ لَدَى الْخَطْبِ الْجَسِيمِ^(٣)
 كَسَوْتَ الْأَزْهَرَ الْمَعْمُورَ ثَوْبًا * مِنْ الْإِجْلَالِ وَالْعِزِّ الْمُقِيمِ
 قَضَيْتَ بِهِ الصَّلَاةَ فَكَادَ يُزْهِمِي * بِزَائِرِهِ عَلَى رُكْنِ الْحَطِيمِ^(٤)
 رَأَى فَيْكَ (الْمُعِزُّ) زَمَانَ أَعْلَى * قَوَاعِدَهُ عَلَى ظَهْرِ الْأَدِيمِ^(٥)
 فَهَشَّ وَهَزَّهَ طَرَبٌ وَشَوْقٌ * كَمَا هَشَّ الْجَمِيمُ إِلَى الْجَمِيمِ^(٦)
 وَهَلَّلَ كُلُّ مَنْ فِيهِ وَدَوَّتْ * بِهِ أَصْوَاتُ شُعْبِكَ كَالْهَزِيمِ^(٧)

- (١) تَوَى : أقام . والمثوى : المكان يقام فيه . (٢) الأنيق : الذي يعجبك بحسه .
 (٣) أرهف السيف والسكين ونحوهما : شحذه وحده . وخارت : ضعفت . (٤) الحطيم :
 حجر الكعبة (بكسر الحاء وسكون الجيم) . (٥) يريد المعز لدين الله الفاطمي ، الذي اختطت
 في أيامه القاهرة ، وبنى الأزهر . وظهر الأديم : وجه الأرض . (٦) الجميم : الصديق .
 (٧) دَوَّى : علا صوته فسمع . والهزيم : صوت الرعد .

(١)

كَذَا فَلْيَحْمِلِ التَّاجِينَ مَلَكٌ * يُعِزُّ شَمَائِرَ الدِّينِ الْقَوِيمِ

وَيَخْشَى رَبَّهُ وَيُطِيعُ مَوْلَى * هَدَاهُ إِلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ

أَيَاذَنُ لِي الْمَلِكُ الْبَرَّائِيُّ * أَهْنَى مِصْرَ الْأَمْرِ الْكَرِيمِ

فِيَا مِصْرُ أَسْجِدِي لِلَّهِ شُكْرًا * وَتَبِيْهِ وَأَقْعِدِي طَرَبًا وَقُومِي

(٢)

فَقَدْ تَمَّ الْبِنَاءُ وَعَنْ قَرِيبٍ * تُزَفُّ لَكَ الْبَشَائِرُ مِنْ "نَسِيمِ"

قَدَارُ (الْبَرْلَانِ) أَعَزُّ دَارٍ * تُشَادُّ لَطَالِبَ الْمَجْدِ الْعَمِيمِ

بِهَا يَتَجَمَّلُ الْعَرْشُ الْمُفَدَّى * وَتُحْبَا مِصْرُ فِي مَيْشِ رَخِيسِ

(٣)

فَشَرَّفَهَا بِرَبِّكَ وَأَخْتَمَهَا * وَأَسْعَدَهَا بِدُسْتُورِ تَمِيمِ

(٤)

بَايَ (مُحَمَّدٍ) وَبَايَ (عِيسَى) * فَعَوَّذُهُ وَآيَاتِ (الْكَلِيمِ)

(أَبَا فَارُوقَ) خُذْ بِيَدِ الْأَمَانِي * وَحَقِّقْهَا عَلَى رَغَمِ الْخَصِيمِ

(٥)

أَقْنَا بَعْدَ نَوْمٍ فَوْقَ نَوْمٍ * عَلَى نَوْمِ كَأَصْحَابِ الرِّقِيمِ

(٦)

وَأَصْبَحْنَا يُبَيِّنُكَ فِي نُحُوضٍ * يُكَافِي نُهْضَةَ النَّبْتِ الْجَمِيمِ

فُخْطْنَا بِالرَّعَايَةِ كُلِّ يَوْمٍ * نَحْفُفُكَ بِالْوَلَاءِ الْمُسْتَدِيمِ

- (١) يريد « بالتاجين » تاج الملك ، وتاج الدين . (٢) يريد بالبناء : دارالبرلمان .
 ويريد « بنسيم » : محمد توفيق نسيم باشا ، وكان رئيسا للوزارة إذ ذاك . (٣) التميم : التام .
 (٤) الضمير في « عوذه » للدستور . والكليم : موسى عليه السلام . (٥) يريد
 « بأصحاب الرقيم » أهل الكهف ؛ ويضرب المثل بطول نومهم . قال تعالى : (ولبثوا في كهفهم
 ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعا) الآية . والرقيم : لوح كتبت فيه أسماءهم ، أو هو كهفهم الذي
 بناوا إليه . (٦) اليمن : البركة . ويكافئ : يماثل . والجميم من النبات : الناهض المنتشر .

تهنئة المغفور له سعد زغلول باشا بالنجاة^(١)

قالها على أثر الاعتداء عليه بإطلاق النار في محطة القاهرة إذ كان مسافرا إلى الاسكندرية^(٢)

[نشرت في ١٣ يولية سنة ١٩٢٤ م]

أَحْمَدُ اللَّهِ إِذْ سَلِمْتَ لِمَصْرِ * قَدْ رَمَاهَا فِي قَلْبِهَا مَنْ رَمَاكَ
أَحْمَدُ اللَّهِ إِذْ سَلِمْتَ لِمَصْرِ * لَيْسَ فِيهَا لِيَوْمٍ جَدِّ سِوَاكَ
أَحْمَدُ اللَّهِ إِذْ سَلِمْتَ لِمَصْرِ * وَوَقَاهَا بِلُطْفِهِ مَنْ وَقَاكَ
قَدْ شَغَلْنَا يَا (سَعْدُ) عَنْ كُلِّ شَيْءٍ * وَشَغَلْنَا بِأَنْ يَتِمَّ شِفَاكَ
فِي سَبِيلِ الْجِهَادِ وَالْوَطَنِ الْحَقِّ * جُوبِ مَا سَالَ أَحْمَرًا مِنْ دِمَاكَ
قُلْ لِذَلِكَ الْأَيْمِ وَالْفَاتِكِ الْمَفِّ * تَتَوْنِ: لَا كُنْتَ، كَيْفَ تَرَبَّى السَّمَاءُ كَا^(٣)
أَمَّا قَدْ رَمَيْتَ فِي شَخْصٍ (سَعْدُ) * أُمَّةً حُرَّةً فَشَلَّتْ يَدَاكَ

- (١) ولد المغفور له سعد زغلول باشا بإيوانا من أعمال مركز قوة سنة ١٨٦٠ م وبعد أن قضى في الأزهر حيناً من الزمن تولى بعض أعمال التحرير في الوقائع المصرية ، وكتب فيها بعض المقالات في الاستبداد والشورى والأخلاق ، ثم التحق ببعض الأعمال الإدارية في الحكومة ، وفصل لانتهاه بالاشتراك في الثورة العرابية ، فاشتغل بالمحاماة إلى أن اختير للقضاء بحكمة الاستئناف الأهلية سنة ١٨٩٢ م وهو أزل محام ولى مناصب القضاء في مصر ، ثم ولى منصب وزارة المعارف ، وهو أزل من قرّر دراسة العلوم الرياضية باللغة العربية ، ثم تولى وزارة الحفانية ، ثم كان عضواً بالجمعية التشريعية ، وتولى زعامة النهضة الوطنية ورئاسة الوفد المصري ، وظل زعيماً لتلك النهضة من سنة ١٩١٩ م إلى أن توفى في أغسطس سنة ١٩٢٧ م رحمه الله .
- (٢) في يوم ١٢ يولية سنة ١٩٢٤ بينا كان سعد زغلول باشا والوزراء في محطة القاهرة يريدون السفر إلى الاسكندرية لتهنئة جلالة الملك بعد الأضحية (سنة ١٣٤٢ هـ) (١٩٢٤ م) ، ومن ثم يسافرون إلى إنجلترا للقارضات ، تقدّم من سعد باشا عبد الخالق عبد اللطيف الدلبشاني وأطلق عليه رصاصة مرت بالدواع البقي فإلى الإبط ، وميت التدى الأيمن ، وكان الجرح غير شديد ، فشفي منه بعد أيام .
- (٣) يريد بالأئيم الفاتك عبد الخالق الدلبشاني ، وهو الذى اعتدى على المغفور له سعد زغلول باشا .

وقال فيه أيضا :

أنشدها في الحفل الذي أقامه أعضاء البرلمان يوم الخميس ٢٤ يولية سنة ١٩٢٤ بكازينو
سان استيفانو بالاسكندرية تكريما لسعد وابتهاجا بنجاته من حادث الاعتداء عليه

الشَّعْبُ يَدْعُو اللَّهَ يَا زَغْلُولُ * أَنْ يَسْتَقِلَّ عَلَى يَدَيْكَ النَّيْلُ
إِنَّ الَّذِي أَنْدَسَ الْإِثْمَ لَقَتْلِهِ * قَدْ كَانَ يَحْرُسُهُ لَنَا جَبْرِيلُ
أَيُّوْتُ (سَعْدُ) قَبْلَ أَنْ نَحْيَا بِهِ ؟ * خَطْبُ عَلَى أَنْبَاءٍ مِصْرَ جَلِيلِ
يَا (سَعْدُ) إِنَّكَ أَنْتَ أَعْظَمُ عُذَّةٍ * ذُحِرَتْ لَنَا نَسْطُو بِهَا وَنُصُولُ
وَلَأَنْتَ أَمْضَى نَبْلَةٍ تَزِي بِهَا * فَانْقُذْ وَأَقْصِدْ فَالْنَّالُ قَلِيلُ^(١)
النَّسْرُ يَطْمَعُ أَنْ يَصِيدَ بِأَرْضِنَا * سَنُرِيهِ كَيْفَ يَصِيدُهُ زُغْلُولُ^(٢)
إِنَّا رَمَيْنَاهُمْ بِنَدَبٍ حَوْلِ * عَنْ قَصْدِ وَادِي النَّيْلِ لَيْسَ يَحُولُ^(٣)
بِأَشَدَّنَا بَأْسًا وَأَقْدَمِنَا عَلَى * خَوْضِ الشَّدَائِدِ وَالْخَطُوبِ مَثُولُ^(٤)
بَقِيَ جَمِيعَ الْقَلْبِ غَيْرِ مُشْتَتٍ * إِنْ مَالَتْ الْأَهْرَامُ لَيْسَ يَمِيلُ^(٥)
فَاوْضُ وَلَا تَخْفِضُ جَنَاحَكَ ذِلَّةً * إِنَّ الْعَدُوَّ سِلَاحَهُ مَقْلُولُ^(٦)
فَاوْضُ وَأَنْتَ عَلَى الْمَجْرَةِ جَالِسُ * لِمَقَامِكَ الْإِعْظَامُ وَالتَّبَجُّيلُ^(٧)
فَاوْضُ تَخْلُقُكَ أُمَّةٌ قَدْ أَقْسَمَتْ * أَلَّا تَنَامَ فِي الْبِلَادِ دَخِيلُ

(١) أقصد السهم : أصاب المقتل . (٢) يريد بالنسر : الانجليز ؛ واستعمله هنا لإثارة

العجب من أن يصيد الزغلول (فرخ الحمام) النسر . (٣) الضير في « رميناهم » للإنجليز .

والندب : الماضي في الحاجة ، النافذ في قضائها . والحول : الشديد الاحتيال . (٤) مثول ، أى

مائلات حاضرة . (٥) جميع القلب : لا يتفرق من الخوف . (٦) مقلول : مظلوم

مكسر الحدة لا يصلح للضرب والطعان . (٧) يريد علق مكانته وارتفاع منزلته .

عَزَلٌ وَلَكِنْ فِي الْجِهَادِ ضَرَاغِمٌ * لَا الْجَيْشُ يُفَزِعُهَا وَلَا الْأَسْطُولُ^(١)
 أَسْطُولُنَا الْحَقُّ الصُّرَاحُ وَجَيْشُنَا أَلْ * حُجَجُ الْفِصَاحِ وَحَرْبُنَا التَّدْيِيلُ
 مَا الْحَرْبُ تُذَكِّيهِ قَنَا وَصَوَارِمُ * كَالْحَرْبِ تُذَكِّيهِ نُهْيٌ وَعُقُولُ^(٢)
 خُضُّهَا هُنَالِكَ بِالْيَقِينِ مُدَرَّمَا * وَاللَّهُ بِالنَّصْرِ الْمُبِينِ كَفِيلُ
 أَرْعِيهِمْ شَاكِيَ السَّلَاحِ مَدِجٌ * وَزَعِيمُنَا فِي كَفِّهِ مَنْدِيلُ^(٣)
 وَكَذَلِكَ الْمَنْدِيلُ أَبْلَغُ ضَرْبَةٍ * مِنْ صَارِمٍ فِي حَدِّهِ التَّضْيِيلُ
 لَكَ وَقْفَةٌ فِي الشَّرْقِ تَعْرِفُهَا الْعُلَا * وَيَحْفَظُهَا التَّكْبِيرُ وَالتَّهْلِيلُ
 زَلْزَلٌ بِهَا فِي الْعَرْبِ كُلِّ مُكَابِرٍ * لِيرَى وَيَعْلَمَ مَا حَوَاهُ الْغِيلُ^(٤)
 لَا تَقْرَبِ (التَّامِيزَ) وَأَحْذَرِ وَرْدَهُ * مَهْمَا بَدَا لَكَ أَنَّهُ مَعْسُولُ^(٥)
 الْكَيْدُ مَمْزُوجٌ بِأَصْفَى مَائِهِ * وَالْخَلَلُ فِيهِ مَذُوبٌ مَصْقُولُ^(٦)
 كَمْ وَارِدٍ يَا (سَعْدُ) قَبْلَكَ مَاءَهُ * قَدْ عَادَ عَنْهُ وَفَى الْفُؤَادِ غَلِيلُ^(٧)
 الْقَوْمُ قَدْ مَلَكَوا عِنَانَ زَمَانِهِمْ * وَلَهُمْ رِوَايَاتٌ بِهِ وَفُصُولُ^(٨)

- (١) العزل : الذين لا سلاح معهم ، الواحد أعزل . والضراغم : الأسود .
 (٢) أذكي الحرب : أشعل نارها . والقنا : الرماح ، الواحدة قناة . والصوارم :
 السيوف القواطع . (٣) شاكي السلاح ، أى ذر شوكه وحده في سلاحه . والملاجج :
 اللابس السلاح . (٤) الغيل : الأجمة وموضع الآساد .
 (٥) معنى النهى عن قرب التاميز : التحذير من خداع أهله . (٦) الخلل : الخلداع والمكر .
 (٧) الغليل : شدة العطش . (٨) القوم : الإنجليز . والعنان : سير الهجام الذى
 يمسك به الفرس .

(١)
 وَلَهُمْ أَحَابِيلُ إِذَا لَقَّوْا بِهَا * قَنَصُوا النَّهْيَ فَاسِيرُهُمْ مَحْبُولُ
 فَاحْذَرُ سِيَاسَتَهُمْ وَكُنْ فِي يَقْظَةٍ * سَعْدِيَّةٌ إِنَّ السِّيَاسَةَ غُولُ
 إِنْ مَثَلُوا فَدَعِ الْخَيَالَ فَإِنَّمَا * عِنْدَ الْحَقِيقَةِ يَسْقُطُ التَّمَثِيلُ
 الشَّبْرُ فِي عُرْفِ السِّيَاسَةِ فَرَسُخٌ * وَالْيَوْمُ فِي فَلَكِ السِّيَاسَةِ جِيلُ
 وَلِكُلِّ لَفِظٍ فِي الْمَعَاجِمِ عِنْتُهُمْ * مَعْنَى يُقَالُ بَأَنَّهُ مَعْقُولُ
 نَصَلَتْ سِيَاسَتُهُمْ وَحَالَ صِبَاغُهَا * وَلِكُلِّ كَاذِبَةٍ الْخَضَابُ نُصُولُ
 جَمَعُوا عَقَاقِيرَ الدَّهَاءِ وَرَكَّبُوا * مَا رَكَّبُوهُ وَعِنْدَكَ التَّحْلِيلُ
 يَا (سَعْدُ) أَنْتَ زَعِيمُنَا وَوَكِيلُنَا * وَعَلَيْكَ عِنْدَ مَلِكِنَا التَّعْوِيلُ
 فَادْفَعْ وَنَاضِلٌ عَنْ مَطَالِبِ أُمَّةٍ * يَا (سَعْدُ) أَنْتَ أَمَامَهَا مَسْئُولُ
 النَّيْلُ مَنبَعُهُ لَنَا وَمَصَبُهُ * مَا إِنَّ لَهُ عَنْ أَرْضِهَا تَحْوِيلُ
 وَثِقْتَ بِكَ الثَّقَةَ الَّتِي لَمْ يَتَفَرِّجْ * لِلرَّيْبِ فِيهَا وَالشُّكُوكِ سَبِيلُ
 جَعَلْتَ مَكَانَكَ فِي الْقُلُوبِ نَحْبَةً * أَوْ بَعْدَ ذَلِكَ عَلَى الْوَلَاءِ دَلِيلُ
 كَادَتْ تُجِنُّ وَقَدْ جُرِحتَ وَخَانَهَا * صَبْرٌ عَلَى حَمْلِ الْخَطُوبِ جَمِيلُ
 لَمْ يَبْقَ فِيهَا نَاطِقٌ إِلَّا دَمًا * لَكَ رَبُّهُ وَدُمَاؤُهُ مَقْبُولُ
 يَا سَعْدُ كَادَ الْعِيدُ يُصْبِحُ مَائِمًا * الدَّمْعُ فِيهِ أُمِّي عَلَيْكَ يَسِيلُ

(١) الأحابيل، أى المصايد .

(٢) نصلت : انكشفت ونجحت من لونها الكاذب الى لونها الصادق . وحال : محوّل .

(٣) العيد، أى عيد الأضحي من سنة ١٢٤٢ هـ . وقد طلت فيه الهاني بسبب الاعتداء على سعد باشا .

لولا دِفَاعُ اللَّهِ لَانْطَوَتْ الْمُنَى * عِنْدَ أَنْطَوَائِكَ وَانْقَضَى التَّائِمِلُ
 شَلْتُ أَنَامِلُ مَنْ رَمَى، فَلِكَفِّهِ * حَزُّ الْمُدَى وَلِكَفِّكَ التَّقْيِيلُ^(١)
 هَذَا وَسَامُكَ فَوْقَ صَدْرِكَ مَالَهُ * مِنْ بَيْنِ أَوْسَمَةِ الْفَخَارِ مِثْلُ^(٢)
 حَلَّتِيهِ بَدْرُ زَكَّى طَاهِرٍ * فِي حُبِّ مِصْرَ مَصُونُهُ مَبْدُولُ^(٣)
 فِي كُلِّ عَصْرِ الْجُنَاةِ جَرِيرَةٍ * لَيْسَتْ عَلَى مَرِّ الزَّمَانِ تَزُولُ^(٤)
 جَارُوا عَلَى (الْفَارُوقِ) أَعْدَلَ مَنْ قَضَى * فِينَا وَزَكَّى رَأْيَهُ التَّنْزِيلُ^(٥)
 وَعَلَى (عَلِيٍّ) وَهُوَ أَطْهَرُنَا فَمَا * وَيدَا وَسَيْفُ نَيْنَا الْمَسْلُولُ^(٦)
 قِفْ يَا خَطِيبَ الشَّرْقِ جَدِّدْ عَهْدَنَا * قَبْلَ الرَّجِيلِ لِقُطْعِ التَّأْوِيلِ
 فَأَوْضُ فَإِنْ أَوْجَسَتْ شَرًّا فَاصْرِمْ * واقْطَعْ خَبْلُكَ بِالْمُدَى مَوْصُولُ
 وَأَرْجِعْ إِلَيْنَا بِالْكَرَامَةِ كَاسِيَا * وَعَلَيْكَ مِنْ زَهْرَاتِهَا إِكْلِيلُ^(٧)
 إِنَّا سَنَعْمَلُ لِلْخَلَّاصِ وَلَا تَنِي * وَاللَّهُ يَقْضِي بَيْنَنَا وَيُدِيلُ^(٨)
 كَمْ دَوْلَةٍ شَهِدَ الصُّبْحُ جَلَالَهَا * وَأَتَى عَلَيْهَا اللَّيْلُ وَهِيَ قُلُولُ^(٩)
 وَقُصُورِ قَوْمٍ زَاهِرَاتٍ فِي الدُّجَى * طَلَعَتْ عَلَيْهَا الشَّمْسُ وَهِيَ طُلُولُ^(١٠)

(١) المدي : جمع مدية ، وهي السكين . (٢) يريد « بالوسام » ما أصاب صدره من الدم .

(٣) الجريرة : الجناية . (٤) الفاروق ، هو عمر بن الخطاب . يشير إلى قتل أبي لؤلؤة

إياه غيلة . وزكى : عزز . يريد ما كان يزل من الآيات تعزيزا وموافقة لما كان يراه عمر .

(٥) يشير إلى قتل عبد الرحمن بن ملجم عليا رضي الله تعالى عنه غيلة أيضا . (٦) وفي يني :

قصر . ويديل : يجعل الدولة لنا عليهم . (٧) وهي قلول ، أى متفرقة مهزومة .

(٨) الطلول : جمع طلل ، وهو الشاخص من آثار الديار .

(١) يَا أَيُّهَا النَّشْرُ الْكَرَامُ تَحِيَّةٌ * كَالرَّوْضِ قَدْ خَطَرَتْ عَلَيْهِ قَبُولُ
 يَا زَهْرَ مِصْرَ وَزَيْنَهَا وَحُمَاتَهَا * مَدَحِي لَكُمْ بَعْدَ الرَّئِيسِ فُضُولُ
 (٢) جَدْتُمْ لَهَا بِالنَّفْسِ فِي وَرْدِ الصَّبَا * وَالْوَرْدُ لَمْ يَنْظُرْ إِلَيْهِ ذُبُولُ
 (٣) كَمْ مِنْ سَيِّئِينَ دُونَهَا وَمُجَاهِدٍ * دُمُهُ عَلَى عَرَصَاتِهَا مَطْلُولُ
 سِيرُوا عَلَى سَنَنِ الرَّئِيسِ وَحَقَّقُوا * أَمَلِ الْبِلَادِ فَكُلُّكُمْ مَأْمُولُ
 (٤) أَتُمْ رِجَالُ غَدٍ وَقَدْ أَوْفَى غَدٌ * فَاسْتَقْبِلُوهُ وَحَجِّلُوهُ وَطُولُوا

الى الأستاذ أحمد لطفى السيد بك (باشا)

وجهها اليه حين ترجم كتاب الأخلاق لأرسطو سنة ١٩٢٤ م

يَا كَاسِيَ الْأَخْلَاقِ فِي * بَلَدٍ عَنِ الْأَخْلَاقِ عَارِي
 (٥) لَمْ يَبْقَ فِينَا مَنْ يُجَا * دِلٌ فِي مَقَامِكَ أَوْ يُمَارِي
 (٦) بِالْأَمْسِ قَدْ عَلَّمَنَا * أَدَبَ الْكِتَابَةِ وَالْحِسْوَارِ
 (٧) وَالْيَوْمَ قَدْ أَلْطَفْتَنَا * بِالطَّيِّبَاتِ مِنَ الثَّمَارِ

- (١) القبول : ربح الصبا . (٢) في ورد الصبا ، أى فى زهرة الشباب .
 (٣) العرصات : جمع عرصة ، وهى كل بقعة ليس فيها بناء ؛ يريد ميادينها . ومطلول : لم يثار به .
 (٤) أوفى : أتى . وحجلوه ، أى اجعلوه يوما أبيض . وطولوا : انغروا واعتزوا .
 (٥) يمارى : ينازع . (٦) يشير بهذا البيت الى عهد المذوح فى رئاسة تحرير «الجريدة»
 وما كان يكتبه فيها من مقالات . (٧) أطفه بكذا : أتحفه به .

(١) بكتاب رسطاليس تا * ج نواذر الفلك المدار
 جاهذت في تفصيله * ووصلت ليلك بالنهار
 ترين الكلام كأنه * ماس بيزان التجار
 (٢) وتضون معنى ربه * صون الآلى في المحار
 (٣) وتضن دهنان الكلا * م كضن دهنان النصار
 حتى حسبك في الأنا * ة والاختبار والاختيار
 (٤) صنما يصور في القصور * ص لدى الفراعنة الجار
 انى قرأت كتابه * ين الخشوع والاعتبار
 فاذا المترجم مائل * جنب المؤلف في إطار
 وعليهما نور يفيد * خ من المهابة والوقار
 قالوا : لقد هجر السبا * سة وأزوى في عقير دار
 ترك المجال لغيره * ورأى النجاة مع الفرار
 (٥) لا تظلموا رب النهى * وحذار من خطيل حذار
 هجر السياسة للسبا * سة لا لنوم أو قرار

(١) تاج نواذر الفلك ، أى آمن نواذر الزمن وأقسما . (٢) ربه ، أى مؤلفه

أرسطوطاليس . (٣) دهنان الكلام (بالنصب) ، على النداء . والدهقان (بكر الدال وتضم) :

التاجر . والنصار : الذهب . (٤) الصنع (بالتحريك) : الحاذق بالصنعة ؛ وشبهه بالمصور

في القصص لما فى ذلك من مراعاة الدقة . (٥) الخطل : الخطأ والزلل .

لو أَنَّهُمْ عَلِمُوا الَّذِي * يَبْنِي لَهُمْ حَلْفَ السَّيِّئِ
 لَسَعَوْا إِلَى حَامِي الْقَضِيَّةِ * لِمَةِ وَالْحَقِيقَةِ وَالذَّمَّارِ^(١)
 وَأَفَاهُمْ بِدَعَائِمِ .ال * أَخْلَاقِ وَالْحُكْمِ السَّوَارِي^(٢)
 أَمَّ السِّيَاسَةِ وَالنَّجَا * حِجِّ وَحِصْنِ سَيِّدَةِ الْبَحَارِ^(٣)
 كَخَلَفَتْ بِهَا وَتَمَسَّكَتْ * قَبْلَ الْفَيَاقِقِ وَالْجَوَارِي^(٤)
 يَا عَاشِقَ الْخُلُقِ الصَّرِيدِ * بَحْجِ وَشَانِي الْخُلُقِ الْمَوَارِي^(٥)
 إِنِّي اخْتَبَرْتُكَ فِي الْكُفْهِ * لَهَ وَالصَّبَا حَقَّ اخْتِبَارِ^(٦)
 لَمْ يَحْمِرْ فِي نَادِيكَ هُجْرٌ * رُ الْقَوْلِ أَوْ خَلَعَ الْعِذَارِ^(٧)
 حُلُوُّ التَّوَاضُّعِ وَالتَّوَا * ضُعُ آيَةُ الْقَوْمِ الْخِيَارِ^(٨)
 مَرُّ التَّكَبُّرِ حِينَ يَدُ * عَوْكَ التَّوَاضُّعِ لِلصَّغَارِ^(٩)
 سِرٌّ فِي طَرِيقِكَ وَادِمَا * فَلَانَتْ مَأْمُونُ الْعِشَارِ^(١٠)
 وَأَجْعَلْ عَلَى لُقْمِ الطَّرِيدِ * قِي صَوِي تَلُوحُ لِكُلِّ سَارِي

- (١) الذمار : كل ما يلزمك حفظه وحمايته . (٢) الدعائم : العمدة ، الواحدة دعامة .
 والسواري : جمع سارية ، أى التى تسير فى الناس . (٣) يريد « بسيدة البحار » : انجلترا .
 (٤) الفياقق : الجيوش العظيمة ، الواحد فيلق . والجواري : السفن ، الواحدة جارية .
 (٥) الشانئ : المبعوض . (٦) هجر القول : القبح منه . وخلع العذار : كناية عن التهنك
 وعدم المبالاة . (٧) الصغار : الذل . (٨) لقم الطريق (بفتح اللام وضمها) :
 وسطه . والصوى : العلامات التى تجعل على الطريق لينتدى بها ؛ الواحدة صوة (بضم الصاد
 وتشديد الواو) .

إِنَّا إِلَى (كُتِبَ السَّيَا * مَةِ) يَا حَكِيمُ عَلَى أَوَارِ^(١)
 عَجَّلْ بِهَا قَبْلَ (الْفَسَا * دِ) وَقَبْلَ عَادِيَةِ الْبَوَارِ^(٢)
 إِنَّا نُنَاضِلُ أُمَّةً * أَقْطَابُهَا أَسَدُ ضَوَارِ^(٣)
 عَرَكُوا الزَّمَانَ وَأَهْلَهُ * وَتَحَصَّنُوا مِنْ كُلِّ طَارِ^(٤)
 أَمَسَتْ سِيَاسَتُهُمْ كَيْطَلُسِمُ يُحِيرُ كُلَّ قَارِ
 إِنَّ يُنَكِّرُوا بَعْضَ الْغُمُ * ضِ عَلَى أَدِيْبٍ ذِي أَقْتِدَارِ^(٥)
 فَلَا تَهْمُ لَمْ يَذْكُرُوا * أَنْتَ الْمُتَرْجِمَ فِي إِسَارِ^(٦)
 لَمْ يَبَيَّ أَحْمَدُ أَنْ يَحْيَ * ءَ بَايَ قَيْسٍ أَوْ نِزَارِ^(٧)
 وَهُوَ الْمَجَلَّى فِي أَسَا * لَيْبِ الْفَصَاحَةِ وَالْمُبَارِ^(٨)
 لَغْنَةُ الْعُلُومِ حَقَائِقُ * هِيَ عَنْ زَخَارِفِنَا عَوَارِ^(٩)
 تَابَى الْغُلُوُّ وَتَحَسَّبُ الـ * لِإِغْرَاقِ كَالثُوبِ الْمُعَارِ
 وَالتَّقْلُّ إِنَّ عَدِمَ الْأَمَّا * نَهَ كَانَ عُنْوَانُ الْخَسَارِ

- (١) يريد بكتب السياسة : كتاب أرسطو فيها . والأوار : شدة العطش . (٢) يشير إلى كتاب (الكون والفساد) الذي كان يترجمه الأستاذ أحمد لطفى السيد وقتئذ ، وكان يود حافظ لو أن الأستاذ ترجم كتاب أرسطو في السياسة ونشره قبل كتاب الكون والفساد . (٣) يريد الأمة الانجليزية . والضواري : المتعددة الصيد والأقتراس . (٤) عركوا الزمان : خبروه . والطارى ، أى الطارئ ، أى ما يطرأ على الدول من أحداث . (٥) «أن المترجم» الخ : أى أنه متقيد بأغراض المؤلف وعباراته لا يعدوها . (٦) يريد بقوله : «بأى قيس أو نزار» : بيان العرب الأقدمين . وقيس ونزار : قبيلتان من العرب معروفتان . (٧) المجلى : السابق الذى يحى أولاً . (٨) زخارفنا ، أى ما يزين به الأدباء . أشعارهم ورسائلهم من تحلية وتجميل . (٩) الغلو والإغراق فى الشيء : المبالغة فيه .

الى حفنى بك محمود

قالها حين رشحه الوفد لعضوية البرلمان عن بندر الجزيرة

[نشرت في ١١ مايو سنة ١٩٢٦م]

(١)
يا كاسى الخلق الرضى وصاحب ال * أدب السرى ويا فتى الفتيان
(٢)
إن رشحك فانت من بيت رعى * بسهامه عن حوزة الأوطان
زكاك إقدام ورأى شاهد * ونقى إيمان وحسن بيان
(٣)
لو كنت بين الناهيين لأدركوا * ما فيك يا (حفنى) من رضوان

الى سعد زغلول باشا

أنشدها بين يديه على أثر قدومه من مسجد وصيف إلى العاصمة على الباخرة دندرة

[نشرت في ٧ نوفمبر سنة ١٩٢٦م]

(٤)
ما بال (دندرة) تيمس هاديا * ميس العروس مشت على إستبرق
والنيل يجرى تحتها متللاً * والموج بين مهلل ومصفق
(٥)
أللهما والتيه يثني عطفها * حملت ركاب زعيم قلب المشرق

- (١) السرى : الرفيع . (٢) حوزة الأوطان ، أى ما يجب الدفاع عنه وحمايته منها .
(٣) يشير بهذا البيت الى أن الممدوح من بلد آخر غير البلد الذى وشح للنيابة عنه ، ولو كان منه لأدرك
أهله ما فيه من رضى وخير . (٤) تيمس : تمايل وتبخر ، والإستبرق : الديباج الغليظ ،
وهو لفظ معرب . (٥) العطف : الجانب . ويريد « بقلب الشرق » : مصر ، لأنها منه بمنزلة
القلب من الجسد .

إِنِّي أَرَى نُورًا يَفِيضُ وَطَلْعَةً * قَدْ زَانَهَا وَضَحُ الْجَبِينِ الْمَشْرِقِ
(١)
هَذَا زَعِيمُ النَّيْلِ حَلَّ عَرِينَهُ * بَعْدَ الْغِيَابِ فَيَاوُودُ تَدْفِقِي
(٢)
وَتَيْمَنِي بِقُدُومِهِ وَتَرْفَقِي * عِنْدَ الزَّحَامِ فَسَلِّمْ وَتَفَرَّقِي
(٣)
وَتَنْظُرِي إِنْ الْخَلَاصَ مُحَمَّمٌ * فَاللَّهُ أَسْلَمَ أَمْرًا لِمَوْفَقِي
(٤)
كَمْ أَزْمَةٌ مَرَّتْ بِنَا فَأَجْتَا حَهَا * (سَعْدٌ) بِسَبِيلِ بَيَانِهِ الْمَتَدَفَّقِ
(٥)
يَأْيُهَا السَّبَّاقُ فِي طَلَبِ الْعَلَا * هَا قَدْ آتَيْتَ مُجَلِّيًا لَمْ تُسَبِّقِ
(٦)
سَبَقَ الْبَشِيرِ رِكَابُ سَعْدٍ جَارِيًا * وَرِكَابُ سَعْدٍ وَانِيًا لَمْ يُلْحَقِ

تهنئة أحمد شوقي بك^(٧)

أنشدما في المهرجان الذي أقيم لتكريمه بالأوبرا في ٢٩ إبريل سنة ١٩٢٧ م

وقد اشترك فيه بعض شعراء الأقطار الشرقية

بَلَابِلَ وَادِي النَّيْلِ بِالْمَشْرِقِ أَشْجَعِي * بِشِعْرِ أَمِيرِ الدَّوْلَتَيْنِ وَرَجَّعِي
(٨)
أَعْيِدِي عَلَى الْأَشْمَاعِ مَا غَرَّدَتْ بِهِ * يَرَاعَةُ شَوْقِي فِي أَبْتَدَاءٍ وَمَقْطَعِ
(٩)

- (١) العرين : مأوى الأسد . (٢) يروى أن الرئيس ابنم عند ما أنشد هذا البيت ، وقال :
”إلا أنت يا حافظ“ . (٣) تنظري : انتظري . (٤) اجتاحتها : استأصلها وأودى بها .
ويقال : إن حافظا لما أنشد هذا البيت خاطب الرئيس وقال : ”ألم يحصل“ ؟ ، فضحك سعد
وقال : «أنا لا أعرف» . (٥) المجلى : السابق الذي يجي ، أولا . (٦) يقول : إن سعدا
قد أفاض من صفته — وهى السبق فى سبل العلا — على الباهرة ، فسبقت البشير وهو يجرى ، ولو كانت
وانية لسبقته أيضا ، لأنها اكتسبت فضيلة السبق بمن حل بها . (٧) انظر التعريف بالمرحوم
(أحمد شوقي بك) فى الحاشية رقم ٥ من ص ٥٠ . (٨) يد « بالدولتين » : النظم والنثر .
والترجيع : ترديد الصوت بالغناء . (٩) فى ابتداء ومقطع ، أى فى أول القصيدة وآخرها .

- (١) بَرَاهَا لَهُ الْبَارِي فَلَمْ يَنْبُ سِنَهَا * إِذَا مَا نَبَا الْعَسَالُ فِي كَفِّ أَرْوَعِ
 (٢) مَوَاقِعُهَا فِي الشَّرْقِ وَالشَّرْقُ مُجْدِبٌ * مَوَاقِعُ صَيْبِ النَّيْتِ فِي كُلِّ بَلْقَعِ
 (٣) لَدَيْهَا وَفُودُ اللَّفِظِ تَتَسَاقُ خَلْقَهَا * وَفُودُ الْمَعَانِي خُشَعًا عِنْدَ خُشْعِ
 (٤) إِذَا رَضِيَتْ جَاءَتْ بِأَنْفَاسٍ رَوْضَةٍ * وَإِنْ غَضِبَتْ جَاءَتْ بِنَجَاءٍ زَعَزَعِ
 (٥) أَحْنُ عَلَى الْمَكْدُودِ مِنْ ظِلِّ دَوْحَةٍ * وَأَخْنَى عَلَى الْمَوْلُودِ مِنْ ثَدْيِ مُرَضِعِ
 (٦) عَلَى سِنِّهَا رَفَقٌ يَسِيلُ وَرَحْمَةٌ * وَرَوْحٌ لِمَنْ يَأْسَى وَذِكْرٌ لِمَنْ يَبْعِي
 (٧) تَسَابِقُ فَوْقَ الطَّرْسِ أَفْكَارُ رَبِّهَا * سِبَاقُ جِيَادٍ فِي مَجَالٍ مَرِيعِ
 (٨) تَطِيرُ بُرُوقُ الْفِكْرِ خَلْفَ بُرُوقِهَا * تُنَاشِدُهَا بِاللَّهِ لَا تَتَسَرَّعِي
 (٩) تُحَاوِلُ قَوْتَ الْفِصْرِ لَوْ لَمْ تُكْفَهَا * أَنَامِلُهُ كَفَّ الْجَمُوحِ الْمُرُوعِ

- (١) نبا، ينبو : كل وارتد . والعسال : الرخ يهزل لنا . والأروع : الشجاع الشهم .
 (٢) صيب (بتسكين الياء) أصلها صيب (بتشديد هاء) ، وهو المطر المنهمر المنصب . والبلقع :
 الأرض القفر لا نبات بها . يقول : إن آثار قلبه تفعل في نفوس الشرقيين الظامئة ما تفعل السحب
 في الأرض المجربة . (٣) يقول : إن براعة هذا الشاعر قد ملكت ناصيتي الألفاظ والمعاني
 لا يستعصى عليها منها شيء . (٤) النجاء : الريح تحرف عن مهب الرياح ، وتقع بين ريحين .
 والزعزع : الشديدة العصف . (٥) المكدود : من أضناه الكد والمشقة . والدوحة : الشجرة
 العظيمة المتسعة الظل . (٦) الروح : الراحة والرحمة . ويأسى : يحزن . ويبى : يحفظ .
 (٧) تسابق ، أى تتسابق . والطرس : الصحيفة يكتب فيها . والمجال : حيث تجول الجياد ، أى تجرى .
 (٨) برق الفكر ، أى برق فكر الشاعر . والضمير في « بروقها » يعود على « البراعة » المتقدمة .
 شبه فكر الشاعر وبراعته في مرعيتها بالبروق ، وجعل برق براعته أسرع من برق فكره .
 (٩) الجموح : الفرس الذى يركب رأسه لا يثنيه شيء . والمرقع : المقزع . يقول : إن براعته
 تسبق أفكاره لولا أن أنامله ترددها وتكبيحها .

- (١) فهذا (كَلِمُ اللهِ) قد جاءَ قَبْلَهُ * (بهارُون) ما يَأْمُرُهُ بِالْوَحْيِ يَصْدَعُ
 (٢) بَلَغَتْ بَوْصِفِ النَّيْلِ مِنْ وَصْفِكَ الْمَدَى * وأَيَّامَ (فِرْعَوْنَ) وَمَعْبُودِهِ (رِع)
 (٣) وما سُقَّتْ مِنْ عَادِ الْبِلَادِ وَأَهْلِهَا * وما قُلَّتْ فِي أَهْرَامِ (خُوفُو) و(خَفْرَع)
 (٤) فَأَظْلَعَتْهَا شَوْقِيَّةٌ لَوْ تَنَسَّقَتْ * مع النَّسِيرَاتِ الزُّهْرِ خُصَّتْ بِمَطْلَعِ
 (٥) أ(من أَيِّ عَهْدٍ فِي الْقُرَى) قد تَفَجَّرَتْ * يَنَابِيعُ هَذَا الْفِكْرِ أُمُّ (أَخْتُ يَوْشَعَ)
 (٦) وَفِي (تُوتَ) مَا أَغْيَا آتِكَاَرُ مُوَفِّقٍ * وَفِي (نَاشِيٍّ فِي الْوَرْدِ) إلهَامٌ مُبْدِعِ

(١) كليم الله : نبيه موسى عليه السلام . وصدع بالأمر : جاهر به مصرحا . ويشير الى ما ورد في القرآن حكاية عن موسى عليه السلام : (واجعل لي وزيرا من أهلي هارون اني أشدد به أزري) الآيات . (٢) المدى : الغاية . ويشير بهذا البيت الى قصيدة لشوقي في النيل وتاريخ من ملكه من القراعة بحث بها الى مرجليوث المستشرق المعروف في سنة ١٩١٤ م ، وأولها :
 من أي عهد في القرى تنفق * وبأي كف في البرية تفقد
 «ورع» : اسم للشمس عند قدماء المصريين ، وهو من معبوداتهم . (٣) العاد : جمع عادة ؛ يريد عادات قدماء المصريين . وخوفو وخفرع : ملكان معروفان من ملوك مصر القراعة .
 (٤) تنسقت : انتظمت . والنسيرات الزهر : النجوم . (٥) «من أي عهد في القرى» : مطلع القصيدة السابق ذكرها في الحاشية رقم ٢ من هذه الصفحة . وأخت يوشع : الشمس ؛ وأطلق عليها ذلك لما روى من أنها تأخرت عن المغيب لأجل يوشع . ويشير الى قصيدة لشوقي في توت عنخ آمون ، أولها :
 قفى يا أخت يوشع خبرينا * أحاديث القرون الغابرينا

(٦) يشير بقوله : «وفي توت» الى قصيدة لشوقي في توت عنخ آمون أولها :
 درجت على الكنز القرون * وأنت على الدن السنون
 ويقول : «ناشي في الورد» الى قصيدة له في المتحررين لرسوبهم في الامتحانات ، أولها :
 ناشي في الورد من أيامه * حسب الله ابالورد عثر

- (١) أَسَأَلْتُ (سَلَا قَلْبِي) شُؤْنِي تَذَكُّرًا * كَمَا تَثَرْتُ (رِيمٌ عَلَى الْقَاعِ) أَدْمَعِي
(٢) وَ(سَلْ يَلِدْزَا) إِنِّي رَأَيْتُ جَمَاهَا * عَلَى الدَّهْرِ قَدْ أُنْسَى جَمَالَ (المُقْنَعِ)
(٣) أَطَلَّتْ عَلَيْنَا (أَخْتُ أُنْدَلُسَ) بِمَا * أَطَلَّتْ فَكَانَتْ لِلنَّهْيِ خَيْرَ مَشْرِعِ
(٤) وَفِي تَسْجِ (صَدَاحِ) أَتَيْتَ بَآيَةَ * مِنْ السَّهْلِ لَا تَتَّقَادُ (لَا بِنِ الْمُقْنَعِ)

(١) يشير بقوله : "سلا قلبي" الى قصيدة لشوقي قالها في استقباله لمصر عند عودته من منفاه بالأندلس ، أولها :

سلا قلبي غداة سلا وتابا * لعسل على الجمال له عتابا

وبقوله : "ريم على القاع" الى قصيدة له في مدح النبي صلى الله عليه وسلم سماها : نهج البردة ، وأولها :
ريم على القاع بين البان والعلم * أحل سفك دمي في الأشهر الحرم
والشئون : الدموع .

(٢) يشير الى قصيدة للمدوح في خلق السلطان عبد الحميد سماها : (عبرة الدهر) أولها :

سل يلدزا ذات القصور * هل جاءها نأ البسودر

ويريد بالمقنع : المقنع الكتني ، وهو لقب غلب عليه لأنه كان أحسن الناس وجها وأمدهم قامة وأكلهم خلقة ، فيرون أنه كان إذا سفر اللثام أصابته أعين الناس فيمرض ويلحقه عنت ، فكان لا يمشي إلا مقنعا ؛
واسمه محمد بن ظفر بن عمير ، وهو شاعر مقل من شعراء الدولة الأموية ، وكان ذا منزلة وشرف بين قومه .

(٣) أطلت علينا ، أي ظهرت لنا من أعلى . ويشير الى قصيدة لشوقي في رثاء مدينة أدرنة ، وهي من أمهات مدن الدولة العثمانية ، وكانت قد سقطت في يد البلغار في الحرب البلقانية ، وأول القصيدة :

يا أخت أندلس عليك سلام * هوت الخلافة عنك والإسلام

والمرجع : المورد الذي يستقى منه .

(٤) يشير الى قصيدة لشوقي في تفصيل حجاب المرأة على مفورها ، يخاطب بها المرحومة باحثة

البادية ، أولها :

صداح يا ملك الكنا * ر ويا أمير البلبيل

وابن المقفع ، هو عبد الله بن المقفع الكاتب المعروف .

- (١) ورائع وصف في (أبي الهول) مقتته * كبستان نور قبل وعيك ما رعى
 (٢) خرجت به عن طوق كل مصور * يبيد دقيق الفن في جوف مصنع
 (٣) وفي (انظر إلى الأقمار) زفرة واجد * وأنه مقروح الفؤاد موزع
 بكت على سر السماء وطهرها * وما ابتدأوا من خدرها المرفع
 (٤) شياطين أنس تسرق السمع خلصة * ولا تحذر المخبوء للتسمع
 (٥) وسينية (البخترى) نسختها * بسينية قد أحرست كل مدعى
 (٦) أتى لك فيها طائعا كل ما عصى * على كل جبار القرية المعى

(١) الرائع : ما أعجب الناس بحسنه . ويشير إلى قصيدة لشوقي في وصف أبي الهول ، أولها :

أبا الهول طال عليك العصر * وبلغت في الأرض أقصى العمر

والنور (فتح النون) : زهر النبات .

(٢) الطوق : الجهد والطاقة . (٣) يشير إلى قصيدة لشوقي في رثاء فتحى ونورى الطيارين

العمانيين ، وكانا قد سقطت بهما طائرتهما أثناء رحلتهما إلى مصر قبل نشوب الحرب العظمى ، وأولها :

انظر إلى الأقمار كيف نزول * وإلى وجوه السعد كيف تحول

والواجد : ذو الوجد . والفؤاد الموزع : المفرق عما اختلف عليه من الشجون . (٤) يريد

بشياطين الإنس : الطيارين . ويريد « بالمخبوء للتسمع » : الشهب التي يرمي بها من الشياطين من يسرق

السمع من السماء . (٥) يشير بهذا البيت إلى قصيدة لأبي عباد البعترى على قافية السين في وصف

ليوان كبرى ، أولها :

صنت نفسى عما يدنس نفسى * وترفعت عن جدا كل جيس

وقصيدة لشوقي يمارسه بها ، يذكر فيها بعده عن بلاده في منفاه ، ويرثي فيها الأندلس ، وأولها :

اختلاف النهار والليل ينسى * اذكرا لي الصبا وأيام أنسى

(٦) الألقى (بتشديد الياء وخففت للشعر) : الذكى الموقد .

(١) شَجَا (البُحْتَرِي) إِيوَانُ (كُسْرَى) وَهَاجَهُ * وَهَاجَتْ بِكَ (الْحَمْرَاءُ) أَشْجَانُ مُوجِعٌ
وَقَفَّتْ بِهَا تَبِكِي الرَّبُوعَ كَمَا بَكَى * فَيَا لَكُمَا مِنْ وَاقِفَيْنِ بَارُبُعٍ
(٢) فَتَسْجُكَ كَالدِّيَّاجِ حَلَاهُ وَشَيْهُ * وَفِي النَّسِجِ مَا يَأْتِي بِشَوْبٍ مُرَقِّعٍ
(٣) وَشِعْرُكَ مَاءُ النَّهْرِ يَجْرِي مُجَدِّدًا * وَشِعْرُ سَوَادِ النَّاسِ مَاءٌ بِمَنْقَعٍ
(٤) أَ (أَفْضَى إِلَى خَتَمِ الزَّمَانِ فَفَضَّهُ) * مِنْ الْوَحْيِ وَالْإِلْهَامِ أَمْ قَوْلُ لَوْدَعِي
(٥) وَ (قَلْبِي أَذْكَرْتَ الْيَوْمَ غَيْرَ مُوَفِّقٍ) * رَقِي السُّحْرِ أَمْ أَنَا تُ أَسْوَانُ مُوَلِّعٍ
تَمَلَّكَتَ مِنْ مُلْكِ الْقَرِيضِ فَسِيحَهُ * فَلَمْ تَبْقِ يَا (شَوْقِي) لَنَا قَيْدَ إِصْبَعٍ
(٦) فَبِاللَّهِ دَعِ لِلنَّائِرِينَ وَسِيلَةً * تُفِيءُ عَلَيْهِمْ وَأَتَّقِي اللَّهَ وَأَقْنَعِ
(٧) عَمِلْتَ عَلَى نَيْلِ الْخُلُودِ فَنَلْتَهُ * فَقُلْ فِي مَقَامِ الشُّكْرِ يَا رَبِّ أَوْزِعِ
(٨) جَلَا شِعْرُهُ لِلنَّاسِ مِرَآةَ عَصِيرِهِ * وَمِرَآةَ عَهْدِ الشُّعْرِ مِنْ عَهْدِ (تُبَّعِ)

(١) البُحْتَرِي، هو أبو عبادة الوليد بن عبيد الله الطائي، الشاعر المعروف، والحمراء : قصر بفرناطة بالأندلس، بنى في عهد دولة بنى الأحرار، ولا تزال آثاره ماثلة حتى اليوم. (٢) الوحى : النقش. وشبه في الشطر الثاني الشعر الذى لا تستوى أجزاؤه فى الحسن وضده بالثوب المرقع. (٣) سواد الناس : عامتهم. والمنقع : الموضع يستنقع فيه الماء. (٤) يشير الى قول شوقي فى رثاء اللورد كارنارفون الذى كشف عن قبر توت عنخ آمون :

أَفْضَى إِلَى خَتَمِ الزَّمَانِ فَفَضَّهُ * وَجَبَا إِلَى التَّارِيخِ فِي مَحْرَابِهِ

وَاللَوْدَعِي : الذكى الذهن. (٥) الأسوان : الحزين. والرقى : جمع رقية، وهى العوذة يتعوذ بها من العلل والآفات. (٦) تفيء عليهم، أى تعود عليهم بالخير والرزق.

(٧) أوزعه الله الشكر : ألهمه إياه. ويشير إلى قوله تعالى حكاية عن سليمان بن داود عليهما السلام

فِي سُورَةِ النَّمْلِ : (فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ) الآية. (٨) تبع :

لقب للملك حمير. ويريد بهذا البيت أن شعر الممدوح قد صوّر التقديم والجديد.

- (١) يَجِيءُ لَنَا أَنَا (بِأَحْمَدَ) مَائِلًا * وَأَوْنَةً (بِالْبُخْتَرِيِّ) الْمُرْصَّعِ
 (٢) وَيَشَاوُرُقَى (هُوْجُو) وَيَأْتِي نَسِيْبُهُ * لَنَا مِنْ لِيَالِي (الْقَرِيدَ) بِأَرْبَعِ
 (٣) وَإِنْ خَطَرْتُ ذِكْرِي الْفُحُولِ بِفَارِسِ * وَمَا خَلَقُوا فِي الْقَوْلِ مِنْ كُلِّ مُشْبِعِ
 (٤) أَتَانَا بَرَوْضُ مُزْهِيرٍ مِنْ رِيَاضِهِمْ * وَ(حَافِظُهُمْ) فِيهِ يُغْنِي وَيَرْتَعِي
 (٥) قُلْ لِلَّذِي يَبْنِي مَدَاهُ مُنَافِسًا * طَمِعْتَ لَعَمْرُ اللَّهِ فِي غَيْرِ مَطْمَعِ
 (٦) فَذَلِكَ سَيْفُ سَلَهٍ اللَّهُ قَاطِعٌ * فَأَيَّانَ يَضْرِبُ يَفْرِ دِرْعًا وَيَقْطَعُ
 (٧) وَهَلْ تَدْفَعُ الدَّرْعُ الْمَنِيعَةَ صَارِمًا * بِهِ يَضْرِبُ الْمِقْدَارُ فِي كَفِّ سَلْفَجِ

(١) يريد «بأحمد» أبا الطيب أحمد بن الحسين المتنبي الكوفي الكندي الشاعر المعروف . (٢) يشاؤ: يسبق . ورق هو جو، أى أشعاره التى تشبه ورق السحر . وفكتور هو جو، هو شاعر فرنسا المعروف . انظر التعريف به فى الحاشية رقم ٢ من صفحة ٣٨ والنسب : التشيب بالنساء وذكر محاسنهن فى الشعر . والقريد : هو القريد ديموسيه من كبار شعراء فرنسا ، ولد بباريس سنة ١٨١٠ م ، وتوفى بها سنة ١٨٥٧ م وكان ممتازا فى شعره بالركة ولطف الصياغة ، وهو صاحب الليالى الأربع المشار إليها فى هذا البيت فى الحب والشك والسلوان ، وهى ليلة من (آيار) وليلة من (كانون أول) ، وليلة من (آب) وليلة من (شرين أول) . وفى كل ليلة من هذه الليالى الأربع يشرح حالا من أحواله المتعلقة بالحب ، وهذه الليالى هى التى رفعت إلى الطبقة الأولى بين شعراء فرنسا . (٣) بفارس ، يريد أمة الفرس ، وقد عرف شعراؤها بالإبداع فى المعانى ، وفى هذا يقول حافظ من قصيدة له فى مدح البارودى :

رمر كل معنى فارسي بطاعتي * وكل تصور منه أن يتوددا

(٤) يريد «بحافظ» : شمس الدين محمد الشيرازى الشاعر الفناى المعروف ، ولد بشيراز فى مستهل القرن الثامن الهجرى ، وتوفى سنة ٨٧٩٣ . يقول فى هذا البيت والذي قبله : إنه إذا ذكر الفحول من شعراء الفرس وما ابدعوا فيه من المعانى وأجادوا ، نطق شوق من رياض أشعاره ما يحكى رياض أشعارهم حتى إن شاعرهم الكبير حافظ الشيرازى لينغنى ويرتعى فى رياض ذلك الشاعر العربى (شوق) .

(٥) الملى : الغاية . (٦) يفرى : يشق . (٧) المقدار : القدر . والسلفج : الجرىء الشجاع .

(١) نَفَيْتَ فَلَمْ تَجْزَعْ وَلَمْ تَكْ ضَارِعًا * وَمَنْ تَرِمِهِ الْأَيَّامُ يَجْزَعْ وَيَضْرِعُ
(٢) وَأَخْصَبْتَ فِي الْمَنَى وَمَا كُنْتَ مُجْدِبًا * وَفِي النَّثَى خَصْبُ الْعَبْقَرَى السَّمِيدِ
(٣) لَقَدْ زَادَ (هُجُوجُ) فِيهِ خَصْبَ قَرِيحَةٍ * وَأَبَ إِلَى أَوْطَانِهِ جِدَّ مُنْجِعِ
(٤) وَأَدْرَكَ (سَامِي) بِالْجَزِيرَةِ غَايَةً * إِلَيْهَا مُلُوكُ الْقَوْلِ لَمْ تَتَطَّلِعْ
(٥) تَذَكَّرْتَ عَذَابَ النَّيْلِ وَالنَّفْسُ صَبَّةٌ * إِلَى نَهْلَةٍ مِنْ كُوبِ مَاءٍ مُشَعِّعِ
(٦) وَأَرْسَلْتَ تَسْتَسْقِي بَنِي مِصْرَ شَرِبَةً * فَقَطَّعْتَ أَحْشَاءِي وَأَضْرَمْتَ أَضْلَعِي
أَنْزَوَى وَلَا تَرَوَى وَأَنْتَ أَحَقُّنَا * يَرَى فَيَا قَلْبَ النَّبُوءِ تَقَطَّعِ
(٧) وَإِنْ شِئْتَ عَنَّا يَا سَمَاءُ فَأَقْلَعِي * وَيَا مَاءَهَا فَاكْفُفْ وَيَا أَرْضُ فَأَبْلَعِي
حَرَامٌ عَلَيْنَا أَنْ نَلْذَّ بِنَهْلَةٍ * وَأَنْتَ تُنَادِينَا وَنَحْنُ بِمَسْمَعِ
أَبَى اللَّهِ إِلَّا أَنْ يَرُدَّكَ سَالِمًا * وَمَنْ يَرَعَهُ يَسْلَمَ وَيَغْنَمَ وَيَرْجِعَ

(١) يضرع : يذل . (٢) يريد بقوله : « اخصبت في المنى » : أنت شعره
جاء وحسن في المنى ، وما كان مجدبا من قبل . والسديد : السيد الكريم . (٣) « فيه »
أى في المنى . والمنرع : المنصب . شبه شوقيا (بهوجو) كلاهما زاده المنى خصبا في قريحته
ونضوجا في شاعريته . (٤) ملوك القول : فحول الشعراء . ويشير إلى قى المرحوم محمود باشا
سامي البارودي إلى جزيرة سيلان عقب الثورة العراقية ، وما قاله في أثناء المنى من الشعر .
(٥) النهلة : السقية . والمشعشع : المزوج . يشير بهذا البيت وما بعده إلى الأبيات التي بحث بها
شوقي وهو في منتهى إلى حافظ ، وهي :

ياساكني مصر إنا لا نزال على * عهد الوفاء وإن غبتا مقيمينا

الأبيات . انظر صفحة ١٨٦ من هذا الجزء . وانظر رد حافظ عليها في ص ١٨٧ .

(٦) أضرمت : ألهبت . (٧) أقلت السماء : كفت عن المطر . ويشير إلى قوله تعالى

فِي سُورَةِ هُودَ : (وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكَ وَيَا سَمَاءُ أَقْلَعِي) .

- (١) وعدت فقرت عين مصر وأصبحت * رياض القوافي في ربيع موشع
(٢) وأدركت ما تبغى وشيدت آية * على الشاطئ الغربي في خير موقع
(٣) يحف بها روض يحيى بدورها * بكورا يرأ عرفه المتضوع
(٤) جى يتهادى النيل تحت ظلاله * تهادى خلود في رداء مجزع
(٥) لقد كنت ترجو منه بالأمس قطرة * فدونكه فابرد غيلك وانقسع
أمير القوافي قد أتيت مباعا * وهذى وفود الشرق قد بايعت معي
(٦) فن ربيع النيل وأعطف بنظرة * على ساكني النهرين وأصدح وأبدع
(٧) ولا تلس (نجدًا) إنها منبت الهوى * ومرعى المها من سارحات ورنج
وحى ذرا (لبنان) وأجعل (لئونيس) * نصيباً من السلوى وقسم ووزع
ففي الشعر حث الطامحين إلى العلا * وفي الشعر زهد الناسك المتورع
(٨) وفي الشعر ما يعني عن السيف وقعه * كما روع الأعداء بيت (لأشجع)

- (١) الربيع الموشع : الموشى بألوان الزهر والنبات . (٢) يشير إلى قصر شوق الذي بناه على الشاطئ الغربي للنيل بالجيزة . (٣) الريا والعرف : الرائحة الطيبة . وبكورا ، أى في بكرة الصباح . والمتضوع : المنشر الراححة . (٤) يتهادى : يمشى في لين وخفة . والخلود : الشابة الحسنة . والمجزع : المختلف الألوان . (٥) تقع ظمأ بالماء : أرواه . (٦) يريد بساكني النهرين : أهل العراق . والنهران : دجلة والفرات . وأصدح ، أى غن بالشعر . (٧) المها : بقر الوحش ، الواحدة مهاة ؛ يريد النساء اللاتي تشبهها في سعة العيون وجمالها . ويطلب إلى الشاعر أن يعني نجيذا بشعره ، كما يعني أهل مصر . (٨) يشير إلى بيت لأشجع بن عمرو السلمي الشاعر العباسي المعروف من قصيدة يمدح بها الرشيد :

وعلى صدرك يا بن صنم محمد * رصدان ضوه الصبح والإظلام

فاذا تنبه رمته وإذا غفا * سلت عليه سيولك الأحلام

والمقصود هنا البيت الثاني .

وفي الشَّعر إحياءُ النفوسِ وربِّها * وأنتَ لرىَّ النَّفسَ أعذبُ منبج^(١)
 فنبهَ عُقُولًا طالَ عَهْدُ رُقَادِها * وأفئدةً شُدَّتْ إليها بأنَّسج^(٢)
 فقد غمَّرتْها مَحَنَةٌ فوقَ مَحَنَةٍ * وأنتَ لها يا شاعِرَ الشَّرِّقِ فادْفَع^(٣)
 وأنتَ بِتَحْمِيدِ اللَّهِ ما زِلْتَ قَادِرًا * على النَّفْعِ فَاسْتَنْهَضْ بَيَّاتَكَ وَأَنْقِج^(٤)
 وَخُذْ بِزِمَامِ الْقَوْمِ وَأَنْزِعْ بِأَهْلِهِ * إلى المَجْدِ والعِلياءِ أَكْرَمَ مَتَرِج^(٥)
 وَفَقْنَا على النَّهْجِ الْقَوِيمِ فَإِنَّا * سَلَكْنَا طَرِيقًا لِلهُدَى غَيْرَ مَهْيَج^(٦)
 مَلَأْنَا طِبَاقَ الْأَرْضِ وَجَدًّا وَلَوْعَةً * بِهَيْدٍ وَدَعْدٍ وَالرَّابِ وَبِوَزَع^(٧)
 وَمَلَّتْ بَنَاتُ الشَّعْرِ مِنَّا مَوَاقِفًا * بِسِقْطِ اللَّوَى (وَالرَّقْمَتَيْنِ) (وَلَعَلَّجِ)
 وَأَقْوَامُنَا فِي الشَّرِّقِ قَدْ طَالَ نَوْمُهُمْ * وما كَانَتْ نَوْمُ الشَّعْرِ بِالْمُتَوَقِّعِ^(٨)
 تَغَيَّرَتِ الدُّنْيَا وَقَدْ كَانَ أَهْلُهَا * يَرَوْنَ مُتَوْنَ الْعَيْسِ أَلْبَنَ مَضْجَعِ^(٩)
 وَكَانَ بَرِيدُ الْعِلْمِ عِيْرًا وَأَيْنَقًا * مَتَى يُعِيهَا الْإِيحَافُ فِي الْيَدِ تَظْلَعِ
 فَأَصْبَحَ لَا يَرْضَى الْبُخَارَ مَطِيبَةً * وَلَا السَّلْكَ فِي تَيَّارِهِ الْمَتَدَفِّعِ

(١) الأنسج : جمع نسع (بكسر النون) وهو سير من جلد تشد به الرحال . يريد وصف الأفتدة
 بالنفيد والأسر في أغلال العادات القديمة . (٢) وانزع بأهله ، أى قد أهل الشرق وسرهم .
 (٣) ففنا على النهج القويم ، أى أرشدنا إلى الطريق المستقيم في أعراض الشعر . والمهيج : الطريق
 الواضح البين . (٤) بنات الشعر ، أى معانيه وأغراضه . و « سقطة اللوى » الخ :
 أسماء مواضع في بلاد العرب وردت في شعر القدماء . (٥) متون العيس : ظهور الإبل .
 (٦) العير : القافلة . والإيجاف : الإسراع . واليد : جمع يدا . وتظلع : تعرج في مشيتها .
 يقول : كانت وسائل العلم فيما مضى السفر على ظهور الإبل التي لا تسعف راكبيها .

وقد كان كل الأمر تصويب نبلة * فأصبح بعض الأمر تصويب مدفع^(١)
 ونحن كما غنى الأوائل لم نزل * نغنى بأرماح وبيض وأدرع^(٢)
 عرفنا مدى الشيء القديم فهل مدى * لشيء جديد حاضِر النفع ممتع^(٣)
 لدى كل شعب في الحوادث عدة * وعدتنا ندب التراث المضيع^(٤)
 فإضاعة الأقاليم إن لم تُقْم بها * دعامة ركن المشرق المترزع^(٥)
 أتمشى به شم الأنوف عدائه * ورب الحمى يمشى بأنف مجدع^(٦)
 عزيز عليه يا بني الشرق أن ترى * كواكب في أفقه غير طلع^(٦)
 وأعلامه من فوقه غير خفي * وأعلامه من تحتها غير شرع
 وكيف يوقى الشر أو يبلغ المني * على ما نرى من شمله المتصدع
 فإن كنت قولا كريما مقاله * فقل في سبيل النيل والشرق أودع

(١) يريد بالبيض : السيوف .

(٢) المدى : الغاية .

(٣) ندب التراث المضيع ، أى البكاء على ما خلفه العرب الأقدمون من مآثر ومفانر .

(٤) الدعامة : عماد البيت . والمترزع : المضطرب .

(٥) شم الأنوف : وصف يقال للسادة الأعزاء . والمجدع : المقطوع ، ويقال ذلك للدليل .

يقول : إن أعداء الشرق والطامعين فيه قد عزوا به وسادوا ، وأهله ذلوا به وأستكانوا . ويشير بذلك إلى ما جتته الامتيازات على الشرق .

(٦) الشرع : المسددة المصوبة إلى الغرض .

الى المحتفلين بتكريم حافظ

بيان قائلها في المأدبة التي أنامها بعض أدباء الغرب في (بروبي) لتكريمه هو (وشوق) (ومطران)

[نشرت في ٣١ يناير سنة ١٩٢٨ م]

(١)
قَدْ قَرَأْنَاكُمْ فَهَشَّتْ نُهَانَا * فَأَقْبَسْنَا نُورًا يُضِيءُ السَّبِيلَا
فَأَقْرَأُونَا وَمَنْ لَنَا أَنْ تُصَيِّبُوا * يَنْ أَفْكَارِنَا شُعَاعًا ضَيِّلَا

تحية لجمعية المرأة الجديدة

[نشرت في ١٢ أبريل سنة ١٩٢٨ م]

إِلَيْكُنَّ يَهْدِي النَّيْلُ أَلْفَ تَحِيَّةٍ * مُعْطَرَةٍ فِي أَسْطُرٍ عَطِرَاتِ
(٢)
وَيُنْثِي عَلَى أَعْمَالِكُنَّ مُوَكَّلِي * بِإِطْرَاءِ أَهْلِ الْبِرِّ وَالْحَسَنَاتِ
أَقْمَتُنَّ بِالْأَمْسِ الْأَسَاسَ مُبَارَكَا * وَجِئْتُنَّ يَوْمَ الْفَتْحِ مُقْتَبِطَاتِ
صَنَعْتُنَّ مَا يُعْيِي الرِّجَالَ صَنِيعُهُ * فَرِذْتُنَّ فِي الْخَيْرَاتِ وَالْبَرَكَاتِ
يَقُولُونَ: نِصْفُ النَّاسِ فِي الشَّرْقِ عَاطِلٌ * نِسَاءُ قَضَيْنِ الْعُمَرِ فِي الْجُحْرَاتِ
وَهَذِي بَنَاتُ النَّيْلِ يَعْمَلْنَ لِلنَّهْيِ * وَيَفْرِسْنَ غَرَسًا دَائِي الثَّمَرَاتِ

(١) قرأناكم، أي قرأنا ما أنشأتموه من نظم ونثر.

(٢) موكل، أي أن النيل قد أنابه عنه في إبلاغهن ثناءه عليهن وشكره لهن.

- (١) وفي السَّنةِ السُّوداءِ كُنْتُ قُدُوءَ * لنا حينَ سألَ الموتُ بالمُهْجَاتِ
(٢) وَقَفْتُ في وَجهِ الخَمِيسِ مَدَجًّا * وَكُنْتُ بِالْإِيْمَانِ مُعْتَصِمَاتِ
(٣) وما هَالَكُنَّ الرِّيحُ والسَّيْفُ مُصَلَّتَا * ولا المِذْفَعُ الرَّشَاشُ في الطُّرُقَاتِ
تَعَلَّمَ مَنْكَنَ الرِّجَالِ فَأَصْبَحُوا * على غَمَرَاتِ الموتِ أَهْلَ ثَبَاتِ
(٤) (صَفِيَّةُ) قَادَتُكُنَّ لِلْجِدِّ والعَلَا * كما كانَ (سَعْدُ) قَائِدَ السَّرَوَاتِ
عَرَفْنَا لها في جَدِّ (سَعْدٍ) نَصِيْبَهَا * مِنْ الحَزْمِ والإِقْدَامِ في الأَزْمَاتِ
تَهَوَّنُ للشَّيْخِ الجَلِيلِ هُجُومَهُ * على الهَوْلِ بالتَّشْجِيعِ والبَسَامَاتِ
(٥) وَتَدْفَعُهُ لَلْمَوْتِ والتَّغَرُّ بِاسْمٍ * وفي صَدْرِهَا نَوءٌ مِنَ الزَّفَرَاتِ
(٦) كَذَا فَلْيَكُنْ صُنْعُ الكَرِيمِ وَصَبْرُهُ * على دَهْرِهِ والدَّهْرِ غَيْرُ مُوَاقِي
لِتَحْيَ الغَوَايِ في ظِلَالِ مَلِيكَةٍ * سَمَتْ في مَعَالِيهَا على المَلِكَاتِ
وظَلَّ (فُؤَادُ) مَفْخَرِ الشَّرْقِ كُلِّهِ * كَثِيرَ الأَيَادِي صَادِقَ العَزَمَاتِ

(١) يريد بالسنة السوداء : سنة ١٩١٩ م التي احتدمت فيها نار الثورة الوطنية ، وقد أخذ السيدات
المصريات من الجهاد فيها بنصيب وافر . (٢) الخميس : الجيش . والمدجج : لابس السلاح .
ويشير بهذا البيت وما بعده الى مظاهرة السيدات التي تعرض لها الجنود أيام اشتعال الثورة الوطنية ، وثبت
السيدات لهم ولم ينفرقن ؛ وقال حافظ في هذه الحادثة قصيدته المعروفة التي أولها :

خرج الغواي يَحْتَجُّونَ * وَرَحَتِ أَرْقَبَ جَمْعُهُنَّ

(٣) المصلى : المجرد من غمده . (٤) سروات الناس : أشرفهم .

(٥) نوء من الزفرات ، أى ثقل منها نوء باحتماله . (٦) المواقي : الموافق .

إلى محمد حسين هيكل بك و خليل مطران بك

فالها في مناظرة كانت بين هيكل ومطران في مدرّج كلية الآداب ، موضوعها :

”هل الأدب العربي قديمه وحديثه يكفى وحده لتكوين الأديب ؟“

[نشرت في ١٨ أبريل سنة ١٩٢٨ م]

(١)

سَمَا الخَطِيبَانِ فِي الْمَعَالِي * وَجَازَ شَأَوَاهُمَا السَّمَاءَا

(٢)

جَالَا فَلَمْ يَتْرُكََا مَجَالَا * وَاعْتَرَاكَ بِالنَّهْيِ عِرَاكََا

فَلَسْتُ أُدْرِى عَلَى اخْتِبَارِي * مَنْ مِنْهُمَا جَلٌّ أَنْ يُجَاكِي

فَوَحَى عَقْلِي يَقُولُ : هَذَا * وَوَحَى قَلْبِي يَقُولُ : ذَاكََا

(٣)

وَدِدْتُ لَوْ كُلُّ ذِي غُرُورٍ * أَمْسَى لِنَعْلَيْهِمَا شِرَاكََا

تحية الشام

أُنشدتها في الحفل الذي أقيم لسامع هذه القصيدة بالجامعة الأميركية ببيروت

[نشرت في ٢ يونيو سنة ١٩٢٩ م]

(٤)

حَيَّا بِكُورِ الْحَيَا أَرْبَاعَ لُبْنَانٍ * وَطَالَعَ الْيَمْنُ مَنْ بِالشَّامِ حَيَانِي

(٥)

أَهْلَ الشَّامِ لَقَدْ طَوَّقْتُمْ عُنُقِي * بِمَنْيَةٍ نَحَرَجْتُ عَنْ طَوِّقِ تَيْبَانِي

(١) الشَّامُ : الغاية . والسَّامِكُ : أحد كوكبين يبرزين يقال لأحدهما : السَّامِكُ الرَّاحِ ، وللآخر :

السَّامِكُ الْأَعَزَلُ . (٢) النَّهْيُ : العقول ، الواحدة نَهْيَةٌ . (٣) شِرَاكُ النَّعْلِ : سيره

الذي يكون على ظهر القدم ، وهو مثل في القلة . (٤) بَكُورُ الْحَيَا : المطر المبكر . والأَرْبَاعُ : المنازل

الواحد ربيع . وطَالَعَهُ : طلع عليه . وَالْيَمْنُ : البركة والخير . (٥) الطَوِّقُ : الطاقة والجهد .

(١) قُلْ لِلْكَرِيمِ الَّذِي أَسَدَى إِلَى يَدَا * أَنَّى تَزَحَّتْ فَأَنْتَ النَّازِحُ الدَّانِي
(٢) مَا إِنْ تَقَاضَيْتُ نَفْسِي ذِكْرَ مَارِقَةٍ * هَلْ يَحْدُثُ الذِّكْرُ إِلَّا بَعْدَ نِسْيَانٍ
(٣) وَلَا عَتَبْتُ عَلَى خَلٍّ يَضُرُّ بِهَا * مَا دَامَ يَزْهَدُ فِي شُكْرِي وَعِرفَانِي
أَقْرَعَنِي أَنَّى قُتْتُ أَنْشِدُكُمْ * فِي مَعْهَدٍ بِحُلَى الْعِرْفَانِ مُزْدَانِ
وَشَاعَ فِي سُرُورٍ لَا يُعَادِلُهُ * رَدُّ الشَّبابِ إِلَى شَعْرِي وَجُثَامِي
لِي مَوْطِنٌ فِي رُبُوعِ النَّيْلِ أَعْظَمُهُ * وَلِي هُنَا فِي حِمَاكُمْ مَوْطِنٌ ثَانِي
إِنِّي رَأَيْتُ عَلَى أَهْرَامِهَا حُلَلًا * مِنْ الْجَلَالِ آرَاهَا فَوْقَ (لُبْنَانِ)
(٤) لَمْ يَمُحْ مِنْهَا وَلَا مِنْ حُسْنِ جَدَّتِهَا * عَلَى التَّعَاقِبِ مَا يَمْحُو الْجَدِيدَانِ
حَسِبْتُ نَفْسِي تَزِيلًا بَيْنَكُمْ فَإِذَا * أَهْلِي وَهَمِّي وَأَحْبَابِي وَجِيرَانِي
(٥) مِنْ كُلِّ أَبْلَجٍ سَامِيَ الطَّرَفِ مُضْطَلِعٍ * بِالْخَطْبِ مُبْتَهِجٍ بِالضَّيْفِ جَذْلَانِ
(٦) يَمْشِي إِلَى التَّجْدِ مُخْتَلًا وَمُبْتَسِمًا * كَأَنَّهُ حِينَ يَسْدُو عُدُودُ مُرَّانِ

- (١) أسدى : بذل وأعطى . واليد : المعروف والجبل . وزح : بعد ، أى أنت إذا بعدت عنا
بجسك ، قريب بتذكرنا لأياديك علينا .
- (٢) تقاضى : طلب . والمارقة : المعروف . يريد أنه ما طلب إلى نفسه يوما أن تتذكر جميل أسدى
إليها ، فهي دائما تذكره ولا تنساه ، ولا يتذكر الإنسان شيئا إلا بعد نسيانه .
- (٣) عتب بها ، أى بالمارقة . وعرفاني ، أى معرفتي .
- (٤) الجدة : ضد القدم . والجديدان : الليل والنهار ، ولا يفردان ، فلا يقال للواحد منهما : الجديد .
- (٥) الأبلج : الطلق الوجه . وسامى الطرف : مرتفعه ، أى طموح إلى العالى . واضطلع بالأمر :
تهنى به . والجذلان : الفرج .
- (٦) المران : الرماح اللينة ، الواحدة مرانة . شبه بالريح في استقامة القامة .

- (١) سَكَنَتْ جَنَّةً فَيَحَاءَ لَيْسَ بِهَا * عَيْبٌ سِوَى أَنِّهَا فِي الْعَالَمِ الْفَانِي
(٢) إِذَا تَأَمَّلْتَ فِي صُنْعِ الْإِلَهِ بِهَا * لَمْ تَلَقَ فِي وَشْيِهِ صُنْعًا لِلْإِنْسَانِ
(٣) فِي سَهْلِهَا وَأَعَالِيهَا وَسَلْسِلِهَا * بَرُّ الْعَلِيلِ وَسَلْوَى الْعَاشِقِ الْعَانِي
(٤) وَفِي تَضْوَعِ أَنْفَاسِ الرِّيَاضِ بِهَا * رَوْحٌ لِكُلِّ حَزِينٍ الْقَلْبِ أَسْوَانِ
(٥) أَلَى تَخَيَّرْتَ مِنْ (لُبْنَانٍ) مَثَرَةً * فِي كُلِّ مَثَرَةٍ رَوْضٌ وَعَيْنَانِ
(٦) يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مِنْ دُنْيَايَ فِي دَعَةٍ * قَلْبِي بِجَمْعٍ وَأَمْرِي طَوْعٌ وَجَدَانِي
(٧) أَقْضَى الْمَصِيفِ بُلْبَانٍ عَلَى شَرَفٍ * وَلَا أَحُولُ عَنِ الْمَشْتَى (بُحْلَوَانِ)
(٨) يَا وَقْفَةً فِي جِبَالِ الْأَرْزِ أَشَدُّهَا * بَيْنَ الصَّنَوْبَرِ وَالشَّرْبِينِ وَالْبَانِ
(٩) تَسْتَهْبِطُ الْوَحْيَ نَفْسِي مِنْ سَمَاوَتِهَا * وَيَتَنَبَّئُ مَلَكًا فِي الشَّعْرِ شَيْطَانِي
(١٠) عَلَى أَجَاوِدُكُمْ فِي الْقَوْلِ مُقْتَدِيًا * بِشَاعِرِ الْأَرْزِ فِي صُنْعٍ وَإِتْقَانِ

- (١) الفيحاء : الواسعة . (٢) الوشى : نعمة الثوب ونقشه ونحسبه ، شبه به اختلاف الألوان في الزهر والنبات . (٣) السلسل : الماء العذب السلس السهل . والعاني : المعذب . (٤) التضويع : انتشار الراحة . والروح : الراحة والرحمة . والأسوان : الحزين . (٥) « في كل » جواب « ألى » الشرطية . (٦) الدعة : السكون والراحة . وجميع ، أى غير منفرد ولا مشتمل الشؤون . (٧) الشرف : المرتفع من الأرض . (٨) جبال الأرز : مرتفعات لبنان . والأرز : شجر معروف بها ، وكذلك الصنوبر . والشربين : شجر كالسرو إلا أنه أشد حمرة وأزكى راحة وأعرض ورقا وأصفر ثمرا . والبان : شجر سبط القوام لين ورقه كورق الصفصاف ، الواحدة بانه ، وبه تشبه القدود . (٩) من سماوتها ، أى من أعلى هذه الجبال . (١٠) جاوده في القول ، أى باراه في جودته . ويريد « بشاعر الأرز » : خليل مطران بك .

(١) لا يَدَعُ إِنِّ أَنْخَصَبَتْ فِيهَا قَرَائِحُكُمْ * فَأَعْجَزَتْ وَأَمَادَتْ عَهْدَ (حَسَانِ)
 طِيبُ الْهَوَاءِ وَطِيبُ الرُّوضِ قَدْ صَقَلَا * لَوْحَ الْخَيَالِ فَأَغْرَاكُمْ وَأَغْرَانِي
 (٢) مَنْ رَأَى أَنَّ يَشْهَدَ الْفِرْدَوْسَ مَائِلَةً * فَلْيَغْشَ أَحْيَاءَكُمْ فِي شَهْرِ نَيْسَانِ
 (٣) تَاهَتْ بَقِيرُ (صَلَاحِ الدِّينِ) تُرْبَتُهَا * وَتَاهَ أَحْيَاؤُهَا تَيْهَا (بَطْرَانِ)
 يَبْنِي وَيَهْدِمُ فِي الشَّعْرِ الْقَدِيمِ وَفِي الشَّعْرِ الْحَدِيثِ فَنِعْمَ الْهَادِمُ الْبَانِي
 (٤) إِذَا لَمَحْتُمْ بِشِعْرِي وَمَضَ بَارِقَةٌ * فَبَعْضُ إِحْسَانِهِ فِي الْقَوْلِ إِحْسَانِي
 رَعِيَا لِشَاعِرِكُمْ، رَعِيَا لِكَاتِبِكُمْ * بَرَاهِمَا اللَّهُ عَنِّي مَا يَقُولَانِ
 (٥) أَرَى رِجَالًا مِنَ الدُّنْيَا الْجَدِيدَةِ فِي الدُّنْيَا الْقَدِيمَةِ تَبْنِي خَيْرَ بُيُوتَانِ
 قَدْ شَبَدُوا آيَةً بِالشَّامِ خَالِدَةً * شَتَّى الْمَنَاهِلِ تَرَوِي كُلَّ ظَمْآنِ
 (٦) لَيْتَ هَدَوْتُمْ لَقَدْ كَانَتْ أَوَائِلُكُمْ * تَهْدِي أَوَائِلَهُمْ أَزْمَانُ أَزْمَانِ
 (٧) لَاغْرُوا إِنْ عَمَّرُوا فِي الْأَرْضِ وَأَبْتَكُرُوا * فِيهَا أَفَانِينَ إِصْلَاحِ وَعُمُرَانِ

(١) يريد بحسان : حسان بن ثابت الأنصاري الشاعر المعروف .

(٢) نيسان (بالفتح) : شهر من شهور السنة المسيحية ، وهو يقابل أبريل .

(٣) يريد بصلاح الدين : الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب مؤسس الدولة الأيوبية

بمصر ، ورجل الحروب الصليبية المعروف ، وكانت وفاته بدمشق سنة ٨٩٥ هـ . ويريد بطران :

خليل مطران بك الشاعر المعاصر المشهور . (٤) الومض : اللعان .

(٥) يريد « بالدنيا الجديدة » : أمريكا . و « بالبنات » : الجامعة الأمريكية ببيروت التي

أنشد فيها الشاعر قصيدته هذه . (٦) يشير إلى فضل الشرق قديما على العالم . ويريد بقوله :

« أزمان أزمان » : الإيمان في القدم . (٧) لا غرو : لا عجب . والأفانين : الضروب

الواحد أفنون (بالضم) .

- (١) فَيْلَكَ دُنْيَاهُمْ فِي الْحَوْقِ قَدْ تَزَعَّتْ * أَعْنَةَ الرِّيحِ مِنْ دُنْيَا سُلَيْمَانَ
(٢) أَبَتْ أُمَيَّةُ أَنْ تَفْنَى مَحَامِدُهَا * عَلَى الْمَدَى وَأَبَى أَبْنَاءُ غَسَّانِ
(٣) فَمِنْ غَطَارِقَةٍ فِي (جَلْقٍ) نُجْبٍ * وَمِنْ غَطَارِقَةٍ فِي أَرْضِ (حَوْرَانِ)
(٤) عَافُوا الْمَذَلَّةَ فِي الدُّنْيَا فَعِنْدَهُمْ * عِزُّ الْحَيَاةِ وَعِزُّ الْمَوْتِ سَيَّانِ
لَا يَصْبِرُونَ عَلَى ضَمٍّ يُحَاوِلُهُ * بَاغٍ مِنَ الْإِنْسِ أَوْ طَاغٍ مِنَ الْجَانِ
شَقَقْتُ أَسْوَاقَ (يَرُوتٍ) فَمَا أَخَذَتْ * عَيْنَايَ فِي سَاحِبِهَا حَانُوتَ يُونَانِي
فَقُلْتُ فِي غِبْطَةٍ : لِلَّهِ دَرَاهِمُ * لَيْسَ الْفَلَاحُ لِوَانٍ غَيْرِ يَقْظَانِ
(٥) تَيَمَّمُوا أَرْضَ كَوْلُبٍ فَمَا شَعَرَتْ * مِنْهُمْ بَوْطَةُ غَرِيبِ الدَّارِ حَيْرَانِ
(٦) سَادُوا وَشَادُوا وَأَبْلَوْا فِي مَنَاكِهَا * بَلَاءَ مُضْطَلَعٍ بِالْأَمْرِ مِعْوَانِ
(٧) إِنْ ضَاقَ مَيْدَانُ سَبْقٍ مِنْ عِزَائِهِمْ * صَاحَتْ بِهِمْ فَأَرَوْهَا أَلْفَ مَيْدَانِ

- (١) الأعنة : جمع عنان ، وهو سير الجلام الذي تمسك به الدابة . وسليمان ، هو سليمان بن داود
عليهما السلام . ويشير بهذا الى تفوق الأمريكيين في الطيران . (٢) الغسانيون : أمراء
مخوم الشام قديما من العرب ، وكانت لهم فيها حضارة ، ثم كان الشام ملك بني أمية ، وكانت دمشق
دار خلافتهم نحو تسعين عاما ، وإلى هاتين الدولتين يشير الشاعر .
(٣) الغطارقة : الأشراف والسادة ، الواحد غطريف (بالكسر) . وجلق (بكسرتين وتشديد اللام)
اسم لكورة القوطة كلها ؛ أو هي دمشق نفسها . وحوران (بالفتح) : كورة واسعة من أعمال دمشق ذات
قرى كثيرة ومزارع . (٤) عافوا : أبوا وكرهوا . (٥) تيمموا : قصدوا . وأرض
كولب : أمريكا ، نسبة الى كاشفها كريستوف كولب . يشير الى هجرة الشاميين إليها واستيطانهم لها
حتى أصبحوا كأنهم من أهلها . (٦) ابلوا في مناكها : جدوا واجتهدوا في نواحيها : ومضطلع
بالأمر : فاهض به قوى عليه والمعوان (بالكسر) : الحسن المعونة الكثيرها .
(٧) الضمير في « صاحت » يعود على عزائهم .

لَا يَسْتَشِيرُونَ إِنْ هُمْوَ سِوَى هِمِّم * تَأْتِي الْمَقَامَ عَلَى ذُلٍّ وَإِذْعَانِ^(١)
 وَلَا يُسَالُونَ إِنْ كَانَتْ قُبُورُهُمْ * ذُرَا الشَّوَاخِ أَوْ أَجْوَافَ حِثْيَانِ^(٢)
 فِي الْكَوْنِ مَوْرِقُهُمْ فِي الشَّامِ مَغْرِسُهُمْ * وَالْفَرْسُ يَزْكُو تَقَالَا بَيْنَ بُلْدَانِ^(٣)
 إِنْ لَمْ يَقُوزُوا بِسُلْطَانٍ يُقْرِهُهُمْ * فِي الْمُهَاجِرِ قَدْ عَزُّوا بِسُلْطَانِ^(٤)
 أَوْ ضَاقَتِ الشَّامُ عَنْ بُرْهَانٍ قُدْرَتِهِمْ * فِي الْمُهَاجِرِ قَدْ جَاءُوا بِبُرْهَانِ^(٥)
 إِنَّا رَأَيْنَا كِرَامًا مِنْ رِجَالِهِمْ * كَانُوا عَلَيْهِمْ لَدَيْنَا خَيْرَ عُتْوَانِ^(٦)
 أَنَّى التَّقِينَا التَّقَى فِي كُلِّ مُجْتَمَعٍ * أَهْلُ بَاهِلٍ وَإِخْوَانُ بِلَاخْوَانِ^(٧)
 كَمْ فِي نَوَاحِي رُبُوعِ النَّيْلِ مِنْ طُرْفٍ * (لِلْيَازِجِيِّ) وَ (صَرْوِيٍّ) وَ (زَيْدَانِ)^(٨)
 وَكَمْ لِأَحْيَائِهِمْ فِي الصُّخْفِ مِنْ أَثَرٍ * لَهُ (الْمُقَطَّمُ) وَ (الْأَهْرَامُ) رُكْنَانِ^(٩)
 مَتَى أَرَى الشُّرْقَ أَدْنَاهُ وَأَبْعَدَهُ * عَنْ مَطْمَعِ الْغَرْبِ فِيهِ غَيْرَ وَسْنَانِ^(١٠)
 تَجْرِي الْمَوَدَّةُ فِي أَعْرَاقِهِ طُلُقًا * بِكُحْرِيَةِ الْمَاءِ فِي أَثْنَاءِ أَفْنَانِ^(١١)

- (١) ذرا الشواخ : أعالي الجبال . (٢) مودقهم ، أى حيث آثارهم النضرة وأعمالهم الناجحة ؛ وهو من ورق الشجر يرق (وزان وعد يعد) ، أى ظهور ورقه . يقول : إن آثارهم الباهرة وأعمالهم الموقفة في مختلف نواحي العالم ، وموطنهم الذي نشأوا فيه بلاد الشام . ويزكو : ينمو . شبههم بالفرس الذي يستفيد من تغير بيئته وتربته قوة ونماء . (٣) المهاجر (بالضم وفتح الجيم) : اسم المكان من هاجر . (٤) المقطم والأهرام : صحيفتان مصريتان معروفتان أصحابهما من إخواننا اللبنانيين . (٥) الوسنان : النائم . (٦) طلقا : منطلقا . والأفنان : الأغصان ، الواحد فن بالتحريك . والذي في نسخة الديوان أفناء أفنان ؛ ولم نجد لقوله « أفناء » معنى يناسب سياق البيت . وقد أثبتناها بالناء مكان الفاء نقلا عن الشاعر نفسه .

لا فَرَّقَ مَا بَيْنَ بُؤْدَى يَعْيشُ بِهِ * وَمُسْلِمٍ وَيَهُودِيٍّ وَتَنْصُرَانِي^(١)
 مَا بَالُ دُنْيَاهُ لَمَّا فَاءَ وَارِفُهَا * عَلَيْهِ قَدْ أَدْبَرَتْ مِنْ غَيْرِ إِيذَانِ^(٢)
 عَهْدُ (الرَّشِيدِ) (بِغَدَادٍ) عَفَا وَمَضَى * وَفِي (دِمَشْقٍ) انْطَوَى عَهْدُ (ابْنِ مَرْوَانَ)^(٣)
 وَلَا تَسَلْ بَعْدَهُ عَنْ عَهْدِ (قُرْطَبَةَ) * كَيْفَ انْمَحَى بَيْنَ أَسْيَافٍ وَنِيرَانِ
 فَعَلِمُوا كُلُّ حَيٍّ عِنْدَ مَوْلَاهُ : * عَلَيْكَ لِلَّهِ وَالْأَوْطَانِ دِينَانِ^(٤)
 حَتْمٌ قَضَاؤُهُمَا، حَتْمٌ جَزَاؤُهُمَا * فَأَرَبًا بِنَفْسِكَ أَنْ تُنْمَى بِجُحْرَانِ^(٥)
 (النَّيْلُ) وَهُوَ إِلَى (الْأُرْدُنِّ) فِي شَغَفٍ * يُهْدِي إِلَى (بَرْدَى) أَشْوَاقَ وَلَهَانِ^(٦)
 وَفِي (الْعِرَاقِ) بِهِ وَجْدٌ (بِدِجْلَتِهِ) * وَ(بِالْفُرَاتِ) وَتَحْنَانُ (السَّيْحَانِ)^(٧)
 إِنْ دَامَ مَا تَحْنُ فِيهِ مِنْ مُدَابَرَةٍ * وَفِتْنَةٍ بَيْنَ أَجْنَاسٍ وَأَذْيَانِ^(٨)
 رَأَيْتُ رَأَى (الْمَعْرَى) حِينَ أَرَهَقَهُ * مَا حَلَّ بِالنَّاسِ مِنْ بَغْيٍ وَعُدْوَانِ

(١) فاء وارِفها : أقبل خيرها ونعيمها . والوارف : الظل المنتشر المتسع . والإيذان : الإعلام .

(٢) يشير إلى عهد بغداد الحافل أيام الرشيد من (سنة ١٧٠ هـ) (سنة ٧٨٦ م) إلى (سنة ١٩٣ هـ)

(سنة ٨٠٩ م) وإلى عهد دمشق الزاهر أيام بني أمية ؛ وقد بقيت فيها الخلافة ٩٠ عاماً من (سنة ٤١ هـ)

(سنة ٦٦١ م) إلى سنة (١٣٢ هـ) (سنة ٧٥٠ م) . (٣) قرطبة : بلد معروف بالأندلس .

ويريد بهدفا : دولة العرب بها . (٤) يقال : إن أرباً بك عن هذا الأمر ، أى أرفضك

عنه ولا أرضاه لك . وتَمْنَى : تهاب . (٥) الأردن : نهر معروف بالشام ، يصب في البحر الميت .

ويردَى (بالتحريك) : نهر بدمشق . (٦) دجلة والفرات : نهران معروفان في العراق يصبان

في الخليج الفارسي . ويريد «بسيحان» : نهر سيحون في آسيا الوسطى الروسية الذي يصب في بحر آرال .

(٧) المدابرة : المقاطعة . (٨) أَرَهَقَهُ : آذاه . والمعْرَى ، هو أبو العلاء المعري .

- (١) لَا تَطْهَرُ الْأَرْضُ مِنْ رَجَسٍ وَمِنْ دَرَنٍ * حَتَّى يُعَاوِدَهَا (نُوحٌ) بِطُوفَانٍ
 (٢) وَلَى الشَّابَابُ وَجَازَتْنِي قُسُوتُهُ * وَهَدَمَ السُّقْمُ بَعْدَ السُّقْمِ أَرْكَانِي
 (٣) وَقَدْ وَقَفْتُ عَلَى السَّيِّئِ أَسْأَلُهَا * أَسْوَفْتُ أَمْ أَقَدْتُ حُرَّ اكْفَانِي
 (٤) شَاهَدْتُ مَضْرَعَ أَتْرَابِي فَبَشَّرَنِي * بِضُجْعَةٍ عِنْدَهَا رَوْحِي وَرَيْحَانِي
 كَمْ مِنْ قَرِيبٍ نَأَى عَنِّي فَأَوْجَعَنِي * وَكَمْ عَزِيزٍ مَضَى قَبْلِي فَأَبْكَانِي
 (٥) مَنْ كَانَ يَسْأَلُ عَنْ قَوْمِي فَلَا تَهْمُ * وَلَوْ سِرَاطًا وَخَلَّوْا ذَلِكَ الْوَانِي
 إِنِّي مَلَيْتُ وَقُوفِي كُلَّ آوِنَةٍ * أَبْكِي وَأَنْظِمُ أَحْزَانًا بِأَحْزَانٍ
 إِذَا تَصَفَّحْتَ دِيوَانِي لِتَقْرَأَنِي * وَجَدْتَ شِعْرَ الْمَرَاثِي نِصْفَ دِيوَانِي
 (٦) آتَيْتُ مُسْتَشْفِيًا وَالشُّوقُ يَدْفَعُ بِي * إِلَى رَبَائِكُمْ وَعُودِي غَيْرُ فَيَّانٍ
 (٧) فَأَنْزِلُونِي مَكَانًا أَسْتَجِمُّ بِهِ * وَيَنْجَلِي عَنْ قُوَادِي بَرِّحٍ أَحْزَانِي
 (٨) وَجَنِّبُونِي عَلَى شُكْرِ مَوَائِدِكُمْ * بِمَا حَوَتْ مِنْ أَفَاوِيهِ وَالْوَانِ
 حَسْبِي وَحَسْبُ النَّهْيِ مَا نِلْتُ مِنْ كَرَمٍ * قَدْ كِدْتُ أُنْسِي بِهِ أَهْلِي وَخُلَّانِي

(١) الرجس : النجس . والدرن : الدنس . ونوح ، هو نوح النبي عليه السلام ، وقصة الطوفان في عهده معروفة ، ورد ذكرها في القرآن . ويشير بهذا البيت الى قول أبي العلاء :

والأرض للطوفان مشتاقة * لعلها من درن تغسل

(٢) جازتني : خلفتني وتركتني . (٣) حر كل شيء : خالعه . (٤) الروح : الراحة .

(٥) الواني : أي المتأخر عنهم . (٦) غير فينان ، يريد أن عوده ذابل ذار . والفينان من

النبات : ما طال منه وحسن . (٧) استجم : استريح . والبرح : الأذى والسقم .

(٨) يريد «بالأفاريه» : التوابل .

تهنئة محمد محمود باشا

بلقب دكتور الشرف في الحقوق الذي منحه إياه جامعة أكسفورد، وكان رئيسا للوزارة إذ ذاك

[نشرت في ٢٦ مايو سنة ١٩٢٩م]

شَرَفُ الرَّاسَةِ يَاحُمْدُ زَانَهُ شَرَفُ النَّهْيِ
 بُرْدَانٍ مِنْ تَسْجِجِ الْجَلَا * لِإِلِيْهِمَا الْفَخْرُ أَتَيْتَ
 جَعَلَا مَقَرَّكَ يَاحُمْدُ دُفُوقَ أَكْنَافِ السَّهْيِ^(١)
 زَانَتُكَ. أَلْقَابُ الرَّجَا * لِإِلِ الْعَامِلِينَ وَزَيْتَهَا
 أَمْنِيَّةٌ قَدْ نَالَهَا * أَمَلُ الْخُلُودِ وَنَلَّتَهَا
 فَاسْلُكْ سَبِيلَكَ فِي إِلْهَامِهَا * دِ مَوْفَقًا وَمُسْتَرَاهَا
 وَاحْفَظْ لِصِرْحُوقِ مِصْرَ * رَفَائَتَ فِي الْجُلَى لَهَا^(٢)

إلى الدكتور علي ابراهيم بك (باشا)

قالها وقد عمل الدكتور عملية لصاحب الدولة محمد محمود باشا

[نشرت في ٢٥ يولييه سنة ١٩٣٠م]

أَيَا يَدَا قَدْ خَصَّهَا رَبُّهَا * بَأَيَّةِ الْإِعْجَازِ فِي الْخَلْقِ
 وَمِشْرَطًا جَمَعَ مِنْ رَحْمَةٍ * وَصَبَّغَ مِنْ يَمْنٍ وَمِنْ رِفْقِ
 نَجِيَّتًا مِنْ مَرِيضٍ قَاتِلِ * مَطْلَعِ آمَالِ بَنِي الشَّرْقِ

(١) السهى : كوكب خفى من بنات نعلش الصغرى . (٢) الجلى : ما جل من الشدائد .

لَوْلَا كُنَّا لَأَنْدَكَ صَرْحُ الْعَلَا * وَأَنْحَدَرَ الْبَسْدُ عَنِ الْأَفْقِ

وَبَاتَتْ الْأَخْلَاقُ فِي حَسْرَةٍ * عَلَى نَبِيلِ النَّفْسِ وَالْخُلُقِ

صَانَكُمَا اللَّهُ لِبُرِّهِ الْوَرَى * وَصَانَهُ لِلْعُرْفِ وَالْحَقِّ^(١)

وقال فيه أيضا :

(ارتجلهما في حفل أقيم لتكريمه سنة ١٩٣٠ م)

(٢)

قُلْ لِلطَّبِيبِ الَّذِي تَعْنُو الْجُرَاحُ لَهُ * مَاذَا أَعْتَدَدْتَ لِجُرحِ الْعَاشِقِ الْعَانِي

(٣)

قَدْ كَانَ مَبْضَعُهُ وَالْجُرْحُ يَرْمُقُهُ * يُمْنَى الْحَيِّبِ تُوَامِي صَدْرَ وَهَّانٍ

الى المستشار محمود غالب بك^(٤)

والأستاذ أحمد لطفى السيد بك مدير الجامعة المصرية

[نشرت في ٢١ مارس سنة ١٩٣٢ م]

قَدْ رَاعَ دَارَ الْعَدْلِ طُغْءَ * يَأْنُ وَرَاعَ الْجَامِعَةَ

فَحَمِيَّتُهَا حَرَمِيَّتُهَا * وَغَمَ الْخُطُوبِ الْفَاجِعَةَ

- (١) العرف : الخير والجلود . (٢) تعنو : تخضع وتذل . واعتددت : أى أعددت .
والعانى : الأسير . (٣) المبضع : المشرط . (٤) يشير الشاعر بهذه القصيدة الى حادثتين :
إحداهما ، أن محمود بك غالب (محمود باشا الآن) المستشار بحكمة الاستئناف كان رئيسا لإحدى دوائر
محكمة الجنائيات ، وقد عرضت على الدائرة التى يرأسها قضية القنايل المعروفة ، اتهم فيها جماعة بالقاء
القنايل على بيوت بعض الكبراء ، واستمر غالب بك يتظر هذه القضية ثلاث جلسات ، فلما كانت الجلسة
الرابعة يوم ٢٣ مارس سنة ١٩٣٢ تنهى عن النظر فيها ، وقال : إنه يرى من الحكمة أن يمسك عن ذكر
الأسباب التى حملته على هذا التنهى . وإنه لم يحضض فى هذا إلا لسلطان ضميره . والثانية ، أن الأستاذ
أحمد لطفى السيد بك (لطفى السيد باشا الآن) مدير الجامعة كان قد استقال من منصبه فى ٩ مارس سنة ١٩٣٢ م
لتقل الدكتور (طه حسين) عميد كلية الآداب الى وزارة المعارف بدون رضا ، ودون رضا الجامعة .

(١)

وَقَهَرْتُمَا الْبَاغِيَّ عَلَى * رَدِّ الْحُقُوقِ النَّاصِعَةِ

(٢)

لِلَّهِ دَرُّ الْمُسْتَشَا * رٍ وَدَرُّ ذَاكَ الْبَاقِعَةِ

فَهُمَا اللَّذَانِ تَكْفَلَا * عَنَّا بِصَدِّ الْقَارِعَةِ

(٣)

نَظَرَ الْحِيَادُ بَيْنَهُ * فِي النَّاسِ هَوْلَ الْوَاقِعَةِ

(٤)

أَمْنِي الْمُحَايِدِ أَنْ يَرَى * مِصْرَ الْعَزِيزَةِ ضَارِعَةِ

كَذَبَ الْحِيَادُ فَلَنْ تَكُو * نَ جُهُودُ مِصْرٍ ضَائِعَةِ

(٥)

فَالْحَقُّ لَا تُطْوَى بِهِ * تِلْكَ السُّيُوفُ اللَّامِعَةِ

أَصْبَحْتُ أَسْأَلُ خَاطِرِي * وَالنَّفْسُ مِنِّي جَارِعَةِ

أَتَعِيشُ تَحْتَ اللَّيْلِ أَمْ * تَحْتَ الشُّمُوسِ السَّاطِعَةِ

الى الدكتور طه حسين

أنشدما في حفل أقيم للدكتور يفتدق ميتا هارس من طلبة الجامعة بعد فصله من منصبه

[نشر في ٧ أبريل سنة ١٩٣٢ م]

(٦)

قَدْ أَجْدَبَتْ دَارُ الْجَمَا وَالنَّهْي * بَعْدَكَ مِنْ آرَائِكَ النَّافِعَةِ

وَأَخْصَبَتْ أَرْجَاءُ مِصْرٍ بَيْنَ * صَوِيرِ مِصْرٍ كُلِّهَا جَامِعَةِ

(١) الناصعة، أى الظاهرة التى لا يسع أحدا نكرانها . (٢) الباقعة : الذكى العارف ، الذى

لا يفوته شئ ولا يدهى . (٣) كنى «بالحياد» عن الإنجليز، لأنهم كانوا فى هذا العهد يدعون أنهم على

الحياد فى الشؤون الداخلية فى مصر، وأن المسئولية كلها على الوزراء المصريين . (٤) ضارعة : ذليلة .

(٥) ألوى بالشئ : ذهب به . (٦) يريد «بدار الجمجا والنهى» : الجامعة المصرية .

تهنئة المغفور له جلالة الملك فؤاد بعيد جلوسه

^(١) أَرَأَيْتَ رَبَّ التَّاجِ فِي * عِيدِ الْجُلُوسِ وَقَدْ تَبَدَّى
 وَشَهِدْتَ جَبْرِيلاً يَمْدُّ * عَلَيْهِ ظِلَّ اللَّهِ مَدًّا
 وَنَظَرْتَ تَطَوَّافَ الْقُلُوبِ * بِبَسَاحَةِ الْعَرْشِ الْمُقَدَّى
 وَسَمِعْتَ تَسْبِيحَ الْوُقُوفِ * دِخْمِيهِ وَقَدْ فَوَّضَا
^(٢) هَذَا ابْنَ إِسْمَاعِيلَ رَبُّ * النَّيْلِ مَنْ أَغْنَى وَأَسَدَى
^(٣) النَّيْلُ يَجْرِي تَحْتَهُ * فَيَخُذُ وَجْهَ الْأَرْضِ خَدًّا
^(٤) يَهْبُ النَّضَارَ كَأَنَّهُ * مِنْ فَيْضِ جَدْوَاهِ أَسْمَدًا
^(٥) وَكَأَنَّمَا هُوَ عَالِمٌ * بِالْكِيمِيَاءِ أَصَابَ جَدًّا
 يَدْعُ الثَّرَى تَبْرًا فَهَلْ * شَهِدَ الْوَرَى لِلنَّيْلِ نَدًّا
 النَّاسُ يَوْمَ جُلُوسِهِ * يَسْتَقْبِلُونَ الْعَيْشَ رَغَدًا
 أَنِّي سَلَكْتُ سَمِيعَتَ أَدْ * عِيَّةَ لَهُ وَسَمِعْتُ حَمْدًا
 عِشْ يَا (أَبَا الْفَارُوقِ) وَالْ * لَبَسَ مِنْ تَسْبِيحِ الْحَمْدِ بُرْدًا
^(٦) هَا صَوْبُ لِحَانِ الْمَلِكِ مِنْ * شَجَرِ الْجَنَانِ إِلَيْكَ يُهْدَى

(١) تبدى : بدا وظهر . (٢) أسدى : أعطى . (٣) يخذ : يشق .

(٤) النضار : الذهب . والجوى : العطية والمعروف . (٥) البتة : الحظ .

(٦) الصوبلحان : العصا المنعطفة الرأس ؛ والجمع صوابلحة ؛ وهو لفظ فارسي معرب ؛ ويقال :

صوبلحان الملك ، لأن الملوك قديما كانوا يتخذونه شعارا للملك .

(١) حَدَّثَ مُلَا صَيْدِ الْمُلُو * كِ وَلَا أَرَى لُعْلَاكَ حَدَا
(٢) فَآبِنِ الرِّجَالِ بِنَايَةً * يَشْقَى الْعَدُوَّ بِهَا وَيَرْدَى
(٣) وَأَضْرِبْ بِسَوْطِ الْبَاسِ أَعْمَ * طَافَ الزَّمَانُ إِذَا أَسْتَبَدَّ
أَيُّ الْمُلُوكِ أَجَلٌ مِنْ * لَكَ مَكَانَةٌ وَأَعَزُّ جُنْدًا ؟
(٤) مَنْ مِنْهُمْ كَفَاهُ يَوْمَ * مَ الْبَدْلِ مِنْ كَفِّكَ أَنْدَى ؟
مَنْ مِنْهُمْ نَامَتْ رَعْدٌ * نَتَهُ وَقَامَ اللَّيْلَ سُهْدًا ؟
(٥) مَنْ مِنْهُمْ سَامَاكَ أَوْ * سَامَى جَلَالَكَ أَوْ تَحَدَّى ؟
(٦) مَنْ مِنْهُمْ أَوْفَى حِجَا * وَحَصَاةً وَأَبْرُوعِدَا ؟
فِي الشَّرْقِ فَانْظُرْ هَلْ تَرَى * حَسْبًا (كَلِشْمَاعِيلَ) عُدَا ؟
(٧) هَيْدَى (الْجَزِيرَةَ) وَالْعِرَا * قُ (وَفَارِسُ) يَهْدُنْ هَذَا
وَالَيْكَ (مَكَّةَ) هَلْ تَرَى * أَحَدًا بِهَا وَالَيْكَ (تَجْدَا)
وَالَيْكَ (تُونِسَ) وَالْجَزَا * رِ (قَدْ لَيْسَنَ الْعَيْشَ نَكْدَا
لَمْ يَرْتَفِعْ فِي الشَّرْقِ تَا * جُ فَوْقَ تَا (النَّيْلِ) تَجْدَا
جَدَّدْتَ عَهْدَ (الرَّاشِدِ) * نَ (تَقَى) وَإِحْسَانًا وَزُهْدَا
وَنَرَى عَلَيْكَ تَحَايِلَ الْ * خُلَفَاءِ إِنْصَافًا وَرُشْدَا

(١) الصيد: جمع أصيد، وهو المتكبر المزهو. (٢) يردى: يهلك. (٣) الأعطاف: الجوانب،

الواحد عطف (بالكسر). (٤) أندى: استنحى. (٥) ساماك، أى ظالبك في السموة، وتحداك: فازمك

الغلبة. (٦) الحجا: العقل. والحصاة: جودة الرأي. (٧) يهْدُنْ هَذَا، أى إن أركان العمران تتداعى فيها.

(١) جَلَّتْ صِفَاتُكَ، كَمْ مَحْوُ * تَ أَسَى وَكَمْ أَوْرَيْتَ زَنْدًا
 (٢) أَعْطَيْتَ لَا مُتَرَبِّحًا * أَوْ مُخْفِيًا فِي الْجُودِ قَصْدًا
 (٣) رَوَيْتَ أَثَدَةَ الرَّعْدِ * يَدِي مِنْ هَوَاكَ فَكَيْفَ تَصْدِي
 (٤) وَمَلَكْتُهُنَّ كَمَا مَلَكَ * تَ زِيَامَ (مُضَرٍّ) أَبَا وَجَدًا
 فَإِذَا نَهَيْتَ فَطَاعَةً * وَإِذَا أَمَرْتَ فَلَا مَرَدًا
 أَعْطَوكَ طَاعَةَ مُخْلِصٍ * وَمَنْحَتَهُمْ عَطْفًا وَوَدًا
 (٥) أَوْضَحْتَ لِلضَّرِيِّ نَهْجَ * سَبِيلِ صَالِحِهِ فَسَعَى وَجَدًا
 أَعَدَدْتَهُ وَكَفَلْتَهُ * وَرَعَيْتَهُ حَتَّى اسْتَعَدَا
 وَدَعَوْتَهُ أَنْ يَسْتَرِدَّ * نَخَارَ مُضَرٍّ فَاسْتَرَدَا
 وَرَدَ الْحَيَاةَ عَزِيزَةً * فَتَجَا وَكَانَ الْمَوْتُ وَرَدًا
 وَحَمَى الْيَكَاةَ بَعْدَ مَا * حَفَرْتَ لَهَا الْأَطْمَاعُ لَحْدًا
 (٦) فَتُّحْتَ أَعْيُنُنَا فَأَبَدَ * مَصْرَنَ الضِّيَاءِ وَكُنْ رُمْدًا
 (٧) وَأَقَمْتَ جَامِعَةً بِمِصْرَ * رَأْسُودَ أَزْرِ الْعِلْمِ شَدَا
 (٨) كَمْ سَيِّدٍ بِالْعِلْمِ كَا * نَ بَرِّغْمِهِ لِلْجَهْلِ عَبْدَا

(١) الأسى: الحزن. وإيراء الزند: كناية عن إغاثة الملهوف وإجابة السائل. والأصل في إيراء الزند، استخراج ناره. (٢) لا متربجأ، أى غير مترقب من وراء معروفك وإعطائك نفعاً لك. (٣) تصدى: قظماً. (٤) الزيام (بالكسر): ما تقاد به الدابة. (٥) النهج: الطريق. وجد: اجتهد. (٦) الرمد: المصابة بالرمد، الواحدة رمداء. وكنى بذلك عن الجهل. و«الضياء» عن العلوم والمعارف. (٧) تشد أزور العلم، أى تقويه وتنهضه. (٨) يقول: كم من رجل سوده العلم وكان قبل ذلك على الرغم منه عبداً للجهل.

(١) وَرَفَعَتْ فِي ثَغْرِ الثُّغُورِ * رِ الْمُنَشَّاتِ الْبَحْرِ بِنْدَا
 أَسَسَتْ مَدْرَسَةً تُعِي * نَدُّنَا بِمُلْكِ الْبَحْرِ عَهْدَا
 فَتَى أَرَى أَسْطُولَ مِصْرَ * رَ يُشِيرُ فَوْقَ الْبَحْرِ رَعْدَا
 وَمَتَى أَرَى جَيْشَ الْبِلَا * دِ يَسُدُّ عَيْنَ الشَّمْسِ سَدَا
 (٢) وَنَظَرْتُ فِي الطَّيْرَانِ نَظْ * رَةً مُصْلِحٍ لَمْ يَأَلْ جُهْدَا
 أَعَدَدْتَ عُدَّتَهُ وَلَمْ * تَرَمْنِهِ لِلْأَوْطَانِ بُدَا
 أَعْظَمَ بِأَسْطُولِ الْهَوَا * إِذْ أَنْبَرَى فِطْرًا وَشَدَا
 (٣) مَنْ رَأَاهُ يَوْمَ التَّرَا * لِ رَأَى النُّسُورَ تَصِيدُ أُسْدَا
 (٤) وَتَرَاهُ عِنْدَ السَّلَامِ مِرْ * بَا مِنْ طَوَاوِيسَ تَبْدَى
 (٥) وَطَوَائِفَ الْعَمَالِ كَمْ * أَوْلَيْتَهَا رِفْدًا فَرِفْدَا
 مَنْ ذَا يُطِيقُ لَبِئْضَ مَا * أَصْلَحْتَ أَوْ أَسَدَيْتَ عَدَا
 دُمُ يَا (فُؤَادُ) مُؤَيَّدَا * بِالْمَالِ وَالْأَرْوَاحِ تُفْدَى
 (٦) وَأَعِدْنَا عَهْدَ الْمُعِزِّ * الْفَاطِمِيِّ فَأَنْتَ أَهْدَى

(١) يريد «بثغر الثغور» الاسكندرية . والمنشآت : السفن . والبند : العلم الكبير ، فارسي . يشير إلى مدرسة البحرية التي أنشأها المغفور له الملك فؤاد الأول . (٢) لم يأل : لم يقصر . وفي عهد المغفور له الملك فؤاد الأول نظمت مصر الطيران ، وأنشأت أول أسطول جوي . (٣) رآه : رآه . والنزال : الحرب . (٤) السرب : جماعة الطير . والمعنى أن هذه الطائرات في أيام السلم تشبه الطواريس في الإعجاب بجمالها والاختيال بحسنها . (٥) الرغد : العطاء والصلة . يشير إلى ما قاله قبايات المال في عهد جلالة من تأييد ومساعدات . (٦) كان «المعز» رابع خلفاء الدولة الفاطمية ، ولي الخلافة سنة ٥٣٤١هـ . وتوفي سنة ٥٣٦٥هـ . وفي أيامه دخل الفاطميون مصر ، وكان عهده من أزهى عصورها وأزهىها .

تهنئة لصاحب السعادة نجيب الهلالي بك

قال هذين البيتين مرتجلا عند ما تولى وكالة المعارف للتعليم الفني والفنون الجميلة سنة ١٩٢٩ م

أَصْحَى (نَجِيبٌ) وَيَكَلَّا * لَنَا وَنَعْمَ الْوَكِيلُ

فَلْيَنَعِمِ الشَّعْرُ بَالًا * فَالشَّعْرُ فَنٌ جَمِيلُ

التقریظات

تقریظ كتاب "فحول البلاغة" لمؤلفه السيد توفیق البكری^(١)

[نشره في البيتان سنة ١٣١٣ هـ]

هَذَا كِتَابٌ مَدَّ بَدَا سِرَّهُ * لِلنَّاسِ قَالُوا : مُعْجَزٌ ثَانِي

أَتَأَبَّكَ اللَّهُ عَلَى جَمْعِهِ * ثَوَابَ (عُمَانَ بْنِ عَفَّانٍ)^(٢)

تقریظ "جريدة مصباح الشرق"^(٣) لصاحبها إبراهيم المويلحي بك

أَهْلَ الصَّحَافَةِ لَا تَضِلُّوا بَعْدَهُ * فَسَأَوْكُمْ قَدْ زَانَهَا (المصباح)

الْحَقُّ فِيهِ زَيْتُهُ، وَفَيْلُهُ * صِدْقُ الْحَدِيثِ، وَنُورُهُ الْإِصْلَاحُ^(٤)

(١) ولد السيد توفيق البكري في سنة ١٨٧٠ م، وقد كان نقيباً للأشراف ومشیخة الطرق الصوفية، كما كان عضواً بمجلس شورى القوانين. وكان يجيد اللغتين الفرنسية والانجليزية فوق إجادته للعربية التي عد فيها من أئمة الأدب والبيان. وقد أنعم عليه السلطان عبد الحميد، وسمي الخديوي السابق بكثير من الأوسمة. وله غير هذا الكتاب، صهاريج اللؤلؤ، وأراجيز العرب، والمستقبل للإسلام؛ وتوفي رحمه الله يوم السبت ١٣ أغسطس سنة ١٩٣٢ م. (٢) خص «عثمان بن عفان» بالذكر لأنه هو الذي نال ثواب جمع القرآن. (٣) مصباح الشرق : صحيفة سياسية أدبية، وكانت تصدر في كل أسبوع في مصر، أنشئت في (سنة ١٣١٥ هـ) (سنة ١٨٩٨ م) واحتجبت في (سنة ١٣٢١ هـ). (٤) (سنة ١٩٠٣ م). (٤) الفتل : جمع فتيلة، وهي ذبالة المصباح.

تقريظ ديوان الشاعر الكاتب مصطفى صادق الرافعي

(سنة ١٣٢١ هـ - سنة ١٩٠٤ م)

- (١) أَرَاكَ - وَأَنْتَ تَبْتُ الْيَوْمَ - تَمْشِي * بِشِعْرِكَ فَوْقَ هَامِ الْأُولِينَا
(٢) وَأَوْتَيْتَ النَّبُوءَةَ فِي أَلْمَعَانِي * وَمَا دَانَيْتَ حَدَّ الْأَرْبَعِينَا
(٣) فَرَزْنَا تَاجَ الرَّأْسَةِ بَعْدَ (سَامِي) * كَمَا زَانَتْ فَرَائِدُهُ الْجَيْنَا
(٤) وَهَذَا الصُّوْبُلْحَانُ فَكُنْ حَرِيصًا * عَلَى مُلْكِ الْقَرِيضِ وَكُنْ أَمِينًا
(٥) فَحَسْبُكَ أَنْ مَطْرِيكَ (أَبْنُ هَانِي) * وَأَنْكَ قَدْ غَدَوْتَ لَهُ قَرِينًا

(١) الهام : الرموس ، الواحدة هامة .

(٢) يشير بهذا الى ما أثر عن النبي صلى الله عليه وسلم من قوله : بعثت على رأس الأربعين .

(٣) يريد «سامي» : المرحوم محمود سامي البارودي باشا . انظر التعريف به في الحاشية رقم ٢ من صفحة ٧ . وفرائد التؤلؤ : يتأمله التي لاتوائم لها .

(٤) الصوبلحان (في أصل معناه) : العصا المعوجة من طرفها ؛ وهو لفظ فارسي معرب ، ويقال : صوبلحان الملك ، لأن الملوك كانوا في القديم يتخذونه علامة على توليهم الملك .

(٥) مطريك : مادحك . ويريد «بأبن هاني» : المرحوم أحمد شوقي بك ، وكان يلقب بأبن هاني ، وسمي داره بالمطرية : كرمه ابن هاني تشبهاً (بالحسن بن هاني) المعروف بأبي نواس .

تهنئة المؤيد بداره وبمظهره الجديدين

[نشرت في ٢ أكتوبر سنة ١٩٠٦م]

(١)
أَحْيَيْتَ مَيِّتَ رَجَائِنَا بِصَحِيفَةٍ * أَثْنَى عَلَيْهَا الشُّرُقُ وَالْإِسْلَامُ
(٢)
أَصْحَحْتَ مُصَلِّىَ الْبَلَاغَةِ عِنْدَمَا * تَجَدَّدَتْ بِرَحْبِ فَنَائِهَا الْأَقْلَامُ
فَعَلَى مُؤَيِّدِكَ الْجَدِيدِ تَحِيَّةٌ * وَعَلَى مُؤَيِّدِكَ الْقَدِيمِ سَلَامُ

تقريظ "حديث عيسى بن هشام"

لصاحبه محمد المويلحي بك^(٣)

[نشر في أول مارس سنة ١٩٠٧م]

قَلَمٌ إِذَا رَكِبَ الْأَنَامِلَ أَوْ جَرَى * تَجَدَّدَتْ لَهُ الْأَقْلَامُ وَهِيَ جَوَارِي
(٤)
يَخْتَالُ مَا بَيْنَ السُّطُورِ كَضَيْغِمٍ * يَخْتَالُ بَيْنَ عَوَامِلٍ وَشِفَارِ
(٥)
تَأْوِي الظُّبَاءَ إِلَيْهِ وَهِيَ أَوَانِسُ * وَتَحِيدُ عَنْهُ الْأَسَدُ وَهِيَ ضَوَارِي

- (١) يخاطب بهذا البيت وما بعده صاحب المؤيد وهو الشيخ علي يوسف . (٢) الفناء (بكسر الفاء) : الساحة أمام البيت . (٣) هو محمد بك ابن إبراهيم بك المويلحي ؛ ولد بالقاهرة سنة ١٨٥٨م ، وبعد أن أخذ حظه من التعلم تولى عدة مناصب في الحكومة المصرية ، واشترك في تحرير عدة صحف ، وكان هو وأبوه إبراهيم بك من أعلام الكتاب المشهورين في مصر إذ ذاك ، وهما صاحباه صحيفة مصباح الشرق . ومحمد بك المويلحي ، هو مؤلف كتاب عيسى بن هشام ؛ وتوفى يوم السبت أول مارس سنة ١٩٣٠م . (٤) الضيغم : الأسد ؛ ويريد به هنا : الشجاع . والعوامل : صدور الرماح ، الواحد عامل . والشفار : جمع شفرة ، وهي حدة السيف . (٥) الضواري : المدربة على الصيد والاقتراس . يريد أن هذا القلم إذا رُق ولطف أنست إليه الظباء ؛ وإذا قسا : خافته الآساد .

- (١) ما حال خُلِقَ المَاءَ يَنْ سَطُورِهِ * إِلَّا إِلَى خُلِقِ الزَّنَادِ السَّوَارِي
فَإِذَا رَضِيَتْ فَأَحْرَفُ مِنْ رَحْمَةٍ * وَإِذَا غَضِبَتْ فَأَحْرَفُ مِنْ نَارِ
(٢) يَابْنَ الَّذِي غَنَى الْبِرَاعُ بِكَفِّهِ * فَصَبَّتْ إِلَيْهِ مَسَامِعُ الْأَقْدَارِ
(٣) لَكَ فِي دَمِي حَقٌّ أَرَدْتُ وَفَاءَهُ * يَوْمَ الْوَفَاءِ فَقَصَّرْتُ أَشْعَارِي
لَمْ يُنْسِنِي مَرُّ الزَّمَانِ وَلَمْ يَزَلْ * حِفْظُ الْوِدَادِ سَبِيحِي وَشِعَارِي
(٤) هَذَا كِتَابُكَ قَدْ حَكَتْ آيَاتُهُ * آيَاتِ مُوسَى التَّسْعِ فِي الْإِكْبَارِ
(٥) تَسْجَعُ الْحَرِيرَ أَبُوكَ تَسْجَعُ نَجَارِهِ * وَتَسْجَعُ أَنْتَ حَرَارَةَ الْأَفْكَارِ
(٦) فَإِذَا نَثَرْتَ عَلَى الصَّحِيفَةِ خِلْتُهَا * غَرَسًا أَلَحَّ عَلَيْهِ صَوْبُ قِطَارِ

(١) ما حال ، أى ما تحول . ويريد « يخلق الماء » : الرقة والمذوبة . و « يخلق الزناد » : ما فيه من التوقد والالتهاب . والزناد الوارى : الذى خرجت ناره .

(٢) صبت : مالت . (٣) كان المدوح كثير الإغداق على حافله ، فهو إلى ذلك يشير بهذا البيت . (٤) آيات موسى التسع ، أى معجزاته ، وهى مذكرة كلها فى القرآن ، قال الله تعالى فى سورة الإسراء : (ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات) الآية .

(٥) النجار : الأصل والمختد . ويشير بهذه العبارة إلى أن أبا المدوح وهو إبراهيم بك الموطى كان من كبار تجار الحرير بمصر ، وكان شريكا فى هذه التجارة لأخيه عبد السلام الموطى باشا عم المدوح وقد أخطأهما التوفيق فى تجارتهم ، فدلهما يد المساعدة المنفورة إسماعيل باشا الخديوى ، واختصهما بجمعهما وحدهما المقدمين لجميع ما يلزم البيت الخديوى من أنواع الحرير ، واقتدى به فى ذلك سراً مصر ووجهاتها ، فصلحت حالهما بعد ذلك .

(٦) إلح السحاب على النبات : دام مطره عليه . والقطار : الأمطار ، الواحد قطر (فتح فسكون) . يريد تشبيه ما يكتب فى صحفه بأنواع الزهر النض المترعرع مما توالى عليه من الأمطار . وفى الديوان المطبوع : « نثار » مكان « قطار » .

- (١) يا صاحب المصباح ما ذنبُ النّهي * حتى حجبت مَطالِعَ الأنوارِ
 (٢) قد كنت تهديها السَّيْلَ بضوئه * فتركتها في ظلمةٍ وعِشارِ
 باتت تُرجى منك عَوْدَةٌ غائب * نُورُ البصائرِ فيه والأبصارِ
 (٣) وشمائل الفكرِ التي أرسلتها * حِكْمًا فأغنتها عن الأسفارِ
 (٤) فأشْرَعَ يراعَكَ يا (مُحمَّدُ) إنّه * نارُ اللّثامِ وجَنَّةُ الأحرارِ
 (٥) وأبعث لنا (عيسى) فهذا وقته * فالناسُ بين مُخادِعٍ ومُوارِي
 (٦) ومُطاولٍ في الكاتِبين ومُدَّعٍ * في العالمين ومُولِعٍ بفَخارِ
 (٧) أَمِنُوا يراعَكَ حين طال سكونه * فتطلَّعُوا لمراتبِ الأُمَرِ
 (٨) إني لأنظِمُ ما تَنَثَّرَ وإن يكن * نثرُ النّظيمِ مَطيَّةَ الشَّارِ

- (١) قد سبق التعريف بصحيفة «مصباح الشرق» في الحاشية رقم ١ من صفحة ١٤٩ من هذا الجزء .
 (٢) تهديها أى تهدي النّهي . (٣) الأسفار: الكتب ، الواحد سفر (بكسر السين وسكون القاء) .
 (٤) اشْرَعَ يراعَكَ ، أى سَدَدَ قلبك وصوّبه نحو الأفاض السامية . (٥) يريد كتاب عيسى ابن هشام . ويشير بذلك إلى ما ورد من أن نبي الله عيسى عليه السلام سيعود في آخر الزمان لهداية الناس .
 (٦) المطاول : المنافر . والعالمين : جمع عالم (بكسر اللام) فهما . (٧) يقول : ان هؤلاء المدعين قد آمنوا بطش قلبك بهم حين احتجبت صحيفتك فتطلعوا الى المراتب العالية التي لم يكونوا ليتطلعوا اليها لو أنك دائب على الكتابة . (٨) يقول : إن شعري في الحقيقة ليس إلا نثرا لما تنثر ، فهو مقتبس من وحي قلبك ، وإن تكن عادة الكتاب نثر ما ينظم الشعراء .

تقريظ كتاب مرآة العروض

المطبوع سنة ١٣٣٥ هـ تأليف الشيخ أحمد عثمان المحرزي القاضي الشرعي

(١)
(عُثْمَانُ) إِنَّكَ قَدْ أَتَيْتَ مُوقَفًا * شَرَوَى سَمِيكَ جَامِعَ التَّزْيِيلِ
جَمَعْتَ أَشْتَاتَ الْقَرِيضِ وَزِدْتَهُ * حُسْنًا بِهَذَا الشَّرْحِ وَالتَّذْيِيلِ
وَجَلَوْتَ (مِرْآةَ الْعُرُوضِ) صَقِيلَةً * لِلنَّيْلِ فَاسْتَوْجِبْتَ شُكْرَ النَّيْلِ

تقريظ صحيفة كوكب الشرق

لصاحبها محمد حافظ عوض بك

[نشر هذان البيتان في أول عدد صدر منها في ٢١ سبتمبر سنة ١٩٢٤ م]

يَا كَوْكَبَ الشَّرْقِ أَشْرِقْ * فَالْحَادِثَاتُ تَجِدُ
لَا تَنْحَسْ طَالِعَ سُوءٍ * فَكَوْكَبُ الشَّرْقِ مَسْعُدُ

تهنئة المقتطف بعيدها الخمسيني

[نشرت في أول يونيو سنة ١٩٢٦ م]

(٢) شَيْخَانٍ قَدْ خَبَّرَا الْوُجُودَ وَأَدْرَكََا * مَا فِيهِ مِنْ حَلٍّ وَمِنْ أَسْبَابِ
(٣) وَأَسْتَبْطَنَّا الْأَشْيَاءَ حَتَّى طَالَمَا * وَجَهَ الْحَقِيقَةَ مِنْ وَرَاءِ حِجَابِ
(٤) نَحْسُونَ عَامَا فِي الْجِهَادِ كِلَاهُمَا * شَاكِيَ الْبِرَامَةِ طَاهِرُ الْجَلْبَابِ
لَا تَعْجُبُوا أَنْ خَضِبَا قَلَمَيْهِمَا * وَبَيَاضُ شَيْبِهِمَا بَغِيرُ خَضَابِ
فَلِكُلِّ حُسْنٍ حِلْيَةٌ يُزْهِى بِهَا * وَأَرَى الْبِرَامَةَ حِلْيَةَ الْكُتَابِ
إِنِّي نَظَرْتُ إِلَى الْبِرَامَةِ فِي يَدِي * فَحَسِبْتُهَا فِي الْقَدْرِ عُدَّةَ ثِقَابِ
وَنَظَرْتُهَا تَنْقُضُ مِنْ كَفِّهِمَا * فَوْقَ الطُّرُوسِ نِخْلَتَهَا كِشَابِ
(٥) يُزْهِى مُدَجِّجُنَا بِرُخٍّ وَاحِدٍ * وَأَرَاهُمَا لَا يُزْهِيانِ بَغَابِ
(٦) مُتَوَاضِعَانِ وَلَا أَرَى مُتَعَكِّبَا * غَيْرَ الْجَهُولِ مُدَنِّسَا بِالْعَابِ

- (١) أنشئت هذه المجلة في سنة ١٨٧٦ م وكان مقرها أولا سورية ، ثم انتقلت إدارتها الى مصر في سنة ١٨٨٥ م . (٢) يريد « بالشيوخين » : الدكتور فارس نمر ، والدكتور يعقوب صروف ؛ أما الأول منهما فهو العالم السوري المعروف عضو مجمع اللغة العربية الملكي في مصر ، ومنشئ مجلة المقتطف وجريدة المقطم مشتركا مع صاحبه السابق ذكره في كلتا الصحيفتين . أما الثاني وهو الدكتور يعقوب صروف ، فولد بلبان في سنة ١٨٥٢ م وكان الدكتور منقطعا الى تحرير المقتطف ، وانقطع الدكتور نمر الى تحرير المقطم ؛ وكانت وفاة الدكتور صروف في سنة ١٩٢٧ م . (٣) استبطننا الأشياء : اختبرا بواطنها . (٤) شاكي البرامة ، أى ذو شوكة وحدة في قلبه . (٥) المدجج : لابس السلاح . والغاب : جمع غابة ، وهى الشجر الكثير . ويطلق أيضا على القصب الفارسي تتخذ منه الأقلام . والشاعر يرمي الى المعنيين . (٦) العاب والعيب ، كلاهما بمعنى واحد .

- (١) يَجْأَذِبُ الْقُطْرَانِ مِنْ فَضْلَيْهِمَا * ذَيْلَ الْفَخَارِ وَلَيْسَ ذَا بُعْجَابِ
فَهُمَا هُنَا عَلَمَانِ مِنْ أَعْلَامِنَا * وَهُمَا هُنَا لِكَ نُجْبَةِ الْأَنْجَابِ
(٢) جَا زَا مَدَى السَّبْعِينَ لَمْ يَتَوَانِبَا * عَنْ وَصْلِ حَمْدٍ وَأَجْتَنِبَ سَبَابِ
(٣) نَسَبَاهُمَا قَلْبَاهُمَا فَلَيْسَ حَبَابَا * ذَيْلًا عَلَى الْأَحْسَابِ وَالْأَنْسَابِ
(٤) قَلَمَانِ مَشْرُوعَانِ، فِي شَقِيهِمَا * وَحَى يُفِيضُ عَلَى أُولَى الْأَلْبَابِ
(٥) مُتَسَانِدَانِ إِذَا الْخُطُوبُ تَأَلَّبَتْ * مُتَعَاقِلَانِ تَعَانَقَ الْأَحْبَابِ
(٦) نَفَحَاتُ (آذَارِ) إِذَا لَمْ يُظْلَمَا * فَإِذَا هُمَا ظَلِمَا فَلَفَّحَةُ (آبِ)
(٧) مَا سَوْدَا بَيَضَاءَ إِلَّا بَيَضَا * بِالكَاتِبَيْنِ صَحِيفَةَ الْإِعْجَابِ
(٨) لَلْقَصِيدِ الْأَسْمَى لَدَى حَرَمِ النَّهْيِ * رَفَعَا قِبَابًا حُوجِرَتْ بِقِبَابِ
(٩) خَطًّا بِمُقْتَطِفِ الْمُلُومِ بَدَائِعًا * وَرَوَائِعًا بَقِيَتْ عَلَى الْأَحْقَابِ
جَاءَ لَنَا مِنْ كُلِّ عِلْمٍ نَافِعٌ * أَوْ كُلِّ فَنٍّ مُتَمِّعٌ بِبُيُوبِ
فِي كُلِّ لَفْظٍ حِكْمَةٌ بَاحِلَةٌ * وَبِكُلِّ سَطْرِ مَهِيظٌ لَصَوَابِ

- (١) القطران : مصر وسورية . (٢) جازا : جاززا . والمدي : الغاية .
(٣) يقال : سحب الذيل على كذا ، أى أنه لم يحفل به ولم يأبه له . (٤) مشروعان ، أى
مضروبان مستدان . (٥) تألبت : تجملت وتضافرت . (٦) آذاروآب : شهران من شهور
السنة المسيحية معروفان ، وتكثر الأزهار في الأول ، ويشند الحزفي الثاني : واللفحة من قولهم : لفتح النار
والنسوم (فتح السين) : أى أحرته بجزها . (٧) بالكاتين : متعلق بقوله بعد : «الإعجاب» .
أى لم يكتب بالمداد الأسود صحيفة بيضاء إلا كتبها عند قرائتها صحيفة أخرى مملوءة بالإعجاب بها .
(٨) قبابا حوجرت بقباب ، أى متصلة بعضها ببعض . (٩) الروائع من الأشياء :
ما أعجبك بحسبها . والأحقاب : الدهور .

فاللفظ فيه مقوم بصحيفة * والسطر فيه مقوم بكتاب
 (١)
 داني القطوف كريمة أفياءه * عذب الورود مفتوح الأبواب
 (٢)
 ذلل مسالكه فأتى جنته * ألفت نفسك في فسيح رحاب
 (٣)
 تتسابق الأقلام فيه ولا ترى * من عاثر فيها ولا من نابي
 (٤)
 كم من يراعة كاتب جالت به * ولعابها في الطرس حلو رضاب
 (٥)
 كم من سؤال فيه كان جوابه * إلهام نابغة وفصل خطاب
 (٦)
 كم فيه من نهر جرى بطريقة * ترد النهى منه ألد شراب
 (٧)
 وقفت سقاة الفضل في جناته * تروى النفوس بمسرع الأكواف
 (٨)
 ماذا أعد وهذه آياته * في العد تعجز أمهر الحساب
 (٩)
 قد نسقت وتألقت فكأنها * في الحسني مثل تألف الأحزاب
 (١٠)
 وترى تهافتنا عليه وحرصنا * فتخال فيه مقاعد النواب
 (١١)
 ياثروة القراء من علم ومن * فضيل ومن حكم ومن آداب
 (١٢)
 الشرق أثبت يوم عيدك أنه * ما زال في رى وخضب جناب

- (١) الأفياء: الظلال. ويريد بقوله: «داني القطوف» قرب مأخذه وسهولة الاستفادة من بحوثه.
- (٢) ذلل مسالكه: سهلة ممهدة. (٣) نبا ينبو: كل وأرتد عن المقصد. (٤) اللعاب: الريق. ويريد به هنا: المداد. والرضاب: لعاب العسل. (٥) النهر: مجرى الماء المعروف. ويومئ به إلى العمود من الصحيفة، وهو استعمال صنف معروف في هذا العصر.
- (٦) المترع: الملوأ.
- (٧) نسقت: نظمت. ويشير الشاعر بالتشبيه الذي في هذا البيت إلى ما كان في هذا العهد الذي أنشدت فيه هذه القصيدة من تألف الأحزاب المصرية واجتماعها بعد الافتراق، وتكوين وزارة وبرلمان أثلافيين.

عَادَتْ سَمَاءُ الْفَضْلِ فِيهِ فَأَظَلَّتْ * زُهْرًا مِنَ الْأَعْلَامِ وَالْأَقْطَابِ^(١)
 الْعِلْمُ شَرَقٌ تَغَافَلَ أَهْلُهُ * عَنْهُ فَعَاقَبَهُمْ بِطُولِ غِيَابِ
 وَتَنَبَّهُوا لِمُصَابِهِمْ فَتَضَرَّعُوا * فَعَفَا وَعَاوَدَهُمْ بِغَيْرِ عِتَابِ
 فَتَذَوَّقُوا طَعْمَ الْحَيَاةِ وَأَذْرَكُوا * مَا فِي الْجَهَالَةِ مِنْ أَدَى وَتَبَابِ^(٢)
 الْعِلْمُ فِي الْبَاسَاءِ مُزْنَةٌ رَحْمَةٌ * وَالْجَهْلُ فِي النَّعْمَاءِ سَوَاطِ عَذَابِ^(٣)
 وَلَعَلَّ وَرَدَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَرَعَهُ * سَاقٍ مِنَ الْأَخْلَاقِ وَرَدُّ سَرَابِ^(٤)
 إِنِّي قَرَأْتُكَ فِي الْكُھُولَةِ وَالصَّبَا * وَمَلَأْتُ مِنْ ثَمَرِ الْعُقُولِ وَطَائِي
 وَأَتَيْتُ أَقْصَى بَعْضِ مَا أَوْلَيْتَنِي * وَأَقُولُ فِيكَ الْحَقَّ غَيْرَ مُحَابِي
 لَوْ كُنْتُ فِي عَهْدِ الْفُتُوَّةِ لَمْ أَزَلْ * لَوْهَبْتُ لِلشَّيْخَيْنِ بُرْدَ شَبَابِي
 لَكُنِّي أَبْلَيْتُهُ وَطَوَيْتُهُ * وَتَمَحَذْتُ مِنْ نَسِجِ الْمَشِيبِ ثِيَابِي^(٥)
 وَأَرَى رِكَابِي حِينَ شَابَتْ لِمَتِي * يَمْحُثُهَا سَفَرٌ بَغِيرِ إِيَابِ
 (يَعْقُوبُ) إِنَّكَ قَدْ كَبِرْتَ وَلَمْ تَزَلْ * فِي الْعِلْمِ لَا تَزْدَادُ غَيْرَ تَصَابِي
 لَاحَتْ بِرَأْسِكَ هِزَّةٌ وَلَعَلَّهَا * مِنْ وَفَعِ فِكْرِكَ لَا مِنْ الْأَعْصَابِ^(٦)
 فِكْرٌ سَرِيعٌ كَرِهَ مُتَدَفِّعٌ * كَتَدَفَّعَ الْأَمْوَاجَ فَوْقَ عُبابِ
 لَا يَسْتَقِرُّ وَلَا يُجَدِّثُ نَفْسَهُ * أَنْ يَنْتَنِي عَنْ جَيْثَةٍ وَذَهَابِ

(١) الزهر : النجوم . (٢) الباب : النقص والخسران . (٣) المزة : السحابة المتلثة بالماء . (٤) الوطاب : جمع وطب ، وهو في الأصل سقاء اللبن ؛ والمراد هنا : أنه ملأ فكره ونفسه . (٥) اللة : الشعر المجاور لشفة الأذن . ويمحثها : يسرع بها . ويريد « بالسفر » : الموت . (٦) العباب : معطم السيل .

- (١) أَوَّانَهَا طَرَبٌ بِنَفْسِكَ كَلَّمَا * وَفَقَّتَ فِي بَحْثٍ وَكَشَفَ قَهَابِ
 أَوَّانَهَا أَسْتِنَكَارُ مَا شَاهَدْتَهُ * فِي النَّاسِ مِنْ لَهْوٍ وَسُوءِ مَأْيِ
 (٢) لَمْ يُلْهِكَ الْإِثْرَاءُ عَنْ طَلَبِ الْعُلَا * بِالْجَدِّ لَا بَتَّصِيدِ الْأَلْقَابِ
 لَكَ فِي سَبِيلِ الْعِلْمِ أَجْرٌ مُجَاهِدِ * وَالصَّبْرِ أَجْرٌ مُلَازِمِ الْمُحَارِبِ
 (٣) وَإِلَيْكَ مِنْ جُهْدِ الْمُقَلِّ قَصِيدَةٌ * يُغْنِيكَ مُوجَزُهَا عَنِ الْإِسْهَابِ
 (٤) لَوْلَا السَّقَامُ وَمَا أَكْبَدُ مِنْ أَسَى * لَلَّتُّهُ فِي هَذَا الْمَجَالِ صَحَابِي

تقرير كتاب "في ظلال الدموع"

لصاحبه محمد شوكت التوني

[نشر في ٧ نوفمبر سنة ١٩٢٩م]

- قَدْ قَرَأْنَا ظِلَالَكُمْ فَاشْتَفَيْنَا * بَارَكَ اللَّهُ فِي (ظِلَالِ الدُّمُوعِ)
 عَلِمْنَا لَدَى الْأَمْسَى كَيْفَ تَشْفِي * مُرْسَلَاتُ الدُّمُوعِ دَاءَ الضُّلُوعِ
 (٥) وَأَرْتَمْنَا مِنَ الْجَدِيدِ بَيَانًا * لَمْ يَكُنْ قَبْلَهَا كَثِيرَ الشُّيُوعِ
 (٦) فِي طِرَازٍ كَأَنَّمَا نَسَقْتَهُ * مِنْ حِجَابِ الرَّبَا بَنَانُ الرِّيعِ
 فَعَلَى كَاتِبِ الظَّلَالِ سَلَامٌ * مِنْ حَزِينٍ وَبَائِسٍ وَصَرِيحٍ

- (١) أَوَّانَهَا ، أى هزة رأسه . والقَهَابُ : اللثام . (٢) الْإِثْرَاءُ : كثرة الأموال . والجَدُّ :
 الاجتهاد . (٣) الْمُقَلُّ : الفقير . والإِسْهَابُ : الإطالة . (٤) صَحَابِي ، أى الذين تكلموا
 في هذا الحفل وأثنوا عليك ، وأجادوا القول فيك . (٥) الْجَدِيدُ ، أى الأدب الجديد .
 (٦) نَسَقْتَهُ : نظمته ، شبه بيانه بأزهار الربا في الربيع .

الألف باء

قال في هجاء الجرائد

[نشر في أول ديسمبر سنة ١٩١٧ م]

جرائد ما خُطَّ حَرْفُهَا * لغير تَفْرِيقٍ وتَضْلِيلٍ^(١)
يَحْلُوها الكَذِبُ لأَرْبابِهَا * كأنها أول إبريل

في عيَاب كثير العيوب

[نشر في ٢ نوفمبر سنة ١٩٢١ م]

يا ساكن البيت الزجا * ج هِلَتَ، لا ترم الحصوناً^(٢)
أَرَأَيْتَ قَبْلَكَ عارياً * يَبْنِي زِوَالَ الدَّارِعِينَا^(٣)

في ملك ضعيف الراي

لا تَعْجَبُوا قَلْبِيكُمْ لَعِبَتْ بِهِ * أَيْدِي الْإِطَانَةِ وهو في تَضْلِيلٍ
إِنِّي أَرَاهُ كَانَهُ فِي رُقْعَةٍ الـ شُّطْرَنْجِ أَوْ فِي قَاعَةِ التَّمْثِيلِ

- (١) أول إبريل : يوم يتلخ فيه الكذب عند بعض الافرنج؛ وكذبة إبريل معروفة .
(٢) كنى بيت الزجاج عن كثرة عيوب هذا المهجور ، وأنه من اليسر على الناس فضيحه والخط من شأنه ، كما كنى بالحصون عن عكس ذلك . « وهلت » بالبناء للفاعل ، كما قاله بعض النحويين ، وقال نعلب : القياس « هلت » بالبناء للجهول ، أي تكلتك أمك . (٣) الدارعون : لابسو الدروع .

فِي رَجُلٍ عَظِيمِ الْبَطْنِ ضَخْمِ الْبَدَنِ

عَظَّلَتْ قَنَّ الْكَهْرَبَاءِ فَلَمْ تَجِدْ * شَيْئًا يَعُوُّ مَسِيرَهَا إِلَّا كَمَا^(١)

تَسْرَى عَلَى وَجْهِ الْبَسِيطَةِ لَحْظَةً * فَتَجُوبُهَا وَتَحَارُّ فِي أَحْشَاكَ^(٢)

وَقَالَ عَلَى لِسَانِ بَعْضِ الْمُتَصَوِّفَةِ^(٣)

[فِي مَحْبُوبٍ نَافِرٍ]

أَنَحِرُقُ الدَّفَّ لَوْ رَأَيْتُ شَكِيًّا * وَأَفُضُّ الْأَذْكَارَ حَتَّى يَغِيْبَا^(٤)

هُوَ ذِكْرِي وَقِبْلَتِي وَإِمَامِي * وَطَيْبِي إِذَا دَعَا زُتُّ الطَّيِّبَا

لَوْ تَرَانِي وَقَدْ تَعَمَّدَتْ قَتْلِي * بِالتَّنَائِي رَأَيْتَ شَيْخًا حَرِيْبَا^(٥)

كَانَ لَا يَنْحَنِي لَغَيْرِكَ إِجْلَا * لَا وَلَا يَسْتَهِي سِوَاكَ حَيِّبَا

لَا تَعَيِّنْ يَا شَكِيبُ دَيْبِي * (إِنَّمَا الشَّيْخُ مَنْ يَدِبُّ دَيْبِيَا)^(٦)

كَمْ شَرِبْتَ الْمُدَامَ فِي حَضْرَةِ الشَّيْءِ * سَخَّ جِهَارًا وَكَمْ سَقَيْتَ الْحَلِيبَا

(١) الكهرباء : مقصور؛ وقد مدّه الشاعر هنا للضرورة . (٢) تسرى ، أى الكهرباء

والبسيطة : الأرض . وتجوّبها : تقطعها . يقول : إن أحشاه أوسع من الأرض مسالك .

(٣) يلاحظ أننا أثبتنا هذه القصيدة في باب الهجاء لما تفيد من وصف هذا الصوفي بصفة قبيحة؛

وهو ما يقصد إليه حافظ وإن كانت القصيدة في الغزل . (٤) شكيب : غلام تركى زعموا أنه كان

يمشقه هذا المتصوف . والدف (بالضم) أو (بالفتح) : والأول أفصح ، نوع من الطبل معروف ، يضربون

عليه في اللهو وبعض حلقات الذكر . (٥) تعمدت : قصدت . والتنائى : التباعد . والحريب :

المسلوب . (٦) الديب : المشى على هيئة كشي الشيوخ ؛ ويستعمل في الزحف آنسلا .

والشطر الأخير من هذا البيت عجزييت لشاعر قديم ، وصدره :

زعمنى شيخا ولست بشيخ * إنما الشيخ ... البيت

فَسَلُّوا سُبْحَتِي فَهَلْ كَانَ تَسْبِي * حَيَّ فِيهَا إِلَّا (شَكِيًّا شَكِيًّا)
 (١) وَإِذَا أَذَقَ الشُّبُوحَ غَرَامُ * كُنْتُ فِي حَلَّةِ الشُّبُوحِ قَيِّمًا
 عَذِّ إِلَيْنَا فَقَدْ أَطَلَّتِ التَّجَافِي * وَارْكَبِ الْبَرْقَ إِنْ أَطَقْتَ الرُّكُوبَا
 (٢) وَإِذَا خِفْتَ مَا يُخَافُ مِنَ الْيَمِّ فَرَشْنَا لَأَنحَصَّ بِكَ الْفُلُوبَا
 (٣) وَدَعَوْنَا بِسَاطِ صَاحِبِ يَلْقِدِ * سَ فَلَبَّى دُعَاءَنَا مُسْتَجِيًّا
 (٤) وَأَمَرْنَا الرِّيَّاحَ تَجْرِي بِأَمْرِ * مِنْكَ حَتَّى زَاكَ مِنَّا قَرِيًّا

فِي بَائِعِ كُتُبِ صَفِيْقِ الْوَجْهِ

أَدِيمُ وَجْهِكَ يَا زَنْدِيقُ لَوْ جُعِلَتْ * مِنْهُ الْوَقَايَةُ وَالتَّجْلِيدُ لِلْكَتَبِ
 لَمْ يَعْلَهَا عَنُكُوتُ أَيْمَانٍ تُرِكَتْ * وَلَا تُخَافُ عَلَيْهَا سَطْوَةُ اللَّهِ

فِي مَنْ كَثُرَتْ مَخَازِيهُ

هَذَا بَسْتِغِيثُ الطَّرْسِ وَالنَّقْصِ وَالَّذِي * يَحُطُّ وَمَنْ يَتْلُو وَمَنْ يَتَسَمَّعُ
 نَحَازِ وَمَا أَدْرِي إِذَا مَا ذَكَرْتُهَا * إِلَى الْحَمْدِ أَدْعَى أَوْ إِلَى اللَّوْمِ أَدْفَعُ

- (١) أدققه المرض : أثقله وأضناه . (٢) اليم : البحر . والأخص : ما لا يمس الأرض من باطن القدم ؛ ويراد به القدم كلها كما هنا . (٣) بلقيس ، هي ملكة سبأ ، وصاحبها هو نبي الله سليمان بن داود عليهما السلام ، وقصتها مع ذلك النبي الكريم مشهورة ؛ وقد ورد ذكرها في القرآن في سورة النمل . (٤) يريد بهذا البيت والذي قبله أننا نمهّد لك وسائل الإسراع في العودة . (٥) أديم الوجه : جلده ؛ يصف في هذا البيت وما بعده جلدة وجهه بالصفاقة . (٦) الطرس (بالكسر) : الصحيفة يكتب فيها . والنقص بكسر النون : المداد .

الأخوانية

ذكرى وتشوق

كتبها من السودان إلى صديقه محمد بك يرم

[نشرت في سنة ١٩٠٠ م]

- (١) أثرت بنا من الشوق القديم * وذكري ذلك العيش الرخيم
 وأيام كسوناها جمالا * وأرقصنا لها فلك النعيم
 (٢) ملأناها بنا حسنا فكانت * بجيد الدهر كالعقد النظيم
 (٣) وفتيان مساميح عليهم * جلايب من الذوق السليم
 (٤) لهم شيم الله من الأمانى * وأطرب من معاينة النديم
 (٥) كهملك في الخلعة والتصاوى * وإن كانوا على خلق عظيم
 دعوهم إلى أنيس فوافوا * موافاة الكريم إلى الكريم
 (٦) وجاءوا كالقطا وردت تميرا * على ظمأ وهبوا كاللسيم

(١) أثرت : هيجت . والعيش الرخيم : اللين الناعم . (٢) الجيد : العتيق .

(٣) المساميح : جمع مساح ، وهو الجواد الكريم .

(٤) الشيم : السجايا والأخلاق . والمعاينة : المناولة ؛ ويريد بها مناولة النمر .

(٥) كهملك ، أى كعزملك وإرادتك . أى هم كما شئت من خلاعة وهو .

(٦) القطا : الحمام ، الواحدة قطاة ، ويضرب بها المثل في الاهتداء ، فيقال : « أدل من قطاة »

لأنها لا تخطئ الطريق ليلا في القلاة . والماء النير : الناجع في الرى .

- (١) ^(١) وَكَانَ اللَّيْلُ يَمْزِجُ فِي شَبَابٍ * وَيَلْتَهُو (بِالْمَجَرَّةِ) وَالنُّجُومُ
 (٢) ^(٢) فَوَاصِلَنَا كُتُوسَ أَلْرَّاحِ حَتَّى * بَدَتْ لِلْعَيْنِ أَنْوَارُ الصَّرِيمِ
 (٣) ^(٣) وَأَعْمَلْنَا بِهَا رَأْيَ (أَبْنِ هَانِي) * فَأَلْحَقْنَا بِأَصْحَابِ الرُّقِيمِ
 (٤) ^(٤) وَظَنِّي مِنْ بَنِي مُضِرٍّ غَيْرِ * شَيْئَ اللَّفِظِ ذِي خَدِّ مَشِيمِ
 (٥) ^(٥) وَلَحِظَ بَابِلِيَّ ذِي أَنْكَسَارٍ * كَأَنَّ بَطْرَفَهُ سَيَا أَلْيَتِيمِ
 (٦) ^(٦) سَقَانَا فِي مُنَادِمَةٍ حَدِيثًا * نَسِينَا عِنْدَهُ بَنَاتَ الْكُرُومِ

(١) مَرَح يَمْزِجُ (وِزَانُ فَرْحٍ يَفْرَحُ) : تَبَخَّرَ وَأَخْتَالَ . وَشَبَابُ اللَّيْلِ : أَوَّلُهُ . وَالْمَجَرَّةُ : مَجْمُوعَةُ
 نَجْمٍ كَثِيرَةٍ يَنْتَشِرُ ضَوْؤُهَا فَيَرَى كَأَنَّهُ بَقْعَةٌ بَيَاضٌ فِي السَّمَاءِ ، وَتَشَبَّهُ بِالنَّهْرِ ، فَيَقَالُ : نَهْرُ الْمَجَرَّةِ .

(٢) الصَّرِيمُ (هَنا) : الصَّبِيحُ . (٣) يَرِيدُ أَبَا عَلِيٍّ الْحَسَنَ بْنَ هَانِيٍّ الْحَكَمِيِّ ، الْمَشْهُورِ بِأَبِي نَوَاسٍ
 مِنْ أَتَمَّةِ شُعْرَاءِ الدَّوْلَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ ، وَلَدَ بِالْبَصْرَةِ سَنَةَ خَمْسٍ وَأَرْبَعِينَ وَمِئَةً ، وَقَبْلَ سَنَةِ سِتٍّ وَثَلَاثِينَ وَمِئَةً .
 وَتَوَفَّى سَنَةَ خَمْسٍ وَتِسْعِينَ وَمِئَةً ، وَقَبْلَ سَنَةِ ثَمَانٍ وَتِسْعِينَ وَمِئَةً ، وَدُفِنَ بِبَغْدَادٍ رَكَانَ كَثِيرِ الْمَجْهُونِ ، دَائِمُ
 التَّشْيِيبِ ، مَدْمَنَا لَخْمَرٍ . وَأَصْحَابُ الرُّقِيمِ : هُمُ أَصْحَابُ الْكَهْفِ الْمَذْكُورُونَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى :
 (أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرُّقِيمِ) الْآيَةَ . وَيُشِيرُ الشَّاعِرُ بِهَذَا الْبَيْتِ إِلَى نَوْمِهِمْ فِي كَهْفِهِمْ ، أَيْ
 مَغَارَتِهِمْ ، مَدَّةً طَوِيلَةً ، قَالَ تَعَالَى : (وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تَسْمًا) . وَالرُّقِيمِ :
 قُرَيْبِهِمْ الَّتِي نَرْتَجُوا مِنْهَا ، أَوْ جَبَلِهِمْ الَّذِي كَانَ فِيهِ الْكَهْفُ . وَقَبْلُ : الرُّقِيمِ لَوْحُ رِصَاصٍ نَقَشَ فِيهِ نَسَبُهُمْ
 وَأَسْمَاؤُهُمْ وَقَصَصُهُمْ وَدِينُهُمْ ، وَمَمَّ هَرَبُوا . يَرِيدُ أَنَّهُمْ هَرَبُوا عَلَى مَذْهَبِ أَبِي نَوَاسٍ فِي الشَّرْبِ حَتَّى تَامُوا
 نَوْمَهُ أَهْلُ الْكَهْفِ .

(٤) الْغَرِيرُ : الْحَدِيثُ السَّنُّ الْغَافِلُ ، الَّذِي لَمْ يَجْرِبِ الْأُمُورَ لِحْدَاثَتِهَا . وَالْمَشِيمُ : الَّذِي فِيهِ شَامَةٌ ،
 أَيْ خَالٌ فِي خَدِّهِ .

(٥) الْبَابِلِيُّ : نِسْبَةٌ إِلَى بَابِلَ ، وَهِيَ نَاحِيَةٌ بِالْعِرَاقِ ، مِنْهَا الْكُوفَةُ وَالْحِلَّةُ ، يَنْسَبُ إِلَيْهَا الْخَمْرُ وَالسَّحَرُ .
 وَيُرِيدُ «بِالْحِفْظِ الْبَابِلِيُّ» أَنَّهُ يَعْمَلُ فِي الْعُقُولِ وَالنُّفُوسِ عَمَلَ الْخَمْرِ وَالسَّحَرِ . وَأَنْكَسَارُ الْحِفْظِ : قُتُورُهُ . وَسَيَا
 الْيَتِيمِ : ضَعْفُهُ وَمِثْلُهُ ، لِأَنَّهُمَا أَظْهَرَا مَا يَكُونَانِ فِي الْيَتِيمِ . وَالسَيَا وَالسَّمَاءُ : الْعَلَامَةُ وَالْهَيْئَةُ .
 (٦) بَنَاتُ الْكُرُومِ : الْخَمْرُ ، لِأَنَّهُمَا تَعْتَصِرُ مِنْهَا .

سَلَامُ اللَّهِ يَا عَهْدَ التَّصَابِي * عَلَيْكَ وَفِيَّ الْعَهْدِ الْقَدِيمِ
 (١) أَحْنُ لَهُمْ وَدُونَهُمْ قَلَاةٌ * كَأَنَّ فَيْسِحَهَا صَدْرُ الْحَلِيمِ
 (٢) كَأَنَّ أَدِيمَهَا أَحْشَاءُ صَبَّ * قَدْ أَتَهَبَّتْ مِنَ الْوَجْدِ الْأَلِيمِ
 (٣) كَأَنَّ سَرَابَهَا إِذْ لَاحَ فِيهَا * خِدَاعٌ لَاحَ فِي وَجْهِهِ اللَّئِيمِ
 (٤) تَضِلُّ بَلِيلُهَا (لُهْبٌ) فَتَحْكِي * (يُودَى أَلْتِيهِ) أَقْوَامَ الْكَلِيمِ
 (٥) وَتَمُشِي السَّافِيَاتُ بِهَا حَيَارَى * إِذَا تُقِلَّ الْهَجِيرُ عَنْ الْجَحِيمِ
 (٦) فَمَنْ لِي أَنْ أَرَى تِلْكَ الْمَغَانِي * وَمَا فِيهَا مِنَ الْحُسْنِ الْقَدِيمِ؟
 (٧) فَا حَظُّ (أَبْنِ دَاوُدَ) كَحَظِّي * وَلَا أُوتِيْتُ مِنْ عِلْمِ الْعَلِيمِ

- (١) القلابة : الصحراء الواسعة . (٢) أديم القلابة : وجهها وظاهرها .
- (٣) السراب ، هو ما تراه نصف النهار على بعد عند اشتداد الحر (يحسبه الظمان ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا) . ويشبهون به من يطمعك ظاهره وتونسك حقيقته .
- (٤) لُهب (بكسر اللام وسكون الهاء) : قبيلة من الأزد باليمن كانت على معرفة تامة بالنجوم تسرى على ضوئها وتعرف بها السبل ، كما كان يضرب بها المثل في العياقة والزجر . ووادى التيه : هو القسم المنحصر بين خليج السويس وخليج العقبة من شبه جزيرة طور سيناء ؛ وسمى بالتية لأن بني إسرائيل قد تاهوا فيه أربعين سنة ، كما قص الله تعالى ذلك في القرآن الكريم . والكليم : نبي الله موسى عليه السلام . يقول : إن ما بيننا من فياف لومرت فيها لُهب لما أفادتها خبرتها ، ولضلت كما ضل قوم موسى في التيه .
- (٥) السافيات : الريح التي تسف التراب ، أي تحملها وتذروه . والهجير : شدة الحر . أي أن الرياح تسير فيها حائرة لا تهتدي إلى وجهة من اتساع أقطارها ، وتبحث عن كنف من ذلك الحر الذي كأنه أقطع من الجحيم .
- (٦) المغاني : المنازل التي غنى بها أهلها ، أي أقاموا ، الواحد مغنى (بفتح الميم وسكون الغين) .
- (٧) ابن داود ، هو نبي الله سليمان بن داود صلوات الله عليهما وسلامه . والمعنى أنه لم يؤت من الحظ ما أوتي سليمان بن داود من تسخير الرياح والجن لأمره ، فيحملانه إلى تلك المغاني والمنازل التي يتشوق إلى رؤيتها والإقامة فيها .

(١) ولا أنا مُطْلَقٌ كَالْفِكْرِ أُسْرِي * فَاسْتَبَقُ الضَّوَاحِكَ فِي الْغُيُومِ
 (٢) وَلَكِنِّي مُقَيَّدَةٌ رِحَالِي * بِقَيْدِ الْعَدَمِ فِي وَادِي الْهُمُومِ
 (٣) تَزَحَّتْ عَنِ الدِّيَارِ أَرْوَمُ رِزْقِي * وَأَضْرِبُ فِي الْمَهَامِهِ وَالتُّخُومِ
 (٤) وَمَا غَادَرْتُ فِي السُّودَانِ قَفْرًا * وَلَمْ أَصْبُغْ بِتُرْبَتِهِ أَدِيمِي
 (٥) وَهَآنَا بَيْنَ أَنْيَابِ الْمَنَابَا * وَتَحْتَ بَرَاثِنِ الْخَطْبِ أَبْجَسِيمِ
 (٦) وَلَوْلَا سَوْرَةُ الْمَجْدِ عِنْدِي * قَنِتُ بِعِشْتِي قَنَعَ الظَّلِيمِ



(٧) أَيَابُنَ الْأَكْرَمِينَ أَبَا وَجَدًا * وَيَابْنَ عُضَادَةَ الدِّينِ الْقَوِيمِ
 (٨) أَقَامَ لِدِينِنَا أَهْلُكَ رُكْنًا * لَهُ نَسَبٌ إِلَى رُكْنِ الْخَطِيمِ

- (١) « استبق الضواحك » الخ : أسبق البريق في السحب ، أى أجاززها وأخلفها ورأى .
 (٢) العدم : الفقر . (٣) تزحّت : بدت . وضرب في الأرض : خرج فيها ساعيا .
 والمهامه : جمع مهمه ومهمه ، وهى المقازاة البعيدة المتسعة . والتخوم : الحدود بين الأرضين .
 (٤) الأديم : الجلد . يريد أنه لم يترك قفرا في السودان إلا خلط جلده بترابه . قسوله :
 « لم أصبغ » الخ : صفة لقوله « قفرا » ، واقران جملة الصفة بالوارك حنا غير مقيس ، وزادتها
 لتأكيد لصوق الصفة بالموصوف ، ومنه قوله تعالى : (وما أهلكنا من قرية إلا ولها كتاب معلوم) .
 (٥) المعروف المشهور « هانذا » إلا أن مثل هذا ورد في الشعر ، ومنه قوله :
 فهأننا تائب عن حب ليلي * فإلك كلما ذكرت تذوب
 والبراثن : مخالب الأسد ، الواحد برثن (بضم الباء والتاء وسكون ما بينهما) .
 (٦) سورة المجد : أثره وأمارته . والظليم : ذكر النعام . وقد ضرب الشاعر قناعة النعام مثلا
 في الاكتفاء بأقل القوت ولو كان مما لا يقتات به ، وذلك لأن النعام يقتات بما يجده في القفلة من
 الحصى والحجارة إذا أعوزه القوت وعز عليه الكلاء . (٧) العضادة : الذى يعاضدك
 أى يعاونك . (٨) الخطيم : حجر الكعبة ، أو هو ما بين الركن والمقام .

- (١) فما طاف العُفَاةُ به وعاذوا * بغير العَسْجَدِيَّةِ وَاللَّطِيمِ
(٢) أَتَيْتَكَ وَالْحُطُوبُ تُزِفُ رَحْلِي * ولي حالٌ أَرْقُ مِنْ السَّيِّدِ
(٣) وقد أَصْبَحْتُ مِنْ سَعْيِي وَكَدَحِي * على الأَرْزَاقِ كَالثُّوبِ الرَّدِيمِ
(٤) فلا تُخْلِقْ - قَدِيتَ - أَدِيمَ وَجْهِى * ولا تَقْطَعْ مُوَاصِلَةَ الْحَمِيمِ

عتاب محمد البابلي بك^(٥)

[نشرت في سنة ١٩٠٠ م]

- (٦) أَنَحِي وَاللَّهِ قَدْ مَلِئَ الْوِطَابُ * وداخَلَنِي بِصُحْبَتِكَ آرْتِيَابُ
(٧) رَجَوْتُكَ مَرَّةً وَعَتَبْتُ أُخْرَى * فلا أَجْدَى الرَّجَاءِ وَلَا الْعِتَابُ
نَبَذْتَ مَوَدَّتِي فَأَهْنَأُ بِيُعْدِي * فَأَحِرُّ عَهْدِنَا هَذَا الْكِتَابُ

(١) العفاة : طلاب الأرزاق والمعروف ، مفردة العافي . والعسجدية : الإبل التي تحمل العسجد
أى الذهب . واللطيم : الإبل التي تحمل الطيب والبر ، واحده لطيمة . أى ما قصد أهلك قاصداً إلا عاد
مثقلا بالعطاء من ذهب وثياب . (٢) تزف رحلي ، أى تحملنى على الإسراع اليك ؛ يقال : أزفه :
إذا حمله على الزيف ، وهو الإسراع . ويجوز أن يقرأ تزف (بفتح التاء وضم الزاى) على سبيل التشبيه
بزفاف العروس ، وهو إهداؤها . والسديم : الضباب الرقيق ، جمعه سدم (بضم السين) .
(٣) الكدح : هو الدثوب فى طلب الرزق وكسبه بمشقة . والرديم : الثوب الخلق البالى .
(٤) تخلق ، من أخلق الثوب إذا أبلاه . وأديم الوجه : جلده . وإخلاق أديم الوجه : تغطية عن
إذلاله وابتذال حياته بالإلحاف فى المسألة . والحميم : الصديق ، جمعه أحماء (بكسر الحاء وتشديد الميم) .
(٥) هو محمد البابلي بن عبده البابلي بك الذى كان من كبار تجار الجواهر فى مصر ؛ وقد أدخل ولديه
محمد وأحمد فى مدرسة البوليس ، وبعد اتمامهما الدراسة بها ألحقا ببعض الأعمال فى الحكومة المصرية ،
ولكنهما لم يمكنا طويلا حتى تركا الحكومة وتفرغا لأعمالهما ؛ واشتهر محمد بظرفه وفكاهته الخلوة حتى إن بعض
الأدباء قد جمع كتابا ممتعا فى نكتة وطرائقه ؛ وكان من أصدقاء حافظ الملازمين له ؛ وكانت وفاته فى سبتمبر
سنة ١٩٢٤ م . (٦) الوطاب : جمع وطب (بالفتح) ، وهو فى الأصل سقاء اللبن ؛ والمراد أنه
قد أكثر من فعل ما يريب حتى امتلأت نفسه بالشك فى صدق مودته . (٧) أجدى : تقع .

بين حافظ وداود عمون

بعث حافظ بهذه القصيدة إلى داود عمون بك الشاعر اللبناني والمحامي المعروف

فأجابه عليها بقصيدة تأتي بعد

[نشرت في ٢٦ مارس سنة ١٩٠٢ م]

(١)
شَجْتَنَا مَطَالِيعُ أَقْمارِها * فَسَالَتْ نُفُوسٌ لَتَذْكارِها
وَبُنَا نَحْنُ لَيْلَكَ الْقُصور * وَأَهْلِ الْقُصورِ وَزُوارِها
(٢)
قُصورُ كَأَنَّ بروجَ السَّماء * خُدُورُ الغَواني بِأَدوارِها
(٣)
ذَكَرْنَا حِمَاها وَبَيْنَ الضُّلُوع * قُلُوبٌ تَلْظِي عَلَى نارِها
فَمَرَّتْ بِأَرْواحِنا هِزَّةٌ * هِيَ الكَهْرَباءُ بَنِيَّارِها
(٤)
وَأَرْضٌ كَسَتْها كِرامُ الشُّهور * حَرَارِمْ مِنْ نَسِيجِ (آذارِها)
(٥)
إِذَا تَقَطَّطَتْها أَكْغُفُ الغَمام * أَرَّتَكَ الدَّراري بِأَزْهارِها
(٦)
وَإِنْ طالَعَتْها ذُكاءُ الصَّباح * أَرَّتَكَ اللَّجَيْنِ بِأَنْهارِها

- (١) شَجْتَنَا : أطربتنا وشوقتنا . وسالت نفوس ، أى ذابت من اللوعة والشوق . والضمير في قوله :
« أقمارها » و « تذكارها » : للقصور في البيت التالي . (٢) يشبه خدور الغواني ، أى حيث
يسترون بروج السماء في الامتناع على من رامها . وأدوار القصور : طبقاتها ؛ وهو استعمال عامي .
(٣) تلظي : تلظي ، أى تحترق . (٤) وأرض (بالرفع) : عطف على قوله في البيت
الثالث : « قصور » . وآذار : الشهر الثالث من السنة المسيحية ، وهو شهر تكثرفه الأزهار .
(٥) الدراري (بتشديد الاء ، وخففها الشاعر لضرورة الوزن) : الكواكب المتوقدة المتلافة ، الواحد
درى (بتشديد الاء) . يقول : إن هذه الأرض إذا أمطرها السحاب أنبتت من الأزهار ما يشبه الكواكب
في إشراقها ولمعانها . (٦) ذكاء : الشمس . والجين : الفضة . يقول : إذا طلعت الشمس
على هذه الأرض بدت أنهارها تحت الشعاع كأنها الفضة في صفائها وبريقها .

(١) وَإِنْ هَبَّ فِيهَا نَسِيمُ الْأَصِيلِ * أَتَاكَ النَّسِيمُ بِأَخْبَارِهَا
 (٢) وَخِلُّ أَقَامَ بَارِضِ الشَّامِ * فَبَاتَتْ تُبْدِلُ عَلَى جَارِهَا
 وَأَصْحَتْ تَتَبِعُهُ رَبِّ الْقَرِيضِ * صَكَّتِهِ الْبَوَادِي بِأَشْعَارِهَا
 وَلَنَيْلُ أُولَى بِذَلِكَ الدَّلَالِ * وَمِصْرٌ أَحَقُّ (بِبَشَارِهَا)
 (٣) فَشَمَّرٌ وَعَجَلٌ إِلَيْهَا الْمَلَابِ * وَخِلُّ الشَّامِ لِأَقْدَارِهَا
 فَكَيْفَ لَعَمْرِي أَطَقْتَ الْمَقَامِ * بَارِضٌ تَضَيِّقُ بِأَحْرَارِهَا؟
 وَأَنْتَ الْمُشَمَّرُ إِثْرَ الْمَظَالِ * سِمْ تَسْعَى إِلَى تَحْوِ آثَارِهَا
 (٤) ثَارَتْ اللَّيَالِي وَأَقْعَدَتْهَا * بِمَصْقُولٍ عَزَمَكَ عَنْ ثَارِهَا
 (٥) إِذَا ثُرَتْ مَا جَتِ هِضَابُ الشَّامِ * وَبَاتَتْ تَرَامِي بِشُورِهَا
 (٦) أَلَسْتَ قَتَاهَا وَمُخْتَارِهَا * وَشَيْبَلٌ قَتَاهَا وَمُخْتَارِهَا؟
 وَإِنْ قُلْتَ أَصَغَتْ مُلُوكُ الْكَلَامِ * وَمَالَتْ إِلَيْكَ بِأَبْصَارِهَا
 (أَدَاوُدُ) حَسْبُكَ أَنَّ الْمَعَالِ * سَى تَحْسَبُ دَارَكَ فِي دَارِهَا
 وَأَنْتَ ضَمَائِرُ هَذَا الْوُجُودِ * تَبُوحُ إِلَيْكَ بِأَسْرَارِهَا

- (١) الأصيل : وقت ما بعد العصر إلى المغرب . يقول : ان النسيم اذا هب على هذه الأرض حمل من طيها وروائحها العطرة ما يدل على ما فيها من الأزهار والرياحين . (٢) يريد بالخلل : داود بك المدوح . وتدل : من الدل ، وهو معروف . ويريد «بجَارِهَا» : وادى النيل . (٣) المَلَابِ : الرجوع . (٤) المصقول من السيوف : المجلّز . ومعنى البيت أنه جعل ليالي عنده ثارا بانتصاره على أحداثها ونوائها ، ثم أعجزها عن طلب ثارها بمضاء مزمه . (٥) تَرَامِي : تَرَامَى . (٦) الشبل : ولد الأسد .

(١) وَأَنْتَ إِمَّا حَلَلْتَ الشَّامَ * رَأَيْتَكَ جَذْوَةَ أَفْكَارِهَا

(٢) وَإِنْ كُنْتَ فِي مِصْرَ نَعِمَ النَّصِيرَ * إِذَا مَا أَهَابَتْ بِأَنْصَارِهَا

أبيات داود بك التي أجاب بها حافظا

(٣) أَمِنْ ذِكْرِ سَلْمَى وَتَذْكَارِهَا * نَثَرْتَ الدُّمُوعَ عَلَى دَارِهَا

(٤) وَعِغْتَ الْقُصُورَ لِأَجْلِ الطُّلُولِ * تُطَالِعُ طَامِسَ آثَارِهَا

(٥) وَقَفْتُ بِهَا لَيْلَى نَاشِدًا * عَسَاهَا تَبُوحُ بِأَسْرَارِهَا

(٦) وَلَلدَّارُ أَنْطَقُ آيَاتِهَا * مِنْ الرَّاوِيَاتِ وَأَخْبَارِهَا

تُعِيدُ عَلَيْكَ لَيْلَى الْحُمَى * بِأَنْجُمِهَا وَبِأَقْسَارِهَا

(٧) سَلَامٌ عَلَيْكَ زَمَانَ الشَّبَابِ * رَبِيعَ الْحَيَاةِ بَاذَارِهَا

(٨) لَأَنْتَ مُخَفِّفُ أَحْزَانِهَا * وَأَنْتَ مُسَوِّغُ أَكْثَادِهَا

وَلَوْلَا الشَّبَابُ وَذِكْرَى الشَّبَابِ * لَعَاشَ الْفَتَى عُمُرَهُ كَارِهَا

(٩) قَطَفْنَا الْحَيَاةَ بِهِ حُلْوَةً * وَقَدْ جَاءَ إِبَابُ إِمْرَارِهَا

أَطْوَفُ فِي الشَّرْقِ عَلَى أَرَى * بِإِلَادَا تَطِيبُ لِأَحْزَارِهَا

(١) الجذوة (بتثنية الجيم) : الجرة الملتبة . (٢) أهاب به : دعاه . (٣) يلاحظ أن التذكار هو نفس الذكر ؛ فالجمع بينهما تكرر ظاهر . (٤) عاف الشيء : رغب عنه وزهد فيه . وتطالع : تنظر . والطامس من آثار الديار وغيرها : ما اندثر منها وانحى . (٥) الناشد : السائل . (٦) أنطق آياتها ، أى آثارها أنطق ؛ وفي هذه العبارة نبوة واضطراب ظاهران ؛ ومعنى البيت أن آثار الديار أروىح بيانا عن أنباء من سكنوها من يحدث عنها ويروي أخبارها . (٧) شبه زمن الشباب بالربيع ، وهو أنصرف فصل السنة . (٨) مسوغ أكدارها ، أى سهل وقع مصائبها وأحزانها . (٩) إبان الشيء : وقته .

فَلَمْ أَرَ إِلَّا أُمُورًا تَسُوءُ * وَتَصُدُّعُ أَكْبَادَ نَظَائِرِهَا
 (١) فُظِّلْتُ بِتِلْكَ وَذُلُّ بِهَيْذِي * وَجَهْلٌ مُغَشٍّ لَأَبْصَارِهَا
 (٢) تَعَقُّ مَرَاحِمَ رُغْيَانِهَا * وَتَرَعَى الْوَلَاءَ لِحَزَارِهَا
 (٣) إِذَا شَاءَ (قَاسِمٌ) رَفَعَ الْحِجَابَ * تُسَمِّيهِ هَاتِكَ أَسْتَارِهَا
 (٤) فَلَا قَوْلَ إِلَّا لِحُتَاهَا * وَلَا رَأْيَ إِلَّا لِأَغْرَارِهَا
 يَدِبُّ التَّرَانِي عَلَى تَرْيَا * وَيَجْرِي الْخُمُولُ بِأَنْهَارِهَا
 (٥) مَنَالُ السُّرُوقِ بِإِرْغَامِهَا * وَمَرْجَى الْفَلَاحِ بِإِجْبَارِهَا
 أَهَذَا الَّذِي أَوْرَثَتْ أَهْلَهَا * بِسِلَادِ الْعُلُومِ وَأَنْوَارِهَا؟



صَدِمْتُ حَيَاتِي إِذَا لَمْ أَقِفْ * حَيَاتِي عَلَى تَقَعِ أَمْصَارِهَا
 (أَحَافِظُ) هَذَا بِجَالِ الْعُلَا * فَشَمَّرُ لَسَبْقِي بِمَضْمَارِهَا
 (أَشَوْقِي) (أَحَافِظُ) طَالَ السُّكُوتُ * وَتَرَكْتُ الْأُمُورَ لِأَقْدَارِهَا
 (٦) فَصُوغًا الْقَوَائِي مَصْقُولَةً * وَشُقًا أَبْجُلُودَ بَيْتَارِهَا

(١) مغش لأبصارها، أى يحجبها بفشاوة . (٢) الولاء : الحب . يريد أن الأمم الشرقية
 تمجد الجليل لأنصارها وأراليائها، وتسدى المودة لخصومها وأعدائها . (٣) يريد المرعوم قاسم بك
 أمين . وقد منعه من الصرف هنا لضرورة الوزن . ويشير بهذا البيت إلى رأى قاسم أمين في حرية المرأة
 وما لقيه في سبيل ذلك من القصد الشديد . (٤) الأغرار : الذين لا تجربة لهم ، واحده غر بكسر
 الغين وتشديد الراء . (٥) يريد أن الرق والفلاح إنما ينالهما في هذه الأمم الشرقية من أطاع المستعمرين
 في إرغامها على ما تكره وإكراهها على ما لا تحب . (٦) المصقولة : العافية المجلوة . والبتار من
 السيوف والبار : القاطع منها .

(١)
عَسَاهَا تُحَرِّكُ أَوْطَانَنَا * وَتَنْشُرُ مَيِّتَ أَحْيَائِهَا
أَقُولُ وَأَعْلَمُ أَنِّي سَارُمِي :: بَأَنِّي مُحَرِّكُ نُوَارِهَا
(٢)
وَأَنِّي الدَّخِيلُ وَأَنِّي الْغَرِيبُ * وَأَنِّي النَّصِيرُ لِقَهَارِهَا
أَحِبُّ بِلَادِي عَلَى رَغْمِهَا * وَإِنِّي لَمْ يَنْتَلِنِي سِوَى عَارِهَا
(٣)
وَلَسْتُ بِأَقُولُ ذِي هِمَّةٍ * تَصْدَى الزَّمَانُ لِإِنْكَارِهَا

(٤)
(إلى إسماعيل صبرى باشا)
عند استقالته من وكالة الحفانيّة

[نشرت في ٩ فبراير سنة ١٩٠٧م]

(٥)
يَا صَارِمًا أَتَيْتُ الشَّوَاءَ يَغْمِدُهُ * وَأَبَى الْقَرَارَ، أَلَا تَرَالُ صَقِيلًا
(٦)
فَالْبَيْضُ تَصْدَأُ فِي الْجُفُونِ إِذَا ثَوَتْ * وَالْمَاءُ يَأْسُنُ إِنْ أَقَامَ طَوِيلًا

- (١) نشر الميث وأشره : أحياه . ويلاحظ أن هنا غلطا في حرف الروى ، إذ عدل الشاعر في هذا البيت عن الراء إلى الهمز . (٢) الدخيل في القوم : الداخل فيهم المنتسب إليهم وليس منهم . (٣) تصدى : تعرض . (٤) ولد المرحوم إسماعيل صبرى باشا في سنة ١٨٥٤م وبعد أن أخذ حظه من التعلم في مصر وقال شهادة الحقوق سافر إلى أورد با فأتى علومه القانونية هناك ؛ وقال الشهادة من كلية إكس ، وبعد عودته إلى مصر تولى عدة مناصب قضائية وإدارية ، وأتم منصب تولاه وكالة الحفانيّة ، واعتزله في سنة ١٩٠٧م وكانت وفاته في ربيع سنة ١٩٢٣م وشعره معروف بالركة ولطف الصياغة وجودة النسيب ، كما اشتهر بالاجادة في المقطعات الصغيرة . (٥) الصارم : السيف القاطع . والشواء : الإقامة . والصقيل : المجلو ؛ يقال : صقله يصقله (بضم القاف) صقلا وصقلا ، إذا جلاه وكشف صدأه . شبه صبريا بالسيف القاطع المجلو ، ومنصبه الحكومى بالتمدد الذى يستقر فيه السيف . (٦) البيض : وصف يكتنى به عن السيوف . وجفون السيوف : أغصانها ، الواحد جفن . وثوت : أقامت . وأسن الماء (من باب ضرب ونصر وعلم) فهو آسن : تغير فلم يشرب .

- (١) أَهْلًا بِمَوْلَايَ الرَّئِيسِ وَلَيْسَ مِنْ * شَرَفِ الرَّأْسَةِ أَنْ أَرَاكَ وَكِيلًا
فَاطْرَحَ مَعَاذِيرَ السُّكُوتِ وَقُلْ لَنَا * هَلَّا وَجَدْتَ إِلَى الْكَلَامِ سَبِيلًا؟
(٢) وَأَضْرِبْ عَلَى الْوَتْرِ الَّذِي أَهْتَرْتُ لَهُ * أَعْطَانَا زَمَنًا وَغَرَّتْ النَّيْلَا
(٣) وَآرَدْتُ عَلَى مُلْكِ الْقَرِيضِ جَمَالَهُ * تَصْنَعُ بِصَاحِبِكَ الْقَدِيمِ جَمِيلًا
(٤) مَا زَالَ يَرْجُو أَنْ يُقَالَ عِثَارُهُ * حَتَّى أَقَالَ اللَّهُ (إِسْمَاعِيلًا)

(ذكرى وتشوق)

كتب بها إلى صديقه أحمد بك بدر وهو في كلية أدنبره بإنجلترا

[نشرت في ١٥ يولييه سنة ١٩٠٨ م]

- (٥) مُلِكْتُ عَلَى مَذَاهِبِي * وَعَصَانِي الطَّبَعُ السَّلِيمُ
وَجَفَا يَرَايَ الصَّاحِبَا * بِنِ فلا الثَّيْرُ وَلَا النَّظِيمُ
أَشَقَى وَأَكْثَمُ شَفَوَاتِي * وَاللَّهُ بِي وَبِهَا عَلِيمُ
(٦) حَلِمَ الْأَدِيمُ وَمَا الَّذِي * أَرْجُو وَقَدْ حَلِمَ الْأَدِيمُ

- (١) وكيلًا، يريد وكالة ممدوحه لوزارة الحفانية، وهي آخر المناصب التي تولاهما .
(٢) الأعطاف : الجوانب؛ الواحد عطف . (٣) يريد «بصاحبه القديم» : الشعر .
(٤) يقال : أقلت فلانا عثرته وأقلت منها ، أى عفوت عنه ودفعت عنه شر ما كان يتوقع بسببها .
ويريد بالإقالة الثانية : تخلى ممدوحه عن منصبه . وأصل الإقالة فى البيع فسخه والتحلل مما يوجبه عقده .
(٥) ملكت عليه مذاهبه ، أى سدت عليه سبل القول .
(٦) حلم الأديم : مثل يضرب فى فساد الأمر حتى لا يربحى صلاحه . والأديم : الجلد ؛ يقال :
حلم الأديم بحلم (وزان علم يعلم) ، اذا وقع فيه الحلم (بالتحريك) ، وهو دود يقع فيه حتى يفسد وينتقب .

لَا مِضْرُ تُصِفُنِي وَلَا * أَنَا عَنْ مَوَدَّتِهَا أَرِيمُ^(١)
 وَإِذَا تَحَوَّلَ بِأُسْ * عَنْ رَبِّهَا فَأَنَا الْمُقِيمُ
 فِيهَا صَحْبُكَ وَأَصْطَفَيْد * نَكَّ أَيُّهَا الْحِلُّ الْحَمِيمُ
 أَنَا مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ خَبَر * تَ وَمَنْ مَوَدَّتُهُ تَدُومُ
 لِلَّهِ ذِيَاكَ الْجَوَا * رُ وَذَلِكَ الْعَيْشُ الرَّخِيمُ^(٢)
 بِالْجَانِبِ الْغَرْبِيِّ فَوْ * قَ النَّيْلِ وَالْدُّنْيَا نَعِيمُ
 أَيَّامَ يَعْرِفُنَا السُّرُ * رُ بِهَا وَتُتَكِرُنَا الْهُمُومُ
 أَيَّامَ نَلْهُو بِالظُّبَا * ءِ فِي مَسَارِحِهَا نَهِيمُ^(٣)
 لَا أَنْتَ تُصَنِّفِي لِلْعَدُو * لِ وَلَا أَبَالِي مَنْ يَلُومُ
 لِلَّهِ أُنْدِيَّةٌ لَنَا * قَدْ زَانَهَا أَنْخَلُوقُ الْكَرِيمُ
 لَمْ يَغْشَاهَا وَغَدُ وَلَمْ * يَتَرَلَّ إِسَاحَتَهَا لَيْمُ
 تَمْشِي أَنْخَلَاعَةٌ فِي نَوَا * حِيهَا تُرَاقِبُهَا الْحُلُومُ^(٤)
 هُوَ كَمَا شَاءَ الصَّبَا * وَجِبَا كَمَا شَاءَ الْحَكِيمُ^(٥)
 وَمُدَامَةً يَسْعَى بِهَا * مَتَادِبُ وَيَطُوفُ رِيمُ^(٦)

(١) أريم : أنحول . (٢) العيش الرخيم : اللين الرغد .

(٣) المسارح : المراعى ، الواحد مسرح .

(٤) الحلوم : العقول ، الواحد حلم . ويريد بقوله : «تراقبها الحلوم» : أن هذه الخلاعة لم يجاوز

فيها الحد . (٥) الجبا : العقل . (٦) الريم : الظبي الخالص البياض ، شبه به الساق .

يَجْرِي عَلَى كَاسَاتِهَا * أَنَسُ يَخْفُ لَهُ الْحَلِيمُ
لَا تَشْتَكِي مِنَّا وَلَا * يَشْكُو عَوَاقِبَهَا النَّدِيمُ
وَالنَّيْلُ مِرَاةٌ تَنْفَعُ * سَ فِي صَحِيفَتِهَا النَّسِيمُ
سَلَبَ السَّمَاءِ نُجُومَهَا * فَهَوَتْ بُلُجَّتِهِ تَعُومُ^(١)
نُشِرَتْ عَلَيْهِ غِلَالَةٌ * بَيَضَاءُ حَاكَتْهَا الْغُيُومُ^(٢)
شَفَّتْ لَأَعْيُنِنَا سَوَى * مَا شَابَهُ مِنهَا الْأَدِيمُ^(٣)
وَكَاثَنَا فَوْقَ السَّمَاءِ * وَتَحْتَنَا ذَاكَ السَّيِّدُ^(٤)
تَجْرِي الْحَوَادِثُ حَيْثُ تَجِدُ * بَرَى لَا نُضَامُ وَلَا نَضِيمُ^(٥)
لَا الصَّبْحُ يُزِجُّنَا بَازِدُ * بَاءِ الزَّمَانِ وَلَا الصَّرِيمُ^(٦)
يَا لَيْتَ شِعْرِي كَيْفَ أَزِدُ * مَتَّ وَكَيْفَ حَالُكَ يَا زَعِيمُ^(٦)
أَمَّا أَنَا فَكَمَا أَنَا * أَبْلَى كَمَا يَبْلَى الرَّيِّمُ^(٦)
لَا يَخْلُ بَعْدَكَ مُؤْنِسُ * نَفْسِي وَلَا قَلْبُ رَحِيمُ

(١) يريد بهذا البيت أن نجوم السماء قد تمثلت على صفحته لصفاء مائه .

(٢) الغلالة (بالكسر) : ثوب رقيق . وحاكها : نسجها .

(٣) شفت : رقت . وشابه : خالطه ومازجه . « ويريد بالأديم » : أديم السماء ، أى ظاهرها .
يقول : إن هذه الغلالة تمثلت على صفحة الماء كالثوب الممزق . وكانت الغيوم قطعاً في السماء ، فإصادف
من وجه الماء انعكاس غيم كان شفافاً يبين ما تحته ، وما صادف منه أديم السماء بدا غير شفاف .

(٤) السديم : الضباب الرقيق ، شبه به البحر الذي يجري من تحتهم .

(٥) الصريم : الليل . (٦) الرديم : الثوب القديم .

(١) كَادَ الزَّمَانُ لَنَا وَلَا * عَجَبٌ إِذَا كَادَ الْغَرِيمُ
 (٢) أَمْسَى أَحْتَوَاكَ الزَّمْهَرِيدُ * رُ وَظَلَّ يَصْهَرُنِي الْجَحِيمُ
 (٣) فَشَرَابُكَ الْمَاءُ الشُّنَا * نُ وَشُرْبِي الْمَاءُ الْحَمِيمُ
 (٤) وَمُنَاكَ لَوْ طَلَعَتْ ذُكَا * ءُ عَلَيْكَ فِي يَوْمٍ يَصُومُ
 (٥) وَمُنَايَ لَوْ مُحِقَتْ ذُكَا * ءُ وَغَالَهَا لَيْلُ بَيْمِ
 (٦) فَبَلَيْتِي الْحَرُّ الْأَلِي * مٌ وَخَطْبُكَ الْقُرُّ الْأَلِيمُ
 (٧) فَكَأَنِّي فِرْعَوْنٌ مِصْرُ * رَ وَأَنْتَ شَيْطَانُ رَجِيمِ
 (٨) فَأَبَعْتُ إِلَى بَنَفْحَةٍ * بَرْدًا بِهَا يَحْدُو الْهَزِيمُ
 (٩) أَبَعْتُ إِلَيْكَ بَلْفَحَةٍ * حَرِّي بِهَا تَجْرِي السُّومُ
 أَمَّا تَحِيَّتُنَا إِلَيْهِ * سَكَ فَسَوْفَ يَشْرَحُهَا الرِّقِيمُ

-
- (١) الغريم : الخصم . (٢) الزمهرير : شدة البرد . ويريد بالزمهرير : شدة البرد في اسكتلندا . (٣) الماء الشنان (بالضم) : البارد . والماء الحميم : الحار . (٤) ذكاه (بالضم) : اسم الشمس ، غير منصرف للعبية والتأنيث . ويقال : صام النهار : اذا قام قائم الظهيرة واعتدل ، ويقال : صامت الشمس (أيضا) اذا استوت . (٥) ليل بهيم : مظلم . (٦) القر (بالضم) : البرد . (٧) شبه الشاعر نفسه بفرعون مصر ، لأنه يعذب بالنار ، وصديقه بالشیطان الرجيم ، لأن الشيطان تارى الطبع يعذب بالزمهرير . (٨) البرد : حب التمام ، وهو مفعول « يحدر » . يقول : اهد الى نفحة من جوب بلادكم بردا يسبقه رعد . ويحدو ، من الحداء . والهزيم : الرعد . (٩) السوم : الريح الحارة . ولفحتها : إراقها .

شكر

أنشد هذه القصيدة في فندق الكونتنتال في الحفل الذي أقيم لكرمه

في يوم الجمعة ٣١ مايو ١٩١٢ م

مَلَكْتُمْ عَلَى عَنَانِ الْخُطْبِ * وَجُرُتُمْ بِقَدْرِ سَمَاءِ الرُّتْبِ
فَمَنْ أَنَا بَيْنَ مُلُوكِ الْكَلَامِ * وَمَنْ أَنَا بَيْنَ كِرَامِ الْحَسَبِ
أَتَسْعَى إِلَى حِمَاةِ الْقَرِيضِ * وَتَمْشِي إِلَى سَرَائِ الْعَرَبِ^(١)
وَتَنْظِمُ فِي عُقُودِ الْجَمَانِ * وَتَنْثُرُ فَوْقَ نِشَارِ الذَّهَبِ^(٢)
وَأَكْرَمَ حَتَّى كَأَنِّي نَبَغْتُ * وَنُفْتُ لِمَصْرَ بِمَا قَدْ وَجَبْتُ؟
فَإِذَا أَتَيْتُ مِنَ الْبَاقِيَاتِ * وَهَذَا شَبَابِي ضَيَاعًا ذَهَبَ^(٣)
عَمِلْتُ لِقَوِي جُهْدَ الْمُقِلِّ * عَلَى أَنَّهُ عَمَلٌ مُقْتَضِبُ^(٤)
فَلَمْ يُفْنِ شَيْئًا وَلَمْ يُجِدْهُمْ * وَلَمْ يَتَّقِ إِلَّا بَقَاءَ الْحَبِّ^(٥)
وَهَلْ أَنَا إِلَّا أَمْرٌ وَشَاعِرٌ * كَثِيرُ الْأَمَانِي قَلِيلُ النَّشْبِ^(٦)
يَقُولُ وَيُطْرَبُ أَتْرَابَهُ * وَيَقْنَعُ مِنْهُمْ بِذَلِكَ الطَّرَبِ^(٦)
تَعَلَّقْتُ حِينَ بَذِيلِ الْيَانِ * وَأَدْخَلْتُ نَفْسِي فِيمَنْ كَتَبَ

(١) حماة القرىض : رجال الشعر . والسراة : جمع سرى ، وهو الرفيع القدر من الناس .

(٢) الجمَان : الزلزال ، الواحدة جمانة . شبه به وبنثار الذهب ما قيل من الشعر والخطب في مدحه

والثناء على أدبه . (٣) المقنضب : المنقطع قبل التمام . (٤) الحبيب : الفقاقيع

التي تكون على سطح الماء . ويشبه به زوال الشيء بسرعة . (٥) النشب : المال .

(٦) أترابه : أمثاله في السن ، الواحد ترب (بكسر التاء وسكون الراء) .

فلا السُّبْقُ لِي فِي مَجَالِ النَّهْيِ * وَلَا لِي يَوْمَ الْفَخَارِ الْغَلَبُ
 وَلَا أَنَا مِنْ عِلْيَةِ الْكَاتِبِينَ * وَلَا أَنَا بِالشَّاعِرِ الْمُشَخَّبِ
 وَلَكِنْ سَمَاءِي عَطْفُ الْأَمِيرِ * وَرَأْيُ الْوَزِيرِ وَفَضْلُ الْأَدَبِ^(١)
 وَمَا كُنْتُ أَحْلَمُ - لَوْلَا الْوَزِيرُ - * بِهَذَا الْمَنَاءِ وَهَذَا اللَّقَبِ^(٢)
 عَلَى أَيْدِي لَهُ جَمَّةٌ * وَفَضْلٌ قَدِيمٌ شَرِيفُ السَّبَبِ^(٣)
 فَأَنَا أَقَالَ بِهِ عَثْرَتِي * وَأُورِي زِنَادِي وَأَنَا وَهَبُ^(٤)
 تَقِيَّاتُ مِنْهُ ظِلَالُ النَّعِيمِ * وَأَصْبَحْتُ أَعْرِفُ لُبْسَ الْقَصَبِ^(٥)
 وَأُمَشِي أَخْتِيَالًا إِلَى عَائِدِينَ * يُطَالِعُنِي بِدُرِّهَا عَنْ حَكَبِ^(٦)
 وَالنِّمُّ كَفَّ كَرِيمُ الْجُدُودِ * غِيَاثُ الْعَفَاةِ مُزِيلُ الْكُرْبِ^(٧)
 وَأَحْتَتَيْنِ وَفُودِ السَّرَاةِ * مَطَايَا الرَّجَاءِ لَذَاكَ الرَّحْبِ^(٨)
 أَتَوَا خَالِصِينَ لَوَجْهِ الْأَمِيرِ * فَلَا عَنْ رِيَاءٍ وَلَا عَنْ رَهَبِ^(٩)

(١) يريد « بالوزير » : أحمد حشمت باشا وزير المعارف إذ ذاك . ولد في كفر المصلحة من إقليم المنوفية في (سنة ١٢٧٥هـ) (سنة ١٨٥٨م) وبعد أن أتم علومه ونال شهادة الحقوق تولى عدة مناصب قضائية وإدارية في الحكومة المصرية ، وآخر المناصب التي تولاها نظارته للمعارف العمومية ، وتوفي في سنة ١٩٢٦م وكان له من الأيادي البيضاء على حافظ ما جعله يلهج بشكره في هذه القصيدة .

(٢) يريد لقب (البكوية) الذي أنعم عليه به في السنة المشار إليها في أول هذه القصيدة .

(٣) الأيادي : النعم . (٤) الضمير في « به » للفضل . يقال : أورى فلان زندي ، إذا أجابني إلى ما أطلب . والأصل في إيراد الزند ، أن تستخرج ناره . (٥) تقياً الظل : التجأ إليه واستظل به . (٦) يريد « بالبدر » : الخديوي عباس الثاني ، والكعب (بالحر بك) : القرب . (٧) العفاة : طلاب المعروف ، الواحد عاف (كقاف) . (٨) أحتت مطايا الرجاء ، أي أبشأ في سرعة . والسراة من الناس : الرفيع المنزلة ، الواحد مري (بفتح السين) . (٩) الرهب : الخوف .

لهم ما يشاءون من ربيهم * رضاء الأمير ونيل الأرب
 والكاشحين نكال الزمان * وتحس النجوم ذوات الذنب^(١)
 فعهد الأمير كعهد الرشيد * يمت إليه بجبل النسب^(٢)
 إليك (أبا حسن) أتمى * فازل مولى إليك أنتسب^(٣)
 عرفت مكاني فأدنتني * وشرقت قذري (بدار الكتب)^(٤)
 وعرفت دهرى مكان الأديب * وقد كان دهرى شديد الكلب^(٥)
 فلو أن لي مرقصات (الخليل) * وإغماز (شوقي) إذا ما رغب
 لقمْتُ بشركك حق القيام * ولكن طلبت فعز الطلب
 فشكري لصنعك شكر النبات * يطن القلاة لقطر السحب
 وشكراً (لشوقي) رسول القريض الـ * كريم الإخاء المتين السبب^(٥)
 وشكراً (لداود) رب اليراع * وشكراً (لتركيس) رب العجب
 وشكراً لكل كريم سعى * إلى وكل أديب خطب

- (١) الكاشحون : الأعداء الذين يطنون العداوة ، الواحد كاشح ، وذلك لأنه يتباعد منك ويوليكَ كشحه . (٢) أتمى : انتسب . ويريد « بأبي حسن » : المرحوم أحمد حشمت باشا . (٣) يشير إلى أن حشمت باشا هو الذي عين حافظاً في منصبه المعروف بدار الكتب . (٤) يريد « بالخليل » : خليل بك مطران الشاعر المعروف ؛ ومرقصاته : قصائده . (٥) داود ، هو داود بركات الكاتب اللبناني المعروف ، وكان رئيساً لتحرير جريدة الأهرام . ولد بقرية يحشوش من أعمال لبنان سنة ١٨٧٠ م ، وتوفي في ٤ نوفمبر سنة ١٩٣٣ م . وتركيس ، هو سليم تركيس الكاتب اللبناني المعروف ، محرر جريدة المشير ومجلة تركيس ، ولد في بيروت عاصمة لبنان سنة ١٨٦٩ م ، وكانت وفاته في سنة ١٩٢٥ م .

(١) هُمْ شَجَّعُونِي عَلَى أَنْ أَقُولَ * وَمَا كَانَ لِي بَيْنَهُمْ مَضْطَرَبٌ
 (٢) هُمْ أَلَمُّونِي فَصِيحَ الْكَلَامِ * هُمْ عَلَّمُونِي طَرِيقَ التَّخَبِ
 فَعَنْهُمْ أَخَذْتُ وَعَنْهُمْ صَدَرْتُ * وَمِنْ عِنْدِهِمْ فَضْلِي الْمَكْتَسَبُ
 فَخِيسُوا عَزِيزَ الْبِلَادِ الَّذِي * عَلَى الشَّجَبِ ذَيْلَ الْمَعَالِي سَجَبُ
 (٣) وَحَيُّوا (مَعِيدًا) وَزِيرَ الْأَمِيرِ * قَرِيبَ الصَّوَابِ بَعِيدَ الْغَضَبِ
 تَوَلَّى الرَّأْسَةَ وَالْحَادِثَاتِ * تَرَوُّعُ النَّفُوسِ يَوْجُ النَّوَبِ
 فَسَاسَ الْبِلَادَ وَأَرْضَى الْعِبَادَ * وَأَرْضَى الْأَمِيرَ وَأَرْضَى الْأَدَبَ

(٤) إِلَى حَفْنِي نَاصِفِ بَكْ

قالها في حفل أقامه أعضاء نادى ملنطا لتكريم حَفْنِي بَكْ لانتقاله من القضاء الى الضمير بنظارة المعارف

[نشرت في ٥ أكتوبر سنة ١٩١٢ م]

(٥) يَا يَوْمَ تَكْرِيمِ (حَفْنِي) * أَرْهَفْتَ لِلْقَوْلِ ذَهْنِي
 فَيَا قَرِيضُ أَجِبْنِي * وَيَا بَيَانُ أَعِنِّي

(١) المضطرب: المذهب. (٢) طريق التخب، أى طريق التخب من الكلام المختار منه، وهو جمع نخبة (بضم النون وسكون الخاء أو بضمهما). (٣) يريد المرحوم محمد سعيد باشا وكان رئيسا للوزارة إذ ذاك. (٤) حَفْنِي بَكْ نَاصِفِ هُوَ ابْنُ الشَّيْخِ إِسْمَاعِيلِ نَاصِفٍ؛ وَلَدَ عَامَ ١٢٧٢ هـ فِي ضَاحِيَةِ مَنْ خَوَاحِي الْقَاهِرَةِ تَدْعَى بَرَكَةَ الْحَاجِّ، ثُمَّ دَخَلَ كَتَابَ الْقُرْيَةِ فَالْأَزْهَرُ فِدَارُ الْعُلُومِ، ثُمَّ كَانَ أَسَازَ الْفَنِّ الْعَرَبِيِّ فِي مَدَارِسِ الْحُكُومَةِ، وَأَخْتِيرَ لِلتَّدْرِيسِ فِي مَدْرَسَةِ الْحَقُوقِ، فَرَأَى أَنْ يَشَارَكَ طُلُبَتَهَا فِي دُرُوسِهِمْ، فَتَعَلَّمَ الْقَانُونَ وَتَرَكَ التَّدْرِيسَ وَانْتُخِبَ كَاتِبَ سِرِّ النَّائِبِ الْعُمُومِيِّ، ثُمَّ عَيَّنَ قَاضِيًا بِالْمَحَاكِمِ الْأَهْلِيَّةِ سَنَةَ ١٨٩٢ م فَوَيْلًا لِاحْدَى الْمَحَاكِمِ، وَانْتُخِبَ لِلتَّدْرِيسِ الْأَدَبِ الْعَرَبِيِّ فِي الْجَامِعَةِ الْمِصْرِيَّةِ وَهِيَ أَهْلِيَّةٌ، ثُمَّ انْتُخِبَ مُفْتًى لِفَنِّ الْعَرَبِيَّةِ بِوِزَارَةِ الْمَعَارِفِ؛ وَتَوَفَّى فِي سَنَةِ ١٣٣٧ هـ - سَنَةِ ١٩١٩ م وَكَانَ رَحِمَهُ اللَّهُ فَكَهْ الْحَدِيثُ، مَلِيحُ النَّادِرَةِ، مُشَارِكًا فِي كُلِّ عِلْمٍ وَفَنٍّ مِنْ عِلْمِ الْفَنِّ وَفَنُونِهَا. (٥) الإرهاف: الشد والتعديد.

عَلَى أَنِّي بَعْضَ دِينِي * إِنَّ كَانَ ذَلِكَ يُغْنِي
 يَا مَنْ ضَرَبْتَ بِسَهْمٍ * فِي كُلِّ عِلْمٍ وَقْتٌ
 بَنَيْتَ لِلشَّعْرِ فِينَا * وَالنَّثْرِ أَعْظَمَ رُكْنِ
 وَمَا خُلِقْتَ لَعَمْرِي * فِي الشَّرْقِ إِلَّا لَتَبْنِي
 فَكُلُّ رَبِّ يَرَايَ * فِي مِصْرَ خَرَجُ (حَفْنِي)
 إِنَّ قَالَ شِعْرًا فَرَّاحٌ * تُدَارُ فِي يَوْمٍ دَجْنِ^(١)
 أَوْ قَالَ نَثْرًا فَرَوْحٌ * يَحْتَارُنَا غِبُّ مُزِينِ^(٢)
 فَإِنَّ بَدَأْتَ بِقَوْلٍ * مِنْهُ فَبِالكَأْسِ ثَنِّ
 وَطَرَى إِلَى اللَّهِوِ وَأَرْغَبَ * عَنْ حِكْمَةِ الْمُنَانِي
 فَالْعَيْشُ فِي يَنْتِ فِكْرٍ * مُجَلَّى وَفِي يَنْتِ دَنْ^(٣)
 وَإِنْ طَلَبْتَ مَزِيدًا * فَنِي مُنَاجَاةٍ خُذْنِ
 لَوْلَا الْحَيَاءُ وَلَوْلَا * دِينِي وَعَقْلِي وَسِنِّي
 لَقُمْتُ فِي يَوْمٍ (حَفْنِي) * أَدْعُو لِسَكْرَةٍ «يَنْتِي»^(٤)

(١) الراح : الخمر . والدجن : ظل النسيم في اليوم المطير . وقديما مدح الشعراء الشرب والهوفيه .

(٢) الروح : الريح . والمزن : المطر ، وأنق ما يكون النسيم فب مطر .

(٣) بنت الفكر : نتاج القرائح والأفكار . وبنت الدن : الخمر . والدن : وماء كبير لها .

(٤) سكرة بن ، مثل مصرى يضرب في كثرة الشرب والإفراط في السكر .

- (١) وَلَا أَقُولُ (لَحْفَنِي) * مَا قِيلَ قَدَمًا (لَمَعْنِ)
 (٢) لَا تَنْسَ عَيْشًا تَوَلَّى * مَا يَنْ شَرِيحَ وَمَتْنِ
 وَلِي شَبَابِكَ فِيهِ * مَا يَنْ مَدَّ وَغَنَ
 (٣) وَذُقْتَ مِنْ "جَاءَ زَيْدٌ" * وَمِنْ سُورِجِ (الشُّمْنِي)
 (٤) وَمِنْ حَوَاشِي الْحَوَاشِي * عَلَى مُتُونِ (ابْنِ جَنِّي)
 (٥) مَا لَمْ تُذِقْكَ اللَّيَالِي * قَلْبِنَ ظَهَرَ الْمَجْنُونِ
 (٦) أَيَّامَ (سُلْطَانُ) يَلْهُو * (بِمَشْه) وَيُغْنِي

(١) يشير بهذا البيت الى ما ورد من أن شاعرا أراد أن يجزب حلم معن بن زائدة الشيباني ويستثير

حفيظته ، فهجاه بقصيدة ، منها :

أتذكر إذ لحافك جلد شاة * وإذ نعلك من جلد البعير

(٢) يريد بهذا البيت وما بعده من الأبيات تذكير حفي بن بعده في الأزهر وما لاقاه من شغل

العيش فيه أيام كان طالبا به مع زميله المرحوم سلطان محمد بك .

(٣) الشمي ، هو أبو العباس تق الدين أحمد بن محمد بن محمد بن حسن التميمي الداري الحنفي من علماء

القرن التاسع ، ولد بالاسكندرية سنة ٨٠١ هـ وتوفي في شهر ذي الحجة سنة ٨٧٢ هـ .

(٤) ابن جني ، هو أبو الفتح عثمان بن جني الموصل ، إمام من أئمة النحو معروف ، ولد قبل

سنة ٣٣٠ هـ وتوفي في صفر سنة ٣٩٢ هـ .

(٥) « ما » : مفعول لقوله قبل : « وذقت » . والمجن : التمس . وقلبن له ظهر المجن ، أى تغيرن

عليه وتكرن له ؛ وهو مثل يضرب لمن كان مع صاحبه على مودة ثم تحول عنها .

(٦) يريد بسلطان : المرحوم سلطان محمد بك زميل حفي بك ، وكان مجاورا معه في الأزهر ، وتخرج

في دار العلوم ، ثم كان أستاذا بها وبالجامعة المصرية القديمة أيضا .

يَبِيتُ يَقْصَعُ مَا لَمْ * أَسْمَهُ أَوْ أُكْنَى
يَشْكُو إِلَيْكَ وَتَشْكُو * إِلَيْهِ عَيْشَةَ غَبْنِ
أَيَّامَ يَدْعُوكَ (حَفْنِي) : * مِنْ الْحَيَاةِ أُحْرَنِي
هَاتِ الْمَسْدُسَ إِنِّي * سَمِيتُ (مَشْيًى) وَ (جُبْنِي)
(١)
مَنْ لِي بِدِرْهَمٍ لَحْمٍ * عَلَيْهِ حَبَّةُ سَمْنِ
(٢)
قَرِمتُ وَاللَّهِ حَقِّي * صَاحَتْ عَصَافِيرُ بَطْنِي
أَيَّامَ عَيْلِكَ يَوْمٌ * تَفُوزُ فِيهِ بِدُهْنِ
(٣)
أَيَّامَ (مَهْيَا) أَشْهَى * إِلَيْكَ مِنْ (سَنْ جُونِي)



أَقُولُ هَذَا وَإِنِّي * لَمُحْسِنٌ فِيكَ ظَنِّي
فَإِنْ غَدَوْتَ وَزِيرًا * يَوْمًا وَجِئْنَا نُهْنِي
فَلَا تَكُنْ ذَا حِجَابٍ * وَلَا تُطْلُ فِي التَّجَنِّي
وَلَا تُقِلْ مِنْ غُرُورٍ * يَأْثُرُهَا النَّاسُ إِنِّي

(١) الحبة . جزء من ثمانية وأربعين جزءا من درهم .

(٢) قرم إلى اللحم قرما (بالتحريك) : اشتدت شهوته إليه . وصباح عصافير البطن : سخاية من شدة الجوع .

(٣) مهيا : اسم لبائع أطعمة أكثرها من الفول بجوار الأزهر . (وسان جوني) : اسم لبائع حلوان في مدينة حلوان .

(٤) إني ، أي إني كذا وكذا بما يحدث به عن نفسه في معرض الفخر .

+
+ +

(١)
أَخَشَى عَلَيْكَ الْمَنَايَا * حَتَّى كَأَنَّكَ مِنِّي
إِذَا شَكَّوْتَ صُدَاغًا * أَطَلْتُ تَسْهِيْدَ جَفْنِي
وَإِنْ عَرَاكَ هُزَالٌ * هَيَّأْتُ لِحْدِي وَقُطْنِي
وَإِنْ دَعَوْتُ لِحْيَةً * يَوْمًا فَلَإِيَّاكَ أَعْنِي
عُمْرِي بِعُمْرِكَ رَهْنٌ * فَعِشْ أَعِشْ أَلْفَ قَرْنٍ
نَبَقَى وَإِبْلِيسَ فِيهَا * نُبِّلِي اللَّيَالِي وَتُقْنِي
أَسْرَفْتُ فِي الْمَرْحِ فَاصْفَعْ * يَا سَيِّدِي وَأَعْفُ عَنِّي
فَالذَّنْبُ ذَنْبٌ (شُدُوْدِي) * فَالْعَنَ (شُدُوْدِي) وَدَعْنِي
قَدْ سَنَ فِينَا مُزَاحًا * عَلَى الْحَقِيقَةِ يَحْنِي
ذُقْتُ الْأَمْرَيْنِ مِنْهُ * فَسَلِّ (سَلِيْمًا) وَمَسَلْنِي
(٣)
وَأَسْمَعْ مَدِيحَ مُحِبٍّ * يُطْرِي بِحَقٍّ وَيُنْنِي

(١) يشير بهذا البيت وما بعده من الأبيات الخمسة الآتية بعده إلى حادثة معروفة بين حفي وحافظ ، وذلك أنه لما توفي المرحوم الشيخ محمد عبده وقف على قبره يوم تأييده ستة من الخطباء ، وهم : الشيخ أبوخطوة ، وحسن عاصم باشا ، وحسن عبد الرازق باشا ، وقاسم أمين بك ، وحفي ناصف بك وحافظ إبراهيم بك ، وقد مات الأربعة الأولون واحدا بعد واحد على حسب ترتيبهم في يوم الاثنين وجاءت النوبة على حفي بك ، وكان قد بعث إلى حافظ بأبيات يذكر فيها بالموت ، ويدعوه إلى الاستعداد له إذا نزلت به المنية .

(٢) هو الدكتور إبراهيم شلودي الرمدى الشاعر الأديب المعروف وكان قد نظم مقطوعة في تكريم حافظ نحا فيها هذا النحوم المرح ، وذكر حافظا عهده السابق في الجيش .

(٣) يريد سليم مركيس انظر التعريف به في الحاشية رقم ٦ من صفحة ١٧٨

لَقَدْ جَمَعْتَ خِلَالَ * تَضَمَّنْتَ كُلَّ حُسْنِ
 مُقْتَسَا وَفَقِيهَا * وَقَاضِيًا وَأَبْنَ فَنٍّ^(١)
 إِنَّ (الْمَعَارِفَ) فَازَتْ * بِمُنْيَةِ الْمُتَمَسِّئِ
 (بِحَشَمَتِ) وَ(عَلَى) * أَبِي الْفُتُوحِ) وَ(حَفْنِي)^(٢)

اعتذار إلى أحمد شوقي بك

كتب به إليه حينما أقيم حفل زواج كريمته السيدة أمينة هانم بحامد العللايل بك
 في كرمه ابن هاني ولم يحضره حافظ لمرض ألم به

[نشرت في ١٥ يناير سنة ١٩١٢ م]

يَا سَيِّدِي وَإِلْمَاي * وَيَا أَدِيبَ الزَّمَانِ
 قَدْ عَاقَنِي سُوءُ حَظِّي * عَنْ حَفْلَةِ الْمَهْرَجَانِ^(٣)
 وَكُنْتُ أَوَّلَ سَاعٍ * إِلَى رِحَابِ (أَبْنِ هَانِي)
 لَكِنْ مَرِضْتُ لِنَحْيِي * فِي يَوْمِ ذَاكَ الْقِرَانِ

(١) ابن فن : كلمة شائعة الاستعمال يوصف بها الظرفاء وأصحاب النكت الطريفة
 والفكاهات الرقيقة .

(٢) يريد بحشمت : أحمد حشمت باشا ناظر المعارف إذ ذاك . وعلى أبو الفتوح باشا وكيلها .

(٣) يريد بابن هاني : أحمد شوقي بك ، وكان يكنى بهذه الكنية تشبهاً بأبي نواس الحسن بن هاني
 الحكيم الشاعر العباسي المعروف ، لما بين الشاعرين من الشبه في الاتصال بالملوك ومخالطتهم ، والاتحاد
 في بعض أغراض شعرهما .

وقد كفاني عقاباً * ما كان من حرمانى
 حرمت رؤية (شوقى) * ولثم تلك البنان
 فاصفح فانت خليق * بالصفح عن كل جاني
 وعش لعرش المعاني * ودُم لتاج البيان
 إن فاني أن أوفى * بالأيس حق الثماني
 فأقبله مني قضاء * وكن كريم الجنان^(١)
 والله يقبل من الصلاة بعد الأوان

دعابة

رزق الشيخ أمين تقي الدين الأديب السورى بمولود سماه حافظا
 وقال فيه :

لي ولد سميتُه حافظًا * تيمنا بحافظ الشاعر^(٢)
 [نشرت في ١٥ يولييه سنة ١٩١٣ م]

فقال حافظ :

حافظ إبراهيم لكته * أجمل خلقا منه في الظاهر
 قلعة الله على (حافظ) * إن لم يكن بالشاعر الماهر^(٣)
 لعل أرض الشام تُزهي به * على بلاد الأدب الزاهر

(١) الجنان : القلب . (٢) لم يتون اسم حافظ لضرورة الوزن .

(٣) يريد « بلاد الأدب » : مصر .

(١) على بلاد النيل تلك التي * تاهت بأصحاب الذكا النادر
(شوقي) و(مطران) و(صبري) ومن * سمته في مطلعي الباهر
فقال الشيخ أمين :

واتجلى انت لم ينجي شاعرا * ينسى أباه حكمة النائر
شعر نظمناه ولولا الذي * رزقته ما مر بالخاطر
فقال حافظ :

(٢) فيا وليدي كن غدا شاعرا * وأبدأ بهجوي الوالد الأمير
فالدنب ذنبي وأنا المعتدي * هل يسلم الشاعر من شاعر

بين شوقي وحافظ

[نشرت في سنة ١٩١٧ م]

كان (أحمد شوقي بك) قد بعث بأبيات ثلاثة وهو في منفاه بالأندلس

الى حافظ، وهي :

باساكني مضر إنا لا نزال على * عهد الوفاء - وإن غبنا - مقيمينا
(٣) هلا بعثتم لنا من ماء نهركم * شيئا نبذل به أحشاء صاديننا
(٤) كل المناهل بعد النيل آسنه * ما أبعد النيل إلا عن أمانينا

- (١) تاهت : اختفت . (٢) الأمر ، أى الذى يأمر بك بصنع الشعر .
(٣) الصادى : الظمان . (٤) المناهل : الموارد . والماء الآسن : المتغير .

فأجابه حافظ بهذه الأبيات

[نشرت في ٨ مايو سنة ١٩١٧ م]

عَجِبْتُ لِلنَّيْلِ يَدْرِي أَنْ يَلْبَلَهُ * صَادٍ وَيَسْقِي رَبًّا يَصِيرُ وَيَسْقِينَا
 وَاللَّهِ مَا طَابَ لِلْأَصْحَابِ مَوْرِدُهُ * وَلَا أَرْتَضُوا بَعْدَكُمْ مِنْ حَيْثُ هُمْ لَنَا
 لَمْ تَتَأَنَّ عَنْهُ وَإِنْ فَارَقْتَ شَاطِئَهُ * وَقَدْ نَأَيْنَا وَإِنْ كُنَّا مُقِيمِينَ^(١)

بين حافظ والهرّاوى

احتجب المرحوم حافظ ابراهيم بك حين كان بدار الكتب المصرية بعض أيام
 في بيته بالجيزة سنة ١٩١٨ م فذهب صديقه محمد الهرّاوى الشاعر المعروف ليزوره
 ولما رآه على غير حاله المألوفة جالت بعض المعانى في خاطره، فارتجل هذه الأبيات:

يَا رَيْسَ الشَّعْرِ قُلْ لِي * مَا الَّذِي يَقْضِي الرَّيْسُ^(٢)
 أَنْتَ فِي الْجِيزَةِ خَافٍ * مِثْلَمَا تَخْفَى الشُّمُوسُ
 قَائِمٌ فِي كِسْرِ بَيْتٍ * قَدْ أَظْلَمَتِ الْغُرُوسُ
 زَاهِدٌ فِي كُلِّ شَيْءٍ * مُظَرِّقٌ سَاهٍ عَبُوسُ
 أَيْنَ شَعْرٍ مِنْكَ نَضْرٌ * فَلَنَا فِيهِ مَسِيسُ^(٣)
 وَحَدِيثٌ مِنْكَ حُلُوٌ * يَقْتَشَاهُ الْجُلُوسُ

(١) يتأى : يبعد . (٢) يقضى : يصنع ويعمل . قال تعالى : (فقضاهن سبع سموات في يومين) .

(٣) مسيس ، أى حاجة ماسة ، يقال : مسيت الحاجة الى كذا ، أى ألجأت إليه .

وَفُكَاهَاتُ عَذَابٍ * تَمَنَّاها النَّفُوسُ
 قَدْ جَفَوْتَ الشَّعْرَ حَتَّى * حَدَّثْتَ عَنْكَ الطُّرُوسُ
 وَهَجَرْتَ النَّاسَ حَتَّى * سَاءَلُوا أَيْنَ الْأَنْيَسُ؟

فأجابه حافظ على البديهة أيضا :

^(١) أَنَا فِي الْحِيزَةِ ثَاوٍ * لَيْسَ لِي فِيهَا أَنْيَسُ
 أَنْكَرَ الْأَنْسِ مَكَانِي * وَنَأَى عَنِّي الْجَلِيسُ
 لَيْسَ يَدْرِي مَنْ رَأَى * أَطْلِقُ أَمْ حَيَّسُ

دعابة كتب بها إلى السيد محمد البيلالوي نقيب الأشراف

[لما ولد نقابة الأشراف في سنة ١٩٢٠ م]

^(٢) قُلْ لِلنَّقِيبِ لَقَدْ زُرْنَا فِضِيلَتَهُ * فَذَادَنَا عَنْهُ حُرَّاسٌ وَجُجَابُ
^(٣) قَدْ كَانَ بِأَبْكَ مَفْتُوحًا لِقَاصِدِهِ * وَالْيَوْمَ أَوْصَدَ دُونَ الْقَاصِدِ الْبَابُ
^(٤) هَلَا ذَكَّرْتَ (بِدَارِ الْكُتُبِ) مُحِبَّتَنَا * إِذْ نَحْنُ رَغَمَ صُرُوفِ الدَّهْرِ أَحْبَابُ
^(٥) لَوْ أَنَّي جِئْتُ (لِلْبَابِ) لَا أَكْرَمَنِي * وَكَانَ يُكْرِمُنِي لَوْ جِئْتُهُ (الْبَابُ)

(١) الثاري : المقيم . (٢) ذادنا : معنا . (٣) أوصد الباب : أغلقه .

(٤) صروف الدهر : نوائبه ؛ يشير إلى أن السيد محمد البيلالوي كان هو والشاعر يعملان معا

في دار الكتب المصرية . (٥) يريد «بالباب» : رأس الطاقة المعروفة بالبابية ، وهم فرقة من

خلافة الشيعة ، وسمى بابا ، لأنهم يعدونه باب المهدي ، أي نائبه .

لا تَحْشَ جَائِزَةً قَدْ جِئْتُ أَطْلُبُهَا * إِنِّي شَرِيفٌ وَالْأَشْرَافُ أَحْسَابُ^(١)
 فَاهْتَابًا نِلْتُ مِنْ فَضْلٍ وَإِنْ قُطِعَتْ * بَيْنِي وَبَيْنَكَ بَعْدَ الْيَوْمِ أَسْبَابُ^(٢)

استئذان الرئيس

بيتان أرتجلهما في الاستئذان على المغفور له سعد زغلول باشا

[نشر في ٢٥ نوفمبر سنة ١٩٢٤ م]

قُلْ لِلرَّئِيسِ أَدَامَ اللَّهُ دَوْلَتَهُ * بَأَن شَاعِرَهُ بِالْبَابِ مُتَظَرُّ
 إِنْ شَاءَ حَدَّثَهُ أَوْ شَاءَ أَطْرَبَهُ * بِكُلِّ نَادِرَةٍ تُجَلَّى بِهَا الْفِكْرُ

دعابة

قالها في الدكتور محبوب ثابت سنة ١٩٢٧ م ، وكان كلاهما في ضيافة
 المرحوم سعد زغلول باشا في مسجد وصيف ، وكان الدكتور — فيما قالوا —
 مشغولا بأمرين إذ ذاك : وزارة يتولاها ، وفاتة غنية من بيت عريق يتزوجها
 وإلى هذا يشير الشاعر في هذه القصيدة :

يُرْغَى وَيُزِيدُ بِالْقَافَاتِ تَحْسِبُهَا * قَصَفَ الْمَدَافِعِ فِي أَفْقِ الْبَسَاتِينِ^(٣)
 مِنْ كُلِّ قَافٍ كَأَنَّ اللَّهَ صَوَّرَهَا * مِنْ مَارِجِ النَّارِ تَصْوِيرَ الشَّيَاطِينِ^(٤)

- (١) يشير بقوله : « إني شريف » ، إلى الحكم الشرعي المعروف من أن الصدقة لا تجوز على
 الأشراف . (٢) يريد بالأسباب : روابط المودة . (٣) يشير بهذا البيت إلى كثرة ورود
 حرف القاف في حديث الدكتور محبوب ثابت وحرصه على التلقين بها . ويريد بالشرط الثاني منه أن هذه
 القافات الثقيلة الواقع على الأذن في وسط كلامه الرقيقة أشبه بأصوات المدافع المرعدة في البساتين الغناء .
 (٤) المارج : النار التي لا دخان لها .

(١) قد خَصَّهُ اللهُ بِالقَافَاتِ يَعلِكُهَا * وَأَخْتَصَّ سُبْحَانَهُ بِالكَافِ والنُّونِ
 (٢) يَغِيبُ عَنْهُ الْحَجَا حِينًا وَيَحْضُرُهُ * حِينًا فَيَخْلِطُ مُخْتَلًا بِمُوزُونِ
 (٣) لَا يَأْمَنُ السَّامِعُ الْمُسْكِينُ وَثَبَّتَهُ * مِنْ (كَردفان) إِلَى أَعْلَى (فَلِسْطِينِ)
 (٤) بَيْنَا تَرَاهُ يُنَادِي النَّاسَ فِي (حَلَبِ) * إِذَا بِهِ يَتَعَدَّى الْقَوْمَ فِي (الصَّيْنِ)
 (٥) وَلَمْ يَكُنْ ذَاكَ عَنْ طَيْشٍ وَلَا خَبَلٍ * لَكِنَّا عَقَبَرِيَّاتُ الْأَسَاطِينِ
 (٦) بَيْتٌ يَنْسُجُ أَحْلَامًا مُدْهَبَةً * تُغْنِي تَفَاسِيرُهَا عَنْ (ابْنِ سِيرِينَ)
 (٧) طُورًا وَزِيرًا مُشَاعًا فِي وَزَارَتِهِ * يُصَرِّفُ الْأَمْرَ فِي كُلِّ الدَّوَابِينِ
 (٨) وَنَارَةً زَوْجَ عُطْبُولٍ خَدْبَلَجَةٍ * حَسَنَاءَ تَمْلِكُ آلاَفَ الْقَدَادِينِ
 (٩) يُعْنَى مِنَ الْمَهْرِ إِكْرَامًا لِلْحَيَّةِ * وَمَا أَظْلَمَهُ مِنْ دُنْيَا وَمِنْ دِينِ

- (١) يعلكها : يمضغها . ويريد « بالكاف والنون » : قوله تعالى لما يريد خلقه : « كن فيكون » .
- (٢) الحجَا : العقل والقطعة . (٣) كردفان : بلد بالسودان معروف . ويشير بهذا البيت وما بعده إلى كثرة تنقل الدكتور محبوب بين المجالس والأندية ، وتنقله في موضوعات الحديث ، وعدم استقراره في مكان واحد ولا موضوع واحد ، وبعد المسافات التي يقطعها في هذا التنقل . (٤) تحذاه : باراه ونازحه الغلبة .
- (٥) يريد « بالأساطين » : الأعلام المبرزين في مختلف العلوم والفنون ، جمع أسطوانة ، وهي في الأصل العمود والسارية . (٦) أظهر المهزقي « ابن سيرين » لضرورة الوزن . وابن سيرين : عالم معروف بتفسير الأحلام ، وينسب له كتاب مشهور في ذلك . (٧) يشير بهذا البيت إلى أمنية الدكتور محبوب في أن يكون وزيرا في إحدى الوزارات ، . هو لا يستقر في أمنية على وزارة واحدة .
- (٨) العطبول من النساء : الفتية الجميلة المنمطة ، الطويلة العنق . والخدبلجة : المنمطة الذراعين والساقين . يشير إلى أمنية الدكتور محبوب في أن يتزوج من تلك صفاتها . (٩) يشير بهذا البيت إلى طول حياة الدكتور محبوب وما يتوسمه الناس فيه بسببها من الصلاح والخير حتى إنهم ليعفونه من مهود بناتهم إكراما لها إذا أراد التزوج من إحداهن .

دمع السرور

قال هذين البيتين عند زيارته للجمع العلمي بدمشق

شَكَرْتُ جَمِيلَ صَنَعِكُمْ بِدَمْعِي * وَدَمْعُ الْعَيْنِ مِقْيَاسُ الشُّعُورِ
لِأَوَّلِ مَرَّةٍ قَدْ ذَاقَ جَفْنِي * — عَلَى مَا ذَاقَهُ — دَمْعُ السُّرُورِ

دعابة كتب بها إلى صديق له

وكانت جواباً عن قصيدة دعابة أيضاً بعث بها إليه هذا الصديق

وَإِنِّي كِتَابُكَ يَزْدَرِي * بِالذَّرِّ أَوْ بِالْجَوْهَرِ
فَقَرَأْتُ فِيهِ رِسَالَةً * مُزِجَتْ بِذَوْبِ السُّكَّرِ
أَجَرَيْتَ فِي أَثْنَائِهَا * نَهْرَ أَنْسِجَامِ الْكَوْثَرِ^(١)
وَفَرَطْتَ بَيْنَ سَطُورِهَا * مَنُظُومَ تَاجِ الْقَبْصَرِ^(٢)
وَحَبَّاتٍ فِي أَلْفَافِهَا * مِنْ كُلِّ مَعْنَى مُسَكَّرِ^(٣)
فَقَرَى الْمَعَانِي الْفَارِسِيَّةَ^(٤) فِي مَفَافِي الْأَسْطَرِ
كَالْغَايَاتِ تَقَنَّنَتْ * خَوْفَ الْمُرِيبِ الْمُجْتَرِي^(٥)

(١) الكوثر: نهر في الجنة . وأنسجامه : انسياه واطراحه ؛ وفي هاتين الكلمتين قلب ظاهر دعت

إليه ضرورة الوزن ، والأصل : انسجام نهر . (٢) منظوم تاج القبصر : جواهره .

(٣) المعاني الفارسية ، أي البديعة ؛ وقد نسبها إلى فارس لأنهم كانوا أهل إبداع في الفنون .

وشبه الأسطر المحتوية على المعاني بالمعاني ، وهي المنازل المسكونة .

(٤) الغايات : جمع غاية ، وهي المرأة الغنية بحسنها وجمالها عن الزينة . والمجترى : المجترى .

^(١)
 مَعْنَى الَّذِي مِنَ الشَّيْءِ * تَهْ بِالْعَدُوِّ الْمَذْبُورِ
^(٢)
 أَوْ مِنْ عِنَابٍ بَيْنَ مَحْ * بُوَيْبٍ وَحِبِّ مُعْذِرِ
^(٣)
 أَوْ فِتْرَةٍ أَضَاعَهَا أَلْ * قَامِرٌ عِنْدَ الْمَيْسِرِ
 أَوْ مَجْلِسٍ لِلتَّحْمِيرِ مَعْد * نُقُودٍ بِيَوْمٍ مُطِيرِ
^(٤)
 تَسْعُونَ بَيْتًا شِدَّتْهَا * فَوْقَ سِنَانِ السَّمْهَرِيِّ
^(٥)
 وَالسَّمْهَرِيُّ قَلَمٌ * فِي كَفِّ لَيْثٍ قَسُورِ
 أَتَقَى الْقَوَافِي كَيْفَ أَذْ * تَ؟ فَقَدْ أَطَلَّتْ تَحْسِرِي؟
 أَتُرَى أَرَاكَ أَمَ الْلَقَا * يُكُونُ يَوْمَ الْحَشِيرِ
^(٦)
 ... * ...
^(٧)
 مَا كَانَ ظَنِّي أَنْ تَعِيدَ * شَأْنًا لَيْسَ الْمَكْسِيرِ
 وَلَقَدْ قُدِّفَتْ إِلَى الْجَحِيدِ * سِمٌ وَبُئْسَ عُقْبَى الْمُنْكَرِ
^(٨)
 تَاللَّهِ لَوْ أَصْبَحْتَ (أَفْ) * لَطُلُونِ تِلْكَ الْأَعْصِرِ

- (١) المدبر : التهم . (٢) الحب (بالكسر) : المحبوب . والمعذر : المتصف بالمادل .
 ويجوز أن يراد به معنى المقصر فيما يرضى محبوبه . (٣) يشبه لذة معانيه بلحظة اللعب
 في الميسر . والقامر : المقامر . (٤) السمهرى : الرمح الصلب . أو هو نسبة إلى سمهر زوج
 رديئة اللين كانا يهفان الرماح ؛ أو إلى قرية في الحبشة . ومعنى (شادها فوق سنان السمهرى) أنه
 أنشأها بقلبه الجبار . (٥) القسور : اسم من أسماء الأسد ، سمى بذلك لغلبيه وقهره .
 (٦) هنا تضرب عن ذكر أبيات اقتضاها مقام المداعة بين حديقين حميمين لا يصح نشرها .
 (٧) التميم المكسر : الذى يظهر لؤمه بعد الاختبار . وأصله من العود الذى يظهر ضعفه حين يكسر .
 (٨) أفلاطون : فيلسوف يونانى معروف ؛ ولد فى سنة ٤٢٧ ق م ، وكانت وفاته فى سنة ٣٤٧ ق م .

وفداً (إقراط) ييا * بك كالعديم المعير
 وبرعت (جالينوس) أو * (لقمان) بين الحضر^(١)
 ما كنت إلا نافية الـ * آداب عند المعير^(٢)
 غفرانك اللهم إني من ظلامي برى
 سويته كالركدن وجاءنا كالأخدرى^(٣)
 وجه ولا وجه الخطو * ب وقامة لم تشبر^(٤)
 ومن العجائب أن يش * ل لسانه لم يستر^(٥)
 كم بات يلتحم العرو * ض وجاء بالأمر القرى^(٦)
 فافعل به اللهم كالـ * مروذ فهو بها حرى^(٧)
 وأنزل عليه السخط إن * أمسى ولم يستغفر^(٨)

- (١) الحضر : جمع حاضر . (٢) يرى : يرى .
 (٣) سويته : خلقته . والركدن : حيوان في جنة القيل خلقته نخلقة الثور إلا أنه أعظم منه
 ذوحافر ، وعلى رأسه قرن واحد ، وهو يتشدد الدال وتخفيف النون ، ويجيء كما هنا مشدد النون من
 لغة العامة ، وكذلك ورد في شعر المتنبي . والأخدرى : حمار الوحش .
 (٤) لم تشبر : لم تقس بالشبر لشدة قصرها .
 (٥) يستر : يقطع . (٦) يلتحم العروض ، أى يتال من أعراض الناس .
 والمعروف في هذا « لحن » و « ألحن » ؛ يقال : ألحن فلان فلاناً من باب نصر ، إذا أضر به وقاله
 بمكره ؛ وألحنى عرض فلان ، إذا أمكنى منه أشمته ، أى جعل عرضه لمة للمائب . والقرى (بتشديد الياء
 وخففت للشعر) : المصنوع المخلوق (بفتح اللام) ، أو الأمر العظيم . (٧) المروذ : جبار من
 القدماء كان في زمن نبي الله إبراهيم عليه السلام . وحرى (بتشديد الياء وخففت للشعر) : خليق وجدير .
 (٨) وأنزل ؛ أصله « وأنزل » بآيات الهزلة ، ووصلها لضرورة الوزن .

فهو الذي ابتدع الربا * وأقام ركن الفجر

وأقام دين عبادة الله * ينار بين الأظهر

ولقد عجبت لبخله * ولكفه المستحجر

لا يصرف السخوت^(١) إلا * وهو غير مخير^(٢)

لو أن في مكانه * عيشا بغير تضرور^(٣)

لاختار سد الفتحة * ن وقال: يا جيب أحذر

عتاب كتب به إلى محمد سليمان أباطة بك^(٤)

طال الحديث عليكم أيها السمر^(٥) * ولاح للنوم في أجفانكم أنر

وذلك الليل قد ضاعت راحله * فليس يرجى له من بعدها سفر^(٦)

هذي مضاجعكم يا قوم فالتقطوا * طيب الكرى بعيون شابها السهر^(٧)

هل ينكر النوم جفن - لو أتيح له - * إلا أنا ونجوم الليل والقمر

أبيت أسأل نفسي كيف قاطعني * هذا الصديق ومالي عنه مضطرب

(١) السخوت : الشيء القليل ؛ واستعمل في نوع من العملة قليل القيمة . (٢) التضرور : التالم

من شدة الجوع . (٣) يريد « بالفتحتين » مدخل الطعام ومخرجه . وأحذر ، أى أحذر الاتفاق .

(٤) ذكر في هامش ديوان حافظ المطبوع عند ذكر هذه القصيدة أنها كانت طويلة فقد أكثر

أبياتها ؛ وقد حاركتها الشور على بقيتها فلم توفق . (٥) السمر : المتسامرون .

(٦) الراحل : الركائب . يشبه الليل في طوله يسافر فقد راحله ، فهو لذلك مقيم غير متحول .

(٧) التقطوا طيب الكرى ، أى تصيدوا لذيق النوم . وشابها : خالطها .

(١) فَا مُطَوَّقَةٌ قَدْ نَالَهَا شَرَكٌ * عِنْدَ الْغُرُوبِ إِلَيْهِ سَاقَهَا الْقَدَرُ
 (٢) بَاتَتْ تُجَاهِدُهُمَا وَحْيَ آيَسَةٍ * مِنَ النَّجَاةِ وَجَنَحِ اللَّيْلِ مُعْتَكِرُ
 (٣) وَبَاتَ زُعْلُولُهَا فِي وَكْرِهَا فَرِزًا * مُرَوِّعًا لُرُجُوعِ الْأُمِّ يَنْتَظِرُ
 (٤) يُحْفَظُ الْخَوْفُ أَحْشَاءَهُ وَتَرْجِيئُهُ * إِذَا سَرَتْ نَسَمَةٌ أَوْ مَوَسَّسَ الشَّجَرُ
 (٥) مَنِيَّ بَأْسَؤًا حَالًا حِينَ قَاطَعَنِي * هَذَا الصَّدِيقُ فَهَلَّا كَانَ يَذْكُرُ
 يَا بَنَ الْكِرَامِ أَتَنَسَى أَتَنِي رَجُلٌ * لِيُظِلَّ جَاهِيكَ بَعْدَ اللَّهِ مُقْتَرُ
 إِنِّي قَتَاكَ فَلَا تَقْطَعْ مُوَاصَلَتِي * هَبْنِي جَنَيْتُ فَقُلْ لِي كَيْفَ أُعْتَذِرُ؟

استعطاف

بعث به للأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده

لَقَدْ بَتَّ مَحْسُودًا عَلَيْكَ لِأَتَنِي * قَتَاكَ ، وَهَلْ غَيْرُ الْمُنْعَمِ بِمَحْسُودٍ؟
 فَلَا تُبْلِغِ الْحُسَادَ مِنِّي شِمَاتَةً * فَيَفْعَلُكَ مَحْمُودٌ وَأَنْتَ مُحَمَّدٌ

- (١) المطوقة : الحماة ذات الطوق ؛ وهو لون يخالف لون سائرهما محيط بالمتى .
 (٢) جنح الليل (بالكسر ويضم) : طائفة منه . واعتكر الظلام : اختلط .
 (٣) زعلولها : فرخها الصغير .
 (٤) يحفظ أحشاه : يفرعها ويدفعها الى الاضطراب . ويريد « بوسواس الشجر » : حقيقته .
 (٥) أسوأ : خبر « ما » في قوله السابق : « فَا مُطَوَّقَةٌ » ... الخ . ويذكر : يتذكر .

وداع محمد المويلحي بك^(١)

حين سفره إلى معرض باريس

(٢)

يا كاتب الشرق ويا خير من * تلوّن الشرق مقاماته

(٣)

سافر وعدّ يحفظك ربّ الوردى * وأبعث لنا عيسى بآياته

وقال يستقبله عند عودته من هذا المؤتمر :

من لم ير المعرض في أتساع * وفاته ما فيه من إبداع

(٤)

فمعرض القوم بلا نزاع * في نقشة من ذلك البراع

عتاب كتب به إلى جماعة من أصحابه

(٥)

تناءيت عنكم فقلت عرا * وضاعت عهود على ما أرى

(٦)

وأصبح جبل اتصالي بكم * نخط الغزاة بعد النوى

(١) انظر التعريف بالمويلحي في الحاشية رقم ٣ من صفحة ١٥٠ (٢) يريد «مقاماته» : كتاب

عيسى بن هشام الذي أنشأ محمد بك المويلحي على نسق هذا النوع القديم من النثر المعروف بالمقامات .

(٣) يريد عيسى بن هشام ، الذي اقترضه محمد المويلحي بك صاحب حديثه ؛ ويشير بذلك الى أن

مؤلف هذا الكتاب كان قد وعد بعمل جزء ثان خاص بأوروبا ، فهو يستنجزه وعده بذلك .

(٤) البراع : القلم . ويريد بنقشته : ما يخطه من عبر وجوده وصف ، شبه ذلك بنقش السحر .

(٥) تناءيت : بعدت . والعرا : جمع عررة ، وهي معروفة ؛ وقد كنى بها عن العهود والمواثيق .

أى أنه بعد عنهم فقطعوا الصلة به . (٦) الغزاة : الشمس . وخطها : شعاعها . وقد شبه به

جبل اتصاله بأصدقائه في الضعف والوهن .

وقد زال ما كان من ألفية * وودَّ زوالَ شهابِ الدُّجى

(١) ^(١) كأن بقاءَ الوفا يبتكُم * وبينى بقاءَ حبابِ الحيا

(٢) ^(٢) سكنتُ إليكم ولم تسكنوا * إلى وقد كنتُ نعمَ الفتى

وتنسى فريقان : هذا به * مزجتُ الوفاءَ، وذاك الندى

(٣) ^(٣) أصبتمُ ترأثًا وألهاكمُ الدُّكَّ كثرُ عنا فسرَّ العدا

(٤) ^(٤) ومن كان يُنسيه إثارؤه * صديقَ الخصامة لا يضطنى

ذِكْرَى

كتب بها من السودان إلى طائفة من إخوانه

(٥) ^(٥) * مِنْ وَاجِدٍ مُنْقَرِ الْمَنَامِ *

* طَرِيدِ دَهْرِ جَائِرِ الْأَحْكَامِ *

* مُشَتَّتِ الشَّئِلِ عَلَى الدَّوَامِ *

* مُلَازِمِ لِلْهَمِّ وَالسَّقَامِ *

(١) حباب الماء (بفتح الحاء) : قفائعه التى تكون على سطحه . والحيا : المطر .

(٢) سكن إليه : اطمأن إليه ووثق به .

(٣) الترات (بالضم) : ما يصاب من المال الموروث . ويريد « بالكثرة » : التافس فى كثرة

الأموال والمفاخرة بها . (٤) الإثراء : كثرة الأموال . والخصامة : الفقر والاحتياج .

(٥) الواجد، ذو الوجد . ومنقر المنام : مطرود عنه النوم . وقوله : « من واجد » : خبر مقدم،

والمبتدأ قوله : « نتيجة » بعد أبيات طويلة .

- * إِلَيْكُمْ يَا تُرْهَةَ الْأَنَامِ *
- * وَفَيْةَ الْإِنْسَانِ وَالْمُدَامِ *
- * مَنْ أَقْسَمُوا بِالزَّيْمِ الْأَقْسَامِ *
- * بَأَنْ يَقْضُوا دَوْلَةَ الظَّلَامِ ^(١) *
- * مَا بَيْنَ بِنْتِ الْحَانِ وَالْأَنْعَامِ *
- * وَمُطَرِّبٍ مِنْ خَيْرِ الْأَقْوَامِ ^(٢) *
- * أَرْقٍ مِنْ شِعْرِ (أَبِي تَمَامِ) *
- * وَتَجْلِسُ فِي غَفْلَةِ الْأَيَّامِ ^(٣) *
- * قَدْ مَلَّ فِيهِ كَاتِبُ الْأَنَامِ ^(٤) *
- * تَمِيَّةٌ كَالْوَرْدِ فِي الْكِيَامِ *
- * أَزْهَى مِنَ الصَّحَّةِ فِي الْأَجْسَامِ ^(٥) *
- * يَسُوقُهَا شَوْقٌ إِلَيْكُمْ نَامِي *
- * تَقْصُرُ عَنْهُ هِمَّةُ الْأَقْلَامِ *
- * يَا لَيْتَ شِعْرِي بَعْدَ هَذَا الْعَامِ *

(١) بنت الحان : النمر . والحان : موضع بينها . (٢) أبو تمام ، هو حبيب بن أوس الطائي شاعر عياضي معروف . (٣) مل : تعب . وكاتب الأنام : الملك الذي يكتب سيئات المراء وذنوبه . يريد أن المجلس قد أتى من المعاصي ما يعي كاتب الذنوب فيمل الكتابة من كثرة ما يكتب ويحصى . (٤) الكيام (بكسر الكاف) : جمع كامة ، وهي غطاء الزهر . (٥) نامي : زائد .

- * إِلَيْكُمْ تَرَى بِي أَلَرَأَيْ ^(١)
- * أَمْ يَتَّبِعُونِي رَائِدُ الْجَمَامِ ^(٢)
- * فَأَنْطَوِي فِي هَذِهِ الْآكَامِ ^(٣)
- * وَتُولِمُ الضَّبْعُ عَلَى عِظَامِي
- * وَلَأَيْمًا لِلْوَحْشِ فِي الْإِظْلَامِ ^(٤)
- * فَإِنِّي أَنَّى يَوْمِي وَأَوْدَى لَامِي ^(٥)
- * وَبَاتَ زَادَ السُّدُودِ وَالرَّغَامِ
- * بِاللَّهِ أَدْعُوكُمْ وَبِالْإِسْلَامِ
- * أَنْ تَذْكُرُوا نَاطِمَ ذَا الْكَلَامِ ^(٦)
- * إِذَا جَلَسْتُمْ مَجْلِسًا لِلْجَامِ ^(٧)
- * وَكَانَتْ سَاقِيكُمْ مِنَ الْآرَامِ
- * فِي لَيْلَةٍ وَالْبَدْرُ فِي تَمَامِ

(١) انشواه : قصده . والحمام : الموت . ورائده : رسوله .

(٢) الآكام : جمع أكمة ، وهي الراية والحجارة تجتمع في مكان واحد ؛ يريد آكام السودان .

(٣) تولم : تقيم للولائم .

(٤) أودى : هلك . ولام الإنسان ، شئبه .

(٥) الرغام : التراب .

(٦) الجام : الإثاء من قضة ؛ ويريد به هنا : قدح الخمر ؛ وهو لفظ فارسي معرب .

(٧) الآرام : الغزلان ، الواحد رثم .

وداع لصديقيه محمد بدر وأحمد بدر

عند سفرهما الى بلاد الإنجليز للتعلم

^(١) سِيرَا أَيَا بَدْرَى سَمَاءِ الْعُلَا * وَأَسْتَقْبِلَا السَّمَّ وَلَا تَأْفُلَا^(٢) سِيرَا إِلَى مَهْدِ الْعُلُومِ الَّتِي * كَانَتْ لَنَا ثُمَّ ازْدَهَا مَا أَلْبِي^(٣) سِيرَا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي أَنْبَتَتْ * عِزًّا وَأَضْحَتْ لِمَلَا مَوْتَلَا^(٤) يَمْشِي عَلَيْهَا الدَّهْرُ مُسْتَخْذِيَا * وَتَجَزَّعُ الْأَحْدَاثُ أَنْ تَنْزِلَا

شِعَارُ أَهْلِهَا وَأَبْنَائِهَا * أَنْ يَعْلَمَ الْمَرْءُ وَأَنْ يَعْمَلَا

^(٥) فَرَيْنَا الْمَجْدَ بِنُورِ النَّهْيِ * وَجَمَلَا الْجَاهَ بَأَنْ تَكْمَلَا

وَأَسْتَبِقَا الْعَلِيَاءَ وَاسْتَمْسِكَا * بِعُرْوَةِ الصَّبْرِ وَلَا تَعْجَلَا

^(٦) وَخَبْرًا الْقُرْبَ وَأَبْنَاءَهُ * بَأَنَّا نَحْنُ الرِّجَالُ الْأَلَى

لَنْ غَدَا الدَّهْرُ نَبَا مُذِيرًا * لَا بُدَّ لِلْمُذِيرِ أَنْ يُقْبِلَا

^(٧) لَا رِلْتًا قَرَعَيْنِ فِي دَوْحَةٍ * تُظِلُّ مَنْ رَجَى وَمَنْ أَمَلَا

نَمْتَكًا مِصْرُورًا بِأَكْمَا * أَبُّ كَرِيمٌ جَدٌّ حَتَّى عَلَا

(١) تم البدر : تمامه وأكتأله . وأفل القمر والشمس يافل (بكسر الفاء وضمتها) : غابا .

(٢) ازدهاها البلى : تهاون بها واستخف . (٣) يريد « بالأرض » : بلاد الإنجليز .

والموتل : الملجا . (٤) استخذى استخذاء : خضع وذل . (٥) النهى : العقول .

(٦) الألىء أى القين كان لم تاريخ حافل بالسبق في ميادين الحضارة والعلوم ؛ لحذف الصلة للعلم بها .

(٧) الدوحة : الشجرة العظيمة المتسعة الظل .

^(١)
مَضَى وَقَدْ أَوْلَا كُنَّا نِعْمَةً * لَا تَبْسُطَا فِيهَا وَلَا تَنَلَا
فَرَحَمَةُ اللَّهِ عَلَى وَالِدٍ * كَسَا كُنَّا الْإِعْزَازَ بَيْنَ أَلَلَا

إلى أحمد شوقي بك^(٢)

يودّعه حين سفره إلى مؤتمر المستشرقين

^(٣)
يَا شَاعِرَ الشَّرْقِ أَتَيْدُ * مَاذَا تُحَاوِلُ بَعْدَ ذَلِكَ
هَذِي النُّجُومُ تَنْظُمُهَا * دُرَرُ الْقَرِيضِ وَمَا كَفَاكَ
وَالْبَدْرُ قَدْ عَلِمْتَهُ * أَدَبَ الْمُثُولِ إِذَا رَأَى^(٤)
وَسَمَوْتَ فِي أُنْفِ السَّمَاءِ * دِفِكَتَ تَعْدُّ بِالسَّمَاءِ^(٥)
وَحَبَاكَ عَبَّاسُ الْحَا * مِدِّ بِالْمَوَاهِبِ وَأَصْطَفَاكَ^(٦)
وَدَعَاكَ مِصْرُ رَسُولَهَا * لِلْقُرْبِ مُذْ عَرَفْتَ عُلاكَ
فَارْحَلْ وَعُدْ بَوْدِيعةِ الرَّحْمَنِ أَنْتَ وَصَاحِبَاكَ

- (١) لا تبسطا فيها ، أى لا تسعا في الإلقاء . وفل يده يفلها (من باب نصر) : إذا قبضها عن الإلقاء . وأصله من وضع اليد في الثقل (بضم النين وتشديد اللام) ، وهو طوق من حديد أو جلد يجمل في العنق أو في اليد . (٢) انظر التعريف بشوقي في الحاشية رقم ٥ من صفحة ٥ .
(٣) أتد : تمهل . (٤) أدب المثول ، أى أدب الوتوف بين يديك .
(٥) السماء : أحد كوكبين نيرين ، يقال لأحدهما : السماء الراح ، وللآخر : السماء الأعزل .
(٦) حباك : أعطاك .

إلى صديقه محمد عبده البابلي^(١) بك يعاتبه

كتب بها إليه من السودان

(٢)
 أَنْ عَضَّيْكَ يَا أَخِي بِالسَّلَامِ * لَا يُؤَدِّي لِثَلِيلِ هَذَا الْخِلَاصِ
 أَنْتَ (وَالشَّمْسِ) (وَالضُّحَى) وَاللَّيَالِي الـ * عَشِيرَ (وَالْفَجْرِ) غَيْرُ رَاعِي الذَّمَامِ
 مَا عَهْدُكَ يَا كَرِيمَ السَّجَايَا * تَصْرِفُ النَّفْسَ عَنْ هَنَاتِ الْكِرَامِ
 لَيْسَ فِي كُتُبِنَا سُؤَالُ نَوَالٍ * مِنْكَ حَتَّى خَشِيتَ رَدَّ السَّلَامِ
 نَحْنُ تَرْضَى بِالْقُوتِ مِنْ هَذِهِ الدُّنْيَا وَإِنْ بَاتَ دُونَ قُوتِ النَّعَامِ
 وَإِذَا خَانَ قِسْمُنَا مَا شَكَّوْنَا * لِسَوَى اللَّهِ أَعْدِلَ الْقِسَامِ
 كَيْفَ تَنْتَبِي يَا (بَابِلِي) غَرِيبًا * بَاتَ بَيْنَ الظُّنُونِ وَالْأَوْهَامِ
 وَحَزِينًا إِذَا تَنَفَّسَ عَادَتْ * فَحْمَةُ اللَّيْلِ بِجَمْرَةٍ مِنْ ضِرَامِ
 وَإِذَا أَنْتَ كَادَ يَنْصِيدُ الْأَفْ * تُقِي وَتَقْتُلُ دَوْرَةَ الْأَجْرَامِ
 بَاتَ تَحْتَ الْبَلَاءِ حَتَّى تَمْتَنِي * لَوْ يَكُونُ الْمَيِّتُ تَحْتَ الرُّغَامِ

(١) انظر تعريف محمد البابلي في الحاشية رقم ٥ من صفحة ١٦٦ (٢) عضبك، أى عفى إياك . (٣) يقسم بما أقسم الله به في سور (الشمس) (والضحى) (والفجر) . والذمام : الحق والخير . (٤) يريد بالهنات : الهفوات اليسيرة التى يحتمل مثلها ، الواحدة هنة ؛ أى ما عهدناك تسامح لغيرك فى أقل هفوة ، فما بالك تأتى بالأخطاء الكبيرة . (٥) النوال : العطاء . (٦) ضرب الشاعر قوت النعام مثلاً فى التفاحة والقلة ، لأن النعامة تقتات بالحصى والحجارة إذا لم تجد ما تقتات به . (٧) القسم (بكسر القاف) : النصيب والحظ من الخير والرزق . (٨) يريد « بفحمة الليل » : سواده الشديد المشبه للنعم . (٩) الأجرام : الأفلاك . (١٠) الرغام (فتح الراء) : التراب . وكفى مالميت تحت الرغام عن الموت .

وكتب إليه أيضا يعاتبه ويداعبه :

أَدْلَالٌ ذَاكَ أَمْ كَسَلٌ * أَمْ تَنَاسٍ مِنْكَ أَمْ مَلَلٌ
 أَمْ غَيْرِيقٌ أَنْتَ فِي جَدَلٍ * أَمْ بِكَاسَاتِ الْهَنَا تَمَلُّ^(١)
 أَمْ - وَقَاكَ اللَّهُ - فِي كَدِرٍ * أَمْ عَلَى الْأَعْذَارِ مُتَكِلٌ^(٢)
 أَمْ مَشُوقٌ مَغْرَمٌ وَلَهُ * مَشَقُّهُ التَّشْيِيبُ وَالْغَزَلُ^(٣)
 أَمْ غَنِيٌّ بَاتَ يَشْغَلُهُ * مَالُهُ وَالْكَسْبُ وَالْأَمَلُ^(٤)
 أَمْ وَشَى وَاشِ إِلَيْكَ بِنَا * فَأَحْتَوَاكَ الشُّكَّ (بِابْطَلُ)^(٥)
 قَدْ مَضَى شَهْرٌ وَأَعْقَبَهُ * ضِعْفُهُ وَالْفِكْرُ مُشْتَغِلٌ
 لَا كِتَابٌ مِنْكَ يُطْفِئُ مَا * فِي قُودَى بَاتَ يَشْتَعِلُ^(٦)
 لَا وَلَا رَدٌّ يُعَالِنِي * أَوْ عَلَى التَّسْلِيمِ يَسْتَمِلُ^(٧)
 يَا صَدِيقِي لَا مُوَاخَذَةً * أَنْتَ يَا بَنَ الْبَابِلِيِّ ...

وكتب إليه أيضا يتشوق :

نَمَى يَا بَابِلِي إِلَيْكَ شَوْقِي * وَعَيْنِي لَازِمَتْ سَكَبَ الدَّمُوعِ^(٨)
 وَلَوْ أَنَّي تَرَكْتُ مَرَاخِ قَلْبِي * لَطَارَ إِلَيْكَ مِنْ قَفْصِ الضُّلُوعِ

(١) الجدل (بالحر بك) : الفرح . والتمل : التشوان . (٢) الوله : المتعبر من شدة

الوجد . وشقه : هزله وأرهقه . والتشييب بالنساء : وصفهن وذكر محاسنهن . (٣) احتواه :

ملكه وطلب عليه . (٤) غله : شغله وألهاه . (٥) موضع هذه القطع كلمة يستجبا من

ذكرها ، ولا تخفى على القارئ . (٦) نَمَى : زاد .

شكر وزير زار حافظا في منزله

لا غرو إن أشرق في منزلي * في ليلة القدر محبا الوزير
فالبدر في أعلى مداراته * للعين يبدو وجهه في الغدير^(١)

دعابة كتب بها الى الأستاذ حامد سرى^(٢)

في يوم وفاته (٢ نوفمبر سنة ١٩١٧) يستدبه من طعام العرس وثيابا بلبسها، وكانا إذ ذاك متجاورين بالجيزة:

أحامد كيف تنساني وبيني * وبينك يا أخى صلة الحوار^(٣)
سأشكو للوزير فإنت توائى * شكوكك بعده للمستشار^(٤)
أشبع مصطفى الخولي وأبسى * أعالج جوعتي في كسردارى^(٥)
وبيتي فارغ لا شيء فيه * سوى وإنتى في البيت عارى
ومالى جزمة سوداء حتى * أوافيكم على قرب المزار
وعندى من صحابى الآن رهط * إذا أكلوا فأساد صواري
فإنت لم تبعثنى إلى حالا * بمائدة على متن البخار
تغطيها من الحلوى صنوف * ومن حمل ثبل بالبحار
فإنتى شاعر يحشى لسانى * وسوف أريك عاقبة احتقارى

(١) بقول في هذين البيتين: إن الوزير على سمو منزله قد أشرق نوره في منزلى على ضعفه، ولا عجب، فالبدر في السماء تظهر صورته في غير الماء. (٢) وردت إلينا هذه الأبيات بعد الانتهاء من طبع هذا الباب فأثبتناها في آخره؛ وكان مقتضى طريقتنا في ترتيب القصائد ترتيبا تاريخيا أن نوضع قبل ذلك، أى بعد الأبيات التي رد بها حافظ على شوقي في سنة ١٩١٧ (٣) يريد وزير الزراعة؛ وكان حامد سرى بك من رجال هذه الوزارة ولا يزال بها إلى اليوم. (٤) إنما خص الأستاذ مصطفى الخولي بك بالذكر لما بينه وبين الأستاذ حامد سرى من صلة المصاهرة.

الوصف

وصف كساء له

قالها أرتجالا في مجلس من إخوانه

[نشرت في سنة ١٩٠٠ م]

(١) لِي كِسَاءٌ أَنْعَمَ بِهِ مِنْ كِسَاءٍ * أَنَا فِيهِ أَتَيْتُهُ مِثْلَ الْكِسَائِي
حَاكُهُ الْعِزُّ مِنْ خُيُوطِ الْمَعَالِي * وَسَقَاهُ النَّعِيمُ مَاءَ الصُّفَاءِ
(٢) وَتَبَدَّى فِي صِبْغَةٍ مِنْ أَدِيمِ اللَّيْلِ مَضْقُولَةً بِحُسْنِ الطَّلَاءِ
(٣) خَاطَهُ رَبُّهُ بِإِبْرَةٍ يُمِّنُ * أَوْجَرُوا سَمَّهَا خُيُوطَ الْهَنَاءِ
فَكَأَنِّي - وَقَدْ أَحَاطَ بِجَسْمِي - * فِي لِبَاسٍ مِنَ الْعُلَا وَالْبَهَاءِ
تُكْثِرُ الْعَيْنُ رُؤْيِي وَتَرَانِي * فِي صُفُوفِ السُّلَاةِ وَالْأَمْرَاءِ
أَلْفَ النَّاسِ - حَيْثُ كُنْتُ - مَكَانِي * أَلْفَةَ الْمُعْدِينَ شَمْسَ الشَّتَاءِ
(٤) يَا رِدَائِي وَأَنْتَ خَيْرُ رِدَائٍ * أَرْتَجِيهِ لَزِينَةٍ وَأَزْدِهَاءِ

(١) الكسائي، هو علي بن حمزة، إمام الكوفيين في النحو واللغة، وكان معلما لأولاد أمير المؤمنين
هارون الرشيد؛ وتوفي حوالي سنة ١٨٩ هـ. (٢) تبدى: ظهر. والأديم: الجلد. وأديم
الليل: سواده، لأنه كالجلد يغشى الليل. وبفطية. (٣) اليمن: البركة. «وأوجروا سمها» الخ
أي أدخلوا الخيوط في ثقبها. والإيجار في الأصل: إدخال الوجور (وهو الدرا) في فم المريض؛
أو هو الطعن بالبرج في الفم أو الصدر. (٤) الأزدهاء: الزهو والاختيال.

(١)
 لَا أَحَالَتُ لَكَ الْحَوَادِثُ لَوْنًا * وَتَعَدَّتْكَ نَاسِجَاتُ الْجَوَاءِ
 غَفَلْتُ عَنْكَ لِلَّيْلِ نَظَرَاتُ * وَتَحَطَّتْكَ إِبْرَةُ الرِّقَاءِ
 (٢)
 صَحِبْتَنِي قَبْلَ أَصْطِحَاكَ دَهْرًا * بِذِلَّةٍ فِي تَلَوْنِ الْحِرْبَاءِ
 (٣)
 نَسَبُوهَا لَطِيلَسَانَ (ابْنِ حَرْبٍ) * نِسْبَةً لَمْ تَكُنْ بِذَاتِ افْتِرَاءِ
 كُنْتُ فِيهَا إِذَا طَرَقْتُ أَنَاسًا * أَنْكُرُونِي كَطَارِقٍ مِنْ وَبَاءِ
 كَسَفَ الدَّهْرُ لَوْنَهَا وَاسْتَعَارَتْ * لَوْنًا وَجْهَ الْكَذُوبِ عِنْدَ اللَّقَاءِ
 يَا رِدَائِي جَعَلْتَنِي عِنْدَ قَوْمِي * فَوْقَ مَا أَشْتَهَى وَفَوْقَ الرَّجَاءِ
 (٤)
 إِنِّي قَوْمِي تَرَوْقَهُمْ جِدَّةُ الثَّوْبِ * بِي وَلَا يَعْشُقُونَ غَيْرَ الرُّوَاءِ
 قِيمَةُ الْمَرْءِ عِنْدَهُمْ بَيْنَ ثَوْبٍ * بِأَهْرِ لَوْنُهُ وَبَيْنَ حِذَاءِ
 (٥)
 قَعَدَ الْفَضْلُ بِي وَقَمْتُ بِعِزِّي * بَيْنَ صَحْبِي ، جُرَيْتِ خَيْرِ الْجَزَاءِ

(١) أحاله : حوله من حال إلى حال . وناسجات الجواء : الرياح التي تذهب في الأجواء طولا وعرضا كما يفعل الناصج فيما ينسجه ، لأنه يتعرض النسيجة فلحم ما أطال من السدى . والجواء : جمع جوق بالمعنى المعروف ؛ أو بمعنى القلاة الواسعة . (٢) البذلة من الثياب : ما لا يهان منها . والحرباء : دوية نحو العظاية تستقبل الشمس برأسها وتدور معها كيف دارت ، وتتلون ألوانا بحز الشمس ؛ ويضرب بها المثل في القلب . (٣) الطيلسان (بالفتح وتليث اللام) : كساء مدور أخضر لا أسفل له ، لحته وقيل سداه من صوف ، يلبسه الخواص من العلماء ، وأصله من لباس العجم . وطيلسان ابن حرب : مثل يضرب لكل ثوب قديم خلق ، وسبب ذلك أن بعض الشعراء كان قد مدح ابن حرب ، فخلع عليه طيلسانا باليا ، فقال في ذلك الطيلسان شعرا كثيرا حتى صير ذلك الطيلسان مثلا لكل ما يلى ورث من الثياب ؛ فن ذلك قوله :
 يَا بَنَ حَرْبٍ كَسَوْتَنِي طِيلَسَانًا * رَقَ مِنْ صَحْبَةِ الزَّمَانِ وَصَدَى
 طَالَ تَرْدَادُهُ إِلَى الرُّفُو حَتَّى * لَوْ بَعَثَاهُ وَحْدَهُ لَهَدَى
 وغير ذلك من الشعر . والافتراء : اختلاق الكذب . (٤) تروقهم : تعجبهم . والرواء : حسن المنظر . (٥) قعد بي : عجز عن رفع شأنى ، إذ لم يقوّمه قومى بلهلهم به .

الحاكي

[نشرت في سنة ١٩٠٠ م]

وَجَدُوا السَّبِيلَ إِلَى التَّقَاطُعِ بَيْنَنَا * وَالسَّمْعُ يَمْلِكُهُ الْكَذُوبُ الْحَاقِقُ
 لَا تَجْعَلِ الْوَاشِينَ رُسُلَكَ فِي الْهَوَى * فَلَا صَدَقَ الرُّسُلَ الْجَمَادُ النَّاطِقُ^(١)

الشمس

[نشرت في ١٥ نوفمبر سنة ١٩٠٠ م]

لَا حَ مِنْهَا حَاجِبٌ لِلنَّاطِرِينَ * فَتَسُوا بِاللَّيْلِ وَضَاحَ الْجَبِينِ^(٢)
 وَمَحَتْ آيَتُهَا آيَتَهُ * وَتَبَدَّتْ فِتْنَةٌ لِلْعَالَمِينَ
 نَظَرَ آبرَاهَامُ فِيهَا نَظْرَةً * فَارَى الشَّكَّ وَمَا ضَلَّ الْيَقِينَ^(٣)
 قَالَ : ذَا رَبِّي ، فَلَمَّا أَفَلَتْ * (قَالَ : إِنِّي لَا أَحِبُّ الْإِفْلِينَ)^(٤)
 وَدَعَا الْقَوْمَ إِلَى خَالِقِهَا * وَأَتَى الْقَوْمَ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ^(٥)

- (١) يصف في البيت الأول اللوثة وأنهم أصابوا السبيل لامتلاك سمع من يحجبها بما يلقون إليها من أكاذيب؛ وما أقدر الكذوب على ذلك، وبينها في البيت الثاني عن أن توسط اللوثة بينه وبينها، فإن فعلت فليكن الرسول ذلك الحاكي، فهو الجماد الناطق الصادق. (٢) وضاح الجبين : القمر .
 (٣) إبراهيم : لغة في إبراهيم، وهو نبي الله إبراهيم الخليل عليه السلام . ويشير بذلك إلى ما قصه الله تعالى في القرآن في سورة الأنعام عن إبراهيم عليه السلام؛ قال تعالى : (فلما رأى الشمس بازغة) الآية . وقوله : «فارى الشك» ... الخ، أي أظهر لقومه أنه شاك في الإله لكنهم إليه وهو متيقن وجوده .
 (٤) أفلت : غابت . (٥) السلطان : الحجة .

رَبِّ إِنَّ النَّاسَ ضَلُّوا وَغَوَوْا * وَرَأَوْا فِي الشَّمْسِ رَأْيَ الْخَاسِرِينَ
 خَشَعَتْ أَبْصَارُهُمْ لَمَّا بَدَتْ * وَإِلَى الْأَذْقَانِ نَحَرُوا سَاجِدِينَ
 تَنظَرُوا آيَاتِهَا مُبْصِرَةً * فَعَصَوْا فِيهَا كَلَامَ الْمُتَمَلِّينَ
 تَنظَرُوا بَدْرَ الدُّجَى مِرَاتَهَا * تَتَجَلَّى فِيهِ حِينًا بَعْدَ حِينٍ
 ثُمَّ قَالُوا : كَيْفَ لَا تَعْبُدُهَا * هَلْ لَهَا فِيمَا تَرَى الْعَيْنُ قَرِينٌ ؟
 هِيَ أُمُّ الْأَرْضِ فِي نِسْبَتِهَا * هِيَ أُمُّ الْكَوْنِ وَالْكَوْنُ جَنِينٌ ^(١)
 هِيَ أُمُّ النَّارِ وَالنُّورِ مَعًا * هِيَ أُمُّ الرِّيحِ وَالْمَاءِ الْمَعِينِ ^(٢)
 هِيَ طَلَعُ الرُّوضِ نَوْرًا وَجَنَى * هِيَ نَشْرُ الْوَرْدِ ، طِيبُ الْيَاسْمِينِ ^(٣)
 هِيَ مَوْتُ وَحَيَاةُ السُّورَى * وَضَلَالٌ وَهُدًى لِلْغَايِرِينَ
 صَدَقُوا لَمَكَنَهُمْ مَا عَلِمُوا * أَنَّهَا خَلَقَتْ سَبِيلَ السَّانِينِ
 أَوَّلُهُ لَمْ يُسْتَرَّ ذَاتُهُ * عَنْ كُفُوفٍ ، بِئْسَ زَعَمُ الْجَاهِلِينَ
 إِنَّمَا الشَّمْسُ وَمَا فِي آيَاتِهَا * مِنْ مَعَانٍ لَمَعَتْ لِلْعَارِفِينَ
 حِكْمَةٌ بِاللِّغَةِ قَدْ مَثَلَتْ * قُدْرَةَ اللَّهِ لِقَوْمٍ عَاقِلِينَ

(١) يشير بقوله : « هي أم الأرض » ، الى ما يقال من أن الأرض كانت جزءا من الشمس .

ثم اقمعت وبرد ظاهرها بتطارل الزمن . (٢) المعين : التابع من العيون .

(٣) يريد « بالطلع » : ما يسدو من الثمرة في أول ظهورها . ونور النبات : زهره . والجنى :

ما يجنى من الشجر . ونشر الورد : راحته المنتشرة منه .

دولة السيف ودولة المدفع

[نشرت في ٢٣ نوفمبر سنة ١٩٠٠م]

- * يَدَوْلَةُ الْقَوَاضِبِ الصَّقَالِ ^(١)
- * وَصَوْلَةُ الذَّوَابِلِ الطُّوَالِ ^(٢)
- * كَمْ شَدَّتْ بَيْنَ الْأَعْصِرِ الْخَوَالِي ^(٣)
- * تَمَالِكًا عَزِيزَةً الْمَنَالِ ^(٤)
- * قَامَتْ بِحَدِّ الْأَبْيَضِ الْقَصَالِ ^(٥)
- * وَسِنَّ ذَاكَ الْأَسْمَرِ الْعَسَالِ ^(٦)
- * رَاحَتْ بِهَا الْأَيَّامُ وَاللَّيَالِي
- * وَخَلَقَتْهَا دَوْلَةُ الْجَلَالِ
- * مَمْلَكَةُ الْمِدْفَعِ ذَاتُ الْخَالِ ^(٧)
- * قَامَتْ بِحَوْلِ النَّارِ وَالزَّلْزَالِ ^(٨)
- * فَأَرْهَبَتْ أَفِيدَةَ الْأَبْطَالِ
- * أَرْهَبَهَا مُزَعِزُ الْجِبَالِ ^(٩)

- (١) القواضب: السيوف القواطع، الواحد قاضب. والصقال: السيوف المجلوة، الواحد صقيل.
- (٢) الصولة: السطوة والقهر. والذوابل: الرياح الرقيقة اللاصقة بالبط، وهو القشر؛ وهي أجود الرياح، الواحد ذابل.
- (٣) الخوالي: الماضية. (٤) عزيزة المنال: ممتعة على من يريد بها.
- (٥) يريد « بالأبيض »: السيف. والقصال (بالقاف): القطاع. (٦) الأسمر: صفة للرمح. والعسال: الشديد الاهتزاز والاضطراب للبه، وهو من صفات الرياح الجيدة. (٧) الخال: الكبر والخلاء. (٨) الحول: القوة. (٩) يريد « بمزعزع الجبال »: المدفع.

- * وَمُفْزِعُ اللَّيْثِ فِي الدَّحَالِ ^(١) *
- * وَقَاطِعُ الْأَجَالِ وَالْأَمَالِ *
- * وَخَاطِفُ الْأَرْوَاحِ مِنْ أُمِّيَالِ *
- * يَشُورُ كَالْبِرْكَانِ فِي السَّزَالِ ^(٢) *
- * فَيُتْبِعُ الْأَهْوَالَ بِالْأَهْوَالِ *
- * وَيُرْسِلُ النَّارَ عَلَى الْتَوَالِيِ *
- * فَيَحْطِمُ الْهَامَ وَلَا يُيَالِي ^(٣) *
- * مَا كَوَّكَبُ الرَّجِيمِ هَوَى مِنْ عَالِيِ *
- * فَمَرَّ كَالْفِكْرِ سَرَى بِالْبَالِ *
- * عَلَى عَنِيدٍ مَارِدٍ مُحْتَالِ ^(٤) *
- * مُسْتَرِيقٍ لِلسَّمْعِ فِي ضَلَالِ ^(٥) *
- * مِنْ عَالِمِ التَّسْبِيحِ وَالْإِهْلَالِ ^(٦) *
- * أَمْضَى وَأَنْتَ مِنْهُ فِي الْقِتَالِ ^(٧) *

- (١) الدحال : جمع دحل (فتح الدال وسكون الحاء) وهو قُبْ ضيق فيه ، ثم يتسع أسفلهُ حتى يَشَى فيه ، وربما أنبت الصدر ، وتستر فيه السباع . (٢) السزال : القتال .
- (٣) يحطم : يكسر . والهيام : الروس ، الواحدة هامة . (٤) العنيد : المخالف للحق الذي يرده وهو يعرفه ، والجمع عند (بضمين) . ويريد « بالعنيد المسارد » : الشيطان .
- (٥) استرق السمع : استمع مستخفيا . ويشير الشاعر إلى ما ورد من أن الجن كانت تسترق السمع من السماء قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم ، فلما بعث عليه الصلاة والسلام أرادت الجن استراق السمع كما كانوا يفعلون قبل البعثة ، فرجعوا بالشهب ؛ وقد ذكر الله ذلك في القرآن في سورة الجن (٦) الإهلال : رفع الصوت بذكر الله . ويريد « بعالم التسبيح والإهلال » : عالم الملائكة . (٧) قوله : « أَمْضَى ... الخ خبر « لما » في قوله قبل : « ما كوكب الرجم » . وأنتى : أبلغ نكابة ، أى قتلا وجرحا .

- * إِذَا سَرَتْ قُبْلَةُ الْوَبَالِ^(١) *
- * مِنْ فِعْهِ الْحَشْوُ بِالنَّكَالِ^(٢) *
- * يُنْذِرُهُمْ فِي سَاحَةِ الْمَجَالِ *
- * بِالْبَرْقِ وَالرَّعْدِ وَبِالْآجَالِ *
- * وَلَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ الْخِتَالِ^(٣) *
- * يَحْزُرُ فِي أَلْهَامٍ وَفِي الْأَوْصَالِ^(٤) *
- * صَامِتَ قَوْلٍ نَاطِقِ الْفِعَالِ *
- * رَأَيْتُهُ كَالْقُومِ فِي الْمِثَالِ^(٥) *
- * مَالُوا عَنِ الْقَوْلِ إِلَى الْأَعْمَالِ *
- * فَامْتَلَكُوا نَاصِيَةَ الْمَعَالِ^(٦) *

ليلة عيد جلوس الخديوى

يصف فيها الزينة الكبرى التي أقيمت بحديقة الأزبكية في مساء ٨ يناير سنة ١٩٠١ م

يَا لَيْلَةَ الْهَمَتْنِي مَا أُنِيَهُ بِهِ * عَلَى حُمَاةِ الْقَوَافِي أَيْمًا تَاهُوا^(٧)
إِنِّي أَرَى عَجَبًا يَدْعُو إِلَى عَجَبٍ * الدَّهْرُ أَضْمَرَهُ وَالْعِيدُ أَفْشَاهُ

- (١) استعمال «القنبلة» بمعنى ما يخرج من فم المدفع عند انطلاقه استعمال شائع في كلام عصرنا، ولم ترد به لغة العرب؛ وإنما ورد ذكر القنبلة بمعان أخرى. والوبال: الهلاك. (٢) النكال: العذاب.
- (٣) الختال: الخداع، ويريد به السيف، والمعنى أن المدفع لا يأخذ الناس على غرة، بل ينذرهم بشروه المشبه للبرق، ثم بصوته المشبه للرعد؛ ولم يكن كالسيف الذي يفتك بهم على غفلة فلا يشعرون به إلا وهو يحزروه ومهم ويقطع في أوصالهم. (٤) يحز: يقطع. وحى من الأفعال التي تتعدى بنفسها، وحديث هنا بالحرف على تضمينها معنى (يقرض) أو نحوها مما يتعدى بالحرف. والأوصال: المفاصل، الواحد وصل (بالكسر وبالضم). (٥) يريد «بالقوم»: أمم الغرب. (٦) الناصية: مقدم الرأس. وامتلكوا ناصية المعالي، أى بلغوا ذروتها وأعلاها. (٧) حواة القوافي: لحول الشعراء.

- (١) هل ذاك ما وعد الرحمن صفوته * روض و حور و ولدان و أمواه
 (٢) أم الحديقة ذات الوشي قد حليت * في منظر يستعيد الطرف مرآه
 (٣) أرى المصابيح فيها وهي مشرقة * كأنها النور والوشي حياه
 (٤) أو إنما هي الفاظ مديحة * وكل لفظ تجلي فيه معناه
 (٥) أرى عليها قلوب القوم حائمة * كالطير لاح له ورد فوافاه
 (٦) أرى بني مصر تحت الليل قد نسلوا * إلى سعود به ضاح حياه
 (٧) أرى على الأرض حياء قد نسيبت به * حلى السماء وحسنا لست أنساه
 (٨) أرى أريكة (عباس) تحف بها * وقاية الله والإقبال وأجلاه
 أرى سمو خديونا وقد بسطت * بالعدل والبذل يمناه ويسراه
 قل للآلى جعلوا للشعر جائزة * فيم الخلاف! ألم يرشدكم الله!
 (٩) إني فتحت لها صدرا تليق به * إن لم تحلوها فالرحمن حلاه

(١) صفوته: من اصطفاهم. والأمواه: جمع ماء. (٢) يريد «بالوشي» هنا: ما اختلف من ألوان النبات والزهر، تشبها بالوشي في الثوب، وهو النقش. «ويستعيد الطرف مرآه» أى أن جمال المنظر يعبرى بتكرار النظر. (٣) النور: زهر النبات. والوشي: المطرأول الربيع. (٤) مديحة: مزينة مزينة. وتجلي: تكشف. (٥) حام الطائر على الماء: دار حوله. والورد (بكسر الواو): الماء المورود. (٦) نسلوا: أسرعوا. وضاحى المحيا: مشرق الوجه. (٧) الحلى: ما يزين به. (٨) الأريكة: سرير الملك. (٩) يشير بهذا البيت والذي قبله إلى جماعة من كبار الأدباء والعلماء، منهم أحمد زكى باشا، و اسماعيل صبرى باشا، وحفى ناصف بك، اجتمعوا على أن يجعلوا للشعر جوائز من أنواع مختلفة تمنح للشعراء بحسب درجاتهم في الشعر؛ لحافظ يقول: «لا تختلفوا في تفضيل بعض الشعراء على بعض، فالأمر في تفضيل بين لا جدال فيه، وإنكم إن لم تحلوها صدرى بأعلى هذه الأنواع وأفضلها، فإن الله قد حلاه بما وهبى من شاعرية مبدعة، وملكة فياضة».

(١) لَمْ أَخْشَ مِنْ أَحَدٍ فِي الشَّعْرِ يُسَبِّحُنِي * إِلَّا قَتَى مَا لَهُ فِي السَّيْبِ إِلَّاهُ
(٢) ذَاكَ الَّذِي حَكَمْتُ فِينَا يَرَاعَتُهُ * وَأَتَكْرَمُ اللَّهَ (وَالْعَبَّاسُ) مَثْوَاهُ

البورصة

[نشرت في ٢٤ ديسمبر سنة ١٩٠٤]

يَايِكَ النَّحْسُ وَالسُّعُودُ * وَمَوْقِفُ الْيَأْسِ وَالرَّجَاءِ
(٣) وَفِيكَ قَدْ حَارَتِ الْيَهُودُ * يَا مَطْلَعُ السَّعْدِ وَالشَّقَاءِ

+

(٤) وَوَجْهِكَ الضَّاحِكُ الْعَبُوسُ * قَدْ ضَاقَ عَنْ وَصْفِهِ الْبَيَانُ
(٥) كَمْ سَطَرْتُ عِنْدَهُ طُرُوسُ * بِقِسْمَةِ الْعِزِّ وَالْهَوَانِ
(٦) وَطَوَّطْتُ دُونَهُ رُءُوسُ * يَهْتَرُّ مِنْ خَوْفِهَا الزَّمَانُ

+

وَكَمْ أَطَافَتْ بِهِ وَفُودُ * وَاكْتَرُوا حَوْلَهُ الدُّعَاءُ
(٧) فَرَايَحُ نَجْمِهِ سَعِيدُ * وَطَامِعُ الْخَسَارِ بَاءُ

- (١) يريد « بالفتى » : أحد شوقي بك شاعر الأمير . (٢) البراعة : القلم . والمثوى : المنزل .
(٣) إنما خص اليهود ، لأنهم أعلم من غيرهم بمسائل المال وطرق اكتسابه واستثماره ، كما هو معروف .
(٤) سكنت هذه القافية دفعا لما يترتب على تحريكها من وجود إقواء في البيت الثاني ، وهو اختلاف في حركة الروى . ويلاحظ أن في هذه القصيدة آياتا أخرى سكن رويها دفعا لهذا العيب المتقدم .
(٥) الطروس : الصحائف يكتب فيها ، الواحد طرس (بكسر فسكون) . (٦) طوطت ، أى انحفضت وتطامت . (٧) باء بالخسارة ، أى رجع به .



لَمَّا عَلَتْ صَبِيحَةُ الْمُنَادِي * وَأَصْبَحَ الْقَوْمُ فِي عَنَاءٍ
 وَشَمَّرَتْ ثَرْوَةُ الْبِلَادِ * وَخَفَّتِ الْأَرْضُ وَالسَّمَاءُ^(١)
 قَنِتُ بِالْقُطْنِ فِي الْوَسَادِ * وَفِي الْحَشِيَّاتِ وَالْغِطَاءِ^(٢)
 وَإِنَّمَا الْعَاقِلُ الرَّشِيدُ * مَنْ سَارَ فِي مَنَهِجِ النَّجَاءِ
 بِاللَّهِ يَا قَوْمُ لَا تَرِيدُوا * فَإِنَّ آمَالَكُمْ هَبَاءُ^(٣)



مُضَارِبَاتُ هِيَ الْمَنَايَا * وَرُسُلُهَا أَحْرَفُ الْبُرُوقِ^(٤)
 صَبُوحُ أَفْهَامِهَا الرِّزَايَا * وَمَا لَمْ دُونَهَا غَبُوقُ^(٥)
 قَدْ أَتَلَقْتُ أَنْفُسَ الْبَرََايَا * بِأَسْمِهِمُ الْغَدْرَ وَالْعُقُوقُ



هُبُوطُهَا الْمَوْتُ، وَالصُّعُودُ * ضَرْبٌ مِنَ الْبُؤْسِ وَالْبَلَاءِ
 وَمَا لَهَا عِنْدَهُمْ عُهُودُ * إِلَّا كَمَا تَعَاهَدُ النِّسَاءُ

-
- (١) شمرت ثروة البلاد، أى استعدت للإسراع فى الذهاب والضياع .
 (٢) الحشيات : الفرش المحشوة، الواحدة حشية (بفتح الحاء وتشديد الياء)، وهى المعروفة بالمرتبة .
 (٣) الهباء : الغبار؛ أو هو الشيء المتبث فى ضوء الشمس يشبه الدخان .
 (٤) يريد « بأحرف البروق » : الرسائل الطغرافية .
 (٥) الصبوح : ما يشرب فى الصباح . والغبوق : ما يشرب فى العشى .

+
+ +

(١) كم "باله" سببت وبالا * وأشبهت لامع السراب
(٢) وبذرة أنبتت خبالا * وأثمرت عاجل الخراب
وكم غني أضاع مالا * وشاب في موقف الحساب

+
+ +

(٣) فليعظ منكم البعيد * وليتق الله ذو الرأ
(٤) فذلك التاجر الشهيد * قد عاف من أجلها البقاء

زلزال مسينا^(٥)

سنة ١٩٠٨ م

(٦) نبئاني إن كنتما تعلمان * ما دهي الكون أيها الفرقدان
(٧) غضب الله أم تمردت الأر * ض فأنحت على بني الإنسان ؟
ليس هذا سبحان ربّي ولا ذا * لك ولكن طيعة الأكوان

(١) الباله : مقدار وزن معروف . (٢) الخبال : ذهاب العقل .

(٣) الرأ : الغنى . (٤) يشير بقوله : «التاجر الشهيد» الى أن بعض التجار كان قد انخرجن

ذهبت ثروته كلها في تلك المضاربات . وعاف الشيء : يعافه ويعيقه : كرهه وزهد فيه . (٥) مسينا :

بلد بجنوب إيطاليا معروف وقع فيه هذا الزلزال . (٦) الفرقدان : نبحان مروفان .

(٧) أنحت على بني الإنسان ، أى أقبلت عليهم بالعذاب . ويرويه بعض الأدباء : « فأنحت » ،

أى أهلكتهم وأنت عليهم .

غَلِيَانٌ فِي الْأَرْضِ نَفْسَ عَنْهُ * ثَوْرَانٌ فِي الْبَحْرِ وَالْبُرِّ كَانَ
 رَبٌّ، أَيْنَ الْمَفَرُّ وَالْبَحْرُ وَالْبَرُّ * عَلَى الصَّكِّدِ لِلْوَرَى عَامِلَانِ؟
 كُنْتُ أَخْشَى الْبَحَارَ وَالْمَوْتَ فِيهَا * رَاصِدٌ غَفْلَةً مِنَ الرُّيَانِ^(٢)
 سَاجِدٌ تَحْتَنَا، مُطِلٌّ عَلَيْنَا * حَاطِمٌ حَوْلَنَا، مُنَاءٌ مُدَانِي^(٣)
 فَإِذَا الْأَرْضُ وَالْبَحَارُ سَوَاءٌ * فِي خَلْقٍ كِلَاهُمَا غَادِرَانِ
 مَا (لِمَسِينٍ) عُوِجِلَتْ فِي صِبَاهَا * وَدَعَاهَا مِنَ الرَّدَى دَاعِيَانِ^(٤)
 وَنَحْتٌ تِلْكَ الْمَحَاسِنَ مِنْهَا * حِينَ تَمَّتْ آيَاتُهَا آتِيَانِ
 خُسِفَتْ، ثُمَّ أُغْرِقَتْ، ثُمَّ بَادَتْ * قُضِيَ الْأَمْرُ كُلُّهُ فِي ثَوَانِي
 وَأَتَى أَمْرُهَا فَأَصْحَتْ كَأَنَّ لَمْ * تَكُ بِالْأَمْسِ زِينَةَ الْبُلْدَانِ^(٥)
 لَيْتَهَا أُمِهَلَتْ فَتَقْضَى حُقُوقًا * مِنْ وَدَاعِ اللَّدَاتِ وَالْجِيرَانِ
 لَحْمَةً يَسْعَدُ الصَّدِيقَانِ فِيهَا * بِاجْتِمَاعٍ وَيَلْتَقِي الْعَاشِقَانِ^(٦)
 بَنَتْ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ عَلَيْهَا * وَطَفَنَى الْبَحْرُ أَيْمًا طُغْيَانِ^(٧)
 تِلْكَ تَغْلِي حَقْدًا عَلَيْهَا فَتَنْشَقُّ * أَنْشِقَاقًا مِنْ كَثَرَةِ الْغَلْيَانِ

(١) نفس عنه : خفف . (٢) الريان : رئيس السفينة . (٣) الخلاق : الحظ والنصيب

من الخير والصلاح . يقول في هذه الأبيات الثلاثة : إنه كان لا يخشى إلا غائلة البحر ، ويأمن جانب البر

فإذا بهما في الغدر سواء . (٤) يريد « بالآيتين » : زلزال الأرض ؛ وفيضان البحر .

(٥) اللدات : الأتراب ، الواحدة لدة (بكسر اللام وتحقيف الدال) . والمراد تظاثرها من البلاد .

(٦) بنى عليه : ظله . (٧) تلك ، أى الأرض .

- (١) فَتُجِيبُ الْجِبَالُ رَجًّا وَقَذْفًا * بِشَوَاطِ مِنْ مَارِجٍ وَدُخَانٍ
(٢) وَتُسَوِّقُ الْبِحَارُ رَدًّا عَلَيْهَا * جَيْشَ مَوْجٍ نَائِي الْجَنَاحِينَ دَانِي
(٣) فُهْنًا الْمَوْتُ أَسْوَدُ اللَّوْنِ جَوْنٌ * وَهَذَا الْمَوْتُ أَحْمَرُ اللَّوْنِ قَانِي
(٤) جَنَدَ الْمَاءِ وَالتَّرَى لَهْلَاكِهِ * مَخْلَقٍ ثُمَّ أَسْتَعَانَ بِالنَّيِّرَانِ
(٥) وَدَعَا السُّحْبَ عَاتِيًا فَأَمَدَّتْ * لَهُ يُجَيِّشُ مِنَ الصَّوَاعِقِ ثَانِي
(٦) فَاسْتَحَالَ النَّجَاءُ وَاسْتَحْكَمَ الْيَأَى * مَسَّ وَخَارَتْ عِزَاتُهُمُ الشُّجْعَانِ
(٧) وَشَفَى الْمَوْتُ غِلَّهُ مِنْ تَقْوِيْسٍ * لَا تُبَالِيهِ فِي مَجَالِ الطَّعَانِ
(٨) أَيْنَ (رِدْجُو) وَأَيْنَ مَا كَانَ فِيهَا * مِنْ مَغَانٍ مَاهُولَةٍ وَغَوَانِي
(٩) عُوِجِلَتْ مِثْلَ أُخْتِهَا وَدَهَاهَا * مَا دَهَاهَا مِنْ ذَلِكَ الثَّوْرَانِ
(١٠) رَبُّ طِفْلٍ قَدْ سَاخَ فِي بَاطِنِ الْأَرَى * ضِئْضِئٌ يُنَادِي : أُمِّي ، أَبِي ، أَذِيرْكَانِي

- (١) الشواط : لخب لادخان فيه . والمارج : الشعلة الساطعة ذات اللهب الشديد .
(٢) نائي الجناحين ، أى بعيد ما بين الجناحين . والداني : القريب . يريد أن الموج يتسع مرة
ويضيئ أخرى . (٣) الجون : الشديد السواد . والقاني والقاني : الشديد الحمرة . والعرب تطلق
الموت الأسود على الموت غثما ، والموت الأحمر على الموت قتالما يحدثه القتل من سيلان الدم .
(٤) الضمير في «جند» و«استعان» : الموت . (٥) عاتيا : معتديا ظالما .
(٦) خارت : ضعفت . (٧) الفل : الحقد والموجدة .
(٨) ريدجو كاليريا : ولاية في إيطاليا ، وهى القصوى من جهة الجنوب ، متاخمة لبحر الأيونى وبوغاز
مسينا ، وقد هدمها ما اتانها من الزلازل . وإلى هذا يشير الشاعر . والمناني : المنازل التى غنى بها أهلها
أى سكنوا وأقاموا ، الواحد منى (بفتح الميم والنون وسكون التين) . والقواني : النساء غنن بمجاهلن
وحسنن عن الزينة . (٩) أختها ، أى مسينا . (١٠) ساخ : غاص .

(١) وَقَتَاءَ هَيْفَاءَ تُشْوَى عَلَى الْجَمْدِ * بِرِ تُعَانِي مِنْ حَرِّ مَا تُعَانِي
وَأَبْ ذَاهِلٍ ، إِلَى النَّارِ يَمْشِي * مُسْتَمِيتًا تَمْتَدُّ مِنْهُ أَلْيَدَانِ
(٢) بَاحِثًا عَنْ بَنَاتِهِ وَبَنِيهِ * مُسْرِعَ الْخَطْوِ مُسْتَطِيرَ الْجَنَانِ
(٣) تَأْكُلُ النَّارُ مِنْهُ لَا هُوَ نَاجٍ * مِنْ لَظَاهَا وَلَا اللَّظَى عَنْهُ وَإِنِّي
(٤) غَضَبَتِ الْأَرْضُ أَتْنَحِمَ الْبَحْرُ مِمَّا * طَوَّيَاهُ مِنْ هَذِهِ الْأَبْدَانِ
وَشَكَا الْحَوْتَ لِلنُّسُورِ شَكَاةً * رَدَدَتْهَا النَّسُورُ لِلْحَيْتَانِ
(٥) أَسْرَفًا فِي الْجُسُومِ تَقَرًّا وَنَهَشًا * ثُمَّ بَاتَا مِنْ كِظَّةٍ يَشْكُوَانِ
(٦) لَا رَعَى اللَّهُ سَاكِنَ الْقِمَمِ الشُّم * وَلَا حَاطَ سَاكِنَ الْقِيَعَانِ
(٧) قَدْ أَغَارَا عَلَى أَكُفِّ بَرَاهَا * بَارِئُ الصَّكَايَاتِ لِلْإِتْقَانِ
(٨) كَيْفَ لَمْ يَرْحَمَا أَنَا مِلْهَا الْفُؤ * وَلَمْ يَرْفُقَا بِتِلْكَ أَلْبَانِ
(٩) لَهْفَ نَقِيٍّ وَالْفَ لَهْفٍ عَلَيْهَا * مِنْ أَكُفِّ كَانَتْ صَنَاعَ الزَّمَانِ

- (١) الهيفاء : الضامرة البطن ، الرقيقة الخصر . (٢) مستطير الجنان ، أى ذاهب القلب جزاء وإشفاقا . (٣) اللظى : حر النار واشتعالها . (٤) غصت ، أى امتلأت . واتنخم : امتلا جوفه ، من التنخمة ، وهى الامتلاء من الطعام . (٥) الكفة : البطنة وما يعترى الإنسان من الامتلاء من الطعام . (٦) ساكن القمم : يريد النسر ، لأنه يسكن أعالي الجبال . والشم : العالية المرتفعة ، الواحدة شماء . وحاط : حفظ ووقى . ويريد «ساكن القيعان» : ما يسكن قيعان البحر من الحيتان ، كما يدل على ذلك ما سبق . (٧) براهها : خلقها . ويريد أكف أصحاب الفنون . (٨) البنان : الأصابع ، الواحدة بنانة . (٩) الصناعات : الحاذقة الماهرة فى العمل .

- (١) مُوَلَعَاتٍ بَصِيدٍ كُلِّ جَمِيلٍ * نَاصِبَاتٍ حَبَائِلَ الْأَلْوَانِ
 حَافِرَاتٍ فِي الصَّخْرِ أَوْ نَاقِشَاتٍ * شَائِدَاتٍ رَوَائِعَ الْبُنْيَانِ
 (٢) مُنْطِقَاتٍ لِسَانٍ كُلِّ جَمَادٍ * مُفْجِحَاتٍ سَوَاجِعَ الْأَفْنَانِ
 مُلْهَمَاتٍ مِنْ دِقَّةِ الصَّنْعِ مَالًا * يُلْهِمُ الشَّعْرُ مِنْ دَقِيقِ الْمَعَانِي
 (٣) مِنْ تَمَائِيلَ كَالنُّجُومِ الدَّرَارِي * يَهْرُمُ الدَّهْرُ وَهِيَ فِي عُتُقْوَانِ
 (٤) عَجَبٌ صُنْعُهَا وَاعْجَبُ مِنْهُ * صُنْعُهُ تِلْكَ قُدْرَةُ الرَّحْمَنِ
 (٥) إِلَيْهِ «مَسِين» آتِيهِ الْيَوْمَ «بِمَبِي» * «حَى» فَقَدْ أَوْحَشَتْ بِذَلِكَ الْمَكَانِ
 آتِيهِ الدَّرَّةَ الَّتِي كَانَتْ الْحِلَّةَ * بَيَّةَ فِي تَاجِ دَوْلَةِ (الرُّومَانِ)
 (٦) غَالِمًا قَبْلَكَ الزَّمَانُ آغْتِيَالًا * وَهِيَ تَلْهُو فِي غِبْطَةٍ وَأَمَانِ

- (١) الحبائل : الأشرار . ويريد بقوله : « ناصبات حبائل الألوان » أن هذه الصور تنصيد القلوب والأنظار بما فيها من دقة وإتقان . ويحكي أن رفايل المصور المعروف صور مرة عتقودا من العنب على حائط فخدع بها بعض الطيور ، قال إليه ينقر حبه .
 (٢) سواجع الأفنان : الجمائم التي تسجع ، أي تفرّد . والأفنان : الأغصان ، الواحد قن (بالتحريك) . ويشير بالشطر الأول إلى ما تصنعه هذه الأيدي من التماثيل التي تقرب من الحقيقة حتى تكاد تنطق ؛ وبالشطر الثاني إلى أيدي الموسيقين البارعين .
 (٣) الدراري (بتشديد الاء ، وخفف للشعر) : جمع دري ، وهو الكوكب المتوقد المتلألئ الصافي الشعاع . وعتقوان الشباب : أوله وريبانه . (٤) صنعه ، أي صنع الله تعالى . بقول : إن هذه التماثيل مهما بولغ في إتقانها ودقتها فهي لا تبلغ صنع الله الذي أتهن كل شيء .
 (٥) بمبي : مدينة قديمة من إيطاليا الجنوبية تبعد اثني عشر ميلا عن نابلي إلى الجنوب الشرق وموقعها بجوار جبل فيزوف ؛ وقد حدث فيها زلزلتان خربتا قسما منها في سنة ٦٢ م وكان بين هاتين الزلزلتين فترة أشهر ، ثم خربت بالمواد المتقدة في ٢٤ آب سنة ٧٩ ، وبقيت هذه المدينة مدة سبعة عشر قرنا بعد ذلك مطبورة ، طامة الذكر ، حتى استكشفت أخيرا . (٦) غالما : أهلكها .

(١)
جاءها الأمرُ والسَّراةُ عُرُوفُ * في المَلاهي على غِناءِ القِيانِ
(٢)
يَبِّسَ صَبُّ مُدَلِّهِ وَطَرُوبُ * وَخَلِيعُ فِي اللَّهْوِ مُرْنَى الْعِيَانِ
فَانْطَوَّأُوا كَانِطَوَّاءِ أَهْلِكَ بِالْأَمْرِ * سِيسَ وَزَالَتْ بِشَاشَةِ الْعُمَرَانِ
(٣)
أَنْتِ (مَسِينِ) لَنْ تَزُولِي كَمَا زَا * لَتْ وَلَكِنْ أَمْسَيْتِ رَهْنَ الْأَوَانِ
إِنْ إِيْطَالِيَا بَنُوهَا بُنَاةُ * فَاطْمَنِي مَا دَامَ فِي الْحَيِّ بَانِي
فَسَلَامٌ عَلَيْكَ يَوْمَ تَوَلَّيْ * سِتِ بِمَا فِيكَ مِنْ مَغَانٍ حِسَانِ
وَسَلَامٌ عَلَيْكَ يَوْمَ تَعُودِي * نَ كَمَا كُنْتَ جَنَّةَ الطُّلَيَانِ
وَسَلَامٌ مِنْ كُلِّ حَيٍّ عَلَى الْأَر * ضِ عَلَى كُلِّ هَالِكٍ فِيكَ فَانِي
(٤)
وَسَلَامٌ عَلَى الْأَلَى أَكَلَ الذُّدَّ * بُ وَنَاشَتْ جَوَارِحُ الْعُقْبَانِ
(٥)
وَسَلَامٌ عَلَى أَمْرِي جَادَ بِالْأَمْرِ * عِجَ وَثَنِي بِالْأَصْفَرِ الرَّانِ
ذَاكَ حَقُّ الْإِنْسَانِ عِنْدَ بَنِي الْإِنْد * سَانِ لَمْ أَدْعُكُمْ إِلَى إِحْسَانِ
فَاكْتُبُوا فِي سَمَاءِ (رَدْجُو) وَ(مَسِي * نَا) وَ(كَالْبَرِيَا) بِكُلِّ لِسَانِ
(٦)
هَاهُنَا مَضْرَعُ الصَّنَاعَةِ وَالتَّصْ * يِرِ وَالْحِدْقِ وَالْحِجَا وَالْأَغَانِي

(١) يريد «بالأمر»: الحلاك والفتاء . والسراة : جمع سرى (يفتح السين وتشديد الياء)، وهو الرفيع
القدر من الناس . والقِيَان : المَقْنِيَات ، الواحدة قَيْة . (٢) المدله : الذاهب العقل من عشق
ومحوه . والخَلِيع : المتهتك . ومرنخى العنان : الممدود له في حبل الشهوات . (٣) يريد بقوله : «أمسيت
رهن الأوان» : أنه سيأتي الوقت الذي يجدد الشعب فيه عمارتك ، ويعيد ما هدمته الزلازل من مغانيك
فصبحين كما كنت ، كما يدل عليه البيت الذي بعده . (٤) ناشت : نهشت . (٥) الأصفر
الرَّان : الذهب ؛ يريد ما يتبرع به المتبرعون في عمارة هذا البلد . (٦) الحجا : العقل .

براعة غناء

قالها في جاك رومانو المغنى الإسرائيلي المعروف

[نشرت في ١٥ نوفمبر سنة ١٩٠٨ م]

إِرْحَمُونَا يَنِي الْيَهُودِ كَفَاكُم * مَا بَجَعْتُمْ بِحَذَقِكُمْ مِنْ قُودِ^(١)
وَأَصْفَحُوا عَنْ عُقُولِنَا وَدَعُوا الْخُلْدَ * قَى بِسِرِّ التَّوْرَةِ وَالتَّلْسُودِ^(٢)
لَا تَزِيدُوا عَلَى الصُّكُوكِ فِخَاخًا * مِنْ غِنَاءٍ مَا يَنْبَغُ دَفَّ وَعُودِ^(٣)
وَيَحْكُمُ إِنَّ (جَاكَ) أَشْرَفَ حَتَّى * زَادَ فِي قَوْمِهِ عَلَى (دَاوُدَ)^(٤)
أَسْكُتُوهُ لَا أَسْكَتَ اللَّهُ ذَاكَ إِلَّا صُوتَ صَوْتِ الْمُتَيْمِّمِ الْفَرِيدِ^(٥)
أَوْ دَعُوهُ، فِدَاؤُهُ إِنْ تَغْنَى * كُلُّ نَفْسٍ وَكُلُّ مَا فِي الْوُجُودِ

وقال فيه أيضا :

[نشرت في ١٥ نوفمبر سنة ١٩٠٨ م]

يَا (جَاكَ) إِنَّكَ فِي زَمَانِكَ وَاحِدٌ * وَلِكُلِّ عَصْرِ وَاحِدٌ لَا يُلْحَقُ
إِنَّ الْأَلَى قَدْ عَاصَرُوكَ وَفَاتَهُمْ * أَنْ يَسْمَعُوكَ كَأَنَّهُمْ لَمْ يُخْلَقُوا

-
- (١) جاك رومانو : يهودى من أهالى الاسكندرية ، كان من رجال المال ، يعمل عملا رئيسيا في أحد المصارف ، وكان حسن المأدبة والفناء ، ظريف الثمائل ، وكان مديقا حميا للرحوم عبده الخامولى .
- (٢) التللود : سفر دينى لليهود نمتا في القرون الأربعة أو الستة من العهد المسيحى ، وصار مع التوراة كتاب اليهود المقدس .
- (٣) الصكوك : وثائق الديون التى اشتهر بها اليهود .
- (٤) خص داود عليه السلام لما اشتهر به من حسن الصوت ، ولما اشتهرت به مزماريه من الترنم بها وتريلها .
- (٥) الفريد : المفرد .

(١) قد جاء (موسى) بالعصا وأتيتنا * بالعود يسدو في يديك وينطق
 فاذا أرتجلت لنا الغناء فكنا * مهج تسيل وأنفس تتحرق
 فطالب بإعادة ومطالب * بزيادة ومهل ومصفق
 (٢) تتسابق الأسماع صوبك كما * غيتها شوقا إليك وتغنى
 (٣) وتود أقيدة هتكت شغافها * لو أنها بذيلها تتعلق
 (٤) خلق كما شاء الجليس وشيمة * يذكوها صدر الندى ويعبق
 ومروءة لو أنها قد قسمت * بين اليهود لأحسنوا وتصدقوا

نادى الألعاب الرياضية

أنشدها في ليلة أحيائها نادى الألعاب الرياضية بالأوبرا السلطانية

[ليلة السبت ٨ أبريل سنة ١٩١٦ م]

ينادى الجزيرة قف ساعة * وشاهد ربك ما قد حوى
 (٥) ترى جنة من جنان الربيع * تبدت مع الخلد في مستوى
 (٦) جمال الطبيعة في أفقها * تجلى على عرشه وأستوى

(١) موسى، هو نبي الله موسى بن عمران عليه السلام؛ ومعجزته في عصاه مشهورة ورد ذكرها

في القرآن . (٢) صوبك : جهتك . وتغنى : تسرع .

(٣) بذيلها، أى الأسماع . وشغاف القلب : غلافه . (٤) الندى : مجلس القوم .

ويذكروا ويعبق، أى يطيب ويتعطر . (٥) تبدت : ظهرت .

(٦) تجلى : ظهر . وأستوى، أى استقر .

قُلْ لِلْخَزِينِ وَقُلْ لِلْعَلِيلِ * وَقُلْ لِلْمَلُولِ : هُنَاكَ الدَّوَا
 (١)
 وَقُلْ لِلْأَدِيبِ : ابْتَدِرْ سَاحَهَا * إِذَا مَا الْيَأْسُ عَلَيْكَ انْتَصِرْ
 (٢)
 وَقُلْ لِلْمَكْبِّ عَلَى دَرِسِهِ * إِذَا نَهَكَ الدَّرْسُ مِنْهُ الْقُوَى :
 (٣)
 تَنَسَّمَ صَبَاَهَا تُجَدِّدُ قَوَاكَ * فَأَرْضُ الْجَزِيرَةِ لَا تُجْتَوَى
 (٤)
 فِيهَا شِفَاءٌ لِمَرْضَى الْهُمُومِ * وَمَلَهَى كَرِيمٌ لِمَرْضَى الْهَوَى
 (٥)
 وَفِيهَا وَفِي نَيْلِهَا سُلُوءٌ * لِكُلِّ غَرِيبٍ رَمَتْهُ النَّوَى
 (٦)
 وَفِيهَا غِذَاءٌ لِأَهْلِ الْعُقُولِ * إِذَا الرَّأْسُ إِثْرَ كَلَالٍ خَوَى
 (٧)
 وَيَا رَبَّ يَوْمٍ شَدِيدِ اللَّظَى * رَوَى عَنْ جَهَنَّمَ مَا قَدْ رَوَى
 (٨)
 بِهِ الرِّيحُ لِفَاحَةً لِلْوُجُوهِ * بِهِ الشَّمْسُ تَزَاعَةُ لِلشَّوَى
 (٩)
 قَصَدْتُ الْجَزِيرَةَ أَبْغَى النِّجَاةِ * وَجِسْمِي شَوَاهُ اللَّظَى فَاشْتَوَى
 (١٠)
 فَأَلْفَيْتُ نَادِيَهَا زَاهِرًا * وَأَلْفَيْتُ ثُمَّ نَعِيًا ثَوَى
 (١١)
 فَأَنْزَلَنِي مُتَزَلًّا طَيًّا * وَرَوَى فَوَادِي حَتَّى آرَتَوَى
 (١٢)
 وَأَطْفًا وَارِفٌ تِلْكَ الظَّلَالِ * سَعِيرَ الْهَجِيرِ وَحَرَّ الْجَوَى

- (١) السَّاح : جَمْعُ سَاحَةٍ . وَالتَّوَى : صَعِبٌ وَأَسْعَمَى . (٢) الْمَكْبُّ عَلَى دَرْسِهِ : الْمُقْبِلُ عَلَيْهِ
 الْمُجْتَهِدُ فِيهِ . (٣) لَا تُجْتَوَى : أَيْ لَا تُكْرَهُ الْإِنَامَةُ بِهَا . (٤) النَّوَى : الْبَعْدُ . (٥) الْكَلَالُ :
 الْإِعْيَاءُ وَالتَّعَبُ . وَخَوَى : خَلَا . (٦) اللَّظَى : شِدَّةُ الْحَرِّ . (٧) لِفَاحَةُ الْوُجُوهِ : مَحَرَّةٌ لَهَا مَغِيرَةٌ
 لِأَلْوَانِهَا . وَالشَّوَى : الْبِدَانُ وَالرَّجْلَانِ وَحُفَّ الرَّأْسِ . وَكُنِيَ بِقَوْلِهِ : « تَزَاعَةُ لِلشَّوَى » : عَنْ شِدَّةِ الْحَرِّ . يُشِيرُ
 إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى فِي وَصْفِ جَهَنَّمَ : (كَلَّا إِنَّهَا لَظَى تَزَاعُ لِلشَّوَى) . (٨) ثَوَى بِالْمَكَانِ : أَقَامَ بِهِ .
 (٩) الْوَارِفُ مِنَ الظَّلَالِ : مَا اتَّسَعَ وَامْتَدَّ مِنْهَا . وَالْهَجِيرُ : شِدَّةُ الْحَرِّ . وَالْجَوَى : الْحَزَنُ وَالْحَرَّةُ وَشِدَّةُ الْوَجْدِ .

- (١) وَحَلَّ الْأَصِيلُ عِقَالَ الشِّمَالِ * فَهَبْتُ بَنَشِيرِهَا أَنْضَوَى
(٢) فَأَحْيَتْ بِنَفْسِي ذِكْرَى الشَّبَابِ * وَمَا كَانَ مِنْهَا وَمِنْهُ أَنْطَوَى
(٣) وَعَاوَدَ قَلْبِي ذَاكَ الْخُفُوقِ * وَقَدْ كَانَ بَعْدَ الْمَشِيبِ أَرْعَوَى
(٤) فَمَا بَالُ قَوْمِي لَا يَأْخُذُونَ * لِتِلْكَ الْجِنَانِ طَرِيقًا سَوَا
(٥) وَمَا بَالُ قَوْمِي لَا يَتَزَلُّونَ * بَغَيْرِ (جُرْبِي) وَ(بَارِ اللَّوَا)
(٦) تَرَاهُمْ عَلَى تَرْدِهِمْ عُكْفًا * يُبَادِرُ كُلُّ إِلَى مَا غَوَى
(٧) وَلَوْ أَنْصَفُوا الْجِسْمَ لَأَسْتَظْهَرُوا * لَهُ بِالْمِرَانِ وَطِيبِ أَلْهَوَا



- فِيَا نَادِيًا ضَمَّ أَنْسَ النَّدِيمِ * وَلَهُوَ الْكَرِيمُ وَقِيَتَ الْإِسْلَى
(٨) لِيَا إِلِيكَ أَنْسُ جَلَّاهَا الصِّفَا * فَأَسْرَتْ إِلَيْكَ وَفُودُ الْمَلَا
(٩) فَكَمْ لَيْلَةً طَابَ فِيكَ الْحَدِيثُ * فَكَانَ الْكُثُوسَ وَكَانَ الطَّلَا

- (١) الأصيل : وقت العشي . يقول : إن ريح الشمال انطلقت في هذا الوقت . والنشر : الرائحة الطيبة . وانضوى : انضم إليها وامتزج بها . (٢) الضمير في « منها » للذكرى ؛ وفي « منه » للشباب . (٣) ارعوى عن الأمر : رجع عنه وكف . (٤) طريقا سوا (بفتح السين والقصر) ، أى سواء (بالمدة) بمعنى المستوى الذى لا صوج فيه . (٥) جربى ، وبارالوا : مقهيان معروفان في القاهرة يقصد إليهما خاصة الناس . (٦) الازد ، هو اللعبة المعروفة بالطائرة . (٧) استظهروا ، أى استعانوا . و « له » أى لأجله . والذى وجدناه في كتب اللغاة مرن الجسم مرونا ومرانة لا مرانا كما استعمله الشاعر متابعة لما شاع في كلام أهل مصر . (٨) الإسماء والسرى : السير بالليل . (٩) الطلاء (بالمدة) وقصر للضرورة : الخمر ؛ شبه به طيب الحديث .

(١) فَمِنْ مُشْجِيَاتٍ إِلَى مُطْرِبَاتٍ * إِلَى مُضْحِكَاتٍ تُسَلَّى ، إِلَى ...
 وَقَدْ زَانَ لَهْوَكَ ثَوْبُ الْوَقَارِ * فَلَهْوَكَ فِي كُلِّ ذَوْقٍ حَلَا
 تَتَخَفُ إِلَيْهِ رِزَانُ الْجَمَا * وَتَمْشِي إِلَيْهِ السَّرَاةُ الْأَلَى (٢)
 فَقُلْ لِلَّذِي بَاتَ تَحْتَ الْعُقُودِ * بِحَرْبٍ عَلَى نَفْسِهِ مُبْتَلَى (٣)
 أَتِلْكَ الْأَمَاكِنُ لَا تُسْتَرَادُ * أَتِلْكَ الْمَنَاطِرُ لَا تُجْتَلَى (٤)
 أَتَحْتَ السَّمَاءِ وَبَدْرِ السَّمَاءِ * وَبَيْنَ الرِّيَاضِ وَبَيْنَ الْخَلَا
 يَمَلُّ الْجُلُوسُ وَيَفْنَى الْحَدِيثُ * فَهَذَا النَّعِيمُ وَإِلَّا فَلَا؟
 سَأَلْتُ الْأَلَى يَقْدِرُونَ الْحَيَاةَ * أَلَمْ تَفْتَنْتَنِيكُمْ؟ فَقَالُوا : بَلَى
 مَكَانٌ لَعْمُكَ مَا حَلَّ فِي * نَوَاحِيهِ ذُو الْحُزْنِ إِلَّا سَلَا
 فَمَا أَنْتَ فِي مِصْرَ إِنْ لَمْ تَطْرُ * إِلَيْهِ فَتَشْهَدَ تِلْكَ الْحُلَى
 لَهُ مَلْعَبٌ فِيهِ مَا يَشْتَهَى * مُحِبُّ الرِّيَاضَةِ مَهْمَا غَلَا
 لِكُلِّ فَرِيقٍ بِهِ لُعْبَةٌ * تُلَايِمُ مِنْ سِنِّهِ مَا خَلَا (٥)
 وَلِعَبُّهُ هُوَ الْجَدُّ لَوْ أَنَّكَ * تَنْظُرُنَا إِلَيْهِ بَعَيْنِ النَّهَى

(١) إلى ، أى إلى غير ذلك من أنواع اللهو . (٢) الزان : جمع رزين . يريد
 العقول الراجحة . وتخف له ، أى إلى ما فى هذا النادي من لهو ومتاع . وسراة القوم : ذور الأقدار
 الرفيعة ، الواحد سرى (بفتح السين وتشديد الباء) . والألى ، أى الذين بلغوا من الرفعة وعلو المنزلة مبلغا
 عظيما ؛ فحذف الشاعر الصلة للعلم بها . (٣) العقود : نوع من الأبنية معروف فى مصر ؛
 ومنه ما يسمى بالبواكى ؛ وكان بعض أصحاب المقاهى يتخذون تحتها مقاعد للناس .
 (٤) تستراد : تبغى وتطلب . (٥) ما خلا ، أى ماضى من عمره .

لَدَى غَيْرِ (مُضَرٍّ) لَهُ حُظْوَةٌ * فَمِنْ رَاحٍ يَلْهُو بِهِ مَنْ لَهَا
 وَفِي أَرْضِ (يُونَانَ) شَاهِدَتُهُ * فَأَيُّ جَمَالٍ إِلَيْهِ آتَتْهُ
 وَشَاهَدْتُ مَوْسِمَهُ قَدْ حَوَتْ * نَوَاحِيهِ غَايَةً مَا يُشْتَمَى^(١)
 وَمَجَاجَ بُزْوَارِهِ الْمُوَلَعِينَ * وَأَضْحَى بَعْرَشَ الْمُلُوكِ أَرْذَاهُ^(٢)
 وَقَدْ زَادَ أَلْعَابَهُ بَهْجَةً * مَكَانٌ فَسِيحٌ مُعَدُّ لَهَا^(٣)
 صِرَاعٌ وَعَدُوٌّ بَعِيدُ الْمَدَى * وَوَثْبٌ يَكَادُ يَنَالُ الشُّهَى^(٤)
 وَشَاهَدْتُ عَدَاءَهُمْ قَدْ عَدَا * ثَلَاثِينَ مِيلًا وَمَا إِنْتَ وَهَى^(٥)
 وَقَامَتْ مُلَاكَّةُ اللَّاعِبِينَ * فَأَنْتِ تَنَاطُحُ وَحْشِ الْمَهَى^(٦)
 بِأَوْحَى مِنَ اللَّحْمِ كَانَ النَّزَالُ * فَيَاوِيلَ مَنْ مِنْهُمَا قَدْ سَهَا^(٧)
 وَلَوْ رُحْتُ أَنْتِ تِلْكَ الضُّرُوبُ * لَضَاقَ الْقَرِيضُ وَأَعْيَا بِهَا^(٨)
 عَلَى أَنْتِ فِي أَفْقِنَا نَهْضَةً * سَتَبْلُغُ رَغَمَ الْقُعُودِ الْمَدَى^(٩)
 وَإِنْ لَمْ تَكُنْ بَلَغْتَ أَوْجَهَا * كَذَا كُلُّ شَيْءٍ إِذَا مَا أَبْتَدَا^(١٠)
 وَنَادَى الرِّيَاضَةَ أَوَّلَى بَأْتِ * يَكُونُ عَلَيْهَا مَنَارُ الْهُدَى^(١١)

(١) ازدهى : افتخروا اختال .

(٢) العدر : الجرى . والسها : كوكب خفى لشدة بعده . (٣) عدا : جرى . وهى : ضعف .

(٤) المهى : بقر الوحش ، الواحدة مهاة . (٥) أوحى من اللح ، أى أسرع منه . والوحى :

(بالألف المقصورة ، والوحاء بالمد) : السرعة . ومنها ، أى من المتلاكين .

(٦) الضروب : أنواع اللعب . (٧) أوجها ، أى غاية ما تسموا إليه .

(٨) عليها ، أى على تلك النهضة السابق ذكرها .

(١) أَظَلَّتْ جَلَائِلَ أَعْمَالِهِ * ظِلَالُ (حُسَيْنٍ) حَلِيفِ النَّدَى
(٢) مَلِيكَ رَعَاهُ بِإِقْبَالِهِ * وَحُسْنِ عِنَايَتِهِ وَالْجَدَا
فَفِي عَهْدِهِ فَلْيَجِدْ الْمَجْدَ * فَإِنَّ السُّعُودَ بِهِ قَدْ بَدَا

رحلته إلى إيطاليا

[نشرت في نوفمبر سنة ١٩٢٣ م]

(٣) عاصِفٌ يَرْتَمِي وَبَحْرٌ يُغِيرُ * أَنَا بِاللَّهِ مِنْهُمَا مُسْتَجِيرُ
(٤) وَكَأَنَّ الْأَمْوَاجَ، وَهِيَ تَوَالِي * مُحْتَقَاتٍ، أَشْجَانُ نَفْسٍ تُشَوِّرُ
(٥) أَزِيدَتْ، ثُمَّ جَرَجَتْ، ثُمَّ نَارَتْ * ثُمَّ فَارَتْ كَمَا تَفُورُ الْقُدُورُ
(٦) ثُمَّ أَوْفَتْ مِثْلَ الْجِبَالِ عَلَى الْقُدُ * لِكَ وَلِلْفُلْكِ عَزْمَةٌ لَا تُحْشُورُ
(٧) تَتَرَامَى يُجْجُجُؤُ لَا يُبَالِي * أَمِيَاهُ تَحْوَطُهُ أَمْ صُحُورُ؟
أَزْعَجَ الْبَحْرُ جَانِبَيْهَا مِنَ الشَّدِّ * فَجَنْبُ يَعْلو وَجَنْبُ يَغْشُورُ
(٨) وَهُوَ أَنَا يَنْحَطُّ مِنْ عُلُوِّ كَالْسَيْ * لِي وَأَنَا يَحْوَطُهَا مِنْهُ سُورُ

- (١) يريد المغفور له السلطان حسين كامل . والندى : الجود . (٢) الجدا : العطاء .
(٣) يرتمي : يشد في هوبه . (٤) توالى ، أى توالى . ومحنتات : غاضبات . وشور :
تهيج . (٥) أزيدت : قذفت بالزبد (بالتحريك) ، وهو الرغوة التى تعلو الماء عند فورانه .
وجرجرت : صوت . (٦) أوفى عليه : أشرف . وتحور : تضعف . (٧) تترامى ، أى
الفلك ؛ وهويذ كرويونث . ويجوؤ السفينة : صدها . (٨) ضمير وهو ، والهاء ، فى قوله :
« منه » البحر . ومن علو (مثلث الواو) ، أى من أعلى .

(١) وهى تَزَوَّرُ كالجَوَادِ إِذَا مَا ۖ سَاقَهُ لِلطَّعَانِ نَذْبٌ جَسُورٌ
 (٢) وَعَلَيْهَا نُفُوسُنَا خَائِرَاتٌ * جَارِزَاتٌ كَادَتْ شَعَاعًا تَطِيرُ
 (٣) فِي شَنَايَا الْأَمْوَاجِ وَالزَّيْدِ الْمَنَى * مُدَوِّفٍ لَاحَتْ أَكْفَانُنَا وَالْقُبُورُ
 مَرَّ يَوْمٌ وَبَعْضُ يَوْمٍ عَلَيْنَا * وَالْمَنَايَا إِلَى النُّفُوسِ تُشِيرُ
 (٤) ثُمَّ طَافَتْ عِنَايَةُ اللَّهِ بِالْقُدِّ * بِكَ فَرَاثَ عَمَّنْ يُقِلُّ الشُّرُورُ
 مَلَكَتْ دَقَّةَ النَّجَاةِ يَدُ اللَّهِ * بِهِ فُسُبْحَانُ مَنْ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ
 (٥) أَمَرَ الْبَحْرَ فَاسْتَكَانَ وَأَمْسَى * مِنْهُ ذَاكَ الْعُبَابُ وَهُوَ حَصِيرُ
 (٦) أَيُّهَا الْبَحْرُ لَا يَغُرَّنِكَ حَوْلٌ * وَأَتَّسَاعُ وَأَنْتَ خَلْقٌ كَبِيرُ
 (٧) إِنَّمَا أَنْتَ ذَرَّةٌ قَدْ حَوَّثَهَا * ذَرَّةٌ فِي فَضَاءٍ رَبِّي تَدُورُ
 (٨) إِنَّمَا أَنْتَ قَطْرَةٌ فِي إِنَاءٍ * لَيْسَ يَدْرِي مَدَاهُ إِلَّا الْقَدِيرُ
 (٩) إِيهِ (أَسِيرِيَا) فَدَّتِكَ الْجَوَارِي * مَنَشَاتٍ كَأَنَّهُنَّ الْقُصُورُ
 (١٠) يَا عَرُوسَ الْبَحَارِ إِنَّكَ أَهْلٌ * أَنْ تُحَلِّيكِ بِالْجُمَانِ الْبُحُورُ
 فَالْبَسِي الْيَوْمَ مِنْ ثَنَائِي عِقْدًا * تَشْتَهِيهِ مِنَ الْحِسَانِ النَّحُورُ

- (١) تَزَوَّرَ : تحرف وتميل . والنذب : الماضي الخفيف في الحاجة . (٢) طَارَتْ نَفْسُهُ شَعَاعًا ، أى ذهبت متفرقة من خوف أو نحوه . (٣) يُقَالُ : نَذَفَ الْقَطَنَ يَنْدِفُهُ ، وَذَلِكَ إِذَا ضَرَبَهُ بِالْمَنْدَفِ لِيَرْقُ . وشبه الشاعر زبد البحر بالقطن المنذوف . (٤) تَقِلُّ : تَحْمَلُ . (٥) اسْتَكَانَ : سَكَنَ وَخَضَعَ . والعباب : الموج . وهو حصير ، أى مستوى السطح كالحصير . (٦) الْحَوْلُ : الْقُوَّةُ . (٧) أَيْ أَنَّ الْبَحْرَ ذَرَّةٌ مِنَ الْكَرَّةِ الْأَرْضِيَّةِ الَّتِي هِيَ ذَرَّةٌ فِي الْفَضَاءِ . (٨) مَدَاهُ ، أَيْ مَدَى الْإِنَاءِ . وَيُرِيدُ «بِالْإِنَاءِ» الْكَوْنُ . (٩) أَسِيرِيَا : اسْمُ الْبَاخِرَةِ الَّتِي أَقْلَتِ الشَّاعِرُ إِلَى إِيطَالِيَا . وَالْجَوَارِي : السَّفَنُ ، الْوَاحِدَةُ جَارِيَةٌ . (١٠) الْجُمَانُ : الْوَلُؤُ ، الْوَاحِدَةُ جَمَانَةٌ . وَخَصَّ الْجُمَانُ لِأَنَّهُ مِمَّا تَحْوِيهِ الْبَحَارُ فِي أَجْوَانِهَا .



(١) إِيهِ إِيْطَالِيَا عَدَّتْكَ الْعَوَادِي * وَتَنَحَّى عَنْ مَا كُنِيكَ الثُّبُورُ
فِيكَ يَا مَهْبِطَ الْجَمَالِ فُنُونٌ * لَيْسَ فِيهَا عَنِ الْكَمَالِ قُصُورُ
وَدُمِّي بَجَمْعِ الْمَحَاسِنِ فِيهَا * صَنَعَ الْكَفِّ عَبْقَرِيٌّ شَهِيرُ^(٢)
قَدْ أُقِيمَتْ مِنَ الْجَمَادِ وَلَكِنْ * مِنْ مَعَانِي الْحَيَاةِ فِيهَا سَطُورُ
فَهِيَ تَبْدُو مِنَ الْمَلَائِكِ يَكْسُو * هَا جَمَالٌ عَلَى حِفَافِيهِ نُورُ^(٣)
أَمِرْتُ بِالسُّكُوتِ مِنْ جَانِبِ الْحَقِّ * بِدُنْيَا فِيهَا الْأَحَادِيثُ زُورُ
أَرْضُهُمْ جَنَّةٌ وَحُورٌ وَوِلْدَانٌ * نُنْجَا تَشْتَهِي وَمُلْكٌ كَبِيرُ
تَحْتَهَا - وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ - نَارٌ * وَعَذَابٌ وَمُنْكَرٌ وَنَكِيرُ^(٤)
إِنَّ يَوْمًا كَيَوْمِ (رَدْجُو) وَ(مَسِيد) * وَ(كَالْبَرِّيَا) لَيَوْمٌ عَسِيرُ^(٥)
سَاعَةٌ مِنْهُ تَهْلِكُ الْحَرِثُ وَالنَّسْ * لَ وَتَمُحُّ مَا سَطَّرَتْهُ الدُّهُورُ^(٦)
ذَاكَ (فِي زُوف) قَائِمًا يَتَنَظَّلِي * قَدْ تَعَالَى شَيْقُهُ وَالزَّفِيرُ^(٧)

(١) عدتكَ العوادي : جاوزتكَ النواثب وتخطتكَ . والثبور : الهلاك .

(٢) يريد « بالدمى » : التماثيل ، الواحدة دمية . وصنع الكف (بالتحريك) : حاذق بصنعه . ويشير بهذا البيت وما بعده الى ما اشتهر به الإيطاليون من صنع التماثيل التي تنطق بمهارة صناعها وحذقهم .

(٣) على حفافيه : على جانبيه . (٤) منكر ونكير : ملكان قيل إنهما يفتنان الميت

في قبره ؛ وهما مثلان في الفرع والرعب . ويشير بهذا البيت الى ما خصت به طبيعة بلادهم من وجود

البراكين وكثرة الزلازل بها . (٥) يريد بيوم رددجو ومسينا : يوم الزلزال الذي وقع في هذين

البلدين انظر القصيدة السابقة في زلزال مسينا . (٦) الحرث : الزرع . (٧) فيزوف :

بركان بإيطاليا معروف .

(١) يُنْذِرُ الْقَوْمَ بِالرَّحِيلِ وَلَكِنْ * لَيْسَ يُغْنِي مَعَ الْقَضَاءِ النَّذِيرُ
 وَكَذَلِكَ الْأَوْطَانُ مَهْمَا تَجَنَّتْ * لَيْسَ لِلْحُرِّ عَنْ حِمَاهَا مَسِيرُ
 (٢) شَمْسُهُمْ غَادَةٌ عَلَيْهَا حِجَابٌ * فَهِيَ شَرْقِيَّةٌ حَوْثُهَا الْخُدُورُ
 (٣) شَمْسُنَا غَادَةٌ أَبَتْ أَنْ تَوَارَى * فَهِيَ غَرْبِيَّةٌ جَلَاهَا السُّفُورُ
 جَوْهَرُهُمْ فِي تَقَلُّبٍ وَأَخْتِلَافٍ * غَيْرَ أَنَّ الثَّبَاتَ فِيهِمْ وَفِيرُ
 (٤) جَوْنَا أَثْبَتَ الْجَوَاءِ وَلَكِنْ * لَيْسَ فِينَا عَلَى الثَّبَاتِ صَبُورُ
 وَلَتَيْهِمْ مِنَ الْفَنُونِ لُبَابٌ * وَلَدَيْنَا مِنَ الْفُنُونِ قُشُورُ
 (٥) أَنْكَرَ الْوَقْفَ شَرْعُهُمْ فَلِهَذَا * كُلُّ رَبْعٍ بَارِضِهِمْ مَعْمُورُ
 (٦) لَيْسَ فِيهَا مُسْتَنْقَعٌ أَوْ جِدَارٌ * قَدْ تَدَاعَى أَوْ مَسْكَنٌ مَهْجُورُ
 (٧) كُلُّ شَيْءٍ فِيهَا عَلَيْهِ بِنَاءٌ * مُشْمِخِرٌ أَوْ رَوْضَةٌ أَوْ غَدِيرُ
 قَسَمُوا الْوَقْتَ بَيْنَ هُوٍ وَجِدٍّ * فِي مَدَى الْيَوْمِ قِسْمَةً لَا تَجُورُ
 (٨) كُلُّهُمْ كَادِحٌ بِكُورٍ إِلَى الرِّزِّ * قِيَّ وَلَا إِذَا دَعَاهُ السُّرُورُ

- (١) أى إن فيزوف بما يتصعد منه من دخان دائم كأنه نذير القوم بالرحيل عن جواره واختيار مكان آخر يقيمون به ، ولكن إذا حم القضاء فلا تغنى النذر . (٢) الغادة : المرأة الناعمة اللينة . وشرقية ، أى امرأة شرقية ، ويشير إلى ما يحجب الشمس في بلادهم من الضباب والغيمة . (٣) غربية ، أى امرأة غربية . ويشير إلى صحو الجحوق وصفائه من الغيم في بلاد الشرق . (٤) الجواء : جمع جو . (٥) يشير إلى ما يلحق منازل الأوقاف في مصر من التخريب والدمار لقلة العناية بها . وكان للشاعر كلمة مأثورة في هذا ، وهى : « بيوت الوقف كالحدري في وجه المدينة » . (٦) تداعى : تهدم . (٧) مشمخر : مرتفع . (٨) الكادح : الساعى المجتهد في طلب الرزق . والبكور (فتح الباء) : المبكر .

لا تَرَى في الصَّبَاحِ لَأَعْبَ نَزْدُ * حَوْلَهُ لِلرَّهَائِنِ جَمٌّ غَفِيرٌ
 لَا وَلَا بَاهِلًا سَلِيمَ النَّوَاحِي * ^(١) لِلْقَهَاوِي رَوَاحُهُ وَالْبُكُورُ
 لَمْ يَحُلْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْمَلَاهِي * ^(٢) أَوْشُؤُونَ الْحَيَاةَ جَوْ مَطِيرٌ
 لَا يُيَالُونُ بِالطَّيِّعَةِ حَنْتٌ * ^(٣) أَمْ تَجَنَّتْ أَمْ أَحْوَاهَا النَّعُورُ
 عَصَفَتْ فَوْقَهُمْ رِيَّاحُ عَوَاتٍ * ^(٤) أَمْ أَجَازَتْ بِهِمْ صَبَا أَمْ دُبُورُ
 قَدْ آعَدُوا لِحَادِثَاتِ اللَّيَالِي * ^(٥) عُدَّةٌ لَا يَحُوزُهَا التَّقْدِيرُ
 نَضَرُوا الصَّخْرَ فِي رُءُوسِ الرُّوَامِي * وَلَدَيْنَا فِي مَوْطِنِ الْخَضْبِ بُورُ
 قَدْ وَقَفْنَا عِنْدَ الْقَدِيمِ وَسَارُوا * حَيْثُ تَسِيرُ إِلَى الْكَمَالِ الْبُدُورُ
 وَالْجَوَارِي فِي النَّيْلِ مِنْ عَهْدِ (نُوحٍ) * لَمْ يَقْدَرْ لُصْنُهَا تَغْيِيرُ
 وَلَعَ الْقَوْمُ بِالنَّظَافَةِ حَتَّى * جُنَّ فِيهَا غَنِيَهُمْ وَالْفَقِيرُ

(١) الباهل : المتردد بلا عمل . وسليم النواحي ، أى صحيح الجسم ليس به عادة تمنعه العمل .
 وإطلاق «الفهوة» على المكان الذى تشرب فيه : مجاز ، كما إطلاق النار على جهنم .

(٢) يريد بهذا البيت أن الأمطار فى تلك البلاد مهما غزرت قلن تنوق السائرين عن مقاصدهم
 لما لديهم من الوسائل التى تجعل ذلك من الأمور المألوفة . ويشير الشاعر إلى المقارنة بين ما لديهم من تلك
 الوسائل وما لدينا . (٣) النعور : الريح التى تقابك بحروانت فى برد ، أو يبرد وأنت فى حر .

(٤) العواتى من الرياح : الشديدة العصف ، التى جاوزت حدَّ هبوبها . وأجازت بهم ، أى مرت
 بهم . وفى كنب اللغة أن أجاز وجاز ، كلاهما بمعنى جاوز . ومنه حديث المسعى : «لا تحجزوا البطحاء
 إلا شدا» أى لا تجوزوا . والصبا : ريح الشمال ، وتقابلها الدبور ، وهى ريح الجنوب .

(٥) يشير بهذا البيت إلى ما امتازت به أمم الغرب من دؤوب على العمل وعلم جم حتى إنهم جعلوا
 الصخور فى رؤوس الجبال التى لا تنبت شيئاً نضرة بما غرسوا فيها من ألوان النبات ، عكس ما لدينا من كسل
 وتواكل جعلنا أرضنا الخصبه مقفرة من الزرع .

فَاذَا سِرْتُ فِي الطَّرِيقِ نَهَارًا * خِلْتُ أَنِّي عَلَى الْمَرَايَا أُسِيرُ
 أَقْرَطَ الْقَوْمُ فِي النَّظَامِ وَعِنْدِي * أَنْ فَرَطَ النَّظَامُ أَسْرُ وَنِيرُ^(١)
 وَلَذِيذُ الْحَيَاةِ مَا كَانَ فَوْضَى * لَيْسَ فِيهَا مُسَيِّطَرٌ أَوْ أَمِيرُ
 فَإِذَا مَا سَأَلْتَنِي قُلْتُ عَنْهُمْ * أُمَّةٌ حُرَّةٌ وَفَرْدٌ أُسِيرُ^(٢)
 ذَاكَ رَأَيْي وَهَلْ أَشَارَكَ فِيهِ * إِنَّهُ قَوْلُ شَاعِرٍ لَا يَضِيرُ
 فِي جِبَالِ التِّيْرُولِ إِنْ أَقْبَلَ الصَّبِي * فُ نَعِيمٌ وَإِنْ مَضَى زَمَهْرِيرُ^(٣)
 أَذْكَرْتَنِي مَا قَالَهُ عَرَبِيٌّ * طَارِقِي أَمْسَى أَحْتَوَاهُ (شَلِيرُ)^(٤)
 حَلَّ تَرَكْتُ الصَّلَاةَ فِي هَذِهِ الْأَر * ضٍ وَحَلَّتْ لَنَا عَلَيْهَا الْخُمُورُ

- (١) النير : الخشبة المعترضة في عنق الثورين بأداتها . (٢) يشير بقوله : وفرد أسير، إلى كثرة ما سنوا من قوانين ونظم تقيد الأفراد في نواحي الحياة ولا تجعلهم مطلق الحرية .
- (٣) التيرول : إقليم جبلي من جبال الألب يقع في الشمال الشرق من إيطاليا .
- (٤) طارق : نسبة إلى طارق بن زياد فاتح الأندلس . وشلير (بلفظ التصغير) : جبل بالأندلس من أعمال البيرة، لا يفارقه الثلج شتاء ولا صيفا . وفي هذا البيت سناد حذو، وهو اختلاف حركة الحرف الذي قبل الردف، والردف : حرف مذكور في الروي . ويشير الشاعر بهذا البيت إلى قول بعض المغاربة وقد مر بشلير فوجد ألم البرد :

يحل لنا ترك الصلاة بأرضكم * وشرب الخمر وهو شئ محرم
 فرارا إلى نار الجحيم فانها * أخف علينا من شلير وأرحم
 اذا هبت الريح الشمال بأرضكم * فطوبى لعبدا في لظى يتنصم
 أقول ولا أنحى على ما أقوله * كما قال قبلي شاعر متقدم
 فان كان يوما في جهنم مدخلي * ففي مثل هذا اليوم طابت جهنم

وقد ضمن حافظ معنى هذه الأبيات في البيتين الآتيين .

إِنَّ صَدْرَ السَّعِيرِ أَحْنَى عَلَيْنَا * مِنْ (شُلَيْرٍ) وَأَيْنَ مِنَّا السَّعِيرُ
 قَدْ بَلَوْتُ الْحَيَاةَ فِي الشَّرْقِ وَالْغَرْ * بِ فَمَا فِي الْحَيَاةِ أَمْرٌ يُسِيرُ
 مِنْ ثَوَاءٍ فِيهِ الْمَلَالُ لِزَامٍ * أَوْ رَجِيلٍ فِيهِ الْعَنَاءُ كَثِيرٌ^(١)

حريق

قال هذه الأبيات في حريق رآه بمنزل عبد الله أباظه بك

عَجِبَ النَّاسُ مِنْكَ يَا بَنَ سُلَيْمًا * نَ وَقَدْ أَبْصَرُوا لَدَيْكَ عَجِيْبًا
 أَبْصَرُوا فِي حِمَاكَ غَيْثًا وَنَارًا * ذَاكَ يَهْمِي وَتِلْكَ تَذْكُوهِيَا^(٢)
 وَنَسُوا أَنَّ جُودَكَ كَفَّفَكَ غَيْثٌ * ظَلَّ لِلرَّجِيِّ الْوُرُودَ قَرِيبًا^(٣)
 وَهِيَ ضَيْفٌ أَصَابَهُ عَنَتُ الدَّهْرِ * بِرٍ وَأَلْفَى هَذَا الْفِنَاءَ رَحِيْبًا^(٤)
 فَأَتَى يُبْرِدُ الْغَلِيلَ بِقَطْرِ * مِنْ نَدَى سَيِّدِ يُوَامِي الْغَرِيْبَا

(١) الثواء : الإقامة .

(٢) يهمني : ينصب . ويريد « بالغيث » : كرم المدوح . وتذكرو : تضرع وتشتعل .

(٣) هي ، أى النار . والعنت : الشدة والمشقة . والفناء (بكسر الفاء) : ساحة البيت .

(٤) الغليل : شدة العطش .

خنجر مكبث

قصيدة مترجمة عن الشاعر الإنجليزي شكسبير، قالها على لسان مكبث يخاطب خنجرا تخيله حينما
هم بأغبال آبن عمه دانكان الملك ليخلفه في ملكه ؛ ويصف تردده أولا ثم تصييه بعد ذلك على
تفقيده ما أراد :

- (١) كَأَنِّي أَرَى فِي اللَّيْلِ نَصْلاً مَجْرَداً * يَطِيرُ بِكَلْبَتَا صَفْحَتَيْهِ شَرَارُ
(٢) وَقَلْبِهِ لِلْعَيْنِ كَفٌّ خَفِيَّةٌ * فِيهِ خُفُوقٌ تَارَةً وَقَرَارُ
(٣) يُمَاطِلُ نَصْلِي فِي صَفَاءِ فِرْنِدِهِ * وَيَحْكِيهِ مِنْهُ رَوْنَقٌ وَغَرَارُ
(٤) أَرَاهُ فَتَذِنَنِي إِلَيْهِ شَرَّاسَتِي * فَيَنَآيُ فِي نَفْسِي إِلَيْهِ أَوَارُ
(٥) وَأَهْوَى بِزَنْدِي طَائِعاً فِي التَّقَاطِطِ * فَيُذِرْكُهُ عِنْدَ الدُّنُورِ نِفَارُ
(٦) تَجَبُّطُنِي مَسٌّ مِنَ الْحَرَنِ أَمْ سَرَتْ * بِأَجْزَاءِ نَفْسِي نَشْوَةٌ وَنَحَارُ
أَرَانِي فِي لَيْلٍ مِنَ الشَّكِّ مُظْلِمٍ * فَيَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ يَلِيهِ نَهَارُ؟
سَأَقْتُلُ ضَيْفِي وَابْنَ عَمِّي وَمَالِكِي * وَلَوْ أَنَّ عُقْبَى الْقَاتِلِينَ خَسَارُ

- (١) نصل السيف : حده . والمجرد من السيوف : المسلول من غمده .
(٢) الخفوق : الاضطراب . والقرار : الاستقرار . (٣) فيرند السيف : جوهره وماؤه
الذي يترقق في صفحته ؛ وهو فارسي معرب . وغرار السيف (بالكسر) : حده . والمعنى أن هذا
الخنجر يشبه خنجري في لماعته وبريقه ومضاء حده . (٤) الشراسة : الحدة وسوء الخلق .
وينأى : يبعد . والأوار : شدة العطش . (٥) الزند من الدراع : ما فوق المرفق . والنفار
(بكسر النون) والنفور (بضمها) كلاهما بمعنى واحد . (٦) يقال : تحبظه الشيطان ، أى مسه
بأذى أرجنون . والنشوة : السكر . ونحار النحر : ما خالطك من سكرها .

وَأَرْضِي هَوَى نَفْسِي وَإِنْ صَحَّ قَوْلُهُمْ * هَوَى النَّفْسِ ذُلٌّ، وَالْحَيَاةُ عَارُ
 فَيَأْخُذُ النَّصْلُ الَّذِي لَاحَ فِي الدُّجَى * وَفِي طَى نَفْسِي لِلشُّرُورِ مَثَارُ^(١)
 تُرَى خَدَعَتْنِي الْعَيْنُ أَمْ كُنْتُ مُبْصِرًا * وَهَذَا دَمٌ، أَمْ فِي شَبَابِكَ نَارُ؟^(٢)
 وَهَلْ أَنْتَ تَمَثَّلُ لِحَكِيدِ نَوَيْتِهِ * وَذَاكَ الدَّمُ الْجَارِي عَلَيْكَ شِعَارُ؟^(٣)
 فَإِنْ لَمْ تَكُنْ وَهْمًا فَكُنْ خَيْرَ مُسْعِدٍ * فَإِنِّي وَحِيدٌ وَالْخُطُوبُ كُثَارُ^(٤)
 وَكُنْ لِي دَلِيلًا فِي الظُّلَامِ وَهَادِيًا * فَلَيْلِي بِهِمُ وَالطَّرِيقُ عِشَارُ^(٥)
 عَلَى الْقَتْلِ يَا (دُنْكَانُ) صَحَّتْ عَزِيمَتِي * وَإِنْ لَمْ يَكُنْ يَدْنِي وَبَيْنَكَ نَارُ
 فَإِنْ يَكُ حُبُّ السَّاجِ أَعْمَى بَصِيرَتِي * فَمَا لِي عَلَى هَذَا الْقَضَاءِ خِيَارُ
 أَعْرِضْنِي قُوَادًا مِنْكَ يَا دَهْرُ قَاسِيًا * لَوْ أَنَّ الْقُلُوبَ الْقَاسِيَاتِ تُعَارُ
 وَيَا حِلْمُ قَاطِعِنِي وَيَا رُشْدُ لَا تَتَّبِ * وَيَا شَرُّ مَالِي مِنْ يَدَيْكَ فِرَارُ^(٦)
 وَيَا لَيْلُ أَتَزِلْنِي بِخَوْفِكَ مَتَرَلًا * يَصِلُ بِهِ سِرْبُ الْقَطَا وَيَحَارُ^(٧)

(١) مَثَارُ، أى مكان لثوران الشر، ويجوز أن يراد به المصدر، أى ثورة الشر واحتياجه .

(٢) شَبَابُ السِّيفِ : حَدَهُ .

(٣) الشِّعَارُ : الْعَلَامَةُ .

(٤) الْكُثَارُ (بضم الكاف) : الْكَثِيرُ . يَقُولُ : إِنْ كُنْتُ أَيْهَا الْخُنْجَرِ خُنْجَرًا حَقِيقِيًّا فَاغْنِ عَنِّي

مَا هَمَمْتُ بِهِ مِنْ قَتْلِ آبِنِ عَمِي، فَإِنِّي وَحِيدٌ لَا أَقْوَى عَلَى أَحْتِمَالِ هَذِهِ الْمَصَائِبِ الْمُحِيطَةِ بِي .

(٥) الْعِشَارُ : الشَّرُّ .

(٦) لَا تَتَّبِ، أى لَا تَرْجِعْ .

(٧) سِرْبُ الْقَطَا : جَمَاعَةُ الْحَمَامِ . وَخَصَّ الْقَطَا بِالذِّكْرِ لِأَنَّهَا يَضْرِبُ بِهَا الْمَثَلُ فِي الْهَدَايَةِ . يَطْلُبُ

إِلَى اللَّيْلِ أَنْ يَسْتَرْه بِظُلَامِهِ حَتَّى لَا يَهْتَدِيَ أَحَدٌ إِلَى خِيَانَتِهِ وَغَدْرِهِ .

- (١) وَإِنْ كُنْتَ لَيْلَ (الْمَانَوِيَّةِ) فَلْيَكُنْ * عَلَى سِرِّ أَهْلِ الشَّرِّ مِنْكَ سِتَارُ
 (٢) وَيَا قَدَمِي سِيرِي حِذَارًا وَخَافِي * مِنْ الْمَشْيِ لَوْ يُنْجِي الْأَثِيمَ حِذَارُ
 وَقَفْتُ يَحْوَفُ اللَّيْلُ وَقَفَّةً سَاحِرٍ * لَهُ الْجُنُّ أَهْلُ وَالْمَكَائِدُ دَارُ
 (٣) إِذَا أَشْتَمَلَ اللَّيْلُ الْبَهِيمَ عَلَى الْوَرَى * تَجَرَّدَ لِلْإِيذَاءِ حَيْثُ يُشَارُ
 (٤) فَمَالِي كَأَنِّي قَاتِيكَ ذُو عَشِيرَةٍ * خِيَارُهُمْ تَحْتَ الظَّلَامِ شِرَارُ
 (٥) إِذَا مَا عَوَى ذِئْبُ الْقَلَاءِ هَبَّ جَمْعُهُمْ * إِلَى الشَّرِّ وَأَسْتَلَتْ ظُبًّا وَشِفَارُ

طول الليل

- (٦) يَاسَاهِدَ النَّجْمِ هَلْ لِلصُّبْحِ مِنْ خَيْرٍ * إِنِّي أَرَاكَ عَلَى شَيْءٍ مِنَ الضَّجْرِ
 (٧) أَظُنُّ لَيْلَكَ مُدُّ طَالِ الْمُقَامِ بِهِ * كَالْقَوْمِ فِي مِصْرَ، لَا يَنْوِي عَلَى سَفَرٍ

(١) أضاف الليل الى المانوية، وهي الطائفة المنسوبة الى ماني، لأنهم كانوا يعتقدون أن الليل إله الشر، والنهار إله الخير، قال أبو الطيب المتنبي :

وكم لظلام الليل عندك من يد * تخبر أن المانوية تكذب

يقول : إن كنت أيها الليل إلها للشر كما تزعم المانوية، فاستر على أهل الشر شرورهم ولا تدل أحدا عليهم .

(٢) خافني من المشي، أي خففيه وخفضي من صوته حتى لا يسمعه أحد . (٣) البهيم : الشديد

الظلمة . وتجرد للإيذاء : انبعث إليه وأسرع نحوه . ويتار : يهاج، أي أسرع إلى الإيذاء حيث يكون

الإيذاء . (٤) يريد بهذه العشيرة : جماعة اللصوص وقطاع الطرق وسفاكي الدماء .

(٥) عوى : صَوْت . والقلا : الصحارى، الواحدة قلاة . وأسلت : أخرجت من أعماقها .

والظبا : جمع ظبة (بضم ففتح) ، وهي حد السيف . والشفار : السكاكين، الواحدة شفرة .

(٦) الساهد : الساهر . (٧) يريد «بالقوم» : الإنجليز . ولا ينوي، أي الليل . شبه

الليل بجيش الاحتلال في مصر في طول الإقامة، وعدم ظهور أمارات تدل على الجلاء .

(١) وقال في هذا المعنى أيضا :

(٢) أَفْضِيهِ فِي الْأَشْوَاقِ إِلَّا أَقْلَهُ * بَطْنُ سُرَى أَبَدَى إِلَى اللَّبِثِ مِيلَهُ
(٣) وَلَيْسَ أَشْتِيَاقِي عَنْ غَرَامٍ بِشَادِنٍ * وَلَكِنَّهُ شَوْقُ أَمْرِي فَاتَ أَهْلَهُ
(٤) فَبَالِكَ مِنْ لَيْلٍ أَعْرَتْ نُجُومَهُ * تَوَقَّدَ أَنْفَاسِي وَعَانَيْتُ مِثْلَهُ
وَمَلَّ كِلَاتَا مِنْ أَخِيهِ وَهَكَذَا * إِذَا طَالَ عَهْدُ الْمَرْءِ بِالشَّيْءِ مَلَّهُ

الشعر

(٥) ضَعْتَ بَيْنَ النَّهْيِ وَبَيْنَ الْخِيَالِ * يَا حَكِيمَ النَّفُوسِ يَا بَنَ الْمَعَالِي
(٦) ضَعْتَ فِي الشَّرْقِ بَيْنَ قَوْمٍ مُجُودٍ * لَمْ يُفَيِّقُوا وَأَمْسَ مِكَسَالٍ
(٧) قَدْ أَذَالُوكَ بَيْنَ أَنْسٍ وَكَأْسٍ * وَغَرَامٍ بِظُلَيْمَةٍ أَوْ غَزَالٍ
(٨) وَنَسِيبٍ وَمِدْحَةٍ وَهَجَاءٍ * وَرِثَاءٍ وَفِتْنَةٍ وَضَلَالٍ
(٩) وَحَمَاسٍ أَرَاهُ فِي غَيْرِ شَيْءٍ * وَصَفَارٍ يَجْرُدُ ذَيْلَ اخْتِيَالٍ
(١٠) عِشْتَ مَا يَنْتَهُمُ مَذَالًا مُضَاعًا * وَكَذَا كُنْتَ فِي الْعُصُورِ الْخَوَالِي

- (١) أشير في الديوان المطبوع الى أنها نصيدة طويلة، ولم يعثر منها إلا على هذه الأبيات، ولم تقف نحن أيضا على بقيتها . (٢) افضيه أى أفضى الليل . واللبث : المكث . (٣) الشادن : ولد الظبية . والمراد هنا : المليلح . (٤) يريد أن النجوم اشتعلت من توقد أنفاسه ، وفي قلبه من اللوعة والشوق مثل هذا التوقد . (٥) النهى العقول ، الواحدة : نبيه . (٦) المجود : النيام . (٧) أذالوك : أهانوك وأصغروا شأنك . (٨) النسيب : التشيب بالنساء وذكر محاسنهن في الشعر . (٩) الصغار : الذل . ومعنى قوله : «وصفار» الخ أى أنهم تباهون وهم أذلاء . (١٠) المذال : المهان .

- (١)
حَمْلُوكَ الْعَنَاءَ مِنْ حُبِّ (لَيْلَى) * وَ(سُلَيْمَى) وَوَقْفَةَ الْأَطْلَالِ
- (٢)
وَبُكَاءٍ عَلَى عَزِيزٍ تَوَلَّى * وَرُسُومٍ رَاحَتْ بِهِنَ اللَّيَالِي
- (٣)
وَإِذَا مَا سَمَّوْا بِقَدْرِكَ يَوْمًا * أَسْكَنُوكَ الرَّحَالَ فَوْقَ الْجَمَالِ
- أَنْ يَأْشَعُرَ أَنْ تُفَكَّ قُبُودًا * قَبِدْتَنَا بِهَا دُعَاءُ الْمُحَالِ
- فَارْفَعُوا هَذِهِ الْكَبَائِمَ عَنَّا * وَدَعُونَا نَشْمُ رِيحَ الشَّمَالِ

خزان أسوان

قال هذين البيتين في العام الذي أسس فيه خزان أسوان وقص فيه الفيضان

- (٤)
أَنْكَرَ النَّيْلُ مَوْقِفَ الْخَزَانِ * فَانْتَبَى قَافِلًا إِلَى السُّودَانِ
- (٥)
رَاعَهُ أَنْ يَرَى عَلَى جَانِبَيْهِ * رَصَدًا مِنْ مَكَايِدِ الْإِنْسَانِ

مَعُونَةُ الدَّمْعِ

- يَا مَنْ خَلَقْتَ الدَّمْعَ لُطْفًا * مِمَّا مِنْكَ بِالْبَاكِي الْحَزِينِ
- بَارِكْ لِعَبِيدِكَ فِي الدُّمُوعِ * عِجْ فَلَانَهَا نِعَمَ الْمُعِينِ

(١) ليلي وسليمي : من الأسماء التي رددتها الشعراء قديما وأكثرها فيها القول نسيبا وتشبيها .
والأطلال : ما بقى من آثار الديار، الواحد طلل (بالتحريك) . وللشعراء في الأطلال وقفات ذكروا فيها غرامهم
وحبهم وحسرتهم على أيام خلت . (٢) الرسوم : آثار الديار . (٣) «أسكنوك الرحال» الخ ،
أى وصفوا الرحال والجمال وما يتعلق بذلك في أشعارهم . ويعرض الشاعر بما نحن فيه من اتباع طريق العرب
في الشعر من ذكر العيس ، ومناداة الأطلال ؛ وإن صح هذا للعرب فلا يصح لنا ، فلقد كانوا يصدرون
في ذلك عما يحيط بهم ؛ وأما نحن فلا نحس من ذلك شيئا . (٤) القافل : الراجع .
(٥) الرصد : الحافظ والحارس .

الخمسة

قال :

[نشرت في سنة ١٩٠٠ م]

(١)

هَذَا الظَّلَامُ أَثَارَ كَامِنٍ دَائِي * يَا سَاقِيَّ عَلَى الصَّهْبَاءِ

(٢)

بِالكَاسِ أَوْ بِالطَّاسِ أَوْ بَأَثْنَيْهِمَا * أَوْ بِاللَّدَانِ فَإِنَّ فِيهِ شِفَائِي

(٣)

مَشْمُولَةٌ لَوْلَا التَّقَى لَعَجِبْتُ مِنْ * تَحْرِيمِهَا وَالذَّنْبُ لِلْقُدَمَاءِ

(٤)

قَرَّبُوا الصَّلَاةَ وَهُمْ سُكَارَى بَعْدَمَا * نَزَلَ الْكِتَابُ بِحِكْمَةٍ وَجَلَاءِ

(٥)

يَا زَوْجَةَ ابْنِ الْمَزْنِ يَا أُخْتَ الْهَنَا * يَا ضَرَّةَ الْأَحْزَانِ فِي الْأَحْشَاءِ

(٥)

يَا طِبَّ (جَالِينُوسَ) فِي أَنْوَاعِهِ * مَالِي أَرَاكَ كَثِيرَةَ الْأَعْدَاءِ

(١) الصهبا : الخمر، سميت بذلك لصببها ، أى حرمتها . (٢) الطاس : إناء معروف وذكر (اثنيهما) على اعتبار أنهما إناءان، ولوراعى اللفظ لأثنته ، لأن الكأس والطاس مؤنثان . والدنان (بالكسر) : جمع دن (بالفتح) ، وهو الجرة العظيمة . وفيه ، أى فى الشراب .

(٣) المشمولة : الخمر، سميت بذلك لأنها تشمل الناس بريحتها ، أولأن لها عصفة كمصفة ربح الشمال . وفى جعله الذنب على القدماء إشارة إلى سبب التحريم ، وذلك أن الله تعالى كان قد نهى المسلمين عن أن يقربوا الصلاة وهم سكارى ، فقال : (يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون) ، فلما لم ينته بعضهم عن ذلك حرّمها الله بقوله : (إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون) . وقد بسط الشاعر هذا المعنى فى البيت التالى .

(٤) المزن (بالضم) : السحاب . وابن المزن : الماء الذى ينزل منه ، وجعل الخمر زوجة ابن المزن ، لأنها تمزج به . والضرة : الزوج الثانية . وجعلها ضرة الأحران ، لأنها لا يجتمع معها فى قلب .

(٥) كلوديوس جالينوس : طبيب وفيلسوف يوفانى مشهور ، ولد نحو سنة ١٣٠ م ، وتوفى نحو سنة ٢٠٠ م . وقد عنى العرب بكتبه عناية شديدة بعد أن ترجمت إلى العربية ، فأكثر مؤلفوهم فى الطب من الأخذ عنه .

- (١) عَصْرُوكَ مِنْ خَدَى سَهِيلٍ خُلْسَةً * ثُمَّ اخْتَبَأَتْ بِمُهْجَةِ الظُّلُمَاءِ
 (٢) فَلَيْثُتِ فِيهَا قَبْلَ نُوحٍ حِقْبَةً * وَتَدَاوَلَتْكَ أَنَامِلُ الْآثَاءِ
 (٣) حَتَّى أَتَاكَ اللَّهُ أَنْ تَتَجَمَّلِي * بِسَيْدِ الْكَرِيمِ وَرَاحَةِ الْأَدْبَاءِ
 (٤) يَا صَاحِبِي كَيْفَ التَّرْوُعُ عَنِ الطَّلَا * وَلَقَدْ بُلِيتُ مِنَ الْهُمُومِ بِدَاءِ
 (٥) وَاللَّيْلِ أَرْشَدَهُ أَبُوهُ لِشَقَوَتِي * وَكَذَا الْبَنُونَ عَلَى هَوَى الْأَبَاءِ
 (٦) أَلْقَتْ بَيْنَ ابْنِ السَّحَابِ وَبَيْنَهَا * فَرَأَيْتُ صِحَّةَ مَا حَكَاهُ (الطَّائِي) :
 (٧) صَعِبَتْ وَرَاضَ الْمَرْجُ سَيِّءَ خُلُقِهَا * فَتَعَلَّمْتُ مِنْ حُسْنِ خُلُقِ الْمَاءِ

(١) سهيل ، هو أجل نجم في السماء بعد الشعرى اليمانية ، وهو كثير الاضطراب ، ولونه يضرب إلى الحمرة ؛ قال المعري :

وسهيل كوجنة الحب في اللو * ن وقلب الحب في الخفقان

يريد تشبيه لون الخمر بلون هذا النجم . ويريد بقوله : « ثم اختبأت » الخ : حفظها في الدنان .

(٢) الحقبة (بالكسر) : الدهر . والآثاء : جمع آن ، وهو الحين والوقت ، أى تعاقبت عليك الأزمان حيناً بعد حين . يصفها في هذا البيت بقدم العهد .

(٣) يريد أنها لا يشربها إلا كريم أو أديب ، فهي تزداد في يديهما جمالا .

(٤) الترويع : الكف والانتها . والطلاء (بكسر الطاء والمدة ، وقصر الشعر) : الخمر .

(٥) أبو الليل : الدهر . يريد أن الدهر أوصى أباه الليل بمحاربتي ، فغرت الأبناء على سنن الآباء .

(٦) ابن السحاب : المطر ، أى أنه مزجها بالماء . والطائي هو أبو تمام حبيب بن أوس الطائي الشاعر المعروف .

(٧) راضه يروضه : ذلله وجعله ليئلا سهلا . يريد أن الماء قد كسر من حدتها وسورتها ، فكانها آكسبت ليئله ولطفه . وهذا البيت من قصيدة لأبي تمام يمدح بها يحيى بن ثابت ، ومطلعها :

قدك أتشد أربيت في الضلواء * كم تعذلون وأتم سيجرائي

وقال وقد بعث بها إلى محمد المويلحي بك الكاتب المعروف

[نشرت في سنة ١٩٠٠ م]

(٢) أَوْشَكَ الَّذِيكَ أَنَّ يَصْبِحَ وَتَقْسِي * بَيْنَ هَمٍّ وَبَيْنَ ظَرْفٍ وَحَدْسٍ
(٣) يَا غَلَامُ، الْمُدَامَ وَالْكَاسَ، وَالطَّا * سَ، وَهَيَّ لَنَا مَكَانًا كَأَمْسٍ
(٤) أَطْلِقِ الشَّمْسَ مِنْ غَيَاهِبِ هَذَا الدُّ * نِّ وَأَمَلًا مِنْ ذَلِكَ النُّورِ كَأَمْسِي
(٥) وَأَذِنِ الصُّبْحَ أَنْ يُلُوحَ لَعْنِي * مِنْ سَنَاها فَذَاكَ وَقْتُ التَّحْسِي
(٦) وَأَدْعُ نَدْمَانَ خَلَوْتِي وَأَتَيْنَايَ * وَتَعَجَّلْ وَأَسْبِلْ سِتُورَ الدَّمْقِسِ
(٧) وَأَسْقِنَا يَا غُلَامُ حَتَّى تَرَانَا * لَا يُطِيقُ الْكَلَامَ إِلَّا بِهِمْسٍ
(٨) نَحْمَرَةً قِيلَ لَهُمْ عَصَرُوهَا * مِنْ خُدُودِ الْمِلَاحِ فِي يَوْمِ عُرْسٍ
مُذَرَّاهَا فَتَى الْعَزِيزِ مَنَامًا * وَهُوَ فِي السَّجْنِ بَيْنَ هَمٍّ وَيَأْسٍ

- (١) انظر التعريف بمحمد بك المويلحي في الحاشية رقم ٣ من ص ١٥٠ (٢) صباح الديك :
كتابة عن طلوع الفجر . والحدس : التخمين والتوهم . والمعنى أن نفسه بين هم متيقن وهم مظلون .
(٣) المدام (بالنصب) ، أى هات المدام . (٤) يريد « بالشمس » : النحر ، شبهها بها
في اللون . والغياهب : جمع غيب ، وهى الظلمة . (٥) يريد في هذا البيت تشبيه لونها بضوء
الصبح . والسنا : النور . وتحسى الشراب : شربه شيئا بعد شيء في مهلة .
(٦) الندمان : جمع نديم . والدقمس : الحرير أو الديباج ، ووصل الهمة في قوله : « واسبل »
لضرورة الوزن . (٧) شبه النحر في حررتها بحمرة خدود الحسان في يوم العرس ، لأن خدودهن
تكون في ذلك الحين أشد احمرارا بما طليا من أصباغ . (٨) العزيز : ملك مصر . وفناه
هو أحد الفتيين اللذين كانا مع يوسف عليه السلام في السجن ، وقد كان رأى في منامه أنه يعصرتحرا ،
وفسر له يوسف عليه السلام هذه الرؤيا بأنه سوف يسقى ربه عزيز مصر تحرا ، فإلبث أن خرج من
السجن ، وجعله العزيز صاحب شرابه . ويريد بهذا البيت والذي بعده أن رؤيا النحر في المنام أسعدت
فتى العزيز بالنجاة وبخدمته لذلك بعد ما كان فيه من يأس ونحس ؛ فكيف لو كان شر بها .

أَعَقَبَتْهُ الْخَلَاصُ مِنْ بَعْدِ ضَيْقٍ * وَحَبَّتْهُ السُّعُودَ مِنْ بَعْدِ تَحْسِيسٍ^(١)
 يَا نَدِيَّ بِاللَّهِ قُلْ لِي لِمَ إِذَا * هَذِهِ الْخَنْدَرِيسُ تُدْعَى بِرَجْسٍ؟^(٢)
 هِيَ نَفْسٌ زَكِيَّةٌ وَأَبْوَاهَا * غَرَسُهُ فِي الْحَنَانِ أَكْرَمُ غَرَسِ
 هِيَ نَفْسٌ تَعَلَّمَتْ حُسْنَ أَخْلَا * قِي (الْمَوْلَى) فِي صَفَاءٍ وَأُنْسٍ
 خَصَّه اللَّهُ حَيْثُ يُصْبِحُ بِالْإِقْدَا * بِبَالٍ، وَالْعِزِّ، وَالْعَلَا، حَيْثُ يَمْسِي

مجلس شراب

وَفِيَّانِ أُنْسٍ أَقْسَمُوا أَنْ يُبَدِّدُوا * جُيُوشَ الدُّجَى مَا بَيْنَ أُنْسٍ وَأَفْرَاجٍ^(٣)
 فَهَبُّوا إِلَى نَحَارَةٍ قِيلَ إِنَّهَا * قَعِيدَةٌ تَحْمِرُ تَمْزُجُ الرُّوحَ بِالرَّاحِ^(٤)
 وَقَالُوا لَهَا : إِنَّا أَتَيْنَا عَلَى ظُلْمًا * نُحَاوِلُ وَرْدَ الرَّاحِ رَغْمًا عَنِ اللَّاحِ^(٥)
 فَقَامَتْ فِي أَجْفَانِهَا كَسَلُ الْكَرَى * وَفِي رِدْفِهَا وَاسْتَعْرَضَتْ جَيْشَ أَقْدَاجٍ
 وَقَالَ أَيْضًا :

مَرَّتْ كُفْرُ الْوَرْدِ بَيْنَا أَجْتَلِي * إِصْبَاحَهَا إِذْ آذَنْتَ بِرَوَاجٍ^(٦)
 لَمْ أَقِضْ مِنْ حَقِّ الْمُدَامِ وَلَمْ أَقْمِ * فِي الشَّارِبِينَ بِوَاجِبِ الْأَقْدَاجِ

(١) الخندريس : الخمر القديمة . والرجس : النجس . (٢) زكية : طاهرة . وأبو الخمر :
 الكرم . يريد أن أصلها أكرم الأشجار في الحداق . (٣) النخارة : بائعة الخمر . ويريد بكونها
 « قعيدة خمر » : أنها ملازمة لها لا تفارقتها . والراح : الخمر . (٤) الظلم : الظلم (بالهمز) .
 واللاحى : اللائم . (٥) الكرى : العاس . والردف : العجز . (٦) اجتلى الشيء :
 نظر إليه . وآذنت : أعلنت . شبه جلسة الأنس وساعات اللهو بعمر الورد في القصر .

(١) وَالزَّهْرُ يَحْتَبُ الْكُئُوسَ بَلَحْظِهِ * وَيُسْوِبُهَا بِأَرِيحِهِ الْفَيَّاحِ
(٢) أَخَشَى عَوَاقِبَهَا وَأَغْبَطُ شَرِبَهَا * وَأَجِيدُ مِدْحَتَهَا مَعَ الْمُدَّاحِ
وَأَمِيلُ مِنْ طَرَبٍ إِذَا مَالَتْ بِهِمْ * فَاعْجَبْ لِنَشْوَانِ الْجَوَانِحِ صَاحِي
أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ فَإِنِّي * أَفْسَدْتُ فِي ذَاكَ النَّهَارِ صَلاَحِي

وقال :

(٣) نَحْمَرُ فِي (بَابِلَ) قَدْ صُهِرَجَتْ * هَكَذَا أَخْبَرَ حَاخَامُ الْيَهُودَ
أَوْدَعُوهَا جَوْفَ دَنٍّ مُظْلِمٍ * وَلَدَيْهِ بَسْرُوهَا بِالْحُلُودِ
سَأَلُوا الْكُهَّانَ عَنْ شَارِبِهَا * وَعَنِ السَّاقِي فِي أَيِّ الْعُهُودِ؟
(٤) فَأَجَابُوهُمْ : قَتَى ذَوِ مِرَّةٍ * مِنْ بَنِي مِصْرَ لَهُ فَضْلٌ وَجُودٌ
(٥) مَغْرَمٌ بِالْعُودِ وَالنَّايِ مَعًا * مُوَلِّعٌ بِالشَّرِبِ وَالنَّاسُ هُجُودٌ
(٦) هَمُّهُ فَصْدُ دِنَانٍ وَنَدَى * وَأَبْوَهُ هَمُّهُ جَمْعُ النُّقُودِ

- (١) يحنت : يحث . يقول : كان الزهر بالحظاظه يوحى إلى الشاربين والسقاء بالإسراع في إدارة الكؤوس . وشاب الشيء يشوبه : خلطه . وأريج الزهر : نفحة ريحه .
(٢) عواقبها ، أى عواقب المدام ؛ ويريد أنه لا يشربها . والشرب : الشاربون .
(٣) بابل : ناحية بالعراق منها الكوفة والحلة ، ينسب إليها الخمر والسحر . وصهرجت ، يريد أنها حفظت في الصباريج ؛ ولم نجد هذا اللفظ بهذا المعنى فيما راجعناه من كتب اللغة ؛ والذي وجدناه أن « الصهرجة » هى أن يطل الحوض بالصاويج ، وهى النورة ؛ وليس هذا مرادها . ويريد « بإخبار حاخام اليهود » أنها قد ورد ذكرها في الكتب القديمة ؛ وفي هذا دليل على قدمها .
(٤) المرة (بكسر الميم وفتح الراء مشددة) : القوة والعزيمة . (هـ) ألمجود : النيام .
(٦) فصد الدن : ثقبه وإهراق ما به من خمر ، تشبهاً له بفصد العرق .

ذِكْرِي مَجْلِسِ شَرَابٍ

بعث بها من السودان إلى بعض أصدقائه بمصر

فَتِيَّةُ الصَّبَاءِ خَيْرَ الشَّارِبِينَ * جَدَّدُوا بِاللَّهِ عَهْدَ الْغَائِبِينَ

(١)

وَأَذْكُرُونِي عِنْدَ كَاسَاتِ الطَّلَا * إِنِّي كُنْتُ إِمَامَ الْمُدْمِينِ

(٢)

وَإِذَا مَا اسْتَهَضَّتْكُمْ لَيْلَةٌ * دَعْوَةُ الْخَمْرِ فَثُورُوا أَجْمَعِينَ

رُبَّ لَيْلٍ قَدْ تَعَاهَدْنَا عَلَى * مَا تَعَاهَدْنَا وَكُنَّا فَاعِلِينَ

(٣)

فَقَضَيْنَاهُ وَلَمْ نَحْفِلْ بِمَا * سَطَرَتْ أَيْدِي الْكِرَامِ الْكَاتِبِينَ

(٤)

بَيْنَ أَقْدَاجٍ وَرَاجٍ عُنُقَتْ * وَرِيَّاحِينَ وَوِلْدَانَ وَعَيْنَ

(٥)

وَسُقَاةٍ صَفَّقَتْ أَكْوَابَهَا * بَعْضُهَا الْبَلُورُ وَبَعْضُ الْجَحِينِ

(٦)

أَنْتَ مِنَّا عِطَاشًا كَالْقَطَا * صَادَقَتْ وَرْدًا بِهِ مَاءٌ مَعِينُ

فَمَشَتْ بِالْكَاسِ وَالطَّائِسِ لَنَا * مِشْيَةَ الْأَفْرَاجِ لِلْقَلْبِ الْحَزِينِ

(٧)

وَتَوَاتَبْنَا إِلَى مَشْمُولَةٍ * ذَاتِ أُلْوَانٍ تُسَرُّ النَّاطِرِينَ

(١) الطلاء (بالكسر والمدة، وقصر الشعر) : الخمر . (٢) ثودوا : هبوا مصرعين .

(٣) الكرام الكاتبون : الملائكة الذين يكتبون حسنات المرء وسيئاته . (٤) العين : جمع

عيناء، وهي القادة الواسعة العين . (٥) الجحِين : القضة . ويلاحظ أن في هذا البيت عينا من

عيوب القافية يسمى (سناد الحذر)، وهو اختلاف حركة ما قبل الرفع . والردف هو حرف المدة الذي

قبل الروى . (٦) القطا : جمع قطاة، وهي الحمامة . والورد : المورد . والمعين : الجارى .

(٧) المشمولة : الخمر، سميت بذلك لأنها تشمل الناس برمجها، فهو فعيل بمعنى فاعل، أولأن بها

صفة كصفة ربح الشمال .

(١) عَمَدَ السَّاقِ لَأَنْ يَقْتُلَهَا * وَهِيَ بِكَرٍّ أَحْصَنْتَ مِنْهُ سِتِينَ
 (٢) ثُمَّ لَمَّا أَنْ رَأَى عِقَّتَهَا * خَافَ فِيهَا اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ
 (٣) وَأَجَلْنَا الْكَاسَ فِيمَا بَيْنَنَا * وَعَلَى الصُّبَاءِ بَنْنَا عَاكِفِينَ
 (٤) وَشَفَيْنَا النَّفْسَ مِنْ كُلِّ رَشَا * نَطَقَتْ عَيْنَاهُ بِالسَّحْرِ الْمُبِينِ
 (٥) وَطَوَى مَجْلِسَنَا بَعْدَ الْهَنَا * وَأَنْشَرِاحَ الصُّدْرِ تَكْبِيرُ الْأَذِينَ
 هَكَذَا كُنَّا بِأَيَّامِ الصُّفَا * تَنْهَبُ اللَّذَاتِ فِي الْوَقْتِ الثَّمِينِ
 (٦) لَيْتَ شِعْرِي هَلْ لَنَا بَعْدَ النَّوَى * مِنْ سَبِيلٍ لِلْقَا أَمْ لَا تَحِينَ

(١) عمد له (من باب ضرب) : قصد . ويقتلها ، أى يمزجها بالماء ؛ وأصله من قول حسان بن ثابت :

إِن الَّتِي نَاوَلْنِي فَرَدَدْتَهَا * قَتَلْتُ قَتَلْتُ فَهَاتَهَا لَمْ تَقْتُلْ

وأحصنت البكر : حافظت على عفتها ؛ وإحصان الخمر هنا : بقاؤها في الدنان . (٢) كنى بعفة

الخمر في هذا البيت عن إياها المزج . يقول : إن الساق لما رأى أن الخمر لا تقبل المزج بالماء ، خاف فيها

الله رب العالمين ، أى لم يقتلها بالمزج وسقانا إياها صرفا . (٣) أجلنا الكأس : أدرناها .

(٤) الرشا (بالهمزة وسهل للشعر) : ولد الظبية الذى قد تحرك ومشى ؛ يريد الملبح الحسن الجميل .

(٥) الأذنين : المؤذن . (٦) لات حين : أى ذهب وقت اللقاء وليس الحين حينه .

ويلاحظ أن قواعد اللغة تقتضى ذكر (أو) مكان (أم) في هذه العبارة ، فإن (أم) المتصلة لا تذكر بعد

(هل) إلا شذوذا ، نحو : هل زيد عندك أم عمرو ؛ وإنما تذكر مع همزة الاستفهام في الأكثر .

الغزل

قال ترجمة عن جان جاك روسو :

[نشر في ٢٣ نوفمبر سنة ١٩٠٠ م]

يأبىها الحبُّ أمتَرَجُ بالحشَى * فإنَّ في الحبِّ حياةَ النفوسِ
وَأَسْلُلُ حياةَ من يمينِ الردى * أَوْشَكَ يَدْعُوها ظِلَامُ الرُّمُوسِ^(١)

وقال ترجمة عنه أيضا :

[نشر في سنة ١٩٠٠ م]

تَمَثَّلِي إنَّ شِئْتِ في مَنْظَرٍ * (يا جُولِيَا) اُنْكُرِي فيه الغرامُ^(٢)
أَوْ فَابْعِي قَلْبَا إلى أَضْلَعِ * راحَ به الوجدُ وأودى السَّقامُ^(٣)

وقال ترجمة عنه أيضا :

[نشرت في ٢٣ نوفمبر سنة ١٩٠٠ م]

غَضِّي جُفُونِ السَّحْرِ أَوْ فَارِحِي * مُتَبِّحًا يَحْشَى نِزَالَ الْجُفُونِ
وَلَا تُصَوِّلِي بالقوامِ الذى * تَمَيِّسُ فيه يامُنَاى المَنُونُ^(٤)
إِنِّي لَأَدْرِى مِنْكَ مَعْنَى الهوى * (يا جُولِيَا) والناسُ لا يَعْرِفُونُ

- (١) الرموس : القبور، الواحد رمس . يقول : انقذ الحياة بممارسة الحب قبل أن يقطعها الموت .
(٢) يرغب في هذا البيت إلى محبوبته أن تخلع تلك الصورة التي يحبها ، وتمثل في صورة أخرى ينكر فيها
حبها وإياها وغرامه بها ، ليستريح مما يقاسيه من تباريح الهوى .
(٣) أودى به : ذهب . (٤) تميس : تمايل وتبخر . والمنون : الموت .

فِي جُنْدِيٍّ مَلِيحٍ

[نُشْرَا فِي سَنَةِ ١٩٠٦ م]

(١) وَمِنْ تَجَبُّ قَدْ قَلَّدُوكَ مُهَنْدًا * وَفِي كُلِّ لَحْظٍ مِنْكَ سَيْفٌ مُهَنْدٌ

(٢) إِذَا أَنْتَ قَدْ جَرَّدْتَهُ أَوْ غَمَدْتَهُ * قَتَلْتَ بِهِ وَاللَّحْظُ لَا يَتَعَمَّدُ

وقال :

(٣) أَنَا الْعَاشِقُ الْعَانِي وَإِنْ كُنْتَ لَا تَدْرِي * أَعْيُذُكَ مِنْ وَجْدٍ تَغْلَغَلُ فِي صَدْرِي

(٤) خَلِيلِي هَذَا اللَّيْلُ فِي زِيَّتِهِ أَتَى * فَقُمْتُ نَلْتَمِسُ لِلشَّهِيدِ دِرْعًا مِنَ الصَّبْرِ

(٥) وَهَذَا السَّرَى نَحْوَ الْجَمِيِّ يَسْتَفِزُّنَا * فَهَيَّا وَإِنْ كُنَّا عَلَى مَرَكَبٍ وَغَيْرِ

خَلِيلِي هَذَا اللَّيْلُ قَدْ طَالَ عُمُرُهُ * وَلَيْسَ لَهُ غَيْرُ الْأَحَادِيثِ وَالذِّكْرِ

(٦) فَهَاتِ لَنَا أَذْكَى حَدِيثٍ وَعَيْتَهُ * أَلَدُّ بِهِ إِنَّ الْأَحَادِيثَ كَالنَّخْرِ

وقال :

(٧) قَالَتْ الْجَوْزَاءُ حِينَ رَأَتْ * جَفَنَهُ قَدْ وَاصَلَ السَّهْرَا

(٨) مَا لِهَذَا الصَّبِّ فِي وَلَةٍ * أَتَرَاهُ يَعْتَشِقُ الْقَمَرَا

- (١) المهند : السيف . (٢) جردته : سلطه من غمده . ولا يتعمد : لا يقصد القتل .
ويريد بهذا أنه لا يحاسب على ما يجنى لعدم قصده . (٣) العاني : الأسير . وتغلغل : دخل
وأوغل . (٤) في زية ، أى سواده . (٥) السرى : السير بالليل . ويستفزنا : يستخفنا .
والوعر : الصعب . (٦) وعيته : حفظه . (٧) الجوزاء : برج في السماء معروف .
(٨) الوله : التحير من شدة الوجد .

وقال يتغزل في مליح ويعرض بأحتلال الإنجليز :
 ظنبي الحمى بالله ما ضرك * إذا رأينا في الكرى طيفكا^(١)
 وما الذى تخشاه لو أنهم * قالوا فلان قد غدا عبدك؟
 قد حرموا الرق ولكنهم * ما حرموا ريق الهوى عندك^(٢)
 وأصبحت مضرممرا حاهم * وأنت فى الأحشاش مراح لك^(٣)
 ما كان سهلا أن يروا نيلها * لو أن فى أسيافنا لحظكا^(٤)

يقين الحب

أذنتك ترتابين فى الشمس والضحى * وفى النور والظلماء والأرض والسماء^(٥)
 ولا تسمحن للشك يحيطر خطرة * بنفسك يوما أنتى لست مغرما

الحال

قالها فى مليح رأى خالا على غرته

سأته ما لهذا الحال متفردا * وأختار غرتك الغرا له سكا^(٦)
 أجابنى: خاف من سهم الجفون ومن * نار الحدود، لهذا هاجر الوطن^(٧)

(١) الكرى: النعاس . والطيف: الخيال الطائف فى المنام . (٢) الضمير فى «حرموا» للإنجليز .
 (٣) المراح (بضم الميم) : المأوى والمنزل . ويجوز أن يقرأ بفتحها ، بمعنى الموضع بروح القوم
 منه وإليه . ولهم ، أى الإنجليز . (٤) أى لم يكن من اليسير على الإنجليز أن يحتلوا مصر لو أن سيف
 لحظك الفتاك من سيوفنا . (٥) أذنتك ، أى أذنت لك . وترتابين ، أى تشكين . (٦) الغراء
 (بالتدقيق) : الشعر . (٧) يريد بالوطن (هنا) : خذّه ، لأن الحال أكثر ما يكون فيه .

رسائل الشوق

سُورِعِنْدِي لَهُ مَكْتُوبَةٌ * وَدَلَّوْ يَسِيرِي بِهَا الرُّوحُ الْأَمِينُ^(١)
 إِنِّي لَا آمَنُ الرُّسُلَ وَلَا * آمَنُ الْكُتُبَ عَلَى مَا تَحْتَوِينُ
 مُسْتَهِينٌ بِالَّذِي كَابَدْتُهُ * وَهَوَ لَا يَدْرِي بِمَاذَا يَسْتَهِينُ
 أَنَا فِي هَمٍّ وَيَأْسٍ وَأَسَى * حَاضِرُ اللَّوْعَةِ مَوْضُولُ الْأَنِينِ

(١) الروح الأمين : جبريل عليه السلام .

(٢) يريد بقوله : « وهو لا يدري » الخ أن محبوبه لم يكابد ألم الهوى حتى يعرف قدر ما يستهين به .

الاجتماعية

(١)
حريق ميت غمر

[نشرت في ٧ مايو سنة ١٩٠٢ م]

سائلوا الليل عنهم والنهارا * كيف باتت نساؤهم والعداري
كيف أمسى رضيعهم فقد الأُم * وكيف أضطلى مع القوم نارا
كيف طاح العجوز تحت جدار * يتداعى وأسقف تجارى^(٢)
رب إن القضاء أنحنى عليهم * فأكشف الكرب وأعجب الأقدارا
ومر النار أن تكف إذاها * ومر الغيث أن يسيل أنهارا^(٣)
أين طوفان صاحب الفلك يروى * هذه النار؟ فهي تشكو الأوارا^(٤)
أشعلت فحمة الدياجى فباتت * تملا الأرض والسماء شرارا
غشيتهم والنخس يجرى يمينا * ورمتهم والبؤس يجرى يسارا^(٥)
فأغارت وأوجه القوم بيض * ثم غارت وقد كسهن قارا

- (١) ثبت النار في مدينة ميت غمر من أعمال الدقهلية في (يوم الخميس أول مايو سنة ١٩٠٢ م) (٢٢) .
محرم سنة ١٣٢٠ هـ) وبقيت تأكل كل مائة على في هذه المدينة حتى يوم ٨ مايو؛ وهلك بسبب هذا
الحريق كثيرون، ودمرت كثير من الدور والمحال، ولعظمت التكلفة تألفت جماعة من الأعيان لتخفيف ويلات
هذا المصاب، وتسابق أهل الخير بفادرا بالمال الكثير، وحضت الصحف الناس على جمع المال لذلك؛
وفيها بقول الشاعر هذه القصيدة . (٢) طاح : هلك . وتداعى الجدار : انقض وتهدم .
وتجارى : تسابق في السقوط . (٣) الفلك : السفينة . وصاحبها : نوح عليه السلام . والأوار
شدة الحرارة والمطرش . (٤) فحمة الدياجى : ظلمة الليل، تشبهاها بالقهم . (٥) القار : الزفت .

- (١) أَكَلْتُ دُورَهُمْ فَلَمَّا اسْتَقَلْتُ * لَمْ تُغَادِرْ صِغَارَهُمْ وَالْكِبَارَا
 أَخْرَجْتَهُمْ مِنَ الدِّيَارِ عُرَاةً * حَذَرَ الْمَوْتِ يَطْلُبُونَ الْفِرَارَا
 يَلْبَسُونَ الظَّلَامَ حَتَّى إِذَا مَا * أَقْبَلَ الصُّبْحُ يَلْبَسُونَ النَّهَارَا
 حُلَّةٌ لَا تَقِيهِمُ السَّيِّدَ وَالْحَرْ * وَلَا عَنْهُمْ تَرُدُّ الْقُبَارَا
 أَيُّهَا الرَّافِلُونَ فِي حُلِّ الْوَشَى * يَمْجُرُونَ لِلذُّيُولِ افْتِخَارَا
 (٢) إِنْ فَوقَ الْعَرَاءِ قَوْمًا جِيَاعًا * يَتَوَارُونَ ذِلَّةً وَأَنْكِسَارَا
 (٣) أَيُّهَا السَّجِينُ لَا يَمْنَعُ السَّجْ * مِنْ كَرِيمًا مِنْ أَنْ يُقِيلَ الْعِشَارَا
 (٤) مَرُّ يَأْلِفُ لَهُمْ وَإِنْ شِئْتَ زِدْهَا * وَأَجْرُهُمْ كَمَا أَجَرْتَ النَّصَارَى
 (٥) قَدْ شَهِدْنَا بِالْأَمْسِ فِي مِصْرَ عُرْسًا * مَلَأَ الْعَيْنَ وَالْفُؤَادَ ابْتِهَارَا
 (٦) سَأَلَ فِيهِ النَّضَارُ حَتَّى حَسِبْنَا * أَنَّ ذَاكَ الْفِتَاءَ يَجْرَى نُضَارَا
 (٧) بَاتَ فِيهِ الْمُتَعَمُّونَ بَلِيلٌ * أَنْجَلَ الصُّبْحُ حُسْنَهُ فَتَوَارَى

(١) استقلت، أى عذت ما أحرقته من الدور قليلا . (٢) رفل فى ثوبه : اختال فيه وتجتر .
 وحلل الوشى : الثياب المنقوشة ، (٣) العراء : الفضاء . ويتوارون : يسترون . (٤) يريد
 بالسجين : المنشاوى باشا الثرى المعروف ، وكان إذ ذاك مسجوناً لارتكابه جريمة تعذيب اللصوص الذين
 اتهموا بسرقة بعض المواشى من مزرعة سمو الخديوى عباس حلى الثانى ، حتى اضطروهم إلى الإقرار بما سرقوا
 بتأثير العذاب ؛ وكان ذلك فى سنة ١٩٠٢ م . والعثار : الشر والمكروه . وإقالته : دفعه عن نزل به .
 (٥) يشير إلى أن المنشاوى كان قد أجاز كثيراً من الأوربيين وحمام من أذى المصريين فى الثورة
 العرابية ، وأزلمهم يته . (٦) ابتهرا : يريد عجباً . ولم نجد فيها راجعاً من كتب اللغة هذا اللفظ
 بهذا المعنى . وهذا العرس الذى يشير إليه الشاعر هو عرس زواج الأمير حيدر رشدى فاضل بك من كريمة
 على فهمى باشا وقد أقيم مهرجان عظيم بدار على فهمى باشا مكث ثلاث ليال من ليلة الأربعاء ٣٠ إبريل
 سنة ١٩٠٢ م إلى ليلة الجمعة ٢ مايو من السنة نفسها . (٧) الفتاء : ساحة الدار .

يَكْتَسُونَ السُّرُورَ طَوْرًا وَطَوْرًا * فِي يَدِ الْكَاثِمِ يَخْلَعُونَ الْوَقَارَا
وَسَمِعْنَا فِي (مِثْ غَمِيرٍ) صِيَاحًا * مَلَأَ الْبَرَّ ضَجَّةً وَالْبَحَارَا
جَلَّ مَنْ قَسَمَ الْحُظُوظَ فِهَذَا * يَتَغَنَّى وَذَاكَ يَبْكِي الدِّيَارَا
رُبَّ لَيْلٍ فِي الدَّهْرِ قَدْ ضَمَّ نَحْسًا * وَسُعُودًا وَعُسْرَةً وَيَسَارَا

(١) الى الأرض

[بركان مارتنيك سنة ١٩٠٢ م]

(٢) أَلْبَسُوكِ الدِّمَاءَ فَوْقَ الدِّمَاءِ * وَأَرْوِكِ الْعِدَاءَ بَعْدَ الْعِدَاءِ
(٣) فَلَيْسَتْ النَّجِيعَ مِنْ عَهْدٍ قَابِئِ * لَمْ وَشَاهَدْتَ مَضْرَعَ الْأَبْرِيَاءِ
فَلَكَ الْعُدْرُ إِنْ قَسَوْتَ وَإِنْ خُنْتُ * بَيْتٍ وَإِنْ كُنْتَ مَصْدَرًا لِلشَّقَاءِ
(٤) غَلِطَ النَّاسُ، مَا طَفَى جَبَلُ النَّارِ * رِيبًا رِسَالِ نَفْثَةٍ فِي الْهَوَاءِ
(٥) أَخْرِجُوا صَدْرَ أُمِّهِ فَأَرَاهُمْ * بَعْضَ مَا أَضْمَرَتْ مِنَ الْبُرْحَاءِ

- (١) المارتنيك، هي إحدى جزر الهند الغربية الفرنسية، وبها كثير من القوّهات البركانيّة . ويشير الشاعر الى الثوران البركاني الذي حدث فيها، والذي لم يشهد العالم مثله في شدته وكثرة ضحاياه، وذلك في ٨ مايو سنة ١٩٠٢ م . (٢) ألبسوك : يخاطب الأرض . ويشير بهذا البيت والذي بعده الى عدوان الناس بعضهم على بعض بالقتل من عهد آدم الى اليوم . (٣) النجيع : الدم . وقابيل : هو ابن آدم عليه السلام، وهو الذي قتل أخاه هابيل؛ وقصتهما مشهورة ورد ذكرها في القرآن . (٤) نفثة جبل النار : ما يقذف به البركان من نيران . (٥) أمه، أي الأرض . ويريد بالبرحاء : نار الضغن والحقد .

- (١) اسْتَخَطُوهَا فَصَابَرْتَهُمْ زَمَانًا * ثُمَّ انْحَتَّ عَلَيْهِمْ بِالْجَزَاءِ
 أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ يَكُنْ ذَاكَ سُخْطُ آلِ * أَرْضِ ، ماذا يَكُونُ سُخْطُ السَّمَاءِ ؟
 (٢) إِنْ فِي عُلُوٍّ مَسْرَحًا لِلْقَادِيدِ * رِوْفِ الْأَرْضِ مَكْنًا لِلْقَضَاءِ
 فَاتَّقُوا الْأَرْضَ وَالسَّمَاءَ سَوَاءً * وَاتَّقُوا النَّارَ فِي الثَّرَى وَالْقَضَاءِ

اللغة العربية تنعى حظها بين أهلها

[نشرت في سنة ١٩٠٣ م]

- (٣) رَجَعْتُ لِنَفْسِي فَأَتَيْتُ حَصَاتِي * وَنَادَيْتُ قَوْمِي فَأَحْتَسَبْتُ حَيَاتِي
 (٤) رَمَوْنِي بِعُقْمٍ فِي الشَّبَابِ وَلَيْتَنِي * عَقِمْتُ فَلَمْ أَجْزَعْ لِقَوْلِ عِدَاتِي
 (٥) وَلَدْتُ وَلَمْ أَجِدْ لِعَرَائِشِي * رِجَالًا وَأَكْفَاءً وَأَدْتُ بَنَاتِي
 (٦) وَسِعْتُ كِتَابَ اللَّهِ لَفْظًا وَغَايَةً * وَمَا ضِيقْتُ عَنْ آيٍ بِهِ وَعِظَاتِ
 فَكَيْفَ أَضِيقُ الْيَوْمَ عَنْ وَصْفِ آلَةٍ * وَتَنَسِّيقِ أَسْمَاءِ الْمُخْتَرَاتِ

- (١) صابرتهم ، أى طاولتهم فى الصبر . وانحمت عليهم بالجزاء : أقبلت عليهم به .
 (٢) فى علو ، أى فى أعلى ، وهو يسكون اللام وضم الواو وكسرها وفتحها ، يريد السماء .
 (٣) رجعت لنفسى ، أى تأملت . والحصاة : الرأى والعقل . واحتسبت حياتى : عدتها عند
 الله فيما يدخر . يقول على لسان اللغة العربية : إننى عدت الى نفسى وفكرت فيما آل اليه أمرى ، فأسأت الظن
 بمقدرتى ، وكدت أصدق ما رمونى به من القصور ، وناديت الناطقين بى أن ينصرونى فلم أجدهم منهم مميما ،
 فادخرت حياتى عند الله . (٤) العداة : الأعداء . يقول : اتهمونى بأنى لا ادعلى حين أنى فى ريمان
 شبابى . وليتنى كنت كما قالوا فلا يحزننى قولهم . وكنى بالعقم هنا عن ضيق اللغة وجودها . (٥) يريد
 «بالعرائش» : الألفاظ المجلوة الحسنة . وأد البنات : دفنها حية . (٦) الآى : جمع آية .

أنا البَحْرُ في أَحْشَاءِ الدُّرِّ كَأَمِّنٌ * فهل سَأَلُوا الْغَوَاصَّ عَنْ صَدَفَاتِي
 (١)
 فَيَا وَيْحَكُمْ أَلَيْ وَتَبَلَى مَحَاسِنِي * وَمَنْكُمْ وَابْتُ عَزَّ الدَّوَاءُ أَسَاتِي
 (٢)
 فَلَا تَكُلُونِي لِلزَّمَانِ فَإِنِّي * أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تَحِينَ وَفَاتِي
 (٣)
 أَرَى لِرِجَالِ الْغَرْبِ عِزًّا وَمَنْعَةً * وَكَمْ عَزَّ أَقْوَامٌ بِعِزِّ لُغَاتِ
 أَتَوْا أَهْلَهُمْ بِالْمُعْجِزَاتِ تَفْتِنًا * فَيَا لَيْتَكُمْ تَأْتُونَ بِالْكَلِمَاتِ
 (٤)
 أَيْطَرِبُكُمْ مِنْ جَانِبِ الْغَرْبِ نَاعِبٌ * يُنَادِي بِوَادِي فِي رَبِيعِ حَيَاتِي
 (٥)
 وَلَوْ تَزْجُرُونَ الطَّيْرَ يَوْمًا عَلِيمٌ * بِمَا تَحْتَهُ مِنْ عَثَرَةٍ وَشَتَاتِ
 (٦)
 سَقَى اللَّهُ فِي بَطْنِ الْجَزِيرَةِ أَعْظَمًا * يَعِزُّ عَلَيْهَا أَنْ تَلِينَ قَنَاتِي
 حَفِظَنَ وِدَادِي فِي الْبَلَى وَحَفِظْتُهُ * لَهْنٌ بِقَلْبٍ دَائِمِ الْحَسَرَاتِ
 (٧)
 وَفَاحَرْتُ أَهْلَ الْغَرْبِ وَالشَّرْقِ مُطَرِّقٌ * حَيَاءً بِتِلْكَ الْأَعْظَمِ النَّخْرَاتِ
 (٨)
 أَرَى كُلَّ يَوْمٍ بِالْجَرَائِدِ مَزَلَقًا * مِنْ الْقَبْرِ يُذْنِبُنِي بَغَيْرِ أَنَاةِ

- (١) الأساة : جمع الآسى ، وهو الطيب . (٢) تكلوني : تتركوني . وتحين : تحل .
 (٣) يقال : هو في منعة ، أى في قوم يمنونه ويحونه . (٤) الناعب : المصوت بما
 هو مستكده . وربيع الحياة : أيام الشباب والقوة .
 (٥) زجر الطير ، هو أن ترى الطائر بحماسة أو تصيح به ، فإن ولاك في طيرانه ميامنه تفاءلت
 به خيرا ، وإن ولاك مياسره تطيرت منه . والعثرة : السقوط . والشتات : الفرق . يقول : لو أستنبأتم
 الغيب بزجر الطير ، كما كان يفعل العرب ، لعلمتم ما يجردقني طيكم من السقوط والانحلال .
 (٦) القناة : الرمح . ولينها : كناية عن الضعف . ويريد « بالأعظم » : من دفن في الجزيرة من
 العرب الأتولين . (٧) النخرات : البالية المفتتة . (٨) المزلق : مكان الانزلاق ، أى
 السقوط والزلل . والأناة : التأني والإبطاء . ويريد وصف لغة الجرائد اذ ذاك بالضعف .

- (١) وَأَسْمَعُ لِلْكِتَابِ فِي مِصْرَ حَبَّةً * فَأَعْلَمُ أَنَّ الصَّائِحِينَ نُعَاتِي
 (٢) أَهْجُرُنِي قَوِي - عفا الله عنهم - * إِلَى لُغَةٍ لَمْ تَتَّصِلْ بِرُوَاةٍ
 (٣) سَرْتُ لُوثَةً الْأَفْرِيجِ فِيهَا كَمَا سَرَى * لُعَابُ الْأَفَاعِي فِي مَسِيلِ فُرَاتٍ
 بَخَاعَتْ كَثُوبٍ ضَمَّ سَبْعِينَ رُقْعَةً * مُشْكَلَةٌ الْأَلْوَانِ مُخْتَلِفَاتٍ
 (٤) إِلَى مَعْشَرِ الْكِتَابِ وَالْجَمْعِ حَافِلٌ * بَسَطْتُ رَجَائِي بَعْدَ بَسْطِ شِكَايِي
 (٥) فَإِذَا حَيَاةٌ تَبَعْتُ الْمَيِّتَ فِي الْبَلَى * وَتُبْتُ فِي تِلْكَ الرُّمُوسِ رُفَاتِي
 وَإِنَّمَا مَمَاتٌ لَا قِيَامَةَ بَعْدَهُ * مَمَاتٌ لَعَمْرِي لَمْ يَقْسُ بِمَمَاتٍ

(١) النعاة : جمع ناع ، وهو المخبر بالموت .

(٢) لم تتصل برواة ، أى لم يأخذها الخلف عن السلف بطريق الرواية التى تحفظها من التفسير كما هو الشأن فى العربية . ويشير الى تلك اللغة المرقعة التى كانت مستعملة أيام نشر هذه القصيدة .

(٣) اللوثة (بالضم) : عدم الإبانة . ولعاب الأفاعى : سمها . والفرات : الماء العذب .

(٤) الشكاة : الشكوى .

(٥) تبعث الميت : تحييه . والرموس : القبور ، الواحد رمس . والرفات : كل ما تكسر ويلى ؛

يريد ما بقى من الجسد بعد الموت .

زواج الشيخ على يوسف^(١) صاحب (المؤيد)

قالها ينعي فيها على المصريين بعض العيوب الاجتماعية ، وما يراه من فوضى الرأي وقلة الثبات عليه

[نشرت في سبتمبر سنة ١٩٠٤ م]

^(٢)
حَطَمْتُ الْيَرَاعَ فَلَا تَعْجِبِي * وَعِغْتُ أَلْيَانَ فَلَا تَعْتَبِي

فَمَا أَنْتِ يَا مُصْرُ دَارَ الْأَدِيبِ * وَلَا أَنْتِ بِالْبَلَدِ الطَّيِّبِ

^(٣)
وَكَمْ فِيكَ يَا مُصْرُ مِنْ كَاتِبٍ * أَقَالَ الْيَرَاعَ وَلَمْ يَكْتُبِ

فَلَا تَعْذِلِي لِهَذَا السُّكُوتِ * فَقَدْ ضَاقَ بِي مِنْهُ الْخِشَاقُ بِي

^(٤)
أَيَعْجِبُنِي مِنْكَ يَوْمَ الْوِفَاقِ * سَكُوتُ الْجَمَادِ وَلَعِبُ الصَّبِيِّ؟

وَكَمْ غَضَبَ النَّاسُ مِنْ قَبْلِنَا * لَسَلَبِ الْحَقُوقِ وَلَمْ نَغْضَبِ

- (١) كان بين المرحوم الشيخ على يوسف صاحب المؤيد وبين السيد أحمد عبد الخالق السادات شيخ السادة الوفائية صلة مودة وصداقة ، فخطب الشيخ على ابنته السيدة صفية ، ورضيت الفتاة وسكت الأب ، فعقد العقد في بيت البكرى من غير علم الأب ، فرفع الوالد الأمر إلى المحكمة الشرعية طالبا فسخ العقد لعدم الكفاءة في النسب ، ودافع الشيخ على عن نفسه ، وأثبت شرف نسبه بتسجيل اسمه في دفتر الأشراف ، وقضت المحكمة بالحيلولة المؤقتة بين الزوجين ، ثم قضت بعد ذلك بفسخ عقد الزواج في أغسطس سنة ١٩٠٤ م فاستأنف الزوج الحكم أمام المجلس الابتدائي الشرعي في محكمة مصر الشرعية الكبرى ، فقضت بتأييد الحكم بتاريخ أول أكتوبر سنة ١٩٠٤ م ، وكان لهذه القضية ثورة في الرأي العام فاضت بها الصحف وأكثر فيها الشعراء .
- (٢) حطمت : كسرت . واليراع : القلم . وعاف الشيء : بعافه : كرهه . والخطاب لمصر في هذا البيت وما يأتي بعده .
- (٣) أقال اليراع : أعفاه من أن يكتب به .
- (٤) يشير الشاعر « يوم الوفاق » إلى الاتفاق الذي تم بين إنجلترا وفرنسا سنة ١٩٠٤ م ، والذي أباح لفرنسا بعض امتيازات في مراکش في مقابل إطلاق يد الإنجليز في مصر .

(١)
 أَنَاتِيَّةَ الْعَصِيرِ إِنَّ الْغَرِيبَ * مُجِدُّ بِمَصْرَ فَلَا تَلْعَبِي
 يقولون: في النَّشْءِ خَيْرٌ لَنَا * وَلِلنَّشْءِ شَرٌّ مِنَ الْأَجْنَبِيِّ
 أُنْفَى (الْأَزْبَكِيَّة) مَثْوَى الْبَنِينَ * وَيِنَّ الْمَسَاجِدَ مَثْوَى الْأَبِّ؟
 (وَكَمْ ذَا بِمَصْرٍ مِنَ الْمُضْحِكَاتِ) * كَمَا قَالَ فِيهَا (أَبُو الطَّيِّبِ)
 أُمُورٌ تَمُرُّ وَعِيشٌ يَمُرُّ * وَنَحْنُ مِنَ اللَّهْوِ فِي مَلْعَبٍ
 وَشَعْبٌ يَفِرُّ مِنَ الصَّالِحَاتِ * فِرَارَ السَّلِيمِ مِنَ الْأَجْرَبِ
 وَصُحُفٌ تَطْنُ طَيْنَ الذُّبَابِ * وَأُخْرَى تَشْنُ عَلَى الْأَقْرَبِ
 وَهَذَا يَلُودُ بِقَصْرِ الْأَمِيرِ * وَيَدْعُو إِلَى ظِلِّهِ الْأَرْحَبِ
 وَهَذَا يَلُودُ بِقَصْرِ السَّفِيرِ * وَيُطْنِبُ فِي وَرْدِهِ الْأَعْدَبِ
 وَهَذَا يَصْبِحُ مَعَ الصَّائِحِينَ * عَلَى غَيْرِ قَصْدٍ وَلَا مَأْرَبِ
 وَقَالُوا: دَخِيلٌ عَلَيْهِ الْعَفَاءُ * وَنِعَمَ الدَّخِيلُ عَلَى مَذْهَبِي
 رَأَا نِيَامًا وَلَمَّا نَفَقَ * فَشَمَّرَ لِلسَّعَى وَالْمَكْسَبِ

- (١) النابتة: الناشئون. (٢) المثوى: موضع الثواء، وهو الإقامة. يريد أن الشباب في الملاهي، والآباء في المساجد. (٣) يشير إلى قول أبي الطيب المتنبي من قصيدة له في هجاء كافور: وَكَمْ ذَا بِمَصْرٍ مِنَ الْمُضْحِكَاتِ * وَلَكِنَّهُ ضَحِكَ كَالْبُكَ
 (٤) عيش يمر، أي يصير مرًا. (٥) طين الذباب: صوته. وتشن على الأقرب: تصب عليه غارتها من كل جهة. ويريد «بالأقرب»: أبناء الوطن. (٦) الأرحب: المتسع. ويشير بهذا البيت والبيتين اللذين بعده إلى انقسام الرأي السياسي في مصر، ففرق بين الخديوي، وآخر يناصر دار العميد الإنجليزي، وثالث لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء. (٧) يريد «الدخيل»: الأجانب الذين أصابوا في مصر حظًا من الثروة لم يصبه أهلها. والعفاء: البلى والاندثار.

(١) وماذا عليه إذا فاتنا * ونحن على العيش لم ندأب
ألفنا الخمول وباليثنا * ألفنا الخمول ولم نكذب

(٢) وقالوا : (المؤيد) في غمرة * رماه بها الطمع الأشعي
(٣) دعاه الغرام بسن الكهول * بفن جنونا بينت النبي
(٤) فضج لها العرش والحاملوه * وضج لها القبر في يثرب
(٥) ونادى رجال بإسقاطه * وقالوا : تلون في المشرب
(٦) وعدوا عليه من السيئات * ألوقا تدور مع الأحقب
(٧) وقالوا لصيق بيت الرسول * أغار على النسب الأنجب
(٨) وزكى (أبوخطوة) قوهم * بحكم أحد من المضرب
(٩) فما للتهاني على داره * تساقط كالمطر الصيب ؟

(١) دأب في عمله يدأب : جد فيه واستمر عليه . (٢) يريد «بالمؤيد» : صاحبه الشيخ على يوسف . والغمرة : ما يغمر الإنسان ويشمله من الشدائد ؛ ويريد بها هنا ما وقع فيه من شدة بما أثير حوله في قضية الزوجية . والأشعي : نسبة إلى أشعب ، وهو رجل من الموالي بالمدينة كان شديد الطمع ف ضرب به المثل ، قليل : «أطمع من أشعب» . (٣) بسن الكهول ، أى فى سن الكهول ؛ ويريد «بينت النبي» : السيدة صفية ، وهى من أسرة السادة الوفاة . (٤) لها ، أى لهذه الحادثة . ويثرب : اسم قديم لمدينة الرسول صلى الله عليه وسلم . (٥) يريد «بالمشرب» : المذهب أو الطريقة ؛ وهو معنى مولد . (٦) الأحقب : السنون ، الواحد حقب (بضم الحاء وسكون القاف أو بضمهما) . وتدور مع الأحقب ، أى تبقى على الدهر . (٧) اللصيق بالقوم : الداخل فيهم وليس منهم . (٨) أبوخطوة ، هو الشيخ أحمد أبوخطوة قاضى المحكمة الذى حكم حكما ابتدائيا بفسخ عقد الزواج . والمضرب (بكسر الراء وفتحها) : السيف ، والجمع مضارب . (٩) داره ، أى دار الشيخ على يوسف . والصيب : المنهمر المتدفق .

وما للوفود على بابيه * ترف البشائر في موكب^(١) ؟
وما للخليفة أسدى إليه * وساماً يلقى بصدر الأبى^(٢) ؟
فيا أمة ضاق عن وصفها * جنان المفوه والأخطب^(٣)
تضيع الحقيقة ما بيننا * ويصلى البرىء مع المذنب^(٤)
ويهضم فينا الإمام الحكيم * ويكرم فينا أجهول الغبي
على الشرق منى سلام الودود * وإن طأطأ الشرق للغرب^(٤)
لقد كان خصباً يجذب الزمان * فأجذب في الزمن الخصب

إلى رجال الدنيا الجديدة

أنشدها في الحفل الذى أقامته كلية البنات الأمريكية بمصر لتوزيع الشهادات على خريجاتها .

فى ٢٦ ما يوسنة ١٩٠٦ م

أى رجال الدنيا الجديدة مدوا * لرجال الدنيا القديمة باعاً
وأفيضوا عليهم من أيادي * حكم علوماً وحكمةً وأختراعاً

- (١) يشير إلى ما ناله الشيخ على يوسف من الرتب والأوسمة من الدولة العثمانية . والأبى (بتشديد الياء ، وخففت للشعر) : الذى لا يرضى الدنية أهنة وكبرا .
(٢) الجنان : القلب . والمفوه : المنطق . وينعى الشاعر على الأمة أخلاقها ، فيبناها على الشيخ على يوسف السيئات ، وترميه بالقلب فى رأى ، وشكر عليه زواجه ، إذا بها تتوافد على داره وترف إليه التهانى . (٣) يصلى : يعذب . (٤) يقول : لقد كان الشرق غنياً بالحضارة والعمران فى عهد خلو العالم منهما ، فأصبح مجذباً من ذلك ، إذ الزمان خصب بهما .

كُلُّ يَوْمٍ لَكُمْ رَوَائِعُ أَنَا * رِ تَوَالُونَ يَنْتَهِنُ تَبَاعَا
 كَمْ خَلَبْتُمْ عُقُولَنَا بِعَجِيبٍ * وَأَمَرْتُمْ زَمَانَكُمْ فَاطَاعَا
 وَبَذَرْتُمْ فِي أَرْضِنَا وَزَرَعْتُمْ * فَسَرَّائِنَا مَا يُعِجِبُ الزَّرَاعَا
 وَلَمَحْنَا مِنْ نُورِكُمْ فِي نَوَاصِي * حَفَلَةَ الْيَوْمَ لَمْعَةً وَشُعَاعَا
 وَشَهِدْنَا مِنْ فَضْلِكُمْ أَثَرًا فِيد * هَا يَرُوقُ الْعُيُونُ وَالْأَسْمَاعَا
 لَيْتَنَا نَقْتَدِي بِكُمْ أَوْ نُجَارِي * كُمْ عَسَى نَسْتَرِدُّ مَا كَانَ ضَاعَا
 إِنِّ فِينَا لَوْلَا التَّخَاذُلُ أَبْطَا * لَا إِذَا مَا هُمْ أَسْتَقْلُوا الْبِرَاعَا^(١)
 وَعُقُولًا لَوْلَا الْجُمُوعُ تَوَلَّا * هَا لِفَاضَتْ غَرَابَةً وَأَجْدَاعَا
 وَدُعَاءَ الْخَيْرِ لَوْ أَنْصَفُوهُمْ * مَلَأُوا الشَّرْقَ عِزَّةً وَأَمْتِنَاعَا
 كَاشَفَ الْكَهْرِبَاءَ لَيْتَكَ تُعْنَى * بَاخْتِرَاعِ يَرُوضُ مِنَّا الطَّبَاعَا^(٢)
 آلَةٌ تَسْحَقُ التَّوَاكُلَ فِي الشَّرِّ * قِي وَتُلْقِي عَيْنَ الرِّاءِ الْقِنَاعَا
 قَدْ مَلَلْنَا وَقُوفْنَا فِيهِ نَبِيكِي * حَسَبًا زَائِلًا وَبِحَدِّ مُضَاعَا
 وَتَمِينَا مَقَالَهُمْ كَانِ زَيْدٌ * عَبَقِيرِيًّا وَكَانَ عَمْرُو شُجَامَا
 لَيْتَ شِعْرِي مَتَى تُتَارَعُ مِصْرٌ * غَيْرَهَا الْمَجْدُ فِي الْحَيَاةِ نَزَاعَا
 وَنَرَاهَا تُفَاخِرُ النَّاسَ بِالْأَحْ * بِيَاءِ نَفَرًا فِي الْخَافِقِينَ مُدَاعَا^(٣)

(١) استقلوا البراع، أى حملوا الأقاليم . (٢) يروض الطباع، أى يسوسها ويذلها بعد

بحاجها . (٣) الخافقان : المشرق والمغرب .

- (١) (أرض كولمب) أَيْ نَبْتِكَ أَغْلَى * قِيمَةٌ فِي الْمَلَا وَأَبْقَى مَتَاعاً
(٢) أَرْجَالُ بِهِمْ مَلَكَتِ الْمَعَالِي * أَمْ نُضَارُّ بِهِ مَلَكَتِ الْبِقَاعِ
لَا عَدَاكَ السَّمَاءُ وَالْخَضْبُ وَالْأَمَّ * سُنْ وَلَا زِلْتِ السَّلَامَ رِبَاعاً
(٣) طَالِبِي الْكَوْنِ وَأَنْظُرِي مَا دَهَاهُ * إِنَّ رُكْنَ السَّلَامِ فِيهِ تَدَاعَى

مدرسة مصطفى كامل

أنشدتها في الحفل الذي أقامته المدرسة لتوزيع الجوائز على المتفهمين

من تلاميذها في ٣٠ نوفمبر سنة ١٩٠٦ م

- (٤) سَمِعْنَا حَدِيثًا كَقَطْرِ النَّدى * فَخَدَّدَ فِي النَّفْسِ مَا جَدَّدَا
فَأَضْحَى لَأَمَانًا مُنْعَشًا * وَأَمْسَى لَأَلَمًا مُرْقِداً
قَدِينَاكَ يَا شَرْقُ لَا تَجْزَعَنَّ * إِذَا الْيَوْمُ وَلَّى فِرَاقُ غَدَا
فَكَمْ مَحْنَةٍ أَعْقَبَتْ مَحْنَةً * وَوَلَّتْ سِرَاعًا كَرَجْعِ الصَّدى
(٥) فَلَا يُبَيِّنُكَ قِيلُ الْعُدَاةِ * وَإِنْ كَانَ قِيلاً كَحَزِّ الْمَدَى
(٦) أَتُودِعُ فِيكَ كُنُوزَ الْعُلُومِ * وَيَمِشِي لَكَ الْغَرْبُ مُسْتَرْفِداً؟

- (١) أرض كولمب : يريد أمريكا، أضيفت إلى مكتشفها كريستوف كولمب . (٢) النضار : الذهب . يشير إلى كثرة الذهب في أمريكا . (٣) طالعي الكون : انظري إليه . وتداعى : تهكم . (٤) يريد « بالحديث » : ما قيل في الحفل من خطب وأشعار . (٥) قيل العداة : قولهم . والمدي (بالضم) : جمع مديّة ، وهي السكين . (٦) المسترفد : طالب الرفد (بكسر الراء) وهو المطاء .

وَتَبَعْتُ فِي أَرْضِكَ الْأَنْبِيَاءَ * وَيَأْتِي لَكَ الْغَرْبُ مُسْتَرِشِدًا؟

وَتَقْضِي عَلَيْكَ قُضَاةَ الضَّلَالِ * طَوَالَ اللَّيَالِي بَأَنْ تَرْقُدَا؟

أَتَشْقَى بَعْدَ سَمَا بِالْعُلُومِ * فَأَضْحَى الضَّعِيفُ بِهَا أَيْدًا؟^(١)

إِذَا شَاءَ بَزَّ الشَّهَاسِرَ * وَأَدْرَكَ مِنْ جَرِيهِ الْمَقْصِدَا^(٢)

وَإِنْ شَاءَ أَذْنَى إِلَيْهِ النُّجُومِ * فَنَاجَى الْمَجَرَّةَ وَالْفَرْقَدَا^(٣)

وَإِنْ شَاءَ زَعَزَعَ شَمَّ الْجِبَالِ * نَحَرْتُ لِأَقْدَامِهِ سُبُجَا^(٤)

وَإِنْ شَاءَ شَاهَدَ فِي ذَرَّةٍ * عَوَالِمَ لَمْ تَحْيَ فِيهَا سُدى^(٥)

زَمَانَ تُسَخَّرُ فِيهِ الرِّيَّاحُ * وَيَغْدُو الْجَمَادُ بِهِ مُنْشِدَا^(٦)

وَتَعْنُو الطَّيِّعَةُ لِلْعَارِفِينَ * بِمَعْنَى الْوُجُودِ وَسِرِّ الْهُدَى^(٧)

- (١) الأيد (بتشديد الياء) : القوى ؛ من الأيد (بفتح الهزرة وسكون الياء) بمعنى القوة .
يقول : أتشقى أيها الشرق بحرمانك من العلوم والمعارف في زمن قاض فيه العلم ، وأخذت كل أمة منه بحظ حتى أصبح الضعيف ذا قوة بسببه ، بما اكتسب من علم . (٢) بز : غلب . والشها : كوكب صغير خفى الضوء في بنات نعش ، والناس يمتحنون به أبصارهم لخفاء ضوئه . يقول : إذا شاء ذو العلم سلب من هذا النجم سره المكتوم ، وجعله ظاهرا للناس يعرفون من أمره ما يعرفون من الكائنات التي يدركونها بحواسهم . ويشير بهذا البيت والذي بعده إلى علماء الفلك وما وصلوا إليه من اكتشافات في هذا العلم .
(٣) المجرة : نجوم كثيرة لا تدرك بمجرد البصر ، وإنما ينتشر ضوءها فيرى كأنه بقعة بيضاء ؛ ولهذا يشبهها الأدباء بالنهر ، فيقولون : نهر المجرة . والفرقة : نجم قريب من القطب الشمالى يهتدى به ، جمعه فراقدة .
(٤) شم الجبال : ما علامتها وشمخ ، الواحد أشم . ويشير بهذا البيت إلى المخترعات الحربية التي تصنف الجبال . (٥) الذرة : واحدة الذر (بفتح الدال) ، وهو الهباء المنبث في الهواء . ويشير بهذا البيت إلى المنظار الكبير للأشياء ، المعروف بالمكرو سكوب ونحوه . ويريد « بالعوالم » : عوالم الميكروبات .
(٦) يشير بالشرط الأول من هذا البيت إلى الطائرات ؛ وبالشرط الثاني إلى الحاكي .
(٧) تعنو : تخضع وتذل .

- (١) إذا ما أَهَابُوا أَجَابَ الْحَدِيدُ * وَقَامَ الْبُخَارُ لَهُ مُسْعِدًا
(٢) وَطَارَتْ إِلَيْهِمْ مِنَ الْكَهْرَبَا * بَرُوقٌ عَلَى السَّلَكِ تَطْوِي الْمَدَى
(٣) أَيْجُلُ مِنْ بَعْدِ هَذَا وَذَلِكَ * بَأْنُ نَسْتَكِينَ وَأَنْ تَجْمَدَا
(٤) وَهَآ أُمَّةٌ (الصُّفْرُ) قَدْ مَهَّدَتْ * لَنَا النَّهْجَ فَاسْتَبَقُوا الْمَوْرِدَا
(٥) فَيَأْتِيهَا النَّاشِئُونَ أَعْمَلُوا * عَلَى خَيْرِ مَضِيرٍ وَكُونُوا يَدَا
(٦) سَتُظْهِرُ فِيكُمْ ذَوَاتُ الْغُيُوبِ * رِجَالًا تَكُونُ لِمَصْرِ الْفِدَا
فِيالْبِتِ شِعْرِي مَنْ مِنْكُمْ * إِذَا هِيَ نَادَتْ يُلَبِّي النَّدَا
لَكَ اللَّهُ يَا (مُصْطَفَى) مِنْ قَتَى * كَثِيرِ الْأَيْدَى، كَثِيرِ الْعِدَا
إِذَا مَا حَمِدْتُكَ بَيْنَ الرِّجَالِ * فَأَنْتَ الْخَلِيقُ بَأْنُ مُحَمَّدَا
سَيُحْصَى عَلَيْكَ سِجْلُ الزَّمَانِ * ثَنَاءً يُحْلِلُ مَا خُلِدَا
وَيَهْتَفُ بِأَسْمِكَ أَبْنَاؤُنَا * إِذَا آتَى لِلزَّرْعِ أَنْ يُحْصَدَا

(١) أَهَابَ بِهِ : دَعَاهُ . وَمُسْعِدًا : مُعِينًا .

(٢) الْمَدَى : الْمَسَاقَةُ عَلَى نَوْعِهَا مِنْ زِمْنَةٍ أَوْ مَكَانِيَةٍ . وَيُشِيرُ بِهَذَا الْبَيْتِ إِلَى الْآلَتَيْنِ الْمَعْرُوفَتَيْنِ بِالْطُّغْرَافِ وَالْتَلِفُونِ .

(٣) نَسْتَكِينَ : نَذَلُ وَنَخْضَعُ .

(٤) يَرِيدُ « بَأَمَّةُ الصُّفْرِ » : الْيَابَانِيُّينَ ؛ وَسَمَّوْا بِذَلِكَ لِلْوَهْمِ . وَالنَّهْجُ : الطَّرِيقُ . وَاسْتَبَقُوا الْمَوْرِدَ أَيَّ سَبَقُوا غَيْرَهُمْ مِنْ أَمِّ الشَّرْقِ إِلَى الْإِرْتِشَافِ مِنْ مَنَاطِلِ الْعُلُومِ وَالْمَعَارِفِ .

(٥) كُونُوا يَدَا : عِبَارَةٌ يَرَادُ بِهَا اتِّحَادُ الْكَلِمَةِ وَاجْتِمَاعُ الرَّأْيِ حَتَّى كَانَهُمْ فَرْدٌ وَاحِدٌ

(٦) ذَوَاتُ الْغُيُوبِ ، أَيُّ الْأَنْقَادَارِ الَّتِي فِي عَالَمِ الْغَيْبِ .

إلى ناظر المعارف سعد زغلول باشا

[نشرت في ١٣ ديسمبر سنة ١٩٠٦ م]

- (١)
مالي أرى ببحر السَّيَا * سَةِ لَا يَنِي جَزْرًا وَمَدًّا
(٢)
وَأَرَى الصَّحَائِفَ أَيَّسَّتْ * مَا بَيْنَنَا أَخْذَا وَرَدًّا
(٣)
هَذَا يَرَى رَأَى الْعَمِيد * لِي وَذَا يَعُدُّ عَلَيْهِ عَدًّا
(٤)
وَأَرَى الْوِزَارَةَ تَجَنَّبَنِي * مِنْ مَرِّ هَذَا الْعَيْشِ شُهْدًا
(٥)
نَامَتْ بِمِصْرَ وَأَيَّقَظَتْ * لِحَوَادِثِ الْإَيَّامِ (سَعْدًا)
فَطَرَحْتُهَا وَسَأَلْتُ عَد * لَهُ فِقِيلٌ لِي : لَمْ يَأَلْ جُهْدًا
(٦)
يَا (سَعْدُ) أَنْتَ (مَسِيحُهَا) * فَأَجْعَلْ لِهَذَا الْمَوْتِ حَدًّا
يَا (سَعْدُ) إِنَّ (بِمِصْرَ) آيَةٌ * تَأْمَنَّا تَوَمَّلْ فِيكَ سَعْدًا
قَدْ قَامَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ * بِنَ الْعِلْمِ ضَيْقُ الْحَالِ سَدًّا

(١) يني : يبطئ .

(٢) أيست ما بيننا ، أي قطعت ما بيننا من مودة ؛ ويستار ليس للتقاطع ؛ يقال : قد يس ما بينهما : إذا تقاطعا ، كما يستعار الليل للتواصل .

(٣) يريد أن ساسة مصر فريقان : فريق يوافق عميد الدولة الانجليزية على ما يرى ، وفريق آخر يعد مساوية في مصر .

(٤) يريد أن الوزراء كانوا يستغلون بؤس الناس لإسعاد أنفسهم .

(٥) نامت ، أي الوزارة .

(٦) شبهه بالمسيح في أن معجزته إحياء الموتى . قال تعالى حكاية عن عيسى عليه السلام : (وأبرئ الأكمه والأبرص وأحيي الموتى بإذن الله) .

مَا زِلْتُ أَرْجُو أَنْ أَرَا * كَ أَبَا وَأَنَّ أَلْفَاكَ جَدًّا
 حَتَّى غَدَوْتَ أَبَا لَهُ * أَصَحَّتْ عِيَالُ الْقُطْرِ وَلَدَا
 فَارَدَدْنَا عَهْدَ (الإِمْ) * وَكُنْ بِنَا الرَّجُلَ الْمُقْدَى ^(١)
 أَنَا لَا أَلُومُ الْمُسْتَشَا * رَ إِذَا تَعَلَّلَ أَوْ تَصَدَّى ^(٢)
 فَسَبِيلُهُ أَنْ يَسْتَبْدُ * وَشَأْنُنَا أَنْ نَسْتَعِدَّا
 هِيَ مُنَّةُ الْمُحْتَلِّ فِي * كُلِّ الْعُصُورِ وَمَا تَعَدَّى

الحث على تعضيد مشروع الجامعة

أنشدها في الحفل الذي أقامه محفل الصديق الماسون في دار التنبيل العربي،

وخصص لإيراده لمشروع الجامعة المصرية

[نشرت في ١٩ مارس سنة ١٩٠٧ م]

إِنْ كُنْتُمْ تَبْذُلُونَ الْمَالَ عَنْ رَهْبٍ * فَتَحْنُ نَدْعُوكُمْ لِلْبَذْلِ عَنْ رَغْبٍ
 ذَرِ الْكَاتِبَ مُنْشِئَهَا بِلَا عَدَدٍ * ذَرِ الرَّمَادَ بِعَيْنِ الْحَازِقِ الْأَرَبِ ^(٣)

(١) يريد « بالإمام » : الأستاذ المرحوم الشيخ محمد عبده .

(٢) يريد بالمستشار : المستر (دافلوب) الإنجليزي ، مستشار المعارف إذ ذاك . وتعلل :

تصنع العلل والمعاذير المانعة من نشر العلم في البلاد المصرية . وقصدى : تعرض للصلحين بالمنع .

(٣) الأرب : البصير الماهر . ويشير بهذا البيت إلى ما كان يقصد إليه المستشار الإنجليزي

لنظارة المعارف والعميد الإنجليزي إذ ذاك من إلقاء المصريين وتسكينهم بأثار الكاتيب الصغيرة في القرى

والمدن عن أن يطلبوا إلى الحكومة إنشاء جامعة على نسق الجامعات الأوروبية .

فَأَنْشَأُوا أَلْفَ كُتَابٍ وَقَدْ عَلِمُوا * أَنْ الْمَصَائِيحَ لَا تُغْنِي عَنِ الشُّهْبِ
 هَبُّوا الْأَجِيرَ أَوِ الْحَزَاتِ قَدْ بَلَّغَا * حَدَّ الْقِرَاءَةِ فِي صُحُفٍ وَفِي كُتُبِ
 مِنَ الْمَدَاوِي إِذَا مَا عِلَّةٌ عَرَضَتْ * مِنَ الْمُدَافِعِ عَنْ عِرْضٍ وَعَنْ نَسَبِ
 وَمَنْ يَرُوضُ مِيَاهَ النَّيْلِ إِنْ جَمَحَتْ * وَأَنْذَرَتْ مِصْرَ بِالْوَيْلَاتِ وَالْحَرْبِ
 وَمَنْ يُوَكِّلُ بِالْقِسْطِاسِ يَنْتَكُمُ * حَتَّى يَرَى الْحَقُّ ذَا حَوْلٍ وَذَا غَلَبِ
 وَمَنْ يُطِلُّ عَلَى الْإِفْلَاقِ يَرُصُّهَا * بَيْنَ الْمَنَاطِقِ عَنْ بُعْدٍ وَعَنْ كَثَبِ
 يَبْتَئِي يُبَيِّنُنَا عَمَّا تَكُنُّ بِهِ * سَرَائِرُ الْغَيْبِ عَنْ شَفَافَةِ الْجُحُبِ
 وَمَنْ يَبْزُ أَدِيمَ الْأَرْضِ مَا رَكَتْ * فِيهَا الطَّبِيعَةُ مِنْ بَذْعٍ وَمِنْ عَجَبِ
 يَطْلُ يَنْشُدُ مِنْ ذَرَاتِهَا نَبَأً * صَنَّتْ بِهِ الْأَرْضُ فِي مَاضٍ مِنَ الْحُقُبِ
 وَمَنْ يُمِيطُ سِتَارَ الْجَهْلِ إِنْ طُمِسَتْ * مَعَالِمُ الْقَصْدِ بَيْنَ الشُّكِّ وَالرَّيْبِ

- (١) النشأ (بالتحرريك) : المال . ويشير بهذا البيت والآيات السبعة بعده إلى طوائف المتخرجين من الجامعة على اختلافهم : من أطباء ، ومحامين ، ومهندسين ، وقضاة ، وفلكيين ، وعلماء بطبقات الأرض ، ومعلمين . (٢) يروض مياه النيل : يقوم على تصريفها وتدير أمرها ، ولا يدعها تفرق البلاد بطغيانها . وأصله من رياضة الدواب ، وهو تذليلها بعد صعوبتها وتفورها . (٣) القسطاس (بكسر القاف وضمها) : ميزان العدل ؛ قيل هوروى معرب . والحول : القوة . (٤) يرصدها : يرقبها . والكثب (بالتحرريك) : القرب . (٥) يبز : يسلب . وأديم الأرض : وجهها . وركت ، أى طوت وخبأت . والبذع : الذى لا مثيل له . (٦) ينشد : يطلب . (٧) يميظ : يكشف . وطمست : انمحت . وأنذرت . ومعالم القصد : العلامات التى تبين طريقه وتدل عليه . يقول : إن هذا العالم الذى يبحث فى طبقات الأرض وما حوت من معادن يظل يطلب فى كل ذرة من ذراتها سرا كتمته ولم تبج به فى غابر الأزمان لجهل الماضين بما فى باطن الأرض من عجائب .

- (١) فما لَكُمْ أَيُّهَا الْأَقْوَامُ جَامِعَةً * إلا بِجَامِعَةٍ مَوْصُولَةٍ السَّبَبِ
 (٢) قد قَامَ (سَعْدٌ) بِهَا حِينًا وَأَسْلَمَهَا * إلى (أَمِينٍ) فَلَمْ يُجِمْ وَلَمْ يَهَبْ
 فَعَاوُنُوهُ يَعَاوِنُكُمْ عَلَى عَمَلٍ * فِيهِ الْفَخَارُ وَمَا تَرْجُونَ مِنْ أَرَبٍ
 وَيَبْنُوا لِرِجَالِ الْغَرْبِ أَنْفُكُمْ * إِذَا طَلَبْتُمْ بَلَّغْتُمْ غَايَةَ الطَّلَبِ
 لَا تَلْجَأُوا فِي الْعُلَا إِلَّا إِلَى هِمِّ * وَثَابَةِ لَا تُبَالِي هِمَّةَ النَّوْبِ
 (٣) فَإِنَّ تَأْمِيلَكُمْ فِي غَيْرِكُمْ وَهْنٌ * فِي النَّفْسِ يُرْخِي عِنَانَ السَّعْيِ وَالِدَّابِ
 (٤) إِنَّ قَامَ مِنْهَا مُنَادٍ قَالَ قَاتِلُهُمْ * لَا تَصْخَبُوا فَهَلَاكُ الشَّعْبِ فِي الصَّخَبِ
 (٥) أَوْ نَابَا حَدِيثٌ نَزَجُوا إِزَالَتَهُ * قَالَ اسْتَكِينُوا وَخَلُّوا سُورَةَ الْغَضَبِ
 (٦) فَمَا سَمَوْنَا إِلَى تَجْدٍ مُحَاوِلُهُ * إِلَّا هَبَطْنَا إِلَى غَوْرِ مِنَ الْعَطَبِ
 (٧) يَا مِصْرُ هَلْ بَعْدَ هَذَا الْيَأْسِ مُتَسَعٌ * يَجْرِي الرَّجَاءُ بِهِ فِي كُلِّ مُضْطَرَبٍ
 لَا نَحْنُ مَوْتَى وَلَا الْأَحْيَاءُ تُشْبِهُنَا * كَأَنَّ فِيكَ لَمْ تَشْهَدْ وَلَمْ نَعِبْ

- (١) يريد بالجامعة (الأولى) : الرابطة التي تربط الأمة وتجمع طوائفها . وبالجامعة (الثانية) :
 ذلك المعهد المعروف . (٢) يريد المرحوم سعد زغلول باشا ، وكان من أقوى أنصار فكرة
 إنشاء الجامعة المصرية والساعين في تحقيقها ، فلما أسندت إليه نظارة المعارف أسلم أعمال الجامعة
 إلى المرحوم قاسم بك أمين . (٣) الوهن : الضعف . والدأب : الاجتهاد في الأمر والاستمرار
 عليه . (٤) الصخب (بالتحريك) : شدة الأصوات واختلاطها . (٥) استكينوا :
 استدلوا . وسورة الغضب : حدته . (٦) التجد : ما ارتفع من الأرض . والغور : ما اطمأن
 منها وانخفض . والعطب : الهلاك . (٧) المضطرب : المذهب يضطرب فيه الناس ، أى يذهبون
 ويحيثون في أمور حياتهم . يقول : هل بعد هذا اليأس من فسحة تتسع فيها آمال مصر في جميع مناحي
 الحياة ومذاهبها .

(١) نَبِيَّ عَلَى بَلَدِ مَالِ النُّضَارِ بِهِ * لِلوَافِدِينَ وَأَهْلُوهُ عَلَى سَغَبِ
 متى نَرَاهُ وَقَدْ بَاتَتْ خَزَائِنُهُ * كَثَرًا مِنَ الْعِلْمِ لَا كَثَرًا مِنَ الذَّهَبِ
 (٢) هَذَا هُوَ الْعَمَلُ الْمَبْرُورُ فَأَكْتَتِبُوا * بِالْمَالِ إِنَّا أَكْتَتَبْنَا فِيهِ بِالْأَدَبِ

سورية ومصر

أُنشدتها في الحفل الذي أقامه لتكريمه جماعة من السوريين بفندق شبرد

[نشرت في ٢٥ مارس سنة ١٩٠٨ م]

(٣) لِمُضَرَّامٍ لِرُبُوعِ الشَّامِ تَنْتَسِبُ * هُنَا الْعَمَلُ وَهُنَاكَ الْمَجْدُ وَالْحَسَبُ
 (٤) رُكَّانِ لِلشَّرْقِ لَا زَالَتْ رُبُوعُهُمَا * قَلْبُ الْهَيْلَالِ عَلَيْهَا خَافِقٌ يَجِبُ
 (٥) خِذْرَانِ لِلضَّادِ لَمْ تُهَيِّكْ مُتَوَرُّهُمَا * وَلَا تَحْوَلْ عَنْ مَغْنَاهُمَا الْأَدَبُ
 (٦) أُمُّ اللُّغَاتِ غَدَاةُ الْفَخْرِ أُمُّهُمَا * وَإِنْ سَأَلْتَ عَنِ الْآبَاءِ فَالْعَرَبُ

(١) النضار : الذهب . والسغب : البوع . (٢) استعمال «الاكتاب» بمعنى جمع المال من القوم لمصلحة عامة أو خاصة ، استعمال شائع في كلام أهل مصر ، وهو استعمال يجازى ؛ وأصله من قولهم : اكتب فلان ، إذا كتب اسمه في ديوان السلطان . ولما كان المتبرعون بالأموال تقيد أسماؤهم في سجل مخصوص لذلك ، صح أن يجوز في ذلك ويعبر عن جمع الأموال بالاكتاب .

(٣) أى انتسب إلى أى الأمتين شئت ، فكلاهما في الملا والحسب سواء . (٤) ويجب عليها . والهيلال : شعار الدولة العثمانية . (٥) الضاد : تناية عن اللغة العربية . والمغنى :

المثل الذي غنى به أهله ، أى أقاموا . (٦) يريد أن الأمتين تجمع بينهما أمومة واحدة وهي اللغة ، وأبوة واحدة ، وهم العرب .

(١) أَرِغْبَانٍ عَنِ الْحُسْنَى وَيَنْهَمَا * فِي رَائِعَاتِ الْمَعَالِي ذَلِكَ النَّسَبُ
 (٢) وَلَا يَمْتَنَانِ بِالْقُرْبَى وَيَنْهَمَا * تِلْكَ الْقَرَابَةُ لَمْ يَقْطَعْ لَهَا سَبَبُ
 (٣) إِذَا أَلَمْتُ بِوَادِي النَّيْلِ نَازِلَةً * بَاتَتْ لَهَا رَاسِيَاتُ الشَّامِ تَضْطَرِبُ
 (٤) وَإِنْ دَعَا فِي تَرَى الْأَهْرَامِ ذُو أَلَمٍ * أَجَابَهُ فِي ذُرَا لُبْنَانَ مُتَجِيبُ
 (٥) لَوْ أَخْلَصَ النَّيْلُ وَالْأَرْدُنُّ وَدَّهْمَا * تَصَاحَتْ مِنْهُمَا الْأَمْوَاهُ وَالْعُشْبُ
 (٦) بِالْوَادِيَيْنِ تَمْشِي الْفَخْرُ مِشْيَتَهُ * يَحْفُفُ نَاحِيَتَيْهِ الْجُودُ وَالْأَدَبُ
 (٧) فَسَالَ هَذَا سَخَاءً دُونَهُ دِيمٌ * وَسَالَ هَذَا مَضَاءً دُونَهُ الْقَضْبُ
 نَسِيمَ لُبْنَانَ كَمْ جَادَتْكَ عَاطِرَةٌ * مِنْ الرِّيَاضِ وَكَمْ حَيَّاكَ مُنْسَكِبُ
 (٨) فِي الشَّرْقِ وَالْقَرْبِ أَتْفَاسٌ مَسْعَرَةٌ * تَهْفُو إِلَيْكَ وَأَكْبَادُهَا هَبُ
 (٩) لَوْلَا طِلَابُ الْعُلَا لَمْ يَتَغَوَّأْ بَدَلًا * مِنْ طِيبِ رِيَاكَ لَكِنَّ الْعُلَا تَعَبُ
 (١٠) كَمْ غَادَةً بِرُبُوعِ الشَّامِ بَاكِيةٌ * عَلَى أَلْفٍ لَهَا يَرْمِي بِهِ الطَّلَبُ

- (١) ارغبان عن الحسنى : ينصرفان عن حسن الجوار . ورائعات المعالي : ما ظهر منها ووضح .
 (٢) مت إليه بكذا : توسل إليه به . (٣) ألت : تزلت . وراسيات الشام : جبالها .
 (٤) ذرا لبنان : مرتفعاته وأعالیه ، الواحدة ذروة . (٥) الأردن : نهر فلسطين معروف .
 والأمواء : جمع ماء . (٦) الأدب (بالتحريك) : الجود والاجتهاد . (٧) الديم
 من السحب : جمع ديمة ، وهي الدائمة المطر . والقضب : السيوف القواطع ، الواحد قضيب ، فعيل
 بمعنى فاعل . يشير بالشر الأول إلى وادي النيل ؛ وبالشر الثاني إلى وادي الأردن . (٨) مسعرة :
 ملتهبة من الشوق . وتهفو : تميل . ويشير إلى حنين رجال لبنان النائين عن وطنهم في أنحاء الأرض طلبا
 للرزق . (٩) الريا : الرائحة الطيبة . (١٠) الغادة : الفتاة الخشنة لنا ونقومه .
 « ويرمى » انخ ، أى يقذف به طلب الرزق في أنحاء البلاد .

- (١) يَمْضِي وَلَا حِيلَةَ إِلَّا عَزِيْمَتُهُ * وَيَنْتَنِي وَحُلَاهُ أَلْجَدُ وَالذَّهَبُ
 (٢) يَكُرُّ صَرَفُ اللَّيَالِي عَنْهُ مُنْقَلِبًا * وَعَزْمُهُ لَيْسَ يَدْرِي كَيْفَ يَنْقَلِبُ
 (٣) بِأَرْضِ (كَوْلَب) أَبْطَالُ غَطَارِقَةٍ * أَشَدُّ جِيعًا إِذَا مَا وُثِبُوا وَثَبُوا
 (٤) لَمْ يَحْمِهِمْ عِلْمٌ فِيهَا وَلَا عُدَّةٌ * سِوَى مَضَاءٍ تَحَامَى وَرَدَهُ النَّوْبُ
 (٥) أَسْطُولُهُمْ أَمَلٌ فِي الْبَحْرِ مَرْتَحِلٌ * وَجَيْشُهُمْ عَمَلٌ فِي الْبَرِّ مُغْتَرِبٌ
 (٦) لَهُمْ بِكُلِّ خِضَمٍّ مَسْرَبٌ نَهْجٌ * وَفِي ذُرَا كُلِّ طَوْدٍ مَسْلَكٌ عَجَبٌ
 (٧) لَمْ تَبْدُ بَارِقَةً فِي أَفْقٍ مُتَجَعٍّ * إِلَّا وَكَانَ لَهَا بِالشَّامِ مَرْتَقِبٌ
 مَا عَابَهُمْ أَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ قَدْ تُرُّوا * فَالشَّهْبُ مَشْوَرَةٌ مَدُّ كَانَتْ الشَّهْبُ

(١) يقول : إن هذا الطالب يذهب على وجهه غير مزود إلا بعزيمة صادقة ، و يعود متحملا بجلى
 المجد ، موفورا الثراء والفتى . (٢) « يكر صرف الليالي عنه » الخ ، يقول : إن نوائب الأيام
 ترتد عنه متقلبة وعزمه ثابت ماض في سبيله لا يتغير ولا يتبدل . (٣) أرض كولب : أمريكا
 أضيفت الى مكنتشفا . والغطارقة : السادة الشرفاء والسراة من الناس ، الواحد غطريف وغطراف .
 ويريد رجال لبنان المهاجرين الى أمريكا . وإذا ما ووثبوا وثبوا ، أى اذا ما اعتدى عليهم انتصفوا
 لأقسامهم . والمواثبة بين الخصمين : أن يثب كل منهما على صاحبه . (٤) تحامى : تحامى ، فحذف
 إحدى التاءين للتخفيف . ويريد بقوله : « لم يحمهم علم » : أنهم ليسوا أصحاب سفارة يحتمون بها
 وإنما يحتمون بمضائهم وعزمهم اللذين ترتد عنهما نوائب الأيام كلبلة مهزومة . (٥) يقول : إنهم
 لا أسطول لهم ولا جيش غير الأمل البعيد والعمل للرزق في كل مكان . (٦) الخضم : البحر .
 والمسرب : الطريق . والنهج من الطرق (بتسكين الهاء) : الواضح المسلك منها ؛ وحرك الهاء بالفتح
 لضرورة الوزن . « وذرا كل طود » ، أى أعالي كل جبل . (٧) المتجعج : مكان الاتنجاع ، أى
 طلب الرزق . يقول : إنه قد بلغ من سعيهم على الرزق أنه لا تظهر علامة تنبئ بوجوده في مكان إلا وجدت
 من رجال الشام من يرقبها ويسبق الناس إليها .

- (١) وَلَمْ يَضُرَّهُمْ سُرَاءٌ فِي مَنَازِلِهَا * فَكُلُّ حَيٍّ لَهُ فِي الْكَوْنِ مُضْطَرَبٌ
(٢) رَادُّوا الْمَنَاهِلَ فِي الدُّنْيَا وَلَوْ وَجَدُوا * إِلَى الْمَجَرَّةِ رَكْبًا صَاعِدًا رَكِبُوا
(٣) أَوْ قِيلَ فِي الشَّمْسِ لِلزَّاجِنِ مُتَجَمِّعٍ * مَدُّوا لَهَا سَبَبًا فِي الْجَوِّ وَانْتَدَبُوا
(٤) سَعَوْا إِلَى الْكَسْبِ مَحْمُودًا وَمَا فَتَنَتْ * أَمْ اللُّغَاتِ بِذَلِكَ السَّعْيِ تَكْتَسِبُ
فَإِنْ كَانَ الشَّامِيُّونَ كَانَ لَهَا * عَيْشٌ جَدِيدٌ وَفَضْلٌ لَيْسَ يَحْتَجِبُ
هَذِي يَدِي عَنْ بَنِي مِصْرٍ تُصَافِحُهُمْ * فَصَافِحُوهَا تُصَافِحُ نَفْسَهَا الْعَرَبُ
فَمَا الْكَانَةُ إِلَّا الشَّامُ عَاجَ عَلَى * رُبُوعِهَا مِنْ بَيْنِهَا سَادَةُ نَجَبٍ
لَوْلَا رِجَالٌ تَغَالَوْا فِي سِيَاسَتِهِمْ * مِنَّا وَمِنْهُمْ لَمَّا لَعْنَا وَلَا عَتَبُوا
إِنْ يَكْتُبُوا لِي ذَنْبًا فِي مَوَدَّتِهِمْ * فَإِنَّمَا الْفَخْرُ فِي الذَّنْبِ الَّذِي كَتَبُوا

- (١) السرى (مقصورا ومد للشعر) : السير بالليل . ومناكب الأرض : نواحيها . والمضطرب : المذهب يضطرب فيه الناس ، أى يذهبون ويحيثون .
(٢) رادوا : طلبوا . والمناهل : الموارد .
(٣) انتدب فلان للأمر : خف إليه .
(٤) يريد بقوله : « وما فتئت » الخ : أنهم ينشرون اللغة العربية حيثما حلوا ؛ وفي ذلك كسب لها .
(٥) عاج على المكان : مال إليه .
(٦) يقول : لولا جماعة المفرقين بين القطرين وتغاليم في ذلك ، لما وقع بيننا ما يوجب اللوم منا ولا العتاب منهم .
(٧) الضمير في « مودتهم » للسوريين .

في الحث على تعزيد مشروع الجامعة

أنشدها في الحفل الذي أقيم في « تياترو برنتانيا » في ٨ مايو سنة ١٩٠٨ م

- (١) حَيَّاكُمْ اللهُ أَحْيُوا الْعِلْمَ وَالْأَدَبَا * إِنَّ تَنْشُرُوا الْعِلْمَ يَنْشُرْ فِيكُمْ الْعَرَبَا
وَلَا حَيَاةَ لَكُمْ إِلَّا بِجَامِعَةٍ * تَكُونُ أَمَّا لَطُلَّابِ الْعُلَا وَأَبَا
تَبْنِي الرِّجَالَ رَبَّنِي كُلَّ شَاهِقَةٍ * مِنْ الْمَعَالِي وَتَبْنِي الْعِزُّ وَالْغَلَبَا
ضَعُوا الْقُلُوبَ أَسَاسًا لَا أَقُولُ لَكُمْ * ضَعُوا النُّضَارَ فَإِنِّي أَصْغِرُ الذَّهَبَا
(٢) وَابْنُوا بِأَجَادِكُمْ سُورًا لَهَا وَدَعُوا * قِيلَ الْعَدُوِّ فَإِنِّي أَعْرِفُ السَّبَبَا
(٣) لَا تَقْنَطُوا إِنَّ قَرَأْتُمْ مَا يُرَوِّقُهُ * ذَاكَ الْعَمِيدُ وَيُرِيكُمْ بِهِ غَضَبَا
(٤) وَرَاقِبُوا يَوْمَ لَا تُغْنِي حَصَائِدُهُ * فَكُلُّ حَيٍّ سَيُجْزَى بِالَّذِي اكْتَسَبَا
(٥) بَنَى عَلَى الْإِنْفِكَ أَبْرَاجًا مُشِيدَةً * فَابْنُوا عَلَى الْحَقِّ بُرْجًا يَنْطَحُ الشَّهْبَا
(٦) وَجَاوِبُوهُ بِفَعْلٍ لَا يَقْوَضُهُ * قَوْلُ الْمُفْنِدِ أَنِّي قَالَ أَوْ خَطَبَا
(٧) لَا تَهْجَعُوا إِنَّهُمْ لَنْ يَهْجَعُوا أَبَدًا * وَطَالِبُوهُمْ وَلَكِنْ أَجْمِلُوا الطَّلَبَا

(١) « ينشر » الخ، أى يبعث فيكم مجد العرب كما كان أولا .

(٢) قيل العدو، أى قوله .

(٣) يشير إلى ما كان يقيمه عميد الدولة الإنجليزية من العقبات في سبيل إنشاء الجامعة، وما كان يهتم

به المصريين ويرميهم به من أنهم ليسوا أهلا للتعليم العالي . (٤) حصائده، أى حصائد العميد، أى ما يقوله من الكلام الذى لا قيمة له لينتجى به العزائم عن إنشاء الجامعة .

(٥) الإنفك : الكذب . (٦) يقوضه : يهدمه . والمفند : المكذب .

(٧) الضمير فى "إنهم" للانجليز . وأجمل فى الطالب : ترقى .

- (١) هل جاءكم نَبَأُ الْقَوْمِ الْآلَى دَرَجُوا * وَخَلَفُوا لِلْوَرَى مِنْ ذِكْرِهِمْ عَجَبًا
 (٢) عَزَّتْ (بِقُرطاجَة) الْأَمْرَاسُ فَأَرْثَمَتْ * فِيهَا السِّفِينُ وَأَمْسَى حَبْلُهَا أَضْطَرَبَا
 (٣) وَالْحَرْبُ فِي لَهَبٍ، وَالْقَوْمُ فِي حَرَبٍ * قَدْ مَدَّ نَقْعُ الْمَنَايَا فَوْقَهُمْ طُبَا
 (٤) وَدَّوَا بِهَا وَجَوَارِيَهُمْ مُعْطَلَةٌ * لَوْ أَنَّ أَهْدَابَهُمْ كَانَتْ لَهَا سَبِيَا
 (٥) هُنَالِكَ الْغَيْدُ جَادَتْ بِالَّذِي بَنَلَتْ * بِهِ دَلَالًا فَقَامَتْ بِالَّذِي وَجَبَا
 (٦) بَجَزَتْ غَدَائِرَ شَعْرِ سَرَحَتْ سُفُنَا * وَاسْتَقَذَّتْ وَطَنًا وَاسْتَرْجَعَتْ نَشَبَا
 (٧) رَأَتْ حُلَاهَا عَلَى الْأَوْطَانِ فَابْتَهَجَتْ * وَلَمْ تَحْسَرْ عَلَى الْحَلِيِّ الَّذِي ذَهَبَا
 (٨) وَزَادَهَا ذَاكَ حُسْنًا وَهِيَ عَاطِلَةٌ * تُرْهِى عَلَى مَنْ مَشَى لِلْحَرْبِ أَوْ رِكَبَا
 (٩) وَ (بِرْثَانِ) الَّذِي حَاكَ الْإِبَاءُ لَهُ * ثَوْبًا مِنَ الْفَخْرِ أَيْلَى الدَّهْرِ وَالْحَقْبَا

- (١) درجوا : مضوا وذهبوا . ويريد «بالقوم» : أهل قرطاجنة الآتي ذكرهم .
 (٢) قرطاجنة ، يريد قرطاجنة ، وهي مدينة على شاطئ أفريقية الشمال بالقرب من موقع مدينة تونس الحالية ، أنشئت في القرن التاسع قبل الميلاد . والأمراس : الحبال . وعزت : قلت . ويشير بهذا البيت إلى الحرب البونية الثالثة التي وقعت بين الرومان والقرطاجنيين من سنة ١٤٩ ق م . إلى سنة ١٤٦ ق م . والتي قلت فيها حبال السفن عند القرطاجنيين ، فذكر بعض المؤرخين أن نساءهم جدن بشعورهن لتتخذ منها تلك الحبال .
 (٣) الحرب (بالتحريك) : الهلاك والويل . والنقع : النبار . ويريد «بالطنب» : الخيام ، شبه بها غبار الحرب . والطنب (في الأصل) : حبال الخيام . (٤) الجوارى : السفن . (٥) الغيد : جمع غيداء ، وهي الفتاة المتتية لنا . (٦) الغدائر : جمع غديرة ، وهي الذؤابة من الشعر . والنشب : المال والمقار . (٧) «رأت حلاها على الأوطان» أي رأت غداؤها تبذل في الدفاع عن الوطن . وتحسر : تحسر . (٨) الضمير في قوله : «زادها» للعيد . «وترهى» : تتخال وتفتخر . (٩) حاك : نسج . وبرثران : قائد فرنسي ولد سنة ١٧٧٣ م ، ودخل الخدمة العسكرية سنة ١٧٩٢ ضابطا ، وجاء مع نابليون إلى مصر حيث جعله قائدا للدفعية . وقد صاحب نابليون إلى (جزيرة البيا) ثم إلى (جزيرة منت هيلانة) حيث لبث معه إلى سنة ١٨٢١ ؛ وكانت وفاته سنة ١٨٤٤ وقد ذكر الشاعر قصته مفصلة في الأبيات الآتية .

أَقَامَ فِي الْأَسْرِ حِينًا ثُمَّ قِيلَ لَهُ : * أَلَمْ يَنْ أَنْ تُقَدِّ الْمَجْدَ وَالْحَسَبَا
 قُلْ وَأَحْتِكُمْ أَنْتَ مُخْتَارٌ، فَقَالَ لَهُمْ : * إِنَّا رَجَالٌ نُهِنُ الْمَالَ وَالنَّشَبَا
 خُذُوا الْقَنَاطِيرَ مِنْ تَبَرٍ مُقَنْطَرَةً * يَخْشُرُ خَاوِزُكُمْ فِي عَدِّهَا تَعَبَا^(١)
 قَالُوا : حَكَمْتَ بِمَا لَا تَسْتَطِيعُ لَهُ * حَمَلًا نَكَادُ نَرَى مَا قُلْتَهُ لَعِبَا
 فَقَالَ : وَاللَّهِ مَا فِي الْحَيِّ غَايِلَةٌ * مِنَ الْحِسَانِ تَرَى فِي فِدَتِي نَصَبَا^(٢)
 لَوْ أَنَّهُمْ كَلَّفُوهَا بَيْعَ مِغْرَلِهَا * لَا تَرْتِنِي وَضَحَّتْ قُوَّتَهَا رَغْبَا
 هَذَا هُوَ الْأَثَرُ الْبَاقِي فَلَا تَقْفُوا * عِنْدَ الْكَلَامِ إِذَا حَاوَلْتُمْ أَرْبَا
 وَدُونَكُمْ مَثَلًا أَوْشَكْتُ أَضْرِبُهُ * فَيْكُمْ وَفِي مِصْرٍ إِنْ صِدْقًا وَإِنْ كَذِبَا
 سَمِعْتُ أَنَّ أَمْرًا قَدْ كَانَ يَأْلُفُهُ * كَلْبٌ فَعَاشَا عَلَى الْإِخْلَاصِ وَأَصْطَحَبَا
 فَمَرَّ يَوْمًا بِهِ وَالْجُوعُ يَنْهَبُهُ * نَهَبًا فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا الْجِلْدُ وَالْعَصَبَا^(٣)
 فَظَلَّ يَبْكِي عَلَيْهِ حِينَ أَبْصَرَهُ * يَزُولُ ضَعْفًا وَيَقْضِي نَجْبَهُ سَغْبَا^(٤)
 يَبْكِي عَلَيْهِ وَفِي يَمْنَاهُ أَرْغَفَةٌ * لَوْ شَامَهَا جَائِعٌ مِنْ فَرْسَخٍ وَثْبَا^(٥)
 فَقَالَ قَوْمٌ وَقَدْ رَقُوا لِذِي أَلَمٍ * يَبْكِي ، وَذِي أَلَمٍ يَسْتَقِيلُ الْعَطْبَا
 مَا خَطَبُ ذَا الْكَلْبِ ؟ قَالَ : الْجُوعُ يَخْطِفُهُ * مَنِّي وَيُنْشِبُ فِيهِ النَّابَ مُغْتَصِبَا
 قَالُوا وَقَدْ أَبْصَرُوا الرُّغْفَانَ زَاهِيَةً * هَذَا الدَّوَاءُ فَهَلْ عَالَجْتَهُ فَأَبَى ؟

(١) التبر : الذهب . ويخورد : يضعف ويفتر . (٢) النصب : التعب .

(٣) سغبا : جوعا . (٤) شامها : نظر إليها . (٥) يريد بذى الألم الأول :

صاحب الكلب . وبذى الألم الثاني : الكلب . والعطب : الهلاك .

(١) أَجَابُهُمْ وَدَوَاعِيَ الشُّحِّ قَدْ ضَرَبَتْ * بَيْنَ الصَّدِيقَيْنِ مِنْ قَرِطِ الْقَلَى حُجْبًا
لِذَلِكَ الْحَدَّ لَمْ تَبْلُغْ مَوَدَّتِنَا * أَمَا كَفَى أَنْ يَرَانِي الْيَوْمَ مُتَحِبًّا
هَذِي دُمُوعِي عَلَى الْحَدَّيْنِ جَارِيَةً * حُزْنًا وَهَذَا فُؤَادِي يَرْتَعِي لَهَا
(٢) أَقْسَمْتُ بِاللَّهِ إِنْ كَانَتْ مَوَدَّتِنَا * كَصَاحِبِ الْكَلْبِ سَاءَ الْأَمْرِ مُتَقَلِّبًا
(٣) أُعِيدُكُمْ أَنْ تَكُونُوا مِثْلَهُ فَتَرَى * مِنْكُمْ بُكَاءٌ وَلَا تُنْفِي لَكُمْ دَابًّا
إِنْ تُقْرِضُوا اللَّهَ فِي أَوْطَانِكُمْ فَلَكُمْ * أَجْرُ الْمُجَاهِدِ، طُوبَى لِلَّذِي آكْتَبَا

رعاية الأطفال

أنشدنا في الحفل الذي أقامته هذه الجمعية في الأبرار في ٨ أبريل سنة ١٩١٠ م

(٤) شَبَحًا أَرَى أُمَّ ذَاكَ طَيْفُ خَيَالٍ * لَا، بَلْ قَتَاةٌ بِالْعَرَاءِ حِيَالِي
(٥) أُمَسْتُ بِمَدْرَجَةِ الْخُطُوبِ فَمَا لَهَا * رَاجِعُ هُنَاكَ وَمَا لَهَا مِنْ وَآلِي
(٦) حَسْرَى، تَكَادُ تُعِيدُ فَحْمَةً لَيْلَهَا * نَارًا بَاتَاتٍ ذَكَرْنَ طِوَالِ
(٧) مَا خَطَبُهَا، عَجْبًا، وَمَا خَطَبِي بِهَا ؟ * مَا لِي أَشَاطِرُهَا الْوَجِيعَةَ مَا لِي ؟
(٨) دَانَيْتُهَا وَلَصَوْتُهَا فِي مِسْمَعِي * وَقَعُ النَّبَالِ عَطْفَنَ إِثْرِ نِبَالِ

- (١) القلى : البغض والكراهية . (٢) المتقلب : المرجع والمصير .
(٣) الدأب : الجد والاجتهاد . (٤) العراء (بفتح العين) : القضاء الذي لا يستقر فيه شيء .
(٥) مدرجة الخطوب ، أى طريق النواصب . (٦) ذكبن ، أى توقدن واشتعلن .
(٧) ما خطبها ، أى ما شأنها . (٨) عطفن : رجعن .

(١) وسألتها : مَنْ أَنْتِ ؟ وهى كأنها * رَسَمٌ عَلَى طَلَلٍ مِنَ الْأَطْلَالِ
 فَمَلَلْتُ بَحْزًا وَقَالَتْ : حَامِلٌ * لَمْ تَذِرْ طَمَّ النَّفِيسِ مُنْذُ لَبَالِي
 (٢) قَدْ مَاتَ وَالِدُهَا ، وَمَاتَتْ أُمُّهَا * وَمَضَى الْحِمَامُ بِعَمَّهَا وَالْحَالِ
 وَإِلَى هُنَا حَبَسَ الْحَيَاءُ لِسَانَهَا * وَجَرَى الْبُكَاءُ بِدَمْعِهَا الْمَطَالِ
 فَعَلِمْتُ مَا تُخْفِي الْقَتَاةُ وَإِنَّمَا * يَحْنُو عَلَى أَمْثَالِهَا أَمْثَالِي
 (٣) وَوَقَفْتُ أَنْظُرُهَا كَأَنِّي عَائِدٌ * فِي هَيْكَلٍ يَرْتَوِي إِلَى تِمْنَالِ
 (٤) وَرَأَيْتُ آيَاتِ الْجَمَالِ تَكْفَلْتُ * بِزَوَالِهَا فَوَادِحُ الْأَثْقَالِ
 لَا شَيْءَ أَفْعَلُ فِي النُّفُوسِ كِفَايَةً * هَيْفَاءَ رَوَّعَهَا الْأَسَى بِهُزَالِ
 (٥) أَوْ غَادَةٍ كَانَتْ تُرِيكَ إِذَا بَدَتْ * شَمْسَ النَّهَارِ فَأَصْبَحَتْ كَالْآلِ
 (٦) قُلْتُ : أَنْهَضِي ، قَالَتْ : أَيْنَهُضُ مَيِّتٌ * مِنْ قَبْرِهِ وَيَسِيرُ شَرٌّ بِالِي
 فَحَمَلْتُ هَيْكَلَ عَظِيمِهَا وَكَأَنِّي * حَمَلْتُ حِينَ حَمَلْتُ عُودَ خِلَالِ
 (٧) وَطَفِيقْتُ أَتَيْبُ الْخَطَا مُتَيْمًا * بِاللَّيْلِ (دَارَ رِعَايَةِ الْأَطْفَالِ)
 (٨) أَمْشِي وَأَحْمِلُ بِأَيْسَرٍ : فَطَارِقُ * بَابَ الْحَيَاةِ وَمُؤَذِّنُ بَزْوَالِ

(١) الرسم : أثر الدار بعد بلاها . شبه هذه القتاة برسوم الأطلال في النحول والفضالة .

(٢) الحمام : الموت . (٣) يرتو : ينظر .

(٤) يريد «فوادح الأثقال» : فوائب الدهر التي لا تحتمل ثقلها . (٥) الآل : السراب .

(٦) الشن : القرعة الخلق البالية . (٧) اتب الخطا ، أى أسرع في السير . ومتيما : قاصدا .

(٨) طارق باب الحياة : الجنين . ويريد «بالمؤذن بالزوال» : أمه .

(١)

أُنْكِيهِمَا وَكَأَنَّمَا أَنَا ثَالِثٌ * لَهَا مِنْ الْإِشْفَاقِ وَالْإِعْوَالِ

وَطَرَقْتُ بَابَ الدَّارِ لَا مُتَهَيِّيًا * أَحَدًا وَلَا مُتَرَقِّبًا لِسُؤَالِ

طَرَقَ الْمُسَافِرُ آتٍ مِنْ أَسْفَارِهِ * أَوْ طَرَقَ رَبَّ الدَّارِ غَيْرَ مُبَالِي

(٢)

وَإِذَا بِأَصْوَاتٍ تَصْبِيحُ: أَلَا أَفْتَحُوا * دَقَاتُ مَرْضَى مُذِلِّينَ عِجَالِ

وَإِذَا بِأَيْدٍ طَاهِرَاتٍ عُدَّتْ * صُنْعَ الْجَمِيلِ تَطَوَّعَتْ فِي الْحَالِ

جَاءَتْ تُسَاقِ فِي الْمَبَرَّةِ بَعْضُهَا * بَعْضًا لَوَجْهِ اللَّهِ لَا لِلْمَالِ

(٣)

فَتَنَاوَلَتْ بِالرَّفْقِ مَا أَنَا حَامِلٌ * كَالْأَمِّ تَكَلًّا طِفْلَهَا وَتُوَالِي

وَإِذَا الطَّيِّبُ مُشْمَرٌ وَإِذَا بِهَا * فَوْقَ الْوَسَائِدِ فِي مَكَانٍ عَالِي

جَاءُوا بِأَنْوَاعِ الدَّوَاءِ وَطَوَّفُوا * بِسَرِيرِ ضَيْفَتِهِمْ كَبَعْضِ الْآلِ

(٤)

وَجَنَّا الطَّيِّبُ يَحْسُ نَبْضًا خَافِنًا * وَيُرُودُ مَكْنَنَ دَائِهَا الْقَتَالِ

(٥)

لَمْ يَذْرِ حِينَ دَنَا لِيَلُوقَلْبَهَا * دَقَاتِ قَلْبِ أُمِّ دَيْبٍ نِمَالِ

وَدَعْنَهَا وَتَرَكَكْتُهَا فِي أَهْلِهَا * وَخَرَجْتُ مُنْشِرَحًا رَضَى الْبَالِ

(٦)

وَتَجَزَّتْ عَنْ شُكْرِ الَّذِينَ تَجَرَّدُوا * لِلْبَاقِيَاتِ وَصَالِحِ الْأَعْمَالِ

لَمْ يُحْجِلُوهَا بِالسُّؤَالِ عَنْ أَسْمِهَا * تِلْكَ الْمُرُوءَةُ وَالشُّعُورُ الْعَالِي

(١) الإيعال : البكاء . (٢) المدبلجون : السائرون بالليل . والعجال : المسرعون .

(٣) تكلا : تحفظ وتحرس . وتواليه : تمهده وتحنوله . (٤) جنا يجنو : جلس على

ركبته . والخافت : الضعيف . ويرود : يطلب ويتعرف . ومكن دائها : حيث يخفى الداء من جسمها .

(٥) يلو : يخبر . (٦) تجرد لا مر : أخل نفسه له . والباقيات : الآثار التي تبقى بعد صاحبها .

(١)
 خَيْرُ الصَّنَائِعِ فِي الْأَنَامِ صَنِيعَةٌ * تَتَّبِعُوا بِحَامِلِهَا عَنِ الْإِذْلَالِ
 وَإِذَا النَّوَالُ أَتَى وَلَمْ يُهْرَقْ لَهُ * مَاءُ الْوُجُوهِ فَذَلِكَ خَيْرُ نَوَالٍ
 مَنْ جَادَ مِنْ بَعْدِ السُّؤَالِ فَإِنَّهُ * - وَهُوَ الْحَوَادُّ - يَعُدُّ فِي الْبُخَالِ
 لِلَّهِ دَرَاهِمُ فَكَمْ مِنْ بَائِسٍ * جَمُّ الْوَجِيعَةِ سَيِّئُ الْأَحْوَالِ
 تَرْمِي بِهِ الدُّنْيَا، فَمِنْ جُوعٍ، إِلَى * عُرْيٍ، إِلَى سُقْمٍ، إِلَى إِفْلَاقِ
 عَيْنٍ مَسْهَدَةٍ وَقَلْبٍ وَاجِفٍ * نَفْسٌ مَرْوَعَةٌ وَجِيبٌ خَالِي (٢)
 لَمْ يَذَرِ نَظِيرُهُ أَعْرِيَانَا يَرَى * أُمُّ كَاسِيَا فِي تِلْكَ الْأَسْمَالِ (٣)
 فَكَأَنَّ نَاحِلَ جِسْمِهِ فِي ثَوْبِهِ * خَلَفَ الْخُرُوقُ يُطْلُ مِنْ غُرْبَالٍ
 يَا بَرْدُ، فَاحِلٌ، قَدْ ظَفِرَتْ بِأَعْزَلٍ * يَا حَرُّ، تِلْكَ فَرِيْسَةُ الْمُغْتَالِ (٤)
 يَا عَيْنُ سَحَى، يَا قُلُوبُ تَقْطِرِي * يَا نَفْسُ رِقِّي يَا مُرْوَعَةٌ وَآلِي
 لَوْلَاهُمْ لَقَضَى عَلَيْهِ شَقَاؤُهُ * وَخَلَا الْمَجَالُ لِحَاطِيفِ الْأَجَالِ (٥)
 لَوْلَاهُمْ كَانَ الرَّدَى وَقَفًا عَلَى * نَفْسِ الْفَقِيرِ ثَقِيلَةَ الْأَحْمَالِ
 لِلَّهِ دَرُ السَّاهِرِينَ عَلَى الْآلَى * سَهَرُوا مِنْ الْأَوْجَاعِ وَالْأَوْجَالِ (٦)
 الْقَائِمِينَ بِخَيْرٍ مَا جَاءَتْ بِهِ * مَدَنِيَّةُ الْأَدْيَانِ وَالْأَجَالِ

(١) الصنعة: الإحسان. «وتتبعو بحاملها» الخ، أى تبعد بمن تقلدها عن الذل. (٢) مسهدة:

ساهرة. والواجف: الخائف. والمروعة: المفزعة. (٣) الأسمال: الخرق البالية.

(٤) الأعزل: الذى لا سلاح معه. ويريد به العارى من الثياب. يقول: أيها البرد احمل على هذا

العارى وهاجحه فليس لديه ما يتقيك به. (٥) خاطف الأجال: الموت. (٦) الأوجال: المخاوف.

(١) أَهْلُ الْيَتِيمِ وَكَهْفِهِ وَحُمَاتِهِ * وَرَيْعِ أَهْلِ الْبُؤْسِ وَالْإِمْحَالِ
 لَا تُتِمِّلُوا فِي الصَّالِحَاتِ فَإِنَّكُمْ * لَا تَتَّجِهَلُونَ عَوَاقِبَ الْإِهْمَالِ
 إِنْ أَرَى فَقَرَاءَكُمْ فِي حَاجَةٍ * — لو تَعَلَّمُونَ — لِقَائِلِ فَعَالِ
 فَتَسَابِقُوا الْخَيْرَاتِ فَهِيَ أَمَامَكُمْ * مِيدَانُ سَبَقِ الْجَوَادِ النَّالِ
 (٢) وَالْمُحْسِنُونَ لَهُمْ عَلَى إِحْسَانِهِمْ * يَوْمَ الْإِثَابَةِ عَشْرَةُ الْأَمْثَالِ
 (٣) وَبِرَّاءُ رَبِّ الْمُحْسِنِينَ يَجِلُّ عَنْ * عَدٍّ وَعَنْ وَزْنٍ وَعَنْ مِكْيَالِ

مدرسة البنات ببور سعيد

أنشدها في حفل أقيم ببور سعيد في ٢٩ مايو سنة ١٩١٠ م لإغاثة تلك المدرسة

كَمْ ذَا يُكَابِدُ عَاشِقٌ وَيُلَاقِي * فِي حُبِّ مِصْرَ كَثِيرَةَ الْعُشَاقِ
 (٤) إِنْ لَأَحْمِلُ فِي هَوَاكِ صَبَابَةً * يَا مِصْرُ قَدْ تَخَرَّجَتْ عَنِ الْأَطْوَاقِ
 لَهْفِي عَلَيْكَ مَتَى أَرَاكِ طَلِيقَةً * يَتِمِّي كَرِيمَ حِمَاكِ شَعْبٌ رَاقٍ
 (٥) كَلَّفُ بِمَحْمُودِ الْخِلَالِ مُسِيماً * بِالْبَذْلِ بَيْنَ يَدَيْكَ وَالْإِنْفَاقِ
 إِنْ لِي تُطْرِئُنِي الْخِلَالَ كَرِيمَةً * طَرَبَ الْغَرِيبِ بِأَوْيَةٍ وَتَلَاقِي

- (١) الكهف : الملجأ والمختبئ . ويريد بقوله : ربيع أهل البؤس : أنهم للباسين بمنزلة الربيع
 أي خصب وخير . والإمحال : الجذب . (٢) الجواد : الكريم . والنال : الكثير النائل
 وهو العطاء . (٣) الإثابة : الجزاء . ويشير إلى قوله تعالى : (من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها) .
 (٤) الأطواق : جمع طوق ، وهو الجهد والطاقة . (٥) الكلف (فتح الكاف وكسر
 اللام) : الشد يد الحب للشيء .

وتَهْزُنِي ذِكْرِي الْمُرْوَةِ وَالنَّدَى * يَنْبِ الشَّمَائِلِ هِزَّةَ الْمُشْتَاقِ

(١)

مَا الْبَابِلِيَّةُ فِي صَفَاءِ مَزَاجِهَا * وَالشَّرْبُ بَيْنَ تَنَافُسٍ وَسِبَاقِ

وَالشَّمْسُ تَبْدُو فِي الْكُثُوسِ وَتَحْتَفِي * وَالْبَدْرُ يُشْرِقُ مِنْ جَبِينِ السَّاقِ

(٢)

بِأَلَدٍ مِنْ خُلُقٍ كَرِيمٍ طَاهِرٍ * قَدْ مَا زَجَّتْهُ سَلَامَةُ الْأَذْوَاقِ

(٣)

فَإِذَا رُزِقْتَ خَلِيقَةً مَحْمُودَةً * فَقَدْ أَصْطَفَاكَ مُقَسِّمُ الْأَرْزَاقِ

فَالنَّاسُ هَذَا حَظُّهُ مَالٌ ، وَذَا * عِلْمٌ ، وَذَاكَ مَكَارِمُ الْأَخْلَاقِ

(٤)

وَالْمَالُ إِنْ لَمْ تَدْخِرْهُ مُحَصَّنًا * بِالْعِلْمِ كَانَ نِهَآيَةَ الْإِمْلَاقِ

(٥)

وَالْعِلْمُ إِنْ لَمْ تَكْتَفِ شَمَائِلَ * تُعْلِيهِ كَانَ مَطِيبَةَ الْإِنْخِفَاقِ

(٦)

لَا تَحْسَبَنَّ الْعِلْمَ يَنْفَعُ وَحْدَهُ * مَا لَمْ يُتَوَّجْ رَبُّهُ بِخَلَاقِ

(٧)

حُكْمِ عَالِمٍ مَدَّ الْعُلُومَ حَبَائِلًا * لَوْ قِيعَةٍ وَقَطِيعَةٍ وَفِرَاقِ

(٨)

وَقَبِيهِ قَوْمٍ ظَلَّ يَرْصُدُ فَقْهَهُ * لِمَكِيدَةٍ أَوْ مُسْتَحَلِّ طَلَاقِ

يَمْشِي وَقَدْ نُصِبَتْ عَلَيْهِ عِمَامَةٌ * كَالْبُرْجِ لَكِنْ فَوْقَ تَلٍّ نِفَاقِ

-
- (١) البابلية : النهر ، نسبة إلى بابل ، وهي ناحية بالعراق كان ينسب إليها النهر الجيد . والشرب : الشاربون . ويريد « بالسباق » : المسابقة في شرب النهر . (٢) ألد : خبر لـ « ما » في قوله السابق : « ما البابلية » . (٣) الخليفة : السجية والطبيعة . (٤) الإملاق : الفقر . (٥) تكتفه ، أي تحوطه وتحفظه . والشاتل : الأخلاق . والإخفاق : خيبة المسعى . (٦) الخلاق : النصيب من الصلاح والخير . (٧) حبال الصيد : الأشرار التي يمدّها الصائد للاصطياد ، الواحدة حباله . والوقعة : غيبة الناس . والقطيعة ، هي قطع الصلات بين الناس بما تلقى بينهم من النمام . (٨) يرصد فقعه ، أي يعدّه ويهيئه .

(١) يَدْعُونَهُ عِنْدَ الشَّقَايِ وَمَادَرُوا * أَنْتَ الَّذِي يَدْعُونَ خِذْنِ شِقَايِ
 وَطَيِّبِ قَوْمٍ قَدْ أَحَلَّ لَطِيبُهُ * مَا لَا يُحْمِلُ شَرِيعَةُ الْخَلَايِ
 (٢) قَتَلَ الْأَجِنَّةَ فِي الْبُطُونِ وَتَارَةً * جَمَعَ الدَّوَاتِقَ مِنْ دَمٍ مُهْرَاقِ
 أَغْلَى وَاثَمْنٍ مِنْ تَجَارِبِ عَلَيْهِ * يَوْمَ الْفَخَارِ تَجَارِبِ الْخَلَايِ
 (٣) وَمُهَنْدِسٍ لِلنَّيْلِ بَاتَ بِكُفِّهِ * مِفْتَاحُ رِزْقِ الْعَامِلِ الْمَطْوَايِ
 (٤) تَنَدَّى وَتَبَيَّسَ لِلْخَلَايِقِ كَفُّهُ * بِالْمَاءِ طَوَّعَ الْأَصْفَرَ الْبَرَايِ
 (٥) لَا شَيْءَ يَلْوِي مِنْ هَوَاهُ فَخَذَهُ * فِي السَّلْبِ حَدَّ الْخَائِنِ السَّرَايِ
 وَأَدِيبِ قَوْمٍ تَسْتَحِقُّ يَمِينُهُ * قَطَعَ الْأَنَامِلِ أَوْ لَطَى الْإِحْرَاقِ
 يَلْهُو وَيَلْعَبُ بِالْعُقُولِ بَيَانُهُ * فَكَأَنَّهُ فِي السَّحْرِ رُقِيَّةُ رَاقِي
 (٦) فِي كَفِّهِ قَلَمٌ يَمْجُجُ لَعَابُهُ * سَمًّا وَيَنْفِثُهُ عَلَى الْأَوْرَاقِ
 (٧) يَرِدُّ الْحَقَائِقَ وَهِيَ بَيَاضُ نَصْعٍ * قُدْسِيَّةٌ عُلُوِيَّةٌ الْإِشْرَاقِ
 (٨) فَيَرُدُّهَا سُودًا عَلَى جَنَابِهَا * مِنْ ظُلُمَةِ التَّمْوِيدِ أَلْفُ نِطَاقِ

- (١) الخلدن : الصاحب والصديق . والشقاق : الخلاف . ويريد هنا الخلاف بين الزوجين .
 (٢) المهراق : المنصب . (٣) المطراق : الذي يكثر طرق أبواب الرزق . (٤) تندى : تجل .
 والمراد فيضان يده بالماء . والأصفر البراق : الذهب ، ويريد الرشوة . (٥) يلوى من هواه
 أى يثنيه ويصرفه عما يريد . وحده في السلب ، أى جزأه على الرشوة . وحده السارق : قطع اليد .
 (٦) مج العباب من فنه : دى به . واللعاب : الريق ، شبه المداد به . وينفثه : يخرج به .
 (٧) النصع : الشديدة البياض . ويريد بقوله : « علوية الإشراق » : أن نورها من السماء .
 (٨) يريد بهذا البيت والذي قبله أن هذا الكاتب يرى الحقائق ظاهرة جليلة فيزورها بقلبه على القراء
 ويحوظها بالأكاذيب وأخيلة الشرح حتى يرددها مظلمة سوداء لا يظهر فيها الحق .

عَمِرَيْتَ عَنِ الْحَقِّ الْمُطَهَّرِ نَفْسُهُ * خِيَاثُهُ ثِقْلٌ عَلَى الْأَعْنَاقِ
 لَوْ كَانَ ذَا خُلُقٍ لَأَسْعَدَ قَوْمَهُ * بَيَانُهُ وَبِرَاعِيهِ السَّبَاقِ
 مَنْ لِي بِتَرْبِيَةِ النِّسَاءِ فَإِنَّهَا * فِي الشَّرْقِ عِلَّةٌ ذَلِكَ الْإِخْفَاقِ
 الْأُمُّ مَدْرَسَةٌ إِذَا أَعَدَّتْهَا * أَعَدَّتْ شَعْبًا طَيِّبَ الْأَعْرَاقِ
 الْأُمُّ رَوْضٌ إِنْ تَعَهَّدَ الْحَيَا * بِالرِّىِّ أَوْ رَقَّ أَيْمًا إِيرَاقِ
 الْأُمُّ أَسْنَادُ الْأَسَانِيدَةِ الْأَلَى * شَغَلَتْ مَأْتِرُهُمْ مَدَى الْآفَاقِ
 أَنَا لَا أَقُولُ دَعُوا النِّسَاءَ سَوَافِرًا * بَيْنَ الرِّجَالِ يَجْلُنَ فِي الْأَسْوَاقِ
 يَدْرُجْنَ حَيْثُ أَرَدْنَ لَا مِنْ وَازِعٍ * يَحْذَرْنَ رِقَبَتَهُ وَلَا مِنْ وَاقِي
 يَفْعَلْنَ أَفْعَالَ الرِّجَالِ لَوَاهِيًا * عَنْ وَاجِبَاتِ نَوَاعِيسِ الْأَحْدَاقِ
 فِي دُورِهِنَّ شُؤُونُهُنَّ كَثِيرَةٌ * كَشُؤُونِ رَبِّ السَّيْفِ وَالْمِزْرَاقِ
 كَلَّا وَلَا أَدْعُوكُمْ أَنْ تُسْرِقُوا * فِي الْحَجَبِ وَالتَّضْيِيقِ وَالْإِرْهَاقِ
 لَيْسَتْ نِسَاءُكُمْ حُلَى وَجَوَاهِرًا * خَوْفَ الضَّيَاعِ تُصَانُ فِي الْأَحْقَاقِ

(١) الإخفاق : عدم الظفر بالمطلوب . (٢) الأعراق : الأصول ، الواحد عرق .

(٣) الحيا : المطر . (٤) « شغلت » الخ ، أى ملأت أعمالهم الباقية أنفجاء الدنيا .

(٥) السوافر : المنكشفات الوجوه .

(٦) يدرجن : يمشين . والوازع : الزاجر . والرقبة المراقبة .

(٧) نواعيس الأحداق : فائزات الأجفان ؛ يريد انصرافهن عن الواجبات التى خص بها جنسهن .

(٨) المزراق : الرمح ؛ يريد أن شأن المرأة فى بيتها لا يقل عن شأن الفارس فى الحرب .

(٩) الإرهاق : الظلم .

- (١) لَيْسَتْ نِسَاؤُكُمْ أَنَاثًا يُقْتَنَى * فِي الدُّورِ بَيْنَ مَخَادِجٍ وَطَبَاقٍ
 (٢) تَتَشَكَّلُ الْأَزْمَانُ فِي أَدْوَارِهَا * دَوْلًا وَهَنَ عَلَى الْجُمُودِ بِوِاقٍ
 (٣) فَتَوَسَّطُوا فِي الْحَالَتَيْنِ وَأَنْصِفُوا * فَالْشَّرُّ فِي التَّقْيِيدِ وَالْإِطْلَاقِ
 (٤) رَبُّوا الْبَنَاتِ عَلَى الْفَضِيلَةِ لَهَا * فِي الْمَوْقِفَيْنِ لَهَا خَيْرٌ وَثَاقٍ
 وَعَلَيْكُمْ أَنْ تَسْتَيِّنَ بَنَاتُكُمْ * نُورَ الْهُدَى وَعَلَى الْحَيَاءِ الْبَاقِي

ملجأ رعاية الأطفال

أنشدها في حفل أقامته جماعة رعاية الأطفال بالأوبرا ، وقد أسّسها بوصف القطار

[نشرت في أول فبراير سنة ١٩١١ م]

- (٥) صَفْحَةُ الْبَرْقِ أَوْمَضَتْ فِي الْغَمَامِ * أُمُّ شِهَابٍ يَسْقُ جَوْفَ الظَّلَامِ
 (٦) أُمُّ سَلِيلِ الْبُخَارِ طَارَ إِلَى الْقَصْدِ * يَدُ قَائِمَا مَوَاقٍ الْأَوْهَامِ
 (٧) مَرَّ كَاللَّحْجِ لَمْ تَكْذَبْ قَفْ الْعَيْدِ * بِنُ عَلَى ظِلِّ جَرِيمِهِ الْمُتَرَامِي
 (٨) أَوْ كَشْرَخِ الشَّبَابِ لَمْ يَدْرِ كَاسِيهِ * يَهْ تَوَلَّى فِي يَقْظَةٍ أَوْ مَنَامِ

- (١) المخادع : الغف ، الواحد مخدع (بكسر الميم وضمتها ، مع فتح الدال وسكون ما بينهما) .
 (٢) يريد أن الزمن يتغير بأهله وهن باقيات على حال واحدة . (٣) يريد « بالحالتين » :
 التضييق على النساء والتوسيع عليهن . (٤) يريد « بالموقفين » : تقيد النساء في خدورهن وإطلاق
 السراح لهن . والوثاق : القيد الذي يوثق به من جبل أو نحوه . (٥) صفحة كل شيء :
 وجهه وجانبه . وأومض البرق : لمع خفيفا . (٦) يريد « بسليل البخار » : القطار .
 (٧) المتراعى : الممتد . (٨) شرخ الشباب : أوله وريعانه ، شبه به القطار في سرعة زواله .
 وكاسيه ، أى لابسها والمنتمتع به .

(١) لا يُبَالِي السَّرَى إِذَا اعْتَكَرَ اللَّيْلُ * لَمْ وَخَانَتْ مَوَاقِعُ الْأَقْدَامِ
 (٢) يَقَطُّعُ الْيَدَ وَالْقِيَابَى وَحِيدًا * لَمْ تُضَعِّضْهُ وَخَشَةُ الْإِظْلَامِ
 (٣) لَيْسَ يَثْنِيهِ مَا يُذِيبُ دِمَاحَ الْخَضْبِ * يَوْمَ الْمَجِيرَيْنِ الْمَوَامِي
 (٤) لَا وَلَا يَعْتَرِيهِ مَا يُخْرِسُ النَّاسَ * يَجَّ فِي الزَّمْهَرِيرِ بَيْنَ أَنْجَامِ
 (٥) هَائِمٌ كَالظَّلِيمِ أَزْجَعُهُ الصَّبْرُ * لَمْ وَرَاعَتْهُ طَائِشَاتُ السَّهَامِ
 (٦) فَهُوَ يَشْتَدُّ فِي النَّجَاءِ وَيَهْوِي * حَيْثُ تَرَى بِجَانِبِهِ الْمَرَامِي
 (٧) يَا حَدِيدًا يَنْسَابُ فَوْقَ حَدِيدٍ * كَأَنِّيَابِ الرُّقَطَاءِ فَوْقَ الرِّغَامِ
 (٨) قَدْ مَسَحَتْ الْبِلَادَ شَرْقًا وَغَرْبًا * بِذِرَاعِي مُشَمِّرٍ مِفْدَامِ
 (٩) بَيْنَ جَنْبَيْكَ مَا يَجْنِي لَكِنْ * مَا يَجْنِي مُسْتَدِيمُ الْفُرَامِ
 أَنْتَ لَا تَعْرِفُ الْفُرَامَ وَإِنْ كُنْتَ * تَرِينَا زَفِيرَ أَهْلِ الْفُرَامِ
 أَنْتَ لَا تَعْرِفُ الْحَيْنَ إِلَى الْإِلَ * فِ مَاهُذِهِ الدُّمُوعُ الْمَوَامِي

- (١) السرى : السير بالليل . واعتكر الليل : اختلط ظلامه . (٢) اليد : الفلوات ، الواحدة يدهاء . والقياى : المقازات لا ماء فيها . (٣) ما يذيب دماغ الضب : كناية عن شدة القبض . والهجير : شدة الحر . والموامي : المقازات لا ماء فيها ولا أنيس ، الواحدة مومة . (٤) الناج : الكلب . يقول : إنه لا يصيبه ولا يؤثر فيه طول السهر ولا شدة البرد اللذان يخترسان الكلب الناج ويسكنانه .
 (٥) الظليم : ذكر النعام ، وهو معروف بسرعة العدو . وراعه : أفزعه . (٦) النجاء : الإسراع . ويهوى ، أى يشتد في سرعته كأنه ينحدر . وقوله : « حيث ترى بجانبه المرامي » : كناية عن السرعة في اختراق الفلوات والمضى في قطع القياى البعيدة . (٧) الرقطاء : الحية المنقطة . والرغام : التراب . (٨) يشير بهذا البيت إلى نار القاطرة ونار شوقه . والفُرَام : الاشتغال . (٩) همى الدمع يهيمى (من باب ضرب) : سأل .

(١) أَنْتَ قَاسِيُ الْقُوَادِ جَلْدٌ عَلَى الْإِيْدِ * مِنْ شَدِيدِ الْقُوَى شَدِيدُ الْعَرَامِ
 (٢) لَا تُبَالِي أُرْعَتَ بِالْبَيْنِ أَحْبَا * بَا وَأَسْرَفَتْ فِي آذَى الْمُسْتَهَامِ
 (٣) أَمْ جَمَعْتَ الْأَعْدَاءَ فَوْقَ صَعِيدِ * وَخَلَطْتَ الْأَسْوَدَ بِالْأَرَامِ
 أَنْفَى قَدْ شَهِدْتُ فِيكَ عَجِيْبًا * ضَاقَ عَنْ وَصْفِهِ نِطَاقُ الْكَلَامِ
 جُرْتُ يَوْمَانِيَا وَتَحَنُّنٌ عَلَى الْجَسَدِ * بِرِ قِيَامٍ وَاللَّيْلُ لَيْلُ التَّمَامِ
 (٤) وَإِذَا رَاكِبٌ إِلَى الْجَسْرِ يَهْوِي * بَيْنَ صَفَيْنِ مِنْ تَمَاتِ زُؤَامِ
 (٥) مَرَّ كَالسَّهْمِ بَيْنَ تِلْكَ الْحَنَابِيَا * قَدْ رَمَاهُ مِنَ الْمَقَادِيرِ رَامِي
 (٦) فَتَرَدَّى فِي الْمَاءِ وَالْمَاءُ غَمْرٌ * يَتَّقِيهِ الْقَضَاءُ وَالنَّهْرُ طَامِي
 (٧) وَإِذَا مَابِجٌ قَدْ أَتَقَضَّ فِي الْمَا * إِتْقِضَاضُ الْعُقَابِ فَوْقَ الْحَمَامِ
 (٨) غَاصَ فِي بُلْحَةِ الْحُتُوفِ بَعْزِمٌ * لَمْ يُعَوِّدْ مَوَاقِفَ الْإِنْجَامِ
 (٩) غَابَ فِيهَا وَطَدَ يَتَجَمَّلُ جِنْمًا * سَلَهُ مِنْ يَدِ الْهَالِكِ اللَّزَامِ
 (١٠) كَافَعَ الْمَوْجَ، صَارَعَ الْهَوْلَ، أَبْلَى * كِبَلَاءِ الْمُهَنْدِ الصَّنْصَمَامِ

- (١) الجلد : الصبور . والأين : التعب . والعرام : الشراسة والقسوة . (٢) راعه يروعه : أقرعه .
 (٣) الآرام : الغباء ، الواحد رثم ؛ وأصله للظبي انجلاص اليأس . (٤) الزؤام من الموت :
 الكريه . ويريد « بالصفين » : الموت على الجسر بالقطار ، والموت بالفرق في النهر . (٥) الحنابيا :
 القسي ، واحدها حنية . ولما شبه الهوى بالمهم ، شبه قضبان الجسر في انحنائها بالقسي .
 (٦) الماء الغمر : الكثير . وطما الماء : ارتفع وملا النهر . (٧) العقاب : طائر من الجوارح
 معروف . (٨) الحنوف : المهالك . وبلحتها ، أى حيث تشد . (٩) سله : أقرعه .
 والزام : الملازم . (١٠) المهند : السيف . والصمصام : الذى لا يثنى .

(١)

وَأَنْتَنِي رَاجِعًا إِلَى شَاطِئِ النَّهْرِ * بِرُجُوعِ الْكَمَى غَبَّ اغْتِنَامِ

وَقَفَّ النَّاسُ ذَاهِلِينَ وَصَاحُوا * تِلْكَ إِحْدَى عَجَائِبِ الْآيَامِ

أَنْجَاءٌ مِنَ الْقِطَارِ ، مِنَ الْجَسَدِ * بِرِ ، مِنَ النَّهْرِ ، جَلَّ رَبُّ الْأَنَامِ

وَإِذَا صَبَحْتُ عَلَتْ مِنْ فِتَاةٍ * بَرَزَتْ مِنْ صُفُوفِ ذَاكَ الرَّحَامِ

وَقَفْتُ مَوْقِفَ الْخَطِيبِ وَنَادَتْ * تِلْكَ عُقْبَى رِعَايَةِ الْآيَتَامِ

(٢)

بَسَطْتُ تَحْتَهُ أَكْفًا تَلَقَّتْ * لَهُ وَحَاطَتْهُ رَغَمَ أَتْفِ الْحِمَامِ

(٣)

دَعْوَةُ الْبَائِسِ الْمَعْدِبِ سُورُ * يَدْفَعُ الشَّرَّ عَنْ حِيَاضِ الْكِرَامِ

وَهِيَ حَرْبٌ عَلَى الْبَخِيلِ وَذَى الْبَغْدِ * بِسَيْفٍ عَلَى رِقَابِ اللَّثَامِ

إِنَّ هَذَا الْكَرِيمَ قَدْ صَانَ عِرْضِي * وَحَمَانِي مِنْ عَادِيَاتِ السَّقَامِ

(٤)

عَالَ طِفْلِي وَعَالَانِي وَحَبَانِي * بِكِسَاءٍ وَبَبْدَرَةٍ وَطَعَامِ

وَهُوَ مِنْ مَعْشَرِ أَغَاثُوا ذَوِي الْبُؤْسِ * مِمَّنْ وَقَامُوا فِي اللَّهِ خَيْرَ الْقِيَامِ

(٥)

وَأَقَامُوا لِلْبِدْرِ دَارًا فَكَانَتْ * خَيْرَ وَرْدٍ يَوْمَهُ كُلُّ ظَامِي

مَلِئْتُ رَحْمَةً وَفَاضَتْ حَنَانًا * فَهِيَ لِلْبَائِسَاتِ دَارُ السَّلَامِ

زُرْتُهَا وَالشَّقَاءُ يَجْرِي وَرَائِي * وَشُعَاعُ الرَّجَاءِ يَسِيرِي أَمَامِي

لَمْ يَقُولُوا : مَنِ الْفِتَاةُ ؟ وَلَكِنْ * سَأَلُونِي هُنَاكَ عَنْ آلَامِي

(١) الكمى : الشجاع . وغب : عقب .

(٢) الحمام : الموت .

(٣) يريد «بجياض الكرام» : حمام .

(٤) عاله : كفاه معيشته . وحباه بكذا :

أعطاه . ويريد «بالبدرة» هنا : جملة من المال .

(٥) ظامى : ظامى .

ثُمَّ أَهْوَتْ إِلَى الْغَرِيقِ تُوَسِّدُ * بِهَ بِأَحْلَى مِنْ مُنْشَاتِ الْمُدَامِ
 قَبَّلْتُ رَاحَتَهُ شُكْرًا وَصَاحَتْ * قَدْ نَجَّى صَاحِبُ الْأَيْدِي الْعِظَامِ ^(١)
 قَدْ نَجَّى الْمُنْعِمُ الْجَوَادُ مِنَ الْمَوْتِ * بِتِ بِفَضْلِ الزَّكَاةِ وَالْإِنْعَامِ
 فَأَطَفْنَا بِهَا وَقَدْ مَلَأَ الْأَذْ * نَفْسَ مِنَّا جَلَالُ ذَلِكَ الْمَقَامِ
 وَشَهِدْنَا تَغْفِرَ الْوَفَاءِ تَجَلَّى * إِذْ تَجَلَّى فِي تَغْرِهَا الْبَسَامِ
 وَرَأَيْنَا شَخْصَ الْمُرُوءَةِ وَالْبِرِّ * تَبَدَّى فِي شَخْصِ ذَلِكَ الْهَمَامِ
 وَعَلِمْنَا أَنَّ الزَّكَاةَ سَبِيلُ * لَهُ قَبْلَ الصَّلَاةِ قَبْلَ الصَّيَامِ
 خَصَّهَا اللَّهُ فِي الْكِتَابِ بِذِكْرِ * فَهِيَ رُكْنُ الْأَرْكَانِ فِي الْإِسْلَامِ ^(٢)
 بَدَأَتْ مَبْدَأَ الْيَقِينِ وَظَلَّتْ * لِحَيَاةِ الشُّعُوبِ خَيْرَ قِوَامِ ^(٣)
 لَوْ وَفَى بِالزَّكَاةِ مَنْ جَمَعَ الدُّنَى * يَا وَأَهْوَى عَلَى اقْتِنَاءِ الْحُطَامِ
 مَا شَكََا الْجُوعَ مُعْدِمٌ أَوْ تَصَدَّى * لِرُكُوبِ الشُّرُورِ وَالْآثَامِ ^(٤)
 رَاكِبًا رَأْسَهُ طَرِيدًا شَرِيدًا * لَا يُبَالِي بِشُرْعَةٍ أَوْ ذِمَامِ ^(٥)
 سَائِلًا عَنْ وَصِيَّةِ اللَّهِ فِيهِ * آخِذًا قُوَّتَهُ بِحَدِّ الْحُسَامِ
 لَمْ أَقِفْ مَوْقِفِي لِأُنْشِدَ شِعْرًا * صُبَّ فِي قَالِبٍ بِدِيْعِ النَّظَامِ

(١) الأيادي : النعم . (٢) القوام (بالكسر) : نظام الأمر وعماده التي يقوم عليه .

(٣) حطام الدنيا : المال قل أو كثر . (٤) ركب رأسه : مضى الى ما يريد من الشر

لم يفته شيء . والشرعة : الشريعة . والذمام : الحق والحرمة ، لأن قهض ذلك يوجب الذم .

(٥) وصية الله : ما أمر الله به للبائس الفقير من بر ورحمة .

(١)

إِنَّمَا قُتُّ فِيهِ وَالنَّفْسُ نَشَوَى * مِنْ كُؤُوسِ الْهُمُومِ وَالْقَلْبُ دَامَى

(٢)

ذُقْتُ طَعْمَ الْأَسَى وَكَابَدْتُ عَيْشًا * دُونَ شُرْبِي قَذَاهُ شُرْبُ الْجِمَامِ

(٣)

فَتَقَلَّبْتُ فِي الشَّقَاءِ زَمَانًا * وَتَقَلَّبْتُ فِي الْخَطُوبِ الْجَسَامِ

(٤)

وَمَشَى الْهَمُّ نَاقِبًا فِي فُؤَادِي * وَمَشَى الْحُزْنُ نَاحِرًا فِي عِظَامِي

فَلِهَذَا وَقَفْتُ أَسْتَعِطِفُ النَّاسَ * عَلَى الْبَائِسِينَ فِي كُلِّ عَامٍ

الى الخديوى عباس^(٥)

قالها عند عودة سموه من دار الخلافة وقد عرّض فيها لما كان

فى مصر من الخلاف بين المسلمين والأقباط فى سنة ١٩١١م

كَمْ تَحْتَ أَذْيَالِ الظُّلَامِ مَتَّيْمٌ * دَامَى الْفُؤَادِ وَلَيْلُهُ لَا يَعْلَمُ

مَا أَنْتَ فِي دُنْيَاكَ أَوَّلُ عَاشِقٍ * رَامِيهِ لَا يَحْنُو وَلَا يَتَرَحَّمُ

(٦)

أَهْرَمْتَنِي يَا لَيْلُ فِي شَرِّخِ الصَّبَا * كَمْ فِيكَ سَاعَاتٍ تُشِيبُ وَيُهِرِمُ

(٧)

لَا أَنْتَ تَقْصُرُ لِي وَلَا أَنَا مُقْصِرٌ * أَتَعَبْتَنِي وَتَعَبْتَ، هَلْ مِنْ يَحْكُمُ؟

لِلَّهِ مَوْقِفُنَا وَقَدْ تَاجَيْتُمَا * بَعْظِيمٍ مَا يُخْفِي الْفُؤَادُ وَيَكْتُمُ

(١) نشوى : سكرى . (٢) القذى : ما يقع فى الشراب من رشح . والحمام بالكسر :

الموت . ويريد بقوله : « دون شربي » أى أن الموت أهون تجرعا على من تجرع هذا العيش المر .

(٣) الجسام : العظام ، الواحد جسيم . (٤) يقال : نخر العظم ، اذا بلى وتفتت .

(٥) يلاحظ أننا أثبتنا هذه القصيدة فى الاجتماعات مع ما تضمنته من مدح الخديوى عباس ، لأن

غرضها الأول مسألة اجتماعية ، وهى الفتنة بين مسلمى مصر وأقباطها إذ ذاك . (٦) شرخ الصبا :

أوله وريعاته . (٧) أقصر : كف وأمسك .

(١) قالت : مَنِ الشَّاكِي؟ تُسَائِلُ سَرِيهَا * غَنَى، وَمَنْ هَذَا الَّذِي يَتَّظِلُّ؟
 فَأَجِبْنَهَا وَعَجِبْنَ كَيْفَ تَجَاهَلْتِ : * هُوَ ذَلِكَ الْمُتَوَجِّعُ الْمُتَأَلِّمُ
 (٢) أَنَا مَنْ عَرَفْتِ وَمَنْ جَهِلْتِ وَمَنْ لَهُ * - لَوْلَا عُيُونُكَ - حُجَّةٌ لَا تَفْهَمُ
 (٣) أَسَأَمْتُ نَفْسِي لِلْهَوَى وَأَظْنُّهَا * يَمَّا يَحْشَمُهَا الْهَوَى لَا تَسْلَمُ
 (٤) وَأَتَيْتُ يَحْدُو بِي الرَّجَاءُ وَمَنْ أَتَى * مُتَحَرِّمًا بِفَنَائِكُمْ لَا يُحْرَمُ
 (٥) أَشْكُو لِدَاثِ الْخَالِ مَا صَنَعْتَ بِنَا : تِلْكَ الْعُيُونُ وَمَا جَنَّاهُ الْمِعْصَمُ
 لَا السَّهْمُ يَرْفُقُ بِالْجَرِيحِ وَلَا الْهَوَى : يُبْقَى عَلَيْهِ وَلَا الصَّبَابَةُ تَرْحَمُ
 (٦) لَوْ تَنْظُرِينَ إِلَيْهِ فِي جَوْفِ الدُّجَى * مُتَمَلِّمًا مِنْ هَوْلِ مَا يَتَجَشَّمُ
 (٧) يَمْشِي إِلَى كَنْفِ الْفِرَاشِ مُحَاذِرًا * وَجَلًّا يُؤَخِّرُ رِجْلَهُ وَيُقَدِّمُ
 يَرْمِي الْفِرَاشَ بِنَظَرِيهِ وَيَتَنَنَّى * جَزِعًا وَيُقَدِّمُ بَعْدَ ذَلِكَ وَيُحْجِمُ
 (٨) فَكَأَنَّهُ - وَالْيَأْسُ يُنْشِفُ نَفْسَهُ - * لِلْقَتْلِ فَوْقَ فِرَاشِهِ يَتَقَدَّمُ
 (٩) وَشَقَّتْ بِهِ فِي كُلِّ جَنْبٍ مُدْبِيَةً * وَأَنَسَابَ فِيهِ بِكُلِّ رُكْنٍ أَرْقَمُ

- (١) السرب (بالكسر) : الجماعة ، أى صواحبا . (٢) لا تفهم : لا تفلب .
 (٣) جشمه : كلفه . (٤) يحدوني : يدفعني ويسوقني . ومتحرما : محتبا مستمنا .
 (٥) الخال : الشامة في البدن ، وهو غالب على شامة الخلد ؛ واجمع خيلان .
 (٦) ما يتجشم : ما يقاسى . (٧) الكنف (محركة) : الجانب والناحية .
 (٨) ينشف نفسه ، أى يهلكها . و(القتل) : متعلق بقوله : « يتقدم » . (٩) الصم
 في « به » و « فيه » يعود على الفراش . وفي الشطر الأول من هذا البيت قلب ، إذ المنسوع أن الباء تدخل
 على الموشوق به ، وهو المادية ونحوها ، لا على الموشوق ؛ يقال : رشقته بالسهم ، لا رشقت به السهم .
 وانساب ، أى جرت وتداغت في مشيا . والأرقم : أخبث الحيات وأظلمها لا ذى .

فمكانه في مَوَلِه وسَعِيرِه * وإِذْ قَدْ أَطْلَعَتْ عَلَيْهِ جَهَنَّمُ^(١)
 هَذَا وَحَقُّكَ بَعْضُ مَا كَابَدْتُهُ * مِنْ نَاطِرَيْكَ، وَمَا كَتَمْتُكَ أَعْظَمُ^٢
 قَالُوا: أَهَذَا أَنْتَ! وَيَحْكُ فَاتِّدُ * حَتَّامٌ تُنْجِدُ فِي الْغَرَامِ وَتُسَيِّمُ^(٢)
 كَمْ نَفْسَةٍ لَكَ تَسْتَشِيرُ بِهَا الْهَوَى * (هَارُوتُ) فِي أَثْنَائِهَا يَتَكَلَّمُ^(٣)
 إِنَّا سَمِعْنَا عَنْكَ مَا قَدْ رَأَيْنَا * وَأَطَالَ فِيكَ وَفِي هَوَاكَ اللَّوْمُ^٣
 فَادْهَبْ بِسِحْرِكَ قَدْ عَرَفْتُكَ وَاقْتَصِدْ * فِيمَا تُزِينُ لِلْحَسَنِ وَتُوهِمُ^٤
 أَصَغَتْ إِلَى قَوْلِ الْوَشَاةِ فَاسْرَفَتْ * فِي هَجْرِهَا وَجَنَّتْ عَلَى وَاجِرُمَا^٤
 حَتَّى إِذَا يَلَسَ الطَّيِّبُ وَجَاءَهَا * أَنَّى تَلَفْتُ تَسَدَّمْتُ وَتَنَدَّمُوا^٥
 وَأَنْتَ تَعُودُ مَرِيضَهَا لَا بَلَّ أَنْتَ * مِثْنَى تُشَيِّعُ رَاحِلًا لَوْ تَعْلَمُ^٥
 أَقْسَمْتُ (بِالْعَبَاسِ)، إِنِّي صَادِقٌ * فَمُرِّيهِمْ بِجَلَالِهِ أَنْ يُقْسِمُوا^(٤)
 مَلِكٌ عَدَوْتُ عَلَى الزَّمَانِ بِحَوْلِهِ * وَغَدَوْتُ فِي آلَايِهِ أَتَنَعَمُ^(٥)
 النَّجْمُ مِنْ حُرَايِهِ، وَالْدَّهْرُ مِنْ * خُدَايِهِ، وَهُوَ الْعَزِيزُ الْمُتَنَعِمُ^٥
 هَلَلْتُ حِينَ رَأَيْتُ رَجْلَكَ سَالِيًا * وَرَأَيْتُ (عَبَّاسًا) بِهِ يَتَبَسَّمُ^٥

(١) اطلعت : طلعت وظهرت . (٢) اتته : تمهل . وانجده : أتى نجداً ، وهو المرتفع
 من الأرض . وأنهم : أتى تهنيء ، وهي المنخفض منها . والإنجاد والإتهام في الغرام : كناية عن الذهاب
 فيه كل مذهب . (٣) نفث السحر ، هو أن يعقد عقدة ثم ينفخ فيها . وهاروت يضرب به المثل
 في السحر ، وقد ذكره الله تعالى في القرآن . (٤) مريهم ، أى مري الوشاة بالقسم على صدقهم
 فيما رشوا به . (٥) الحول : القوة . والآلاء : النعم .

وَحَدَّثُ رَبِّي حِينَ حَلَّ حَرِيرَتُهُ * مُتَجَدِّدَ الْعَزَمَاتِ ذَاكَ الضَّبِغُ^(١)
 خَفَقَتْ قُلُوبُ الْمُسْلِمِينَ وَأَشْفَقَتْ * دَارُ الْخِلَافَةِ وَالْمَلِكِ الْأَعْظَمِ
 وَدَعَا لَكَ الْبَيْتُ الْحَرَامُ فَأَمَّتْ * بَطْنَاءُ مَكَّةَ وَالْحَطِيمِ وَزَمَزَمِ^(٢)
 وَدَوَى بِمَصْرَ لَكَ الدُّمَاءُ فَنِيلُهَا * وَسُهُولُهَا وَفَصِيحُهَا وَالْأَنْجَمِ^(٣)
 وَمَشَى الصَّغِيرُ إِلَى الْكَبِيرِ مُسَائِلًا * يَتَسَقَطُ الْأَخْبَارُ أَوْ يَتَنَسَّمِ^(٤)
 حَتَّى أَطْمَأْنَنْتَ بِالشِّفَاءِ نُفُوسَهُمْ * وَطَلَعْتَ بِالسَّعْدِ الْعِمِيمِ عَلَيْهِمْ
 مَوْلَايَ أَمْسَكَ الْوَدِيعَةَ أَصْبَحَتْ * وَعُرَا الْمَوَدَّةِ بَيْنَهَا تَتَقَصَّمِ^(٥)
 نَادَى بِهَا الْقَبِيلُ مِلَّةَ لَهَاتِهِ * أَنْ لَا مَلَامَ وَضَاقَ فِيهَا الْمُسْلِمُ^(٦)
 وَهُمْ أَغَارَ عَلَى النَّهْيِ وَأَضَلَّهَا * بِحُرَى النَّفْسِ وَأَقْصَرَ الْمُتَعَلِّمُ^(٧)
 فَيَهْمُوا مِنَ الْأَدْيَانِ مَا لَا يَرْتَضِي * دِينَ وَلَا يَرْضَى بِهِ مَنْ يَفْهَمُ
 مَاذَا دَهَا قَبِيلُ مِصْرَ فَصَدَّه * عَنْ وَدِّ مُسْلِمِيهَا وَمَاذَا يَنْقِمُ
 وَعَلَامَ يَنْخَشِي الْمُسْلِمِينَ وَكَيْدَهُمْ * وَالْمُسْلِمُونَ عَنِ الْمَكَائِدِ نُومُ

- (١) الضبغ : الأسد . وحريته : ماراه .
 (٢) بطحاء مكة : سهل واديا .
 (٣) المعروف (دوى) بالتشديد . يقول :
 إن نيل مصر وسهولها الخ تدعوك ، الخبر قوله : « فَنِيلُهَا » الخ ، محذوف العلم به .
 (٤) تنسم الخبر : تلتف في التماسه .
 (٥) عرا المودة : ورابطها . وتتقصم : تتقطع .
 (٦) مله لهاته ، أى مله حنجرته .
 (٧) « بحرئى النفس » الخ ، أى سعى الأغنياء وقصار
 النظر فى إشغال الفتنة بين المسلمين والأقباط ، وكف المتعلمون وأقصرنا عن إتحادها وتلاقى أسبابها .

قَدْ ضَمَّنَا أَلَمَ الْحَيَاةِ وَكُنَّا * يَشْكُو، فَتَحْنُ عَلَى السَّوَاءِ وَأَنْتُمْ
 إِيَّيْهِ ضَمِينَ الْمُسْلِمِينَ جَمِيعُهُمْ * أَنْ يُخْلَصُوا لَكُمْ إِذَا أَخْلَصْتُمْ^(١)
 رَبِّ الْأَرَبَكَةِ، إِنَّا فِي حَاجَةٍ * لَجَيْلٍ رَأَيْكَ وَالْحَوَادِثُ حُومُ^(٢)
 فَأَفِضْ عَلَيْنَا مِنْ سَمَائِكَ حِكْمَةً * تَأْسُو الْقُلُوبَ فَإِنَّ رَأْيَكَ أَحْكَمُ^(٣)
 وَاجْمَعْ شَتَاتَ الْعُنُصَرَيْنِ بِعَزْمَةٍ * تَأْتِي عَلَى هَذَا الْخِلَافِ وَتَحْسِمُ
 فِكْلَاهُمَا لِعَزِيزِ عَرْشِكَ مُخْلِصُ * وَكِلَاهُمَا بِرِضَاكَ صَبٌّ مُغْرَمُ

محاورة بين حافظ و خليل مطران

في حفل أقامته جمعية رعاية الطفل بالأوبرا

[نشرت في ٣١ مارس سنة ١٩١٣م]

حافظ :

هَذَا صَبِيٌّ هَائِمٌ * تَحْتَ الظَّلَامِ هَيَامٌ حَائِرُ
 أَبَى الشُّقَاءُ جَدِيدَهُ * وَتَقَلَّمتُ مِنْهُ الْأَظْفَارُ^(٤)
 فَانْظُرْ إِلَى أَسْمَالِهِ * لَمْ يَبْقَ مِنْهَا مَا يُظَاهَرُ^(٥)

- (١) الضمين : الكفيل . (٢) الأريكة : سرير الملك . والحوادث حوم ، أى تطوف بنا وتحلق حولنا ، وأصله من تحويم الطائر حول الماء ، أى دورانه به . (٣) تأسو : تشى وتدارى . (٤) تقليم الأظفار : كناية عن أنه أعزل من أسلحة الجهاد فى الحياة . (٥) الأسمال : الثياب البالية الخلقه ؛ ويقال : « ظاهر الرجل بين ثوبين » ، إذا طابق بينهما ولازم . يريد أن الثوب الذى يلبسه هذا البائس قد صار طبقة واحدة رقيقة لا تدفع عنه ما يؤذيه من ألم الحر والبرد .

- (١) هُوَ لَا يُرِيدُ فِرَاقَهَا * خَوْفَ الْقَوَارِسِ وَالْمَوَاجِرِ
 (٢) لَكِنَّمَا قَدْ فَارَقَتْ * لَهُ فِرَاقٌ مَعْدُورٌ وَعَازِرٌ
 (٣) إِنِّي أَعُدُّ ضُلُوعَهُ * مِنْ تَحْتِهَا وَاللَّيْلُ عَاكِرٌ
 أَبْصَرْتُ هَيْكَلَ عَظِيمِهِ * فَذَكَرْتُ سُكَّانَ الْمَقَابِرِ
 (٤) فَكأنَّمَا هُوَ مَيِّتٌ * أَحْيَاهُ (عِيسَى) بَعْدَ (عَازِرِ)
 (٥) قَدْ كَانَتْ يَهْدِيهِ النَّسِيبُ * ثُمَّ وَكَادَ تَذَرُوهُ الْأَعَاصِرُ
 وَتَرَاهُ مِنْ فَرْطِ الْهَزَا * لِ تَكَادُ تَنْقُبُهُ الْمَوَاطِرُ
 (٦) عَجَبًا أَتَقَرُّسُهُ الطَّوَى * فِي قَلْبٍ حَاضِرَةِ الْخَوَاصِرِ
 (٧) وَتَقُولُهُ الْبُؤْسَى وَطَرٌ * فُ (رِعَايَةِ الْأَطْفَالِ) سَاهِرٌ!
 (٨) كَمْ مِثْلِهِ تَحْتَ الدُّجَى * أَسْوَانٌ بَادِي الضَّرِّ طَائِرٌ
 (٩) نَحْرِيانَ، يَخْرُجُ فِي الظُّلَا * مَخْرُوجَ خُفَاشِ الْمَغَاوِرِ

(١) القوارس : شدائد البرد . والمواجير : شدائد الحر .

- (٢) يريد بقوله : « فراق معذور » الخ ، أنها قد تمزقت من القدم وطول العهد ، فهي معذورة
 لفراقها إياه ، وهو ذابل عذرها . (٣) عاكر : مختلط الظلام . (٤) عازر : اسم رجل
 أحياه عيسى عليه السلام بعد الموت . شبه البائس بميت ظهرت فيه معجزة عيسى عليه السلام من إحياء الموتى
 بعد ما ظهرت في عازر . (٥) تذرؤه : تفرق أجزائه ، وتطير أشلاءه . والأعاصير : رياح ترتفع
 بتراب بين السماء والأرض وتستدير كأنها عمود ، الواحد إعصار . (٦) يقرسه : يقتله . والطوى :
 الجوع . ويريد « بمخاضة الحواضر » : مصر . (٧) تقوله : تهلكه . (٨) الأسوان :
 الحزين . ويريد بقوله : « طائر » أنه شديد النزوع والجزع مما يلاقى وما يتوقع من مصائب الزمن .
 (٩) شبه البائس في أنه لا يظهر إلا مستترا بظلمة الليل بالخلقاش الذي لا يبصر بالنهار ، وإنما يبصر ليلاً .

مُتَلَقِّعًا جِلْبَابَهُ * مُتَرَقِّبًا مَعْرُوفَ عَابِرٍ

^(١) يَقْدَى بِرُؤْيَيْهِ فَلَا * تَلْوِي عَلَيْهِ مَبْنُ نَاطِلٍ

ومنها :

قَعَدَتْ شُعُوبُ الشَّرْقِ عَنْ * كَسْبِ الْمَاهِدِ وَالْمَفَانِرِ

^(٢) فَوَتَتْ فِي شَرْعِ النَّاسِ * حُرِّمَنْ وَتَى لَا شَكَّ خَاسِرٍ

^(٣) تَمْشِي الشُّعُوبُ لِقَصِيدِهَا * قُدَمَا وَشَعْبُ النَّيْلِ آخِرِ

^(٤) كَمْ فِي الْيَكَاةِ مِنْ قَوٍّ * نَذِبٍ وَكَمْ فِي الشَّامِ قَادِرٍ

لَكُنْهُمْ لَمْ يُرْزُقُوا * رَأْيًا وَلَمْ يَرُدُّوا الْمُخَاطِرِ

^(٥) هَذَا يَطِيرُ مَعَ الْحَيَا * لِ وَذَلِكَ يَرْتَجِلُ النَّوَادِرِ

جَاهِلُوا الْحَيَاةَ وَمَا الْحَيَا * لُ لَفَيْرٍ مَكْدَاجِ مُقَامِرِ

^(٦) يَحْتَابُ أَجْوَاذَ الْقِفَا * رِ وَيَمْتَلِي مَتْنُ الزَّوَاخِرِ

^(٧) لَا يَسْتَشِيرُ سِوَى الْعَزِيدِ * سَمَةِ فِي الْمَوَارِدِ وَالْمَصَادِرِ

يُسْرِي وَرَاءَ الْبَاقِيَا * تِ بِتَقِيهِ رَمَى الْمُقَامِرِ

(١) يقول : إن هذا العابر إذا مر بهذا المسكين ساء ما يراه بادبا عليه من يؤس وفاقة ، فينض

بصره عنه كأنما قد وقع في مبه القذى ، وهو ما يقع فيها من غصص أو رمص .

(٢) يريد « بالتأخر » : شدة التألب في الحياة إلى أن ينجر الناس بعضهم بعضا .

(٣) تمشي قدما ، أى متقدما . (٤) التدب من الرجال : الماضي الخفيف في طلب الحاجة

والسريع إلى الفضائل . (٥) ارتجل النادرة ولحومها : قالها من غير ترق . ويريد « بالنوادر » : تلك

الكلمات التي يتلف بها الناس في المجالس . (٦) يحتاب : يقطع . وأجواز القفار : أوساطها

الواحد جوز (فتح الجيم) . والزواجر : البحار . (٧) في الموارد والمصادر ، أى في الحل والترحال .

مَا هَدَّ عَزَمَ الْقَادِرِيد * نَ بِمَصْرَ إِلَّا قَوْلُ: (بَاكِرُ)
 كَمْ ذَا تُحِيلُ عَلَى غَدٍ * وَغَدٌ مَصِيرَ الْيَوْمِ صَائِرُ
 خَوَاتِ الدِّيَارُ فَلَا آخِرَا * عَ وَلَا أَقْتَصَادَ وَلَا ذَخَائِرُ
 دَعِ مَا يُحَشِّمُهَا الْجُحُو * دُ وَمَا يَجْرِي مِنَ الْجَرَائِرُ
 فِي الْاِقْتِصَادِ حَيَاتَا * وَبَقَاؤُنَا رَغَمَ الْمُكَابِرُ
 تَرَبُّو بِهِ فِينَا الْمَصَا * نِعُ وَالْمَزَارِعُ وَالْمَتَاجِرُ
 سَلِ (حِشْمَتَا) عَنْهُ فَهْ * لَذَا (حِشْمَتُ) فِي الْجَمْعِ حَاضِرُ
 أَحْيَا الصَّنَاعَةِ وَالْتَجَا * رَةً مِثْلَمَا أَحْيَا الضَّمَائِرُ

مطران :

عَجَبًا تُعَرِّفُنِي بِهِ * وَأَنَا بِهِتِيهِ أَفَاخِرُ!
 لِي فِيهِ مَالِكٌ فِيهِ مِنْ * أَمَلٍ عَلَى الْأَيَّامِ صَكَابِرُ
 أَنْسَيْتَ (مُوجَزَ الْاِقْتِصَا * دِ) وَفَضْلَهُ أَمْ أَنْتَ ذَا كِرُ
 أَوْ لَمْ يَكُنْ هَذَا الْوَزِيد * رُبُّ ذَلِكَ التَّعْرِيبِ آمِرُ
 أَنْسَيْتَ مَا عَانَيْتَهُ * وَاللَّفْظُ مُسْتَعِينٌ وَنَافِرُ

- (١) خوات الديار: خلت. (٢) يحشمها: يكلفها. والجرائر: الجنابات، الواحدة جريرة.
- (٣) المكابر: الغالب والمعانده. (٤) تربو: تزيد وتحمو. (٥) يريد المرحوم أحمد حشمت باشا ناظر المعارف إذ ذاك. (٦) الكابر: الكبير. (٧) (موجز الاقصاد): كتاب في الاقصاد نقله من الفرنسية الى العربية حافظ ومطران بأمر حشمت باشا ناظر المعارف.
- (٨) يريد ما عاناه في ترجمة هذا الكتاب السابق ذكره.

حافظ :

لَمْ أَنَسَ مَا سَأَلَتْ بِهِ * مِنْ خَاطِرِي تِلْكَ الْمَقَاطِرُ

مطران :

لَمْ أَنَسَ إِذْ لَالَ الصَّكْلَا * مِ وَذِلَّتِي بَيْنَ الْحَايِرِ^(١)

حافظ :

لَمْ أَنَسَ نَحْتِي لِإِصْطِلَا * حِجْ دُونَهُ نَحْتُ الْحَايِرِ

مطران :

لَمْ أَنَسَ تَشْدِيبَ الْفُضُولِ * لِ مَقْرِضِ التَّثْقِيفِ دَائِرِ^(٢)

دعوة إلى الإحسان^(٣)

[نشرت في سنة ١٩١٥ م]

أَجَادَ (مَطْرَانُ) كَمَادَاتِهِ * وَهَكَذَا يُؤَثَّرُ عَنْ (قُسِّ)^(٤)فَإِنْ أَقْفَ مِنْ بَعْدِهِ مُنْشِدًا * فَإِنَّمَا مِنْ طَرَسِهِ طَرَسِي^(٥)

(١) يريد «إبدال الكلام» : تكبيره واستعصاه وقلة موافاته .

(٢) تشذيب الفضول ، أى تقطيع الزوائد من الكلام وتختيها ؛ وأصله من تشذيب الشجر ، وهو إلقاء ما عليه من الأغصان الزائدة . والتثقيف : التقويم والإصلاح .

(٣) دعا سليم افندى سركى صاحب (مجلة سركى) إلى إقامة حفل يخصص ما يجمع منه لموتة أحمد افندى أبى العدل وأسرة محمود حبيب ، وكافا من أشهر المثليين المصريين ؛ فقعدت بالأول الشيخوخة واغتالت المنية الثانى . وفى مساء ١٢ أكتوبر سنة ١٩١٥م أقيمت حفلة تيميلية فى تياترو برنانيا لهذا الغرض ، كان لشعراء فيها مجال ؛ وقد أعد خليل بك مطران قصيدة فى هذا الغرض ، إلا أن المرض حال به وبين إنشادها ، فتولى ذلك عنه حافظ ، ومطلعها :

الضاحك اللاعب بالأس * بات صريحا فاقد الأنس

(٤) يريد قس بن ساعدة الإيادى خطيب العرب فى الجاهلية ، ويضرب به المثل فى الفصاحة والسن .

(٥) من طرسه طرسى ، أى أن شعره مستمد منه . والطرس : الصحيفة .

وَاِنْ رَأَيْتُمْ فِي يَدَي زَهْرَةً * فَإِنَّهَا مِنْ ذَلِكَ الْفَرْسِ
 رَنَى (حَيِّيًا) وَرَنَى بَعْدَهُ * لِذَلِكَ الْمَوْفِي عَلَى الرَّسِ^(١)
 كَانَا إِذَا مَا ظَهَرَا مِنْبَرًا * حَلَا مِنْ السَّامِعِ فِي النَّفْسِ^(٢)
 فَأَصْبَحَا هَذَا طَوَاهُ الرَّدَى * وَذَلِكَ تَهَبُّ فِي يَدِ الْبُؤْسِ^(٣)
 لَوْلَا (سَلِيمٌ) لَمْ يَقُلْ قَائِلٌ * وَلَمْ يَحْذَمَنْ جَادَ بِالْأَمْسِ^(٤)
 إِلَيْهِ مَا أَشْجَعَهُ إِنَّهُ * ذُو مِرَّةٍ فِينَا وَذُو بَأْسِ^(٥)
 يَقُومُ فِي مَشْرُوعِهِ نَافِدًا * كَكَانَهُ (عَنْتَرَةُ الْعَبْسِي)
 تَلْقَاهُ فِي الْجَدِّ كَمَا تَبْتَنِي * وَتَارَةً تَلْقَاهُ فِي (الْمَلْسِ)
 (مَرْكَبِ) إِنْ رَاقَكَ مَا قُلْتُهُ * فِي مَعْرِضِ الْهَزْلِ قَقْلُ «مِرْمِي»
 أَقْسِمُ بِاللَّهِ وَالْآلِئِهِ * بِعَرْشِهِ بِاللُّوْجِ بِالْكُرْمِي^(٦)
 بِالْخُلْسِ الْكُنْسِ فِي سَبْحِهَا * بِالْبَذْرِ فِي مَرَّاهُ بِالشَّمْسِ^(٧)
 بَأْتِ هَذَا عَمَلٌ صَالِحٌ * قَامَ بِهِ هَذَا الْفَقِي الْقُدِيمِي
 ذَكَّرْنَا وَالْمَرْءُ مِنْ نَفْسِهِ * وَعَيْشِهِ فِي شَاغِلِ يُنْسِي

- (١) يريد « بحبيب » : المرحوم محمود حبيب ، والموقف على الرمس : المشرف على القبر ،
 يريد به أحد أفندي أبي العدل . (٢) ظهر المنبر ونحوه : علاه . (٣) يريد « بسليم » :
 سليم مركب . ويشير بهذا البيت إلى دعوته إلى إقامة هذا الحفل . (٤) المرة : القوة والعزيمة .
 (٥) استعمال « المشرع » بمعنى الفرض الذي يبدأ في تحقيقه استعمال شائع في كلام أهل العصر .
 (٦) الخنس والكنس : الكواكب . (٧) القدسي : نسبة إلى بيت المقدس . يشير
 إلى مولده .

(١) بِالْوَاجِبِ الْأَقْدَمِ فِي حَقِّ مَنْ * بَاعَتْهُ مَضْرُوبَةً الْوَكْسِ
 هَذَا (أَبُو الْعَدْلِ) فَمَنْ خَالَه * حَيًّا فَمَا خَالَ سِوَى الْعَكْسِ
 (٢) سَكَاتٌ لَهُ فِي حَلْقِهِ ثَرْوَةٌ * مِنْ نَبْرَةٍ تُشْجِي وَمِنْ جَرَسِ
 (٣) فَعَالِمَا الدَّهْرِ كَمَا خَالَه * حَتَّى غَدَا كَالطَّلَلِ الدَّرْسِ
 فَامْتَسِكُوا الْأَجْمَرَ وَلَا تَبْتَغُوا * شِرَاءَهُ بِالْثَمَنِ الْبَخْسِ
 (٤) إِنِّي أَرَى التَّمَثِيلَ فِي عَمْرَةٍ * غَامِرَةٍ تَدْعُو إِلَى الْيَأْسِ
 (٥) لَمْ يَرِمِهِ فِي شَرْخِهِ مَا رَمَى * لَوْ كَانَ مَبْنًى عَلَى أَسْ
 أَكَلْنَا خَفَّتْ بِهِ مَخْوَةٌ * مِنْ دَائِهِ عُوِجَلٌ بِالنَّكْسِ
 إِنِّ تَنْفِلُوا دَارِسَ آثَارِهِ * عَنِّي عَلَيْهَا الدَّهْرُ بِالطَّمْسِ
 أَنْجَزَهَا النَّطْقُ بِفَاتٍ بِنَا * تَتُوبُ عَنْ أَلْسِنِهَا الْخُرْسِ

العدو والصديق

ترجمة عن قولته

[نشر هذا البيت في ١٥ يناير سنة ١٩١٦ م]

لَا أَبَالِي أَذَى الْعَدُوِّ لِحُطْنِي * أَنْتَ يَا رَبِّ مِنْ وَلَاءِ الصَّدِيقِ

(١) - الوكس : التقصان والحساسة . (٢) الجرس : الصوت الخفى .

(٣) الطلل : ما بقى من آثار الديار . والدرس ، أى الدارس البالى . (٤) غامرة غامرة

أى شدة عامة شاملة . (٥) فى شرخه ، أى فى ريمانه وأقول نهوضه .

جمعية الاتحاد السوري

أنشدها في حفل خيري أقامته هذه الجماعة في الأوبرا السلطانية لإعانة الطلبة الشاميين بالأزهر

ليلة الثلاثاء ١٥ يناير سنة ١٩١٦ م

(١) أَيُّهَا الْوَسْمِيُّ زُرْتُكَ الْبَرْبَا * وَأَسْبَقَ الْفَجْرَ إِلَى رَوْضِ الزَّهْرِ
(٢) حَيْثُ وَأَثَرُهُ عَلَى أَكْثَامِهِ * مِنْ نِطَافِ الْمَاءِ أَشْبَاهَ الدُّرْرِ
(٣) أَيُّهَا الزَّهْرُ أَفَقِ مِنْ سِنَةِ * وَأَصْطَبِحْ مِنْ تَحْمِرَةِ لَمْ تَعْتَصِرْ
(٤) مِنْ رَحِيقِ أُمِّهِ غَادِيَةٍ * سَاقَهَا تَحْتَ الدُّجَى رَوْحُ السَّحَرِ
(٥) وَأَنْفَجِ الرُّوضَ بِنَشْرِ طَيِّبٍ * عَلَيْهِ يُوقِظُ سُكَّانَ الشَّجَرِ
(٦) إِنْ بِي شَوْقًا إِلَى ذِي غَنَةٍ * يُؤْنِسُ النَّفْسَ وَقَدْ نَامَ السَّمَرُ
(٧) إِلَيْهِ يَا طَيْرُ الْآلَمِينَ مُسْعِدٍ؟ * إِنِّي قَدْ شَفَّيْتُ طَوْلَ السَّهَرِ
(٨) قُمْ وَصَفِّقْ وَأَسْتَحِرْ وَأَسْبِجْ وَنَحْ * وَأَرْوِعْ عَنْ إِسْحَاقَ مَا تُورِ الْخَبَرُ
ظَهَرَ الْفَجْرُ وَقَدْ عَوَّدْتَنِي * أَنْ تُغْنِيَنِي إِذَا الْفَجْرُ ظَهَرَ

- (١) الوسمي : المطر أول الربيع . (٢) الأكام : أغصان الزهر . والنطاف : القطرات الصافية من الماء . (٣) السنة : النوم . والاصطباح : الشرب في الصباح .
(٤) الرحيق : الخمر . والغادية : السحابة تنشأ غدوة . والروح : الريح . جعل ماء المطر للزهر كالخمر . (٥) النشر : الراححة الطيبة . وسكان الشجر : الطير . (٦) السمر : السمار . (٧) المسعد : المعين . وشفه السهر : هزله وأضناه . (٨) تصفيق الطير : خفقه بأجنحته . واستحرق أي غنى سمحاً . وجميع الطير : تغريده . ويريد «إسحاق» : إسحاق بن إبراهيم الموصلي المتقي الباسي المعروف . يرغب إلى الطيور أن تغنيه غناه .

- (١) غَنَى كَمْ لَكَ عِنْدِي مِنْ يَدٍ * سَرَّتِ الْأَشْجَانُ عَنِّي وَالْفِكَرُ
 (٢) انْخَرِقَ السَّمْعَ سِوَى مِنْ نَبَأٍ * خَرَقَ السَّمْعَ فَأَذَى فَوْقَ
 كُلِّ يَوْمٍ نَبَأَةٌ تَطْرُقُنَا * بَعِيبٍ مِنْ أَعَايِبِ الْعِبَرِ
 (٣) أَمْ تَفْنَى وَأَرْكَانُ تَهَى * وَعُرُوشُ تَهَاوَى وَسُرُرُ
 (٤) وَجُيُوشُ يَجُوشُ تَلْقَى * كَسُيُولٍ دَفَقَتْ فِي مُنَحَدَرِ
 (٥) وَرَجَالُ تَبَارَى لِلرَّدَى * لَا تُبَالِي غَابَ عَنْهَا أَمْ حَضَرَ
 (٦) مَنْ رَأَاهَا فِي وَغَاهَا خَلَاهَا * صَبِيَّةٌ خَفَّتْ إِلَى لُحْبِ الْأَكْرَ
 وَحُرُوبُ طَاحِنَاتُ كَلَاهَا * أَطْفِئَتْ شَبَّ لَظَاهَا وَأَسْتَعَرَّ
 صَجَّتِ الْأَفْلَاكُ مِنْ أَهْوَاهَا * وَأَسْتَعَاذَ الشَّمْسُ مِنْهَا وَالْقَمَرُ
 (٧) فِي الثَّرَى، فِي الْجَوِّ، فِي شَمِّ الذُّرَى * فِي عُبابِ الْبَحْرِ، فِي مَجْرَى النَّهْرِ
 (٨) أَسْرَفَتْ فِي الْخَلْقِ حَتَّى أَوْشَكُوا * أَنْ يَبِيدُوا قَبْلَ مِيعَادِ الْبَشَرِ
 (٩) فَاصْبِرُوا ثُمَّ آخِذُوا اللَّهَ عَلَى * نِعْمَةِ الْأَمْنِ وَطِيبِ الْمُسْتَقَرِّ

- (١) سرت الأشجان : كفتها وخفت آلامها . (٢) يريد « بالنبا » : نبأ الحرب العظمى . يقول . اسمعني أيها الطائر من أنباءك ، (أي غنائك) ما يلذ به سمعي ، ولا تسمعني أنباء الحرب التي تصم الآذان وتدمي القلوب . (٣) تهى : تنحل وتسقط . وتهاوى : يسقط بعضها إثر بعض . (٤) دفقت : انصبت بشدة . (٥) الردي : الهلاك . (٦) الوغى : الحرب ، لمافها من الصوت والجلبة . والأكر : جمع أكرة ، وهي لفة في الكرة . (٧) في شم الذرا ، أي في أعلى المرتفعات . (٨) يبيدوا : يهلكوا . وميعاد البشر : يوم يقضي الناس جميعا . (٩) الصمد : القصد . ويستعمل في عصرنا بمعنى الصبر .

- (١) نِعْمَةُ الْأَمْنِ وَمَا أَدْرَاكَ مَا * نِعْمَةُ الْأَمْنِ إِذَا الْخَطْبُ أَكْفَهَرَ
- (٢) وَاشْكُرُوا سُلْطَانَ مِصْرٍ وَاشْكُرُوا * صَاحِبَ الدَّوْلَةِ مَجْمُودَ الْأَثَرِ
- نَحْنُ فِي عَيْشٍ تَمَنَّى دُونَهُ * أُمَّمٌ فِي الْقَرَبِ أَشَقَّاهَا الْقَدَرُ
- (٣) تَمَنَّى هَجَمَةً فِي غِبْطَةٍ * لَمْ تُسَاوِرْهَا اللَّيَالِي بِالْكَدْرِ
- إِنَّ فِي الْأَزْهَرِ قَوْمًا نَالَهُم * مِنْ لَظَى نِيرَانِهَا بَعْضُ الشَّرِّ
- أَصْبَحُوا - لَا قَدَرَ اللَّهُ لَنَا - * فِي عَنَاءٍ وَشَقَاءٍ وَضَجَرٍ
- (٤) تَزَلَّاءُ بَيْنَنَا إِنْ يَرْحَقُوا * أَوْ يُضَامُوا إِنَّهَا إِحْدَى الْكُبَرِ
- (٥) فَأَعَيْنُوهُمْ فَهُمْ إِخْوَانُكُمْ * مَسَّهُمْ ضَرٌّْ وَنَابَتْهُمْ غَيْرُ
- (٦) اقْرَضُوا اللَّهَ يُضَاعِفَ أَجْرَكُمْ * إِنَّ خَيْرَ الْأَجْرِ أَجْرُ مَدَنَرٍ

(١) اكفهر : تجهم وعبس .

(٢) صاحب الدولة : رئيس الوزراء ، وكان إذ ذاك حسين رشدي باشا .

(٣) الهجمة : النومة .

(٤) يرحقوا ، أى يعانون من شطف العيش مالا يطيقون .

(٥) غير الزمان : أحداثه وتقلباته

(٦) يستعمل إقراض الله بمعنى الإحسان وبذل المعروف ، لأن الله هو المولى رده

والجزاء عليه .

الجمعية الخيرية الإسلامية

أنشد هذه القصيدة بين يدي المغفور له السلطان حسين كامل في ليلة أحيتها الجمعية الخيرية بالأوبرا السلطانية .
وقد قالها على لسان صنعة من صنائع الجمعية كان يتيا بأسا فكفلته الجمعية حتى اكتمل عقلا وعلمها

[نشرت في ٢٨ مارس سنة ١٩١٦ م]

قَضَيْتُ عَهْدَ حَدَاتِي * مَا بَيْنَ ذُلِّ وَأَغْطَرَابِ
(١)
لَمْ يُغْنِ عَنِّي بَيْنَ مَشَى * بِرِقْمِهَا وَمَغْرِهَا أَضْطَرَابِ
(٢)
صَفَرْتُ يَدِي لِحَوَى لَهَا * رَأْسِي وَجَوْفِي وَالْوِطَابِ
(٣)
وَأَنَا ابْنُ عَشِيرٍ لَيْسَ فِي * طَوْقِي مُكَالَفَةُ الصَّعَابِ
لَمْ يَبْقَ مِنْ أَهْلِ سِوَى * ذِكْرِ تَنَاسَاهُ الصَّعَابِ
(٤)
أَمْشِي يُرْتَحِنِي الْأَسَى * وَالْبُؤْسُ تَرْيِيحَ الشَّرَابِ
(٥)
فَلَكُمْ ظَلَلْتُ عَلَى طَوَى * يَوْمِي وَبَيْتٌ عَلَى تَبَابِ
(٦)
وَالْجُوعُ قَرَأْسٌ لَهُ * ظَفَرٌ يَصُولُ بِهِ وَنَابِ
(٧)
فَكَانَهُ فِي مُهْجَتِي * نَصْلٌ تَغْلُغَلُ لِلنَّصَابِ

-
- (١) الاضطراب في الأرض : التردد فيها جبهة وذهايا . (٢) صفرت يدي : فرغت .
ويخوى : خلا . ويريد « بالوطاب » وعاء الزاد ، والأصل فيه : سقاء اللبن .
(٣) الطوق : الجهد . (٤) يرتحني ، أى يميلني يمتة ويسرة . والأسى : الحزن .
(٥) الطوى : الجوع . والتباب : الحمران . (٦) قرأس : شديد الاقتراس .
(٧) تغلغل النصل في الشيء : دخل فيه وتغلغل الى جوفه . ونصاب السيف والسكين ونحوهما :
المقبض .

- (١) وَلَكُمْ مَحَبَّتُ الْأَبْيَضِ * مِنْ قَائِلِيَا بَرْدِ الشَّبَابِ
 (٢) فَإِذَا ظَفِيرْتُ بِكُسْرَةٍ * فَأَدَامَهَا مِنِّي لُعَابُ
 (٣) وَعَسَى طَمْرُ لَوْ حَفَّتْ * رِيحُ الشَّمَالِ بِهِ لَذَابُ
 نَفْسُ رُوقِهِ وَمَصَائِي * فِي الْعَدِّ يُحِطُّهَا الْحِسَابُ
 (٤) مَا زِلْتُ أَوْسَعُ مَحَنَتِي * صَبْرًا وَأَحْتَمِلُ الْعَذَابُ
 (٥) حَتَّى تَنْفَسَ صُبْحُ إِقْد * بِأَلِي وَنَجْمُ النَّحْسِ ظَابُ
 (٦) وَلِكُلِّ سَيْفٍ مُصَلَّتٍ * لِحَوَاثِ الدُّنْيَا قِرَابُ
 (٧) وَالْعَيْشُ فِي إِقْبَالِهِ * شُهِدَ وَفِي الْإِدْبَارِ صَابُ
 (٨) فَتَلَقَّيْنِي فِتْيَةً * رُحْبُ الشَّمَائِلِ وَالْجَنَابُ
 (٩) مَهْدُوا لَا تُقْسِمُ بِمَا * صَنَعُوهُ زُلْفَى وَأَحْتِسَابُ

(١) الأبيضان : الماء والخبز؛ قال الشاعر :

الأبيضان بردا عظامي * الماء والقت بلا إدام

(٢) الإدام : ما يؤتى به في الطعام .

(٣) الطمر : الثوب البالي من غير الصوف . وهفت الريح بالثوب ونحوه : حركته وذهبت به .

(٤) المحنة : ما يمتحن به صبر الإنسان من النوائب . (٥) تنفس الصبح : أضاء وأشرق ؛

وهو استعمال مجازي . (٦) المصلت من السيوف : المجرد من غمده . وقرباب السيف : جرابه .

يريد أن كل شدة إلى انتهاء ، وكل عصر إلى سر . (٧) الشهد : عسل النحل . والصاب :

عصارة شجر شديد المرارة ؛ يريد أن العيش حلوى في إقباله ، شديد المرارة في إدباره .

(٨) يريد : « بالفتية » : رجال الجمعية الخيرية الإسلامية . (٩) مهدوا لأقسامهم ، أي كسبوا لها

خيرا . والزلفى : القريب . والاحتساب ، هو أن تقدم عملا صالحا تحتسبه عند الله ، أي تدخره ولا تبغى طيه

جزاء من الناس . ويلاحظ أن الوقف هنا بسكون الباء في آخر البيت على غير الأنصح ، وقد دعت إليه الضرورة .

(١) وَعَدُوا إِلَى الْحُسْنَى كَمَا * تَعْدُو الْمُظْهَمَةُ الْعِرَابُ
 كَمْ أَسْرَةٍ ضَاقَ الرَّجَا * عَلَيْهَا وَأَعْيَاهَا الطَّلَابُ
 (٢) دَقُّوا عَلَيْهَا بِأَبَا * وَاللَّيْلُ مَسْدُولُ النَّقَابِ
 (٣) وَتَعَاهَدُوهَا مِثْلَمَا * يَتَعَاهَدُ النَّبْتُ السَّحَابُ
 وَجَمَالُ صُنْعِ الْبِرِّ لَا * يُسْتَشْفَى لَهُ حِجَابُ
 (٤) فَتَحُّوا الْمَدَارِسَ حِسْبَةً * وَتَنْظُرُوا حُسْنَ الْمَنَابِ
 فِيهَا تَبَيَّنَتْ الْهُدَى * وَقَرَأْتُ (فَاتِحَةَ الْكِتَابِ)
 (٥) وَبِهَا صَدَقْتُ عَنِ الضَّلَا * لَهْ وَأَهْتَدَيْتُ إِلَى الصُّوَابِ
 وَغَدَوْتُ إِنْسَانًا مُجَمَّلُهُ الْفَضَائِلُ لَا الثِّيَابُ
 مُتَبَصِّرًا ذَا فِطْنَةٍ * تَنْفِي الْقُشُورَ عَنِ اللَّبَابِ
 (بَجْعَةٍ خَيْرِيَّةٍ) * قَامَتْ لِتَخْفِيفِ الْمُصَابِ
 (٦) قَدْ كَانَ فِيهَا (عَبْدُهُ) * غَوَا يُلَبِّي مَنْ أَهَابُ

- (١) عدوا : أسرعوا . والمظهم من الخيل : الذي تم حسنه وبرع في الجمال . والخيل العراب :
 الكرائم السالمة من الهجعة . (٢) يريد بقوله : «مسدول النقاب» : وصف الليل بشدة الظلام .
 ويصف رجال الجمعية بأنهم يبدلون المعروف في خفية وتكتم ، وذلك أفضل الإحسان .
 (٣) تعاهدوها : تفقدوها بالبدل والمعونة . (٤) تنظروا : انتظروا وأرتقبوا .
 (٥) صدق عن الضلالة : أعرض عنها . (٦) يريد الأستاذ الامام الشيخ محمد عبده .
 انظر التعريف به في الحاشية رقم ٣ من صفحة ٤ من هذا الجزء . وكان أقوى مؤسسى الجمعية الخيرية وأعظم
 الداعين الى إنسانتها . وأهاب : دعا .

(١) لَمْ يَدْعُ مِسْمَاحًا إِلَى * إِنْعَاشِهَا إِلَّا أَجَابُ^(١)
 مَا غَابَ عَنْهَا مَرَّةً * حَتَّى تَغِيَّبَ فِي التُّرَابِ
 وَ (لِعَاصِمٍ) أَثَرُهَا * بَاقٍ وَذِكْرُ مُسْتَطَابِ^(٢)
 قَدْ كَانَ يَجْمَعُهَا كَمَا * تَحْمِي بِجَانِبِهَا الْعُقَابِ^(٣)
 ثَبَّتَتْ وَكَانَ ثَبَاتُهَا * يَدْعُو إِلَى الْعَجَبِ الْعُجَابِ
 وَالشَّرْقُ أَوْرَثَ أَهْلَهُ * حُبَّ التَّقَلُّبِ وَالْخِلَابِ^(٤)
 فِينَا عَلَى كَرَمِ الطُّبَا * عِ وَنُبُلِهَا طَبَعُ يُعَابِ
 دَاءُ التَّوَاكُلِ وَهُوَ فِي الْ * مُعْمَرَانِ دَاعِيَةُ الْخَرَابِ
 ثَبَّتَتْ لِأَنَّ لَهَا إِلَى * أَعْتَابِ مَوْلَانَا اتِّسَابِ^(٥)
 لَوْلَا (حُسَيْنٌ) لَمْ تَدُمِ * إِلَّا كَمَا دَامَ الْحَبَابِ^(٦)
 اللَّهُ أَدْرَكَهَا بِهِ * بَحْرًا مَوَارِدُهُ عَذَابِ
 يَا وَاهِبَ الْآلَافِ كَمْ * طَوَّقَتْ بِالْمِنَنِ الرَّقَابِ
 لَكَ سَاحَةُ عَلَوِيَّةٍ * مَا أَمَّهَا أَمَلٌ وَخَابِ^(٧)

(١) المسماح : الكثير السباح . (٢) يريد « بعاصم » : المرحوم حسن عاصم باشا . (٣) مجاثم العقاب : بواضعها التي تنزل بها ، الواحد مجثم ؛ يقال : بجم الطائر ، اذا لزم مكانه فلم يبرحه ؛ أو تلبد بالأرض . والعقاب : طائر من الجوارح ، والعرب تسميه الكاسر . (٤) الخلاب : الخلداع . (٥) يريد بقوله : « مولانا » السلطان حسين كامل ؛ وكان رئيسا لها أيام كان أميراً . والوقف على قوله : « اتساب » يسكون الباء لضرورة القافية جريا على غير الفصح ، وهي لغة ربيعة ، فانهم يقفون على المنون بحذف تنوينه وسكون آخره مطلقا ، أى سواء أكان منصوبا كما في هذا اللفظ ، أم مرفوعا أم مجرورا . (٦) الحباب : فقايع الماء التي تعلوه . (٧) علوية : نسبة إلى المنفور له ساكن الجنان محمد على باشا جد الأسرة المالكة .

مَهَّدَتِ لِلْأَخْيَارِ مَيْدَ * مَدَانِ السَّبَاقِ إِلَى الثَّوَابِ
(١)
لَا زِلْتَ فِي الْفُطْرَيْنِ مَحْ * رُوسَ الْأَرِيكََةِ وَالرَّكَّابِ

جمعية إعانة العميان

قام لها في حفل أقامته الجمعية لبناء مدرسة للعميان الأحداث بالأوبرا

في ١٩ ديسمبر سنة ١٩١٦ م ونشرت في اليوم التالي

(٢) إِنْ يَوْمَ احْتِفَالِكُمْ زَادَ حُسْنًا * وَجَلَّالًا يَوْمَ عِيدِ الْجُلُوسِ
(٣) فَاقْتَرَبُ الْيَوْمَيْنِ رَمَضُ إِلَى أَيِّم * بِنِ وَبُشْرَى تَسْرِرُهُنَّ الْحُبُوسِ
(٤) فَكَأَنِّي أَشِيمُ عَاطِفَةَ الْبِرِّ عِيَانًا تَجُولُ بَيْنَ الْجُلُوسِ
(٥) وَأَرَى فِي الْوُجُوهِ سِيمَا آرْتِيَا ح * وَأَبْتِهَاجَ لَسَعَى تِلْكَ الْعُرُوسِ
إِنْ حَقَّ الضَّرِيرُ عِنْدَ ذَوِي الْأَبْ * صَارِ حَقُّ مُسْتَوْجِبِ التَّقْدِيسِ
لَمْ يَضُرْهُ فَقْدَانُهُ نُورَ عَيْنَيْهِ * إِذَا اعْتَصَصَ عَنْهُمَا بِأَنْبِيسِ
أَنْسُوا نَفْسَهُ إِذَا أَظْلَمَ الْعَيْدُ * شُ بَعْلِمُ فَالْعِلْمُ أَنْسُ النَّفُوسِ
وَجَهَّوْهُ إِلَى الْفَلَاحِ يُفِدْكُمْ * فَوْقَ مَا يَسْتَفِيدُهُ مِنْ دُرُوسِ
(٦) أَكْمَلُوا قَصَصَهُ يَكُنْ عِبْقَرِيًّا * مِثْلَ (طَه) مُبْرَزًا فِي الطُّرُوسِ

- (١) الفطران : مصر والسودان . والأريكة : سرير الملك . (٢) يريد عيد جلوس
المغفور له السلطان حسين كامل . (٣) يريد «برهن الحبوس» : أن هذا المكفوف رهين حبس
بصره ، وحبس بته ، وكان أبو العلاء المعري يلقب «برهين الحبسين» . (٤) أشيم : أرى وأنظر .
(٥) يريد «بالعروس» : عاطفة البر السابق ذكرها . (٦) يريد «بطه» : الدكتور طه
حسين (بك) عميد كلية الآداب الآن . والطروس : جمع طرس ، وهو الصحيفة يكتب فيها .

كَمْ رَأَيْنَا مِنْ أَكْمِهْ لَا يُجَارَى * وَضَرِيرٌ يُرْجَى لَيْسَ عَبْسُوسِ
لَمْ تَقِفْ آفَةُ الْعُيُونِ حِجَازًا * يَتَنُّ وَثْبَاتِهِ وَيَنُّ الشُّمُوسِ
عَدِمَ الْحَسَّ قَائِدًا فَخْدَاهُ * هَدَى وَجْدَانَهُ إِلَى الْحَسُوسِ
مِثْلُ هَذَا إِذَا تَعَلَّمَ أَغْنَى * عَنْ كَثِيرٍ وَجَاءَنَا بِالنَّفِيسِ
ذَاكَ أَنْ الذِّكَاءَ وَالْحِفْظَ حَلَّا * فِي جِوَارِ النَّهْيِ بِتِلْكَ الرُّؤُوسِ
فَعَلَى كُلِّ أَكْمِهْ وَبَصِيرِ * شُكْرُ أَعْضَائِكُمْ وَشُكْرُ الرَّئِيسِ

ملجأ الحرية

[نشرت في ١٩ مايو سنة ١٩١٩ م]

(١)
أَيُّهَا الطِّفْلُ لَكَ الْبُشْرَى فَقَدْ * قَدَّرَ اللَّهُ لَنَا أَنْ نُنْشَرَا
قَدَّرَ اللَّهُ حَيَاةَ حُرَّة * وَأَبَى سُبْحَانَهُ أَنْ تُقْبَرَا
(٢)
لَا تَتَخَفْ جُوعًا وَلَا عُرْيًا وَلَا * تَبْكِ عَيْنَاكَ إِذَا خَطَبَ عَرَا
(٣)
لَكَ عِنْدَ الْبِرِّ فِي مَلْجَأِهِ * حَيْثُ تَأْوِي خَاطِرُنَا يُكْسَرَا
(٤)
حَيْثُ تَلْقَى فِيهِ حَذْبًا وَتَرَى * يَنْ أَتْرَابِكَ عَيْشًا أَنْضَرَا

- (١) نشر : نَحْيَا وَنُبْعَثُ . جعل ما كان فيه المصريون قبل من إهمال اليتيم وإغفال شأنه كالموت ؛ وما صاروا إليه بعد من رعايته والعناية به حياة وبعثا . (٢) عرا : ألم وتزل . (٣) يستعمل « كسر الخاطر » في إنجعال السائل وردده بغير ما كان يؤمل ، وهو استعمال شائع في كلام عصرنا . (٤) الحذب (بالتحريك وسكن للشعر) : العطف . ويجوز أن يقرأ بالضم بمعنى جماعة العاطفين . وأترابك : لدائك ونظرائك ، الواحد ترب (بالكسر) .

لَا تُسِيْ ظَنًّا بِمُثْرِينَا فَقَدْ * تَابَ عَنِ آثَامِهِ وَاسْتَغْفَرَا

(١)

كَانَ بِالْأَمْسِ وَأَقْصَى هَمِّهِ * إِنِّ أَنَّى عَارِفَةٌ أَنْ يَظْهَرَا

فَقَدْ الْيَوْمَ يُوَاسِي شَعْبَهُ * وَهُوَ لَا يَرْغَبُ فِي أَنْ يُشْكَرَا

(٢)

نَهَتْ عَاطِفَةَ الْبِرِّ بِهِ * مِحْنَةً عَمَّتْ وَمِقْدَارُ جَرَى

(٣)

جَمَعْتَنَا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ * وَأَرَادَتْنَا عَلَى أَنْ نُقْهَرَا

فَتَعَاهَدْنَا عَلَى دَفْعِ الْأَذَى * بِرُكُوبِ الْحَزْمِ حَتَّى نَظْفَرَا

(٤)

وَتَوَاصَيْنَا بِصَبْرِ بَيْنَنَا * فَغَدَوْنَا قُوَّةً لَا تُزْدَرَى

(٥)

أَنْشَرْتُ فِي مِصْرَ شَعْبًا صَالِحًا * كَانَ قَبْلَ الْيَوْمِ مُنْفَكَّ الْعُرَا

(٦)

كَمْ مُحِبٌّ هَائِمٌ فِي حُبِّهَا * ذَادَ عَنْ أَجْفَانِهِ سَرَحَ الْكُرَى

(٧)

وَشَبَابٍ وَكُھُولٍ أَقْسَمُوا * أَنْ يَسِيدُوا بِمَجْدِهَا فَوْقَ الذُّرَا

يَا رِجَالَ الْجَدِّ هَذَا وَقْتُهُ * أَنْ أَنْ يَعْمَلَ كُلُّ مَا يَرَى

مَلَجًا أَوْ مَصْرِفًا أَوْ مَصْنَعًا * أَوْ تِقَابَاتٍ لَزْزَاعِ الْقُرَى

(٨)

أَنَا لَا أَعْذِرُ مِنْكُمْ مَنْ وَنَى * وَهُوَ ذُو مَقْدَرَةٍ أَوْ قَصْرَا

(١) العارفة : العطية والمعروف . (٢) المحنة : ما يمتحن به الإنسان من بلية . والمقدار :

القدر (فتح القاف والدال) . ويريد ما شمل الناس من فقر وضيق إذ ذاك . (٣) الضمير في «جمعنا»

«للحنة» . ويقال : أرادته على الأمر ، وذلك إذا حمله عليه . (٤) لا تزدرى : لا تحتقر .

(٥) أنشرت : أحييت . ويريد «بالعرا» : صلاة المودة ، الواحدة عروة .

(٦) الضمير في «حبها» لمصر . وذاد : منع ودفع . والكرى : النوم .

(٧) الذرا : جمع ذررة ، وهي المكان المرتفع . (٨) ونى : أبطا .

فابْدَعُوا بِالْمَلَجَا الْحُرَّ الَّذِي * جِئْتُ لِلْأَيْدِي لَهُ مُسْتَطَرَا

(١)

وَكَفُّوا الْآيَتَامَ فِيهِ وَأَعْلَمُوا * أَنَّ كُلَّ الصَّيْدِ فِي جَوْفِ الْفَرَا

أَيْهَا الْمُتَرَى أَلَا تَكْفُلُ مَنْ * بَاتَ مَحْرُومًا يَتِيًّا مُعْسِرَا

أَنْتَ مَا يُدْرِيكَ لَوْ أَنْبَأَهُ * رَبِّمَا أَطْلَعْتَ بِدُرًّا نَرِيَا

(٢)

رَبِّمَا أَطْلَعْتَ (مَعْدًا) آخَرًا * يُحْكِمُ الْقَوْلَ وَيُرْقِي الْمُنْبِرَا

(٣)

رَبِّمَا أَطْلَعْتَ مِنْهُ (عَبْدَهُ) * مِنْ حَمَى الدِّينِ وَزَانَ (الْأَزْهَرَا)

رَبِّمَا أَطْلَعْتَ مِنْهُ شَاعِرًا * مِثْلَ (شَوْقِي) نَاهِيَا بَيْنَ الْوَرَى

(٤)

رَبِّمَا أَطْلَعْتَ مِنْهُ فَارِسًا * يَدْخُلُ الْغَيْلَ عَلَى أَسَدِ الشَّرَى

كَمْ طَوَى الْبُؤْسَ نَفُوسًا لَوْرَعَتْ * مَنِيتًا خَضْبًا لَكَانَتْ جَوْهَرَا

(٥)

كَمْ قَضَى الْعُدْمَ عَلَى مَوْهَبَةٍ * فَتَوَارَتْ تَحْتَ أَطْبَاقِ الثَّرَى

(١) كَفَلَهُ يَكْفُلُهُ (من باب نصر) : قام بأمره . والقرا : الحمار الوحشي « وكل الصيد في جوف

القرا » : مثل ؛ وأصله أن ثلاثة خرجوا متصيدين ، فاصطاد أحدهم أرنبًا ، والآخريين ، والثالث حمارًا فاستبشر صاحب الأرنب وصاحب الظبي بما نالا ، وتطاولا على صاحب الحمار . فقال لهما : « كل الصيد في جوف القرا » ، أي أن هذا الذي رقت به وظفرت يشتمل على ما عندكما ، وذلك أنه ليس مما يصيده الناس أعظم من الحمار . ومعنى المثل هنا أن معونة اليتيم تحمل في ثناياها جميع الأعمال الصالحة .

(٢) يريد المغفور له (سعد زغلول باشا) وكان رئيسًا للوفد المصري إذ ذاك .

(٣) يريد « عبده » : الأستاذ الإمام محمد عبده (انظر التعريف به في الحاشية رقم ٣ من صفحة

٤ من هذا الجزء . (٤) الغيل (بالكسر وفتح) : الشجر الكثير الملتف ، وتأري إليه الأسود .

والشرى : مأسدة جانب الفرات يضرب بأسادها المثل .

(٥) العدم - الفقر .

كُلُّ مَنْ أَحْيَا يَتِيًّا ضَائِعًا * حَسْبُهُ مِنْ رَبِّهِ أَنْ يُؤَجِّرَا
إِنَّمَا تُحْمَدُ عُقْبَى أَمْرِهِ * مَنْ لَأَنَحَاهُ بِدُنْيَاهُ اشْتَرَى

جمعية الطفل

أنشدما في الحفل الذي أقامته هذه الجمعية في يوم الثلاثاء أول مايو سنة ١٩٢٨ م

(١) أَيُّهَا الطِّفْلُ لَا تَخَفْ عَنَّتِ الدَّهْرُ * رِ وَلَا تَخَشَّ عَادِيَاتِ اللَّيَالِي
(٢) قَبِضْ اللَّهُ لِلضَّعِيفِ نَفْسًا * تَعَشَّقُ الْبِرَّ مِنْ ذَوَاتِ الْجِبَالِ
أَيُّ ذَوَاتِ الْجِبَالِ عَشَّتْ لِلْبِرِّ * وَدُمْنُ قُدْوَةٍ لِلرِّجَالِ
لَمْ يَكُونُوا يُذَرِّكُوا الْمَجْدَ لَوْلَا * كُنْ أَوْ يَسْلُكُوا سَبِيلَ الْمَعَالِي
(٣) بِسْمَةٍ تَجْعَلُ الْجَبَانَ شُجَاعًا * وَتُعِيدُ الْبَخِيلَ أَكْرَمَ نَالِ
(٤) وَعِظَامُ الرِّجَالِ مِنْ كُلِّ جَنْسٍ * فِي رِضَا كُنْ أَرْخَصُوا كُلَّ غَالِي
(٥) رَاعِنِي مِنْ نَفْسِكُنْ جَمَالٌ * يَتَجَلَّى فِي هَالَةٍ مِنْ جَلَالِ
وَجَمَالِ النُّفُوسِ وَالشُّعْرِ وَالْأَخْ * لِقَائِ عِنْدِي أُنْمَى بِجَالِي الْجَمَالِ
فَمَنْ عَلَّمَنَّا الْمُرُوءَةَ وَالْعَطَّةَ * مَفَّ عَلَى الْبَائِسِينَ وَالسُّؤَالَ

(١) العنت : المشقة . (٢) قبض : أتاح . وذوات الجبال : النساء . والجبال : جمع
جبل ، وهي موضع يزين للعروس ، ويشير إلى أن تلك الجمعية من السيدات : (٣) النال : الجواد
الكريم . (٤) الهالة : دائرة القمر . (٥) مجال الجبال ، أي مظاهره وما يندومته .

فَمَنْ عَلَّمَنَا الْحَنَانَ عَلَى الطَّفْ * لِي شَرِيدًا فَرِيسَةً الْمُتَعَالِ

قَدْ أَجَبْنَا نِدَاءَ كُنْ وَجِئْنَا * نَسْأَلُ الْقَادِرِينَ بَعْضَ النَّوَالِ

لَوْ مَلَكْنَا غَيْرَ الْمَقَالِ لَحَدْنَا * إِنْ جُهِدَ الْمُقِلُّ حُسْنُ الْمَقَالِ^(١)

اتَّقِدُوا الطِّفْلَ إِنْ فِي شِقْوَةِ الطَّفْ * لِي شَقَاءٌ لَنَا عَلَى كُلِّ حَالِ

إِنْ يَعِشَ بَأْسًا وَلَمْ يَطْوِهِ الْبُؤْ * سَ يَعِشَ نَكْبَةً عَلَى الْأَجْيَالِ^(٢)

رَبِّ بُؤْسٍ يُجِبُّ النَّفْسَ حَتَّى * يَطْرَحُ الْمَرْءَ فِي مَهَاوِي الضَّلَالِ

أَتَقْدُوهُ فَرُبَّمَا كَانَ فِيهِ * مُضْلِحٌ أَوْ مُغَامِرٌ لَا يُبَالِي^(٣)

رُبَّمَا كَانَ تَحْتَ طُمُزِيهِ عَزَمٌ * ذُو مَضَاءٍ يَدُكُ شَمَّ الْجِبَالِ

رَبِّ سِرٍّ قَدْ حَلَّ جِسْمَ صَغِيرٍ * وَتَأَبَّى عَلَى شَدِيدِ الْحَالِ^(٤)

نِخْفَافُ الْأَفْيَالِ أَرْفَقُ وَقَعًا * لَوْ تَبَيَّنَتْ مِنْ دَيْبِ النَّمَالِ

شَاعَ بُؤْسُ الْأَطْفَالِ وَالْبُؤْسُ دَاءٌ * — لَوْ أُتِيحَ الطَّيِّبُ — غَيْرُ عَضَالِ^(٥)

أَيَّدُوا كُلَّ تَجَمُّعٍ قَامَ لِلْبِرِّ بِجَاهٍ يُظْلَهُ أَوْ بِمَالِ

كَمْ يَتِيمٍ كَادَتْ بِهِ الْبَاءُ * سَاءُ لَوْلَا (رَعَايَةُ الْأَطْفَالِ)

(١) المقل : الفقير القليل المال . (٢) يطويه : يغييه ويذهب به .

(٣) المغامر : المقاتل الذي لا يبالي الموت .

(٤) الطمر : الثوب الخلق . وشم الجبال : المرتفعة قمتها ، الواحد أشم .

(٥) سر ، أى موهبة خفية ونبوغ كامن . وتأبى : امتنع . والمحال : القدرة والقوة .

(٦) يريد بهذا البيت أن النملة على ضالتها فيها من السر ما ليس للقبيل على ضخامته .

(٧) داء عضال : شديد غالب معي .

(١) ورجال الإنساف أنبل — لولا * شهوة الحرب — من رجال القتال
 (٢) يسهرون الدجى لتخفيف ويل * أو بلاء مصوب أو تكال
 صم جريح لولاهم مات ترقا * في يد الجهل أو يد الإهمال
 (٣) كم صريع من صدمة أو صريع * من شوم تخدير الأوصال
 كم حريق قد أجم الناس فيه * عن مخايا تبت تحت التلال
 (٤) يرامون في اللهب سراعاً * كزاي الفطال ليورد الزلال
 (٥) لا شيء يسوى المروءة يخلو * طعمها في فم المرىء المسوال
 فاصنعوا البرمئيين وجسودوا * أيها القادرون قبل السؤال
 لا تشار العلوم أو لا تطسوا له * بجؤس والشر أو لترفيه حال

كلىة البنات الأمريكية

قال في المجل الذي أقامت اللجنة أدوريم كبادات والحواشي الفاترات

[نشرت في ٢٦ مايو سنة ١٩٢٨]

(٦) أي رجال الدنيا الجديدة مهلاً * قد شأوتم بالمشجرات الرجال
 (٧) وفيهم معنى الحياة فأرصد * ثم عليها لكل نفس كعلاً

- (١) يقول : لولا حاجتنا إلى الجند في الحرب التي لا تنو لنا منها ، لأن ، سال الإنساف أنبل منهم وأفضل . (٢) الكال ، العذاب . (٣) يريد « بالسوم » : المخدرات . والأوصال : الأعضاء ، الواحد وصل (بالكسر وبالضم) . (٤) الفطال : جمع فطاة ، وهي طائر في جيم الحماة . (٥) المرىء : ذر المروءة . والموال : المنصر المدين . (٦) الدنيا الجديدة : أمريكا . وشارتم : غامر . (٧) أرصدتم ، أي أعددتهم .

(١) وَحَرَضْتُمْ عَلَى الْعُقُولِ فَحَرَمَ * ثُمَّ عَصِيًّا يَرَاهُ قَوْمٌ حَلَالًا
 وَقَدَرْتُمْ دَقِيقَةَ الْعُمَرِ حِرْصًا * وَسِوَاكُمْ لَا يَقْدُرُ الْأَجْيَالَا
 كُمْ أَحَالُوا عَلَى غَدِ كُلِّ أَمْرٍ * وَنَحِيلُ الْأُمُورِ يَبْغِي الْمُحَالَا
 (٢) قَدْ تَحَدَّيْتُمُ الْمَنِيَّةَ حَتَّى * هَمٌّ أَنْتَ يَغْلِبُ الْبَقَاءُ الزُّوَالَا
 وَطَوَيْتُمْ فَرَاسِخَ الْأَرْضِ طَيًّا * وَمَشَيْتُمْ عَلَى الْهَوَاءِ آخِيَالَا
 ثُمَّ سَخَّرْتُمُ الرِّيحَ فَسَسْتُمْ * حَيْثُ شِئْتُمْ جَنُوبَهَا وَالشَّمَالَا
 (٣) تُسْرِجُونَ الْهَوَاءَ إِنْ رُمِثُ السَّيْدُ * رَوَى الْأَرْضَ مَنْ يَشُدُّ الرَّحَالَا
 (٤) وَتَحَدَّيْتُمْ مَوْجَ الْإِثِيرِ بَرِيدًا * حِينَ خَلْتُمْ أَنَّ الْبُرُوقَ كُسَالَا
 ثُمَّ حَاوَلْتُمْ الْكَلَامَ مَعَ النَّجْمِ * بِمِمْ فَعَلَّمْتُمُ الشُّعَاعَ مَقَالَا
 (٥) وَمَحَا (فُورْدُ) آيَةَ الْمَشْيِ حَتَّى * شَرَعَ النَّاسُ يَنْبِذُونَ النَّعَالَا
 وَأَتَرَعْتُمْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ بَظْهَرِ الْ * أَرْضِ أَوْ بَطْنِهَا الْمُحَجَّبِ مَا لَا
 (٦) وَأَقْسَمْتُمْ فِي كُلِّ أَرْضٍ صُرُوحًا * تَتَطَّحُ السُّحُبُ شَائِخَاتٍ طَوَالَا

- (١) يشير بهذا البيت الى قانون تحريم الخمر الذي كانت جمهورية الولايات المتحدة قد أصدرته .
 (٢) تحدّيتكم المنيّة ، أى نازعتموها الغلبة ومارضتموها . ويشير الى ما فى هذه البلاد من العناية
 الشؤون الصحية والمستحدثات الطبية ، والاهتمام الى مداواة بعض الأمراض التي كانت قبل مستعصية
 العلاج . (٣) تسريجون الهواء ، أى تعدونه وتهيئونه للركوب كما يسرج القوس ، أى يشد عليه مبرجه
 ليركب . ويشير بذلك الى الطائرات . ويريد بقوله « روى الأرض » الخ : أنه لا ترال فى الأرض أم
 متأخرة لم تتحول عن جمودها فى الحياة ، وتشد الرحال على ظهور الجبال كهدها فى العصور الأولى .
 (٤) يشير بهذا البيت الى الآلات الاسلكية . (٥) فورد : صاحب معامل كبيرة للسيارات
 فى أمريكا . ويريد الشاعر أنه قد أكثر منها فى أنحاء العالم حتى يكاد الناس لكثرتها وقلة أثمانها ليستغنون
 مركوبها عن المشى ولبس النعال . (٦) الصروح : الأبنية العالية .

وَعَرَسْتُ لِلْعِلْمِ رَوْضًا أُنِيقًا * فَوْقَ دُنْيَا الْوَرَى يَمُدُّ الظَّلَالَ
 وَحَلَلْتُ بِأَرْضِنَا فَعَرَفْنَا * كَيْفَ تُثْمُونَ بَيْنَنَا الْأَطْفَالَ
 وَرَأَيْنَا الْبَنَاتِ كَيْفَ يُثَقَّفُ * بِنَ بَعِثُ يَزِيدُهُنَّ جَمَالَ
 لَيْتَ شِعْرِي مَتَى أَرَى أَرْضَ مِصْرٍ * فِي حِمَى اللَّهِ تُنْبِتُ الْأَبْطَالَ
 وَأَرَى أَهْلَهَا يُبَارُونَكُمْ عِدْ * سَمَا وَوَثَبًا إِلَى الْعَلَا وَنِضَالَا
 (١)
 قَدْ نَقَضْنَا عَنَّا الْكِرَى وَابْتَدَرْنَا * فُرَصَ الْعَيْشِ وَأَنْتَقَلْنَا أَنْتَقَالَا
 (٢)
 وَعَلِمْنَا بَارًا غَفَلَةَ يَوْمٍ * تَحْرِمُ الْمَرْءَ سَعْيَهُ أَحْوَالَا
 فَشَقَقْنَا إِلَى الْحَيَاةِ طَرِيقًا * وَأَصَبْنَا عَلَى الزَّحَامِ جَمَالَ
 وَنَهَضْنَا فِي ظِلِّ عَرْشِ (فُؤَادٍ) * وَرَفَعْنَا لَعْنِيْدَهُ تِمْشَالَا
 (٣)
 قَدْ أَبَى اللَّهُ أَنْ نَعِيشَ عَلَى النَّا * سِوَانُ ضَاقَتِ الْوُجُوهُ عِيَالَا

الْأَزْبَكِيَّة

(٤)
 كَمْ وَارِثَ غَضِّ الشَّبَابِ رَمَيْتِهِ * بَغْرَامٍ رَاقِصَةٍ وَحِبِّ هَلُوكِ
 (٥)
 أَلْبَسْتِهِ الثَّوْبَيْنِ فِي حَالِيهِمَا * تَيْسَةَ الْغَنِيِّ وَذِلَّةَ الْمَفْلُوكِ

- (١) ابتدنا فرص العيش : عاجلناها وأسرعنا إليها . والكرى : النوم .
 (٢) الأحوال : السنون ، الواحد حول . (٣) الوجوه : المذاهب .
 (٤) الهلوك : الفاجرة المتساقطة على الرجال . (٥) المفلوك : الفقير البائس ؛ وهي تسمية فارسية . قال صاحب كتاب (الفلاكة والمفلوكون) : هذه اللفظة تلقيناها من أفاضل العجم ، ويريدون بها شهادة مواقع الاستعمال : الرجل غير المحظوظ ، المهمل في الناس لإملاقه وفقره .

نشيد الشبان المسلمين

(١) أَعِيدُوا مَجْدَنَا دُنْيَا وَدِينَا * وَذُرُّوْا عَن تَرَاثِ الْمُسْلِمِيْنَ

(٢) مَن يَعْنُو لَغَيْرِ اللَّهِ فِينَا * وَنَحْنُ بَنُو الْغُرَاةِ الْفَاتِمِيْنَ

مَلَكْنَا الْأَمْرَ فَوْقَ الْأَرْضِ دَهْرًا * وَخَلَدْنَا عَلَى الْأَيَّامِ ذِكْرِي

أَيُّ (عُمَرُ) فَأَنْسَى عَدْلَ (كَسْرِي) * كَذَلِكَ كَانَ عَهْدُ الرَّاشِدِيْنَ

(٣) جَيِّتَ السُّحْبَ فِي عَهْدِ الرَّشِيدِ * وَبَاتَ النَّاسُ فِي عَيْشِ رَغِيدِ

(٤) وَطَوَّقَتِ الْعَوَارِفُ كُلَّ جَيِّدِ * وَكَانَ شِعَارُنَا رِفْقًا وَلِينًا

سَلُّوا (بَغْدَادَ) وَالْإِسْلَامَ دِينَ * أَكَانَ لَهَا عَلَى الدُّنْيَا قَرِينُ

رِجَالٌ لِلْحَوَادِثِ لَا تَلِينُ * وَعِلْمُ أَيْدِ الْفَتْحِ الْمُيِّنِ

(٥) فَلَسْنَا مِنْهُمْ وَالشَّرْقُ عَانِي * إِذَا لَمْ نَكُفِّهِ عَنْتَ الزَّمَانِ

وَنَرَفَعَهُ إِلَى أَعْلَى مَكَانٍ * كَمَا رَفَعُوهُ أَوْ نَلْقَى الْمُنُونَا

(١) ذرُّوا : ادفخوا .

(٢) يعنو : يذل ويخضع .

(٣) جئنا السحاب ، يريد بسطة الملك وسعة السلطان . ويشير بذلك الى ما روى عن أحد خلفاء

الإسلام حين رأى سحابة سارية فقال ما معناه : امطري حيث شئت فإن ما تبينته سيحبي خراجي اليها .

(٤) العوارف : العتلايا والمنن : الواحدة عارقة . والجيد : العنق .

(٥) العاني : الأسير المقيد . وعنت الزمان : مشقة .

غلاء الأسعار

أَيُّهَا الْمُصْلِحُونَ ضَاقَ بِنَا الْعَيْدُ * شُئْ وَلَمْ تُحْسِنُوا طَبِيهَ الْقِيَامَا
 (١) عَزَّتِ السَّلْعَةُ الدَّلِيلَةُ حَتَّى * بَاتَ مَسْحُ الْحِذَاءِ خَطْبًا جُسَامَا
 وَضَدَا الْقُوْتُ فِي يَدِ النَّاسِ كَالْيَا * قُوْتُ حَتَّى نَوَى الْفَقِيرُ الصِّيَامَا
 (٢) يَقْطَعُ الْيَوْمَ طَاوِيًا وَلَدَيْهِ * دُونَ رِيحِ الْقَتَارِ رِيحُ الْخَزَامَى
 وَيَتَحَالُّ الرِّغِفُ فِي الْبُعْدِ بَدْرًا * وَيُظَنُّ الْكُومَ صَيْدًا حَرَامَا
 (٣) إِنْ أَضَابَ الرِّغِفَ مِنْ بَعْدِ كَدِّ * صَاحَ : مَنْ لِي بَأْسُ أُصِيبَ الْإِدَامَا ؟
 أَيُّهَا الْمُصْلِحُونَ أَصْلَحْتُمُ الْأَرْضَ * ضَوْ وَبِئْسَ عَنْ النُّفُوسِ نِيَامَا
 أَصْلَحُوا أَنْفُسًا أَضَرَّ بِهَا الْفَقْدُ * رُ وَأَجِبَا بِمَوْتِهَا الْإِنَامَا
 لَيْسَ فِي طَوْقِهَا الرِّجْلُ وَلَا الْإِدُّ * وَلَا أَنْ تُوَاصِلَ الْإِفْسَادَا
 (٤) تُؤَثِّرُ الْمَوْتُ فِي رُبَا النَّيْلِ جُومًا * وَتَسْرَى الْعَارَ أَنْ تَعَافَ الْمُقَامَا
 (٥) وَرِجَالُ الشَّامِ فِي سَكْرَةِ الْأَرْضِ * يَضُ يُبَارُونَ فِي الْمَسِيرِ الْغَنَامَا
 رَكِبُوا الْبَحْرَ، جَاوَزُوا الْقُطْبَ، فَأَتَوْا * مَوْقِعَ النَّيِّرَيْنِ خَاضُوا الظَّلَامَا

- (١) السَّلْعَةُ : المتاع المتجرفه . والخطب الجسام : العظيم . (٢) طاويا : جاثما .
 والقطار (بالضم) : ربح الشواء . والخزamy : نوع من الرياحين ، وزهره من أطيب الأزهار نفحة .
 يقول : إن ربح ذاك الزهر أقل شأنا عنده من ربح الشواء لحاجته الى الثاني دون الأول .
 (٣) الإدام : ما يؤتم به . (٤) الربا : مرتفعات الأرض ، الواحدة ربوة .
 وتعاف : تكرر . (٥) باراه : جراه وفضل مثل فعله .

يَمْتَطُونَ الْخُطُوبَ فِي طَلَبِ الْعَيْدِ * شِيشَ وَيَبْرُونَ لِلنَّضَالِ السَّهَامَا
 وَبَنُو مِصْرَ فِي حِمَى النَّيْلِ صَرَعَى * يَرْقُبُونَ الْقَضَاءَ عَامًا فَعَامَا
 أَيُّهَا النَّيْلُ كَيْفَ تُنْسِي عِطَاشًا * فِي بِلَادٍ رَوَّيَتْ فِيهَا الْأَنَامَا ^(١)
 يَرِدُ الْوَاعِلُ الْغَرِيبُ فَيَرَوَى * وَبَنُوكَ الْكِرَامُ تَشْكُو الْأَوَامَا ^(٢)
 إِنَّ لَيْنَ الطَّبَاعِ أَوْرَثَنَا الذُّلَّ * وَأَغْرَى بِنَا الْجُنَاةَ الطَّغَامَا
 إِنَّ طِيبَ الْمَنَاجِ بَرَّ عَلَيْنَا * فِي سَبِيلِ الْحَيَاةِ ذَاكَ الزَّحَامَا
 أَيُّهَا الْمُصْلِحُونَ رَفَقَا بِقَوْمٍ * قَيْدَ الْعَجْزِ شَبَحَهُمُ وَالْغُلَامَا ^(٣)
 وَأَغِيثُوا مِنَ الْغَلَاءِ نُفُوسًا * قَدْ تَمَتَّتْ مَعَ الْغَلَاءِ الْجِمَامَا ^(٤)
 أَوْشَكْتَ تَأْكُلُ الْهَيْبَةَ مِنَ الْفَقْدِ * بِرٍ وَكَادَتْ تَذُودُ عَنْهُ النَّعَامَا ^(٥)
 فَأَعِيدُوا لَنَا الْمُكُوسَ فَإِنَّا * قَدْ رَأَيْنَا الْمُكُوسَ أَرْخَى زِمَامَا ^(٦)
 ضَاقَ فِي مِصْرٍ قِسْمُنَا فَاغْدِرُونَا * إِنَّ حَسَدَنَا عَلَى الْجَلَاءِ الشَّامَا
 قَدْ شَقِينَا - وَنَحْنُ كَرَّمْنَا اللَّهَ * لَهُ - بَعْضُ يَكْرَمُ الْأَنْعَامَا

-
- (١) الواغل : الذي يدخل على القوم في طعامهم وشرابهم دون أن يدعى . والأوام :
 شدة العطش . (٢) الطغام (بالفتح) : أرغاد الناس وأراذلهم .
 (٣) الحمام (بكسر الحاء) : الموت . (٤) الهيب : حب الخنظل . وتذود : تدفع
 وتمنع . ونخص النعام لأنها تأكل هذا الهيب . (٥) المكوس : ضرائب كانت تؤخذ على السلع
 الواردة لتباع في المدن ، وكان يتعالى في فرضها . والزام : ما تزم به الدابة ، أى تقاد . ويريد بقوله :
 «أرئى زماما» : أن عهد المكوس كان أيسر على الناس وأهون . (٦) القسم (بالكسر) :
 النصيب من الرزق . ويريد «بالجلاء» : انتقال القوم من أوطانهم إلى أوطان أخرى طلبا للرزق .

أضرحه الأولياء

أَحْيَاؤُنَا لَا يُرْزَقُونَ بِدِرْهِمٍ * وَبِأَلْفِ أَلْفٍ تُرْزَقُ الْأَمْوَاتُ
 مَنْ لِي بِحِطِّ النَّائِمِينَ بِحُفْرَةٍ * قَامَتْ عَلَى أَجْجَارِهَا الصُّلَوَاتُ
 يَسْعَى الْأَنَامُ لَهَا، وَيَجْرَى حَوْلَهَا * بِحُرِّ النُّدُورِ، وَتُقْرَأُ الْآيَاتُ
 وَيُقَالُ: هَذَا الْقُطْبُ بَابُ الْمُصْطَفَى * وَوَسِيلَةُ تَقْضِي بِهَا الْحَاجَاتُ

وقال على لسان طفلة :

أَخْشَى مُرَيْتِي إِذَا * طَلَعَ النَّهَارُ وَأَفْزَعُ
 وَأَظْلَى بَيْنَ صَوَاحِي * لِعِقَابِهَا أَتَوَقَّعُ
 لَا الدَّمْعُ يَشْفَعُ لِي وَلَا * طَوَّلُ التَّضَرُّعِ يَنْفَعُ
 وَأَخَافُ وَإِلَدَتِي إِذَا * جَنَّ الظَّلَامُ وَأَجْزَعُ
 وَأَيْتُ أَرْتَقِبُ الْجَزَا * وَأَعْيَنِي لَا تَهْجَعُ
 مَا ضَرَّنِي لَوْ كُنْتُ أَسَدَ * تَمِيعُ الْكَلَامِ وَأَخْضَعُ
 مَا ضَرَّنِي لَوْ صُنْتُ أَثَدَ * بَوَائِي فَلَا تَنْقَطَعُ
 وَحَفِظْتُ أَوْرَاقِي بِمَحْ * فِطْطِي فَلَا تَتَوَزَّعُ
 فَأَعِيشُ آمِنَةً وَأَمَّ * رَعُ فِي الْمَنَاءِ وَأَرْتَعُ

السِّيَاسَاتُ

العلمان المصري والانجليزى فى مدينة الخرطوم

- (١) رُوَيْدَكَ حَتَّى يَحْفِقَ الْعَلَمَانِ . * وَتَنْظُرَ مَا يَجْرِى بِهِ الْفَتَيَانِ
(٢) فَمَا مِصْرُكَالسُّودَانِ لُقْمَةً جَائِعٍ * وَلَكِنَّا مَرَهُونَةٌ لِأَوَّانِ
(٣) دَعَانِ وَمَا أَرْجَفْنَا بِاحْتِمَالِهِ * فَلَانِي بِمَكْرِ الْقَوْمِ "شَقُّ" زَمَانِي
أَرَى مِصْرَ وَالسُّودَانَ وَالْهِنْدَ وَاحِدًا * بِهَا اللُّرْدُ وَالْفَيْكُنْتُ يَسْتَبِقَانِ
(٤) وَأَكْبَرُ ظَنِّي أَنْتَ يَوْمَ جَلَائِهِمْ * وَيَوْمَ نُشُورِ الْخَلْقِ مُقْتَرِنَانِ
(٥) إِذَا غَاضَتِ الْأَمْوَاهُ مِنْ كُلِّ مُزِيدٍ * وَخَرَّتْ بُرُوجُ الرَّجْمِ لِلْحَدَثَانِ

- (١) الفتیان : اللیل والنهار . مخاطب صاحبه بقول : تمهل حتى يخفق على السودان العلمان ، ويكمل للإنجليز تملكه ، فإنهم بعد سيملكون مصر كما ملكوا السودان .
(٢) يشير بهذا البيت الى توقع أخذ مصر كما أخذ السودان ، وأن الاستيلاء عليها ليس فى سهولة الاستيلاء عليه ، ولكن ذلك مرهون بالوقت الملائم .
(٣) ما أرجفنا ، أى ما خضنا فيه من القول الذى لم يصح . وباحتماله ، أى باحتمال وقوعه وتحققه ؛ وهو جلاء الإنجليز عن مصر . ويريد « بالقوم » : الانجليز . وشق (بكسر الشين) : كاهن عربى قديم اشتهر بمعرفة الغيب ، وكان فى زمن كسرى أنوشروان . (٤) يوم النشور : يوم القيامة .
(٥) غاض الماء : غل فنضب . والأمواه : جمع ماء . والمزبد : البحر يقذف بالزبد . والحدثان (محرکت) : اسم بمعنى حوادث الدهر ونوائبه .

(١) وعَادَ زَمَانُ السَّمْهَرِيِّ وَرَبِّهِ * وَحُكْمَ فِي الْهَيْجَاءِ كُلِّ يَمَانِي
(٢) هُنَاكَ أَذْكُرَا يَوْمَ الْجَلَاءِ وَنَبَّهَا * نِيَامًا عَلَيْهِمْ يَنْدُبُ الْهَرَمَانِ

إلى مولاي عبد العزيز سلطان مراکش

قالها وقد اقترح المؤيد على الشعراء أن ينظموا في عتاب مولاي عبد العزيز سلطان مراکش

[نشرت في ٤ إبريل سنة ١٩٠٤ م]

(٣) (عبد العزيز) لَقَدْ ذَكَّرْتَنَا أُمًّا * كَانَتْ جِوَارَكَ فِي لَهْوٍ وَفِي طَرْبِ
ذَكَّرْتَنَا يَوْمَ ضَاعَتْ أَرْضُ أَنْدَلُسِ * الْحَرْبُ فِي الْبَابِ وَالسُّلْطَانُ فِي اللَّعِبِ
(٤) فَاحْذَرُ عَلَى التَّخْتِ أَنْ يَسِيرَ الْخَرَابُ لَهُ * فَتَخْتُ (سُلْطَانَةٍ) أَعْدَى مِنَ الْجَرْبِ

(١) السمهري : الرخ الصلب . أو هو المنسوب إلى رجل من العرب اسمه سمهر ، كان مشهورا بصنع الرماح . والهيحاء : الحرب . واليماني : السيف ، نسبة إلى اليمن ، لأن أجود السيوف كان يصنع بها .
(٢) هناك اذكرا : جواب «لإذا» في البيت السابق . يقول : إذا ظهرت أمارات الساعة من غيض مياه البحار ... الخ ، أو وقع المستخيل ، فعاد الزمن إلى سيرته الأولى أيام كان القتال بالسيوف والرماح فانتظروا إذا ذاك خروج الإنجليز من مصر .

(٣) عبد العزيز سلطان مراکش ، هو ابن السلطان مولاي الحسن ، وكان مولده سنة ١٢٩٦ هـ . تولى الملك بعد وفاة أبيه في ٤ ذي الحجة سنة ١٣١١ هـ ، ثم خلع في سنة ١٣٢٦ هـ وسنة ١٩٠٨ م . وكان معروفا بالإخلاص إلى المجون واللهو ، حتى إنه بعث إلى مصر في طلب جماعة من المطربين والمطربات ، فسافر إليه جماعة منهم ، فأنكر عليهم المسلمون فعله ، لاسيما مصر ، وكتب الصحف مستهجة هذا الصنيع من سلطان مسلم ، وأكثر الشعراء في ذلك من المقطعات الطريفة .

(٤) يريد « بالتخت » الأول في هذا البيت : سرير السلطان ، وهو مرتب . وبالثاني : تحت الغناء ، تسمية مامية . وسلطانة : منية كانت من المنغيات المشهورات في مصر في ذلك العصر ، وكانت بين بعثة الغناء التي سافرت إلى سلطان مراکش .

غادة اليابان

صفتها غرامه بنادة يابانية ، وأشاد بالشجاعة التي ظهرت بها أمة اليابان في الحرب بينها وبين روسيا

[نشرت في ٦ إبريل سنة ١٩٠٤ م]

(١) لَا تَلَمْ كَفِّي إِذَا السَّيْفُ نَبَا * صَحَّ مَنَى الْعَزْمُ وَالْدَّهْرُ أَبِي

رُبَّ سَاعٍ مُبْصِرٍ فِي سَعِيهِ * أَخْطَا التَّوْفِيقَ فِيمَا طَلَبَا

(٢) مَرَحِبًا بِالْحَطْبِ يَلُونِي إِذَا * كَانَتِ الْعَلْيَاءُ فِيهِ السُّبُبَا

(٣) عَقْنِي الدَّهْرُ وَلَوْلَا أَنِّي * أَوْثَرُ الْحُسْنَى عَقَقْتُ الْأَدْبَا

(٤) إِلَيْهِ يَا دُنْيَا أَحْبَسِي أَوْ فَابْسِمِي * لَا أَرَى بَرَقَكَ إِلَّا خُلْبَا

أَنَا لَوْلَا أَنْتَ لِي مِنْ أُمْتِي * خَاذِلًا مَا يَثُ أَشْكُو النَّوْبَا

(٥) أُمَّةٌ قَدَقَتْ فِي سَاعِدِهَا * بَغْضًا الْأَهْلَ وَحُبًّا الْغُرْبَا

تَعَشَّقُ الْأَلْقَابَ فِي غَيْرِ الْعُلَا * وَتُفْسِدُ بِالنُّفُوسِ الرُّتْبَا

(٦) وَهِيَ وَالْأَحْدَاثُ تَسْتَهْدِفُهَا * تَعَشَّقُ اللَّهْوَ وَتَهْوَى الطَّرْبَا

(٧) لَا تُبَالِي لَعِبِ الْقَوْمِ بِهَا * أَمْ بِهَا صَرَفُ اللَّيَالِي لَعْبَا

(١) نبا السيف : كل وأرتد . (٢) يبلول : يختبرني . (٣) عقه : ترك الاحسان

إليه ولم يبرده . يقول : إن الدهر لم ينصفني ، والجاني على هو أدبي ؛ ولولا أنني أوثر الاحسان لمجرت
الأدب الذي كان سببا في شقائي . (٤) البرق الخلب : الذي يلطم الناس في مطره ويحلقهم .

(٥) فت في ساعدها : عبارة يكتن بها من الإضعاف وإيهان القوى . (٦) والأحداث

تستهدفها ، أي أن حوادث الدهر تجعلها هدفا لما ترميه . (٧) يريد «بالقوم» : الانجليز .

ومصروف الليالي : غيرها ونوائها . أي أنها لا تعباً بحوادث الزمان تصيبها من المحطين أو من الدهر .

- (١) لَيْتَهَا تَسْمَعُ مِنِّي قِصَّةً * ذَاتَ شَجْوٍ وَحْدِيًّا عَجَبًا
 (٢) كُنْتُ أَهْوَى فِي زَمَانِي غَادَةً * وَهَبَ اللَّهُ لَهَا مَا وَهَبَا
 ذَاتَ وَجْهِ مَرْجَ الحُسْنِ بِهِ * صُفْرَةً تُنْسِي اليَهُودَ الذَّهَبَا
 حَمَلْتُ لِي ذَاتَ يَوْمٍ نَبَأً * لَا رَعَاكَ اللَّهُ يَا ذَاكَ النَّبَا
 (٣) وَأَنْتِ تَخْطِرُ وَاللَّيْلُ فَنِي * وَهِلَالُ الْأَثَقِ فِي الْأَثَقِ حَبَا
 (٤) ثُمَّ قَالَتْ لِي بِشْفَرٍ بِاسْمِ * نَظَمَ الدَّرْبُ بِهِ وَالْحَبِيَا
 (٥) نَبْئُونِي بِرَجِيلٍ عَاجِلٍ * لَا أَرَى لِي بَعْدَهُ مُنْقَلَبَا
 (٦) وَدَعَانِي مَوْطِنِي أَنْ أُغْتَدِي * عَلَّيْهِ أَقْضَى لَهُ مَا وَجَبَا
 (٧) نَذْبَحُ الدُّبَّ وَنَقْرِي جِلْدَهُ * أَيُّظُنُّ الدُّبَّ إِلَّا يُغْلَبَا
 (٨) قُلْتُ وَالْآلَامُ تَقْرِي مُهَجَّتِي : * وَيَا وَيَا مَا تَصْنَعُ فِي الْحَرْبِ الظُّبَا ؟
 مَا عَيْدُنَا هَا لَطْفِي مَسْرَحًا * يَتَغْنَى مَلْهُى بِهِ أَوْ مَلْعَبَا
 (٩) لَيْسَتْ الْحَرْبُ نُفُوسًا تُشْتَرَى * بِالْأَمْنِيِّ أَوْ عُقُولًا تُسْتَبَى

- (١) يقال : شجاء شجوا، اذا هيج أجزانه وشوّه . (٢) الغادة : المرأة الناعمة اللينة .
 (٣) واللَّيْلُ فَنِي ، أي في أمله . وشبه الهلال في أول طلوعه بالطفل الذي يحب في مهده .
 (٤) الحبيب : الفقايع التي تلو سطح الماء ، شبه بها الأسنان في بياضها . (٥) المنقلب :
 العودة والرجوع . (٦) أغتدي ، أي أبادر بمبكرة للدفاع عنه . (٧) الدب : رمز تعرف
 به روسيا ، كما تعرف إنجلترا بالأسد ، واليابان بالثتين ، وألمانيا بالنسر . ونقري : نشق . ويشير بهذا البيت
 الى الحرب التي نشبت بين اليابان وروسيا في ليلة ٩ فبراير سنة ١٩٠٤ م وانتهت بالصلح في يوم ٥ سبتمبر
 سنة ١٩٠٥ م . (٨) الغلبا : الغلباء ، وقصر للشعر . (٩) تستبي : تؤسر بالغلب .

- (١) أَحْسَنَتِ الْقَدَّ مِنْ عُدَّتِهَا * أَمْ ظَنَنْتِ اللَّحْظَ فِيهَا كَالشَّبَا؟
 (٢) فَسَلِّنِي ، إِنِّي مَارِسْتُهَا * وَرَكِبْتُ الْهَوَلَ فِيهَا مَرْكَبَا
 (٣) وَتَقَحَّحْتُ الرَّدَى فِي غَارِهِ * أَسْدَلَ النَّعْجُ عَلَيْهَا مَيْدَبَا
 (٤) قَطَّبْتُ مَا بَيْنَ عَيْنَيْهَا لَنَا * فَرَأَيْتُ الْمَوْتَ فِيهَا قَطْبَا
 (٥) جَالَ عِزْرَائِيلُ فِي أُنْحَايَا * تَحْتَ ذَلِكَ النَّعْجِ يَمْشِي الْمَيْدَبَى
 (٦) فَدَعِيهَا لِلَّذِي يَعْرِفُهَا * وَالزَّمَى يَاطْيِيَةَ الْبَانِ الْجَبَا
 (٧) فَاجَابَتْنِي بِصَوْتٍ رَاعِنِي * وَأَرْتَنِي الظُّبَى لَيْثًا أَغْلَبَا
 (٨) إِنَّا قَوْمِي أَسْتَعَذُّوْا وَرَدَّ الرَّدَى * كَيْفَ تَدْعُونِي إِلَّا أَشْرَبَا؟
 (٩) أَنَا يَا بَانِيَّةُ لَا أَتَّكِنِي * عَنْ مُرَادِي أَوْ أَذُوقَ الْعَطْبَا
 أَنَا إِنِّي لَمْ أَحْسِنِ الرُّمَى وَلَمْ * تَسْتَطِيعَ كَفَايَ تَقْلِيْبَ الظُّبَا

- (١) القد : القامة . والشبا : جمع شباة ، وهي حد السنان . (٢) مارستها : عانيتها .
 (٣) تقححت الردى : رميت بنفسى فى غمرته . والنقع : الغبار . والميدب : السحاب المتدلى من أسافله . وإثارة الغبار وكثرته وارتفاعه فى الحرب ، كناية عن شدتها وكثرة الكروا والفر فيها .
 (٤) التقليب : العبوس . والضمر فى «قطبت» لغارة . (٥) الهيدبى (بالمعجمة والمهملة) : نوع من المشى فيه جد . ويشير بهذا البيت إلى كثرة ما تخطفه عزرائيل من الأرواح فى هذه الحرب .
 (٦) البان : شجر سبط البقوام لين ، ورقه كورق الصفصاف ، نالقه الغلباء . والجبأ (بالقصر) : الخباء (بالمد) ، وقصر الشعر . وهو فى الأصل : البيت من وبرأوصوف ، ويريد به البيت عامة .
 (٧) راعنى : أفزعنى . والأغلب من السباع : الفليظ الرقبة ، وهى علامة للقوة . يقول : إنها غضبت من تنقصه لها ، وأنها لا تصلح للحرب ، فأجابته بصوت أفزعه لشدته وقسوته ، واستعالت من ظلى وادع إلى أسد قوى . (٨) العطب : الهلاك . (٩) الغلبا : جمع غلبة (بضم الأول) وهى حد السيف أو السنان .

(١) أَخْدِمُ الْجَرْحَى وَأَقْضِي حَقَّهُمْ * وَأُوَاسِي فِي الْوَعَى مَنْ نُكِبَا

(٢) هَكَذَا (الْمَيْكَادُ) قَدْ عَلَّمَنَا * أَنْ نَرَى الْأَوْطَانَ أُمَّا وَأَبَا

مَلِكٌ يَكْفِيكَ مِنْهُ أَنَّهُ * أَنْهَضَ الشَّرْقَ فَهَزَّ الْمَغْرِبَا

(٣) وَإِذَا مَارَسَتْهُ أَلْفَيْتُهُ * حَوْلًا فِي كُلِّ أَمْرٍ قُلْبَا

كَانَ وَالتَّاجِ ضَغِيرَيْنِ مَعَا * وَجَلَّالُ الْمُلْكِ فِي مَهْدِ الصَّبَا

فَقَدَا هَذَا سَمَاءً لِلْعُلَا * وَغَدَا ذَلِكَ فِيهَا كَوْكَبَا

(٤) بَعَثَ الْأُمَمَةَ مِنْ مَرْقَدِهَا * وَدَعَاهَا لِلْعُلَا أَنْ تَدَابَا

(٥) فَسَمَتْ لِلْجِدِّ تَبْنِي شَأُوهُ * وَقَضَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَارَبَا

(٦) الحرب اليابانية الروسية

[نشرت في ١٠ نوفمبر سنة ١٩٠٤ م]

(٧) أَمَّا حَاجَةُ لِلْحَرْبِ أَمْ تَحْشَرُ * وَمَوْرِدُ الْمَوْتِ أَمْ الْكَوْثَرُ؟

(٨) وَهَذِهِ جُنْدٌ أَطَاعُوا هَوَى * أَرْبَابِهِمْ ، أَمْ نَعَمْ تَحْشَرُ؟

- (١) الوعى : الحرب ، لما فيها من الصوت والجلبة . (٢) الميكادو : لقب لملك اليابان .
 (٣) الحول : الشديد الاحتيال ، لا تؤخذ عليه طريق إلا تقلد في أخرى . والقلب : البصير بقلب الأمور .
 (٤) تداب : تجدد في طلبها . (٥) الشاؤ : الغاية . (٦) هي تلك الحرب التي نشبت بين اليابان والروس بسبب احتلال الروس لمنشوريا ، وبدأت بنسف اليابانيين جزءا من الأسطول الروسى فى ميناء بورت آرثر فى ليلة ٩ فبراير سنة ١٩٠٤ م ، وانتهت فى سبتمبر سنة ١٩٠٥ م بصلح اعترف فيه بنفوذ اليابان فى كوريا ، وبجلاء الروس من منشوريا ، وبشروط أخرى فى صالح اليابانيين . (٧) الكوثر : النهر ، وسمى به نهر فى الجنة . شبه (فى الشطر الأول) كثرة المتحاربين وأزدحامهم على القتال بازدهام الناس يوم المحشر ؛ وشبه فى الشطر الثانى استعذاب الناس للوئ باستعذابهم للكوثر . (٨) النعم : الإبل والشاء والبقرة . يريد أن الأرواح قد رخصت فى هذه الحرب وكثر القتل فى الجنود حتى لم تتبين إن كان هؤلاء بشرًا يجب حقن دماهم أو أنعاما تنحر .

لِلَّهِ مَا أَقْسَى قُلُوبَ الْآلِي * قَامُوا بِأَمْرِ الْمَلِكِ وَاسْتَأْثَرُوا !
 (١) وَغَرَّهُمْ فِي الدَّهْرِ سُلْطَانُهُمْ * فَامْنَعُوا فِي الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرُوا
 (٢) قَدْ أَقْسَمَ الْبَيْضُ بِصُلْبَانِهِمْ * لَا يَهْجُرُونَ الْمَوْتَ أَوْ يُنْصَرُوا
 (٣) وَأَقْسَمَ الصُّفْرُ بِأَوْتَانِهِمْ * لَا يَغْمِدُونَ السَّيْفَ أَوْ يَنْظُرُوا
 (٤) فَادَّت الْأَرْضُ بِأَوْتَادِهَا * حِينَ آتَى الْبَيْضُ وَالْأَصْفَرُ
 وَأَتَمَّتْهَا نَحْرَةً مِنْ دَمٍ * يَلْهُو بِهَا (الْمِيكَادُ) وَالْقَيْصَرُ
 (٥) وَأَشْبَهَتْ يَوْمَ الْوَعَى أَخْتَهَا * إِذْ لَاحَ فِيهَا الشَّقُّ الْأَحْمَرُ
 (٦) وَأَصْبَحَتْ تَشْتَاكُ طُوفَانَهَا * لَعَلَّهَا مِنْ رَجْسِهَا تَطْهَرُ
 (٧) أَشْبَعَتْ يَأْخَرُ ذَنَابَ الْفَلَا * وَغَصَّتِ الْعِقَابُ وَالْأَنْسَرُ
 (٨) وَمِيرَتِ آلِ حَيْثَانُ فِي بَحْرِهَا * وَمَطْمَعُ الْإِنْسَانِ لَا يُقْدَرُ
 (٩) إِنْ كَانَ هَذَا الدُّبُّ لَا يَنْتَهِي * وَذَلِكَ التَّنِينُ لَا يُقْهَرُ

(١) آمن : بالغ وأبعد . (٢) يريد «بالبيض» : الروس .

(٣) يريد «بالصفر» : اليابانيين . (٤) مادت : تحركت واضطربت . وأوتاد الأرض :

جبالها . (٥) الضمير في «أشبهت» للأرض . ويريد «بأختها» : السماء .

(٦) الرجس : النجس . ومعنى هذا البيت مأخوذ من قول المعري :

والأرض للطوفان مشتاقة * لعلها من درن تغسل

(٧) غصت : امتلأت ونمت . والعقاب : جمع عقاب ، وهو طائر من الجوارح . والأنسر : جمع

نسر . يشير إلى كثرة ما تأكل هذه الجوارح والوحوش من جثث القتلى . (٨) ميرت ، أنى لها

بالهيرة ، أى بالطعام من جثث القتلى . ولا يقدر ، أى لا يحده ولا ينتهى . (٩) التنين : الحية

العظيمة . ويشير (بالدب) إلى روسيا ، و(التنين) إلى اليابان .

والبيضُ لا تَرْضَى بِخِذْلَانِهَا * وَالصُّفْرُ بَعْدَ الْيَوْمِ لَا تُكْسَرُ
 فَا لِئَلَيْكَ الْحَرْبُ قَدْ شَمَرَتْ * ^(١) عَنْ سَاقِهَا حَتَّى قَضَى الْعَسْكَرُ
 سَالَتْ نُفُوسُ الْقَوْمِ فَوْقَ الظُّبَا * ^(٢) فَسَالَتْ الْبَطْعَاءُ وَالْأَنْهَارُ
 وَأَصْبَحَتْ (مَكْدُنٌ) يَأْقُوتَةٌ * ^(٣) يَغَارُ مِنْهَا الدَّرُّ وَالْجَوْهَرُ
 يَأْقُوتَةٌ قَدْ قُومَتْ بَيْنَهُمْ * ^(٤) بِأَنْفُسٍ كَالْقَطْرِ لَا تُحْصَرُ
 أَهْنَى رَسُولُ الْمَوْتِ مَا بَيْنَهَا * حَيْرَاتٌ لَا يَدْرِي بِمَا يُؤْمَرُ
 عِزْرِيْلُ، نَهْلٌ أَبْصَرْتَ فَيَا مَضَى * وَأَنْتَ ذَاكَ الْكَيْسُ الْأَمْهَرُ
 كَذَلِكَ الْمِدْفَعُ فِي بَطْنِهِ * ^(٥) إِذَا تَبَعَالَى صَوْتُهُ الْمُتَسَكَّرُ
 تَرَاهُ إِنْ أَوْقَى عَلَى مُهْجَةٍ * ^(٦) لَا الدَّرْعُ يَنْثِيهِ وَلَا الْمِغْفَرُ
 أَمْسَى (كُرُوبَاتِكِينَ) فِي غَمْرَةٍ * ^(٧) وَبَاتَ (أَوِيَامَا) لَهُ يَنْظُرُ

- (١) قضى : هلك . ويريد الشاعر بهذا البيت والبيتين اللذين قبله أن الدولتين إذا كانتا قد تكافأتا في الشجاعة والقوة ، وصحمت كلتاهما على ألا تتخذل ، فقيم الحرب وإراقة الدماء ، والحرب لا تقوم إلا حيث يكون متصرون ومنهزم . (٢) الظبا : جمع ظبة ، وهي حد السيف أو السنان . والبطعاء : مسيل الماء فيه دفاق الحصى ، ويريد به هنا : الفضاء المتسع . (٣) مكدن : مدينة مشهورة في منشوريا ، وكانت بها الموقعة الفاصلة التي بدأت بيوم ٦ مارس سنة ١٩٠٥ م . واستمرت خمسة أيام ، وبلغ مجموع ما خسره الفريقان فيها عشرين ومائة ألف مقاتل ، بين قتل وجريح ، وأسرفها من الروس أربعون ألفا . يقول : إن هذا البلد قد غطيت أرضه بالدماء حتى أصبحت كأنها ياقوتة حمراء ترمى بالدُر والجوهر . (٤) يريد « بالأفقس » في هذا البيت : من قتل في هذه المدينة من الفريقين . (٥) كذلك ، متعلق « بأبصرت » . (٦) أرفى : أشرف . والمغفر : زرد يلبس تحت القلنسوة . (٧) كروباتكين : قائد الروس في تلك الحرب . وأوياما : قائد اليابان . والغمرة : الشدة التي تغمر الناس ، أى قسهم وتشملهم .

وَنَلَّتْ (الرُّوسُ) عَلَى جَمْرَةٍ * وَالْمَجْدُ يَدْعُوهُمْ أَلَا قَاصِرُوا
 وَذَلِكَ الْأَسْطُولُ مَا خَطْبُهُ * حَتَّى عَرَهُ الْقَسَزُ الْأَكْبَرُ^(١)
 أَكَلْنَا لَاحَ لَهُ سَائِجٌ * تَحْتَ الدُّجَى أَوْ قَارِبٌ يَخْرُ^(٢)
 ظَنُّ بِهِ (طُوجُو) فَأَهْدَى لَهُ * تَحِيَّةً (طُوجُو) بِهَا أَخْبَرُ^(٣)
 تَحِيَّةً مِنْ وَاجِدٍ شَيْقٍ * أَنْفَاسُهُ مِنْ حَرِّهَا تَزْفِرُ^(٤)
 فَهَلْ دَرَى الْقَيْصَرُ فِي قَصْرِهِ * مَا تَعْلُنُ الْحَرْبُ وَمَا تُضْمِرُ^(٥)
 فَكَمْ قَتِيلَ بَاتَ فَوْقَ الثَّرَى * يَنْشَابُهُ الْأُظْفُورُ وَالْمِنْسَرُ^(٦)
 وَكَمْ جَرِيحَ بَاسِطٍ كَفَّهُ * يَدْعُو أَخَاهُ وَهُوَ لَا يُبْصِرُ^(٧)
 وَكَمْ غَرِيقٍ رَاحَ فِي لُحْيَةٍ * يَهْوِي بِهَا الطُّودُ فَلَا يَظْهَرُ^(٨)
 وَكَمْ أَسِيرٍ بَاتَ فِي أَسْرِهِ * وَنَفْسُهُ مِنْ حَسْرَةٍ تَقْطُرُ
 إِنْ لَمْ تَرَوْا فِي الصَّلَاحِ خَيْرًا لَكُمْ * فَالْدَهْرُ مِنْ أَطْمَاعِكُمْ أَقْصَرُ

(١) يريد «بالأسطول» : أسطول روسيا . (٢) يخمر : يشق عباب الماء .

(٣) طوجو : أمير من أمراء البحر اليابانيين المعروفين بالقوة ، وهو الذي نسب أسطول بحر البلطيق الروسي في موقعة تسوشيا في ٢٧ مايو سنة ١٩٠٥ م ، وقضى بذلك على كل أمل للروس في هذه الحرب .

(٤) يريد «بالواجد الشيق» : المدفع . ويريد «بالتحية» : ما يصبه المدفع على السفينة من مقذوفاته ؛

ولا يخفى ما في هذا من التهم . (٥) يقول : هل علم القيصر وهو نائم مطمئن في قصره

بويلات الحرب ، ما ظهر منها وما بطن ، فثبته ذلك عن إثارته والاستمرار فيها . (٦) الأظفور :

الظفر . والمنسر (كجلس ومنبر) : منقار الطائر . يقول : إن القتلى أصبحوا فوق الثرى نهباً للسياح المقترسة

والطيور الكاسرة . (٧) الهبة : منظم البحر ، والطود : الجبل العظيم . يصف الهبة بالعمق بحيث

لو هوى فيها الجبل لم يظهر .

تَسُوءُنَا الْحَرْبُ وَإِنْ أَصْبَحَتْ * تَدْعُو رِجَالَ الشَّرْقِ أَنْ يَفْخَرُوا
 أَتَى عَلَى الشَّرْقِ حِينٌ إِذَا * مَا ذَكَرَ الْأَحْيَاءُ لَا يُذَكَّرُ
 وَمَرَّ بِالشَّرْقِ زَمَانٌ وَمَا * يَمُرُّ بِالْبَالِ وَلَا يَخْطُرُ
 حَتَّى أَعَادَ (الصُّفْرُ) أَيَّامَهُ * فَانْتَصَفَ الْأَسْوَدُ وَالْأَشْمَرُ
 فَرَحْمَةُ اللَّهِ عَلَى أُمَّةٍ * يَرَوِي لَهَا التَّارِيخُ مَا يُؤَثِّرُ^(١)

الى الامبراطورة أوجيني^(٢)

نظم هذه القصيدة إجابة لاقتراح صحيفة المؤيد على الشعراء أن ينظروا في هذه الامبراطورة، ويوازنوا بين مجيئها إلى مصر متكرة قزل في فندق سافواى بيورسعيد، ومجيئها قبل ذلك في سنة ١٨٦٩ في افتتاح قناة السويس، واستقبال الخديوى اسماعيل إياها استقبالا نفيا .

[نشرت في ٢٦ يناير سنة ١٩٠٥ م]

أَيَّنْ يَوْمُ (القَنَالِ) يَارَبَّةَ النَّجَا * جِ وَيَا شَمْسَ ذَلِكَ الْمَهْرَجَانِ ؟^(٣)
 أَرِنِ مَجْرَى الْقَنَالِ أَيْنَ يُمِيتُ الـ * حَالِ أَيْنَ الْعَزِيزُ ذُو السُّلْطَانِ ؟^(٤)

(١) يريد «بالأمة» هنا : مصر . ينحصر عليها ويندب ما فيها .

(٢) ولدت أوجيني في غرماطة في ٥ مايو سنة ١٨٢٦ م . وفي ٣ يناير سنة ١٨٥٣ تزوجها نابليون

الثالث . وكانت فيمن حضر إلى مصر لافتتاح قناة السويس سنة ١٨٦٩ ؛ وقد ألتقى الخديوى اسماعيل باشا في استقبالها الكثير من المال ؛ وبعد وفاة زوجها هجرت فرنسا إلى إنجلترا ، ثم تركت إنجلترا إلى مدريد ، وبها ماتت في ١١ يولييه سنة ١٩٢٠ م .

(٣) المهرجان : عيد الفرس ، ويطلق الآن على كل عيد .

(٤) مجرى القنال ، يريد اسماعيل باشا الخديوى . وإمالة المال : تخاية عن الإبراف والاتساع في البذل .

- (١) أين هارونُ مِصرَ؟ أين أبو الأش * بيا لرب القصور رب القيان؟
 (٢) أين لَيْثُ الجزيرة (ابن علي) * وإيهب الألف مكرم الضيفان؟
 أين ذا القصر بالجزيرة تجري * فيه أرزاقنا وتجبسو الأمان؟
 (٣) فيه للنخس كوكب مسرع السيد * يروللسعد كوكب متواني
 (٤) قد جرى النيل تحته بخشوع * وأنكسار وهابته الفتيان
 كنت بالأمس جنة الحور يا قصر * رُفأصبحت جنة الحيوان
 (٥) خطر الليث في فنائك يا قصر * رُوقد كنت مسرحا للحسان
 (٦) وعوى الذئب في نواحيك يا قصر * رُوقد كنت معقلا للسان
 (٧) وحباك الزوار بالمال يا قصر * رُوقد كنت مصدر الإحسان
 كنت تُعطي ، فمالك اليوم تُعطى * أين بانيك؟ أين رب المكان؟
 إن أطافت بك الخطوب فهذي * سنة الكون من قديم الزمان

- (١) هارون : هو هارون الرشيد الخليفة العباسي المعروف ، وشبه به إسماعيل في ترفه وبجاهه ، دمة سلطانه ، وما حفلت به أيامه من مجالس اللهو والفناء ، وما عرف به من كرم ومبغاء . والأشبال : أولاد إسماعيل . والقيان : الإماء المفضيات . (٢) يشير بقوله : «لَيْثُ الجزيرة» الى أن إقامة إسماعيل كانت بقصر الجزيرة الذي مارحديقة الحيوان ، كما يشير الشاعر الى ذلك بعد . وابن علي ، لأنه حفيد محمد علي . (٣) يريد أن صاحب هذا القصر اذا غضب فسرطان ما يزول غضبه ، وإذا أقبل طال إقباله ، فكانه في غضبه كوكب نحس ما طلع حتى قاب ، وفي رضاء كوكب سعد طويل الإقامة ، بطيء السير . (٤) الفتيان : الليل والنهار؛ يريد الدهر . (٥) الفناء : الساحة . (٦) معقل للسان ، أى حابس له عن الكلام هيبة لصاحب القصر وخوفا من بطشه . (٧) حباه : أعطاه . يشير الى ما يدفعه كل داخل الى حديقة الحيوان .

- (١)
رُبَّ بَابٍ نَأَى، وَرُبَّ بِنَاءٍ * أَسَلَّمَتْهُ النَّوَى إِلَى غَيْرِ بَابِي
(٢)
تلك حَالُ الْإِيوَانِ يَا رَبَّةَ النَّاسِ * جَ مَا حَالُ صَاحِبِ الْإِيوَانِ؟
(٣)
قَدْ طَوَاهُ الرَّدَى وَلَوْ كَانَ حَيًّا * لَمْ تَشَى فِي رِكَابِكَ الثَّقْلَانِ
(٤)
وَتَوَلَّتْ حِرَاسَةَ الْمَوَكِبِ الْأَسَدِ * نَحَى نَجْمُ السَّمَاءِ وَالنَّيِّرَانِ
إِنْ يَكُنْ غَابَ عَنِّ جَيْبِيكَ تَاجٌ * كَانَ بِالْغَرْبِ أَشْرَفُ التَّيْجَانِ
فَلَقَدْ زَانِكَ الْمَشِيبُ بِتَاجٍ * لَا يُدَانِيهِ فِي الْجَلَالِ مُدَانِي
ذَلِكَ مِنْ صَنْعَةِ الْأَنَامِ وَهَذَا * مِنْ صُلَيْعِ الْمُهَيِّمِينَ الدِّيَانِ
(٥)
كُنْتُ بِالْأَمْسِ ضَيْفَةً عِنْدَ مَلِكٍ * فَأَنْزَلَنِي الْيَوْمَ ضَيْفَةً فِي خَانٍ
(٦)
وَأَعْدَدُونَا عَلَى الْقُصُورِ، كِلَانَا * غَيْرَتُهُ طَوَارِيءُ الْحُدُثَانِ

- (١) نَأَى : بعد وذهب . والنوى : البعد . يقول : قد يذهب باني الدار ويخلقه عليها من لم يبقها .
(٢) يريد «بالإيوان» : القصر، وهو في الأصل الصفة العظيمة ؛ أجمعى معرب .
(٣) الردى : الهلاك والموت . والثقلان : الإنسان والجن . ويشير بهذا البيت والذي بعده إلى ما كان أعداهما اسماعيل باشا حين حضرت إلى مصر سنة ١٨٦٩ م ، في مهرجان فتح قناة السويس من ضروب الخفاوة والإكرام .
(٤) الأسنى ، من السناء ، وهو الرفعة . والنيران : الشمس والقمر .
(٥) الخان : الخانات . ويريد به هنا : الفندق . يريد أنها بعد أن كانت تنزل في قصر ملك أصبحت تنزل في الفنادق حيث ينزل عامة الناس .
(٦) القصور : التعمير . والحداث (بكر الحاء وسكون الدال) : النوائب . .

عيد تأسيس الدولة العلية

أنشدها في الحفل الذي أقيم في فندق (الكوتنتال) في مساء الجمعة ٢٦ يناير سنة ١٩٠٦ م

أَيُّحِي مَعَانِيكَ الْقَرِيضُ الْمَهْدُبُ * عَلَى أَنَّ صَدْرَ الشَّعْرِ لِلْمَدْحِ أَرْحَبُ
 لَقَدْ مَكَنَ الرَّحْمَنُ فِي الْأَرْضِ دَوْلَةً * لَعْنَانَ لَا تَعْفُو وَلَا تَتَشَعَّبُ^(١)
 بَنَاهَا فَظَنَّتْهَا الدَّرَارِي مَنَازِلًا * لِبَذْرِ الدُّجَى بُنَى وَلِلسَّعْدِ تُنْصَبُ^(٢)
 وَقَامَ رِجَالٌ بِالْإِمَامَةِ بَعْدَهُ * فَزَادُوا عَلَى ذَاكَ الْبِنَاءِ وَطَبَّوْا^(٣)
 وَرَدُّوا عَلَى الْإِسْلَامِ عَهْدَ شَبَابِهِ * وَمَدُّوا لَهُ جَاهًا يَرْجَى وَيَرْهَبُ^(٤)
 أَسْوَدُ عَلَى الْبُسْفُورِ تَحْيَى عَرِينَهَا * وَتَرَعَى نِيَامَ الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ يَرْقُبُ^(٥)
 لَهَا وَثَبَاتٌ تَحْتَ ظِلِّ هِلَالِهَا * كَمَا مَرَّ سَهْمٌ أَوْ كَمَا أَنْقَضَ كَوْكَبُ^(٦)
 إِذَا رَاعَاهَا مَسٌّ مِنَ الضَّمِيمِ يَخْتَلُّهَا * كَمَنْ رَاعَاهُ بِالْمَسِّ سِلْكُ مُكْهَرَّبُ^(٧)
 وَإِنْ هَزَّهَا ذَاكَ الْهِلَالُ لِحَادِثٍ * رَأَيْتَ قَضَاءَ اللَّهِ يَمْشِي وَيَرْكَبُ^(٨)
 إِذَا ضَاعَتِ الْأَحْسَابُ يَوْمًا لِمُعْرِيقٍ * فَعُثْنَانُ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ لَمْ أَبُ

- (١) عثمان ، هو عثمان بن أرطغرل مؤسس الدولة العثمانية ، وإليه تنسب ؛ ولد سنة ٦٥٦ هـ ، وتولى السلطنة سنة ٦٩٩ هـ ، وتوفي سنة ٧٢٦ هـ . وتعلم : تشدث ونحى . وتشعب : تنفرق .
 (٢) الدراري (بتشديد الداء وخففت للشمع) : الكواكب المضيئة العافية البياض ، الواحد دري .
 (٣) طنبوا البناء : مكثوه وزادوه منة وقوة . وأصل التظبيب : شد الخيطة بالأطواب ، وهي الحبال .
 (٤) العرين : مأوى الأسد . (٥) يريد « بهلالها » : رأيتها المرسوم فيها الهلال ، وهو شعار الدولة العثمانية . (٦) راعها : أفرعها . (٧) يشير بقوله « يمشي ويركب » : إلى مشاة الجيش وفرسانه . (٨) المعرق : الذي له عرق وأصل في الكرم .

(١) وإن تاه بالأبناء والبأس والد * فأولى الورى بالتيه ذاك المعصب^(١)
 (٢) فهذا سليمان وقانون عنده * على صفحات الدهر بالتبر يكتب^(٢)
 (٣) وذلك الذى أجرى السفين على الترى * وسار له فى البر والبحر مركب^(٣)
 (٤) على بابه العالى هناك تألفت * سطور لأقلام الجلالة تنسب^(٤)
 (٥) هنا فأخفوا الأبصار عرش محمد * هنا الفاتح الغازى الكى المدرب^(٥)
 (٦) وما كان من (عبد المجيد) إذ أختفى * بأكفافه (كوشوط) والخطب غيب^(٦)

- (١) المعصب : المتوج . (٢) سليمان ، هو سليمان القانونى ، السلطان العاشر من سلاطين آل عثمان ، وهو ابن السلطان سليم . ولد سنة ٨٩٠٠ . وتولى الملك سنة ٨٩٢٦ . ومات سنة ٨٩٧٤ . وقد لقب بالقانونى لأنه وضع قانونا للدولة تسير على مقتضاه .
- (٣) يشير بهذا البيت الى الطريقة التى اتبعها محمد الفاتح فى مهاجمة القسطنطينية ، وتسييره سفنه على البر حتى وصل بها الى القرن الذهبى . (٤) تألفت : أخضعت ولغت . (٥) الكى : الشجاع . ومحمد ، هو محمد الملقب بالفاتح ، وهو السلطان السابع من سلاطين آل عثمان . ولد سنة ٨٨٣٣ . وتولى الملك سنة ٨٨٥٥ وهو فى الحادية والعشرين من عمره ، فبادر بالنأهب لفتح القسطنطينية . وفى سنة ٨٨٥٧ — ١٤٥٣ م تم له فتحها ، وتوفى بجأفة سنة ٨٨٨٦ . ومدة ملكه إحدى وثلاثون سنة .
- (٦) القيب : الشديد السواد . وعبد المجيد ، هو السلطان الحادى والثلاثون من سلاطين آل عثمان ، ولد سنة ٨١٢٣٧ ، وتولى السلطنة سنة ٨١٢٥٥ بعد وفاة أبيه السلطان محمود ، وتوفى سنة ٨١٢٧٧ ، ومدة جلوسه اثنان وعشرون عاما . ويشير الشاعر بهذا البيت والذى بعده الى ما حدث سنة ١٨٤١ م ، وذلك أن جماعة من الفارين ، مابين بولونيين ومجريين ، التجأوا الى البلاد العثمانية ليمتنعوا فيها بالسكون والهدوء ، بعد أن نالهم الشىء الكثير من الظلم والاضطهاد والعذاب على أيدي النمساويين والروس الذين قمعوا الثورات الناشئة فى بولونيا والمجر ، وكان بين هؤلاء الفارين زعماء مشهورون ، منهم (كوشوط) المجرى المذكور فى هذا البيت ؛ وكان زعيم ثورة يقصد بها تحرير المجر ، فطلبت النمسا والروسيا من الدولة العثمانية تسليمهم ، فرفض ذلك السلطان عبد المجيد بحجة أن هذا التسليم لا تقره شريعة ولا خلق ، وعرضه فى ذلك سفير بريطانيا إذ ذاك ، فكان ذلك سببا لقطع العلاقات بين الدولة العلية وبين النمسا وروسيا ؛ ولولا ظهور الأسطولين الإنجليزى والفرنسى فى مياه الدردنيل لتفاقم الخطب ووقعت الحرب .

يُنَادِيهِمْ : أَمَّا تَزِيلِي فِدُونَهُ * حَيَاتِي ، وَأَمَّا صَارِي فَمُشْطَبُ^(١)
 فَإِنْ كَانَتْ الْحُسْنَى فَإِنِّي سَمَاؤُهَا * وَإِنْ كَانَتْ الْاُخْرَى فَشُدُّوا وَجَرُّوا
 كَذَلِكَ كَانُوا يَسْتَقِرُّونَ فِي الذَّرَا^(٢) * وَأَعْدَاؤُهُمْ فِي الْغَرْبِ تَشَقَّى وَتُنْكَبُ^(٣)
 فَكَمْ طَلَبُوا مِنْهُمْ أَمَانًا فَأَمَّنُوا * وَأَمْسَى لَهُمْ فِي الشَّرْقِ مَسَرَّى وَمَسْرَبُ^(٤)
 فَكَانَ أَمَانَ الْقَوْمِ وَالشَّرْقُ مَشْرِقُ * فَأَضْحَى أَمْتِيَّازَ الْقَوْمِ وَالشَّرْقُ مَغْرِبُ^(٥)
 يَقُولُونَ : فِي هَذِي الرُّبُوعِ تَعْصَبُ * وَأَيُّ مَكَانٍ لَيْسَ فِيهِ تَعْصَبُ ؟
 يَا شَرْقُ إِنَّ الْغَرْبَ إِنْ لَانَ أَوْ قَسَا * فَبِهِ مِنْ الصَّهْبَاءِ طَبَعٌ مُذَوَّبُ^(٦)
 - نَخَفَ بِأَسْهَاهُ فِي الرَّأْسِ وَالرَّأْسُ يَضْطَلِي * وَخَفَ ضَعْفَهَا فِي الْكَاسِ وَالْكَاسُ تُطْرَبُ
 وَيَا غَرْبُ إِنَّ الدَّهْرَ يَطْفُو بِأَهْلِهِ * وَيَطْوِيهِ تَيَّارُ الْقَضَاءِ فَيَرْسِبُ^(٧)
 أَرَاكَ مَقَرَّ الطَّامِعِينَ كَأَنَّمَا * عَلَى كُلِّ عَرْشٍ مِنْ عُرُوشِكَ (أَشْعَبُ)

(١) الصارم : السيف القاطع . والمشطب : الذي فيه شطب ، وهي الخطوط والطرائق التي في نعله .

(٢) الذرا : جمع ذروة (بالكسر والضم) ، وهي المكان المرتفع .

(٣) الضمير في « طلبوا » يعود على قوله « أعداؤهم » في البيت السابق . ومنهم ، أي من آل عثمان .

والمسرب : المذهب والطريق .

(٤) يريد « بالقوم » : الافرنج . ويشير بهذا البيت والذي قبله إلى ما نالوه من بعض سلاطين آل عثمان من منح أعطيت لهم لتيسير سبل التجارة ، وتأمينهم على أقدسهم وأموالهم في بلاد الشرق ، أيام قوة الدولة العثمانية ، ثم صارت هذه المنح بعد ضعفها امتيازات تمسك بها الغربيون وأردت بها تركيا ورعاياها .

(٥) الصهباء : الخمر . (٦) يطفو : يعلو . ويرسب : يهبط ويسفل .

(٧) أشعب : رجل من المدينة كان مولى لعثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه ؛ وبضرب به المثل

في الطمع ، ف يقال : « أطمع من أشعب » .

(١١) حادثة دنشواي

[نشرت في ٢ يولييه سنة ١٩٠٦ م]

(٢) أَيُّهَا الْقَائِمُونَ بِالْأَمْرِ فِينَا * هَلْ نَسِيتُمْ وِلَاءَنَا وَالْوِدَادَا
(٣) خَفَضُوا جَيْشَكُمْ وَنَامُوا هَنِيئًا * وَابْتَغُوا صَيْدَكُمْ وَجُوبُوا الْبِلَادَا
(٤) وَإِذَا أَعَوَزْتُمْ ذَاتُ طَلُوقٍ * بَيْنَ تِلْكَ الرُّبَا فِصِيدُوا الْعِبَادَا
(٥) إِنَّمَا تَحْنُ وَالْحَمَامُ سَوَاءٌ * لَمْ تُغَايِرْ أَطْلُوقُنَا الْأَجْيَادَا
لَا تَنْظُنُّوا بِنَا الْعُقُوقَ وَلَكِنْ * أَرْشِدُونَا إِذَا ضَلَّلْنَا الرُّشَادَا
(٦) لَا تُقِيدُوا مِنْ أُمَّةٍ بِقَتِيلٍ * صَادَتْ الشَّمْسُ نَفْسَهُ حِينَ صَادَا
جَاءَ جَهَائُنَا بِأَمْرِ وَجَيْتُمْ * ضِعْفَ ضِعْفَيْهِ قَسْوَةً وَأَشْتِدَادَا

(١) في يوم الأربعاء ١٣ يونيو سنة ١٩٠٦ م ، قام نخبة من الضباط الإنجليز من معسكرهم ، وقصدوا إلى بلدة دنشواي بإقليم المنوفية من أعمال مركز تلا ، لصيد الحمام ، وهناك أصيب بعض الأهلين فاصطدموا بالإنجليز ؛ فأصيب بعض الضباط بإصابات أفضت إلى الموت ، فتأثرت ثائرة اللورد كرومر عميد الدولة البريطانية إذ ذاك ، وعقدت المحكمة المخصصة لمحاكمتهم ، وكان المدعى العمومي فيها إبراهيم الملباوي بك الحامي المعروف ؛ وقضت هذه المحكمة بإعدام أربعة من الأهلين ، وحبس ثمانية منهم . وقضت الإعدام والجلد في نفس البلد على مرأى ومسمع من أهله ، وكان في ذلك الحكم وفي تنفيذه من القسوة ما أثار الأقس وأطلق السنة الوطنيين وزعماء النهضة بما يجيش في النفوس من أسمى وحسرة . (٢) الخطاب في هذا البيت وما بعده للإنجليز . (٣) جاب البلاد : قطعها . (٤) ذات الطلوق : الحمامة المطوقة ، لأن لها طوقاً حول عنقها ، وهولون يخالف سائر لونها . (٥) يريد « بالأطواق » في هذا البيت : أغلال الأسر والاستعباد . والأجياد : الأعناق ؛ الواحد جيد . (٦) يقال : أقاد الأمير القاتل بالقتيل ، إذا قتله به . ويشير بهذا البيت إلى ما قرره الأطباء من أن وفاة الضابط الإنجليزي كانت بضربة الشمس ، لا بإصابة أحد .

أَحْسِنُوا الْقَتْلَ إِن صَنِتُمْ بِعَفْوٍ * أَقْصَا أَرَدْتُمْ أَمْ كِيَادَا؟
 أَحْسِنُوا الْقَتْلَ إِن صَنِتُمْ بِعَفْوٍ * أَنْفُوسًا أَصَبْتُمْ أَمْ جَمَادَا؟
 لَيْتَ شِعْرِي أَتِلْكَ (مَحْكَمَةُ التَّفْ) . تَيْشِ) عَادَتْ أَمْ عَهْدُ (نِيرُون) عَادَا؟
 كَيْفَ يَحْلُو مِنْ الْقَوَى التَّشْفَى * مِنْ ضَعِيفٍ أَلْقَى إِلَيْهِ أَلْقِيَادَا؟
 إِنَّهَا مُثَلَّةٌ تُشْفَى عَنِ الْغِيَا * بِظِ وَلسْنَا لَفِيظِكُمْ أَنْدَادَا
 أَكْرِمُونَا بِأَرْضِنَا حَيْثُ كُنْتُمْ * إِنَّمَا يُكْرِمُ الْجَوَادُ الْجَوَادَا
 إِنَّ عِشْرِينَ حِجَّةً بَعْدَ نَحْسٍ * عَلَّمْتَنَا السُّكُونَ مَهْمَا تَمَادَى
 أُمَّةُ النَّيْلِ أَكْبَرَتْ أَنْ تُعَادَى * مِنْ رَمَاهَا وَأَشْفَقَتْ أَنْ تُعَادَى
 لَيْسَ فِيهَا إِلَّا كَلَامٌ وَإِلَّا * حَسْرَةً بَعْدَ حَسْرَةٍ تَهَادَى

* * *

أَيُّهَا الْمُدْعَى الْعُمُومِيُّ مَهْلًا * بَعْضَ هَذَا فَقَدْ بَلَّغْتَ الْمُرَادَا
 قَدْ ضَمِنَّا لَكَ الْقَضَاءَ بِمِضْرٍ * وَضَمِنَّا لَنَجْلِكَ الْإِسْعَادَا

(١) تعرف محاكم التفتيش بالقسوة والظلم واضطهاد الناس ومصادرة أملاكهم، ثم إحراقهم من غير أن تترك لهم فرصة للدفاع عن أنفسهم؛ وقد استغلت تلك المحاكم في اضطهاد العرب في إسبانيا في آخر أيامهم بها حتى تم جلاؤهم عنها في سنة ١٦٠٩ م ونيرون، هو الملك الروماني المعروف بالظلم والقسوة والاستبداد، وما ينسب إليه أنه أحرق مدينة روما، وكان يوم إحراقها يشاهد النيران تأكل المدينة وأهلها، فيسرب هذا المنظر كأنما ينظر إلى رواية تمثل في ملهى من الملاهى . (٢) المثلة (بالضم) : التمثيل . وتشف : تكشف وتبين . والأنداد : النظراء ؛ الواحد ند (بكسر النون) . (٣) الحجة : السة . (٤) أشفقت : خشيت . (٥) المدعى العمومي : إبراهيم الحلباري بك . (٦) يشير إلى ما كان يقال من أن الحلباري بك كان قد وعد بأن يكون بعد من رجال القضاء لدفاعه عن الإنجليز في هذه الحادثة .

فَإِذَا مَا جَلَسْتَ لِلْحُكْمِ فَادْكُرْ * عَهْدَ (مِصْرٍ) فَقَدْ شَفَيْتَ الْفُؤَادَا
 (١)
 لَا بَرَى النَّيْلُ فِي نَوَاحِيكَ يَا (مِصْرُ) * وَلَا جَادَكَ أَحْيَا حَيْثُ جَادَا
 (٢)
 أَنْتِ أَنْبَتِ ذَلِكَ النَّبْتُ يَا (مِصْرُ) * فَأَضْحَى عَلَيْكَ شَوْكًَا قَتَادَا
 (٣)
 أَنْتِ أَنْبَتِ نَاعِقًا قَامَ بِالْأَمِّ * سِيسَ فَأَدْمَى الْقُلُوبَ وَالْأَكْبَادَا
 (٤)
 إِيهِ يَا مِذْرَةَ الْقَضَاءِ وَيَا مَنْ * سَادَ فِي غَفْلَةِ الزَّمَانِ وَشَادَا
 أَنْتِ جَلَادُنَا فَلَا تَنْسَ أَنَا * قَدْ لَيْسْنَا عَلَى يَدَيْكَ الْحَدَادَا

استقبال اللورد كرومر عند عودته من مصيفه بعد حادثة دنشواي^(٥)

[نشرت في ١٧ أكتوبر سنة ١٩٠٦ م]

(٦) (قَصْرَ الدُّبَارَةِ) هَلْ أَنْتَ حَدِيثُنَا * فَالْشُّرْقُ رِيحَ لَهْ وَضَحَّ الْمَغْرِبُ
 (٧) أَهْلًا بِسَايِكَ الْكَرِيمِ وَمَرْحَبًا * بَعْدَ التَّحِيَّةِ إِنِّي أَتَعَبُ
 نَقَلْتُ لَنَا الْأَسْلَاكَ عَنْكَ رِسَالَةً * بَائِتُ لَهَا أَحْشَاؤُنَا تَتَلَهَّبُ

- (١) الحيا : المطر . (٢) القناد : شجر صلب له شوك كالإبر . يخاطب مصر بأنها أحسنت إلى بعض أبنائها وبرت بهم ، فأساءوا إليها وجحدوا نعمتها . (٣) يريد « بالناعق » : المدعى العمومي في هذه القضية . والتعيق (بالعين المهملة ، وفي كتب اللغة أنه بالغين المعجمة أفصح) : صياح الغراب . (٤) المدره : خطيب القوم والمتكلم عنهم . (٥) انظر الكلام على الحادثة التي وقعت في هذا البلد (في الحاشية رقم ١ من صفحة ٢٠ من هذا الجزء) . (٦) ريع (بالباء للجهول) : من الروع ، وهو الفزع . يخاطب في هذا البيت القصر مریدا صاحبه . (٧) التعب ، هو تواصف الموجدة ، ومخاطبة المدلين أخلاهم طالين حسن مراجعتهم ، ومذاكرتهم ما كره بعضهم من بعض .

- (١) ماذا أقول وأنت أصدق ناقل * عنا ولكن السياسة تكذب
 (٢) علمتنا معنى الحياة فما لنا * لا نشرب لها وما لك تقضب
 (٣) اتقمت منا أن نحس ؟ وإنما * هذا الذي تدعو إليه وتندب
 (٤) أنت الذي يعزى إليه صلاحنا * فيما تقرر له لديك وتكتب
 (٥) إن ضاق صدر النيل عما هاله * يوم الحمام فإن صدرك أرحب
 (٦) أوكلما باح الحزين بأنه * أمست إلى معنى التعصب تنسب !
 (٧) رفقا عميد الدولتين بأمة * ضاق الرجاء بها وضاق المذهب
 (٨) رفقا عميد الدولتين بأمة * ليست بغير ولايها تتعذب
 (٩) إن أرهقوا صيادكم فلعلهم * للقوت لا للمسلمين تعصبوا
 (٩) ولربما ضن الفقير بقوة * وسخا بمهجته على من يغضب

(١) يشير بهذا البيت والذي قبله إلى مقتطفات من تقرير اللورد كرومر عن مصر قلها البرق إلى الصحف المصرية ، وفيها يطعن على المصريين ويصفهم بأنهم لا يراعون جميلا . (٢) نشرب لها : نتطلع إليها . والأشرباب (في الأصل) : مد العنق للنظر . (٣) ندبه إلى الأمر : دعاه إليه . (٤) يعزى : ينسب . يشير إلى ما كان يكتبه اللورد كرومر في تقريراته من أنه هو الذي جلب الخير والرفاهية لمصر . (٥) يوم الحمام ، أى يوم صيد الحمام الذى سبب حادثة دنشواى المعروفة . (٦) الأنة : من الأنين ، وهو التآوه . ويشير بهذا إلى ما وجه إلى المسلمين في مصر من التعصب الدينى ، وأن ذلك التعصب كان السبب في قتل الإنجليز في دنشواى . (٧) عميد الدولتين ، أى عميد الدولة الإنجليزية والمصرية . (٨) أرهقوا صيادكم : اعتدوا عليه وآذوه . ويريد « بالصياد » : أحد ضباط الإنجليز الذين كانوا يتصيدون الحمام في دنشواى ولاقى حتفه هناك . (٩) ضن : بخل . وسخا بمهجته ... الخ ، أى بذل نفسه في دفع من يغصبه طعامه . ويشير بهذا إلى ما حدث من بعض هؤلاء الصيادين ، حين أطلقوا النار على الحمام فأحرقت بعض أجزان القمح هناك .

فِي (دُنْشَوَايَ) وَأَنْتَ عَنَّا غَائِبٌ * لَعِبَ الْقَضَاءُ بِنَا وَعِزَّ الْمَهْرَبُ
 حَسِبُوا النَّفُوسَ مِنَ الْحَمَامِ بَدِيلَةً * قَسَّابَقُوا فِي صَبْدِهِنَّ وَصَوَّبُوا
 نَكَبُوا وَأَقْفَرَتِ الْمَنَازِلُ بَعْدَهُمْ * لَوْ كُنْتَ حَاضِرَ أَمْرِهِمْ لَمْ يَنْكَبُوا
 خَلَيْتَهُمُ وَالْقَاسِطُونَ بِمَرْصِدٍ * وَمَسِيَّاتُهُمْ وَجِبَالُهُمْ تَنَاهَبُ
 جُلِدُوا وَلَوْ مَنِيَّتَهُمْ لَتَعَلَّقُوا * بِجِبَالٍ مِّنْ شُنُقُوا وَلَمْ يَتَهَيَّبُوا
 شُنُقُوا وَلَوْ مَنَحُوا الْخِيَارَ لِأَهْلُوا * بَلَقَى سَيَاطِ الْجَالِدِينَ وَرَحِبُوا
 يَتَحَاسَدُونَ عَلَى الْمَمَاتِ، وَكَأُسُهُ * يَنُوبُ الشَّفَاهِ وَطَعْمُهُ لَا يَعْذِبُ
 مَوْتَانِ : هَذَا عَاجِلٌ مُتَمَرِّدٌ * يَرْنُو ، وَهَذَا آجِلٌ يَتَرَقَّبُ
 وَالْمُسْتَشَارُ مُكَائِرٌ بِرِجَالِهِ * وَمُعَاجِزٌ وَمُنَاجِزٌ وَمُحْزَبٌ
 يَخْتَالُ فِي أَتْحَائِهَا مُتَبَسِّمًا * وَالْدَّمْعُ حَوْلَ رِكَابِهِ يَتَصَبَّبُ

(١) يقال : صَوَّبَ السهم نحو الرمية (بتشديد الياء) ، إذا سَدَّده .

(٢) القاسطون : الظالمون الجائرون عن الحق ، قال الله تعالى : (وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا) . والمرصد : المرقب .

(٣) منيتهم ، أى خيرتهم فيما يمتنون من أخف أنواع العذاب .

(٤) أهلوا ورحبوا ، أى قالوا : أهلا ومرحبا . ومعنى البين : أن كلا من جلد وشنق رأى في عذابه من الشدة ما تمنى معه أن يستبدل به عذاب أخيه . والظى : النار ؛ وقيل : لها . (٥) المتتمر : الغاضب ، تشبها له بالنمر ، لأن من عادته ألا يفاك دائما إلا متنكرا غضبان . ويرنو : ينظر .

(٦) يريد «المستشار» هنا : المستر يوند الإنجليزي ، وهو من قضاء المحكمة التى حكمت على متهمى دنشواى . والمعاجز : من عاجزت الرجل ، إذا آتيت بما يجعله عاجزا . والمناجز : المقاتل المبارز . ومحزب ، أى يفرق أعوانه ، فبعضهم يتولى أمر الجلد ، والبعض يتولى أمر الشنق ... الخ .

(١)
 طَاحُوا بِأَرْبَعَةٍ فَأَرَدُوا خَامِسًا * هُوَ خَيْرٌ مَا يَرْجُوا الْعَمِيدُ وَيَطْلُبُ
 حُبٌّ يُحَاوِلُ غَرَسَهُ فِي أَنْفُسِ * يُجْنَى بِمَغْرِسِهَا الشَّاءُ الطَّيِّبُ
 كُنْ كَيْفَ شِئْتَ وَلَا تَكِلْ أَرْوَاحَنَا * لِلشُّشَارِ فَإِنَّ عَدْلَكَ أَخْصَبُ
 وَأَفْضَ عَلَى (بُنْدٍ) إِذَا وَلِيَ الْقَضَا * رِقْقًا يَهْشُ لَهُ الْقَضَاءُ وَيَطْرَبُ
 قَدْ كَانَ حَوْلَكَ مِنْ رِجَالِكَ نُجْبَةٌ * سَاسُوا الْأُمُورَ فَدَرَبُوا وَتَدَرَبُوا
 (٢)
 أَقْصَيْتَهُمْ عَنَّا وَجِئْتَ بِفِتْيَةٍ * طَاشَ الشَّبَابُ بِهِمْ وَطَارَ الْمَنْصِبُ
 فَاجْعَلْ شِعَارَكَ رَحْمَةً وَمَوَدَّةً * إِنَّ الْقُلُوبَ مَعَ الْمَوَدَّةِ تُكْتَسَبُ
 وَإِذَا سُئِلْتَ عَنِ الْيَكَاةِ قُلْ لَهُمْ * هِيَ أُمَّةٌ تَلْهُو وَشَعْبٌ يَلْعَبُ
 (٣)
 وَأَسْتَبِقْ غَفْلَتَهَا وَنَمَّ عَنْهَا تَنَمَّ * فَالنَّاسُ أَمْثَالُ الْحَوَادِثِ قَلْبُ

شكوى مصر من الاحتلال

[نشرت في أول يناير سنة ١٩٠٧ م]

(٤)
 لَقَدْ كَانَ فِينَا الظُّلْمُ فَوْضَى فَهَذَّبَتْ * حَوَاشِيهِ حَتَّى بَاتَ ظُلْمًا مُنْظَا
 (٥)
 تَمَنَّ عَلَيْنَا الْيَوْمَ أَنَّ أَخْصَبَ الثَّرَى * وَأَنْتَ أَصْبَحَ الْمِصْرَى حُرًّا مِنْهَا

(١) طاحوا بأربعة، أى ذهبوا بنفوسهم، وأردوا: أهلكوا، ويريد «بالتناس» : الحب المذكور في البيت الآتي . (٢) أقصيتهم : أبعدتهم . وطار المنصب، أى خفت أحلامهم من الغرور بمناصبهم . (٣) قلب، أى متقلبون لا يثبتون على حال واحدة . والذي وجدناه في كتب اللغة أن القلب : صفة للفرد أى المتقلب كيف شاء ، وقد أخبر الشاعر به عن الناس مراعاة للفظ ، ومنه قول الشاعر : ولقد سمعت من الحياة وطولها * ومسؤال هذا الناس كيف ليد ؟

(٤) الحواشي : النواحي . وتهذيبها : إصلاحها . (٥) تمنى : يخاطب عميد الدولة الإنجليزية . ويشير إلى ما كان يكتبه ذلك العميد في تقريراته من صلاح حال مصر ورفاهتها بفضل الإنجليز .

- (١) أَعِدَّ عَهْدَ (إِسْمَاعِيلَ) جَلْدًا وَسُخْرَةً * فَإِنِّي رَأَيْتُ الْمَنَ أَنْكَى وَالْمَا
عَمِلْتُمْ عَلَى عِزِّ الْجَمَادِ وَذُلِّنا * فَأَغْلَيْتُمْ طِينًا وَأَرْخَضْتُمْ دَمًا
(٢) إِذَا أَخْصَبَتْ أَرْضٌ وَأَجْدَبَ أَهْلُهَا * فَلَا أَطْلَعَتْ نَبْتًا وَلَا جَادَهَا السَّمَاءُ
(٣) نَهَشَ إِلَى الدِّينَارِ حَتَّى إِذَا مَشَى * بِهِ رَبُّهُ لِلْسُّوقِ أَلْفَاهُ دِرْهَمًا
فَلَا تَحْسِبُوا فِي وَفْرَةِ الْمَالِ - لَمْ تُفِدْ * مَتَاعًا وَلَمْ تَعِصْ مِنَ الْفَقْرِ - مَغْنَمًا
(٤) فَإِنَّ كَثِيرَ الْمَالِ وَالْخَفْضُ وَارِفٌ - * قَلِيلٌ إِذَا حَلَّ الْغَلَاءُ وَخَبِيًّا

وداع اللورد كرومر

قالها عند استقالة اللورد وضمنها آراء الناس في سياسته

[نشرت في ٢٧ أبريل سنة ١٩٠٧ م]

- (٥) قَتَى الشَّعْرَ هَذَا مَوْطِنُ الصَّدِيقِ وَالْهُدَى * فَلَا تَكْذِيبُ التَّارِيخَ إِنْ كُنْتَ مُنْشِدًا
(٦) لَقَدْ حَانَ تَوْدِيعُ الْعَمِيدِ وَإِنَّهُ * حَقِيقٌ بِتَشْيِيعِ الْمُحِبِّينَ وَالْعِيدَا

(١) يشير بهذا البيت إلى ما كان يرذده عميد الدولة الإنجليزية وغيره من ساسة الإنجليز من تفضيل عهد احتلالهم على ما قبله من اليهود، ولا سيما عهد إسماعيل، ممتنين على المصريين بأنهم قد أزالوا عنهم ما كان يحيق بهم من المظالم قبل احتلالهم، من تسخير الناس وجلد ظهورهم. (٢) جادها السماء أي نزل عليها المطر. (٣) هش إليه : ارتاح وبش. ويشير بهذا إلى غلاء الحاجات وارتفاع أثمانها، حتى إن الدينار ينزل إلى قدر الدرهم في الشراء. (٤) الخفض : سعة العيش ورغده. والوارف : المتسع. يقول : إن كثرة الأموال مع ارتفاع الأسعار وغلاء الحاجات لا تنفي شيئاً. (٥) قَتَى الشعر، يريد نفسه. (٦) العميد، هو عميد الدولة الإنجليزية في مصر، وهو اللورد كرومر، وقد بقي بها ما يزيد على أربعة وعشرين عاماً، فقد حضر إليها في سبتمبر سنة ١٨٨٣ م. وتركها في سنة ١٩٠٧ م. وحقيق : جدير.

(١) فودَّعَ لَنَا الطُّودَ الَّذِي كَانَ شَانِحًا * وَشَيَّعَ لَنَا الْبَحْرَ الَّذِي كَانَ مُزِيدًا
 وَزَوَّدَهُ عَنَّا بِالْكَرَامَةِ كُلِّهَا * وَإِنْ لَمْ يَكُنْ بِالْبَاقِيَاتِ مُزِيدًا
 فَلِمَ لَا تَرَى الْأَهْرَامَ يَا نِيلُ مِيدًا * وَفِرْعَوْنَ عَنْ وَاْدِيكَ مُرْتَحِلٌ غَدًا؟^(٢)
 كَأَنَّكَ لَمْ تَجْزَعْ عَلَيْهِ وَلَمْ تُكُنْ * تَرَى فِي حِمَى فِرْعَوْنَ أَمْنًا وَلَا جَدًّا^(٣)
 سَلَامٌ وَلَوْ أَنَا نُسِيءُ إِلَى الْآلَى * أَسَاءُوا إِلَيْنَا مَا مَدَدْنَا لَهُمْ يَدًا
 سَنُطْرِي أَيَادِيكَ الَّتِي قَدْ أَفْضَتْهَا * عَلَيْنَا فَلَسْنَا أُمَّةً تَجْحَدُ الْيَدَا^(٤)
 أَمِنَّا فَلَمْ يَسْلُكْ بِنَا الْخَوْفُ مَسْلَكًا * وَنَمِنَّا فَلَمْ يَطْرُقْ لَنَا الدُّعْرُ مَرَقَدًا
 وَكُنْتَ رَحِيمَ الْقَلْبِ تَحْتِي ضَعِيفَنَا * وَتَدْفَعُ عَنَّا حَادِثَ الدَّهْرِ إِنْ عَدَا
 وَلَوْلَا أَسَى فِي (دِنْشَوَايَ) وَلَوْعَةٌ * وَفَاجِعَةٌ أَهَمَّتْ قُلُوبًا وَأَصْغَبَتْ^(٥)
 وَرَمِيكَ شَعْبًا بِالتَّعْصِبِ غَافِلًا * وَتَصْوِيرُكَ الشَّرْقِ غَيْرًا مُجَرَّدًا^(٦)

- (١) الطود : الجبل العظيم . والشانح : المرتفع . والمزيد : الذي يقذف بالزبد (بالتحريك) ، وهو ما يعلو الماء من الرغوة ، ولا يكون ذلك إلا عند هيجان البحر وثورانه . شبه الشاعر اللورد بالجبل العظيم في رسوخه في السياسة وعلو شأنه ، كما شبهه بالبحر المزيد في ثورته وغضبه .
- (٢) ميدا : مائلة مضطربة ، الواحد مائد . وشبه كرومر بفرعون ، لما كانت يعرف به من الجبروت .
- (٣) الجدا (بفتح الجيم وتخفيف الدال) : العطاء . (٤) نظري : نمدح . والأيدى : النعم . وأفضتها : أجزيتها . ويشير في هذا البيت والبيتين اللذين بعده إلى مآثر اللورد في مصر ، من نشر الأمن في ربوع البلاد ، والأخذ بناصر الضعفاء ، وإنصافهم من ظلم الأقوياء .
- (٥) الأسى : الحزن . وانظر التعريف بجادة دنشواي (في الحاشية رقم ١ من صفحة ٢٠ من هذا الجزء) .
- (٦) رميك ، أى آتاهمك . والنر : الذي لا تجربة له بالأمور لقصر نظره . ومجردا ، أى غير مزود بأسباب النهوض والجلد .

لَذُنْبَنَا أَسَى يَوْمَ الْوَدَاعِ لَأَنَّا * نَرَى فِيكَ ذَاكَ الْمُصْلِحَ الْمُتَوَدِّدَا
تَسَعَّبَتِ الْآرَاءُ فِيكَ فَقَائِلُ * أَفَادَ الْغِنَى أَهْلَ الْبِلَادِ وَأَسْعَدَا
وَكَانَتْ لَهُ فِي الْمُصْلِحِينَ سِيَاسَةٌ * تَرْخِصُ فِيهَا تَارَةً وَتَشَدِّدَا ^(١)
رَأَى الْعِزَّ كُلَّ الْعِزِّ فِي بَسْطَةِ الْغِنَى * فَحَارَبَ جَيْشَ الْفَقْرِ حَتَّى تَبَدَّدَا ^(٢)
وَأَمْتَعَكُمْ بِالنَّيْلِ فَهُوَ مَبَارَكُ * عَلَى أَهْلِهِ ، خِصْبًا وَرِيًّا وَمَوْرِدَا ^(٣)
وَسَنُّ لَكُمْ حُرِّيَّةَ الْقَوْلِ عِنْدَ مَا * رَأَى الْقَوْلَ فِي أَسْرِ السُّكُوتِ مُقِيدَا ^(٤)
وَأَخْرَجْتُمْ يَقْصِرُ عَلَى الْمَالِ هَمُّهُ * يَرَى أَنَّ ذَاكَ الْمَالَ لَا يَكْفُلُ الْهَدَى ^(٥)
فَلَا يَتَّخِذُ الْإِثْرَاءَ حَتَّى يَزِينَهُ * بَعْلِمُ ، وَخَيْرُ الْعِلْمِ مَا كَانَ مُرْشِدَا ^(٦)
يُنَادِيكَ قَدْ أَزْرَيْتُ بِالْعِلْمِ وَالْحِجَا * وَلَمْ تُبْقِ لِلتَّعْلِيمِ يَا (رُدُّ) مَعْهَدَا ^(٧)
وَأَنَّكَ أَخْصَبْتَ الْبِلَادَ تَعْمُدَا * وَأَجْدَبْتَ فِي مِصْرَ الْعُقُولَ تَعْمُدَا ^(٨)
قَضَيْتَ عَلَى أُمَّ اللُّغَاتِ وَإِنَّهُ * قَضَاءٌ عَلَيْنَا أَوْ سَبِيلٌ إِلَى الرَّدَى ^(٩)

(١) ترخص : لان وسهل . (٢) بسطة الغنى : سمته .

(٣) يشير بهذا البيت إلى الإصلاحات المتعلقة بالرى وتحسين النظم فى صرف مياه النيل التى أجريت

فى عهد اللورد كرومر . (٤) سن : شرع . يشير بهذا البيت إلى حرية الصحافة فى عهد اللورد .

(٥) وآخر : معطوف على قوله السابق : « فقائل » . ويقصر ، أى يجبس . وهمه ،

أى همته وعزمه . (٦) الإثراء : كثرة الأموال .

(٧) أزرى به : تهاون به ووضع من شأنه . (٨) يريد « بأم اللغات » : اللغة العربية .

ويشير إلى ما كان فى عهد اللورد كرومر من جعل دراسة أكثر العلوم فى المدارس باللغة الإنجليزية .

والردى : الهلاك .

- (١) ووافيت والقطران في ظل راية * فما زلت (بالسودان) حتى تمردا
 (٢) فطاح كما طاحت (مصوع) بعده * وضاعت مساعينا بأطاعكم سدى
 (٣) حجبت ضياء الصحف عن ظلماته * ولم تستقل حتى حجبت (المؤيدا)
 (٤) وأودعت تقرير الوداع مغامرا * رأينا جفاء الطبع فيها مجسدا
 غمزت بها دين النبي وإننا * لنغضب إن أغضبت في القبر (أحمدا)
 (٥) يتاديك أين للنايغون بعهدكم * وأى بناء شاخ قد تجددا
 (٦) فما عهد (إسماعيل) والعيش ضيق * بأجذب من عهدكم سأل عسجدا
 (٧) يتاديك ولت الوزارة هيئة * من الصم لم تسمع لأصواتنا صدى
 فليس بها عند التشاور من قتي * أبى إذا ما أصدر الأمر أورد

- (١) وافيت ، أى حضرت إلى مصر . والقطران : مصر والسودان . ويريد « بالراية » :
 الراية المصرية . وتمرد : عصى وخرج عن الطاعة . يشير بهذا البيت إلى رأى السياسة البريطانية الذى
 أشارت به على مصر من إخلاء السودان فى سنة ١٨٨٤م عند ما ثار المهدي ، حتى استفحل أمره وانتشرت
 دعوته ، وتآلبت معظم القبائل على الحكومة ؛ وقد أعيد فتحه بعد ذلك بالجيشين المصرى والإنجليزى
 فى سنة ١٨٩٧م . (٢) طاح ، أى ذهب وضاع . ومصوع : ثمر معروف على البحر الأحمر ، وقد كان
 فى يد مصر ، ثم اضطرت إلى إخلائه أيام الحروب السودانية ، فضمته إيطاليا إلى أملاكها بموافقة إنجلترا .
 (٣) ظلماته ، أى ظلمات السودان ؛ ويريد ظلمات الجهل التى فيه . ويشير الشاعر إلى ما حدث
 فى عهد اللورد كرومر من منع بعض الصحف المصرية ، ومنها صحيفة المؤيد ، من دخول السودان خوفا من
 نشر الدعاية ضد الإنجليز . (٤) المغامر : المطاعن . ويشير الشاعر إلى ما ذكره اللورد كرومر
 فى تقريره عن مصر ، حين تركها ، من طعن على المصريين . (٥) يتاديك ، أى هذا الآخر الذى
 سبق ذكره فى قوله : « وآخر لم يقصر... الخ » . (٦) العسجد : الذهب الخالص .
 (٧) الصدى : ما يرجع من الصوت إذا خرج ووجد ما يجبهه ؛ ولذلك يقال له : رجع الصدى .

- (١) رَبِّكَ مَاذَا صَدَّنَا وَلَوْ بِنَا * عَنِ الْقَصْدِ إِنْ كَانَ السَّبِيلُ مُمَهَّدًا؟
 (٢) أَشَرْتَ بِرَأْيٍ فِي كِتَابِكَ لَمْ يَكُنْ * سَدِيدًا وَلَكِنْ كَانَ مَهْمًا مُسَدَّدًا
 (٣) وَحَاوَلْتَ إعْطَاءَ الْغَرِيبِ مَكَانَهُ * تَجَرُّعَيْنَا الْوَيْلَ وَالذُّلَّ مَرْمَدًا
 (٤) فَيَاوَيْلَ مِصْرَ يَوْمَ تَشْقَى بِندَوَةٍ * يَبِيتُ بِهَا ذَاكَ الْغَرِيبُ مُسَوَّدًا
 (٥) أَلَمْ يَكْفِنَا أَنَّا سُلْبُنَا ضِيَاعَنَا * عَلَى حِينٍ لَمْ نَبْلُغْ مِنَ الْفِطْنَةِ الْمَدَى
 (٦) وَزَاخَنَا فِي الْعَيْشِ كُلِّ مُمَارِسٍ * خَيْرٌ وَكُنَّا جَاهِلِينَ وَرُقْدًا
 وما الشَّرَكَاتُ السُّودُ فِي كُلِّ بَلَدَةٍ * سِوَى شَرِكٍ يُلْقَى بِهِ مَنْ تَصِيدَا
 (٧) فَهَذَا حَدِيثُ النَّاسِ وَالنَّاسُ الْعَمَلُ * إِذَا قَالَ هَذَا، صَاحَ ذَاكَ مَقْنَدًا
 وَلَوْ كُنْتُ مِنْ أَهْلِ السِّيَاسَةِ بَيْنَهُمْ * لَسَجَلْتُ لِي رَأْيًا وَبُلَّغْتُ مَقْصِدًا
 وَلَكِنِّي فِي مَعْرِضِ الْقَوْلِ شَاعِرٌ * أَضَافَ إِلَى التَّارِيخِ قَوْلًا مُخَلَّدًا
 (٨) فَيَايُهَا الشَّيْخُ الْجَلِيلُ تَحِيَّةٌ * وَيَايُهَا الْقَصْرُ الْمُنِيفُ تَجَلَّدَا
 لَنْ ظَبَّ هَذَا اللَّيْثُ عَنْكَ لِعَلَّةٍ * لَقَدْ لَبِثْتُ آثَارَهُ فِيكَ شُهَدَا

(١) لوى به عن القصد، أى صرفه عنه . يقول : إن صح ما يقال من أنك أحسنت السياسة في مصر ورليت أمورها أكفاءها، فإلنا نخوف عن القصد ونسير في غير النهج .
 (٢) المسدد : المصوب نحو الهدف . (٣) السرمد : الدائم . (٤) الندوة : المكان يجتمع فيه القوم للتشاور . ويشير إلى ما كان يراد من إنشاء مجلس للشورى يختلط من المصريين والأجانب . (٥) المدى : الغاية . ويشير بهذا البيت إلى ما استولى عليه الأجانب من أراضينا الزراعية بما نصبوه من أشراك الديون ذوات الفوائد المرحقة . (٦) مارس الأمر : عاينه وزاوله . يشير في هذا البيت إلى أرباب الاقتصاد الخبيرين باكتساب المال واستثماره من الأجانب، ويجهل المصريون بهذا الفن . (٧) مقندا : مكذبا بجهلا . (٨) يريد قصر الدوبارة الذي كان يسكنه العميد .

(١) استقبال السير غورست

قالها في استقباله عند مجيئه إلى مصر معتمدا للدولة الإنجليزية خلفا للورد كرومر

يبحث فيها آلام المصريين وآمالهم

[نشرت في ١٠ أكتوبر سنة ١٩٠٧ م]

(٢)

بَنَاتِ الشَّعْرِ بِالنَّفَحَاتِ جُودِي * فُهَذَا يَوْمٌ شَاعِرِكَ الْمُحِيدِ

(٣)

أَطْلَى وَأَسْفِرِي وَدَعِينِهِ يُحْيِي * بِمَا تُوحِينِ أَيَّامَ الرَّشِيدِ

إِذَا مَا جَلَّ قَدْرُكَ عَنْ هُبُوطِ * مُرِيهِ إِلَى سَمَائِكَ بِالصُّعُودِ

وَأَوَّلِي ذَلِكَ الْفَانِي يَبَانًا * يَتِيَهُ بِهِ عَلَى أَهْلِ الْخُلُودِ

(٤)

وَحُلَّى عُقْدَةً مِنْ أَصْغَرِيَةِ * يَلْنُ لُتَافِهِ قَائِمِي الْحَدِيدِ

(٥)

فَمَا أَنَا وَاقِفٌ بِرُسُومِ دَارٍ * أَسْأَلُهَا وَلَا كَكَلْفٍ يُرُودِ

وَلَا مُسْتَتِرٌ لِهَيْثَةٍ بِمَنْجٍ * وَلَا مُسْتَنْجِزٌ حَرَّ الْوَعُودِ

وَلِيَكُنِّي وَقَفْتُ أَنْوَحُ نَوْحًا * عَلَى قَوْمِي وَأَهْتِفُ بِالنَّشِيدِ

(٦)

وَأَذْفَعُ عَنْهُمْ بِشَبَابِ يَرَاعٍ * يُصُولُ بِكُلِّ قَافِيَةٍ شُرُودِ

(١) ولد غورست سنة ١٨٦١ م، وتوفي في يولييه سنة ١٩١١ م. وكان مستشارا لوزارة المالية من

سنة ١٨٩٨ م إلى سنة ١٩٠٤ م. وفي سنة ١٩٠٧ م عين عميدا للدولة الإنجليزية مكان اللورد كرومر.

(٢) بنات الشعر: معانيه وخواطره. ويريد «بالشاعر المجيد»: نفسه. (٣) سمرت المرأة

تسفر (من باب ضرب): كشفت عن وجهها. ويريد «بالرشيد»: هارون الرشيد الخليفة العباسي المعروف؛

وخصه بالذكر لكثرة من كان في زمنه من الشعراء المجيدين. (٤) الأصفران: القلب واللسان.

(٥) رسوم الدار: آثارها. والكلف: المولع بالشئ، الشديد الحب له. والرزد (بالهمز وسهلت):

الشابة الحسنة. (٦) شبا اليراع: سن القلم. وقافية شرود، أي سائرة ذائعة.

- (١) بَنَاتُ الشَّعْرِ إِنِّ هِيَ أَسْعَدَتْنِي * شَكَّوتُ مِنَ الْعَمِيدِ إِلَى الْعَمِيدِ
(٢) وَلَمْ أَتَّخِذْ عَوَارِفَهُ وَلَكِنْ * رَأَيْتُ الْمَنَّ دَاعِيَةً إِلَى الْخُسُودِ
(٣) أَذِيقُونَا الرَّجَاءَ فَقَدْ ظَمِئْنَا * بَعْدَ الْمُصْلِحِينَ إِلَى الْوُرُودِ
(٤) وَمُنُوا بِالْوُجُودِ فَقَدْ جَهِئْنَا * بِفَضْلِ وَجُودِكُمْ مَعْنَى الْوُجُودِ
(٥) إِذَا أَعْلَوَى الصَّيَاحُ فَلَا تَلْمُنَا * فَإِنَّ النَّاسَ فِي جُهِدٍ جَهِيدٍ
(٦) عَلَى قَدْرِ الْأَذَى وَالظُّلْمِ يَعْلُو * صِيَاحُ الْمُشْفِقِينَ مِنَ الْمَزِيدِ
(٧) جِرَاحٌ فِي النُّفُوسِ نَغْرَنَ نَغْرًا * وَكُنَّ قَدْ انْدَمَلْنَ عَلَى صَدِيدِ
(٨) إِذَا مَا هَاجَهُنَّ أَسَى جَدِيدٌ * هَتَّكْنَ سَرَائِرَ الْقَلْبِ الْجَلِيدِ
(٩) إِلَى مَنْ نَشَتِي عَنَّتِ اللَّيَالِي * إِلَى (الْعَبَّاسِ) أَمْ (عَبْدِ الْحَمِيدِ)؟
(١٠) وَدُونَ جَاهُهَا قَامَتْ رِجَالٌ * تَرَوُّعُنَا بِأَصْنَافِ الْوَعِيدِ

- (١) أسعدتني : أعانتني . وفي كتب اللغة : أن «شكا» يتعدى بنفسه لا بالحرف .
(٢) العوارف : النعم ؛ الواحدة عارفة . وفي البيت تعريض بما كان يمتن به اللورد كرومر على المصريين من أنه أنهضهم وأصلح من أحوالهم .
(٣) الخطاب في «أذيقونا» للخطين . وفي قوله : «بعهد المصلحين» تهكم ظاهر .
(٤) اعْلُو : علا .
(٥) المشفقون : الخائفون .
(٦) نغرا الجرح : سال دمه . واندمل : التام .
(٧) السرائر : جمع سريرة ، وهي ما يسره الإنسان من أمره . والجليد : الصبور .
(٨) العنت : الأذى والمشقة .
(٩) روعه : أخافه وأفرعه .

- (١) فَا جِئْنَا نَطَاوِلُكُمْ بِجَاهٍ * يُطْوِلُكُمْ وَلَا رُكْنٌ شَدِيدٌ
 (٢) وَلَا بَنَّا نُمَاجِزُكُمْ بَعْلِمٍ * يَبِينُ بِهِ الْغَوِيُّ مِنَ الْرَّشِيدِ
 (٣) وَلَكِنَّا نَطَالِبُكُمْ بِحَقِّ * أَضْرَبَّا هَسْلَهُ تَقْضُ الْهُودِ
 (٤) رَمَانَا صَاحِبُ التَّقْرِيرِ ظُلُمًا * بِكُفْرَانِ الْعَوَارِفِ وَالْكُنُودِ
 وَأَقْسَمَ لَا يُجِيبُ لَنَا نِدَاءً * وَلَوْ جِئْنَا بِقُرَآنٍ مُجِيدٍ
 (٥) وَبَشَّرَ أَهْلَ مِصْرٍ بِأَحْثِلَالٍ * يَدُومُ عَلَيْهِمْ أَبَدَ الْأَيِّدِ
 (٦) وَأَنْبَتَ فِي النُّفُوسِ لَكُمْ جَفَاءً * تَعَهَّدَ بِمُنْهَلِ الصُّدُودِ
 (٧) فَأَثْمَرَ وَحْشَةً بَلَّغَتْ مَدَاهَا * وَزَكَّاهَا بِأَرْبَعَةِ شُهُودِ
 (٨) قَتِيلُ الشَّمْسِ أَوْرَثَنَا حَيَاةً * وَأَيَّقَظَ هَاجِعَ الْقَوْمِ الرُّقُودِ
 فَلَيْتَ (كُرُومَرًا) قَدْ دَامَ فِينَا * يُطَوِّقُ بِالسَّلَاسِلِ كُلِّ جِيدِ

- (١) طاوله بجأه : فأنخر به . وطاله يطوله : علاه وارتفع عليه . ويريد « بالركن الشديد » :
 العزة والمنعة . والخطاب في هذا البيت وما بعده للإنجليز .
 (٢) نماجركم : نأتى بما يعجزكم . (٣) يريد « باليهود » : وعود سياسة الإنجليز بالجلء عن مصر .
 (٤) صاحب التقرير ، هو اللورد كرومر ، وكان قد آتهم المصريين في أحد تقاريراته التي كان يرفعها
 لدولته بعدم الاعتراف بحجيل الدولة البريطانية عليهم . والكُنُود : الكفر بالنعمة .
 (٥) أباد الأبيد ، أى أباد الدهر . (٦) المنهل : المطريشتد أنصبابه .
 (٧) يريد « بالشهود الأربعة » : من أعدموا في دنشواى ، فهم بما لقوا شهود عدول على ظلم العميد .
 (٨) قتييل الشمس : الضابط الإنجليزى الذى مات في حادث دنشواى بضربة الشمس ، وآتهم
 الأهلون بقتله . والهاجع : النائم . يريد أن ما أصاب الناس من العذاب بسبب هذا القتييل جعلهم
 يهبون ويستيقظون الى المطالبة بالحرية .

وَيُخَفِّ (مُضَرَّ) أَنَا بَعْدَ آيٍ * يَجْلُودُ وَمَقْتُولٍ شَهِيدٍ
 لِنُتْرَعَ هَذِهِ الْأَكْفَانِ عَنَّا * وَتُبْعَتْ فِي الْعَوَالِمِ مِنْ جَدِيدٍ
 رَمَى (دَارَ الْمَعَارِفِ) بِالرَّزَايَا * وَجَاءَ بِكُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ
 يُلْدِلُ بِحَوْلِهِ وَيَتِيَهُ تَيْهًا * وَيَعْبِثُ بِالنُّهَى عِبَثَ الْوَلِيدِ
 فَبَدَّدَ شَمْلَهَا وَأَدَالَ مِنْهَا * وَصَاحَ بِهَا : سَبِيلُكَ أَنْ تَبِيدِي
 هَبُّوا (دَنُلُوبَ) أَرْحَبَكُمْ جَنَانًا * وَأَقْدَرَكُمْ عَلَى تَرْعِ الْحُقُودِ
 وَأَعْلَى مِنْ (غِلَادَسْتُونَ) رَأْيَا * وَأَحْكَمَ مِنْ فَلَاسِفَةِ (الْهُنُودِ)
 فَلَمَّا لَا يُطِيقُ لَهُ جِوَارًا * وَقَدْ أَوْدَى بِنَا أَوْ كَادَ يُودِي
 مَلَيْنَا طُولَ صُحْبَتِهِ وَمَلَّتْ * سَوَابِقُنَا مِنَ الْمَشْيِ الْوَيْدِ
 بِحَمْدِ اللَّهِ مُلْكُكُمْ كَبِيرٌ * وَأَنْتُمْ أَهْلُ مَرَحْمَةٍ وَجُودِ
 خُذُوهُ فَأَمْتِعُوا شَعْبًا سَوَانَا * بِهَذَا الْفَضْلِ وَالْعِلْمِ الْمُفِيدِ

(١) كل جبار عنيد : يريد مستشار المعارف إذ ذاك ، وهو المستر دانلوب وأعوانه .

(٢) الحول : القوة .

(٣) أدال منها : أذلها وأذهب عزها ودولتها . وتبید : تهاك .

(٤) الجنان : القلب .

(٥) غلادستون ، هو وليم غلادستون . ولد بليفربول في التاسع والعشرين من شهر سبتمبر

سنة ١٨٠٩ م ، وكان من ساسة الانجليز المشهورين ، وتولى وزارة المالية مرتين ، ثم كان رئيسا لمجلس

التواب ، ثم رأس الوزارة الانجليزية أربع مرات . وتوفي في ١٩ مايو سنة ١٨٩٨ م .

(٦) السوابق : الخيل التي تجيء سابقة في الحلبة ؛ ويريد بهم أعلام الأمة ونوابها . والويد من

المشي : البطيء منه .

- (١) إذا استوزرت فاستوزر علينا * قتي (كالفضل) او (كأبن العميد)
 (٢) ولا تثقل مطاءً بمستشار * ينجد به عن القصد الحميد
 (٣) وفي الشورى بنا داء عهيد * قد استعصى على الطب العهيد
 شيوخ كلها همت بأمر * زارتم دونه زار الأسود
 (٤) لحى بيضاء يوم الرأي هانت * على حمر الملايس والحدود
 (٥) أترضى أن يقال - وأنت حر - * بأنك قين هاتيك القيود؟
 (٦) وهل في دار ندوتكم أناس * بهذا الموت أو هذا الجمود؟
 فنع غضاضة التاميز عنا * كفانا سائغ النيل السعيد
 (٧) أرى أحداثكم ملوكوا علينا * (بمصر) موارد العيش الرغيد

- (١) الفضل ، هو أبو العباس الفضل بن مهمل أخو الحسن بن مهمل ، أسلم على يد المأمون في سنة ١٩٠ هـ . وكان وزيراً للرشد ، وكان يلقب بذي الرياستين لأنه كان رب القلم والسيوف . ومات مقتولاً يوم الخميس ثاني شعبان سنة ٢٠٢ هـ . وابن العميد ، هو الوزير أبو الفضل محمد بن الحسين بن العميد الفارسي الأصل ، وزر لركن الدولة أبي علي بن بويه ، والد عضد الدولة المشهور في سنة ٣٢٨ هـ ، فساس دولته ووطد أركانها ، وما زال في وزارته محط رجال الشعراء والأدباء والعلماء حتى توفي سنة ٣٦٠ هـ . وخص الفضل وابن العميد لتشجيعهما العلم والأدب . (٢) المطا : الظاهر . يرغب إلى العميد البريطاني أن يجعل على وزارة المعارف أمثال الفضل وابن العميد ، على ألا يشل أيديهم بمستشار (كدنلوب) .
 (٣) العهيد : القديم الذي أتى عليه عهد طويل . يقول إن مجلس الشورى في مصر عيوباً قديمة استعصى شفاؤها من قديم على المصلحين . (٤) يريد « بالحي البيضاء » : أعضاء مجلس الشورى والجمعية العمومية . و « حمر الملايس والحدود » : الانجليز . وكان بما تميز به جنودهم إذ ذاك الأكسية الحمراء .
 (٥) القين : الحداد . (٦) دارندوتكم ، يريد بها مجلس العموم البريطاني . ويشير بهذا البيت والأبيات الأربعة التي قبله إلى ضعف رأى مجلس الشورى والجمعية العمومية ، لأن الحكومة كانت حرة في قبول رأيها أو رده . (٧) الرغيد : الواسع الطيب .

وقد ضيقنا بهم وأبيك ذرعاً * وضاق بجمعهم ذرع البريد
 أكل موظف منكم قدير * على التشريع في ظل العبيد؟
 فضغ حدا لهم وأنظر إلينا * إذا أنصفتنا نظر الودود^(١)
 وخبرهم وأنت بنا خير * بأن الدل شيشنة العبيد
 وأنت نفوس هذا الخلق تآبى * لغير إلهها ذل السجود^(٢)
 وول أمورنا الأخيار منا * تثب بهم إلى الشاؤ البعيد^(٣)
 وأشركتنا مع الأخيار منكم * إذا جلسوا لإيقام الحدود
 وأسعدنا بجامعة وشيد * لنا من مجد دولتك المشيد^(٤)
 وإن أنعمت بالإصلاح فابدأ * بتلك فإنها بيت القصيد
 وفرج أزمة الأموال عنا * بما أوتيت من رأي سيد
 وسل عنها (اليهود) ولا تسلنا * فقد ضاقت بها حيل (اليهود)
 إذا ما نأح في (أسوان) بك * سمعت آنين شاك في (رشيد)
 جميع الناس في البلوى سواء * بأذن الثغر أو أعلى الصعيد^(٥)
 تدارك أمة بالشرق أمست * على الأيام عائرة أبحدود

(١) الشيشنة : العادة والطبيعة . (٢) الشاؤ : الغاية . (٣) يلاحظ أنه لم يرد
 في كتب اللغة « إيقام » بياء بعد الهزة كما في هذا البيت . والذي ورد « إقام » بدون ياء
 مصدر أقام . (٤) بتلك ، أى بالجامعة المصرية ، ولم تكن قد أنشئت إذ ذاك .
 (٥) عائرة الحدود : أى تاعسة الحظوظ .

وَأَيْدٍ مِصْرَ وَالسُّودَانَ وَأَغَمَّ * ثَنَاءَ الْقَوْمِ مِنْ بَيْضِ وَسُودِ
 (١) وَمَا أَدْرِي وَقَدْ زَوَّدْتُ شِعْرِي * وَظَنِّي فِيكَ بِالْأَمَلِ الْوَطِيدِ
 (٢) أَجِئْتُ تَحْوَطُنَا وَتَرُدُّ عَنَّا * وَتَرْفَعُنَا إِلَى أَوْجِ السُّعُودِ؟
 (٣) أَمِ اللُّرْدُ الَّذِي أَنْحَى عَلَيْنَا * أَتَى فِي ثَوْبٍ مُعْتَمِدٍ جَدِيدِ؟

تحيّة العام الهجرى

[سنة ٨١٣٢٧ هـ - يناير سنة ١٩٠٩ م]

أَطَّلَ عَلَى الْأَكْوَانِ وَالْخَلْقِ تَنْظُرُ * هِلَالُ رَأَاهُ الْمُسْلِمُونَ فَكَبَرُوا
 (١) تَجَلَّى لَهُمْ فِي صُورَةٍ زَادَ حُسْنُهَا * عَلَى الدَّهْرِ حُسْنًا أَنَّهُا تَتَكَرَّرُ
 (٢) وَبَشَّرَهُمْ مِنْ وَجْهِهِ وَجَيْبِيْنِهِ * وَغُرَّتِهِ وَالنَّاطِرِينَ مَبَشَّرُ
 (٣) وَأَذْكَرَهُمْ يَوْمًا أَغْرَّ مُحَجَّلًا * بِهِ تَوَجَّحَ التَّارِيخُ وَالسَّعْدُ مُسْفِرُ
 (٤) وَهَاجَرَ فِيهِ خَيْرُ دَائِعٍ إِلَى الْهَلْدَى * يَحْفَ بِهِ مِنْ قُوَّةِ اللَّهِ عَسْكَرُ
 (٥) يُمَاشِيهِ جِبْرِيلُ وَتَسْعَى وَرَاءَهُ * مَلَائِكَةُ تَرْعَى خُطَاهُ وَتَخْفِرُ
 (٦)

- (١) الوطيد : الثابت القوى . و « بالأمل » متعلق بـ « زودت » . (٢) حاطه يحوطه : حفظه وتعاهده . (٣) أنحى علينا ، أى أقبل علينا بالشدة والقسوة والعنف . (٤) تجلى : ظهر وتكشف . (٥) يقال : يوم أغر محجل ، إذا كان مشهورا . وأصل هاتين الصفتين من النعوت المحمودة في الخليل ، الأغر منها : ما كان في جبهته بياض . والمحجل : ما كان البياض في قوائمه . والمسفر : المضيء المشرق . ويريد بهذا اليوم : يوم هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة . (٦) يماشيه : يمشى معه . وتخفر : تحرس .

يَسْرَاهُ بِرَهَانٍ مِنْ اللَّهِ سَاطِعٌ * هُدًى، وَيُمْنَاهُ الْكِتَابُ الْمَطْهُرُ
فَكَانَ عَلَى أَبْوَابِ (مَكَّةَ) رَكْبُهُ * وَفِي (يَثْرِبِ) أَنْوَارُهُ تَتَفَجَّرُ^(١)
مَضَى الْعَامُ مَيُّونَ الشُّهُورِ مُبَارَكًا * تَعَدَّدُ آثَارُهُ لَهُ وَتَسْطُرُ^(٢)
مَضَى غَيْرَ مَذْمُومٍ فَإِنْ يَذْكُرُوا لَهُ * هَنَاتٍ فَطَبَعَ الدَّهْرُ يَصْفُو وَيَكْدُرُ^(٣)
وَأِنْ قِيلَ أَوْدَى بِالْأُلُوفِ أَجَابَهُمْ * مُجِيبٌ : لَقَدْ أَحْيَا الْمَلَائِكِينَ فَانْظُرُوا^(٤)
إِذَا قَيْسَ إِحْسَانُ أَمْرِي بِإِسَاءَةٍ * فَأَرَبَى عَلَيْهَا فَلِلْإِسَاءَةِ تَغْفِرُ^(٥)
فَفِيهِ أَفَاقَ النَّائِمُونَ وَقَدْ أَثَّتْ * عَلَيْهِمْ كَأَهْلِ الْكَهْفِ فِي النَّوْمِ أَغْصُرُ^(٦)
وَفِي عَالَمِ الْإِسْلَامِ فِي كُلِّ بُقْعَةٍ * لَهُ أَثَرٌ بَاقٍ وَذِكْرٌ مُعْطَرُ^(٧)
سَلُّوا (الْتَرِكَ) عَمَّا أَدْرَكُوا فِيهِ مِنْ مَنَى * وَمَا بَدَّلُوا فِي الْمَشْرِقَيْنِ وَغَيْرُهُمَا
وَأِنْ لَمْ يَقُمْ إِلَّا (نِيَازِي) وَ(أَنُورُ) * فَقَدْ مَلَأَ الدُّنْيَا (نِيَازِي) وَ(أَنُورُ)^(٨)
تَوَاصَوْا بِصَبْرِ ثُمَّ سَلُّوا مِنْ الْجَمَا * سُبُوقًا وَجَدُوا جِدَّهُمْ وَتَدَبَّرُوا^(٩)

(١) يثرب : الاسم القديم لمدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم . وشبه انبثاق الأنوار بتفجر الماء .

(٢) الهنات : الهفوات البسرة التي تحمل أمثالها (٣) أودى بهم : أهلكهم .

(٤) أربى : زاد . (٥) يشير بقوله « أفاق النائمون » : إلى بعض الشعوب

التي هبت في العام المتحدث عنه طالب بحريتها ودستورها بعد أن سكنت على الذل والاستعباد مدة طويلة ، ومن هذه الشعوب : الشعب التركي والفارسي والمصري ، كما يشير الشاعر إلى ذلك بعد .

فشبه سكوتهم فيما مضى بنوم أهل الكهف . (٦) نيازي وأنور : بطلان معروفاً من

أبطال جمعية الاتحاد التركية ، وقد ألبا بلاء حسناً في إعادة الدستور إلى أمثالها .

(٧) تواسوا ، أى الترك . والتواصى : أن يوصى القوم بعضهم بعضاً . والجماء : العقل . وجدوا

جدهم ، أى اجتهدوا ونابروا .

- (١) فسادوا وشادوا للهلال منازلاً * على هامها سعد الكواكب ينثر
(٢) تجلّ بها (عبد الحميد) بوجهه * على شعبه والشاه خزيان ينظر
سلام على (عبد الحميد) وجيشه * وأمتيه ما قام في الشرق منبر
(٣) سلوا (الفرس) عن ذكري أياديه مندهم * فقد كان فيه (الفرس) عمياً فأبصروا
(٤) جلاهم وجه الحياة فشاقتهم * فباتوا على أبوابها وتجهروا
(٥) ينادون أنت منى علينا بنظرة * وأحي قلوبا أوشكت تنفطر
(٦) كلاتنا مشوق والسبيل ممد * إلى الوصل لولا ذلك المتغشيم
(٧) أطل علينا لا تخافي فإننا * يسرك أوفى منه حولا وأقدر
(٨) سلام عليكم أمة (الفرس) إنكم * خليقون أن تحبوا كراما وتفخروا
(٩) ولا أقرى (الشاه) السلام فإنه * يريق دماء المصلحين ويهدر
(١٠) وفيه هوى (عبد العزيز) وعرشه * وأخنى عليه الدهر والأمر مدير

(١) الهام : الروس ، الواحدة هامة . (٢) الشاه : ملك العجم . ووصفه بالخزي لأنه لم يعط
أمة الدستور أسوة بالترك . (٣) أياديه ، أي أيادي العام ونعمه عليهم . (٤) استعمال
« النجمهر » بمعنى التجمع ، كما في هذا البيت استعمال شائع في كلام عصرنا ، ولم نجد هذه الصيغة بهذا المعنى
في أراجمناه من كتب اللغة التي بين أيدينا والصواب : « وتجهروا » بإسقاط الهاء وتشديد الميم ، أي
مجمعوا . (٥) منى ، خطاب للحياة . وتنفطر : تشقق . (٦) المتغشيم : المتمر الظالم ،
يريد شاه العجم . (٧) الحول : القوة . يقول : إننا بسبب إدراكنا سر الحياة حين نألفها أقوى وأقدر من
ذلك الظالم الجبار الذي يحول بيننا وبينها . (٨) خليقون : جديرون . (٩) يشير بهذا البيت إلى ما كان
يصبه الشاه على زعماء النهضة وطلاب الحرية في فارس من أنواع العذاب والقتل . (١٠) وفيه ، أي
في هذا العام المنصرم (سنة ١٣٢٦ هـ - ١٩٠٨ م) . وهوى : سقط . وعبد العزيز ، هو سلطان مرا كش .
(انظر التعريف به في الحاشية رقم ٣ من صفحة ٦ من هذا الجزء) . وأخنى عليه الدهر : أتى عليه وأهلكه .

(١) وَلَا تَجِبْ أَنْ تُلْ عَرْشُ مُمْلِكٍ * قَوَائِمُهُ عُدُودٌ وَدُفٌّ وَمِزْهَرٌ
 (٢) فَأَلْقَى إِلَى (عَبْدِ الْحَفِيزِ) بِتَاجِهِ * وَمَرَّ عَلَى أَذْرَاجِهِ يَتَعَثَّرُ
 وَقَامَ بِأَمْرِ الْمُسْلِمِينَ مُوَفَّقٌ * عَلَى عَهْدِهِ (مُرَاحِكُش) تَتَحَضَّرُ
 (٣) فِي دَوْلَةِ (الْأَفْغَانِ) كَانَتْ شُهُورُهُ * وَأَيَّامُهُ بِالسَّعْدِ وَالْيَمْنِ تَزْهَرُ
 (٤) أَقَامَ بِهَا وَالْعُدُودُ رَيَّانُ أَخْضَرٍ * وَفَارَقَهَا وَالْعُدُودُ فَيَّانُ مُثْمَرُ
 (٥) وَعَوَّذَهَا بِاللَّهِ مِنْ شَرِّ طَائِعٍ * إِذَا مَارَمَى (إِدْوَرْدُ) أَوْرَاشَ (قَيْصَرُ)
 (٦) وَفِيهِ نَمَتْ فِي (الْهِنْدِ) لِلْعِلْمِ نَهْضَةٌ * أَرَى تَحْتَهَا سِرًّا خَفِيًّا سَيَظْهَرُ
 (٧) فَتَجْرِي إِلَى الْعَلْيَاءِ وَالْمَجْدِ شَوْطَهَا * وَيُنْخَصِبُ فِيهَا كُلُّ جَذْبٍ وَيَنْضُرُ
 (٨) وَفِيهِ بَدَتْ فِي أَفْقٍ (جَاوَةٌ) لَمْعَةٌ * أَضَاءَتْ لِأَهْلِهَا السَّبِيلَ فَبَكُّرُوا
 (٩) فَيَالَيْتَهُ أُولَى (الْحَزَائِرِ) مِنَّةً * تُفَكُّ لَهَا تِلْكَ الْقِيُودُ وَتُكْسَرُ

- (١) تل : هدم . ويشير بهذا البيت إلى طلب عبد العزيز لجامعة من المغنين والمغنيات من مصر .
 (انظر الكلام على هذا في الحاشية رقم ٣ من صفحة ٦ من هذا الجزء) . (٢) تولى عبد الحفيظ سلطة
 مراکش بعد خلع أخيه عبد العزيز سنة ١٩٠٨ م . وفي عهده جعلت فرنسا مدينة فاس عاصمة البلاد
 في ٢١ مايو سنة ١٩١١ م . وقد تنازل عبد الحفيظ لأخيه مولاي يوسف عن السلطنة في سنة ١٩١٢ م .
 (٣) تزهرو : تشرق وتضيء . (٤) الفينان من النبات : الحسن الطويل . ويريد نخصب البلاد
 وكثرة الخير فيها . (٥) عوذها : حصنها وحفظها . وإدوارد : هو إدوارد السابع ملك الإنجليز .
 وراش السهم يريشه : ألحق عليه الريش ، وذلك ليكون أسرع في ذهابه نحو الغرض . وقيصرو : لقب
 ملك روسيا . وإنما خص إدوارد وقيصرو لمجاورة الهند وروسيا لبلاد الأفغان . والمعنى أن هذا العام
 حفظ بلاد الأفغان من طمع جيرانها الأقوياء . (٦) نمت : زادت . (٧) ينضرو :
 من النضرة ، وهي الحسن والبهجة . (٨) لمعة : نى لمعة من شعاع الأمل . وبكر فلان إلى الأمر :
 أتاه في أول وقته وبأدر إليه . (٩) يريد « بالقيود » في هذا البيت : قيود الاستعباد والأمر
 التي قيدت بها فرنسا هذا الإقليم من المغرب .

وفي (تونس) الخضراء باليتة بنى * له أثراً في لوحه الدهر يذكر
 وفيه سرت في (مصر) روح جديدة * مباركة من غيرة تتسعر
 خبت زماً حتى توهمت أنها * تجافت عن الإبراء لولا (كرومر)^(١)
 تصدى فأوراها وهيئات أن يرى * سبيلاً إلى إخمادها وهي تزفر^(٢)
 مضى زمن التنويم يانيل وأقضى * ففي (مصر) أيقاظ على (مصر) تسهر
 وقد كان "مرفين" الدهاء مخدراً * فأصبح في أعصابنا يتخدر^(٣)
 شعرنا بحاجات الحياة فإن وثت * عزائنا عن نبيلها كيف نعدر؟
 شعرنا وأحسنا وباتت نفوسنا * من العيش إلا في ذرا العز تسخر^(٤)
 إذا الله أحيأ أمة لن يردها * إلى الموت قهار ولا متجبر
 رجال الغد المأمول إنا بحاجة * إلى قادة تبني وشعب يعمر
 رجال الغد المأمول إنا بحاجة * إلى عالم يدعو وداع يذكر
 رجال الغد المأمول إنا بحاجة * إلى عالم يذري وعلم يقرر
 رجال الغد المأمول إنا بحاجة * إلى حكمة تملئ وكف تخدر

(١) خبت : سكنت ونحلت . وتجافت : تباعدت . وإبراء النار : إشعالها .

(٢) تصدى : تعرض . وتزفر ، أى يسمع صوت توقدها . يقول : إن اللورد كرومر عميد الدولة الإنجليزية تصدى لنار الوطنية في قلوب المصريين فأشعلها بعد خمودها بما صبه عليهم من المظالم والمحن .

(٣) المرفين : مخدر معروف ؛ والمراد به هنا خداع السياسة . (٤) ذرا العز (فتح الذال) :

كشفه وظلله .

رِجَالُ الْغَدِ الْمَأْمُولِ إِنَّا بِحَاجَةٍ * إِلَيْكُمْ فَسُدُّوا النَّقْصَ فِينَا وَشَمِّرُوا^(١)
 رِجَالُ الْغَدِ الْمَأْمُولِ لَا تَتْرَكُوا غَدًا * يَمْرُورَ الْأَمْسِ وَالْعَيْشِ أَغْبَرُ
 رِجَالُ الْغَدِ الْمَأْمُولِ إِنِّ بِلَادَكُمْ * تُنَاشِدُكُمْ بِاللَّهِ أَنْ تَتَذَكَّرُوا
 عَلَيْكُمْ حُقُوقُ الْبِلَادِ أَجَلُهَا * تَعَاهِدُ رَوْضَ الْعِلْمِ فَالرَّوْضُ مُقْفَرُ
 قُصَارَى مَنَى أَوْطَانِكُمْ أَنْ تَرَى لَكُمْ * يَدَا تَبَتَّيْ بِحُجْدَا وَرَأْسَا يَفْكُرُ^(٢)
 فَكُونُوا رِجَالًا حَامِلِينَ أَعِزَّةً * وَصُورُنَا حِمَى أَوْطَانِكُمْ وَتَحَرَّرُوا
 وَيَا طَالِبِي الدُّسْتُورِ لَا تَسْكُنُوا وَلَا * تَبَيْتُوا عَلَى بَأْسٍ وَلَا تَتَضَجَّرُوا
 أَعِدُّوا لَهُ صَدْرَ الْمَكَانِ فَإِنِّي * أَرَاهُ عَلَى أَبْوَابِكُمْ يَخْطُرُ
 فَلَا تَتَطَقُّوا إِلَّا صَوَابًا فَإِنِّي * أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ يُقَالَ تَهَوَّرُوا^(٣)
 فَمَا ضَاعَ حَقٌّ لَمْ يَنْمَ عَنْهُ أَهْلُهُ * وَلَا نَالَ فِي الْعَالَمِينَ مَقْصَرُ
 لَقَدْ ظَفِرَ الْأَتْرَاكُ عَدَلًا بِسُؤْلِهِمْ * وَنَحْنُ عَلَى الْإِثَارِ لَا شَكَّ نَظْفَرُ
 هُمْ لَهُمُ الْعَامُ الْقَدِيمُ مُقَدَّرُ * وَنَحْنُ لَنَا الْعَامُ الْجَدِيدُ مُقَدَّرُ
 تُقُوا بِالْأَمِيرِ الْقَائِمِ الْيَوْمَ إِنَّهُ * بِكُمْ وَبِمَا تَرْجُونَ أَذْرَى وَأَخْبَرُ^(٤)
 فَلَا زَالَ تَحْرُوسَ الْأَرِيكَةِ جَالِسًا * عَلَى عَرْشِ (وَادِي النَّيْلِ) يَنْهَى وَيَأْمُرُ

(١) شمر الأمر : استعد له . (٢) قصارى منى أوطانكم ، أى غاية مناها ؛ يقال :

قصارك أن تفعل كذا ، أى جهدك وغازيتك وأخرأمرك .

(٣) تهوورا : وقعوا فى المكروه بقلة مبالاة ؛ والمراد هنا التكلم فى شئون السياسة بما تؤاخذهم

به القوانين . (٤) الأمير ، هو عباس حلى الثانى خديوى مصر السابق .

الانقلاب العثماني

(١) قالها في ثورة الأتراك التي انتهت بجمع السلطان عبد الحميد وتولية السلطان محمد الخامس

[نشرت في ١٢ مايو سنة ١٩٠٩ م]

(٢)

لا رعى الله عهداً من جُدود * كيف أمسيت يابن (عبد الحميد)

(٣)

مُشيع الخُوت من حُوم البرايا * وجميع الجنود تحت البُود

كنت أبكي بالأمس منك فالي * يت أبكى عليك (عبد الحميد)؟

فريح المسلمون قبل النصارى * فيك قبل الدروز قبل اليهود

شمتوا كلهم وليس من الهمة أن يثمت الورى في طريد

أنت (عبد الحميد) والتاج معقو * د و (عبد الحميد) رهن القيود

خالد انت رغم أنف الليالي * في كبار الرجال أهل الخلود

لك في الدهر - والكأل محال - * صفحات ما بين بيض وسود

(٤)

حاولوا طمس ما صنعت وودوا * لو يطبقون طمس خط الحديد

(١) ولد السلطان عبد الحميد في ٢١ سبتمبر سنة ١٨٤٢ م، وولى الملك في أغسطس سنة ١٨٧٦ م،

وخلع في ٢٧ أبريل سنة ١٩٠٩ م، وتوفي في ١٠ فبراير سنة ١٩١٨ م. (٢) الجرد : المخطوط؛

الواحد جت (بفتح الجيم وتشديد الدال) . (٣) يشير بقوله « مشيع الخوت » : الى من كان

يأمر السلطان عبد الحميد بإغراقهم في مضيق البسفور . والبود : الأعلام الكبيرة؛ الواحد بند، وهو

فارسي معرب . ويشير بقوله « وجميع الجنود » : الى ما كان يقاسيه الجيش التركي من شظف العيش

ومضيق ذات اليد . (٤) يريد الخط الحديدي الجازي بين دمشق والمدينة التي أنشأها السلطان

عبد الحميد، وبدأ العمل فيه سنة ١٩٠٠ م، وأحتفل بافتتاحه في سنة ١٩٠٨ م .

ذاك (عبد الحميد) ذُخِرَكَ عند الله * باقٍ إن ضاع عند العبيد
 (١) أَكْرِمُوهُ وراقبوا الله في الشيء * مخ ولا ترهقوه بالتهديد
 لا تخافوا أذاه فالشيخ هاو * ليس فيه بقية للصعود
 ولي الأمر ثلث قرن ينادي * باسمه كل مسلم في الوجود
 (٢) كلما قامت الصلاة دعى الدا * عى (لعبد الحميد) بالتأييد
 فاسم هذا الأسير قد كان مقرو * تا بذكر الرسول والتوحيد
 (٣) يث أخشى عليكم أن يقولوا * إن أثرت من كينات الحقود
 (٤) كان (عبد الحميد) بالأمس فردا * ففدا اليوم ألف (عبد الحميد)
 (٥) يا أسيرا في (سنت هيلين) رحب * بأسير في (سأليك) جديد
 (٦) قل له كيف زال ملكك لم يعد * بصمك إعداد عدة أو عديد
 لم تصنك الجنود تصديقك بالأر * واج والمال يا غرام الجنود
 قل له كيف كنت؟ كيف امتلكت ال * مارض؟ كيف أنقذت بالتمجيد؟

- (١) أرهقه : أثقل عليه وظله . (٢) يريد «بالصلاة» : صلاة الجمعة . ويريد «بالداعي» : الخطيب . (٣) أثاره إثارة : هيجبه . وكينات الحقود : ما خفى منها . (٤) يقول لمن ول الأمر من رجال تركيا : إن أثرت دفائن الصدور ، وأسأتم التصرف في الأمور ، تضاعف الظلم ، فبدل أن كان يستبد بالأمر ويظلم الرعية فرد واحد هو عبد الحميد ، يصبح مستبدا بأمر كم ألف عبد الحميد . (٥) يريد «بالأسير في سنت هيلين» : نابليون بونابرت امبراطور فرنسا وقائد لها المعروف ، وقد أسر في جزيرة سانت هيلانة ، وظل بها أسيرا حتى مات ، ونقلت رفاته بعد مدة إلى فرنسا . وسأليك : مدينة معروفة بمقدونيا ، وكانت من أملاك الدولة العثمانية ، وهي الآن من أملاك اليونان ؛ وقد اعتقل فيها السلطان عبد الحميد بعد خلع . (٦) لم يصمك : لم يحفظك . والمدة : السلاح . والعديد : الكثرة .

- (١) ثَلَّتِ العُرُوشَ عَرَشًا فَعَرَشًا * وَصَبَّتِ الصَّعِيدَ بَعْدَ الصَّعِيدِ
 كَلَّمَا نِلْتَ غَايَةً لَمْ تَتْلَهَا * هِمَّةُ الدَّهْرِ قَلَتْ : هَلْ مِنْ مَزِيدٍ؟
 (٢) ضَاقَتِ الْأَرْضُ عَنْ مَدَاكَ فَأَرْسَدَ * تَ بِطَرْفٍ إِلَى السَّمَاءِ عَتِيدِ
 قُلْ لَهُ : جَلَّ مَنْ لَهُ الْمُلْكُ لَا مَدَى * لَكَ لَغَيْرِ الْمُهِمِّينَ الْمَعْبُودِ
 (٣) أَنْتَ مَهْمَا شَقِيتَ أَرْفَهُ حَالًا * مِنْ أَسِيرِ الْجَزِيرَةِ الْمَكْمُودِ
 (٤) وَأَسِيرُ الْأَقْفَاصِ قَدْ كَانَ أَشَقَى * لَوْ سَأَلْتَ الْأَسْفَارَ عَنْ (بَايَزِيدِ)
 كَانَ (عَبْدُ الْحَمِيدِ) فِي الْقَصْرِ أَشَقَى * مِنْهُ فِي الْأَمِيرِ وَالْبَلَاءِ الشَّدِيدِ
 (٥) كَانَ لَا يَعْرِفُ الْقَرَارَ بَلِيلِ * لَا وَلَا يَسْتَلِذُّ طَعْمَ الْهَجُودِ
 حَذِرًا يَرْهَبُ الظُّلَامَ وَيَخْشَى * خَطَرَةَ الرِّيحِ أَوْ بُكَاءِ الْوَلِيدِ
 (٦) نَفَقٌ تَحْتَ طَائِقِ الْأَرْضِ أَخْفَى * فِي تَدَجِيهِ مِنْ ضَمِيرِ الْكَفُورِ

(١) ثلثت العروش، أى هدمت ملكها . والصعيد : التراب . يريد أنه صبغه بدماء أعدائه .
 (٢) المدى : الغاية . والعتيد : المعتد المهيا . (٣) أرفه حالا : أحسنها . وأسير الجزيرة :
 نابليون بونابرت . والجزيرة : سانت هيلانة السابق ذكرها . والمكود : المحزون . (٤) الأسفار :
 الكتب ؛ الواحد : سفر (بكسر فكون) . وبايزيد ، هو بايزيد الأول ابن السلطان مراد الأول ،
 وهو السلطان الرابع من سلاطين آل عثمان ، ولد عام ١٤٦١ هـ . وجلس على كرسي الملك بعد وفاة أبيه
 عام ١٤٩١ هـ . وتوفي في سنة ١٥٠٥ هـ . ويشير الشاعر بهذا البيت الى وقوع بايزيد في أسر تيمورلنك
 ملك التار في موقعة أنقرة سنة ١٤٠٥ هـ ، وسجنه إياه في قفص حتى مات كذا بعد سبعة أشهر .
 (٥) الهجود : النوم . (٦) النفق (بالتحريك) : سرب في الأرض له مخرج الى مكان .
 ويشير الى الموضع الخفية التي كانت يختبئ فيها السلطان عبد الحميد حذرا من أعدائه . وتدجيه :
 إظلامه . والكفور : الكفور . شبه ظلام المسارب التي كان يختبئ فيها عبد الحميد بظلام قلب الكفور
 لعدم تقوذه ضوء الحق اليه .

(١) يُعْجِزُ الْوَهْمَ عَنْ تَلَمُّسِ ذَاكَ أَلْ * بِبَابِ بَابِ الْخَلِيفَةِ الْمَنْكُودِ
 أَصْحَحُ مَا قِيلَ عَنْكَ وَحَقُّ * مَا سَمِعْنَا مِنَ الرُّوَاةِ الشُّهُودِ
 (٢) أَكَّ (عَبْدَ الْحَمِيدِ) قَدْ هَدَمَ الشَّرَّ * عَ وَأَرْبَى عَلَى فِعَالٍ (الْوَلِيدِ)؟
 إِنْ بَرِيئًا وَإِنْ أَثِمًّا سَتُجْزَى * يَوْمَ تُجْزَى أَمَامَ رَبِّ شَهِيدِ
 (٣) أَصْحَحُ بَكَتَ لَمَّا أَتَى الْوَفْدَ * دُ وَنَابَتْكَ رِعْشَةُ الرَّعْدِيدِ؟
 (٤) وَنَسِيتَ الْآبَاءَ وَالْمَجْدَ وَالشُّؤْ * دُدَّ وَالْعِزِّيَا كَرِيمَ الْجُدُودِ؟
 (٥) مَا عَهْدُنَا الْمُلُوكَ تَبْكِي وَلَكِنْ * عَلَّهَا تَزْوَةُ الْقُؤَادِ الْجَلِيدِ
 عَلَّهَا دَمْعَةُ الْوَدَاعِ لِذَاكَ أَلْ * مُلْكٍ أَوْ ذِكْرَةٍ لَيْلِكَ الْعُهُودِ
 (٦) غَسَلَ الدَّمْعَ عَنْكَ حَوْبَةً مَاضِي * لَكَ وَوَقَّاكَ شَرَّ يَوْمٍ الْوَعِيدِ
 شَفَعَ الدَّمْعَ فِيكَ عِنْدَ الْبَرَايَا * لَيْسَ ذَاكَ الشَّفِيعُ بِالْمَرْدُودِ
 (٧) دَمْعَكَ الْيَوْمَ مِثْلُ أَمْرِكَ بِالْأَمِّ * سِ مِطَاعٌ فِي سَيِّدٍ وَمَسُودِ
 (٨) كَانَ (عَبْدُ الْعَزِيزِ) أَجْمَلُ أَمْرًا * مِنْكَ فِي يَوْمِ خَلْعِهِ الْمَشْهُودِ

- (١) يقول : ان هذا التفوق خفي وضلت سبيله على طالبه ، حتى إنه ليعجز الوهم عن تعرّف الطريق إلى بابه .
 (٢) أربى : زاد . والوليد ، هو ابن يزيد بن عبد الملك الخليفة الأموي المرواني المشهور بالفسق وشرب الخمر وتهافته بالدين . (٣) يريد الوفد المبعوث بخلفه . والرعيد : الجبان . (٤) السؤدد : السيادة والرفعة . (٥) الجليلد : المتجلد الصابر . (٦) الحوبة (بفتح الحاء) : الخطيئة .
 (٧) يقول : إن دمّك يوم الخلع قد بلغ من الأثر في رعيّتك ما ردهم عن الانتقام منك ، فكانه أمر من أوامرك المطاعة يوم كنت على العرش . (٨) عبد العزيز ، هو أحد سلاطين آل عثمان ، وهو الثاني والثلاثون منهم ، وهو ابن السلطان محمود الثاني . ولد عام ٨١٢٤ هـ وتولى الخلافة في سنة ٨١٢٧ هـ . وخلع في سنة ٨١٢٩ هـ ، وتوفى في السنة نفسها . وهو الذي زار مصر في عهد المنفورة إسماعيل باشا الخديوي ، وسمي باسمه شارع عبد العزيز بالقاهرة .

- (١) خَافَ مَأْثُورَ قَوْلِهِ قَتَّالِي * عَنْ صَغَارِ وَمَاتَ مَوْتَ الْأَسْوَدِ
 (٢) ضَمَّ مِقْرَاضَهُ إِلَيْهِ وَنَادَى * دُونَ ذَلِكَ الْحَيَاةِ قَطْعُ الْوَرِيدِ
 (٣) حَتَّى عَهْدَ الرَّشَادِ يَا شَرْقِيَّ وَابْلُغْ * مَا تَمَنَّيْتَ مِنْ زَمَانٍ بَعِيدِ
 قَدْ تَوَلَّى (مُحَمَّدُ الْخَامِسُ) الْمُلْكُ * لَكَ فَأَعْظِمَ بِتَاجِهِ الْمَعْقُودِ
 (٤) وَتَجَلَّى فِي مِهْرَجَانٍ تَجَلَّى * سَيْفُ (عُثْمَانَ) فِيهِ بِالتَّقْلِيدِ
 (٥) وَقَفَ الدَّهْرُ خَاشِعًا إِذْ رَأَى السَّيِّدَ * فَتَيْنَ فِي قَبْضَةِ الْعَزِيزِ الْمَجِيدِ
 (٦) طَاطِيٍّ لِلْجَلَالِ يَا أُمِّمَ الْأَر * ضِ سُّجُودًا، هَذَا مَقَامُ السُّجُودِ
 (٧) فَلَمَّ اللَّهُ أَنْتَ عَهْدَ (رَشَادِ) * خَيْرُ قَالٍ يَرُدُّ عَهْدَ (الرَّشِيدِ)

- (١) الصنار : النذل . يقول : إن هذا السلطان قد خاف في يوم خلع له أن يأخذ الناس عليه كلمة فيها ضعف ومذلة .
 (٢) المقراض : المقص .
 (٣) يريد « بالرشاد » : السلطان محمد رشاد الخامس ، وقد تولى الملك في سنة ١٣٢٧ هـ — سنة ١٩٠٩ م — بعد خلع السلطان عبد الحميد .
 (٤) المهرجان : عيد للفرس ، ويطلق على كل عيد . وعثمان ، هو ابن أرطغرل مؤسس الدولة العثمانية التي تنسب إليه . (انظر التعريف به في الحاشية رقم ١ من صفحة ١٧ من هذا الجزء) .
 (٥) يريد « بالسيفين » : سيف عثمان مؤسس الدولة ، وسيف الخليفة الجالس على العرش .
 (٦) طاطا رأسه : خفضه .
 (٧) يريد « بالرشيد » : الخليفة العباسي هارون الرشيد الذي بلغت الأمة الإسلامية في أيامه من الرقي أقصاه .

عيد الدستور العثماني

أنشدما في الحفل الذي أقيم في حديقة الأزبكية في مساء الجمعة ٢٣ يولييه سنة ١٩٠٩ م

(١) أَجَلٌ هَذِهِ أَعْلَامُهُ وَمَوَاسِكُهُ * هَنِيئًا لَهُمْ فَلْيَسْحَبِ الذِّئِلَ سَاحِبُهُ

(٢) هَنِيئًا لَهُمْ فَالْكَوْنُ فِي يَوْمٍ عَيْلِهِمْ * مَشَارِقُهُ وَضَاءَةٌ وَمَغَارِبُهُ

(٣) رَعَى اللَّهُ شَعْبًا جَمَعَ الْعَدْلُ شَمْلَهُ * وَتَمَّتْ عَلَى عَهْدِ الرَّشَادِ رَغَائِبُهُ

(٤) تَحَالَفَ فِي ظِلِّ الْهِلَالِ إِمَامُهُ * وَحَاخَمَهُ - بَعْدَ الْخِلَافِ - وَرَاهِبُهُ

(٥) خُذُوا بِيَدِ الْإِصْلَاحِ وَالْأَمْرِ مُقْبِلُ * فَلَأَنِّي أَرَى الْإِصْلَاحَ قَدْ طَرَّ شَارِبُهُ

(٦) وَرُدُّوا عَلَى الْمُلِكِ الشَّبَابَ الَّذِي ذَوَى * فَلَأَنِّي رَأَيْتُ الْمُلِكَ شَابَتْ ذَوَائِبُهُ

فَمَنْ يَطْلُبُ الدُّسْتُورَ بِالسُّوءِ بَعْدَ مَا * حَمَمَهُ يَدُ (الْفَارُوقِ) فَاللَّهُ طَالِبُهُ

(٧) إِذَا (شَوَكَتُ الْفَارُوقُ) قَامَ مُنَادِيًا * إِلَى الْحَقِّ لَبَّاهُ (نِيَازِي) وَصَاحِبُهُ

- (١) أجل : نعم . وأعلامه ، أى أعلام العيد . ولهم : للاتراك . وسحب الذيل : كناية عن التبه والفخر .
 (٢) وضاءة (بضم الواو وتشديد الضاد) ، أى ذات حسن وبهجة ، من الوضاعة (بفتح الواو وتخفيف الضاد) .
 (٣) الرغائب : جمع رغبة ، وهى ما يرغب فيه .
 (٤) الهلال : شعار الدولة العثمانية . ويريد « بالإمام والحاخام والراهب » : اجتماع المسلمين واليهود والمسيحيين تحت تلك الراية .
 (٥) طر شاربه : نبت وطلع ، وذلك فى أول عهد الشباب .
 ويريد بهذه العبارة : أن وقت الإصلاح قد حان .
 (٦) ذوى : ذبل . والذوائب : الضفائر ؛ الواحدة ذرابة . وشيب الذرائب ، كناية عن الضعف والانحلال .
 (٧) شوكت ونيازی : بطلان من أبطال جمعية الاتحاد والترقى التركية . ويريد « بالصاحب » : أنور باشا القائد التركى المعروف . وكان لهؤلاء الثلاثة بلاه حسن فى الانقلاب العثمانى المعروف ، وخلع السلطان عبد الحميد ، وإعادة الدستور إلى الأمة التركية .

- (١) ثَلَاثَةُ آسَادٍ يُجَانِبُهَا الرَّدَى * وَإِنْ هِيَ لَأَقَاها الرَّدَى لَا تُجَانِبُهُ
(٢) يُصَارِعُهَا صَرْفُ الْمُنُونِ فَتَلْتَقِي * تَحَالِيهَا فِيهِ وَتَتَّبِعُو تَحَالِيَهُ
رَوَتْ قَوْلَ (بَشَارٍ) فَثَارَتْ وَأَقْسَمَتْ * وَقَامَتْ إِلَى (عَبْدِ الْحَمِيدِ) تُحَاسِبُهُ
(٣) إِذَا الْمَلِكُ الْجَبَّارُ صَعَرَ خَدَّهُ * مَشَيْنَا إِلَيْهِ بِالسُّيُوفِ نَعَاتِبُهُ
(٤) وَسَارَ عَلَى أَعْقَابِهَا كُلُّ سَائِحٍ * عَلَى مَتْنِهِ بَرَجٌ مَشِيدٌ يُلَاعِبُهُ
يَصِيحُ بِهِ : لَا رَىَّ أَوْ تَبْلُغِ الْمُنَى * وَلَا شَيْعٌ أَوْ يَرْجِعِ الْحَقُّ غَاصِبُهُ
(٥) هُنَالِكَ فَانْهَلْ وَأَتَّخِذْ ثُمَّ مَرَبَطًا * (بِيلْدَز) وَأَحْدُ فِي الْوَعْغَى مِنْ تُصَاحِبِهِ
(٦) رِجَالٌ مِنَ الْإِيمَانِ مَلَأَى قُفُوسَهُمْ * وَجَيْشٌ مِنَ الْأَتْرَاكِ ظَمَأَى قَوَاضِيَهُ
(٧) صَوَالِجُهُ سُمُرُ الْقَنَاءِ وَكُرَاتُهُ * رُءُوسُ الْأَعَادِي، وَالْحُصُونُ مَلَاعِبُهُ

- (١) الردى : الهلاك . (٢) المنون : الموت . وتنبو : تكل وترتد .
(٣) صعر خده : أماله عند النظر إلى الناس تهاونا بهم زكروا . ويريد بقوله « نعاتبه » : نهذه
بالسيوف وننذره بالقتل . وفي استعمال التناوب بهذا المعنى تهكم ظاهر . وهذا البيت من قصيدة لبشار بن برد
يمدح بها عمر بن هيرة . (٤) يريد « بالسائح » : القرس الشديد الجري . والمتن : الظهر .
ويريد « بالبرج » : القارس الذى يشبه البرج فى ضخامته . (٥) انهل : اشرب ، من النهل
(بالتحريك) ، وهو السقىة الأولى . ويلدز : قصر الخلافة بالقسطنطينية . والوعغى : الحرب . يعد
القارس فرسه بأنه سيلبغ ما يريد من النصر والظفر ، وأنه سيستبيح من حوى القصر ما كان ممتنما ، وهناك يمدح
راكبه على صدق وعده . (٦) القواضب : السيوف القواطع . ومعنى قوله « ظمأى قواضيه » :
أن سيوفه عطشى إلى دماء الأعداء . (٧) الصوالج : العصي المعوجة الأطراف التى يلعبون بها
الكرة ؛ الواحد صوبلجان ، فارسي معرب . والقنا : الرماح ؛ الواحدة قناة . وقد شبه هذا الجيش فى حربه
بمن يلعبون الكرة لشوقه إلى الحرب ، وقلة مبالاته بالموت فيها ، فجعل الرماح صوالجه ، ورؤوس الأعداء
كراته ، والحصون مواضع اللعب .

- (١) إذا تَارَ دُكَّتْ أَجْبَلٌ وَتَحَشَّعَتْ * بِحَارٌ وَأَمْضَى اللَّهُ مَا هُوَ كَاتِبُهُ
- (٢) وَثَلَّتْ عُرُوشٌ وَاسْتَقَرَّتْ مَمَالِكُ * وَلَوْ أَنَّ ذَا الْقَرْنَيْنِ فِيهَا يُنَاصِبُهُ
- (٣) فَمَنْ لَمْ يُشَاهِدْ (يَلْدِزَا) بَعْدَ رَبِّهَا * وَقَدْ زَالَ عَنْهُ الْمُلْكُ وَأَنْدَكَ جَانِبُهُ
- (٤) وَأَسْلَمَهُ أَجْبَابُهُ لِقُضَائِهِ * وَفَرَّ - وَلَمْ يَخْشَ الْمَعْرَةَ - كَاتِبُهُ
- (٥) وَقَلَمَتِ الْأَقْدَارُ أَظْفَارَ بَطْشِهِ * وَدَلَّ عَلَى مَا تَجْهَلُ الْجَنُّ حَاجِبُهُ
- (٦) فَمَا شَهِدَ الدُّنْيَا تَزُولُ وَلَا رَأَى * بَلَاءَ قَضَاءِ اللَّهِ فِيمَنْ يُجَارِبُهُ
- (٧) أَيْبَحَ حِمَاها وَأَنْطَوَى مَجْدُ رَبِّهَا * وَقَامَتْ عَلَى الْبَيْتِ (الْحَمِيدِي) نَوَابِهُ
- (٨) وَلَمْ يُغْنِ عَنْ (عَبْدِ الْحَمِيدِ) دَهَاؤُهُ * وَلَا عَصَمَتْ (عَبْدَ الْحَمِيدِ) تَجَارِبُهُ
- (٩) وَلَمْ يَنْجِهْ حِصْنٌ وَلَمْ تَرْمِ دُونَهُ * دَنَانِيرُهُ وَالْأَمْرُ بِالْأَمْرِ حَازِبُهُ
- (١٠) وَلَمْ يُخَفِّهِ عَنْ أَعْيُنِ الْحَقِّ مُخَدَعٌ * وَلَا تَفَقَّى فِي الْأَرْضِ جَسْمٌ مَسَارِبُهُ

- (١) دكت : تهدمت . وما هو كاتبه ، أى ما هو مقدره من النصر والظفر لهذا الجيش .
- (٢) ثلث : هدمت . وذو القرنين : ملك معروف باتساع الملك وكثرة الفتوحات . ويناصبه : يعاديه .
- (٣) ربها : صاحبها ، وهو عبد الحميد .
- (٤) يريد « بكاتبه » : عزت العابد باشا . (٥) يقال : هو مقلم الأظفار ، اذا كان أحزله بغير سلاح . ويريد « بما تجهل الجن » : السرايب والأشواق التي كان يختبئ فيها السلطان عبد الحميد من أعدائه .
- (٦) فما : جواب « من » في قوله السابق : « فمن لم يشاهد ... الخ » .
- (٧) أيبح حماها ، أى صارت يلدز مفتحة النواحي لكل داخل مهما قل شأنه .
- (٨) عصمت : حفظت . (٩) لم ترم دونه دنانيره ، أى أن أمواله لم تدفع عنه أعدائه .
- فشبه المال يحفظ صاحبه من أعدائه بمن يرى السهام دفاعا عن يمينه به . وحزبه الأمر : نابه وأشدته عليه وضغطه .
- (١٠) يشير في هذا البيت الى المخابي والأشواق التي كان قد أعدها عبد الحميد تحت الأرض ليختبئ فيها من أعدائه .

- (١) أَقَامَ عَلَيْهِ مَهْلَكًا عِنْدَ مَهْلَكٍ * يَمْرُبه رَوْحُ الصَّبَا فَيُؤَثِّبُهُ^(١)
تَحَامَاهُ حَتَّى الْوَهْمُ خَوْفَ اغْتِيَالِهِ * فَلَوْ مَسَّهُ طَيْفٌ لِدَارَتْ لَوَائِبُهُ
وَأَسْرَفَ فِي حُبِّ الْحَيَاةِ فَاظَهَا * بِسُورٍ مِنَ الْأَهْوَالِ لَمْ يَنْجُ رَاكِبُهُ
فَفِي كُلِّ قُفْلٍ لِلنِّيَّةِ مَكْرٌ * وَفِي كُلِّ مِفْتَاحٍ قَضَاءٌ يَر_اقِبُهُ^(٢)
وَفِي كُلِّ رُكْنٍ صُورَةٌ لَوْ تَكَلَّمَتْ * لِمَا شَكَّ فِي (عَبْدِ الْحَمِيدِ) مُخَاطَبُهُ
تَمَثَّلَ إِيَّاهُمْ أَنْيَمَتْ وَأَقْعِدَتْ * تَرَأَى بِهَا أَعْطَافُهُ وَمَنَاكِبُهُ^(٣)
تَمَثَّلَ فِي نَوْمِهِ وَجُلُوسِهِ * وَتَخَدَّعُ فِيهِ الْمَوْتُ حِينَ يُقَارِبُهُ
أَقَامَ عَلَيْهِ أَلْفَ مَوْتٍ مُحَجَّبٍ * لَيَغْلِبَ مَوْتًا وَاحِدًا عَزَّ غَالِبُهُ
سَأَلُوهُ أَاغْنَتْ عَنْهُ فِي يَوْمِ خَلْعِهِ * عَجَائِبُهُ ؟ أَوْ أَحْرَزَتْهُ غَرَائِبُهُ ؟^(٤)
وَقَدْ نَزَلَ الْمِقْدَارُ بِالْأَمْرِ صَادِعًا * فَضَاقَتْ عَلَى شَيْخِ الْمُلُوكِ مَذَاهِبُهُ^(٥)
وَأَخْرَجَهُ مِنْ (يَلْدِزِ) رَبِّ (يَلْدِزِ) * وَجَرَّدَهُ مِنْ سَيْفِ (عُثْمَانَ) وَاهِبُهُ
وَأَصْبَحَ فِي مَنَفَاهُ وَالْجَيْشُ دُونَهُ * يُغَالِبُ ذِكْرِي مُلْكِهِ وَتُغَالِبُهُ^(٦)

- (١) الروح : الريح . يقول : إن عبد الحميد قد بالغ في المحافظة على نفسه حتى أقام حوله من أسباب الهلاك لطالبه ما لو مرت به ريح الصبا لوثب عليها ظننا منه أنها من أعداء السلطان .
(٢) يشير بهذا البيت الى ما كان يروى من العجائب التي كان يتخذها السلطان عبد الحميد في الخدر على نفسه من أعدائه ، حتى إنه قد صنعت الخبايثة ونزائن أمواله أقفال إذا حاول غيره فتحها أصابه منها ما يقتله .
(٣) تراءى ، أى تراءى . والأعطاف : الجوانب . (٤) أحرزته : حفظته .
(٥) المقدار : القدر . وصدع بالأمر : جاهر به مصرحا . (٦) والجيش دونه ، أى واقف دونه يمنعه من الفرار .

- (١) يُنَادِيهِ صَوْتُ الْحَقِّ : ذُقْ مَا أَذَقْتَهُمْ * فَكُلْ أَمْرِي رَهْنٌ بِمَا هُوَ كَاسِبُهُ
(٢) هُم مَتَحَوِّكَ الْيَوْمَ مَا أَنْتَ مُشْتَهٍ * فَرَدُّ لَهِمْ بِالْأَمْسِ مَا أَنْتَ سَالِبُهُ
(٣) وَدَعَّ عَنْكَ مَا أَمَلْتَ إِنْ كُنْتَ حَازِمًا * فَلَمْ يَبْقَ لِلْأَمَالِ فَضْلٌ تُجَادِبُهُ
(٤) مَضَى عَهْدُ الْأَسْتِبْدَادِ وَأَنْدَكَ صَرْحُهُ * وَوَلَّتْ أَفَاعِيهِ وَمَاتَتْ عَقَارِبُهُ
(٥) لَكَ اللَّهُ يَا (تَمُوزُ) إِنْكَ بَلَسَمٌ * بِالْحَرْبِ الْأَسَى وَالْذَهْرِ تَعْدُو نَوَائِبُهُ
(٦) فَكَمْ رُعْتَ جَبَّارًا وَأَرْهَقْتَ ظَالِمًا * وَأَنْصَفْتَ مَظْلُومًا تَوَالَتْ مَصَائِبُهُ
(٧) قَدَيْنَاكَ مِنْ شَهْرٍ أَغْرَ مَحْجَلٍ * أَوَائِلُهُ مَبْمُوءَةٌ وَعَوَاقِبُهُ
(٨) تُقَابِلُهُ الْأَعْيَادُ فِي الْأَرْضِ كُلِّهَا * تَجَلَّى هِلَالُ الشَّهْرِ أَوْ لَاحَ حَاجِبُهُ
(٩) فِي الْغَرْبِ عِيدٌ يَنْظُمُ الْغَرْبُ حُسْنَهُ * فَتَهْتَرُ مِنْ وَقْعِ السُّرُورِ جَوَانِبُهُ
(١٠) وَفِي الشَّرْقِ عِيدٌ لَمْ يَرِ الشَّرْقُ مِثْلَهُ * تَدْفُقُ فِي دَارِ السَّلَامِ مَوَاجِبُهُ

- (١) رهن بما هو كاسبه ، أى مجزى بما اقترفه هو ، لا بما اقترفه غيره ؛ يقال : هو رهن بكذا ، أى مقصور عليه لا يتعداه . (٢) ما أنت مشتته ، أى الحياة . وما أنت سالبه ، أى حقوق الأمة وحريتها . (٣) شبه «الأمال» بالرداء الذى له فضول ، أى زيادات يجذب منها . يقول : إن آمالك فى الملك قد قصرت فليس فيها موضع تمسكه بيديك وتجلدها منه . (٤) الصرح : ما ملا من البنيان . ويريد «بالأفاعى والعقارب» : جواسيس عبد الحميد وزسل الشرق في عهده . (٥) تموز : شهر معروف من السنة المسيحية ، ويوافق شهر يوليوس ، وهو الذى نالت فيه الأمة التركية دستورها . واللمس : دواء تضمد به الجراح . (٦) رعت : أفرغت . وأرهقت ظالما : حمله ما لا يطيق من العذاب . (٧) يقال : يوم أو شهر أغر محجل ، إذا كان مشهورا ، وأصلهما من الصفات اندوسة فى الخليل ، الأغر منها ما كان فى جيبته بياض ، والمججل ما كان البياض فى قوائمه . (٨) تجل : ظهر . (٩) يريد «بالعيد الذى فى الغرب» : عيد الحرية فى فرنسا ، وهو فى شهر تموز (١٤ يوليوس) . (١٠) يريد «بالعيد الذى فى الشرق» : عيد الدستور التركى ؛ وقد نسبته الى الشرق ، لأن الأمم الشرقية النابتة لتركيا كانت تتخذ هذا اليوم عيداً مثلها . ودار السلام : القسطنطينية .

(١) يُطِيفُونَ بِالْعَرْشِ الْكَرِيمِ وَرَبُّهُ * تُطِيفُ بِهِمُ الْآلُوهُ وَمُنَاقِبُهُ
لَتَهْنِئُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مُحَمَّدًا * خِلَاقَتُهُ فَالْعَرْشُ سَعْدٌ كَوَاقِبُهُ
(٢) سَمَّكَ أَمْوَاجَ الْبَحَارِ مَسْفِينُهُ * كَمَا مَلَكَتْ شُمُ الْجِبَالِ كَتَائِبُهُ
مَمَالِكُهُ مَحْرُوسَةٌ وَتُغَوَّرُهُ * رَكَائِبُهُ مَنصُورَةٌ وَمَرَاكِبُهُ

(٣) إلى البرنس حسين كامل باشا

رئيس مجلس شورى القوانين والجمعية العمومية ، عبر فيها عن آلام الأمة المصرية وآمالها

[نشرت في ١٠ نوفمبر سنة ١٩٠٩ م]

(٤) لَقَدْ نَصَلَ الدُّجَى فَمَتَّى تَسَامُ * أَهَمُّ ذَادَ نَوْمَكَ أَمْ هِيَامُ
(٥) غَفَا الْحَزُونُ وَالشَاكِي وَأَغْفَى * أَخُو الْبَلْوَى وَنَامَ الْمُسْتَهَامُ
(٦) وَأَنْتَ تُقَلِّبُ الْكَفَّيْنِ أَنَا * وَأَوْنَةُ يُقَلِّبُكَ السُّقَامُ
(٧) تَمَحَدَّرَتِ الْمَدَامِيعُ مِنْكَ حَتَّى * تَعْلَمُ مِنْ مَحَاجِرِكَ الْغَنَامُ

- (١) الآلاء : النعم . والمنائب : الخصال الحميدة ؛ الواحدة منقبة .
(٢) شُمُ الجبال : أعاليها ، الواحد أَشْم . والكاتب : فرق الجيش ؛ الواحدة كتيبة .
(٣) ولد السلطان حسين كامل في يوم ١٩ صفر سنة ١٢٧٠ هـ — ٢١ نوفمبر سنة ١٨٥٢ م .
وفي يوم ١٩ ديسمبر سنة ١٩١٤ تولى عرش مصر . وتوفي رحمه الله في ٩ أكتوبر سنة ١٩١٧ م .
(٤) نصل الدجى : نرج من سواده وأبيض بطلوع الصباح . وذاد : منع . والهيام : العشق .
(٥) غفا وأغفى : نام . والمستهام : العاشق . (٦) تقلب الكف : كناية عن الحيرة .
(٧) المحاجر : جمع محجر (بفتح الميم وكسر الجيم وسكون ما بينهما) ، وهو : إدار حول العين . والغنام : السحاب . يقول : إن السحاب تعلم انهمال مطرد من انهمال مداامت .

(١) وَصَجَّتْ مِنْ تَقْلِيلِكَ الْحَشَايَا * وَأَشْفَقَ مِنْ تَلَهْفِكَ الظُّلَامُ
 (٢) تَبَيَّتْ تُسَاجِلُ الْأَفْلَاكَ سُهْدًا * وَعَيْنُ الْكَوْنِ رَتَقَهَا الْمَنَامُ
 وَتَكْتُمُنَا حَدِيثَ هَوَاكَ حَتَّى * أَذَاعَ الصَّمْتُ مَا أَخْفَى الْكَلَامُ
 (٣) رَبِّكَ هَلْ رَجَعْتَ إِلَى رَسِيْسٍ * مِنْ الذِّكْرِى وَهَلْ رَجَعَ الْغَرَامُ؟
 (٤) وَقَدْ لَمَعَ الْمَشِيبُ وَذَاكَ سَيْفٌ * عَلَى فَوْدَيْكَ عَلَّقَهُ الْجِمَامُ
 (٥) أَيْجَلُ بِالْأَدِيبِ أَدِيبٌ مُضِرٌ * بُكَاءُ الطِّفْلِ أَرْهَقَهُ الْفِطَامُ
 (٦) وَيَصْرِفُهُ الْهَوَى عَنْ ذِكْرِ مُضِرٍ * وَمِضْرٌ فِي يَدِ الْبَاغِي تَضَامُ؟
 (٧) عَدِمْتُ يَرَاعَتِي إِنْ كَانَ مَا بِي * هَوَى بَيْنَ الضُّلُوعِ لَهُ ضِرَامُ
 (٨) وَمَا أَنَا وَالْغَرَامَ وَشَابَ رَأْسِي * وَغَالَ شَبَابِي الْخَطْبُ الْجُسَامُ
 (٩) وَرَبَّانِي الَّذِي رَبِّي (لَيْدًا) * فَعَلَّمَنِي الَّذِي جَهَلَ الْأَنَامُ

- (١) الحشايا: الفرش المحشوة؛ الواحدة حشية (بتشديد الياء). (٢) تساجل الأفلاك: سهدا، أى تشاركها في السهر وتناوبها فيه. ورتقها: خالطها. (٣) الرسيس: البقية والأثر. (٤) الفودان: ناحيتا الرأس. والجمام (بكسر الحاء): الموت. ويريد «بالسيف المعلق على ناحيتي الرأس»: الشيب، لأن كليهما قاتل.
- (٥) أرهقه: آذاه وآله. (٦) الباغى: الظالم. (٧) اليراعة: القلم. ويريد بلاغته وأدبه، لأنها يكتبان به. وضرام النار: اشتعلها. (٨) غاله: أفناه وأهلكه. والجسام والجسيم: العظيم. (٩) يريد ليد بن ربيعة العامري الشاعر المعروف، صاحب المعلقة المشهورة، التي أولها: «عفت الديار محلها فرسومها». وكان من المعمرين، أدرك الجاهلية والإسلام وأسلم. ويريد «بالذي ربي ليدا»: الزمان ونطاقه. وخصه بالذكر لأنه من المعمرين، ومن جربوا الحياة حتى ستموها، قال:

ولقد سئمت من الحياة وطولها * وسؤال هذا الناس كيف ليد؟

^(١) لَعَمْرُكَ مَا أَرَقْتُ لَغَيْرِ مِصْرٍ * وَمَالِي دُونَهَا أَمَلٌ يُرَامُ
 ذَكَرْتُ جَلَالَهَا أَيَّامَ كَانَتْ * تَصُولُ بِهَا الْفَرَاغَةُ الْعِظَامُ
 وَأَيَّامَ الرِّجَالِ بِهَا رِجَالٌ * وَأَيَّامَ الزَّمَانِ لَهَا غُلَامُ
 فَأَقْلَقَ مَضْجَعِي مَا بَاتَ فِيهَا * وَبَاتَتْ مِصْرُ فِيهِ ، فَهَلْ أَلَامُ؟
^(٢) أَرَى شَعْبًا بِمَدْرَجَةِ الْعَوَادِي * تَمَخَّخَ عَظْمَهُ دَاءُ عُقَامُ
 إِذَا مَا مَرَّ بِالْبَاسَاءِ عَامٌ * أَطْلَّ عَلَيْهِ بِالْبَاسَاءِ عَامُ
^(٣) مَرَى دَاءُ التَّوَاكُلِ فِيهِ حَتَّى * تَخَطَّفَ رِزْقَهُ ذَاكَ الزَّحَامُ
^(٤) قَدْ اسْتَعَصَى عَلَى الْحُكَمَاءِ مِنَّا * كَمَا اسْتَعَصَى عَلَى الطُّبِّ الْجُدَامُ
 هَلَاكَ الْفَرْدِ مَنْشَوُهُ تَوَانٍ * وَمَوْتُ الشَّعْبِ مَنْشَوُهُ أَنْقِسَامُ
 وَإِنَّا قَدْ وَدَيْنَا وَأَنْقَسَمْنَا * فَلَا سَعْيَ هُنَاكَ وَلَا وِثَامُ
 فِسَاءَ مَقَامُنَا فِي أَرْضِ (مِصْرٍ) * وَطَابَ لَغَيْرِنَا فِيهَا الْمَقَامُ
^(٥) فَلَا عَجَبٌ إِذَا مُلِكَتْ عَلَيْنَا * مَذَاهِبُنَا وَأَكْثَرُنَا نِيَامُ
 (حُسَيْنٌ حُسَيْنٌ) أَنْتَ لَهَا فَنِيَّةٌ * رِجَالًا عَنْ طُلَابِ الْحَقِّ نَامُوا
^(٦) وَكُنْ بِأَيْدِكَ لِابْنِ أَخِيكَ عَوْنًا * فَأَنْتَ بِكَفِّهِ نَعِمَ الْحُسَامُ

- (١) أرق أرقا (وزان فرح فرحا) : سهر . (٢) المدرجة : الطريق . والعوادي : النواثب .
 وتمخخ العظم ، إذا أخرج منه . والداء العقام : الذي لا يرجى البرء منه . (٣) يريد «بالزحام» :
 مزاحمة الأجانب للصريين . (٤) الضمير في «استعصى» : يعود على «التواكل» السابق .
 (٥) المذاهب : الطرق . (٦) يريد «بابن أخيه» : عباس الثاني خديوي مصر السابق .

أَفِضْ فِي قَاعَةِ الشُّورَى وَثَامًا * فَقَدْ أَوْدَى بِنَا وَبِهَا الْخِصَامُ
 (١) وَعَلَمَهُمْ مُصَادِمَةَ الْعَوَادِي * فِثْلُكَ لَا يَرَوْعُهُ الصَّدَامُ
 فِي حِزْبِ الْيَمِينِ لَدَيْكَ قَوْمٌ * وَإِنْ قَلُّوا فَلَانَهُمْ كِرَامُ
 (٢) وَفِي حِزْبِ الشَّامِ لَدَيْكَ أَشَدُّ * كَمَا لَا يَطِيبُ لَهَا أَنْهَزَامُ
 (٣) فَكُونُوا لِلْبِلَادِ وَلَا يَفْتَكُمُ * مِنَ النَّهْزَاتِ وَالْفُرَصِ آغْتِنَامُ
 (٤) فَمَا سَادُوا بِمُعْجَزَةٍ عَلَيْنَا * وَلَكِنْ فِي صُفُوفِهِمْ أَنْضَامُ
 (٥) فَلَا تَتَّقُوا بَوْعِدِ الْقَوْمِ يَوْمًا * فَإِنْ سَحَابَ سَاسَتِهِمْ جَهَامُ
 (٦) وَخَافُوهُمْ إِذَا لَانُوا فَإِنِّي * أَرَى السُّوَّاسَ لَيْسَ لَهُمْ ذِمَامُ
 (٧) فَكَمْ ضَحِكَ الْعَمِيدُ عَلَى لِحَانَا * وَغَرَّ سَرَاتِنَا مِنْهُ آتِسَامُ
 (٨) أَبَا الْفَلَاحِ إِنَّ الْأَمْرَ قَوْضَى * وَجَهْلُ الشَّعْبِ وَالْقَوْضَى لِرَامُ
 فَاسْعِدْنَا بِنَشْرِ الْعِلْمِ وَأَعْلَمُ * بَانَ النَّقْصَ يَعْقُبُهُ الثَّمَامُ

- (١) العوادي : النوايب . ويروعه : يفزعه . (٢) الكفاة : الشجاعة ؛ الواحد كفى
 (بفتح الكاف وتشديد الياء) . (٣) النهزات : ما يتنزه من الفرص ، الواحدة نهزة (بضم فسكون) .
 (٤) سادوا : يريد شعوب الغرب . (٥) يريد « بالقوم » : الإنجليز . و « بوعدهم » :
 ما وعدوا به مصر من الجلاء عنها . والجهايم من السحب (بفتح الجيم) : الذي لا ماء فيه .
 (٦) الذمام : الذمة والعهد . (٧) يريد عميد الدولة الإنجليزية (السير غورست) . والسراة
 من الناس : أهل الرفعة والمنزلة ؛ الواحد سرى (بفتح السين وتشديد الياء) .
 (٨) أبو الفلاح : كنية كان يكنى بها المفقور له السلطان حسين كامل ، وذلك لما كان يظهره من
 العناية بالفلاحين والنظر فيما يصلحهم ويعود عليهم بالرفاهية والخصب . ولزام ، أى ان الجهل والقوضى
 متلازمان ، إذا وجد أحدهما وجد الآخر .

وليس العلم يُسَكَّنًا وَحِيدًا * اذا لم ينصُرِ العلمُ اعتِزَامُ^(١)
 وإن لم يُدْرِكْ الدُّسْتُورُ (مِصْرًا) * فما لِحَيَاتِهَا أَبَدًا قِوَامُ^(٢)
 حَمُونَا وَرَدَ مَاءِ (النَّيْلِ) عَذَابًا * وقالوا : إِنَّهُ مَوْتُ زُؤَامُ^(٣)
 وما المَوْتُ الزُّؤَامُ إِذَا عَقَلْنَا * سِوَى الشَّرِكَاتِ حَلَّ لَهَا الْحَرَامُ^(٤)
 لقد سَعِدَتْ بِغَفْلَتِنَا فِرَاحَتُ * بَثْوَتِنَا وَأَوَّلُهَا (الْتِرَامُ)^(٥)
 فَيَا وَيْلَ الْقَنَاءِ إِذَا أَحْتَوَاهَا * (بَنُو التَّامِيزِ) وَأَنْحَسَرَ اللَّثَامُ^(٦)
 لقد بَقِيَتْ مِنَ الدُّنْيَا حُطَامًا * بِأَيْدِينَا وَقَدْ عَزَّ الْحُطَامُ^(٧)
 وقد كُنَّا جَعَلْنَاهَا زِمَامًا * فَوَالْهَمِّي إِذَا قُطِعَ الزِّمَامُ^(٨)
 (فِيَا قَصْرَ الدُّبَارَةِ) لَسْتُ أَدْرِي * أَحَرَبٌ فِي جِرَابِكَ أَمْ سَلَامُ^(٩)
 أَجِبْنَا ، هَلْ يُرَادُّ بِنَا وَرَاءُ * فَتَقْضَى أَمْ يُرَادُّ بِنَا أَمَامُ^(١٠)
 وَيَا حِزْبَ الْيَمِينِ إِلَيْكَ عَنَّا * لقد طَاشَتْ نِيَالُكَ وَالسَّهَامُ^(١١)
 وَيَا حِزْبَ الشَّمَالِ عَلَيْكَ مِنَّا * وَمِنْ أَبْنَاءِ نَجْدَتِكَ السَّلَامُ^(١٢)

- (١) قوام الأمر : نظامه وعماده وملاكه الذى يقوم به . (٢) يشير بهذا البيت الى شركة المياه .
 ويريد بقوله : « موت زؤام » : ما يحمله ماء النيل الكدر من الجراثيم . (٣) القنائة ، أى قناة السويس .
 وبَنُو التَّامِيزِ : الإنجليز . والتاميز : نهر عندهم معروف . ويريد « بانجسار اللثام » : انكشاف الحجاب
 عما يضمرونه نحو مصر . (٤) بقيت ، أى القنائة . (٥) يريد بهذا البيت والذى قبله أن
 قناة السويس قد بقيت فى يدنا ترانا عن السلف على قلة ترانا ، وقد كنا نأمل منها أن تكون صلة بيننا وبين العالم
 وأخوف ما نخافه أن تنقطع هذه الصلة . (٦) تقضى : تموت . (٧) حزب اليمين : الأعضاء
 الذين كانوا يؤيدون الحكومة فى مجلس شورى القوانين . وحزب الشمال : المعارضون الذين كانوا يؤيدون
 رأى الأمة . وأبناء نجدتك ، أى الذين يتأصرونك ويرون رأيك . والنجدة : الشجاعة والنصرة .

تحية العام الهجرى

[سنة ٨١٣٢٨ هـ - يناير سنة ١٩١٠ م]

- (١) لى فيك حين بدأ سنالك وأشرقاً * أمل سالت الله أن يتحققاً
 (٢) أشرق علينا بالسعود ولا تكن * كأخيك مشئوم المنازل أنرقاً
 قد كان جراح النفوس فداوها * مما بها وكن الطيب موقفاً
 (٣) هلت حين لمحت نور جبينه * ورجوت فيه الخير حين تالقا
 (٤) وهزته بقصيدة لو أنها * تليت على الصخر الأصم لأغداً
 (٥) فنأى بجانبه وخص بحسه * مضراً وأسرف في النحوس وأغرقاً
 لو كنت أعلم ما يحبُّه لنا * لسالت ربي ضارِعاً أن يُحقّقاً
 (٦) أولى الأعاجم منة مذكورة * وأعاد للأتراك ذاك الرونقا
 (٧) وتغيرت فيه الخطوب بفارس * حتى رأيت الشاه يخشى اليقداً

(١) السناء: الضوء. مخاطب هلال المحرم. (٢) يريد بقوله «أخيك»: هلال العام الذى قبله. والمنازل: البروج التى ينتقل فيها القمر. والأشرق: من الخرق (بضم الخاء) والخرق (بفتح الخاء والراء)، وهو القسوة والحق. (٣) تالق: أضاء وأشرق. (٤) يقال: هزه إلى المعروف: إذا حركه إليه وشوقه إلى عمله. وأغداً: تفجر بالماء الكثير. ويريد «بالقصيدة»: القصيدة السابقة التى أولها: أطل على الأكوان والخلق تنظر * هلال رآه المسلمون فكبروا

(٥) نأى: بعد. يريد أنه أعرض عن رجائنا فيه. وأغرق في النحوس: بالغ فيها وأفرط. (٦) أولى: أعطى. ويريد أن الأعاجم، وهم الفرس، قالوا فيه الدستور، وكذلك الترك. (٧) الخطوب: الشئون؛ الواحد: خطب (بفتح الخاء). والشاه: ملك العجم. واليصدق: الجندى. ويشير إلى الشاه واليصدق من قطع الشطرنج. والمعنى أن الحكم فى فارس قد أصبح بيد الأمة حتى أصبح الملك يخشى رعيته بعد أن كانت تخشاه.

- (١) وَأَدَالَ مِنْ (عبد الحميد) لشعبه * فهوى وحاول أن يعود فأخفقا
 (٢) أَمْسَى يُبَالِي حَارِسًا مِنْ جُنْدِهِ * ولقد يَكُونُ وما يُبَالِي الفيلقا
 (٣) وَرَمَى عَلَى أَرْضِ الْكِنَانَةِ حَرَمَهُ * بالنزلات السود حتى أرهقا
 (٤) حَصَدَتْ مَنَاجِلُهُ غِرَاسَ رَجَائِنَا * ولو أنها أَبَقَتْ عَلَيْهِ لَأَوْرَقَا
 (٥) فَتَقَيَّدَتْ فِيهِ الصَّحَافَةُ عَنُودَهُ * ومشى ألهى بين الرعية مطلقا
 (٦) وَأَتَى يُسَاوِمُ فِي (القناة) خَدِيعَةً * ولو أنها تَمَّتْ لَتَمَّ بِهَا الشَّقَا
 (٧) إِنَّ الْبَلِيَّةَ أَنْ تَبَاعَ وَتُشْتَرَى * (مِصْرُ) وما فيها وألا تَنُطِقَا
 (٨) كَانَتْ تُوَاسِينَا عَلَى الْإِمْنَا * صَحُفٌ إِذَا نَزَلَ الْبَلَاءُ وَأَطْبَقَا
 فَإِذَا دَعَوْتُ الدَّمَعَ فَاسْتَعَصَى بَكَتْ * عَنَّا أَسَى حَتَّى تَنْصُ وَتَشْرَقَا
 كَانَتْ لَنَا يَوْمَ الشَّدَائِدِ أَسْهَمًا * نَرَى بِهَا وَسَوَاقًا يَوْمَ اللَّقَا

- (١) يقال : أدال الله لك من فلان : اذا جعل الكرة والنصر لك عليه . وأخفق في السعى : لم ينجح فيه . (٢) الضمير في «أمسى» : لعبد الحميد . والفيلق : الجيش العظيم . (٣) رمى : الضمير فيها يعود على الهلال . وأرض الكنانة : مصر . وأرهق : أزل على أهلها العسر والظلم والطغيان . (٤) المناجل : جمع منجل ، وهو آلة يحصد بها الزرع ، معروفة . (٥) يشير إلى تنفيذ قانون المطبوعات الذي عمل به في عهد وزارة بطرس غالى باشا ، فقيد حرية الرأى والكتابة في الصحف . والعنود : القهر . ويريد «بالهوى» : الحكم بما يشتهي الحاكم ، لا بما يقتضيه العدل . ومطلقا ، أى لا قيد عليه . (٦) يشير بهذا البيت والذي قبله الى ما حدث في عهد نظارة بطرس غالى باشا من أن شركة قناة السويس كانت قد عرضت على الحكومة المصرية مد أجل امتيازها أربعين سنة أخرى تبندى من سنة ١٩٦٩ م الى نهاية سنة ٢٠٠٨ م وأبت ذلك الجمعية العمومية بإجماع أعضائها محتجة بأن في ذلك هبنا فاحشا قدر يبلغ ١٣٠٠٠٠٠٠ جنيها ، وكان ذلك في ٧ أبريل سنة ١٩١٠ م ، وكان رأى الجمعية العمومية في هذه المسألة قطعيا لا استشاريا . (٧) أطبق عليهم البلاء : غشيم وخطام . (٨) السوابق : من صفات الخيل ، أى إن الصحف كانت عدة لنا في الجهاد .

كانت صمًا لِلنُّفُوسِ إِذَا غَلَّتْ * فِيهَا الْهُمُومُ وَأَوْشَكَتُ أَنْ تَزْهَقَا^(١)
 كَمْ تَقَسَّتَ عَنْ صَدْرِ حُرٍّ وَاجِدٍ * لَوْلَا الصَّامُ مِنَ الْأَمْسَى لَتَمَزَّقَا^(٢)
 مَالِي أَنْوَحَ عَلَى الصَّحَافَةِ جَارِمًا * مَاذَا أَلَمُّ بِهَا وَمَاذَا أَحْدَقَا؟^(٣)
 قَصُّوا حَوَاشِيَهَا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ * أَمِنُوا صَوَاعِقَهَا فَكَانَتْ أَصْعَقَا^(٤)
 وَأَتَوْا بِحَاذِقِهِمْ يَكِيدُ لَهَايِمَا * يَثْنِي عَزَائِمَهَا فَكَانَتْ أَحْدَقَا^(٥)
 أَهْلًا بِنَابِتَةِ الْبِلَادِ وَمَرْحَبًا * جَدَّدْتُمُ الْعَهْدَ الَّذِي قَدْ أَخْلَقَا^(٦)
 لَا تَيَاسُوا أَنْ تَسْتَرِدُّوا مَجْدَكُمْ * قَلْبٌ مَغْلُوبٌ هَوَى ثُمَّ أَرْتَقَى^(٧)
 مَدَّتْ لَهُ الْأَمَالُ مِنْ أَفْلَاكِهَا * خَيْطَ الرَّجَاءِ إِلَى الْعُلَا فَتَسَلَّقَا^(٨)
 فَتَجَسَّمُوا لِلْمَجْدِ كُلِّ عَظِيمَةٍ * إِنِّي رَأَيْتُ الْمَجْدَ صَعْبَ الْمُرْتَقَى^(٩)
 مَنْ رَامَ وَصَلَ الشَّمْسِ حَاكَ خُيُوطَهَا * سَبَّأَ إِلَى آمَالِهِ وَتَعَلَّقَا^(١٠)
 عَارٌ عَلَى ابْنِ النَّيْلِ سَبَاقِ الْوَرَى * مَهْمَا تَقَلَّبَ دَهْرُهُ - أَنْ يُسْبَقَا^(١١)
 أَوْ كَلَّمَا قَالُوا تَجَمَّعَ شَمْلُهُمْ * لَعِبَ الشَّقَاقُ بِجَمِينَا فَتَفَرَّقَا^(١٢)

- (١) تقست : خففت . والواجد : الحزين . والأسى (بفتح الهزة) : الحزن . و«من الأمسى» متعلق بقوله «لتمزقا» .
 (٢) ألم : نزل . وأحرق : أحاط .
 (٣) يريد «بحاذقهم» : بطرس غالى باشا رئيس النظار إذ ذاك . ويريد بقوله «فكانت أحدقا» : أنها كانت تؤدي عملها فى نقد الحكومة بمهارة ومدارة حتى لا تؤاخذ . (٤) نابتة البلاد : نشوها وشبانها . وأخلق : بلى ورث . (٥) تسلق : صعد . (٦) تجسّموا : تكلفوا .
 (٧) حاك : نسج . والسبب : الحبل . يقول : إن من يريد أن يبلغ معالى الأمور تلبس الوسائل لها مهما بدا من ضعفها أو استحالتها . (٨) الشقاق : الخلاف والمداورة .

- (١) فَتَدَقُّوا حُجَجًا وَحُوطُوا نِيْلَكُمْ * فَلَكُمْ أَفَاضَ عَلَيْكُمْ وَتَدَقُّوا
 (٢) حَمَلُوا عَلَيْنَا بِالزَّمَانِ وَصَرَفَهُ * فَتَأَنَّقُوا فِي سَلِينَا وَتَأَنَّقَا
 (٣) هَزُّوا مَغَارِبَهَا فَهَابَتْ بِأَسْهُم * يَا وَيْلَكُمْ إِنْ لَمْ تَهْزُوا الْمَشْرِقَا
 فَتَعَلَّمُوا فَالْعِلْمُ مِفْتَاحُ الْعُلَا * لَمْ يُبْقِ بَابًا لِلْسَّعَادَةِ مُغْلَقَا
 ثُمَّ أَسْتَيْدُوا مِنْهُ كُلَّ قُورَاكُمْ * إِنْ الْقَوَى بِكُلِّ أَرْضٍ يُتَقَى
 (٤) وَأَبْنُوا حَوَالِي حَوْضِكُمْ مِنْ يَقْظَةٍ * سُورًا وَخُطُوا مِنْ حِذَارٍ خَنْدَقَا
 (٥) وَزِنُوا الْكَلَامَ وَسَدِّدُوهُ لِإِتْهِم * خَبِّأُوا لَكُمْ فِي كُلِّ حَرْفٍ مَزَلَقَا
 (٦) وَأَمْشُوا عَلَى حَذَرٍ فَإِنَّ طَرِيقَكُمْ * وَعَرُّ أَطَافٍ بِهِ الْهَلَاكُ وَحَلَقَا
 (٧) نَصَبُوا لَكُمْ فِيهِ الْفِخَاخَ وَأَرَصَدُوا * لِلْسَّالِكِينَ بِكُلِّ فُجٍّ مَوْيِقَا
 (٨) الْمَوْتُ فِي غِشْيَانِهِ وَطُرُوقِهِ * وَالْمَوْتُ كُلُّ الْمَوْتِ إِلَّا يُطْرَقَا
 (٩) فَتَحِينُوا فُرْصَ الْحَيَاةِ كَثِيرَةً * وَتَعَجَّلُوا بِالْعَزَائِمِ وَالرَّقَى

- (١) حاطه : صانه وحفظه . (٢) حملوا علينا بالزمان ، أى حاربنا المحتلون بحوادث الزمان ونوابه . وتأثق في الأمر : بالغ فيه . (٣) يقول : إن للإنجليز من الحول والقوة ما أربها به دول الغرب ، فليكن لكم أيها المصريون بين أمم الشرق ما للإنجليز بين أمم الغرب . (٤) المراد (بالحوض) هنا : الحى . (٥) المزلق : مكان الانزلاق ، أى الزلل والسقوط .
 (٦) الوعر : الصعب . وحلق : ارتفع . يريد أن الهلاك قد غشى طريقكم من كل مكان .
 (٧) الفج : الطريق . والمويق : المهلك . (٨) يريد أن طريق الأمة إلى المجد والحرية مملوء بأسباب الهلاك ، على أن ما نحن فيه من استنامة ودعة ورضى بالاستعباد والذل موت أكبر ، ففى الإقدام موت ، وفى الإجماع موت أعظم ، فتحينوا الفرص ، وهو ما يقوله فى البيت الآتى .
 (٩) تعجل الأمر : طلبه عاجلا . والرقى : جمع رقية ، وهى معروفة . ويريد « بالعزائم والرقى » هنا : قوة الدماء والتلطف فى الحيلة ، وحسن التأني إلى المقاصد .

أَوْ فَاخْلُقُوهَا قَادِرِينَ فَإِنَّمَا * فَرَّصَ الْحَيَاةَ خَلِيقَةً أَنْ تُخْلَقَ
 (١)
 وَتَفِيئُوا ظِلَّ الْأَرِيكََةِ وَأَقْصِدُوا * مَلِكًا بِأَمَّتِهِ أَبْرَّ وَأَرْفَقًا
 (٢)
 لَا زَالَ تَأْجُ الْمُلْكِ فَوْقَ جَبِينِهِ * تَحْتَ الْهِلَالِ يَزِينُ ذَاكَ الْمَفْرِقًا

تحية الأسطول العثماني

أنشدتها في حفل أقيم بتياترو عباس في ٩ مارس سنة ١٩١٠ م برئاسة رؤوف باشا المعتمد العثماني

(٣)
 بِالَّذِي أَجْرَاكَ يَا رِيحَ الْخُزَامَى * بَلَّغْنِي الْبُسْفُورَ عَنْ مِصْرَ السَّلَامَا
 (٤)
 وَأَقْطِنِي مِنْ كُلِّ رَوْضِ زَهْرَةٍ * وَأَجْعَلْهَا لَتَحَايَانَا كِكَامَا
 (٥)
 وَانْشُرِي رَيَّاكَ فِي ذَاكَ الْحِمَى * وَالْتَمِسِي الْأَرْضَ إِذَا جِئْتِ الْإِمَامَا
 مَلِكٌ لِلشَّرْقِ فِي أَيَّامِهِ * هِمَّةُ الْغَرْبِ نُهَوِّضَا وَأَعْتَرَامَا
 أَيُّهَا الْقَائِمُ بِالْأَمْرِ لَقَدْ * قُتِّتَ فِي النَّاسِ فَأَحْسَنْتِ الْقِيَامَا
 (٦)
 جَرَّدَ الرَّأْيَ فَكُمُ رَأْيِي إِذَا * سُلِّ مِنْ غَمْدِ النَّهْيِ قَلَّ الْحُسَامَا

(١) تفيئوا ظل الأريكة، يطلب إليهم أن يلتجئوا إليها ويستظلوا بها، والأريكة: سرير الملك.

(٢) مفرق الرأس: وسطه، وهو حيث يفرق فيه الشعر.

(٣) الخزامى: نبات عطري زهره من أطيب الأزهار نضرة؛ وهذا النبات يقارب البفسج، وزهره

إلى الزرقة واللازوردية. (٤) الكام: أغصان الزهر؛ الواحد كم (بكسر الكاف وتشديد الميم).

يقول: حوطني محايانا بأزهار الرياض. ويشير بذلك إلى أن التحايا التي يبعث بها إلى البسفور أذكي من

الأزهار ريحا، لأن الأزهار أذكي من أكمامها وأطيب نضرة. (٥) الربا: الراححة الطيبة. ويريد

«بالإمام»: خليفة المسلمين. (٦) النهى: العقول؛ الواحد نهية. وفل الحسام: ثلثه وكسره.

وَأَبَعِثَ الْأُسْطُولَ تَرِي دُونَهُ * قُوَّةُ اللَّهِ وَرَاءَ وَأَمَامَا
 (١)
 يَكَلَّا الشَّرْقَ وَيَرَعَى بُقْعَةً * رَفَعَ اللَّهُ بِهَا (الْبَيْتَ الْحَرَامَا)
 (٢)
 وَتَغُورًا هِيَ أَهْيَ مَنَظَرًا * مِنْ تَغُورِ الْغَيْدِيِّدِينَ آيَتَسَامَا
 (٣)
 خَصَّهَا اللَّهُ بِأَفْسَقِ مُشْرِقٍ * ضَمَّ فِي الْأَلَاءِ (مَضْرًا) وَ(الشَّامَا)
 (٤)
 حَتَّى يَا مُشْرِقُ أُسْطُولَ الْأَلَى * ضَرَبُوا الدَّهْرَ بِسَوْطٍ فَاسْتَقَامَا
 (٥)
 مَلَكُوا الْبَرَّ فَلَمَّا لَمْ يَسْغَ * مَجَّدَهُم نَالُوا مِنْ الْبَحْرِ الْمَرَامَا
 (٦)
 بِجَوَارٍ مُنْشَأَتٍ كَالْدُمَى * أَيْمًا سَارَتْ صَبَا الْبَحْرِ وَهَامَا
 (٧)
 كَلَّمَا أَوْفَتْ عَلَى أَمْوَاجِهِ * مَجَّدَ الْمَوْجُ خُشُوعًا وَاحْتِشَامَا
 (٨)
 كَانَتْ بِالْبَحْرِ إِلَيْهَا ظَمًا * وَغَجِبُ يَسْتَكِي الْبَحْرُ الْأَوَامَا
 (٩)
 فَهِيَ فِي السَّلَامِ جَوَارٍ تُجْتَلَى * تَبْهَرُ الْعَيْنُ رُوءَاً وَنِظَامَا
 (١٠)
 وَهِيَ فِي الْحَرْبِ قَضَاءٌ سَابِحٌ * يَدْعُ الْحِصْنَ تِلَالًا وَرِجَامَا

(١) يَكَلَّا الشَّرْقَ : يحفظه ويصونه . ويريد «بالقعة» : الحجاز . (٢) النيد : جمع غادة ، وهي المرأة اللينة الناعمة . (٣) الْأَلَاءَ : الضياء .

(٤) «ضربوا الدهر... الخ» : يريد أنهم أخضعوه لسلطوتهم وعزهم فاستقام لهم .

(٥) الجوارى المنشآت : السفن . والدُمى : جمع دمية ، وهي الصورة المنقشة المزينة . شبه السفن بها في جمالها .

(٦) أَوْفَتْ : أشرفت . والاحتشام : الحياء .

(٧) الْأَوَام : شدة العطش .

(٨) تجتلى : ينظر إليها الناس معجبين بحسنها وروفتها . والرواء (بضم الراء) : حسن المنظر .

(٩) الرجام : الحجارة ، الواحد رجمة (بضم الراء وسكون الجيم) .

- (١) ما نُجُومُ الرَّجِيمِ مِنْ أَجْرَاجِهَا * إِثْرَ عَفْرِيتٍ مِنَ الْجَنِّ تَرَامِي
(٢) مِنْ مَرَامِيهَا بِأَنْكِ مَوْقِعًا * لَا وَلَا أَقْوَى مِرَاسًا وَعُورَامَا
وَهِيَ بَرْكَانُ إِذَا مَا هَاجَهَا * هَاجُ الشَّرِّ عِدَاءً وَخِصَامَا
(٣) جَبَلِ النَّارِ لَقَدْ رُعْتَ الْوَرَى * أَنْتَ فِي حَالَيْكَ لَا تَرَعَى ذِمَامَا
(٤) أَنْتَ فِي الْبَرِّ بَلَاءٌ فَإِذَا * رَكِبَ الْبَحْرَ غَدَا مَوْتًا زُؤَامَا
(٥) فَاتَّقُوا الطُّودَ مَكِينًا رَاسِيًا * وَاتَّقُوا الطُّودَ إِذَا مَا الطُّودُ عَامَا
(٦) حَمَلَتْ حَرِيًّا فَكَانَتْ حَقْبَةً * نُذْرًا لِلْمَوْتِ تَجْتَاخُ الْأَنَامَا
(٧) خَافَهَا الْعَالَمُ حَتَّى أَصْبَحَتْ * رُسُلًا تَحْمِلُ أَمْنًا وَسَلَامَا
يُبْعَثُ الْمَشْرِقُ مِنْ مَرْقَدِهِ * بَعْدَ حِينٍ ، جَلَّ مَنْ يُنْجِي الْعِظَامَا
أَيُّهَا الشَّرْقُ شَمْرُ لَا تَمَّ * وَأَنْفِضِ الْعَجَزَ فَإِنَّ الْيَدَ قَامَا

- (١) تَرَامِي ، أَي تَرَامَى وَتَسَاقَطَ . وَيُشِيرُ إِلَى أَنَّ الْجَنِّ كَانُوا قَبْلَ مَبْعَثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْتَرْقُونَ السَّمْعَ مِنَ السَّمَاءِ ، فَلَمَّا بَعَثَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَارَ يَرْجُمُ بِالشَّهْبِ كُلَّ مَنْ يَرِيدُ مِنْهُمْ الدُّنْقَ مِنَ السَّمَاءِ وَاسْتَرَقَ السَّمْعَ ؛ وَقَدْ حَكَى اللَّهُ تَعَالَى ذَلِكَ فِي الْقُرْآنِ فِي سُورَةِ الْجَنِّ . (٢) أَنْكِ : سَخِيرٌ «لَمَّا» فِي قَوْلِهِ السَّابِقِ : «مَا نُجُومُ» . وَالْعَرَامُ : الشَّرَاسَةُ وَالْأَذَى وَالْحَذَّةُ . يَرِيدُ أَنَّ الشَّهْبَ الَّذِي يَرْجُمُ بِهِ الْجَنِّ الْمُسْتَرْقُونَ السَّمْعَ مِنَ السَّمَاءِ لَيْسَتْ أَشَدَّ وَقْعًا وَلَا أَنْكِ عَذَابًا مِنْ قَذَائِفِ هَذِهِ السَّفَنِ فِي الْحَرْبِ .
(٣) رُعْتَ : أَفْزَعْتَ . وَالذِّمَامُ : الْحَرَمَةُ وَالْمَهْدُ . (٤) يُشِيرُ بِقَوْلِهِ «أَنْتَ فِي الْبَرِّ» : إِلَى الْبَرَائِكِينَ الْمَعْرُوفَةِ . وَبِقَوْلِهِ «فَإِذَا رَكِبَ الْبَحْرَ» : إِلَى الْأَسْطُولِ ، تَشْبِيْهُهُ بِالْبَرَائِكِينَ . جَعَلَ لِلْبَرَائِكَيْنِ مَظْهَرَ الْحَقِيقِ فِي الْبَرِّ ، وَمَظْهَرَ الْمَجَازِيِّ فِي الْأَسْطُولِ . (٥) الطُّودُ : الْجَبَلُ الْعَظِيمُ . (٦) الْحَقْبَةُ مِنَ الدَّهْرِ : مَدَّةٌ لَاحِظَةٌ لَهَا . وَتَجْتَاخُ الْأَنَامُ : تَهْلِكُهُمْ .
(٧) يَرِيدُ بِهَذَا الْبَيْتِ وَالَّذِي قَبْلَهُ : أَنَّ هَذِهِ السَّفْنَ خَدِمَتْ الْحَرْبَ وَالسَّلَامَ مَعًا ، فَكَانَتْ فِي الْحَرْبِ رُسُلَ مَوْتٍ تَحْصِدُ الْأَرْوَاحَ ، وَهِيَ لِقُوتِهَا وَكَيْالِ اسْتِعْدَادِهَا خَافَتْ الْأَعْدَاءَ فَتَجَنَّبُوا حَرِيَّهَا ، فَكَانَتْ مَبْعَثَ سَلَامٍ أَيْضًا .

(١) وَاَمْتِطِ الْعَزْمَ جَوَادًا لِلْعُلَا * وَأَجْعَلِ الْحِكْمَةَ لِلْعَزْمِ زِمَامًا
 (٢) وَإِذَا حَاوَلْتَ فِي الْأَفْقِ مَنَى * فَارْكَبِ الْبَرْقَ وَلَا تَرْضَ الْغَمَامَ
 لَا تَضِيقْ ذَرْعًا بِمَا قَالَ الْعِدَا * رَبِّ ذِي لُبٍّ عَنْ الْحَقِّ تَعَامَى
 سَابِقِ الْغَرْبِيِّ وَأَسْبِقِ وَاعْتَصِمْ * بِالْمَرْوَاتِ وَبِالْبَاسِ اعْتِصِمَا
 جَانِبِ الْأَطْمَاعِ وَانْهَجْ نَهْجَهُ * وَأَجْعَلِ الرَّحْمَةَ وَالتَّقْوَى لِرَامَا
 (٣) طَلَبُوا مِنْ عَلَيْهِمُ أَنْتَ يُعْجِزُوا * قَادِرَ الْمَوْتِ وَأَنْ يَثْنُوا الْحِمَامَا
 (٤) وَأَرَادُوا مِنْهُ أَنْ يَرْفَعَهُمْ * فَوْقَ هَامِ الشَّهْبِ فِي الْغَيْبِ مَقَامَا
 (٥) (قَتَلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ) * طَاوَلَ الْخَالِقَ فِي الْكَوْنِ وَسَامَى
 (٦) أَخْرَجَ الْغَيْبَ إِلَى أَنْ بَزَهُ * سِرَّهُ بَزًا وَلَمْ يَخْشَ آتِيقَامَا
 قُوَّةَ الرَّحْمَنِ زَيْدِيًا قُوَى * وَأَفِضَى فِي بَنِي الشَّرْقِ الْوِثَامَا
 أَفْرِغِي مِنْ كُلِّ صَدْرِ حَقْدَهُ * أَمَلًا تَارِيخَ وَالذُّنْبَا كَلَامَا
 أَسْأَلُ اللَّهَ الَّذِي أَلْهَمَنَا * خِدْمَةَ الْأَوْطَانِ شَيْخًا وَغُلَامَا
 (٧) أَنْتَ أَرَى فِي الْبَحْرِ وَالْبَرِّ لَنَا * فِي الْوَعَى أَنْدَادَ (طُوجُو) وَ(أَيَامَا)

(١) الزمام : ما تقاد به الدابة . (٢) يريد « يركوب البرق » : شدة السرعة ، لأن بطة .

الغمام لا يصلح مطية للجدة . (٣) قادر الموت : مقدره ، وهو الله تعالى .

(٤) الهام : الروس . الواحدة هامة . والشهب : النجوم . (٥) طاول : غالب .

وساماه مسامة : باراه في السم . (٦) بزه : سلبه . (٧) الوعى : الحرب .

والأنداد : الأشباه . وطوجو وأياما : قائدان يابانيان معروفان .

حرب طرابلس

[في سنة ١٩١٢ م]

طَمَعُ أَلْقَى عَنِ الْغَرْبِ اللَّثَامَا * فَاسْتَفِيقْ يَا شَرْقُ وَأَحْذَرُ أَنْ تَتَّامَا^(٢)
 وَأَحْمِلِي أَيْتُهَا الشَّمْسُ إِلَى * كُلِّ مَنْ يَسْكُنُ فِي الشَّرْقِ السَّلَامَا
 وَأَشْهَدِي يَوْمَ التَّنَادِي أَنَّنَا * فِي سَبِيلِ الْحَقِّ قَدْ مِتْنَا كِرَامَا^(٣)
 مَادَتِ الْأَرْضُ بِنَا حِينَ انْتَشَتْ * مِنْ دَمِ الْقَتْلَى حَلَالًا وَحَرَامَا^(٤)
 عَجَزَ الطُّلِيَانُ عَنْ أَبْطَالِنَا * فَأَطْلُوا مِنْ ذَرَارِينَا الْحُسَامَا^(٥)
 كَبَلُوهُمْ، قَتَلُوهُمْ، مَثَّلُوا * بِذَوَاتِ الْخَذِرِ، طَاحُوا بِالْيَتَامَى^(٦)
 ذَبَحُوا الْأَشْيَاخَ وَالزَّمَنِي وَلَمْ * يَرْحَمُوا طِفْلًا وَلَمْ يُبْقُوا غُلَامَا^(٧)
 أَحْرَقُوا الدُّورَ، أَسْتَحَلُّوا كُلَّ مَا * حَرَّمَتْ (لَاهَايُ) فِي الْعَهْدِ أَحْتَرَامَا^(٨)
 بَارَكَ الْمَطْرَانُ فِي أَعْمَالِهِمْ * فَسَلُّوهُ بَارَكَ الْقِسْمَ عَلَامَا؟^(٩)

- (١) ترجع أطماع إيطاليا في طرابلس منذ بدأت أوربا تنشط في اقتسام إفريقيا . ولما رأت إيطاليا أن إنجلترا وفرنسا صارتا صاحبتى النفوذ في مصر وتونس ، قويت أطماعها في طرابلس . ولم تأت سنة ١٩١٢ م حتى أغارت إيطاليا على طرابلس تريد انتزاعها من تركيا ، وفي هذه الحرب يقول الشاعر قصيدته .
- (٢) اللثام (بالكسر) : النقاب . أى إن أم الغرب قد كشفتوا عما يضمرون للشرق من اقتسامه بينهم .
- (٣) يوم التنادي : يوم القيامة . (٤) مادت الأرض : اضطربت . وانتشت : سكرت .
- (٥) أعلوا ، أى سقوا . وأصل الإعلال : السق بعد السق . (٦) طاح به : ذهب به وأهلكه .
- (٧) الزمنى : ذوالعاهات ؛ الواحد : زمن (بفتح الأول وكسر الثانى) .
- (٨) يشير إلى مؤتمر لاهاي الذى عقد في سنة ١٨٩٩ م بدعوة من نقولا الثانى قيصر روسيا للقضاء على أسباب الحرب ، بتقليل السلاح ، وتفويض المشاكل التى تقع بين الدول إلى هيئة تحكيم يختار أعضاؤها من بين الدول .
- (٩) المطران (بالفتح ويكسر) : رئيس الكهنة ، وهو دون البطرك وفوق الأسقف .

أَهَذَا جَاءَهُمْ أَنْجِلُهُمْ * آمِرًا يُلْقَى عَلَى الْأَرْضِ سَلَامًا؟
 كَشَفُوا عَنْ نِيَّةِ الْغَرَبِ لَنَا * وَجَلَّوْا عَنْ أَفْقِ الشَّرْقِ الظُّلَامَا
 فَقَرَأْنَاهَا سُطُورًا مِنْ دِم * أَقْسَمْتُ تَلْتَهُمُ الشَّرْقَ آلْتُهُمَا
 أَطْلَقُوا الْأَسْطُورَ فِي الْبَحْرِ كَمَا * يُطْلِقُ الزَّاجِلُ فِي الْجَوِّ الْحَمَامَا^(١)
 فَمَضَى غَيْرَ بَعِيدٍ وَأَنْتَنَى * يَحْمِلُ الْأَنْبَاءَ سُؤْمًا وَأَنْهَزَامَا^(٢)
 قَدْ مَلَأْنَا الْبَرَّ مِنْ أَشْلَائِهِمْ * فَدَعَوْهُمْ يَمْلِكُوا الدُّنْيَا كَلَامَا^(٣)
 أَعْلَنُوا الْحَرْبَ وَاضْمَرْنَا لَهُمْ * أَيْمًا حَلَّوْا هَلَاكًا وَأَخْتَرَامَا^(٤)
 خَبَرُوا (فَكْتُورَ) عَنَّا أَنَّهُ * أَدْهَشَ الْعَالَمَ حَرْبًا وَنِظَامَا
 أَدْهَشَ الْعَالَمَ لَمَّا أَنْ رَأَوْا * جَيْشَهُ يَسْبِقُ فِي الْجَوِّ النُّعَامَا
 لَمْ يَقِفْ فِي الْبَرِّ إِلَّا رَيْثَمَا * يُسَلِّمُ الْأَرْوَاحَ أَوْ يُلْقَى الزَّيْمَامَا^(٥)
 حَاتِمَ الطُّلَيَانَ قَدْ قَلَدْتَنَا * مِثَّةً نَذَكُرُهَا عَامًا فَعَامَا
 أَنْتَ أَهْدَيْتَ إِلَيْنَا عُدَّةً * وَلِبَاسًا وَشَرَابًا وَطَعَامَا^(٦)
 وَسِلَاحًا كَانَ فِي أَيْدِيكُمْ * ذَا كَلَالٍ فَعَدَا يَفْرِى الْعِظَامَا

(١) الزاجل : الذى يرسل الحمام .

(٢) الأشلاء : الأعضاء وبهايا الأجساد؛ الواحد شلو .

(٣) اخترم القوم : استأصلهم . (٤) فكتور عمانوئيل ، هو ملك إيطاليا .

(٥) شبه ملك الطليان فيما تخلى عنه جيشه لآتراك فى هذه الحرب من الأشياء المذكورة بعد بجاتم

الطائى الذى يضرب به المثل فى الكرم ، ولا يخفى ما فى هذا من التهم .

(٦) كل السيف كاللا : لم يقطع . ويفرى : يشق .

أَكْثَرُوا الزُّهْمَةَ فِي أَحْيَائِنَا * وَرُبَانَا إِنَّهَا تَشْفِي السَّقَامَا
 وَأَقِيمُوا كُلَّ عَامٍ مَوْسِمًا * يُشْبِعُ الْإِيْتَامَ مِنَّا وَالْأَيَامِي^(١)
 لَسْتُ أَذْرِي بِتِ تَرْعَى أُمَّةً * مِنْ بَنِي (التَّلْيَانِ) أَمْ تَرْعَى سَوَامَا^(٢)
 مَا لَهُمْ - وَالنَّصْرُ مِنْ عَادَاتِهِمْ - * لَزِمُوا السَّاحِلَ خَوْفًا وَاعْتِصَامَا^(٣)
 أَفْلَتُوا مِنْ نَارِ (فِيْزُوفٍ) إِلَى * نَارِ حَرْبٍ لَمْ تَكُنْ أَدْنَى ضِرَامَا
 لَمْ يَكُنْ (فِيْزُوفٍ) أَذْهَى حُمَا * مِنْ كُرَاتٍ تَنْفُثُ الْمَوْتَ الزُّوَامَا^(٤)
 إِيَّاهِ يَا (فِيْزُوفٍ) نَمَّ عَنْهُمْ فَقَدْ * نَفَضْتُ إِفْرِيْقِيَا عَنْهَا الْمَنَامَا
 فَهِيَ بُرْكَانٌ لَهُمْ سَخَّارُهُ * مَالِكُ الْمُلْكِ جَزَاءً وَأَنْتِقَامَا
 لَوْ دَرَوْا مَا خَبَأَ الشَّرْقُ لَهُمْ * آثَرُوا (فِيْزُوفٍ) وَأَخْتَارُوا الْمَقَامَا^(٥)
 تِلْكَ عُقْبَى أُمَّةٍ غَادِرَةٍ * تَنْكُثُ الْعَهْدَ وَلَا تَرْعَى الذَّمَامَا
 تِلْكَ عُقْبَى كُلِّ جَبَّارٍ طَغَى * أَوْ تَعَالَى أَوْ عَنِ الْحَقِّ تَعَامَى
 لَوْ دَرَّتْ (رُومَةٌ) مَا قَدْ نَابَهَا * فِي (طَرَابُلُسٍ) أَبَتْ إِلَّا أَنْتِقَامَا
 وَأَبَى كُلُّ أَشْتَرَاكِيٍّ بِهَا * أَنْ يَرَى التَّاجَ عَلَى رَأْسِ أَقَامَا
 أَعْلَنُوا ضَمَّ مَغَانِينَا إِلَى * مُلْكٍ (فِيْكَتُورٍ) وَلَمْ يَخْشَوْا مَلَامَا^(٦)

(١) الأيامى : جمع أيام (بتشديد الياء)، وهى من لازوج لها . (٢) السوام : الإبل الراحية .
 (٣) فيزوف : بركان فى جنوب إيطاليا معروف . (٤) الحُم : جمع حممة، وهى كل ما احترق
 من النار . يريد ما يقذفه بركان فيزوف . ويريد «بالكرات» : قذائف المدافع . والزوام : الكريه .
 (٥) الذمام : الحق والحكمة . (٦) المغانى : المنازل؛ الواحد مغنى (بفتح فسكون) .

(١) أَعْلَنُوا الضُّمَّ وَلَمَّا يَفْتَحُوا * قَيْدَ أَظْفُورٍ وَرَاءَ أَوَّامًا
 (٢) فَأَعْجَبُوا مِنْ فَاتِحِ ذِي صِرَّةٍ * يَحْسَبُ الثُّرَّةَ فِي الْبَحْرِ صِدَامًا
 وَيَرَى الْفَتْحَ أَدْمَاءَ بَاطِلًا * وَأَفْتِرَاءً وَاحْتِجَاجًا وَاحْتِكَامًا
 أَيُّهَا الْحَائِرُ فِي الْبَحْرِ اقْتَرِبْ * مِنْ حِمَى (الْبُسْفُورِ) إِنْ كُنْتَ هُمَامًا
 كَمْ سَمِعْنَا عَنْ لِسَانِ الْبَرْقِ مَا * يُزَيِّجُ الدُّنْيَا إِذَا الْأَسْطُولُ عَامًا
 (٣) عَامَ شَهْرَيْنِ وَلَمْ يَفْتَحْ سِوَى * هُوَّةٍ فِيهَا الْمَلَايِينُ تَرَامِي
 دَفَنُوا تَارِيخَهُمْ فِي قَاعِهَا * وَرَمَوْا فِي إِثْرِهِ الْمَجْدَ غُلَامًا
 (٤) فَاطْمِئِنِّي أُمِّ الشَّرْقِ وَلَا * تَقْنَطِي الْيَوْمَ فَإِنَّ الْجَدَّ قَامَا
 (٥) إِنْ فِي أَضْلَاعِنَا أَفْعَدَةٌ * تَعْشَقُ الْمَجْدَ وَتَأْتِي أَنْ تُضَامَا

منظومة تمثيلية

قالها الشاعر عقب ضرب الأسطول الطلياني لمدينة بيروت انتقاماً من الأتراك؛ وذلك في عهد نشوب الحرب الطرابلسية التي وقعت بين الإيطاليين والترك في سنة ١٩١٢ م. وقد فرض الشاعر هذه الرواية بين جريح من أهل بيروت، وزوج له اسمها (ليلي)، وطبيب، ورجل عربي

الجريح:

(لَيْلَى) مَا أَنَا حَيٌّ * يُرَجَى وَلَا أَنَا مَيِّتٌ

(٦) لَمْ أَقْضِ حَقَّ بِلَادِي * وَهَآنَا قَدْ قَضَيْتُ

- (١) قيد أظفُور (بفتح القاف وكسرها)، أى مقدار ظفر. (٢) المرة (بالكسر): القوة والشدة.
 (٣) تَرَامِي: تَرَامَى. (٤) الجَد (بالفتح): الحظ. والمراد «بقيامه»: انتعاشه.
 (٥) تضام: تظلم. (٦) قضيت: مت.

شَفَيْتُ نَفْسِي لَوْ أَنِّي * لَمَّا رُمِيتُ رَمِيتُ
 (يَبْرُوتُ) لَوْ أَنَّ خَصَمًا * مَشَى إِلَى مَشَيْتُ
 أَوْ دَاسَ أَرْضِكَ بَاغٍ * لَدُسْتُهٗ وَبَغَيْتُ
 أَوْ حَلَّ فِيكَ عَدُوٌّ * مُنَازِلُ مَا أَتَقَيْتُ
 لَكِنْ رَمَاكَ جَبَانٌ * لَوْ بَانَ لِي لَأَشْتَقَيْتُ^(١)
 (لَيْلَى) لَا تُحْسِنِي * عَلَى الْحَيَاةِ بَكَيْتُ^(٢)
 وَلَا تَطْنِي شَكَائِي * مِنْ مَصْرَعِي إِنْ شَكَّوتُ^(٣)
 وَلَا يُخَيِّفَنَّكَ ذِكْرِي * (يَبْرُوتُ) أَنِّي سَلَّوتُ^(٤)
 (يَبْرُوتُ) مَهْدُ غَرَامِي * فِيهَا وَفِيكَ صَبَّوتُ^(٥)
 جَرَّتْ ذَيْلَ شَبَابِي * لَمْ يَوْأَوْ فِيهَا جَرَيْتُ^(٦)
 فِيهَا عَرَفْتُكَ طِفْلًا * وَمِنْ هَوَاكَ أَنْتَشَيْتُ^(٧)
 وَمِنْ عُيُونِ رُبَاهَا * وَعَذِبُ فِيكَ أَرْتَوَيْتُ^(٨)
 فِيهَا (لَيْلَى) كِنَاسٌ * وَلِي مِنَ الْعِزِّ بَيْتُ^(٩)

(١) اشتفى : أخذ بئاره فشفى بذلك نفسه . (٢) الشكاة : الشكوى .

(٣) أى لا تخشى بالبللى من شلوق إياك حينما أذكر يبروت ، فكلاهما فى الحب عندى سواء ، كما يتبين

ذلك من الأبيات الآتية . (٤) صبا : مال . أى إن شوقى وغرامى وميل فىك وفيها .

(٥) انتشى : سكر . (٦) الربا : ما ارتفع من الأرض ؛ الواحدة ربوة . وعذب

فيك ، أى ريقك العذب . (٧) الكناس : بيت الظبي الذى يأوى إليه .

فِيهَا بَنَى لِي مَجْدًا * أَوَائِلِي وَبَنَيْتُ
 (١) (لَيْلِي) سِرَاجَ حَيَاتِي * خَبَا فَمَا فِيهِ زَيْتُ
 (٢) قَدْ أَطْفَأَتْهُ كُرَاتُ * مَا مِنْ لَظَاهُنْ قُوْتُ
 (٣) رَمَى بِهِنَ بُغَاةُ * أَصَابَتْنِي قَتَوْتُ

لَيْلِي :

لَوْ تَفْتَدَى بِحَيَاتِي * مِنْ الرَّدَى لَفَدَيْتُ
 وَلَوْ وَفَاكَ وَفَى * بِمُهْجَةٍ لَوَقَيْتُ
 (٤) إِنْ عِشْتَ أَوْمِتْ إِيَّي * كَمَا نَوَيْتَ نَوَيْتُ

الجريح :

(لَيْلَا) عَيْشِي وَقَرِّي * إِذَا الْجَمَامُ دَعَانِي
 (لَيْلَا) سَاعَاتُ عُمْرِي * مَعْدُودَةٌ بِالثَّوَانِي
 (٥) فَكَفِّكْنِي مِنْ دُمُوعِ * تَفْرِى حُشَاشَةً فَانِي
 وَمَهْدِي لِي قَبْرًا * عَلَى ذُرَا (لُبْنَانِ)
 ثُمَّ أَكْتُبِي فَوْقَ لَوْحِ * لِكُلِّ قَاصٍ وَدَّانِي :

(١) خبا : نحمد وطفق . (٢) يريد « بالكرات » : فذائف المدافع المعروفة بالقنابل .
 والظي : النار ، أو لها ، والقوت : الانقلابات . (٣) نويت ، أى هلكت . (٤) كما نويت
 نويت ، أى أنى جعلت حياتى وموتى تهما لحياتك وموتك . (٥) تفرى : تقطع . والحشاشة :
 بقية الروح فى المريض .

هنا الذي مات غدرًا * هنا فتي الفتيان
(١) رمت أيدي جناة * من جيرة النيران
(٢) قرصان بحر تولوا * من حومة الميدان
لم يخرجوا قيد شبر * عن مسبح الحيتان
ولم يطيقوا ثباتًا * في أوجه الفرسان
فشمروا لانتقام * من غافل في أمان
وسودوا وجه (روما) * بالكيد للجيران
(٣) تبا لهم من بغاث * فروا من العقبان
لو أنهم نازلونا * في الشام يوم طعان
رأوا طرابلس تبدو * لهم بكل مكان
يا ليتني لم أعاجل * بالموت قبل الأوان
حتى أرى الشرق يسمو * رغم اعتداء الزمان
ويسترد جلالًا * له ورفعة شان
وليعلم الغرب أنا * كامة (اليابان)

(١) يريد « بجيرة النيران » : الإيطاليين ، لوجود البراكين في بلادهم .

(٢) قرصان البحر : لصومه . وحومة الميدان : موضع القتال . يريد ميدان طرابلس .

(٣) البغاث : طيور يضرب بها المثل في الضعف . والعقبان : جمع عقاب ، وهو من الطيور

الجوارح ، والعرب تسميه (الكاسر) .

لَا تَرْتَضِي الْعَيْشَ يَجْرِي * فِي ذِلَّةٍ وَهَوَانٍ
 أَرَاهِمُ أَنْزَلُونَا * مَنَازِلَ الْحَيَوَانِ
 وَأُخْرِجُونَا جَمِيعًا * عَنْ رُتْبَةِ الْإِنْسَانِ
 (١) وَسَوْفَ تَقْضِي عَلَيْهِمُ * طَبَائِعُ الْعُمَرَانِ
 (٢) فَيُصْبِحُ الشَّرْقُ غَرْبًا * وَيَسْتَوِي الْخَافِقَانِ
 (٣) لَاهُمُ جَدَّدُ قَوَانَا * لِحَدَمَةِ الْأَوْطَانِ
 (٤) فَتَحْنُ فِي كُلِّ صُفْعٍ * تَشْكُو بِكُلِّ لِسَانٍ
 يَا قَوْمَ إِنْجِيلٍ (عِيسَى) * وَأُمَّةَ الْقُرْآنِ
 لَا تَقْتُلُوا الدَّهْرَ حَقْدًا * فَالْمُكُّ لِلدِّيَارِ

ليلى :

إِنِّي أَرَى مِنْ بَعِيدٍ * جَمَاعَةً مُقْبِلِينَ
 لَعَلَّ فِيهِمْ نَصِيرًا * لَعَلَّ فِيهِمْ مُعِينًا

العسري :

هَوْنٌ عَلَيْكَ، تَمَاسُكَ * إِنِّي سَمِعْتُ أُيُنَا
 أَظُنُّ هَذَا جَرِيحًا * يَشْكُو الْأَسَى أَوْطِينَا
 بِاللَّهِ مَاذَا دَهَاهُ * يَا هَذِهِ خَبْرِينَا؟

(١) يريد « بطائع العمران » : منه في الترقى من حسن إلى أحسن ، كما يدل عليه البيت الآتي .

(٢) الخافقان : المشرق والمغرب . (٣) لاهم ، أى اللهم .

(٤) الصقع (بالضم) : الناحية ، والجمع أصقاع . (٥) تماسك : تماسك .

ليلى :

لقد دَهَتْهُ المنايا * مِنْ غَارَةِ الخائِنِينَ
صَبُّوا طِينَا الرِّزَايَا * لَمْ يَتَّقُوا اللَّهَ فِينَا
نَخَفُّوا مِنْ أَذَاهُ * إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ

العربي :

لَا تَيْأَسِي، وَتَجَلَّدْ * أُرَاكَ شَهْمًا رَكِينًا^(١)
أَبْشُرْ فَلِمَكَ نَاجٍ * وَأَصْبِرْ مَعَ الصَّابِرِينَ

الطبيب :

أَوَاهِ إِنِّي أَرَاهُ * بِالمَوْتِ أَمْسَى رَهِينًا
جِرَاحُهُ بِالْغَاتِ * تُعَيِّ الطَّبِيبَ الْفَطِينَا
وَعَنْ قَرِيبٍ سَيَقْضَى * غَضُّ الشَّبَابِ حَزِينًا^(٢)

العربي :

أَفْ لَقَوْمٍ جِياعٍ * قَدْ أَرْعَجُوا الْعَالَمِينَ
قِرَاهُمُ أَيْنَ حَلُّوا * ضَرْبُ يَقْدُ الْمُتُونَا^(٣)
عَقُّوا الْمُرُوءَةَ هَبُّوا * مَفَاخِرَ الْأَوَّلِينَ
عَاثُوا فَسَادًا وَفَرُّوا * يَسْتَعْجِلُونَ السُّفِينَا^(٤)

(١) الركين : الرزين . (٢) يقضى يموت . (٣) القسرى : ما يقدم

للضيف . ويقصد : يقطع . والمتون : الظهور ؛ الواحد : متن . (٤) السفين : السفن ؛

الواحدة سفينة .

وَأَلْبَسُوا الْغَرْبَ خَزْيًا * فِي قَسْرِهِ الْعِشْرِينَ
وَأَجْمُوا كُلَّ دَائٍ * وَأَحْرَجُوا الْمُصْلِحِينَ
فَيَا (أُرْبَةُ) مَهْلًا * أَيْنَ الَّذِي تَدْعِينَا
مَاذَا تُرِيدِينَ مِنَّا * وَالْدَاءُ أَمْسَى دَفِينَا
أَيْنَ الْحَضَارَةُ إِنَّا * بَعِثْنَا قَدْ رَضِينَا
لَمْ تُؤْذِ فِي الدَّهْرِ جَارًا * وَلَمْ تُخَاتِلْ خَدِينَا^(١)
(مَسْرَّة) الشَّامِ إِنَّا * إِخْوَانَكُمْ مَا حِينَا^(٢)
تُقُوا فَإِنَّا وَثِقْنَا * بِكُمْ وَجِئْنَا قَطِينَا^(٣)
إِنَّا نَرَى فَيْكَ (عَيْسَى) * يَدْعُو إِلَى الْخَيْرِ فِينَا^(٤)
قَرَّبَتْ بَيْنَ قُلُوبٍ * قَدْ أَوْشَكَتْ أَنْ تَبِينَا
فَأَنْتَ نَحْرُ النَّصَارَى * وَصَاحِبُ الْمُسْلِمِينَ

الجريح :

رَأَيْتُ يَا سَنَ طَيْبِي * وَهَمْسَهُ فِي فُؤَادِي
لَا تَتَّذِرْنِي فَلَانِي * أَقْضَى وَتَجِبَا بِلَادِي

(١) لم نخاتل : لم نخادع . والخدين : الصاحب .

(٢) مسرة الشام : مطران كبير لطافة الروم الأرثوذكس من أسرة مسرة المعروفة ببيروت ، وكان

يعني بالجرحى في هذه الحادثة . (٣) القطين : أهل الدار المقيمون بها . يريد أن المسلمين

والنصارى أهل وطن واحد في تلك البلاد . (٤) تبين : تفصل .

العربي :

(١)
 أَسْتَوْدِعُ اللَّهَ شَهْمًا * نَدْبًا طَوِيلَ النَّجَادِ
 أَسْتَوْدِعُ اللَّهَ رُوحًا * كَانَتْ رَجَاءَ الْبِلَادِ
 فَيَا شَيْدًا رَمْتُهُ * غَدْرًا كُرَاتُ الْأَعَادِي
 تَمَّ هَانًا مُطْمَئِنًّا * فَلَمْ تَمَّ أَحْقَادِي
 فَسَوْفَ يُرْضِيكَ ثَارٌ * يُذِيبُ قَلْبَ الْجَادِ

استقبال الطيار العثماني فتحى بك

نشرت في سنة ١٩١٤ م وبلاحظ أن هذه القصيدة كانت قد أعدت لاستقبال
 الطيار المذكور، فسقطت به طائرته، ومات قبل إتمام رحلته الى مصر، فرأى حافظ
 من الوفاء نشر هذه القصيدة بعد موته لتكون له حيا وميتا

أَهْلًا بِأَوَّلِ مُسْلِمٍ * فِي الْمَشْرِقَيْنِ عَمَلًا وَطَارُ
 (٢)
 النَّيْلُ وَالْبُسْفُورُ فِيهِ * لَكَ تَجَادِبًا ذَيْلَ الْفَخَارِ
 (٣)
 يَوْمَ أَمْتَطَيْتَ بُرَاقَكَ أَلْ * حَيْمُونَ وَاجْتَرَّتَ الْقِفَارُ
 (٤)
 تَلْهُو وَتَعَبْتُ بِالرَّيَا * جِ عَلَى الْمَفَاوِزِ وَالْبَحَارِ

- (١) النذب : الذى اذا نذب الى الحاجة خف لقضائها . والنجاد : حائل السيف . وطول النجاد :
 كناية عن طول القامة . (٢) كنى « بالنيل والبسفور » عن مصر وتركيا . (٣) البراق : الدابة
 التى ركبها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج . شبه الشاعر طائره فتحى بك بها فى سرعتها ويمتها .
 (٤) المفاوز : جمع مفازة ، وهى القلاة الواسعة التى لا ماء فيها .

(١) لو سَابَقَتْكَ سَوَائِقُ آلِ * أَفْكَارٍ أَدْرَكَهَا الْعِثَارُ
 (٢) حَسَدَتْكَ فِي الْأُفُقِ الْبُرُ * قُ وَغَارَ فِي الْأَرْضِ الْبُخَارُ
 (٣) تَجَرَّى بِسَائِحَةٍ تُشَقُّ * سَبِيلَهَا شَقُّ الْإِزَارِ
 وَتَكَادُ تَقْدَحُ فِي الْأَيْ * مِرْفَيْسَتِجِلٍ إِلَى شَرَارِ
 (٤) مِثْلُ الشَّهَابِ أَنْقَصَ فِي * أَنْارِ عَفْرِيتٍ وَنَارِ
 (٥) فَإِذَا عَلَتْ فَكَدَعُوهُ آلِ * مُضْطَرٌّ تَحْتَرِقُ السُّتَارُ
 (٦) وَإِذَا هَوَتْ فَكَاهَوَتْ * أَنْثَى الْعُقَابِ عَلَى الْهَزَارِ
 (٧) وَتُسِفُ آوِنَةٌ وَآ * وَنَةً يَجِيدُهَا أَزْوَارُ
 فَيَخَالُهَا الرُّأُومَنَ قَدْ * قَرَّتْ وَلَيْسَ بِهَا قَرَارُ
 (٨) لَعِبَ الْجَوَادُ أَقْلَ لَيْ * مًا مِنْ قُضَاعَةٍ أَوْ نَزَارِ

- (١) يصفه في هذا البيت بالسرعة حتى إنه يسبق الفكر فيا يخطره من خواطر .
 (٢) كنى «بالبخار» عن القواطر البخارية .
 (٣) يريد بالسابحة : الطائرة ، شبهها بالسفينة السابحة فوق الماء ، وشبه اختراقها للفضاء بشق الثياب .
 (٤) شبه الطائرة في سرعتها بالشهاب الذي كان يرسل على كل من يحاول استراق السمع من الجن .
 (٥) شبهها بدعوة المضطر ، لما روى في الآثار من أنها ليس بينها وبين الله حجاب ، فهي تحترق الآفاق من غير أن يحول بينها وبين الصعود حائل . ويريد «بالستار» : حجاب السماء . (٦) هوت : هبطت . والعقاب : طائر من الجوارح تسميه العرب الكاسر . والهازار (بالفتح) : عصفور صغير متنوع الصوت ؛ ويقال له : العنديل . (٧) تسف : تدن من الأرض ؛ يقال : أسف الطائر إذا دنا من الأرض حتى كادت رجلاه تصيبانها . والازرار : الانحراف .
 (٨) أقل : حمل . وكنى بقوله : «لينا» من قضاة أو نزار» عن كون الفارس مرياً . يقول : إن هذه الطائرة تلعب في سيرها فرحاً ونشاطاً كما يلعب الجواد بفارسه العربي . وقضاة ونزار : قبيلتان معروفتان .

أو كاللَّعُوبِ مِنَ الْحَمَا * ثُمَّ فَوْقَ مَلْعِيهِ اسْتَطَارُ^(١)
 وَكَأَنَّهَا فِي الْأَفْقِ حِيد * نَ يَمِيلُ مِيزَانُ النَّهَارِ^(٢)
 وَالشَّمْسُ تُلْقِي فَوْقَهَا * حُلَّ أَحْمَرٍ وَأَصْفَرٍ^(٣)
 مَلِكٌ يُمَثِّلُهُ لَنَا (السُّمَّا) فَيَاخُذُنَا أَنْهَارُ^(٤)
 (فَتَحَى) رَبِّكَ مَا رَأَيْتُ * تَ بِذَلِكَ الْفَلَكَ الْمُدَارُ^(٥)
 أَبْلَغْتَ تَسْبِيحَ الْمَلَا * ئِكَ أَوْ دَنَوْتَ مِنَ السَّرَارِ^(٦)
 أَمْ خِفْتَ تِلْكَ الرَّاصِدَا * تِ هُنَاكَ مِنْ شُهْبٍ وَنَارِ^(٧)
 أَرَأَيْتَ سُكَّانَ النُّجُومِ * وَأَنْتَ فِي ذَاكَ الْجَوَارِ^(٨)
 أَهْنَاكَ فِي (الْمِسْرِيخِ) مَا * فِي الْأَرْضِ مِنْ عِلَلِ الشَّجَارِ^(٩)
 أَهْنَاكَ يَسْتَعْدِي الضَّعِيفِ * فُفْ عَلَى الْقَوِيِّ فَلَا يُجَارِ^(١٠)
 مَا لِأَبْنِ آدَمَ زَادَ فِي * غُلُوبِهِ فَطَنِي وَجَارِ^(١١)
 يَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ لَه * فِي عَالَمِ الْمَلَكُوتِ ثَارُ^(١٢)

- (١) ميلان ميزان النهار : كناية عن زوال الشمس عن وسط السماء وميلها الى جهة المغرب .
 (٢) السرار (بالكسر) : مصدر ساره (بتشديد الراء) . ويريد به هنا : مناجاة سكان السماء . يقال : سار فلان فلانا يساره : اذا ناجاه وأعلمه سره . يسأل الطيار هل بلغ بطائرته من العلو الى حيث يسمع مناجاة الملائكة في السماء .
 (٣) الراصدا : الشهب التي أعدها الله للجن حين كانت تسترق السمع من السماء ؛ قال تعالى حكاية عن الجن : (وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا) .
 (٤) الشجار : النزاع والخصام . يقال : استعديت الأمير على فلان فأعداني ، أى استعنت به عليه فأطاعني وأنصفتني منه .
 (٥) يقال : استعديت الأمير على فلان فأعداني ، أى استعنت به عليه فأطاعني وأنصفتني منه .
 (٦) الغلواء (وتسكن اللام) : التغالي . والمراد هنا : التغالي في الأمل والطموح .
 (٧) الثار : الثار ، ومهلت الهمزة للشعر .

أَمْ لَإِذٍ مُّعْتَصِمًا بُكِّرَ * سَيِّئَ الْمُهَيِّمِينَ وَاسْتَجَارَ
 فَاسْتَلَّ مِنْ قَلْبِ الْجَمَا * دِ الصُّلْبِ أَجْنَحَةً وَطَارَ^(١)
 وَتَسَلَّقَ الْأَجْوَاءَ مُدَّ * مَطِيًّا عَوَاصِفَهَا وَسَارَ^(٢)
 يَرْجُو النِّجَاءَ مِنَ الْمَظَا * لِيمِ وَالْمَغَارِمِ وَالْدَّمَارِ^(٣)
 يَأْتِيهَا الطَّيَّارُ طِرْ * فَإِذَا بَلَغْتَ مَدَى الْمَطَارِ^(٤)
 فَزُرِ السُّهَى وَالْفَرْقَدِي * بِنِ إِذَا أُتِيحَ لَكَ الْمَزَارُ^(٥)
 وَسَلِ النُّجُومَ عَنِ الْحَيَا * ةِ فِي السُّؤَالِ لَكَ أَعْتِبَارُ^(٦)
 هُمْ يُنَبِّئُونَكَ أَنَّ كُلَّ الْكَائِنَاتِ إِلَى بَوَارِ^(٧)
 وَالظُّلْمِ مِنْ طَبَعِ النَّظَا * مِ فَإِنْ ظَلِمْتَ فَلَا تُمَارِ^(٨)
 إِنَّ الَّذِي بَرَأَ السَّيِّدِ * مَ هُوَ الَّذِي بَرَأَ الْغُبَارِ^(٩)
 فِي الْعَالَمِ الْعُلُويِّ وَالسُّ * فُلِّي أَحْكَامُ تُدَارِ^(١٠)
 خُلِقَ الضَّعِيفُ لِحُدْمَةِ الْ * أَقْوَى وَلَيْسَ لَهُ خِيَارِ^(١١)
 فَتَقَوَّ يَرْهَبُكَ الْقَوِيُّ * وَهُنَّ يُلَازِمُكَ الصَّغَارُ^(١٢)

-
- (١) استل : انتزع . (٢) الدمار : الهلاك . (٣) مدى المطار : غاية .
 (٤) السها : كوكب خفى لبعده ، وهو في بنات نعش الصغرى ، والفرقدان : نجمان يهتدي بهما .
 (٥) البوار : الهلاك والدمار . (٦) ماراه يماريه بمارة : جادله وفازعه . يقول لا تنازع
 في ظلم وقع عليك ولا تتبرم به ، فان تدبير العالم ونظامه يقتضيان وجود ظالم ومظلوم وقوى وضعيف .
 (٧) برأ : خلق . والسديم : الضباب الرقيق .
 (٨) هان يهون : ذل . والصغار : الذل .

فِي الْأَرْضِ مَا تَبْغُونَ مِنْ * عِزٍّ وَأَمَالٍ كِبَارُ
 فِيهَا الْحَدِيدُ وَفِيهِ بَأُ * ^(١) مَسْ يَوْمَ يَمْتَهِنُ الدَّمَارُ
 فِيهَا الْكُنُوزُ الْخَافِلَا * ^(٢) تَلَمَّحُ تَبَصَّرَ وَأَسْتَنَارُ
 مِنْهَا أَسْتَمَدُ قُوَاهُ مِنْ * قَهَرِ الْمَمَالِكِ وَأَسْتَعَارُ
 وَبِمَا أَحْتَوَتْ رَدَّ الْحَصِي * ^(٣) فُ الرُّأْيِ غَارَةٌ مِنْ أَغَارُ
 فِي ذِمَّةِ الْآفَاقِ سِرُ * ^(٤) وَأَرْجِعْ إِلَى تِلْكَ الدِّيَارُ
 وَأَجْعَلْ تَحِيَّتَنَا إِلَى * ^(٥) بَلَدٍ بِهِ لِمُلكِ دَارُ
 دَارُ مَلِيهَا لِلْخِلَا * فَهْ وَالْهُدَى رُفِعَ الْمَنَارُ
 دَارُ الْفُزَاةِ الْفَاتِحِ * مِنْ الصَّفْوَةِ الْغُرِّ الْخِيَارُ
 فِي كُلِّ حَاضِرَةٍ لَمْ * ^(٦) غَزَوْ قَفَّتْ فَانْتِصَارُ
 ضَرَبُوا الزَّمَانَ بِسَوْطِ عِزَّتِهِمْ فَلَانَ لَهُمْ فَدَارُ
 يَمْشُونَ فِي غَابِ الْقَنَا * ^(٧) مَشَى الْمُرَجِّحُ بِالْعُقَارُ

- (١) الدمار (بالكسر) : ما يلزمك حفظه وحمايته . يقول : إن في الأرض من الحديد ما تتخذ منه أسلحة نعتزها ونُدفع كل من يحاول أن يعتدي علينا ويتهك من حرماننا . (٢) « استعار » : معطوف على « استمد » ، أى استعار منها قوته وبأسه . (٣) مصيف الرأى : بجيده وبحكمه وسديده . (٤) يريد « بالديار » : بلاد تركيا موطن الطيار . (٥) يريد « بالبلد » : الآستانة مقر الخلافة . (٦) دار ، أى دار الزمان لم بما يشتهون . يقول : إنهم بما لديهم من عزة ومنعة ففروا الزمان على أن يواتيهم بما شاءوا . (٧) القنا : الرماح ؛ الواحدة قناة . شهبها بالغاب في كثرتها واشتباك بعضها ببعض . والعقار (بالضم) : الخمر . والمرجح بها : الذى يتمايل في مشيته سكرًا ، شبه الجلود وقد ملأوا بنشوة الفرح بالقتال ، بشارب الخمر المترنح سكرًا .

- (١) مِنْ كُلِّ أَرْوَغٍ فَاتِكِ * لَا يَسْتَشِيرُ سِوَى الْغِرَارِ
 (٢) ذِي مِرَّةٍ تُسَجِّجُهُ ذَا * تِ النَّقْعِ لَا ذَاتُ الْخِمَارِ
 (٣) يَغْشَى الْمَعَامِيعَ ضَارِبًا * بِحَيَاتِهِ ضَرْبَ الْقِمَارِ
 (٤) لَا يَتَنَبَّئِي أَوْ تَخْرُجَ الـ * أَجْرَامُ عَنْ فَلَكِ الْمَدَارِ
 (٥) عَبَسَتْ لَهُمْ أَيَّامُهُمْ * وَالْعَبَسُ يُعَقِّبُهُ أَفْتَارُ
 مَا عَابَهُمْ أَنْ الصُّعُورُ * دَلِيلُهُ فِي الدَّهْرِ أَنْجِدَارُ
 (٦) فَلِكُلِّ غَادٍ رَوْحَةٌ * وَلِكُلِّ وُضَاءٍ سِرَارُ
 (٧) وَلَسَوْفَ يَبْلُغُنَّجْمُهُمْ * وَيَسُودُ ذِيَاكَ الشُّعَارُ

- (١) الأروع : هو الذي يعجبك بشجاعته ومظاره . والغرار (بالكسر) : حد السهم والرمح والسيف .
 (٢) المرة : قوة الخلق (بفتح الخاء) وشدة واستحكامه . وذات النقع : الحرب لما تشبه من النقع ، وهو الفبار . والخمار (بالكسر) : ما تغطي به المرأة وجهها . يقول : إن الحرب تطرب هذا الفارس وتشوقه أكثر مما تشوقه النساء بجمالهن .
 (٣) المعاميع : الحروب ؛ الواحدة : مععة . يقول : إن هذا الفارس يدخل الحرب مقامرا بحياته وسواء لديه أخسرها أم كسبها .
 (٤) يصفه بالثبات والإقدام وأنه لا يرجع عن غايته حتى تخرج الكواكب عن أفلاكها في الدوران .
 (٥) العبس : العبوس . والافترار : التيسم والضحك الحسن .
 (٦) الوضاء (بضم الواو وتثنية الضاد) : البهيج الحسن ؛ يريد البدر . والسرار (بضم السين) : الليلة التي يستسرف فيها القمر ، أي يختفي ، وذلك لا يكون إلا في آخر الشهر ، وربما كان ليلة ، وربما كان ليلتين . وكفى بذلك عما ينتهي إليه كل نضرة وجمال من بل وذهاب .
 (٧) يريد « بالشعار » : الحلال ، وكان شعار الدولة العثمانية .

إلى معتمد بريطانيا في مصر

قالها عند تعيين معتمد جديد لبريطانيا ، وهو السير مكماهون

[نشرت في يناير سنة ١٩١٥ م]

أَيُّ (مَكْمُوهُونُ) قَدِمْتَ بِالْ * قَصْدِ الْحَمِيدِ وَالرَّعَايَةِ
 (١)
 مَاذَا حَمَلَتْ لَنَا عَنْ آلِ * سَلِكِ الْكَبِيرِ وَعَنْ (غَرَايَةِ)؟
 أَوْضِخْ (لِمَصْرَ) الْفَرْقَ مَا * بَيْنَ السِّيَادَةِ وَالْحِمَايَةِ
 وَأَزِلْ شُكُوكًا بِالنُّفُو * سٍ تَعَلَّقَتْ مِنْذُ الْبِدَايَةِ
 وَدَعْ الْوَعُودَ فَلَيْسَ بِهَا * فِيمَا مَضَى كَانَتْ رِوَايَةِ
 أَصَحَّتْ رُبُوعُ النَّيْلِ سَدَ * سَطْنَةً وَقَدْ كَانَتْ وِلَايَةِ
 فَتَعَهَّدُوهَا بِالصَّلَا * حِ وَأَحْسِنُوا فِيهَا الْوِصَايَةِ
 (٢)
 إِنَّا لِلشُّكُو وَاثْقِي * بِنَ بَعْدِلٍ مَنْ يُشْكِي الشَّكَايَةِ
 تَرْجُو حَيَاةَ حُرَّة * مَضْمُونَةً فِي ظِلِّ رَايَةِ
 وَتُرُومُ تَعْلِيًّا يَكُو * نُ لَه مِنْ الْفَوْضَى وَقَايَةِ
 وَنَوْدُ الْأَ تَسْمَعُوا * فِينَا السَّعَايَةِ وَالْوِشَايَةِ
 أَنْتُمْ أَطِبَاءُ الشُّعُو * بٍ وَأَنْبِلُ الْأَقْوَامِ غَايَةِ

(١) غرايه ، يريد السير إدوارد غراي ، وزير خارجية إنجلترا إذ ذاك .

(٢) يقال : أشكيت فلانا ، إذا قبلت شكواه وأرضيته وأزلت شكايته .

أَنْى حَلَّسْتُمْ فِي الْبِلَا * دِلْكَمْ مِنْ الْإِصْلَاحِ آيَةٍ
 رَسَخَتْ بِنَايَةُ مَجْدِكُمْ * فَبُوقُ الرُّوِيَّةِ وَالْمِهْدَايَةِ^(١)
 وَعَدَلْتُمْ فَلَكُمْ الدُّنْيَا وَفِي الْعَدْلِ الْكِفَايَةُ
 إِنْ تَنْصُرُوا الْمُسْتَضْعِفِينَ * مِنْ فَتْحِنُ أَوْعَفِهِمْ نِكََايَةَ
 أَوْ تَعْمَلُوا لَصَلَاحِنَا * فَتَدَارِكُوهُ إِلَى النَّهَايَةِ
 إِنْآ بَلَّغْنَا رُشْدَنَا * وَالرُّشْدُ تَسْبِقُهُ الْغَوَايَةُ
 لَا تَأْخُذُونَا بِالْكَلا * مِمْ فَلَيْسَ فِي الشُّكُوى جِنَايَةُ
 هَذَا (حُسَيْنٌ) فَوْقَ عَمْرِ * شِشِ (النَّيْلِ) تَحْرُسُهُ الْعِنَايَةُ
 هُوَ خَيْرٌ مِنْ يَتْنِي لَنَا * فَدَعُوهُ يَنْهَضُ بِالْبِنَايَةِ

إلى غليوم الثاني امبراطور ألمانيا

قالها ينكر عليه إثارة الحرب العظمى وما ارتكبه فيها من الفظائع

[نشرت في يناير سنة ١٩١٥ م]

لِلَّهِ آثَارٌ هُنَاكَ كَرِيمَةٌ * حَسَدَتْ رَوَائِعَ حُسْنِهَا (بِرْلِين)^(٢)
 طَاحَتْ بِهَا تِلْكَ الْمَدَافِعُ تَارَةً * لَمَّا أَمَرَتْ وَتَارَةً (زِيلِين)^(٣)

(١) يصف في هذا البيت الانجليز بأنهم أسسوا مجدهم على التآني في الأمور، واتباع سواء السبيل .

(٢) يريد آثار الحضارة في فرنسا وغيرها من الممالك التي تخربها الألمان في الحرب العظمى .

(٣) طاحت بها ، أى محتها . وزيلين : يريد نوعاً من الطائرات سمي باسم مخترعه ، وهو الكونت

زيلين الألماني .

(١) ما ذا رَأَيْتَ مِنَ النَّبَالَةِ وَالْعُلَا * فِي عُدْمِهِنَّ وَكُلْهِنَّ عِيُونَُ
 لو أَنَّ فِي (بِرْلَيْنَ) عِنْدَكَ مِثْلُهَا * لَعَرَفْتَ كَيْفَ تُجْلَى وَتَصُونُ
 (٢) إِنْ كُنْتَ أَنْتَ هَدَمْتَ (رِمْسَ) فَلِأَنَّهُ * أَوْدَى بِجِدِّكَ رُكْنُهَا الْمُوْهُونُ
 لَمْ يُغْنِ عَنْهَا مَعْبَدٌ خَرَّبَتْهُ * ظُلُمًا وَلَمْ يُمْسِكْ عِثَانَكَ دِينُ
 لَا تُحْسِبَنَّ الْقَخْرَ مَا أَحْرَزْتَهُ * الْفَخْرُ بِالذِّكْرِ الْجَيْسِلِ رَهِينُ
 هَلْ شَدَّتْ فِي (بِرْلَيْنَ) غَيْرَ مُعْسَكِرٍ * قَامَتْ عَلَيْهِ مَعَاقِلٌ وَحُصُونُ
 وَجَمَعْتَ شَعْبَكَ كُلَّهُ فِي قَبْضَةٍ * إِنْ لَمْ تَكُنْ لَأَنْتَ فَسَوْفَ تَلِينُ
 (٣) نَظَمْتَ تِجَارَتَكَ الْمَدَائِنَ وَالْقُرَى * (فَالنَّيْلُ) نَاءَ بِهَا وَنَاءَ (السَّيْفُ)
 فَبِكُلِّ أَرْضٍ مِنْ رِجَالِكَ عُصْبَةٌ * وَبِكُلِّ بَحْرِ مِنْ لَدُنْكَ سَفِينُ
 (٤) تَسِيرُ وَتَسْرُكُ أَيْنَ لَحْنٌ يُظْلَمُهَا * لَا اللَّيْثُ يُزْعِجُهَا وَلَا التَّنِينُ
 (٥) فَالْأَمْرُ أَمْرُكَ وَالْمُهْنَدُ مَعْدُ * وَالنَّهْيُ نَهْيُكَ وَالسَّرَى مَأْمُونُ

(١) عُدْمَهُنَّ ، أى فقدانَهُنَّ وذَهايَهُنَّ . (٢) رِمْسَ : مدينة فرنسية مشهورة بكنائسها التاريخية ، وقد خربها الألمان بمدافعهم في الحرب الأخيرة ، ثم جددت بعد انتهائها . والموهون . الذى أدركه الوهن ، وهو الضعف والانحلال . يقول : إن اعتدائك على هذا البلد أظهرتك بمظهر الخنزير فانهدم بذلك ما بنيت من مجد ونخر .

(٣) يقال : ناء بالحمل ، إذا أثقله ولم يقدر على حمله . والسيف : نهر بفرنسا معروف .

(٤) يريد « بالنسر » : الراية الألمانية . والليث : إشارة إلى بريطانيا . والتنين : إشارة إلى اليابان . والمعنى أن سفن التجارة الألمانية تسير مظلة براية دولتها ، فلا تقدر أية دولة مهما عظمت أن تعوقها عن سبيلها .

(٥) المهنت : السيف . والمعنى أن الأمر والنهى كلاهما لك فى أيام السلم .

(١) قد كان في (يرلين) شعبك وادعاً * يستعمر الأسواق وهي سكوت
 فُتِحَتْ له أبوابها فسبيلها * وقف عليه ورزقه مضمون
 فسلام أرهقت الورى وأثرتها * شغواء فيها للهلاك فتون^(٢)
 تالله لو نصرت جيوشك لأنطوى * أجل السلام وأقفر المسكون
 سجعون مليوناً إذا وزعتها * بين الحواضر نالنا مليون
 ويل لمن يستعمرون بلاده * القحط أيسر خطبه وأهون^(٣)
 أكترت من ذكر الإله تورعاً * وزعمت أنك مرسل وأمين
 عجباً أتذكره وتملاً كونه * ويلاً لينعم شعبك المغبون
 وكذلك القصاب يذكر ربه * والنصل في عني الذبيح دفين

(١) الودع : الساكن المطنن . ويستعمر، يريد : يعمر . والذي وجدناه في كتب اللغة أنه
 يقال : أعمره المكان واستعمره فيه ، أى جعله يعمره . وفي التنزيل العزيز : (هو أنشأكم من الأرض
 واستعمركم فيها) ، أى أذن لكم في عمارتها . ولم نجد في كتب اللغة ما شاع استعماله بين كتاب العصر من
 قولهم : استعمرت المكان (بالباء للفاعل) بمعنى عمرته .

(٢) أرهقت الورى : ظلمتهم وحملتهم ما لا يطيقون . وشغواء، يريد غارة شعواء
 أى عامة شاملة .

(٣) الهون (بضم الهاء) : الذل .

الحرب العظمى

[نشرت في ١٥ يولييه سنة ١٩١٥ م]

- (١) لَاهُمْ إِنْ الْغَرْبَ أَصْبَحَ شُعْلَةً * مِنْ هَوْلِهَا أُمُّ الصَّوَاعِقِ تَفْرُقُ
(٢) الْعِلْمُ يُذَكِّي نَارَهَا وَتُشِيرُهَا * مَدِينَتُهُ خَرَقَاءُ لَا تَتَفَرَّقُ
(٣) وَلَقَدْ حَسِبْتُ الْعِلْمَ فِينَا نِعْمَةً * تَأْسُو الضَّعِيفَ وَرَحْمَةً تَتَدَفَّقُ
(٤) فَإِذَا يَنْعَمَتِ بِهِ بَلَاءٌ مُرْهِقٌ * وَإِذَا بَرَحَتِ بِهِ قَضَاءٌ مُطْبِقٌ
(٥) عَجَزَ الرُّمَاءُ عَنِ الرُّمَاءِ فَأَرْسَلُوا * كِسْفًا يَمُوجُ بِهَا دُخَانٌ يَخْنُقُ
(٦) تَتَعَوَّذُ الْآفَاقُ مِنْهُ وَتَتَنِي * عَنْهُ الرِّيَّاحُ وَيَتَّقِيهِ الْفَيْلَقُ
(٧) وَتَسَابَلُوا بِالْكَيمِيَاءِ فَأَسْرَفُوا * وَتَسَاجَلُوا بِالْكَهْرَبَاءِ فَأَغْرَقُوا
(٨) وَتَنَازَلُوا فِي الْجَوِّ حِينَ بَدَأَ لَهُمْ * أَنَّ الْبَسِيطَةَ عَنْ مَدَاهِمِ أَضْيَقُ
(٩) نَفَسُوا عَلَى الْحِيتَانِ وَاسِعَ مُلْكِهَا * فَتَفَقَّنُوا فِي سَلْبِهِ وَتَأَنَّقُوا
(١٠) مَلَكُوا مَسَاحِجَهَا عَلَيْهَا بَعْدَ مَا * غَلَبُوا النُّسُورَ عَلَى الْجَوِّ وَحَلَقُوا
إِنْ كَانَ عَهْدُ الْعِلْمِ هَذَا شَأْنُهُ * فِينَا فَعَهْدُ الْجَاهِلِيَّةِ أَرْفَقُ

- (١) لاهم، أى اللهم . وتفرق : تخاف وتفرع . (٢) يذكى نارها : يشعلها . والخرقاء : الحرقاء . ويشير إلى أثر العلم فيما أوجد من مخترعات مهلكة في الحرب . (٣) تأسو الضعيف، أى تعمل على تقويته وتعالج ضعفه . (٤) مطبق : عام شامل . (٥) يريد « بالكسف » : قطع الدخان من الغازات السامة التي استعملت في الحرب أخيراً، شبهها بكسف السحاب، أى قطعه، الواحدة كسفة . (٦) الفيلق : الجيش العظيم . (٧) التنازل : الترامى بالنبل . يشير إلى استعمال المواد الكيميائية وتسخير الكهرباء في الإهلاك والتدمير . (٨) نفس عليه الشيء : حسده عليه ولم يره أهلاً له . (٩) الجواء : جمع جو . ويشير بهذا البيت والبيتين اللذين قبله إلى استعمال القواصمات والطائرات في الحروب .

مظاهرة السيدات

قالها في مظاهرة قامت بها السيدات في الثورة الوطنية في سنة ١٩١٩ م
ونشرت إذ ذاك في منشورات وطنية ، وأُخرسها في الصحف إلى ١٢ مارس سنة ١٩٢٩ م

خَرَجَ الْغَوَايِ يَحْتَجُّجُ * نَ وَرَحَتْ أَرْقَبَ جَمْعِهِنَّ
فَإِذَا بَهْرٌ تَحْذَنَ مِنْ * سُودِ الثَّيَابِ شِعَارُهَا
فَطَلَعْنَ مِثْلَ كَوَاكِبِ * يَسْطَعْنَ فِي وَسْطِ الدُّجَى^(١)
وَأَخَذْنَ يَحْتَرْنَ الطَّرِيقَ * حَقَّ وَدَارُ (سَعْدٍ) قَصْدُهَا
يَمْشِينَ فِي كَيْفِ الْوَقَا * رِ وَقَدْ أَبْنَى شَعُورُهَا
وَإِذَا يَجْيشُ مُقْبِلِ * وَالْحَيْلُ مُطْلَقَةُ الْأَعْنَةِ
وَإِذَا الْجُنُودُ سُيُوفُهَا * قَدْ صُوِّبَتْ لِنُجُورِهَا
وَإِذَا الْمَدَافِعُ وَالْبَنَى * دِقُّ وَالصَّوَارِمُ وَالْأَسِنَّةُ^(٢)
وَالْحَيْلُ وَالْفُرْسَانُ قَدْ * ضَرَبَتْ نِطَاقًا حَوْلَهَا
وَالْوَرْدُ وَالرَّيْحَانُ فِي * ذَاكَ النَّهَارِ سِلَاحُهَا
فَتَطَاخَرْنَ الْجَيْشَانِ سَا * عَاتٍ تَشِيبُ لَهَا الْأَجِنَّةُ
فَتَضَعُضَعَنَّ النَّسْوَانُ وَالنَّسْوَانُ لَيْسَ لهنَّ مُنَسَّةُ^(٣)
ثُمَّ أَنَهَزَمْنَ مُشْتَتَا * تِ الشَّمْلِ نَحْوَ قُصُورِهَا

(١) الدجّة : الظلمة . (٢) الصوارم : السيوف القواطع . (٣) المنّة : القوة .

فَلَيْهِنَا الْجَيْشُ الْفَخُورُ * رُبَّ نَصْرٍ وَبَكْسٍ هِنَةٍ
 فَكُنَّا الْأَلْمَانُ قَدْ * لَيْسُوا الْبَرَّاقِعَ بَيْنَهُنَّ
 وَأَنَّا (هِنْدُبُرْج) تُحْ * تَقِيًّا بِمَصْرٍ يَقُودُهُنَّ^(١)
 فَلِذَاكَ خَافُوا بِأَسْهُنٍ * وَأَشْفَقُوا مِنْ كَيْدِهِنَّ

أياصوفيا^(٢)

قالها حين خيف على الآستانة أن تمتلكها دول الحلفاء وتزعها من يد الأتراك
 وذلك عقب الحرب العظمى ، وكانت جيوش تلك الدول قد احتلت هذه المدينة

[وتأخر نشر هذه القصيدة إلى سنة ١٩٣٢ م.]

(أياصوفيا) حَانَ التَّفَرُّقُ فَاذْكُرِي * عُهُودَ كِرَامٍ فِيكَ صَلُّوا وَسَلَّمُوا^(٣)
 إِذَا عُدَّتْ يَوْمًا لِلصَّلِيبِ وَأَهْلِهِ * وَحَلَّى نَوَاحِيكَ الْمَسِيحُ وَمَرِيَمُ^(٤)
 وَدُقَّتْ نَوَاقِيسُ وَقَامَ مُزْمَرٌ * مِنْ الرُّومِ فِي مَحْرَابِهِ يَتَرَنَّمُ
 فَلَا تُتَكِرِي عَهْدَ الْمَآذِنِ إِنَّهُ * عَلَى اللَّهِ مِنْ عَهْدِ النُّوَاقِيسِ أَكْرَمُ

(١) هندبرج ، هو القائد الألماني المعروف في الحرب العظمى .

(٢) يلاحظ أننا راعين في وضع هذه القصيدة تاريخ قولها لا تاريخ نشرها ، لأن مراعاة ذلك
 أجدي على مؤرخ الأدب .

(٣) أياصوفيا : أعظم مسجد في القسطنطينية ، وكان قبل الفتح العثماني الكنيسة الأولى في الشرق
 فحولها العثمانيون مسجداً .

(٤) يريد صورتي عيسى ومريم اللتين توضعان في الكنائس عادة .

(١) تَبَارَكْتَ، (بَيْتُ الْقُدْسِ) جَذْلَانُ آمِنٌ * وَلَا يَأْمَنُ (الْبَيْتُ الْعَتِيقُ) الْمُحَرَّمُ
 (٢) أَرْضِيكَ أَنْ تَغْشَى سَنَابِكَ خَيْلَهُمْ * حِمَاكَ وَأَنْ يُنَيَّ (الْحَطِيمُ) وَ(زَمْرَمُ)؟
 وَكَيْفَ يَنْزِلُ الْمُسْلِمُونَ وَيَنْتَهُمُ * كِتَابُكَ يُتْلَى كُلَّ يَوْمٍ وَيُكْرَمُ؟
 نَيْبُكَ مُحْزُونٌ وَبَيْتُكَ مُطْرَقٌ * حَبَاءٌ وَأَنْصَارُ الْحَقِيقَةِ نُومٌ
 عَصَيْنَا وَخَالَفْنَا فَعَاقَبْتَ عَادِلًا * وَحَكَمْتَ فِينَا الْيَوْمَ مَنْ لَيْسَ بِرَحِمٍ

مصر

أشدها في الحفل الذي أقيم بهندق الكونتنتال لتكريم المرحوم عدلى يكن باشا بعد عودته من أوروبا

قاطعا للمفاوضة مع الانجليز ومستقلا من الوزارة - نشرت في ١٥ ديسمبر سنة ١٩٢١ م

وهذه القصيدة على لسان مصر تتحدث عن نفسها

وَقَفَ الْخَلْقُ يَنْظُرُونَ جَمِيعًا * كَيْفَ أَنْبَى قَوَاعِدَ الْمَجْدِ وَحَدَى
 وَبُنَاةُ الْأَهْرَامِ فِي سَالِفِ الدَّهْرِ * بِرِ كَفَوْنِي الْكَلَامَ عِنْدَ التَّحْدَى
 (٣) أَنَا تَاجُ الْعِلَاءِ فِي مَفْرِقِ الشَّرِّ * قِي وَدُرَّاتُهُ فَرَانْدُ عِقْدِي
 أَيْ شَيْءٍ فِي الْغَرْبِ قَدْ بَهَرَ النَّاسَ * سَبَّ جَمَالًا وَلَمْ يَكُنْ مِنْهُ عِنْدِي؟

(١) كنى «بيت القدس والبيت العتيق» : عن معابد النصارى ومعابد المسلمين - يقول : إن معابد النصارى في فرج وأمن ، ومعابد المسلمين في خوف وفزع . (٢) سَنَابِكُ الْخَيْلِ : أطراف حوافرها ؛ الواحد سَنَبَكٌ . وَيَمْنَى : يتلى ويصاب . وَالْحَطِيمُ : ما بين الركن وزمزم والمقام . جَمَلُ سَقُوطِ الْأَسَانَةِ فِي يَدِ الْإِفْرَنْجِ : خطرا يمحشى أن يمتد إلى البيت الحرام ، لأن في سقوط الدولة العثمانية سقوطا لولاياتها . (٣) الْعِلَاءُ (بِالْفَتْحِ وَالْمَدِّ) : الرضة والشرف . وَالْمَفْرِقُ (كَتَعْمَدٍ وَمَجْلَسٍ) : وسط الرأس . وَالْفَرَانْدُ : الجواهر التي لا توائم لها لنفاسها ؛ الواحدة فريدة . وَيُرِيدُ «بَدْرَاتُهُ» : بممالك الشرق التي كان لمصر الزمام عليها .

(١) فتراي تبروتنهرى فُرات * وسمائى مضفولة كالفرند
 (٢) اينما سرت جدول عند كرم * عند زهير مدتر عند رند
 (٣) ورجالى لو انصفوهم لسادوا * من كهول ملء العيون ومرد
 لو اصابوا لهم بحالا لا بدوا * معجزات الذكاء فى كل قصيد
 (٤) لهمم كالظبا ألح عليها * صدا النهر من نواء وغمد
 (٥) فاذا صيقل القضاء جلاها * كن كالتوت ماله من مرد
 انا ان قدر الإله ممتاى * لا ترى الشرق يرفع الرأس بعدى
 ما رمانى راي وراح سليا * من قديم عناية الله جنيدى
 صم بغت دولة على وجارت * ثم زالت وتلك عفتى التمدى
 (٦) اننى حرة كسرت قيودى * رغم رقبى العدا وقطعت قدى
 (٧) ومائت للشفاء وقد دا * تبت حنى وهيا القوم لحيدى
 قل لمن أنكروا مفانير قويمى * مثل ما أنكروا ما ثرولى
 (٨) هل وقفتم بقيمة الحرم الأكد * بر يوما فريتم بعض جهيدى؟

(١) القرات : العذب . والفرند : السيف . (٢) مدتر، أى مختلف الألوان ، أو مشرق
 مثلاً . والرند : شجر طيب الرائحة ، وله حب يقال له : النار . (٣) ملء العيون ، أى تعجبك
 مناظرهم . والمرد : جمع أمرد ، وهو الشاب نبت شارب لم تنبت لحية . (٤) الظبا : جمع ظبية ،
 وهى حدة السيف والسنان ونحوهما . والنواء : طول المكث . (٥) الصيقل : شاحذ السيوف
 وجالها ، والجمع صياقل وصياقلة . (٦) رقبى العدا ، أى مراقبتهم لى . والقصد : القيد يقد
 من جلد . (٧) الحين (بالفتح) : الهلاك . (٨) فريتم ، أى فرأيتم .

- (١) هَلْ رَأَيْتُمْ تِلْكَ الثُّقُوشَ اللَّوَاتِي * أَتَجَزَّتْ طُوقَ صَنْعَةِ الْمُتَحَدِّي؟
 (٢) حَالُ لَوْنِ النَّهَارِ مِنْ قَدَمِ الْعَهْدِ * يَدِ وَمَا مَسَّ لَوْنَهَا طُوقُ عَهْدِ
 (٣) هَلْ فَهِمْتُمْ أَسْرَارَ مَا كَانَ عِنْدِي * مِنْ عُلُومِ مَخْبُوءَةٍ طَى بَرْدِي؟
 ذَاكَ فَنُ التَّخْنِيطِ قَدْ غَلَبَ الدَّهْدُ * رَوَّابِلِي الْبَسَلَى وَأَتَجَزَّيْنِدِي
 (٤) قَدْ عَقَدْتُ الْعُهُودَ مِنْ عَهْدِ فِرْعَوْنَ * نَ فِي (مِصْرَ) كَانَ أَوَّلُ عَقْدِ
 (٥) إِنْ تَجِدِي فِي الْأَوَّلِيَّاتِ عَرِيقُ * مَنْ لَهُ مِثْلُ أَوْلِيَّاتِي وَتَجِدِي؟
 (٦) أَنَا أُمُّ التَّشْرِيعِ قَدْ أَخَذَ الرُّو * مَا نُ عَنِّي الْأُصُولَ فِي كُلِّ حَدِّ
 (٧) وَرَصَدْتُ النُّجُومَ مِنْذُ أَضَاءَتْ * فِي سَمَاءِ الدُّجَى فَأَحْكَمْتُ رَصْدِي
 وَشَدَا (بَنْتُور) فَوْقَ رُبُوعِي * قَبْلَ عَهْدِ الْيُونَانِ أَوْ عَهْدِ (تَجْدِ)

- (١) الطوق : الطائفة والجهد . والمتحدى : المعارض الذى ينازعه الفلج والفخر .
 (٢) حال : تغير وتحول . (٣) البردى (بالتشديد وخفف للشعر) : نبات يعمل منه الحصر
 وكان يصنع منه الورق قديما . (٤) يشير الى المحالفة التى عقدت بين رمسيس الثانى وملك
 الحثيين سنة ١٢٥٠ ق م على أن يمسكا عن الحروب ، وأن يكونا صديقين الى الأبد . وقد حددا
 فى تلك المحالفة حدود أملاكهما ، وهى أقدم محالفة عرفت فى التاريخ .
 (٥) الأوليات ، أى السنين الأولى . (٦) يشير الى ما هو معروف من أن المصريين قديما
 كانوا مصدر القوانين الإدارية ، وعندهم أخذت الأمم المجاورة لهم ، وقد وفد اليهم من واضعى القوانين
 ليكرخ وصولون اليونانيان ، وعن اليونان أخذ الرومان .
 (٧) كان المصريون من أقدم الأمم التى اشتغلت بعلم الفلك ؛ وقد ذكر مؤرخو اليونان أن أمهم
 أخذت هذا العلم عن المصريين ؛ وقد عثر فى بعض المقابر على آلات للرصد ومصورات لشكل السماء ومواقع
 نجومها . (٨) بنتاور : أقدم شاعر عرفه التاريخ ، وهو مصرى . « قبل عهد اليونان » ... الخ ،
 أى قبل شعراء اليونان وشعراء العرب .

(١) وقديما بنى الأساطيل قومي * ففرقن البحار يبحلن بني
(٢) قبل أسطول (نلسن) كان أسطو * لي سرياً وطالعي غير نكد
(٣) فسكوا البحر عن بلاء سفيني * وسكوا البر عن مواقع جردى
أتراني وقد طويت حياتي * في مراسي لم أبلغ اليوم رشدي ؟
(٤) أي شعب أحق مني بعيش * وارف الظل أخضر اللون رغدي ؟
آمن العدل أنهم يردون الـ * حماء صفوا وأن يكدر وري ؟
آمن الحق أنهم يطلقون الـ * أمد منهم وأن تقيد أسدي ؟
نصف قرن إلا قليلا أعاني * ما يعاني هوانه كل عبدي
نظر الله لي فأرشد أبنا * في فشدوا إلى العلا أي شد
(٥) إنما الحق قوة من قوى الله * إن أمضى من كل أبيض هندي
قد وعدت العلا بكل آبي * من رجالي فأجزوا اليوم وعدى
(٦) أمهروها بالروح فهي عروس * تشنأ المهر من عروض وتقيد

- (١) فرقن البحار : شققها ، والبند : العلم الكبير . وقد ذكر المؤرخون أن نحاو من ملوك مصر القدماء ، كان قد أرسل عددا من الملاحين للطواف بسفنهم حول إفريقيا ، فاتهموا سياحتهم في ثلاث سنين . (٢) نلسن ، هو أمير البحر الإنجليزي الذي أحرق أسطول نابليون بونابرت في موقعة أبي قير المعروفة . والنكد : الشؤم . (٣) الجرد : الخيل . ويريد الجيوش البرية . (٤) الوارف من الغلال : الواسع المتد . (٥) الأبيض الهندي : السيف . (٦) تشنأ : تكره . والعروض : جمع عرض (بالتحريك) ، وهو كل شيء سوى الدرهم والدنانير .

- (١) وَرِدُّوْا بِي مَنَاهِلَ الْعِزِّ حَتَّى * يَخْطُبَ النِّجْمُ فِي الْمَجَرَّةِ وَدِّي
(٢) وَأَرْفَعُوْا دَوَاتِي عَلَى الْعِلْمِ وَالْأَخْ * مَلَقِ فَالْعِلْمُ وَحْدَهُ لَيْسَ يُجْدِي
(٣) وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ فَالصَّبْرُ إِنْ فَ * رَقَ قَوْمًا فَمَا لَهُ مِنْ مَسَدٍ
(٤) خُلِقَ الصَّبْرُ وَحْدَهُ نَصْرَ الْقَو * مَ وَأَنْتَنِي عَنْ أَخْتِرَاجِ وَعَدٍ
(٥) شَهِدُوا حَوْمَةَ الْوَغَى بُنْفُوسٍ * صَارِيَاتٍ وَأَوْجِهٍ غَيْرِ رُبْدٍ
(٦) فَمَحَا الصَّبْرُ آيَةَ الْعِلْمِ فِي الْحَرْ * بٍِ وَأَنْتَحَى عَلَى الْقَوَى الْأَشَدِّ
(٧) إِنْ فِي الْغَرْبِ أَعْيُنًا رَاصِدَاتٍ * كَتَلَتْهَا الْأَطْمَاعُ فَيْكُمْ بَسْدٍ
(٨) فَوْقَهَا يَجْهَرُ يُرِيهَا خَفَايَا * كُمْ وَيَطْوِي شُعَاعَهُ كُلَّ بُعْدٍ
(٩) فَاتَّقُواهَا يُجَنِّةٍ مِنْ وِثَامٍ * غَيْرِ رَثِّ الْعُرَا وَسَعْيٍ وَكَدٍ
(١٠) وَأَصْفَحُوا عَنْ هَنَاتٍ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ * رَبٌّ هَافٍ هَفَا عَلَى غَيْرِ عَمْدٍ

- (١) « يخطب النجم ... الخ » : تخاية عن العلو والرفعة . (٢) يجدي : ينفع .
(٣) من مسد، أى من شئ يقوم مقامه . (٤) يريد « بالقوم » : الإنجليز، وذلك لما
اشتهروا به من الصبر والأناة . (٥) الوغى : الحرب، لما فيها من الجلبة والصوت . وحومتها :
ساحتها . وربد : عابسة متجهة ؛ الواحد أربد . (٦) يريد « بآية العلم » : ما أخرجه العلم
من أسلحة . وأنحى نليه : أقبل عليه بالإضعاف والإهلاك . ويريد « بالقوى الأشد » : الألمان .
(٧) « كتلتها الأطماع ... الخ » ، أى إن طمع الغريبين فيكم جعل أعينهم يقظة لاتذوق النوم ، تخمين
بكم الفرص . (٨) المجهر : المنظار . (٩) الجئة (بالضم) : ما وقاك في الحرب .
والرث : النالى . ويريد « بالعرا » : الصلات والروابط ؛ الواحدة عروة . (١٠) الهنات :
جمع هنة ، وهى اليسير المحتمل من الزلات . ويشير بهذا البيت إلى اختلاف الزعماء الذى بدأت برادره
في ذاك الحين على رأسه المفاوضات الرسمية .

- (١) نَحْنُ نَجْتَازُ مَوْقِفًا تَعَثُّرُ الْآ * رَأَى فِيهِ وَعَثْرَةُ الرَّأْيِ تُرْدِي
(٢) وَنُعِيرُ الْأَهْوَاءَ حَرْبًا عَوَانًا * مِنْ خِلَافِ وَالْخُلْفِ كَالسَّلِّ يُعْدِي
(٣) وَنُشِيرُ الْقَبُوضَى عَلَى جَانِبَيْهِ * فَيُعِيدُ الْجَهْلُولُ فِيهَا وَيُبْدِي
وَيُظَنُّ الْغَيُوثُ أَنَّ لَا نِظَامَ * وَيَقُولُ الْقَوِيُّ قَدْ جَدَّ جِدِّي
فَقِفُوا فِيهِ وَقْفَةً الْحَزْمِ وَأَرْمُوا * جَانِبَيْهِ بِعَزْمَةِ الْمُسْتَعِدِّ
إِنَّمَا عِنْدَ بَخْرِيَلٍ طَوِيلُ * قَدْ قَطَعْنَاهُ بَيْنَ سُهَيْدٍ وَوَجْدِ
(٤) غَمَرَتَا سُودَ الْأَهَاوِيلِ فِيهِ * وَالْأَمَانِيُّ يَنْتَبِزُ بَحْرِي وَمَدِّ
(٥) وَتَجَلَّى ضِيَاؤُهُ بَعْدَ لَايٍ * وَهُوَ رَمَزُ لَعَهْدِي الْمُسْتَرْدِّ
(٦) فَاسْتَيْبِنَا قَصْدَ السَّبِيلِ وَجِدُّوا * فَالْمَعَالَى تَخْطُوبُهُ لِلْجَدِّ

تصريح ٢٨ فبراير

[نشرت في أول إبريل سنة ١٩٢٢ م]

- (٧) مَالِي أَرَى الْأَشْكَامَ لَا تُفْتَحُ * وَالرُّوضَ لَا يَذْكُرُ وَلَا يُنْفَحُ
(٨) وَالطَّيْرَ لَا تَلْهُو بِتَدْوِيمِهَا * فِي مُلْكِهَا الْوَاسِعِ أَوْ تَصْدَحُ

(١) تردى : تهاك . (٢) الحرب العوان : التي قوتل فيها مرة بعد أخرى ، كأنهم جعلوا الأول بكراً ، وهي أشد الحروب . (٣) الضمير في قوله « جانبيه » يعود على قوله « موقفا » المتقدم ذكره . (٤) الأهاويل : جمع أهوال . (٥) بعد لأي ، أي بعد إبطاء واحتباس ومشقة . (٦) قصد السبيل : الطريق المستقيم . (٧) الأشكام : جمع كم (بكسر الكاف) ، وهو غطاء الزهر . ويذكرو : تسطع راحته . وينفح : يفوح طيبه . ويلاحظ أننا لم نجد في كتب اللغة « نفح » بتشديد الفاء ؛ قلل حافظاً رأى هذه الصيغة في كلام بعض المولدين . (٨) تدويم الطائر : تحليقه في الهواء . وتصدح : ترفع صوتها بالغناء .

(١) وَالنَّيْلَ لَا تَرْقُصُ أَمْوَاهُهُ * فَرَحَى وَلَا يَجْرِي بِهَا الْأَبْطَحُ
 (٢) وَالشَّمْسَ لَا تُشْرِقُ وَضَاءَةً * تَجْلُو هُمُومَ الصَّدْرِ أَوْ تَنْزَحُ
 (٣) وَالْبَدْرَ لَا يَبْدُو عَلَى ثَغْرِهِ * مِنْ بَسَمَاتِ الْيَمِينِ مَا يَشْرَحُ
 (٤) وَالنَّجْمَ لَا يَزْهَرُ فِي أَفْقِهِ * كَأَنَّهُ فِي غَمْرَةٍ يَسْبَحُ
 (٥) أَلَمْ يَجِئْهَا نَبَأُ جَاءَنَا * بِأَنْ مِصْرًا حُرَّةٌ تَمْرَحُ؟
 أَصَبَحْتُ لَا أَدْرِي عَلَى خَبْرَةٍ * أَجَدَّتِ الْأَيَّامُ أَمْ تَمْرَحُ؟
 أَمَوْقُفُ لِلْجِدِّ نَجَّازُهُ * أَمْ ذَاكَ لِلْإِلَهِ بِنَا مَسْرَحُ؟
 (٦) أَلَمْحُ لَا سِتْقَالِنَا لَمَعَةً * فِي حَالِكِ الشُّكِّ فَاسْتَرَوْحُ
 وَتَطْمِسُ الظُّلُمَةُ أَنَارَهَا * فَأَنْتَنِي أَنْكُرُ مَا أَلَمْحُ
 (٧) قَدْ حَارَتِ الْأَفْهَامُ فِي أَمْرِهِمْ * إِنْ لَحَّوْا بِالْقَصْدِ أَوْ صَرَّحُوا
 فَقَائِلُ لَا تَعْجَلُوا إِنْكُمْ * تَمَكِّنْكُمْ بِالْأَمْسِ لَمْ تَبْرَحُوا
 وَقَائِلُ أَوْسَعُ بِهَا خُطْوَةٌ * وَرَاءَهَا الْغَايَةُ وَالْمَطْمَحُ
 وَقَائِلُ أَسْرَفَ فِي قَوْلِهِ : * هَذَا هُوَ اسْتِقْلَالُكُمْ فَأَفْرَحُوا

(١) الأمواه : جمع ماء . والأبطح : المسيل الواسع لـ . (٢) وضاءة : ذات حسن وبهجة . وتنزح (من بابي منع وضرب) ، أى تنزح الهم وتفنيه وتذهب ، وأصله من نزح البئر ، وهو الاستقاء من مائها حتى ينفد أو يقل . (٣) يزهر : يضيء ، ويتلألأ . ويريد «بالغمرة» : الماء الكثير . (٤) تمرح : من المرح (بالتحريك) ، وهو شدة الفرح . (٥) الحالك : الشديد السواد . واستروح إلى الشيء : سكن إليه واطمأن . (٦) الضمير في «أمرهم» للإنجليز . (٧) لا تعجلوا ، أى لا تعجلوا بالفرح وتهنئة بعضكم بعضاً بهذا الاستقلال الزعوم ، فإن حالتكم لم يغيرها هذا التصريح .

إِنْ تَسْأَلُوا الْعَقْلَ يَقُلْ عَاهِدُوا * وَاسْتَوْثِقُوا فِي عَهْدِكُمْ تَرْجِعُوا
 وَأَسَسُوا دَارًا لِنَوَائِبِكُمْ * لِلرَّأْيِ فِيهَا وَالْجَمَا أَفْسَحُوا^(١)
 وَلِتَذْكُرِ الْأُمَّةُ مِيثَاقَهَا * أَلَّا تَرَى عِزَّتَهَا تُجْرَحُ
 وَتَتَخَبَّ صَفْوَةَ أُنْبِيَائِهَا * فَمِنْهُمْ الْمُخْلِصُ وَالْمُصْلِحُ
 وَلِيَتَّقِ اللَّهَ أُولُو أَمْرِهَا * أَنْ يُسَكِّتُوا الْأَصْوَاتَ أَوْ يُرْفَحُوا^(٢)

+

أَوْ تَسْأَلُوا الْقَلْبَ يَقُلْ حَازِرُوا * وَصَابِرُوا أَعْدَاءَكُمْ تَفْلِحُوا^(٣)
 إِنِّي أَرَى قَيْدًا فَلَا تُسَاهُوا * أَيْدِيَكُمْ فَالْقَيْدُ لَا يُسَجِّحُ^(٤)
 إِنْ هَيَّأُوهُ مِنْ حَرِيرٍ لَكُمْ * فَهُوَ عَلَى لَيْنٍ بِهِ أَفْذَحُ
 حَتَّامٌ - وَالصَّبْرُ لَهُ غَايَةٌ - * لَغَيْرِنَا مِنْ يَثْرِنَا نَمْتَحُ^(٥)
 حَتَّامٌ - وَالْأَمْوَالُ شَفُوهَةٌ - * نَمْنَحُ إِلَّا (مِصْرَ) مَا نَمْنَحُ^(٦)
 حَتَّامٌ يُمِضِي أَمْرَنَا غَيْرِنَا * وَذَلِكَ بِالْأَحْرَارِ لَا يَمْلَحُ

- (١) يلاحظ أننا لم نجد فيما بين أيدينا من كتب اللغة أنه يقال : أفسحت له في المكان (بالهمز في أوله) ، والذي وجدناه أنه يقال : فسحت له فيه . قال تعالى : (فافسحوا يفسح الله لكم) .
 (٢) يريد بقوله « يرغوا » : أنهم يتفنون من خالفهم في سياستهم إلى رغب (بالتحريك) ، وهي مدينة على ساحل البحر الأبيض المتوسط معروفة ، كما كانوا يفعلون قبل هذا التصريح .
 (٣) صابروا أعداءكم ، أي غالبوهم في الصبر .
 (٤) لا يسجح ، أي لا يفرج عن تقيده ولا يفلته .
 (٥) متح الماء من البئر يمنحه منعا : استخرجه منها .
 (٦) المشفوه : الذي كثرت عليه الأيدي حتى استنفد .

(١) أَسَاءَ بَعْضُ النَّاسِ فِي بَعْضِهِمْ * ظَنَّا وَقَدْ أَمْسَوْا وَقَدْ أَصْبَحُوا
 (٢) فَاتَّهَزَتْ أَعْدَاؤُنَا نُهْزَةً * فِينَا وَمَا كَانَتْ لَهُمْ تَسْنَحُ
 فَالرَّأْيُ كُلُّ الرَّأْيِ أَنْ يُجْمَعُوا * فَلَمَّا إِيْجَاعُكُمْ أَرْجَحُ
 (٣) وَكُلُّ مَنْ يَطْمَعُ فِي صَدْعِكُمْ * فَإِنَّهُ فِي صَخْرَةٍ يَنْطَلِعُ
 أَخْشَى إِذَا اسْتَكْثَرْتُمْ بَيْنَكُمْ * مِنْ قَادَةِ الْآرَاءِ أَنْ تُفْضَحُوا
 فَلْتَقْصِدُوا مَا أَسْطَعْتُمْ فِيهِمْ * فَلَمَّا فِي الْقِلَّةِ الْمَنْجَحُ

عيد الاستقلال

[نشرت في ١٥ مارس سنة ١٩٢٣ م تحت عنوان : (بين البقطة والماتم)]

(٤) أَشْرِقَ فَدَّتْكَ مَشَارِقُ الْإِصْبَاحِ * وَأَمِطَ لِثَامَكَ عَنْ نَهَارِ ضَاخِي
 بُورِكَتَ يَا يَوْمَ الْخَلَاصِ وَلَا وَنْتَ * عَنْكَ السُّعُودُ بَغْدُوءَ وَرَوَاجِ
 (٥) بِاللَّهِ كُنْ يَمْنًا وَكُنْ بُشْرَى لَنَا * فِي رَدِّ مُغْتَرِبٍ وَفَكَ سَرَاخِ

(١) يشير بهذا البيت إلى اختلاف الأحزاب السياسية - وخير « أمسوا » « وأصبحوا » مخدوف للعلم به ، أي أمسوا وأصبحوا يتبادلون سوء الظن وآثام بعضهم بعضا بالحياة .
 (٢) النهضة : الفرصة . وتسنع : تلوح . (٣) يقال : نطح في صخرة ، إذا صعب عليه ما يريد من صدع وأنشقاق . وأصله من قول الأعشى :

كناطح صخرة يوما ليوهنها * فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل

(٤) أمط لثامك ، أي أكشف قناعك ؛ يخاطب عيد الاستقلال . والنهار الضاحي : المشرق .
 (٥) يشير بقوله « في رد مغترب ... الخ » : إلى المغفور له سعد زغلول بإشاركان متغيا إذ ذاك

في جبل طارق بعد أن كان مع صحبه في جزيرة سيشل .

(١) أَقْبَلْتَ وَالْأَيَّامُ حَوْلَكَ مُثْلُ * صَفَيْنِ تَحْطُرُ خَطَرَةَ الْمَيَّاحِ
 (٢) وَخَرَجْتَ مِنْ تَحْتِ الْغُيُوبِ مُجَلَّلاً * فِي كُلِّ لَحْظٍ مِنْكَ أَلْفُ صَبَاحِ
 (٣) لَوْ صَحَّ فِي هَذَا الْوُجُودِ تَنَاسُخٌ * لَرَأَيْتُ فِيكَ تَنَاسُخَ الْأَرْوَاحِ
 (٤) وَلَكُنْتُ يَوْمَ (الْأَلْبَرَنْتِ) بَعِينِهِ * فِي عِزَّةٍ وَجَلَالَةٍ وَسَمَاحِ
 (٥) يَوْمَ يُرِيكَ جَلَالَهُ وَرُؤَاؤُهُ * فِي الْحُسْنِ قُدْرَةَ فَالِقِ الْإِصْبَاحِ
 (٦) خَلَعْتَ عَلَيْهِ الشَّمْسُ حُلَّةَ عَسَجِدٍ * وَجَبَاهُ (آذَارُ) أَرْقٍ وَشَاحِ
 (٧) اللَّهُ أَثْبَتَهُ لَنَا فِي لَوْحِهِ * أَبَدَ الْأَيْسِدِ فَمَا لَهُ مِنْ مَائِي
 (٨) حَيَّهِ عَنَّا يَا أَزَاهِرُ وَأَمْلَيْ * أَرْجَاءَهُ بِأَرْيَحِكَ الْفَوَاحِ
 (٩) وَأَنْفَعَهُ عَنَّا يَا رَيْعُ بِكُلِّ مَا * أَطْلَعْتَ مِنْ رَنْدٍ وَتَوْرٍ أَقَاحِ
 (١٠) يَهْ يَا (فَوَادُ) فَحَوْلَ عَرْشِكَ أُمَّةٌ * عَقَدَتْ خَنَاصِرَهَا عَلَى الْإِصْلَاحِ
 أَنْبَأُونَا - وَهُمْ أَحَادِيثُ النَّدَى - * لَيْسُوا عَلَى أَوْطَانِهِمْ بِشِجَاحِ
 صَبَرُوا عَلَى مَرِّ الْخُطُوبِ فَأَذْرَكُوا * حُلُومُنِي مَعْسُولَةَ الْأَقْدَاحِ

- (١) الميَّاح : المتبخر في مشيته ، وهو ضرب حسن من المشي . (٢) مجللاً : مضيئاً .
 وأصله من التحجيل في الخيل ، وهو بياض في قوائمها . (٣) الالبرنت : قصر أمانتحتب الثاني الذي
 اشتهر في قديم الزمان بعظمته ، وكان مقراً للحكومة . ويريد « بيومه » : أيام أمانتحتب التي كانت كلها
 خيراً وبركة على مصر . (٤) فالق الإصباح ، هو الله تعالى . (٥) المسجد : الذهب . وآذار :
 شهر من شهور السنة المسيحية معروف ، تكثر فيه الأزهار . (٦) أبد الأبيد : كناية عن الدوام .
 (٧) أريح الزهر : رائحته . (٨) الرند : شجر طيب الرائحة من شجر البادية . والأقاحى : جمع
 أخوان ، وهو نبات له زهر أبيض ، وأوراق زهره صغيرة مقلجة ؛ وتشبه به النور . (٩) عقد
 الخناصر على الأمر : كناية عن الإجماع على القيام به . (١٠) الندى : الجود . وشجَّاح : بخلاء .

- (١) شاكي سلاح الصبر ليس بأعزل * يفزوه رب عوامل وصفح
 الصبر - إن فكرت - أعظم علة * والحق - لو يدرون - خير سلاح
 (٢) قد أنكروا حق الضعيف فهل أتى * إنكار ذلك الحق في إصباح؟
 (٣) كم خدرت أعصاب مضر نوافح * لعودهم كنوافح التفاح
 (٤) فتعلل المصيرى مقتبطا بها * أرأيت طفلا عللوه بداح؟
 (٥) وتأنقوا في الخلف حتى أصبحت * أقوالهم تدرى بغير رياح
 (٦) لما تنبه بالكنانة نائم * وأصابت بالشكوى الأليمة صاحي
 (٧) وتكشفت تلك الغياهب وأنطوت * وبدت شمس الحق وهي ضواحي
 (٨) علموا بحمد الله أن قرارنا * في ظل غير الله غير متاح
 فاليوم قرى يا كنانة وأهدى * حرم الكنانة لم يكن بمباح
 من ذا يغير على الأسود بغابها * أو من يوم بمسبح التمساح؟

- (١) شاكي سلاح الصبر، أى المتسلح به . والعوامل : هى صدور الرماح مما يلى أستنهاى الواحد عامل وعاملة . والصفح : السيوف . يقول : إن الصبور متسلح ليس بأعزل يطمع فيه ذوالرحم والسيوف .
 (٢) الإصباح : من الأقسام التى تقسم اليها أسفار التوراة والانجيل . يقول : هل أحل لكم إنكار حق الضعيف فى كتاب سمارى ؟
 (٣) نوافح التفاح : روائحه . وكان الشاعر يعتقد أن نكهة التفاح منومة ، فكان لهذا يكثر من شبه وأكله ، نقل ذلك عنه أحد من اتصلوا به .
 (٤) الداح : نقش يلوح به للصبيان يعللون به .
 (٥) تأنقوا فى الخلف ، أى أقتنوه . وتدرى : تطير وتنتثر . (٦) أصوات : صوت وصاح .
 (٧) الغياهب : الظلمات ، الواحد غيب . والضواحي : المشرقة . (٨) غير متاح : غير ممكن .

- (١) النَّيْلُ مَجْدٌ فِي الزَّمَانِ مَوْثَلٌ * مِنْ عَهْدِ (أُمُونِ) وَعَهْدِ (قَنَاجِ)
 فَسَلِ الْعُصُورَ بِهِ وَسَلِ آثَارَهُ * فِي (مِصْرَ) كَمْ شَهِدَتْ مِنَ السَّيَاحِ
 (٢) يَا صَاحِبَ الْقَطْرَيْنِ غَيْرِ مُدَافِعٍ * مَا مِثْلُ سَاحِكَ فِي الْعَلَا مِنْ سَاحِ
 (٣) لَمْ يَسُدْ نُورٌ فَوْقَ نُورٍ يُجْتَلَى * كَالْتَّجَاجِ فَوْقَ جَبِينِكَ الْوَضَاحِ
 (٤) ذَكَرْتَ بَعْرِيَّكَ (مِصْرُ) يَوْمَ وَلِيَّتِهِ * عَرْشِ (الْمُعِزِّ) بِهَا وَعَرْشِ (صَلَاحِ)
 (٥) فِي كُلِّ قُطَيْرٍ مِنْ جَلَالِكَ رَوْعَةٌ * وَلِكُلِّ قُطَيْرٍ مِنْكَ ظِلٌّ جَنَاحِ
 لَكَ (مِصْرُ) وَ(السُّودَانُ) وَالنَّهْرُ الَّذِي * يَنْتَحِلُ بَيْنَ رَبِّي وَبَيْنَ بَطَاحِ
 (٦) وَيَوَاسِقُ (السُّودَانَ) تَشْهَدُ أَنَّهَا * غُرِسَتْ بِعَهْدِ جُدُودِكَ الْفَتَاحِ
 (٧) لَا غَرْوَ إِنْ غَنَى بِمَدْحِكَ صَاحِبٌ * أَوْ مُسَبِّحٌ فِي حَلْبَةِ الْمُدَاحِ
 (٨) حَسَنُ الْغِنَاءِ مَعَ الصَّبَاحِ كُحْسِنُهُ * عَبْدَ الْخَيْرِ بِهِ مَعَ الْإِسْبَاحِ

- (١) المَوْثَلُ : المؤصل الثابت . وَأُمُونُ : كان أجل معبود لقدماء المصريين حتى عهد اخناتون ، وكان اسمه يدج في أسماء الملوك ، فيقال : أمينحتب . وقَنَاجِ : يريد به مفتاح بن رمسيس الثاني .
 (٢) صاحب القطرين : ملك مصر والسودان . (٣) يجتلى : يرى .
 (٤) يريد « بالمعز » : المعز لدين الله الخليفة الفاطمي المعروف . و « بصلاح » : السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب .
 (٥) يشير بهذا البيت الى عطف المغفور له (الملك فؤاد) على أقطار الشرق .
 (٦) البواسق : الأشجار المرتفعة ؛ الواحدة : باسقة .
 (٧) مسبح ، الصواب فيها : ساجح ، أى ساجع في غنائه كما تسبح الحمامة ، اذ المستعمل في هذا المعنى « مسبح » لا « أمسبح » . يقول : سيات من رفع صوته بمدحك ، أو من أرسله في هدوه ولين .
 (٨) يريد بالإسباح : السجع بالغناء ؛ وقد تقدم التنبيه على خطأ هذا الاستعمال في الحاشية التي قبل هذه .

- (١) أولم يكن لك ملك مصر ونيلها * ينساب بين مروجيها الأفياح؟
 (٢) منضورة الجنات حالية الربا * مطلولة السرحات والأرواح
 (٣) قد قال (عمرو) في تراها آية * مأثورة نُقِشت على الألواح:
 بينا تراه لآلئاً وكائناً * نُثِرت بُرَّتته عُودٌ مِلاج
 وإذا به للناظرين زُمرد * يَشْفِيكَ أَخْضَرُهُ مِنَ الْأَتْرَاجِ
 (٤) وإذا به مِسْكٌ تُسْقَى سَوَادُهُ * شَقُّ الْأَدِيمِ عَمَارَتُ الْفَلَاحِ
 البرتان تَهَيَّأتْ أسبابُهُ * لم يبقَ مِنْ سَبَبٍ سِوَى الْإِفْتِحَاحِ
 هُوَ فِي يَدَيْكَ وَدِيعَةٌ لَرَعِيَّةٍ * تُثْنِي بِاللِّسَنَةِ عَلَيْكَ فِصْحَاحِ
 (٥) رَدُّ الْوَدِيعَةِ يَا (قُوَادُ) فَإِنَّمَا * رَدُّ الْوَدِيعَةِ شِمَّةُ الْمِسْجَاحِ
 (٦) وَأَنْهَضْ بِشَعْبِكَ يَا (قُوَادُ) إِلَى الْعُلَا * وَإِلَى مَكَانٍ فِي الْوُجُودِ بَرَّاحِ

- (١) المروج : الأراضي الواسعة فيها نبت كثير . والأفياح ، أى الواسعة .
 (٢) منضورة : حسنة بهيجة . وجالية الربا ، أى مكسرة المرتفعات بأنواع الزهر والنبات .
 ومطلولة ، أى أصابها الطل ، وهو المطر الضعيف الخفيف . والسرحات : جمع سرحة ، وهى الشجرة
 العظيمة . والأرواح : الرياح . (٣) يريد "بعمر" : عمرو بن العاص فاتح مصر . ويشير
 "بالآية" : الى ما روى من أن عمرا وصف مصر لأُمير المؤمنين عمر بن الخطاب وصفا ممتعا معروفا
 جاء منه هذه المعاني التى يضمنها الشاعر الأبيات الثلاثة الآتية بهـ . (٤) يشير بهنا البيت والبيتين
 اللذين قبله الى أحوال ثلاث : حال ثربة مصر أيام الفيضان والماء يغمسها ، ثم حالها وقد تكشفت
 عنها المياه وكسا النبات الأخضر أرضها ، ثم حالها بعد الحصاد وقد باتت الأرض جرداء سوداء ، فشبهها
 فى الحالة الأولى بالؤلؤ فى بياضه ، وفى الثانية بالزمررد فى خضرته ، وفى الثالثة بالمسك فى سواده . وقد
 وردت هذه المعاني فى وصف عمرو لمصر . (٥) المسباح : الكثير المسح . (٦) البراح :
 المكان الذى لاسترة فيه من شجر وغيره ؛ يريد مكانا ظاهرا للعالم .

- (١) فَاللهُ يَشْهَدُ وَالْحَلِائِقُ أَنَا * طَلَّابُ حَقٍّ فِي الْحَيَاةِ صِرَاحِ
(٢) هَذَا مَنَارُ الْبَرْتَانِ أَمَامَكُمْ * لَهْدَى السَّبِيلِ كِلَابَرَةُ الْمَلَّاحِ
(٣) فَيَتِمُّوهُ مُخْلِصِينَ فَمَا لَكُمْ * مِنْ دُونِهِ مِنْ غِبْطَةٍ وَفَلَاحِ
(٤) الْفَضْلُ لِلشُّورَى وَتِلْكَ هِيَ الَّتِي * تَزَعُ الْهَوَى وَتَرُدُّ كُلَّ رِجَاحِ
هِيَ لَا تَفْضِلُ سَبِيلَهَا فَكَأَنَّمَا * خُلِقَ السَّبِيلُ لَهَا بِغَيْرِ نَوَاحِي
(٥) هِيَ - لَا بَرَّاحَ - تَرُدُّ كَيْدَ عَدُوِّكُمْ * وَتَقْلُ غَرْبَ الْغَاصِبِ الْمُجْتَاحِ
(٦) فَتَكْنُفُوا الشُّورَى عَلَى اسْتِقْلَالِكُمْ * فِي الرَّأْيِ لَا تُوحِيهِ تَزَعُهُ وَاحِي
وَيَدُ الْإِلَهِ مَعَ الْجَمَاعَةِ فَأَضْرِبُوا * بَعْصَا الْجَمَاعَةِ تَنْظَفَرُوا بِنَجَاحِ
(٧) كُونُوا رِجَالًا عَامِلِينَ وَكَذَّبُوا * وَالصُّبْحُ أَبْلَجُ ، حَامِلُ الْمِصْبَاحِ
وَدَعُوا التَّخَاذُلَ فِي الْأُمُورِ فَلِئِمَّا * شَبَّحَ التَّخَاذُلَ أَنْكَرَ الْأَشْبَاحِ

(١) الصراح (بالكسر) وهو أنصح من (الضم والفتح) : المحض الخالص الذي لا شائبة فيه .

(٢) إبرة الملاح : هي التي يتبين بها الجهات ويهتدى بها في السير .

(٣) تيموه ، أى اقصدوا إليه .

(٤) تزع الهوى : تكفه وتزيره .

(٥) لا براح ، أى لا ريب . وتقل : تثل وتكسر . والغرب : الخذل .

(٦) تكنفوا الشورى : أحيطوا بها والزموها . وقوله « لا توحيه تزع وواحى » ، أى اصدروا

عن رأيكم ولا تملقوا الأمر عن غيركم . والواحى : من وحيت إليه الكلام ، بمعنى أوحيته إليه .

(٧) يريد « بحامل المصباح » : الفيلسوف اليونانى ديوجينيس المولود سنة ٤١٢ ق م والمتوفى

سنة ٣٢٣ ق م . وكان قد نرج يوما فى راحة النهار يحمل مصباحا يبحث عن رجل . يقول : كذبوا هذا

الفيلسوف الذى ينكر وجود رجل يعتمد به ويعتمد عليه .

(١) والله ما بلغ الشقاء بنا المدى * بسوى خلاف بيتنا وتلاحي
 (٢) قم يا بن (مصر) فانت حر واستعذ * تجدد الحدود ولا تعد ليراح
 شمر وكافح في الحياة فهذه * دنيالك دار تناحر وكفاح
 (٣) وانهل مع النهل من عذب الحيا * فاذا رقا فامتخ مع المتاح
 (٤) واذا ألح عليك خطب لا تهن * واضرب على الإلحاح بالإلحاح
 وخض الحياة وإن تلامم موجهها * خوض البحار رياضة السباح
 (٥) واجعل عيالك قبل خطوك رائدا * لا تحسبن القمر كالضخضاح
 (٦) واذا اجتوتك محلة وتنكرت * لك فأعدنها وانزع مع التراج
 في البحر لا تشيك نار بوايح * في البر لا يلويك غاب رماح
 (٧) وأنظر إلى الغربى كيف سمت به * بين الشعوب طبيعة الكداح
 والله ما بلغت بنو الغربى المنى * إلا يليات هناك محاج
 (٨) ركبوا البحار وقد تجدد ماؤها * والجووين تناوح الأرواح

- (١) التلاحي : النخاصم . (٢) يريد « بالمراح » : الأخذ في أسباب الفرج واللهم .
 (٣) انهل : اشرب ، من النهل (بالتحريك) ، وهو السقية الأولى . والحيا : المطر . ورقا (مسهل من
 رقا بالهمز) ، بمعنى جف واقطع . والتمخ : نزع الماء من البئر . ينصح المصرى بأن يرد موارد الحياة سهلها
 وصعبها . (٤) لا تهن ، أى لا تذل ولا تضعف . (٥) القمر : الماء الكثير . والضخضاح :
 الماء القريب النور . (٦) اجتواه : كرهه . يقول : إذا بنا بك منزل ، وتعدرت طيك الإقامة به
 فاهجره إلى غيره وارتحل عنه مع المرتحلين . (٧) الكداح : الجأذ المجتهد في العمل .
 (٨) تناوح الأرواح : اختلاف مهاب الرياح .

- (١) والبرّ مَصْهُورَ الْحَصَى مُتَابِجًا * يَرْمِي بِتَزَاجِ الشُّوَى لَوَاجِ
(٢) يَلْسَنِي فَيَتِيمُ الزَّمَانِ بِهَمَّةٍ * تَجَبُّ وَوَجْهِي فِي الْخُطُوبِ وَقَاجِ
(٣) وَيَسْقُ أَجْوَازَ الْقِفَارِ مُغَامِرًا * وَغَرُّ الطَّرِيقِ لَدَيْهِ كَالصَّحْصَاحِ
(٤) وَأَبْنُ الْكِنَانَةِ فِي الْكِنَانَةِ رَاكِدٌ * يَرْنُو بَعَيْنَ غَيْرِ ذَاتِ طِمَاجِ
(٥) لَا يَسْتَعْلِ - كَمَا عَلِمْتَ - ذَكَاءَهُ * وَذَكَاءُهُ كَالْخَاطِيفِ اللَّحَاجِ
(٦) أَمْسَى كَأَنَّ النَّهْرَ ضَاعَ فُرَاتُهُ * فِي الْبَحْرِ يَتَنَبَّأُ أَجَاجُهُ الْمُنْدَاجِ
(٧) فَانْهَضَ وَدَعَا شَكْوَى الزَّمَانِ وَلَا تَنْحَ * فِي قَادِحِ الْبُسْطَى مَعَ الْأَنْوَاجِ
(٨) وَأَرْبَحَ لِمَصْرَ بَرَأْسِ مَالِكٍ عِزَّةً * إِنَّ الذَّكَاءَ حُبَالَةُ الْأَرْبَاجِ
(٩) وَإِذَا رُزِقْتَ رَأْسَةً فَانْسِجْ لَهَا * بَرْدَيْنِ مِنْ حَزْمٍ وَمِنْ إِسْجَاجِ
(١٠) وَاشْرَبْ مِنَ الْمَاءِ الْقَرَّاحِ مُنْعَمًا * فَلَكُمْ وَرَدَّتْ الْمَاءَ غَيْرَ قَرَّاحِ

- (١) المصهور : الذي أصابه الخروحي عليه . والمتابج : الملتب . والشوى : اليدان والرحلان
ولقف الرأس : يصف البر بأنه يقذف بجزء شديد ينزع الشوى . وفي القرآن في وصف النار : (كلا إنها
لظى تزاغ للشوى) . ولواح ، أى حزم مغير للألوان . (٢) وقاج : مجترى .
(٣) أجواز القفار : أوساطها ؛ الواحد جوز . والصحصاح : ما استوى من الأرض .
(٤) يرنو : ينظر . والطماح : الطموح والتطلع إلى المجده .
(٥) الخاطف اللحاح : البرق .
(٦) القرات : العذب . والأجاج : الشديد الملوحة . والمنداح : المتبسط المتسع .
(٧) يقال : فدحه الأمر ، إذا أثقله وبهظه . والأنواح : النائمات .
(٨) حباله الصائد : الشريك الذي يصيده .
(٩) الإسجاج : حسن العفو .
(١٠) الماء القراح : الصافي الخالص . يريد العيش الصافي من الأكدار .

من قصيدة في شؤون مصر السياسية

قالها في عهد وزارة إسماعيل صدق باشا

وقد نظمها حافظ بعد إحالة إلى العاش في سنة ١٩٣٢ م وكانت تبلغ نحو مائتي بيت

لم نعرض منها إلا على هذه الأبيات

قَدْ مَرَّ عَامٌ يَا سَعَادُ وَعَامٌ * وَأَبْنُ الْكِتَابَةِ فِي حِمَاهُ يُضَامُ
صَبُّوا الْبَلَاءَ عَلَى الْعِبَادِ فَنُصِفُهُمْ * يَجِي الْبِلَادَ وَنُصِفُهُمْ حُكَّامُ
أَشْكُو إِلَى (قَصْرِ الدَّيَارَةِ) مَا جَنَى * (صَدِيقِي الْوَزِيرِ) وَمَا جَنَى (عَلَامُ)^(١)

ومنها في الإنجليز :

قُلْ لِلْحَايِدِ هَلْ شَهِدْتَ دِمَاءَنَا * تَجْرِي وَهَلْ بَعْدَ الدَّمَاءِ سَلَامُ؟^(٢)
سُفِكَتْ مَوَدَّتُنَا لَكُمْ وَبَدَأْنَا * أَنْتَ الْحَيَادَ عَلَى الْخِصَامِ لِسَامُ
إِنَّ الْمَرَاجِلَ شَرُّهَا لَا يُتَّقَى * حَتَّى يُنْقَسَ كَرِهَتُ صِمَامُ^(٣)
لَمْ يَبْقَ فِينَا مَنْ يَمْنَى نَفْسَهُ * يُوَادُّكُمْ فَوَدَادُكُمْ أَحْلَامُ
أَمِنَ السِّيَاسَةَ وَالْمُرُوءَةَ أَنَا * نَشَقَّى بِكُمْ فِي أَرْضِنَا وَنُضَامُ؟
إِنَّا جَمَعْنَا لِلْجِهَادِ صُفُوفَنَا * سَمَّوْتُ أَوْ تَحِيَّا وَنَحْنُ كِرَامُ

ومنها في مخاطبة إسماعيل صدق باشا :

وَدَعَا طَيْبُكَ اللَّهُ فِي مُحَارِبِهِ * الشَّيْخُ وَالْقَسِيسُ وَالْحَاخَامُ
لَا هُمْ أَحَى ضَمِيرُهُ لِيَذُوقَهَا * غُصَصًا وَتَنْسِفَ نَفْسَهُ الْآلَامُ

(١) يريد محمد علام باشا وزير الزراعة إذ ذاك ووكيل حزب الشعب - ويشير بقوله «وما جنى علام» : إلى ما كانوا يجبونه من الأموال لإعانة لحزب الشعب . (٢) أشار بقوله «الحايد» : إلى أن الإنجليز في هذه الفترة التي قبلت فيها هذه الأبيات كانوا يدعون الحياد في الشؤون المصرية . (٣) المراحل : القنود .

إلى الإنجليز :

[نشرت في ٩ مارس سنة ١٩٣٢ م]

(١) بَنَيْتُمْ عَلَى الْأَخْلَاقِ آسَاسَ مُلْكِكُمْ • فَكَانَ لَكُمْ بَيْنَ الشُّعُوبِ ذِمَامٌ
(٢) فَمَا لِي أَرَى الْأَخْلَاقَ قَدْ شَابَ قَرْنُهَا • وَحَلَّ بِهَا ضَعْفٌ وَدَبَّ سَقَامٌ
أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَثْرَةً بَعْدَ نَهْضَةٍ • فَلَيْسَ لِمُلْكِ الظَّالِمِينَ دَوَامٌ
أَضَعْتُمْ وِدَادًا لَوْ رَحِمْتُمْ عُهُودَهُ • لَمَّا قَامَ بَيْنَ الْأُمَمِينَ خِصَامٌ
(٣) أَبْعَدَ حَيَادٍ لَا رَعَى اللَّهُ عَهْدَهُ • وَبَعْدَ الْجُرُوحِ النَّاهِرَاتِ وَثَامٌ
(٤) إِذَا كَانَ فِي حُسْنِ التَّفَاهِيمِ مَوْتُهَا • فَلَيْسَ عَلَى بَاغِي الْحَيَاةِ مَلَامٌ

إلى المندوب السامي

[نشرت في ١١ مارس سنة ١٩٣٢ م]

(٥) أَلَمْ تَرَفِ الطَّرِيقَ إِلَى (كِيَادِ) • تَصِيدُ الْبَطْ بُوَسَ الْعَالَمِينَا؟
أَلَمْ تَلْمَحْ دُمُوعَ النَّاسِ تَجْرِي • مِنْ الْبَلَاوِ أَلَمْ تَسْمَعْ أَيْنَنَا؟
أَلَمْ تُخْشِرْ نَفِي التَّامِيزِ عَنَّا • وَقَدْ بَعَثُوكَ مَسْدُوبًا أَمِينَا
بَأَنَّا قَدْ لَمَسْنَا الْغَدْرَ لَمَسًا • وَأَصْبَحَ ظُلْمُنَا فِيهِكُمْ يَقِينَا؟

(١) الذمام : الحق والحكمة . (٢) القرن : الذرابة من الشعر .

(٣) الناهرات : الداميات . (٤) يقول : إذا كان حسن التفاهم بيننا وبينكم يجلب

لنا الموت بالذل والاستعباد كان سوء التفاهم خيرا لنا ، لأن فيه حياتنا . (٥) كياد : بركة بإقليم

الشرقية اعتاد أن يذهب إليها المندوب السامي وحاشيته لاصطياد بعض أنواع الطيور .

أولم يكن لك ملكٌ مصرَ ونيلُها * ينسابُ بين مروجِها الأَفْيَاحِ؟^(١)

منصورةَ الجناتِ حاليّةَ الرِّبَا * مطْلولةَ السُّرَحَاتِ والأَرْوَاحِ^(٢)

قد قال (عمرو) في تراها آيةٌ * مأثورةٌ نُقِشتْ على الأَلْوَاحِ^(٣)

بيننا ترأه لآلِنا وكانما * ثُرِتْ بِتُرَيْتِه عُقُودُ مِلَاحِ

وإذا به للناظِرِينَ زُمُردٌ * يَشْفِيكَ أَخْضَرُهُ مِنَ الأَتْرَاحِ

وإذا به مِسْكٌ تُشَقُّ سَوادُه * شَقُّ الأَدِيمِ مَحَارِثُ الفَلَّاحِ^(٤)

البرلمان تهيأت أسبابُه * لم يبقَ مِنْ سَبَبٍ سِوَى المِفْتَاحِ

هُوَ فِي يَدَيْكَ وَدِيعَةٌ لَرَعِيَّةِ * تُثْنِي بِأَلْسِنَةٍ عَلَيْكَ فِصَاحِ

رَدُّ الودِيعَةِ يا (فؤادُ) فلانما * رَدُّ الودِيعَةِ شِمَمَةُ المِسْجِاحِ^(٥)

وأنهضْ بِشَعْبِكَ يا (فؤادُ) إلى العُلا * وإلى مَكَانٍ فِي الوُجُودِ بِرَاحِ^(٦)

(١) المروج : الأراضي الواسعة فيها نبت كثير . والأفياح ، أى الواسعة .

(٢) منصورة : حسنة بهيجة . وجالية الربا ، أى مكسوة المرتفعات بأنواع الزهر والنبات .

ومطلولة ، أى أصابها الطل ، وهو المطر الضعيف الخفيف . والسُّرَحَات : جمع سرحة ، وهى الشجرة

العظيمة . والأرواح : الرياح . (٣) يريد "عمرو" : عمرو بن العاص فاتح مصر . ويشير

"بالآية" : إلى ما روى من أن عمرا وصف مصر لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب وصفا ممتعا معروفا

جاء منه هذه المعاني التى يضمنها الشاعر الأبيات الثلاثة الآتية بعد . (٤) يشير بهذا البيت والبيتين

الذين قبله إلى أحوال ثلاث : حال تربة مصر أيام الفيضان والماء يفسرها ، ثم حالها وقد تكشفت

عنها المياه وكسا النبات الأخضر أرضها ، ثم حالها بعد الحصاد وقد باتت الأرض جرداء سوداء ، فشبهها

في الحالة الأولى باللؤلؤ في بياضه ، وفي الثانية بالزمرّد في خضرته ، وفي الثالثة بالمسك في سواده . وقد

وردت هذه المعاني في وصف عمرو لمصر . (٥) المسباح : الكثير المسبح . (٦) البراح :

المكان الذى لاسترة فيه من شجر وغيره ؟ يريد مكانا ظاهرا للعالم .

- (١) فالله يشهد والخالائق أننا * طَلَبُ حَقِّ فِي الْحَيَاةِ صِرَاحِ
(٢) هَذَا مَنَارُ الْبَرْتَانِ أَمَامَكُمْ * لَهْدَى السَّبِيلِ كَلْبَرَةِ الْمَلَّاحِ
(٣) فَيَمُوهُ مُخْلِصِينَ فَا لَكُمْ * مِنْ دُونِهِ مِنْ غِبْطَةٍ وَقَلَّاحِ
(٤) الْفَصْلُ لِلشُّورَى وَتِلْكَ هِيَ الَّتِي * تَزْعُ الْهَوَى وَتَرُدُّ كُلَّ جَمَاحِ
هِيَ لَا تَضِلُّ سَبِيلَهَا فَكأنما * خُلِقَ السَّبِيلُ لَهَا بِغَيْرِ نَوَاحِ
(٥) هِيَ - لَا بَرَّاحَ - تَرُدُّ كَيْدَ عَدُوِّكُمْ * وَتَقْلُ غَرْبَ الْغَاصِبِ الْمُجْتَاحِ
(٦) فَتَكْتَفُوا الشُّورَى عَلَى اسْتِقْلَالِكُمْ * فِي الرَّأْيِ لَا تُوحِي بِهِ تَزْعَةُ وَاحِ
وَيَدُ الْإِلَهِ مَعَ الْجَمَاعَةِ فَأَضْرِبُوا * بَعْصَا الْجَمَاعَةِ تَنْظَفِرُوا بَنَجَاحِ
(٧) كُونُوا رِجَالًا عَامِلِينَ وَكَذَّبُوا * وَالصَّبْحُ أَبْلَجُ ، حَامِلُ الْمَصْبَاحِ
وَدَعُوا التَّخَاذُلَ فِي الْأُمُورِ فَلِأَنَّمَا * شَبَّحُ التَّخَاذُلِ أَنْكَرُ الْأَشْبَاحِ

(١) الصراح (بالكسر) وهو أنصح من (الضم والفتح) : المحض الخالص الذي لا شائبة فيه .

(٢) إبرة الملاح : هي التي يتيين بها الجهات ويهتدى بها في السير .

(٣) تيموه ، أى اقصدوا إليه .

(٤) تزع الهوى : تكفه وتزجره .

(٥) لا برّاح ، أى لا ريب . وتقل : تثل وتكسر . والغرب : الحد .

(٦) تكفوا الشورى : أحيطوا بها والزموها . وقوله « لا توحيه نزعة واحى » ، أى اصدروا

عن رأيكم ولا تلقوا الأمر عن غيركم . والواحى : من وحيت إليه الكلام ، بمعنى أوحيته إليه .

(٧) يريد « بحامل المصباح » : الفيلسوف اليونانى ديوجينيس المولود سنة ٤١٢ ق م والمتوفى

سنة ٣٢٣ ق م . وكان قد خرج يوما فى راحة النهار يحمل مصباحا يبحث عن رجل . يقول : كذبوا هذا

الفيلسوف الذى ينكر وجود رجل يعتمد به ويعتمد عليه .

(١) والله ما بلغ الشقاء بنا المدى * بسوى خلاف بيننا وتلاحي
 (٢) ثم يابن (مضر) فانت حروا ستعد * تجدد الحدود ولا تعد لمراح
 شمر وكافح في الحياة فهذه * دنيالك دار تناحر وكفاح
 (٣) وانهل مع النهل من عذب الحيا * فاذا رقا فامتج مع المتاج
 (٤) واذا ألح عليك خطب لا تنه * واضرب على الإلحاح بالإلحاح
 وخض الحياة وإن تلامم موجهها * خوض البحار رياضة السباح
 (٥) واجعل عيانتك قبل خطوك رائدا * لا تحسب الغمر كالضخضاج
 (٦) واذا اجتوتك محلة وتنكرت * لك فاعلنها وانزع مع النزاج
 في البحر لا تثليك نار بوارج * في البر لا يلويك غاب رماح
 (٧) وأنظر إلى الغربى كيف تمت به * بين الشعوب طيعة الكداج
 والله ما بلغت بنو الغربى المنى * إلا يليات هناك صحاح
 (٨) ركبوا البحار وقد تجدد ماؤها * والجووين تناوح الأرواح

- (١) التلاحي : النخاسم . (٢) يريد « بالمراح » : الأخذ في أسباب الفرح واللهم .
 (٣) انهل : اشرب ، من النهل (بالتعريك) ، وهو السقبة الأولى . والحيا : المطر . ورا (مسهل من رقا بالهمز) ، بمعنى جف وانقطع . والتمج : نزع الماء من البئر . ينصح المصري بأن يرد موارد الحياة مهلهما وصعيا . (٤) لا تنه ، أى لا تذلل ولا تضعف . (٥) الغمر : الماء الكثير . والضخضاج : الماء القريب الغور . (٦) اجتواء : كرهه . يقول : إذا بنا بك منزل ، وتعلمت عليك الإقامة به فاهجره إلى غيره وارتحل منه مع المرتحلين . (٧) الكداج : الجاذ المجتهد في العمل .
 (٨) تناوح الأرواح : اختلاف مهاب الرياح .

- (١) والبرّ مَصْهُورَ الْحَصَى مُتَاجِجًا * يَرْمِي بِتَزَاجِ الشُّوَى لَوَاجِ
(٢) يَلْتَقِي فَتِيهِمُ الزَّمَانِ بِهَمَةٍ * عَجَبٌ وَوَجْهٌ فِي الْخُطُوبِ وَقَاجِ
(٣) وَيُسْقَى أَجْوَازَ الْقِفَارِ مُغَامِرًا * وَعُرُ الطَّرِيقِ لَدَيْهِ كَالصَّحْصَاحِ
(٤) وَأَبْنُ الْكِنَانَةِ فِي الْكِنَانَةِ رَاكِدٌ * يَرْتَوِ بَعَيْنٍ غَيْرِ ذَاتِ طِمَاحِ
(٥) لَا يَسْتَغِلُّ - كَمَا عَلِمْتَ - ذَكَاءَهُ * وَذَكَاءُهُ كَالْخَاطِيفِ اللَّتَاحِ
(٦) أَمْسَى كَمَا النَّهْرِ ضَاعَ فُرَاتُهُ * فِي الْبَحْرِ يَنْزِ أُجَاجُهُ الْمُنْدَاحِ
(٧) فَانْهَضَ وَدَعَّ شَكْوَى الزَّمَانِ وَلَا تَنْحَ * فِي فَادِجِ الْبُسُوفِ مَعَ الْأَنْوَاجِ
(٨) وَأَرْجَحُ لِمَصْرَبِ رَأْسِ مَالِكٍ عِزَّةً * إِنَّ الذَّكَاءَ حُبَالَةُ الْأَرْبَاجِ
(٩) وَإِذَا رَزِقْتَ رَأْسَةً فَانْسُجِ لَهَا * بَرْدَيْنِ مِنْ حَزْمٍ وَمِنْ إِنْجِجِجِ
(١٠) وَاشْرَبْ مِنَ الْمَاءِ الْقَرَّاحِ مُنْعَمًا * فَلَكُمْ وَرَدَّتْ الْمَاءَ غَيْرَ قَرَّاحِ

- (١) المصهور : الذى أصابه الحزن وحى عليه . والمتاجج : المتنبه . والشوى : اليدان والرجلان
وقحف الرأس : يصف البر بأنه يقذف بحجر شديد ينزع الشوى . وفي القرآن في وصف النار : (كلا إنها
لظى نزاغة للشوى) . ولواح ، أى حتر منير للألوان . (٢) وقاح : مجترئ .
(٣) أجواز القفار : أوساطها ؛ الواحد جوز . والصحصاح : ما استوى من الأرض .
(٤) يرتو : ينظر . والطماح : الطموح والتطلع إلى المجد .
(٥) الخاطف اللحاح : البرق .
(٦) الفرات : العذب . والأجاج : الشديد الملوحة . والمنداح : المنبسط المتسع .
(٧) يقال : فدحه الأمر ، إذا أثقله وبهظه . والأنواح : النائمات .
(٨) حباله الصائد : الشرك الذى يصيده .
(٩) الإنجججج : حسن العفو .
(١٠) الماء القراح : الصافي الخالص . يريد العيش الصافي من الأكدار .

من قصيدة في شؤون مصر السياسية

قالها في عهد وزارة إسماعيل صدق باشا

وقد نظمها حافظ بعد إحالة إلى المعاش في سنة ١٩٣٢ م وكانت تبلغ نحو مائتي بيت

لم نعرض منها إلا على هذه الأبيات

قَدْ مَرَّ عَامٌ يَا سَعَادُ وَعَامٌ * وَأَبْنُ الْكِتَابَةِ فِي حِمَاهُ يُضَامُ
صَبُّوا الْبَلَاءَ عَلَى الْعِبَادِ فَنُصِفُهُمْ * يَجِيءُ الْبِلَادَ وَنُصِفُهُمْ حُكَّامُ
أَشْكُو إِلَى (قَصْرِ الدُّبَارَةِ) مَا جَنَى * (صَدِيقِ الْوَزِيرِ) وَمَا جَنَى (عَلَامُ)^(١)

ومنها في الإنجليز :

قُلْ لِلْحَايِدِ هَلْ شَهِدْتَ دِمَاءَنَا * تَجْرِي وَهَلْ بَعْدَ الدَّمَاءِ سَلَامُ^(٢)؟
سُفِكَتْ مَوَدُّتُنَا لَكُمْ وَبَدَأْنَا * أَنْتَ الْحَيَادَ عَلَى الْخِصَامِ لِثَامُ
إِنَّ الْمَرَاجِلَ شَرُّهَا لَا يُتَّقَى * حَتَّى يُنْفَسَ كَرْهِيَّتُ صِمَامُ^(٣)
لَمْ يَبْقَ فِينَا مَنْ يُمَنِّي نَفْسَهُ * بِوِدَادِكُمْ فَوَدَادُكُمْ أَحْلَامُ
أَمِنَ السِّيَاسَةَ وَالْمُرُوءَةَ أَنَّنَا * نَشَقُّ بِكُمْ فِي أَرْضِنَا وَنُضَامُ؟
إِنَّا جَمَعْنَا لِلْجِهَادِ صُفُوفَنَا * سَمَّوْتُ أَوْ تَحْيَا وَنَحْنُ كِرَامُ

ومنها في مخاطبة إسماعيل صدق باشا :

وَدَعَا عَلَيْكَ اللَّهُ فِي مَحْرَابِهِ * الشَّيْخُ وَالْقَسِيسُ وَالْحَاخَامُ
لَا هُمْ أَحَى ضَمِيرَهُ لِيَذُوقَهَا * غُصَصًا وَتَسِيفَ نَفْسَهُ الْآلَامُ

(١) يريد محمد علام باشا وزير الزراعة إذ ذاك ووكيل حزب الشعب . ويشير بقوله «وما جنى علام» : إلى ما كانوا يجبونه من الأموال لإعانة لحزب الشعب . (٢) أشار بقوله «الحايد» : إلى أن الإنجليز في هذه الفترة التي قبلت فيها هذه الأبيات كانوا يدعون الحياد في الشؤون المصرية . (٣) المراجيل : القنود .

إلى الإنجليز :

[نشرت في ٩ مارس سنة ١٩٣٢ م]

(١) بَنَيْتُمْ عَلَى الْأَخْلَاقِ آسَاسَ مُلْكِكُمْ * فَكَانَ لَكُمْ بَيْنَ الشُّعُوبِ ذِمَامٌ
(٢) فَإِنِّي أَرَى الْأَخْلَاقَ قَدْ شَابَ قَرْنُهَا * وَحَلَّ بِهَا ضَعْفٌ وَدَبَّ سَقَامٌ
أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَثَرَةَ بَعْدَ نَهْضَةٍ * فَلَيْسَ لِمُلْكِ الظَّالِمِينَ دَوَامٌ
أَضَعْتُمْ وِدَادًا لَوْ رَعَيْتُمْ عَهْدَهُ * لَمَا قَامَ بَيْنَ الْأُمَمِينَ خِصَامٌ
(٣) أَبَعَدَ حِيَادٍ لَا رَعَى اللَّهُ عَهْدَهُ * وَبَعَدَ الْجُرُوحِ النَّاهِرَاتِ وَيَامُ
(٤) إِذَا كَانَ فِي حُسْنِ التَّفَاهِيمِ مَوْثًا * فَلَيْسَ عَلَى بَاغِي الْحَيَاةِ مَلَامٌ

إلى المندوب السامي

[نشرت في ١١ مارس سنة ١٩٣٢ م]

(٥) أَلَمْ تَرَفِ الطَّرِيقَ إِلَى (كِيَادِ) * تَصِيدُ الْبَطْ بُوَسَ الْعَالَمِينَا؟
أَلَمْ تَلْمَعْ دُمُوعَ النَّاسِ تَجْرِي * مِنْ الْبَلَاوِ أَلَمْ تَسْمَعْ أَيْبِنَا؟
أَلَمْ تُخْبِرْ نَبِيَّ التَّامِيزِ عَنَّا * وَقَدْ بَعَثُوكَ مَنُودُوا أَيْمِنَا
بَآتَا قَدْ لَمَسْنَا الْغَدَرَ لَمَسًا * وَأَصْبَحَ ظَلْنًا فِيكُمْ يَقِينَا؟

- (١) الذمام : الحق والحكمة . (٢) القرن : الذؤابة من الشعر .
(٣) الناهرات : الداميات . (٤) يقول : إذا كان حسن التفاهم بيننا وبينكم يوجب لنا الموت بالذل والاستعباد كان سوء التفاهم خيرا لنا ، لأن فيه حياتنا . (٥) كياد : بركة بالقليم الشرقية اعتاد أن يذهب إليها المندوب السامي وحاشيته لاصطياد بعض أنواع الطيور .

(١) كَشَفْنَا عَنْ نَوَايَاكُمْ فَلَسْتُمْ * وَقَدْ بَرَحَ الْخَفَاءُ مُحَايِدِينَ
(٢) سَنَجْمِعُ أَمْرَنَا وَتَرَوْنَ مِنَّا * لَدَى الْجُلَى كِرَامًا صَابِرِينَ
(٣) وَنَأْخُذُ حَقَّنَا رَغْمَ الْعَوَادِي * تُطِيفُ بِنَا وَرَغْمَ الْقَاسِطِينَ
(٤) ضَرَبْتُمْ حَوْلَ قَادَتِنَا نِطَاقًا * مِنَ النَّيْرَانِ يُمَيِّ الدَّارِعِينَ
(٥) عَلَى رَغْمِ الْمُرُوءَةِ قَدْ ظَفِرْتُمْ * وَلَكِنْ بِالْأَسْوَدِ مُصَفِّدِينَ

الأخلاق والحياد

قالها وكان الإنجليز إذ ذاك يدعون الحياد في الشؤون المصرية

[نشر في ٤ إبريل سنة ١٩٣٢ م]

(٦) لَا تَذْكُرُوا الْأَخْلَاقَ بَعْدَ حَيَادِكُمْ * فُصَابُكُمْ وَمُصَابُنَا سِيَانِ
(٧) حَارَبْتُمْ أَخْلَاقَكُمْ لِتُحَارِبُوا * أَخْلَاقَنَا فَتَأَلَّمِ الشُّعْبَانِ

(١) لم نجد في كتب النفة (النوايا) جمعية ، كما استعمله الشاعر هنا ، وهو جمع شائع في كلام أهل العصر ، وهو من غلطاتهم ؛ والقياس : نيات . وبرح الخفاء ، أى وضع الأمر وتبين . (٢) الجلى : النازلة الشديدة . (٣) القاسطون : الظالمون . (٤) الدارمون : لابسو الدروع . يشير بهذا البيت وما بعده الى ما كان يصبه الإنجليز على زعماء النهضة الوطنية المصرية من أنواع العذاب من سجن ونفى واعتقال ومحاصرة بيوتهم بالجنود . (٥) المصفد : المقيد . (٦) يخاطب الإنجليز في هذا البيت ويقول : إنكم بهذا الحياد المكذوب تضيعون ما عرقتم به من الأخلاق الفاضلة ، فلا تدعوها لكم بعد ، فصابكم في الأخلاق بهذا الطمع والظلم كصابتنا باحتلالكم . (٧) يشير (بالأخلاق) المضادة الى الإنجليز في هذا البيت الى ما عرفوا به من الصبر والأناة وعدم الأخذ بالقسوة والعنف . وبالأخلاق المضادة البينة ، الى ما أظهرناه في نهضتنا الوطنية من صبر على الجهاد واستمساك بحقوق البلاد . يقول : إنكم أيها الإنجليز بقسوتكم على المصريين تحاربون أخلاقكم السالفة الذكر في سنبل محاربة أخلاقنا ، فكلا الشعبين متألم ، لأنه يحارب فيما طبع عليه .

ثمن الحياد

[نشرت في ٤ إبريل سنة ١٩٣٢ م]

لقد طالَ الحيادُ ولمْ تكفُوا * أمّا أرضاكمُ ثمنُ الحيادِ ؟
أخذتمُ كلَّ ما تبغون منّا * فما هذا التحكُّمُ في العبادِ ؟
بلونا شدةً منكم ولينا * فكان كلامنا ذرّ الرمادِ
وسالتمُ وعاديتُمُ زماناً * فلمْ يغنِ المسالمُ والمُعادي
فليس وراءكم غيرُ التجنّي * وليس أماننا غيرُ الجهادِ

إلى الإنجليز

[نشرت في ٢٨ إبريل سنة ١٩٣٢ م]

حولوا النيلَ وأججوا الضوءَ عنا * وأطمسوا النجمَ وأحرمونا النسيانَ
واملئوا البحرَ إن أردتم سفينا * واملئوا الجوَّ إن أردتم رجوماً
وأقيموا للعسفِ في كلِّ شبرٍ * (كنستبلاً) بالسوطِ يفري الأديماً^(١)
إننا لن نحولَ عن عهدِ مضرٍ * أو ترونا في الترابِ عظماً رَميماً
عاصفُ صانِ ملكتكم وحماكم * وكفاكم بالأمسِ خطباً جسيماً

(١) العسف : الظلم والأخذ بالقوة . ويفري الأديم : يشق الجلد .

(١) غَال (أَرْمَادَةً) الْعَدُوَّ فُفَزْتُمْ * وَبَلَّغْتُمْ فِي الشَّرْقِ شَأْوًا عَظِيمًا
 فَعَدَلْتُمْ هُنَيْهَةً وَبَغَيْتُمْ * وَتَرَكْتُمْ فِي النَّيْلِ عَهْدًا ذَمِيمًا
 فَشَهِدْنَا ظُلْمًا يُقَالُ لَهُ الْعَد * لُ وَوَدًّا يَسْقِي الْحِمِيمَ الْحَمِيمًا (٢)
 فَاتَّقُوا غَضَبَةَ الْعَوَاصِفِ إِنِّي * قَدْ رَأَيْتُ الْمَصِيرَ أَمْسَى وَخِيَا

الحِيَادُ الْكَاذِبُ

[نشرت في سنة ١٩٣٢ م]

(قَصَرَ الدُّبَارَةَ) قَدْ تَقَضَّ * تَ الْعَهْدَ تَقَضَّ الْغَاصِبِ
 أَخْفَيْتَ مَا أَضْمَرْتَهُ * وَأَبْنَتَ وَدَّ الصَّاحِبِ
 الْحَرْبُ أَرْوَحُ لِلنُّفُو * سِ مِنْ الْحِيَادِ الْكَاذِبِ

جلاء الإنجليز عن مصر

قالها تنديدا بكتاب فرنسي كان قد زعم أن جلاء الإنجليز عن مصر سيكون في أكتوبر

كم حَدَّدُوا يَوْمَ الْجَلَاءِ الَّذِي * أَصْبَحَ فِي الْإِبْهَامِ كَالْمَحْشَرِ
 وَسَنَ قَوْمُ الطُّيَشِ مِنْ جَهْلِهِمْ * كَذِبَةَ (إِبْرِيلَ لِأَكْتُوبَرِ)

- (١) غَال : أهلك . وأرمادة : هي الأسطول الأسباني الذي كان يريد مهاجمة الأسطول الإنجليزي في القرن السادس عشر ، فتحطم بعاصلة شديدة حالت بينه وبين مهاجمته . وإلى هذه القصة يشير الشاعر بهذا البيت والذي قبله . ويشير بقوله « وبلغتم في الشرق » : إلى كثرة مستعمرات الإنجليز فيه .
 (٢) يريد « بالحميم » الأول : الصديق . و « بالحميم » الثاني : الشراب الشديد الحرارة .

الامتيازات الأجنبية

- (١) سَكَتْ فَأَصْفُرُوا أَدَبِي * وَقُلْتُ فَأَكْبُرُوا أَرَبِي
وما أَرْجُوهُ مِنْ بَلَدٍ * به ضاق الرِّجاءُ وَبِي؟
وهل (في مِصْرَ) مَفْعَرَةٌ * سِوَى الْأَلْقَابِ وَالرُّتَبِ؟
(٢) وَذِي إِرْثٍ يُكَاثِرُنَا * بِمَالٍ غَيْرِ مُكْتَسَبٍ
(٣) وَفِي الرُّومِ مَوْعِظَةٌ * لِشَعْبٍ جَدِّ فِي اللَّعِبِ
(٤) يُقْتَلُنَا بِلا قَوْدٍ * وَلَا دِيَّةٍ وَلَا رَهْبٍ
(٥) وَيَمْشِي نَحْوَ رَأْيِهِ * فَتَحْيِيهِ مِنَ الْعَطَبِ
فَقُلْ لِلْفَائِرِينَ : أَمَا * لِهَذَا الْقَعْرِ مِنْ سَبَبِ؟
(٦) أَرُونِي بَيْنَكُمْ رَجُلًا * رَكِينًا وَاصِحَ الْحَسَبِ
(٧) أَرُونِي نِصْفَ مُخْتَرِعٍ * أَرُونِي رُبَّ مُحْتَسِبٍ؟
أَرُونِي نَادِيًا حَفْلاً * بِأَهْلِ الْفَضْلِ وَالْأَدَبِ؟
وماذا فِي مَدَارِسِكُمْ * مِنْ التَّعْلِيمِ وَالْكُتُبِ؟

(١) الأرب : العقل . (٢) كآثره بماله : فأنره بكثرة .

(٣) يريد « بالشعب » : الشعب المصري . وجَدَّ في اللعب : أى استمر عليه وواظب .

(٤) القود : القصاص . والرهب (بالتحريك) : الخوف . (٥) العطب : الهلاك .

(٦) الركين : الرزين . (٧) يريد « بالاحتساب » : العالم بتدبير الأموال والتصرف فيها

على أحسن وجه ؛ ومنه قولهم : « فلان محتسب البلد » .

وماذا في مساجيدكم * من التَّيَّبانِ والخطيب؟
وماذا في صحائفكم * سوى التَّمويه والكذب؟
حصائدُ السِّنِ جرَّت * إلى الولايات والحرب^(١)
فهبوا من مراقيدكم * فإنَّ الوقتَ من ذهب^(٢)
فهذي أُمَّةٌ (الِابَا * ن) جازتْ دارةَ الشَّهَبِ^(٣)
فهامتْ بالعلَّاشِغَفَا * وهنَّما بَابَنَّةِ العَنَبِ

(١) حصائد الألسنة : ما تقتطعه من الكلام الذي لا خيري فيه ، الواحدة حصيدة ، تشبهاً به بما يجمع من الزرع إذا جذ . وفي حديث معاذ : « وهل يكب الناس على مناكرهم في النار إلا حصائد السُّنَم » . والحرب (بالتحريك) : الهلاك .

(٢) الدارة : المنزل .

(٣) ابنة العنب : التمر .

الشكوى

الى محمد الشيمى بك المحامى بطنطا

قال حافظ هذين البيتين وكان يعمل بمكتبه فى أول شبابه قبل

انتظامه فى سلك المدرسة الحربية ، ثم تركه لخلاف وقع بينهما

خِرابٌ حَظَى قَدْ أَفْرَعَتْهُ طَمَعًا * بِيَابِ أَسْتَاذِنَا (الشَّيْمَى) وَلَا عَجَبًا

(١) فَعَادَلَى وَهُوَ تَمْلُوءُ فَقُلْتُ لَهُ : * مِمَّا؟ فَقَالَ مِنَ الْحَسَرَاتِ وَأَحْرَبًا

الى آدم أبى البشر

(٢) سَلِيلَ الطَّيْنِ كَمْ نَلْنَا شَقَاءَ * وَكَمْ خَطَّتْ أُنَامِلُنَا ضَرِيحًا

(٣) وَكَمْ أَزْرَتْ بِنَا الْأَيَّامُ حَتَّى * قَدَّتْ بِالْكَبْشِ (إِسْمَاقَ) الذَّيْبِجَا

(١) سكن السين فى « الحسرات » لضرورة الوزن ، والحرب بالتحريك : الهلاك .

(٢) سليل الطين ، يريد آدم أبى البشر عليه السلام . وخط القبر : حفره . يقول لآدم : تركت

بنيك يعبت بهم الشقاء والفناء . (٣) أزرت بنا الأيام ، أى تهاونت بنا ، ووضعت

من شأننا . وإسحاق الذبيح ، هو نبي الله إسحاق بن إبراهيم الخليل عليهما السلام ، وقد اختلف

العلماء فى الذبيح من ولدى إبراهيم ، فقيل : هو إسحاق كما هنا ، وقيل : هو إسماعيل . وقصة هذا الذبيح

والفداء مشهورة ؛ وقد قصها الله تعالى فى القرآن ، إذ قال تعالى فى سورة الصافات : (فلما بلغ معه السعى

قال يا بنى إني أرى فى المنام أنى أذبحك فانظر ماذا ترى) الآيات .

(١) وَبَاعَتْ (يُوسُفًا) بَيْعَ الْمَوَالِي * وَأَلْقَتْ فِي يَدِ الْقَوْمِ (الْمَسِيحًا)

(٢) وَيَا (نُوحًا) جَنَيْتَ عَلَى الْبَرِيَاءِ * وَلَمْ تَمْنَحْهُمْ الْوَدَّ الصَّحِيحًا

عَلَامَ حَمَلَتُهُمْ فِي الْفُلِكِ هَلًا * تَرَكْتَهُمْ فَكُنْتُ لَهُمْ مُرِيحًا

(٣) أَصَابَ رِفَاقِي الْقِدْحَ الْمُعَلَّى * وَصَادَفَ سَهْمِي الْقِدْحَ الْمُنِيحًا

(٤) فَلَوْ مَأَقَ الْقَضَاءُ إِلَى تَقَعَا * لَقَامَ أَخُوهُ مُعْتَرِضًا شَحِيحًا

(١) يوسف ، هو ابن يعقوب عليهما السلام ، وأمره مع إخوته من إلقاءه في الحب ، والتقاط بعض السيارة له ، وبيعهم إياه ببيع العيد مشهور ، وقد قص الله ذلك في القرآن في سورة يوسف . والموالي : العيد ؛ الواحد مولى . ويريد « بالقوم » : جماعة اليهود الذين أرادوا صلب عيسى عليه السلام ؛ وقد قص الله تعالى ذلك في القرآن .

(٢) يشير الى قصة نبي الله نوح عليه السلام ، وأمره مع قومه والطوفان الذي أرسله الله عليهم ونجاته بمن معه في السفينة مشهور ، وقد قص الله تعالى ذلك في القرآن .

(٣) القدح (بكسر القاف وسكون الدال) : واحد القداح ، وهي سهام الميسر . والقدح المعلق ، هو السهم السابع منها ، وهو أفضلها ، لأنه اذا خرج حاز سبعة أنصباء . والمنيح : سهم من سهام الميسر لا نصيب له ولا فرض ، وهو الثالث من القداح الغفل التي ليس لها فرض ولا أنصباء .

(٤) أخوه ، أى أخو القضاء ، وهو القدر .

النفس الحزينة

بيتان مترجمان عن (چان چاك روسو)^(١)

[نشر في ٢٣ نوفمبر سنة ١٩٠٠ م]

(٢)
خَلَقْتَ لِي نَفْسًا فَأَرْصِدْتَهَا * لِلْحُزْنِ وَالْبَلْوَى وَهَذَا الشَّقَاءُ
(٣)
فَأَمِنْ بِنَفْسٍ لَمْ يَشِبْهَا الْأَمْنَى * لَعَلَّهَا تَعْرِفُ طَعْمَ الْمَنَاءِ

سعى بلا جدوى

يصف سعيه المتواصل وبؤسه وإيائه ، ويتقى الراحة من ذلك بالموت

[نشرت في ٣١ ديسمبر سنة ١٩٠٠ م]

(٤)
سَعَيْتُ إِلَى أَنْ كِدْتُ أَنْتَعِلُ الدِّمَا * وَصُدْتُ وَمَا أُعْقِبْتُ إِلَّا التَّنَدُّمًا
(٥)
لَحَى اللَّهَ عَهْدَ الْقَاسِطِينَ الَّذِي بِهِ * تَهْدَمُ مِنْ بُيَانِنَا مَا تَهْدَمُ
إِذَا شِئْتَ أَنْ تَلْقَى السَّعَادَةَ بَيْنَهُمْ * فَلَا تَكُ مِصْرِيًّا وَلَا تَكُ مُسْلِمًا
سَلَامٌ عَلَى الدُّنْيَا سَلَامٌ مُودِّعٌ * رَأَى فِي ظُلَامِ الْقَبْرِ أَنْسًا وَمَغْنَمًا

- (١) روسو، هو الكاتب الفرنسي المعروف ، بطل الحرية وزعيم المساواة . ولد سنة ١٧١٢ م ، وكانت وفاته في ٣ يولييه سنة ١٧٧٠ م . وله عدة تأليف ، منها كتاب الاتفاق الجمهوري ، وكتاب إميل ، وقاموس في الموسيقى ، وآخر في علم النبات ، وغيرها .
(٢) أرصدتها للحنن : حبستها عليه .
(٣) لم يشبها : لم يخالطها . أي آمن على بنفس أخرى لم يخالطها الأكران .
(٤) يقول : إنه تقرحت قدماء من كثرة السعى على الرزق حتى صار دم قدميه أشبه بالنعل لها ، وما عاد يعد كل هذا إلا بالندم .
(٥) القاسطون : البخارون المسائلون عن الحق ، ويريد بهم المحتلين ومغتاتهم .

- (١) أَضْسَرْتُ بِهِ الْأَوَّلَىٰ فِيهِمَا بِأَخْتِهَا * فَإِنْ سَأَمْتَ الْآخَرَىٰ فَوَيْلَاهُ مِنْهُمَا
(٢) فَهُوَ رِيَّاحُ الْمَوْتِ نُكْبًا وَأَطْفَىٰ * سِرَاجَ حَيَاتِي قَبْلَ أَنْ يَحْطَمَا
(٣) فَمَا عَصَمْتَنِي مِنْ زَمَانِي قَضَائِي * وَلَكِنْ رَأَيْتُ الْمَوْتَ لِلْحُرِّ أَعْصَمًا
(٤) فَيَا قَلْبُ لَا تَجْزَعْ إِذَا عَضَّكَ الْأَمْسَى * فَإِنَّكَ بَعْدَ الْيَوْمِ لَنْ تَنَالَ
(٥) وَيَا صَبْرُ قَدْ آتَى الْجُودُ لِمَدْمَعِي * فَلَا سَبِيلَ دَمْعٍ تَسْكُبِينَ وَلَا دَمًا
(٦) وَيَا يَدُ مَا كَلَّفْتُكَ الْبَسْطَ مَرَّةً * لِيَدِي مِنْهُ أَوْلَى الْجَمِيلِ وَأَنْبَمَا
(٧) فَلِلَّهِ مَا أَحْلَاكَ فِي أُنْمُلِ الْبَلَى * وَإِنْ كُنْتَ أَحْلَى فِي الطُّرُوسِ وَأَكْرَمًا
(٨) وَيَا قَدَمِي مَا سَرَتْ بِي لِمَنْزِلَةٍ * وَلَمْ تَرْتَقِ إِلَّا إِلَى الْعِزِّ سُلْبًا
فَلَا تُبْطِئِي سَيْرًا إِلَى الْمَوْتِ وَأَعْلَى * بَانَ كَرِيمَ الْقُومِ مَنْ مَاتَ مُكْرَمًا
وَيَا نَفْسُ كَمْ جَشَّمْتُكَ الصَّبْرَ وَالرِّضَا * وَجَشَّمْتَنِي أَنْ أَلْبَسَ الْمَجْدَ مُعْلَمًا
فَمَا أَسْطَعْتَ أَنْ تَسْتَمِرِّي مَرَّةً طَعِيمَةً * وَمَا أَسْطَعْتُ بَيْنَ الْقَوْمِ أَنْ أَتَقَدَّمَ

- (١) يريد «الأولى» : الدنيا . و «بالأخرى» : الآخرة ؛ فإن شق فيها كما شق في دنياه فويلاه .
(٢) النكب : جمع نكباء ، وهي الريح إذا المحرفت عن وجهها ووقعت بين ريحين ، وهي ريح مهلكة للزروع والمواشي ، حاسبة للقطر . ويحطم : يتكسر . (٣) عصمتني : حفظتني .
(٤) يشير بقوله «بعد اليوم» : إلى الموت . (٥) جود الدمع : انقطاعه أو قلته . قدّر الشاهر في هذا البيت أن ما تمنناه من الموت قد وقع ، وانقطعت عنه أسباب الحزن الهجرية للدموع .
(٦) في أنمل البلى ، أى في يد القناء . والطروس : جمع طرس (بكسر الطاء وسكون الراء) ، وهو الصحيفة يكتب فيها . (٧) جشمتك : كافئك . والمعلم من الثياب : الذى فيه أعلام من طراز أو خير .
شبه المجده في وضوحه وظهوره . (٨) استمرا الطعام : استطابه واستساغه . ويشير بالشطر الأول من هذا البيت إلى الصبر والرضا الواردين في البيت السابق . ويقول «وما أسطعت بين القوم ... الخ» إلى المجده ، في البيت السابق أيضا . يقول لنفسه : إن كليتنا لم يستطع القيام بما كلف به .

- (١) فهذا فراقٌ بيننا فتَجَمَّلِي * فإنت الردى أحتلى مذاقا ومطعما
ويا صدركم حلت بذاتك ضيقة * وكم جال في أنحائك الهَمُّ وأرتمى
(٢) فهلا ترى في ضيقة القبر فسحة * تنفّس عنك الكرب إن يت مبرما؟
(٣) ويا قبر لا تجل برد تجمية * على صاحب أوفى علينا وسما
وهيات يأتى ألقى لليت زائرا * فإنى رأيت الود في ألقى أسقما
(٤) ويأىها النجم الذى طال مهده * وقد أخذت منه السرى أين يما
(٥) لعلك لا تنسى عهد منادى * تعلم منك الشهد والأين كلبا

الإخفاق بعد الكد

وفىها ينى مجد الترك والعرب ، ويشير الى معان أخرى فى الشكوى

[نشرت سنة ١٣١٨ هـ — سنة ١٩٠٠ م]

- (٦) ماذا أصبت من الأسفار والنصب * وطيك العمر بين الوخذ والخبب؟
(٧) نراك تطلب لا هونا ولا كثبا * ولا ترى لك من مال ولا تشب

- (١) مجلى : لا تظهرى الجزع . (٢) المبرم : المتضرع . (٣) أوفى ، أى أشرف
علينا زائرا . (٤) السرى (بضم السين) : السير ليلا . ويم : قصد . (٥) الأين : التعب والإعياء .
وفى هذا البيت والذى قبله ينادى الشاعر النجم الذى أخذ منه السهر والسرى كل مأخذ ، ويطلب إليه أن
يذكر عهود أليف له فى مبره وسيره . وقوله « كلبا » ، أى كلما مهرت أيها النجم وتعبت من السرى .
(٦) النصب (بالتعريك) : التعب . والوخذ : الإصراع فى المشى . والخبب (بالتعريك) : أن ينقل
الفرس أيامه جميعا وأيامه جميعا إذا عدا . (٧) الهون : الهين . والكثب (بالتعريك) :
القرب . والهون والكثب : صفتان لموصوف محذوف ، أى لا طلبا هينا ولا قريبا . والنشب : المال الأميل .

- (١) لَا تُطْعِمَانِي أَنْيَابَ الْمَلَامِ عَلَى * هَذَا الْعِشَارِ فَلَانِي مَهِيْطُ الْعَجَبِ
 (٢) وَدِدْتُ لَوْ طَرَحُوا بِي يَوْمَ جِثَّتُهُمْ * فِي مَسْبَحِ الْخَوَاتِ أَوْ فِي مَسْرَجِ الْعَطَبِ
 (٣) لَعَلَّ (مَانِي) لَاقَى مَا أَكْبَدُهُ * فَوَدَّ تَعْجِيلَنَا مِنْ عَالَمِ الشَّجَبِ
 (٤) إِنِّي أَحْتَسِبْتُ شَبَابًا يَتُ أَتْفِقُهُ * وَعِزْمَةً شَابَتِ الدُّنْيَا وَلَمْ تَسِبْ
 (٥) كَمْ هَمْتُ فِي أَلْيَسٍ وَالْأَرَامُ قَائِلَةٌ * وَالشَّمْسُ تَرْمِي أَدِيمَ الْأَرْضِ بِاللَّهَبِ
 (٦) وَكَمْ لَيْسْتُ الدُّجَى وَالتُّرْبُ نَاعِصَةٌ * وَاللَّيْلُ أَهْدَأُ مِنْ جَأَشِي لَدَى النَّوْبِ
 (٧) وَالنَّجْمُ يَعْجَبُ مِنْ أَمْرِي وَيَحْسِبُنِي * لَدَى السَّرَى ثَامِنًا لِلْسَّبْعَةِ الشَّهْبِ
 (٨) لَكِنِّي غَيْرُ مَجْدُودٍ وَمَا فَتَنْتُ * يَدُ الْمَقَادِيرِ تُقْصِنِي عَنِ الْأَرَبِ

- (١) « لا تطعماني ... الخ » ، أى لا تجعلاني طعمة . وقد شبه الملام ، بالأسد ذى الأنياب ؛ وقسمه بالقريسة .
 (٢) تمنى لو طرحه أهله يوم ولادته في قاع البحر أو في أى طريق من طرق الهلاك .
 (٣) مانى ، هو مانى التنوى صاحب مذهب المانوية المشهور . ويشير الشاعر بهذا البيت إلى ما كان يراه مانى من وجوب تعجيل الفناء للبشر بقطع النسل ، وقد ظهر مانى في أيام سابور بن أردشير ، وقتل في زمن بهرام بن سابور . والشجب : الحزن والعنت يصيب الإنسان من مرض ونحوه . (٤) يريد أنه لم يستغد من شبابه ولا عزمه في أيام الحياة شيئاً ، فاحتسبها عند الله وطعماً فيما يدخله من أجر وثواب .
 (٥) هام : ذهب على وجهه حائراً لا يدرى أين يتوجه . والآرام : الظباء ؛ الواحد : رثم ، وهو في الأصل مخصوص بالظبي الخالص البياض . والقائلة : المستكة وقت الظهيرة لشدة الحر ؛ وقال : إن الظباء لا تقبل إلا إذا اشتد القبط . وأديم الأرض : وجهها وظاهرها . (٦) التراب (بضم فسكون) : جمع تراب ، بمعنى التراب ؛ وهذا الجمع مطرد في (فعلاء) مؤنث (أفعل) ويريد بكونها ناعسة ، أنها مستقرة في مكانها لقلة من يثيرها من المارة بالمشى عليها . والجأش : النفس . وقيل : القلب . يصف في الشطر الأخير الليل بأنه أشد هدوءاً من هدوء نفسه وأطمئنتها عند نواكب الدهر . (٧) الشهب السبعة ، هى السيارة ، وهى : زحل ، والمشتري ، والمريخ ، والشمس ، والزهرة ، وعطارد ، والقمر . يقول : إنه مستمر على السرى استمرار هذه البكواكب ، حتى كأنه واحد منها . (٨) المجلود : المحفوظ .

(١) وقد غَدَوْتُ وآمالِي مُطَرَّحَةٌ * وفي أُمُورِي ما لِلضَّبِّ في الذَّنْبِ
 فإن تُكُنْ نِسْبَتِي للَشَّرِ مَنِعتِي * حَفْظًا فَوَاهَا لِحَبْدِ التُّرْكِ والعَرَبِ
 وقاضياتِ لَهُمْ كانت إِذا اخْتَرِطْتُ * تَدَثَّرَ الغَرِبُ في ثَوْبٍ مِنَ الرَّهْبِ (٢)
 وجمرة لَهُمْ في الشَّرِ ما قَمَدَتْ * ولا صَلاها رَمَادُ الخَثَلِ والكَذِبِ (٣)
 متى أَرَى (النَّيْلَ) لا تَحْلُو مَوَارِدُهُ * لغير مُرْتَهَبٍ لِلَّهِ مُرْتَقِبِ
 فقد غَدَتْ (مِصْرُ) في حَالٍ إِذا دُكِرَتْ * جَادَتْ جُفُونِي لها بِاللُّؤْلُؤِ الرُّطْبِ (٤)
 كَأَنِّي عِنْدَ ذِكْرِي ما أَلَمَ بها * قَرَمٌ تَرَدَّدَ بَيْنَ المَسْوِيَّاتِ والحَرَبِ (٥)
 إِذا نَطَقْتُ فِقاغُ السَّجَبِ مُتَكَأً * وَإِنْ سَكَتُ فإِنَّ النُّفْسَ لَمْ تَطْلُبِ (٦)
 أَيْسَتَنِي الفَقْرَ غَايِنًا ورَائِحِنَا * وَبِخْنٍ تَمْشِي على أَرْضٍ مِنَ الدَّهَبِ
 والقَوْمُ في (مِصْرَ) كالإِسْفَنْجِ قد خَفِرَتْ * بِالماءِ لَمْ يَتْرُكُوا ضَرْعًا لِحَبْلِبِ (٧)

(١) مطرحة ، ملقاة منبوذة . ويريد بقوله « وفي أُمُورِي ... الخ » : أن أُمُورِهِ معقدة متعلدة
 الحِل ، كأنها ذنب الضب الذي يضرب به المثل في التعقيد .

(٢) القاضيات : السيوف القواطع . واختلط السيف : استلذه من غمده . ولدثر : التف . والرهب
 (بالتمريك) : الخوف والرهب . يَحْصِرُ على زمان كانت فيه للترك والعرب سطوة يَحْشَى بِأَسْمَا الغريب .
 (٣) استعار « الجمرة » في هذا البيت لقوة الدولة وشوكتها وحرها . والخثل : الخداع . يهيف
 سياستهم بالصراحة وأنها لم يَفْشَها كذب ولا خداع كما غشى غيرها من سياسات دول الغريب .

(٤) الرطب (بسكون الطاء) معروف ، وتحريكها هنا لضرورة الوزن ، ويلاحظ أننا لم نجد ذلك
 في شعر آخر فإِذَا راجعنا . (٥) . القمر : السيد العظيم والبطل الشجاع . (٦) يقول :

إِنَّهُ إِذَا ذَكَرَ مِصْرَ اضْطَرَبَ أَمْرُهُ بَيْنَ إِقْدَامِ مَاقِبَتِهِ الْعِقَابِ ، وَإِجْهَامِ يَمْقَبِهِ لِدَعِ الضَّمِيرِ .

(٧) يريد « بالقوم » : الأجانب . يقول : إن هؤلاء الأجانب في مصر امتصوا كل خيرها
 كالإسفنج يمتص ما في الوعاء من ماء . والضرع للبهائم بمنزلة الثدي للمرأة ، جمع ضرع .

(١) (يا آلَ عُثْمَانَ) ما هذا الجَفَاءُ لنا * وَنَحْنُ فِي اللَّهِ إِخْوَانٌ وَفِي الْكُتُبِ
تَرَكُّنَا لَأَقْوَامٍ مُخَالِفِنَا * فِي الدِّينِ وَالْفَضْلِ وَالْأَخْلَاقِ وَالْأَدَبِ

حسرة على فائت

[نشرت في يونيو سنة ١٩٠٢ م]

(٢) لَمْ يَبْقَ شَيْءٌ مِنَ الدُّنْيَا بِأَيْدِينَا * إِلَّا بَقِيَّةُ دَمْعٍ فِي مَاقِينَا
كَمَا قِلَادَةٌ جِيدِ الدَّهْرِ فَانْقَرَطَتْ * وَفِي يَمِينِ الْعُلَا كُنَّا رِيَاحِينَا
(٣) كَانَتْ مَنَازِلُنَا فِي الْعِزِّ شَانِحَةً * لَا تُشْرِقُ الشَّمْسُ إِلَّا فِي مَغَانِينَا
(٤) وَكَانَ أَقْصَى مُنَى نَهْرِ (الْمَجْرَةِ) لَوْ * مِنْ مَائِهِ مُزِجَتْ أَقْدَاحُ سَاقِينَا
وَالشُّهْبُ لَوْ أَنَّهَا كَانَتْ مُسَخَّرَةً * لِرَجِيمٍ مِنْ كَانَ يَبْدُو مِنْ أَعَادِينَا
(٥) فَلَمْ نَزَلْ وَصُرُوفُ الدَّهْرِ تَرْمُقُنَا * شَرًّا وَتَحْدَعُنَا الدُّنْيَا وَتُلْهِمُنَا
(٦) حَتَّى غَدَوْنَا وَلَا جَاهٌ وَلَا تَسَبُّ * وَلَا صَدِيقٌ وَلَا خَلٌّ يُوَسِّينَا

(١) آل عثمان : الترك .

(٢) المآق : جمع مؤق وماق ، وهو مجرى الدمع من العين .

(٣) المغاني : جمع مغنى ، وهو المنزل الذى غنى به أهله ، أى أقاموا .

(٤) المجرة : نجوم كثيرة يتشربها هافرى كأنه جمعة بيضاء ، وتشبهها الشعراء بالنهر ، كما فى هذا البيت .

(٥) صروف الدهر : غيره ونوائبه . والنظر الشرر : أن تنظر إلى غيرك بجانب عينك ولا تستقبله

برجحك معرضاً عنه ، أو غاضباً عليه .

(٦) النشب : المال والعقار .

وداع الشباب

قال هذه القصيدة في دار وسط مزارع في الجزيرة قضى فيها بعض أيام شبابه، ثم مر بها بعد عهد طويل من تحوله عنها فتحركت في نفسه ذكريات، وجاش صدره بهذه الأبيات

[نشرت في ٢٦ فبراير سنة ١٩٣٢ م]

(١) كم مررت فيك عيش لست أذكره * ومررت فيك عيش لست أنساه
ودعت فيك بقايا ما ملقت به * من الشباب وما ودعت ذكره
(٢) أهفو إليه على ما أفرحت كيدي * من التباريح أولاه وأخراه
(٣) ليست ودموع العين طيبة * والنفس بجاشة والقلب أواه
فكان عوني على وجد أكابده * ومررت عيش على العلات القاه
إن خان ودّي صديق كنت أصحبه * أو خان عهدي حبيب كنت أهواه
(٤) قد أرخص الدمع ينبوع الغناء به * والهفتي ونضوب الشيب أغلاه
(٥) كم روح الدمع عن قلبي وكم غسلت * منه السوايق حزنا في حناياه

(١) يقول: إنه مررت به في هذا البيت شؤون وأحوال نسي بعضها وذكر بعضها .

(٢) أهفو، أى أميل . والتباريح : ما يعانىه المحب من شدة الشوق .

(٣) بجاشة : مضطربة بمختلف المواقف . والأواه : الحزين .

(٤) أرخصه : جعله رخيصة . والضمير في «به» يعود على الشباب . ونضوب الشيب ، أى ذبول

العود ويجفافه في المشيب . يقول في الشطر الأول : إن غزارة الدمع في عهد الشباب قد جعلته رخيصة

يفيض لأقل الأشياء ؛ ويتلطف في الشطر الثاني على قلة هذا الدمع في عهد المشيب حتى غلا ومر ، فلا يجيبه

إذا دعاه . (٥) روح الدمع عن قلبي ، أى خفف من حزنه ونفس من لوعته . وسوايق الدموع :

ما أسرع منها .

(١) لَمْ أَدْرِ مَا يَدُهُ حَتَّى تَرَشَّفَهُ * فَمُ الْمَشِيبِ عَلَى رَغْمِي فَأَفْنَاهُ
 قَالُوا تَحَرَّرْتَ مِنْ قَيْدِ الْمَلَاكِ فِعِشْ * حُرًّا فَقِي الْأَسِيرِ ذُلُّ كُنْتَ تَأْبَاهُ
 (٢) فَقُلْتُ يَا لَيْتَهُ دَامَتْ صَرَامَتُهُ * مَا كَانَ أَرْقَقَهُ عِنْدِي وَأَخْنَاهُ
 (٣) بَدَلْتُ مِنْهُ بِقَيْدٍ لَسْتُ أَفْلَتُهُ * وَكَيْفَ أَفْلَتُ قَيْدًا صَاغَهُ اللَّهُ
 أَسْرَى الصَّبَابَةِ أَحْيَاءُ وَإِنْ جَاهِدُوا * أَمَّا الْمَشِيبُ فَقِي الْأَمْوَاتِ أَسْرَاهُ .

وقال :

كتب بها من السودان إلى بعض أصدقائه يشكو حظه ويشوق إلى مصر
 (٤) رَمَيْتُ بِهَا عَلَى هَذَا التَّيَابِ * وَمَا أَوْرَدْتُهَا غَيْرَ السَّرَابِ
 (٥) وَمَا حَمَلْتُهَا إِلَّا شَقَاءً * تُقَاضِيَنِي بِهِ يَوْمَ الْحِسَابِ
 (٦) جَنَيْتُ عَلَيْكَ يَا نَفْسِي وَقَبْلِي * عَلَيْكَ جَنَى أَبِي فَدَعِي عِتَابِي
 (٧) فَلَوْلَا أَنَّهُمْ وَأَدُّوا بَيَانِي * بَلَّغْتُ بِكَ الْمُنَى وَشَقِيتُ مَا بِي

- (١) يده، أى نعمة الدمع عندي؛ ويقال : ترشفه، أى شربه قليلا قليلا .
 (٢) ياليت، أى ياليت هذا القيد السابق ذكره . وصرامته : شدته وإحكامه وتعذر الإفلات منه .
 (٣) المعروف أن الباء تدخل على المتروك عكس ما استعمله الشاعر هنا؛ ولكن ورد في عبارة بعض النورين ما يفيد صحة دخول الباء على المأخوذ كاستعمال الشاعر . قال أبو العباس ثعلب : يقال « بدلته الخاتم بالخلة » : إذا أذنته وسويته حقة؛ وبذلك الخلة بالخاتم : إذا أذنتها وجعلتها خاتما . والمراد بالقيد هنا : قيد المشيب . (٤) بها، أى بالنفس . والتباب : الخسران والنقص . والسراب : هو ما تراه نصف النهار من اشتداد الحر كالماء عن بعد؛ ويشبه به الخداع . (٥) تقاضيني : تحاسبنى عليه .
 (٦) جناية أبيه عليه أنه كان سيئا في ولادته، إشارة إلى قول المعري :
 هذا جناه أبى على * وما جنيت على أحد

(٧) وأده : دفعه حيا .

سَعَيْتُ وَكَمْ سَعَى قَبْلِي أَدِيبٌ * قَابَ بِخَيْبَةٍ بَعْدَ اغْتِرَابِ^(١)
 وَمَا أَمَذَرْتُ حَتَّى كَانَ نَعْلِي * دَمًا وَوِسَادَتِي وَجْهَ التُّرَابِ^(٢)
 وَحَتَّى صَيَّرْتَنِي الشَّمْسُ عَبْدًا * صَبِيغًا بَعْدَ مَا دَبَّغَتْ إِهَابِي^(٣)
 وَحَتَّى قَلَمَ الْإِمْلَاقُ ظُفْرِي * وَحَتَّى حَطَّطَ الْمِقْدَارُ نَابِي^(٤)
 مَتَى أَنَا بِالْبَلِّغِ يَا (مِصْرُ) أَرْضًا * أَشْمُ بِتُرْبِهَا رِيحَ الْمَلَابِ^(٥)
 رَأَيْتُ ابْنَ الْبُخَارِ عَلَى رُبَاهَا * يَمْرُكُكَّاهُ شَرِخُ الشُّبَابِ^(٦)
 كَأَنَّ يَحْوِفُهُ أَحْشَاءُ صَبٍّ * يُؤَجِّجُ نَارَهَا شَوْقُ الْإِيَابِ^(٧)
 إِذَا مَا لَاحَ سَاءَلْنَا الدِّيَابِي * أَبْرَقَ الْأَرْضِ أَمْ بَرَقَ السَّحَابِ^(٨)

وقال :

مَا لِهَذَا النُّجْمِ فِي السَّحْرِ * قَدْ مَهَا مِنْ شِدَّةِ السَّهْرِ؟^(٧)
 خَلَّتْهُ يَا قَوْمُ يُؤْنِسُنِي * إِنْ جَفَانِي مُؤْنِسُ السَّحْرِ
 يَا لِقَوْمِي إِنِّي رَجُلٌ * أَفْنَتَ الْأَيَّامَ مُصْطَبَرِي^(٨)
 أَسْهَرْتَنِي الْحَادِثَاتُ وَقَدْ * نَامَ حَتَّى هَاتَفَ الشُّجَيْرُ

- (١) ما أمذرت : ما قصرت . ويريد « يكون نعله دما » : كثرة السعى الى أن تقرحت قدماه فصار الدم لهما كالنعل . (٢) الصبيغ : المصبوغ . وإهاب الانسان : جلده . (٣) قلبه : قطعه . والإملاق : الفقر المدقع . ويريد « بالظفر والناب » في هذا البيت : أسباب قوته . (٤) الملاب : لفظ فارسي ، وهو كل عطر سائل . (٥) ابن البخار : القطار . والربا : ما ارتفع من الأرض . وشرخ الشباب : أوله وريمانه ، شبه به القطار في السرعة . (٦) الديابي : الظلمات ، جمع داجية . (٧) مؤنس السحر : حبيبه أو نديمه . (٨) هاتف الشجر : الطائر المفترد .

(١) والدُّجَى يَخْطُو عَلَى مَهْلٍ * خَطَوَذَى عِزٍّ وَذَى خَفَرٍ
 فِيهِ شَخْصُ الْيَاسِ مَانَقِي * كَحَيْبِ آبٍ مِنْ سَفَرٍ
 وَأَنَارَتْ بِي فَوَادِحُهُ * كَامِنَاتِ الْهَمِّ وَالْكَدَرِ
 وَكَأَنَّ اللَّيْلَ أَقْسَمَ لَا * يَنْقِضِي أَوْ يَنْقِضِي عُمْرِي
 أَيُّهَا الزَّيْجِيُّ مَا لَكَ لَمْ * تَخْشَ فِينَا خَالِقَ الْبَشَرِ؟
 لِي حَيْبٌ هَاجِرٌ وَلَهُ * صُورَةٌ مِنْ أَبْدَعِ الصُّورِ
 أَتَلَاشِي فِي مَحَبَّتِهِ * كَتَلَاشِي الظِّلَّ فِي الْقَمَرِ

شكوى الظلم

(٤) لَقَدْ كَانَتْ الْأَمْثَالُ تُضْرَبُ بَيْنَنَا * بِمَجُورٍ (سَدُومٍ) وَهُوَ مِنْ أَظْلَمِ الْبَشَرِ
 فَلَمَّا بَدَتْ فِي الْكَوْنِ آيَاتُ ظُلْمِهِمْ * إِذَا (بَسْدُومٍ) فِي حُكُومَتِهِ (عُمَرُ)
 (٥)

(١) الخفر : شدة الحياء . وقد كنى «بتمهل الدجى في خطوه» عن طول الليل .

(٢) الفواديح : ما يثقل حمله من النوائب .

(٣) يريد «بالزنجي» : الليل ، لسواده .

(٤) سدوم (بالدال المهملة ؛ وقيل بالذال المعجمة) : إحدى مدائن قوم لوط الخمس التي دمرها الله
 لمجور أهلها وكفرهم ، وكان لها قاض يضرب به المثل في الظلم ، يقال له : (سدوم) أيضا ، قليل : «أظلم من
 قاضي سدوم» .

(٥) الحكومة : الحكم . وعمر ، هو عمر بن الخطاب رضي الله عنه ؛ ضرب به المثل في العدل .
 ويريد الشاعر بهذا البيت : أن ظلم سدوم يتضاهل حتى يصير عدلا إذا قيس بظلم حكام هذا العصر .

وقال في مرض له :

(١) مَرَضْنَا فَمَا عَادَنَا عَائِدٌ * وَلَا قِيلَ : أَيْنَ الْفَقَى الْأَلْمَى ؟
 (٢) وَلَا حَنَّ طَرَسَ إِلَى كَاتِبٍ * وَلَا خَفَّ لَفْظٌ عَلَى مِسْمَعٍ
 سَكَّتْنَا فَعَزَّ عَلَيْنَا السُّكُوتُ * وَهَانَ الْكَلَامُ عَلَى الْمُدَّعَى
 (٣) فَيَا دَوْلَةً آذَنْتَ بِالزَّوَالِ * رَجَعْنَا لِعَهْدِ آلِ هَوَى فَارْجَعِي
 (٤) وَلَا تَحْسِينَا سَلَوْنَا النَّسِيبَ * وَبَيْنَ الضُّلُوعِ فَوَادٍ يَبَى

سجن الفضائل

(٥) نَعِمَنْ بِنَفْسِي وَأَشَقِّينِي * فَيَا لَيْتَنِي وَيَا لَيْتَنِي
 خِلَالَ تَزَلُّنَ بِخَضْبِ النَّفُوسِ * فَرَوَيْتَنِي وَأَظْمَأْتَنِي
 تَعَوَّدَنْ مِنِّي إِبَاءَ الْكَرِيمِ * وَصَبَرَ الْحَلِيمَ وَتِيَّةَ الْغَنِيِّ
 وَعَوَّدْتَنِي زِلَالَ الْخُطُوبِ * فَمَا يَنْتَنِينَ وَمَا أَنْتَنِي
 (٦) إِذَا مَا لَهَوْتُ بِلَيْلِ الشَّابِ * أَهْبَنَ بَعَزِي فَنَهْنَسَنِي

(١) الألمى : الذكى المتوقد ذكاء . (٢) الطرس : الصحيفة يكتب فيها . والمسبح

(بكر الميم الأولى) : الأذن . (وبفتحها) : السمع . (٣) يريد دولة الأدب .

(٤) النسب : التشيب بالنساء وذكر محاسنهن في الشعر . وبى : يحفظ .

(٥) نعم ، أى الخلال المذكورة في البيت الآتى . فَيَا لَيْتَنِي وَيَا لَيْتَنِي ، أى يَالَيْتَنِي مَا نَعِمَ وَيَا لَيْتَنِي

مَا شَقِيت . (٦) أهاب به : دماه .

(١) فَا زِلْتُ أَمْرَحُ فِي قَلْبِي * وَيَمْرَحُنْ مِنِّي بِرَوْضِ جَنِّي
إِلَى أَنْ تَوَلَّى زَمَانُ الشَّبَابِ * وَأَوْشَكَ عُودِي أَنْ يَنْجَنِي
(٢) يَا نَفْسُ إِنْ كُنْتَ لَا تُوقِنِينَ * بِمَعْقُودِ أَمْرِكَ فَاسْتَيْقِنِي
فَهَذِي الْفَضِيلَةُ سِبْجُنُ النُّفُوسِ * وَأَنْتِ الْجَدِيدَةُ أَنْتِ تُسْجِنِي
فَلَا تَسْأَلْنِي مَتَى تَنْقِضِي * لِيَالِي الْإِسَارِ؟ وَلَا تَحْزَنِي

كتاب الى الأستاذ الامام الشيخ محمد عبده

كتب به اليه من السودان

(٣) كِتَابِي إِلَى سَيِّدِي، وَأَنَا مِنْ وَعْدِهِ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالسَّلْسِيلِ، وَمِنْ تَيْبِي بِهِ فَوْقَ
(٤) النَّثْرِ وَالْإِكْلِيلِ؛ وَقَدْ تَعَجَّلْتُ السُّرُورَ، وَتَسَلَّفْتُ الْجُبُورَ؛
(٥) وَقَطَعْتُ مَا بَيْنِي وَبَيْنَ النَّوَابِ *
وَبَشَّرْتُ أَهْلِي بِالَّذِي قَدْ سَمِعْتُهُ * فَمَا مَحَنِي إِلَّا لِيَالٍ قَلَائِلُ
(٦) وَقُلْتُ لَهُمُ لِلشَّيْخِ فِينَا مَشِيئَةٌ * فَلَيْسَ لَنَا مِنْ دَهْرِنَا مَا تُنَازِلُ

- (١) القَدَّ (بالكسر) : السير بقَدٍّ من جلد يقيد به الأسير؛ والضمير يعود على الخلال . وروض جنِّي (بتشديد الياء وخففت الشمر) ، أى أدرك ثمره واصلح لجنِّي . يقول : إننى فى ضيق من هذه الخلال الجيدة ، وهى فى سعة من نفسى . (٢) بمعقود أمرِكَ ، أى بما هو حتم عليك من مصيرك وما لا بد لك منه ، وهو الموت . (٣) السَّلْسِيل : اسم عين ماء فى الجنة ؛ قال تعالى : «عينا فيها تسمى سلسيلا» . (٤) النثر : اسم كوكب تسميه العرب «نثرة الأسد» ، وهى من منازل القمر . والإكليل : منزل من منازل القمر (أيضا) ، وهو أربعة أنجم مصطفة . (٥) تسلفت الجبور : طلبته مقدما قبل أوانه . (٦) تنازل : قاتل .

وَجَمَعْتُ فِيهِ بَيْنَ ثِقَةِ الزَّيْدِيِّ^(١) بِالصَّمْصَمَةِ ، وَالْحَارِثِ^(٢) بِالنَّعَامَةِ ؛ فَلَمْ أَقُلْ
مَا قَالَ الْهَذَلِيُّ لِمُصَاحِبِهِ حِينَ نَسِيَ وَعْدَهُ ، وَتَجَبَّ رِقْدَهُ^(٤) ؛
* يَا دَارَ مَاتِكَةِ الَّتِي أَتَعَزَّلُ^(٥) *

(١) الزيدى ، هو عمرو بن معد يكرب الفارس المشهور ، وهو من بني زيد ، وقد أدرك الجاهلية والإسلام ، وله بلاء حسن في المعارك التي شهدتها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي غيرها .
والصمصامة : اسم سيفه .

(٢) الحارث ، هو ابن عباد التغلبي ، وهو من شيوخ العرب ورؤسائهم . والنعام : اسم فرسه .

(٣) يريد « بالهذلي » أبا بكر . و « مصاحبه » : أبا جعفر المنصور الخليفة العباسي المعروف .
ويشير الكاتب بهذا الكلام إلى ما حدث بينهما ، وكان أبو بكر الهذلي هذا من جلساء المنصور ومصاحبه ، وكان قد تعود ألا يكلم المنصور إلا جواباً على سؤال إجلاله ، ورهبة منه ، وقد وعده المنصور ذات يوم بجائزة ، ثم تناقل عن الوفاء بوعده ، فبينما هما يسيران ذات يوم إذ مررا بدار ماتيكة التي يشبب بها الأحرص ، فقال الهذلي للمنصور : يا أمير المؤمنين ، هذا بيت ماتيكة التي يقول فيها الشاعر .
* يَا دَارَ مَاتِكَةِ الَّتِي أَتَعَزَّلُ *

فصعب المنصور من صاحبه كيف بدأه بالكلام على غير عادته ، وفطن إلى ما يريد الهذلي بذكر هذه الأبيات ، وهو قول الشاعر فيها :

وَأَرَاكَ تَفْعَلُ مَا تَقُولُ وَبَعْضُهُمْ * مَذِقُ اللِّسَانِ يَقُولُ مَا لَا يَقْعَلُ

وتذكر وعده ، فقام بوفائه لساعته . والشعر للأحرص بن محمد بن عبد الله الأنصاري من قصيدة يمدح فيها عمر بن عبد العزيز ، وأولها :

يَا دَارَ مَاتِكَةِ الَّتِي أَتَعَزَّلُ * حَذِرُ الْعِدَا وَبِكَ الْفُؤَادُ مُوَكَّلُ

إِنِّي لَا مَنَعَكَ الصَّدُودُ وَإِنِّي * قَسَمًا إِلَيْكَ مَعَ الصَّدُودِ لِأَمِيلُ

ويريد الكاتب بهذا الكلام : أنه لا يذكر الأستاذ الإمام بوعده كما فعل الهذلي مع المنصور .

(٤) الرقد : العطاء والصلة .

(٥) أتعزل : أمتجيب .

(١)
بل أناديه نداء الأخيذة في عمورية ، شجاع الدولة العباسية ؛ وأمد صوتي بذكري
إحسانه ، مد المؤذن صوته في أذنيه ؛ وأعتد عليه في البعد والقرب ، اعتماد الملاح
على نجمة القطب .

(٢)
وقال أصبحابي وقد هالت النوى * وهالم أمري : متى أنت قافل ؟

(٣)
فقلت : إذا شاء الإمام فأوبتي * قريب ورعي بالسعادة أهل

(٤)
وهانا متماسك حتى تتحسر هذه الغمرة ، وينطوي أجل تلك الفترة ؛ وينظر لي

(٥)
سيدي نظرة ترفني من ذات الصدع ، إلى ذات الرجع ؛ وتردني إلى وكري الذي

(٦)
فيه درجت رد الشمس قطرة المزن إلى أصلها ، ورد الوفي الأمانات إلى أهلها .

- (١) الأخيذة : الأسيرة ، فعيلة بمعنى مفعولة . وعمورية : بلد من بلاد الروم فتحه المعتصم بالله
ثامن خلفاء بني العباس في سنة ٨٢٢٣ . ويريد « شجاع الدولة العباسية » : المعتصم بالله السابق ذكره .
ويشير بهذا الكلام إلى امرأة من نساء المسلمين أمرها الروم في عمورية في عهد المعتصم ، وكان الروم
يعذبونها ، فصاحت : وامعتصاه ، فقال لها بعض الحراس ماخراها : سيايتك المعتصم على جواد
أبلى وخلفه خيول بلق فيقتذك من أيدينا . ففى خبر هذا الكلام إلى الخليفة المعتصم ، فأقسم أن يفتح
بلاد الروم ، ويعود بالأسيرة ؛ ثم جرد لوقته على بلاد الروم جيشا كثيفا كله خيول بلق ، وتقدمه هو على
جواد أبلى . فنكل بالروم وفتح عمورية ، ودخل على الأسيرة في مجيها واستخلصها وأعادها إلى بلادها .
(٢) النوى : البعد . وقافل : راجع . (٣) قال : « قريب » ولم يقل : « قريبة » لأنه يستعمل
في المذكر والمؤنث كما قال الله تعالى : « إن رحمة الله قريب من المحسنين » . وأهل بالسعادة : عاصرها .
(٤) تتحسر هذه الغمرة ، أى تنكشف هذه المصيبة . (٥) الصدع : الشق . ويريد
« بذات الصدع » : الأرض . والرجع : المطر بعد المطر . وذات الرجع ، أى السماء . قال تعالى :
(والسماوات ذات الرجوع والأرض ذات الصدع) . (٦) الوكر : عش الطائر ؛ والمراد به هنا :
وطنه . ودرجت : مشيت . والمزن (بضم فسكون) : السحاب . ويشير بهذه العبارة إلى ماء المطر الذي
يسقط من السماء ، فتحوله الشمس بجزرها إلى بخار ، ثم يعود إلى أصله سحابا .

فَإِنْ شَاءَ فَالْقُرْبُ الَّذِي قَدْ رَجَوْتُهُ * وَإِنْ شَاءَ فَالْعِزُّ الَّذِي أَنَا أَمَلُ
 وَلَا فَإِنِّي قَافٌ (رُؤْبَةٌ) ^(١) لَمْ أَزَلْ * بِقَيْدِ النَّوَى حَتَّى تَعُولَ الْغَوَائِلُ ^(٢)
 فَلَقَدْ حَلَلْتُ السُّودَانَ حُلُولَ الْكَلِيمِ ^(٣) فِي التَّابُوتِ، وَالْمُغَاضِبِ ^(٤) فِي جَوْفِ الْحُوتِ؛
 بَيْنَ الضُّيْقِ وَالشَّدَةِ، وَالْوَحْشَةِ وَالْوُخْدَةِ . لَا، بَلْ حُلُولَ الْوَزِيرِ ^(٥) فِي تَنْوِيرِ الْعَذَابِ
 وَالْكَافِرِ فِي مَوْقِفِ يَوْمِ الْحِسَابِ؛ بَيْنَ نَارَيْنِ : نَارِ الْقَيْظِ، وَنَارِ الْغَيْظِ .
 فَنَادَيْتُ بِأَسْمِ الشَّيْخِ وَالْقَيْظُ بَجَرِهِ * يُذِيبُ دِمَاحَ الضُّبِّ وَالْعَقْلُ ذَاهِلُ ^(٦)
 فِصْرَتُ كَأَنِّي بَيْنَ رَوْضٍ وَمَنْهَلٍ * تَدِبُ الصَّبَا فِيهِ وَتَشْدُو الْبَلَابِلُ ^(٧)

(١) رؤبة، هو ابن العجاج بن رؤبة، من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية . وكان هو أبوه من رجاز الإسلام وفصحائهم المذكورين المتقدمين منهم . ومات رؤبة في أيام المنصور، وكان يصنع أكثر أراجيزه على روى القاف الساكنة، فحضر بقافه المثل في السكون وعدم الحركة؛ والمراد هنا : إن لم يدركني الأستاذ الإمام بمساعيه، فأني مستقر في هذه البلاد البعيدة لا أبرحها، كقاف رؤبة في سكونها، حتى يأتي الأهل . وفي قاف رؤبة هذه يقول أبو العلاء :

مالي غدوت كقاف رؤبة قيدت * في الدهر لم يقدر له إيراؤها

والغوائل : الدواهي التي تأخذ الإنسان من حيث لا يدري . (٢) الكليم : نبي الله موسى عليه السلام؛ وقصة وضعه في التابوت وإلقائه في اليم وهو وليد مشورة، وقد قصها الله تعالى في القرآن في غير موضع . (٣) يريد «بالمغاضب» : نبي الله يونس عليه السلام، قال تعالى في سورة الأنبياء : (وَذَا النُّونِ إِذْ ذُهِبَ مُغَاضِبًا) الآية . وقصة التهام الحوت إياه وخروجه من جوفه مشورة؛ وقد ذكرها الله تعالى في القرآن . (٤) كذا ورد ضبط هذا اللفظ بضم الوار في شرح القاموس ضبطًا بالعبارة . (٥) يريد «بالوزير» : أبا جعفر محمد بن عبد الملك الزيات، وزير الخليفة، المعتصم بالله، وابنه الواثق بالله . ويشير بهذه العبارة إلى ما يروى من أن هذا الوزير كان لشدة ظلمه قد صنع تنورا يدخل فيه من أمر يقتله مبالغة في تعذيبه، فأراد الله أن يكون هو أول من يعذب فيه حتى يموت، وذلك بأمر الخليفة المتوكل على الله سنة ٢٣٣ هـ . (٦) يذيب دماغ الضب : تخاية عن شدة الحر . والضب : حيوان قصير الذنب، معقده، نحشن الجلد، ولونه إلى غيرة مشربة بالسواد . (٧) الصبا : ريح الشمال . وتشدو، أي تغرد .

واليوم أكتب إليه وقد قعدت همة النجمين^(١)، وقصرت يد الحديدين^(٢)، عن
إزالة ما في نفس ذلك الجبار العنيد^(٣)، فلقد نمتي ضب^(٤) ضغنه على^(٥)، وبدرت^(٦)
بوادير السوء منه إلى^(٧)، فأصبحت كما سر العدو وساء الحميم^(٨)، وآلامي كأنها جلود
أهل الجحيم^(٩)، كلما نضج منها أديم^(١٠) تجدد أديم^(١١)، وأمسيت وملك^(١٢) آمالي إلى الزوال
أسرع من أثر الشهاب في السماء، ودولة صبري إلى الاضمحلال^(١٣) أحت من حباب
الماء^(١٤)، فنظرت في وجوه تلك العباد^(١٥)، وإني لفارس العين والفؤاد^(١٦)، فلم تقف
فراستي على غير بابك .

(١) يريد « بالنجمين » : المشتري والزهرة ؛ وكان القدماء يعتقدون أن لها تأثيراً في قوس البشر
يؤلفان منها ما قرق . ويقال : قعدت همة عن كذا ، أى عجزته .

(٢) الحديدان : الليل والنهار .

(٣) يريد « بالجبار العنيد » : كقشرباشا سردار الجيش المصرى إذ ذاك ، وكان بينه وبين حافظ
نفور وبغوة ، حتى يقال : إنه لغضبه على حافظ كتب أمام اسمه : لا يرق ولا يرفت .

(٤) نمتي ونمتو : زاد .

(٥) الضب : الغيظ والحقد الخفى .

(٦) بدرت : أمرعت . والبوادر : جمع بادرة ، وهى ما يبدو من الإنسان عند حدثه من خطأ
وسقطات ، والمراد « ببوادير السوء » : أوائله .

(٧) الحميم : الصديق .

(٨) الأديم : الجلد . ويشير بهذه العبارة الى قوله تعالى فى صفة عذاب أهل النار :
(كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليدوقوا العذاب) .

(٩) أحت : أشد سرعة . وحباب الماء : فقائعه التى تكون على سطحه .

(١٠) فارس : امم فاعل من الفراسة ، وهى الاستدلال بالأمور الظاهرة على الأمور الخفية .

وَإِنِّي أَهْدِيكَ سَلَامًا لَوْ أَمْتَرَجَ بِالسَّحَابِ ، وَآخْتَلَطَ مِنْهُ بِاللُّعَابِ ؛ ^(٢) لَأَصْبَحَتْ
 تَهَادَى بِقَطْرِهِ الْأَكَايِرَ ، وَأَمْسَتْ تَذِيرُ مِنْهُ الرُّهْبَانُ فِي الْأَدِيرَةِ ؛ ^(٣) وَلَا غَفَى ذَاتَ
 الْحِجَابِ ، عَنِ الْغَالِيَةِ وَالْمَلَابِ ؛ ^(٥) وَلَا يَدْعُ ^(٦) إِذَا جَادَ السَّيِّدُ بِالرَّدِّ ، فَقَدْ يُرَى وَجْهُ
 الْمَلِيكِ فِي الْمِرَاةِ ، وَخَيَالُ الْقَمَرِ فِي الْأَضَاةِ ؛ ^(٧) وَإِنْ حَالُ حَائِلٍ ، دُونَ أُمْنِيَّةٍ هَذَا
 السَّائِلِ ؛ فَهُوَ لَا يَدُّمُ يَوْمَكَ ، وَلَا يَبْأَسُ مِنْ غَدِكَ ؛ فَانْتَ خَيْرٌ مَا تَكُونُ حِينَ لَا تَنْظُنُّ
 نَفْسٌ بِنَفْسٍ خَيْرًا ؛ وَالسَّلَامُ .

(١) صوابه «أهدي لك» أو «إليك» . (٢) لعاب السحاب : مطره . (٣) قطر السحاب :
 ماؤه الذي يقطر منه . والأكاسرة : ملوك فارس . (٤) لم نجد هذا الجمع «للدير» في مدونات
 اللغة التي بين أيدينا ؛ والذي وجدناه أن جمعه : أديار ، كما في القاموس وغيره ؛ وديورة ، كما في المصباح ؛
 وهذا الجمع المذكور هنا شائع الاستعمال في كلام المعاصرين ، بل لا يستعملون غيره . وقد شبه المطر المترج
 بسلامه بالنحر المعققة عند الرهبان ، المحفوظة في أديارهم . (٥) الغالية : نوع من الطيب مركب
 من أخلاط تغلى على النار . والملاب : كل صطرمائع ؛ وهو لفظ فارسي معرب . (٦) لا بدع ،
 أي ليس غريباً ولا أول شيء ، حدث . (٧) الأضائة (بفتح الهمزة وتخفيف الضاد) : الغدير ؛
 وجمعه أصوات (بالتحريك) .

المسراتي

رثاء عثمان السيد أباطه بك^(١)

سنة ١٨٩٦ م

(٢) رَدَا كُؤُوسُكُمَا عَنْ شِبْهِ مَفْؤُودٍ * فليس ذلك يومَ الرّاحِ والعُودِ
(٣) يَاسَاقِيَّ أَرَانِي قَد سَكَنْتُ إِلَى * مَاءِ الْمَدَامِيعِ عَنْ مَاءِ الْعَنَاقِيدِ
(٤) وَبِتَّ يَرْتَاحُ سَمْعِي حِينَ يَفْتَقُهُ * صَوْتُ النُّوَادِبِ لَا صَوْتُ الْأَغَارِيدِ
(٥) فَأَمْسِكَ الرّاحَ إِنِّي لَا أَخَاِمُرُهَا * وَبَلَّغَا الْغَيْدَ عَنِّي سَلَوَةَ الْغَيْدِ
ثُمَّ أَمِضِيَا وَدَعَانِي إِنِّي رَجُلٌ * قَدْ آلَ أَمْرِي إِلَى هَمٍّ وَتَسْهِيدِ
أَبْعَدَ (عُثْمَانَ) أَبْنِي مَارَبًا حَسَنًا * مِنْ الْحَيَاةِ وَحَظًّا غَيْرَ مَنكُودٍ؟

(١) عثمان أباطه بك ، هو ابن السيد أباطه باشا ، ولد في سنة ١٢٦٤ هـ - ١٨٤٨ م وألحقه والده بالمدرسة الخديوية ، ثم مدرسة الإدارة والألسن ، وهي مدرسة الحقوق في أول عهدها ، وتولى جملة مناصب ، فكان ناظر قسم ، ثم ناظر قلم قضايا مديرية الشرقية ، واختاره المغفور له اسماعيل باشا الخديوي مفتشا لتفتيش (الزنكلون) وأُعْم عليه بالرتبة الثانية ، وبعد أن تقلد عدة أعمال أخرى استقال منها ، وأقام ببلده (الربماتة) بإقليم الشرقية ، وكان بيته ملتقى العطاء والأدباء والشعراء ، وكان حافظ إبراهيم بك كثير التردد عليه ، وتوفي سنة ١٨٩٦ م . وكان أبوه السيد أباطه باشا أول من نال لقب (باشا) من المصريين العرب . (٢) المفؤود : مصاب الفؤاد . والراح : الخمر . (٣) سكن إلى الشيء : استراح إليه وأنس به . ويريد بماء العناقيد : الخمر . (٤) يفتقه ، أي يشقه وينفذ فيه . والأغاريد : جمع أغرودة ، وهي الأغنية . (٥) لا أخامرها ، أي لا أخالطها . والغيد : جمع غيداء ، وهي المرأة المتشبهة لبنا ونعمة .

- (١) أَنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ جَاءَ يُنْشِدُهُ * دَاعِيَ الْمَنُونِ وَأَنِّي غَيْرُ مُنْشَوْدٍ
- (٢) أَمْسَتْ تُنَافِسُ فَيْكَ الشَّهْبَ مِنْ شَرَفٍ * أَرْضٌ تَوَارَيْتَ فِيهَا يَافَتَى الْجُودِ
- لَوْ لَمْ تَكُنْ سَبَقَتِكَ الْأَنْبِيَاءُ لَهَا * قُلْنَا بِأَنَّكَ فِيهَا خَيْرٌ مَلْجُودِ
- (٣) وَوَدَّتِ الرِّيحُ لَوْ كَانَتْ مُسَخَّرَةً * لِحِمْلِ نَعَشِكَ عَنْ هَامِ الْأَمَاجِيدِ
- وَالشَّمْسُ لَوْ أَنَّهَا مِنْ أَفْقِهَا هَبَّتْ * وَآثَرَتْ مَعَكَ سُكْنَى الْفَقْرِ وَالْيَدِ
- (٤) وَقَدْ تَمَنَّى الضُّحَى لَوْ أَنَّهُمْ دَرَجُوا * هَذَا الْفَقِيدَ بِثَوْبٍ مِنْهُ مَقْدُودِ
- يَا رَاحِلًا أَكْبَرْتَكَ الْحَادِثَاتُ وَمَا * أَكْبَرَتْهَا عِنْدَ تَلَيُّنٍ وَتَشْدِيدِ
- (٥) أَبَكَيْتَ حَتَّى الْعُلَا وَالْمَكْرُمَاتِ وَمَا * جَفَّتْ عَلَيْكَ مَائِي الْخُرْدِ الْجُودِ
- (٦) وَبَاتَ آلُكَ وَالْأَصْحَابُ كُلُّهُمْ * عَلَيْكَ مَا تَبَيَّنَ حَزُونٍ وَمَعْمُودِ
- (٧) يَكُونُ فَقْدَ أَمْرِي لِلْخَيْرِ مُنْتَسِبٍ * بِالْبِشْرِ مُنْتَقِبٍ فِي النَّاسِ تَحْمُودِ
- (٨) (بَنِي أَبَاظَلَّةَ) لَا زَالَتْ دِيَارُكُمْ * أَفْقَ الْبُسُودِ وَغَابًا لِلصَّنَادِيدِ
- (٩)

- (١) ينشده : يطلبه . والمنون : الموت . (٢) « تنافس فيك الشهب » الخ ، أى تفاخرها بدفئك فيها . والشهب : النجوم . (٣) الهام : الروس ، الواحدة هامة .
- (٤) درجوا : لقوا . والمقدود : المقطوع . (٥) يقول : إن حوادث الأيام قد أكبرت همة الفقيد وأعظمت خطره فلا تحمل به رهبة منه ، وما كان هو يكبرها ولا يحسب لها حسابا لصغرها عن همة . (٦) يريد بالمآق : العيون . والخرد : جمع خريدة ، وهى البكر التى لم تمس . والحدود بضم الخاء جمع خود بفتحها ، وهى الشابة الحسنة . (٧) المعمود : من أصيب فى عمود قلبه ، أى صممه . (٨) المنتقب : لابس النقاب ، وهو البرقع ؛ شبه به ما يبدو على الوجه من بشاشة واستبشار . (٩) بنو أباطلة : أسرة معروفة ينتهى نسبها إلى بنى العائذ ، بطن من طي (وكفر العائذ بإقليم الشرقية معروف) وقد حضرت هذه الأسرة من العراق إلى مصر مع الشيخ محمد أبى مسلم ، وذلك بعد سقوط بغداد فى يد (هولاكو) ملك التتار أيام الخليفة المستعصم ، ولقبت هذه الأسرة بأباطلة لأن أهمهم كانت من قبيلة شركسية يقال لها : أباطلة ، فنسبوا إليها .

لَا قَدْرَ اللَّهِ بَعْدَ الْيَوْمِ تَعْرِيةً * إِلَّا هَنَاءٌ عَلَى عِزٍّ وَتَحْلِيدٍ
وَعَظَمَ اللَّهُ فِي (عُثْمَانَ) أَجْرَكُمْ * فِي رَحْمَةِ اللَّهِ أَمْسَى خَيْرَ مَعْمُودٍ

رثاء سليمان أباطه باشا^(١)

[قُلت في سنة ١٨٩٧ م]

(٢) أَيُّهَا الثَّرَى إِلَامَ الثَّمَادِي * بَعْدَ هَذَا أَنْتَ غَرْنَانٌ صَادِي
أَنْتَ تَرَوِي مِنْ مَدَمَعِ كُلِّ يَوْمٍ * وَتُعْذِي مِنْ هَذِهِ الْأَجْسَادِ
قَدْ جَعَلْتَ الْأَنَامَ زَادَكَ فِي الدَّهْرِ * بِرِ وَقَدْ آذَنَ الْوَرَى بِالنَّفَادِ
(٣) فَالْتِمَسْ بَعْدَهُ الْمَجَرَّةَ وَرَدًّا * وَتَزَوَّدْ مِنَ النُّجُومِ بَرَادٍ
(٤) لَسْتُ أَدْعُوكَ بِالتُّرَابِ وَلَكِنْ * بِقُدُودِ الْمِلَاحِ وَالْأَجْيَادِ
(٥) بِمُحْدُودِ الْحِسَانِ ، بِالْأَعْيُنِ النُّجُجِ * لِ ، بِتِلْكَ الْقُلُوبِ وَالْأَنْبَادِ
لَمْ تَلِدْنَا (حَوَاءً) إِلَّا لِنَشْقَى * لَيْتَهَا عَاطِلٌ مِنَ الْأَوْلَادِ
(٦) أَسَلَّمْتَنَا إِلَى صُرُوفِ زَمَانٍ * ثُمَّ لَمْ تُوصِهَا بِحِفْظِ الْوِدَادِ

- (١) انظر التعريف بسليمان أباطه باشا في الحاشية رقم ١ من صفحة ٣٧ من الجزء الأول .
(٢) الغرنان : الجائع . والصادي : الظمان . يريد مداراة الثرى على مواراة الأجساد وإبلاء
الجسوم . (٣) المجرة : نجوم كثيرة يتشربضوها في السماء فتري كأنها بقعة بيضاء .
(٤) القُدود : جمع قَد ، وهو القامة . والأجباد : جمع جيد ، وهو العنق . يريد بهذا البيت والذى
بعده : أن يسمى التراب بقُدود الملاح وأجبادها وخدودها وعيونها ... الخ ، لأنها فُتيت فيه فصارت منه .
(٥) النجل : الواسعة . (٦) صروف الزمان : نوائبه وتقلباته .

- (١) أَيُّهَا اليمُّ كَمْ بِقَاعِكَ تَقِيسُ * فَيْكَ أَوْدَتُ مِنْ عَهْدِ ذِي الْأَوْتَادِ
 قَدْ تَحَالَفَتِ وَالثَّرَابَ حَلِينَا * وَتَقَاسَمْتُمَا فَنَاءَ الْعِبَادِ
 (٢) خَبَرِينَا جُهَيْنَ لَا تَكْذِبِينَا * مَا الَّذِي يَفْعَلُ الْبَلَى بِالْجَوَادِ؟
 (٣) كَيْفَ أَمْسَى وَكَيْفَ أَصْبَحَ فِيهِ * ذَلِكَ الْمُنْعِمُ الْكَثِيرُ الرَّمَادِ
 رَحِمَ اللَّهُ مِنْهُ لَفْظًا شَيْئًا * كَانَ أَحْلَى مِنْ رَدِّ كَيْدِ الْأَعَادِي
 (٤) رَحِمَ اللَّهُ مِنْهُ طَرَفًا تَقِيًّا * وَبَيْنَنَا تَسِيلُ سَيْلَ الْغَوَادِي
 (٥) رَحِمَ اللَّهُ مِنْهُ شَهْمًا وَفِيًّا * كَانَ مِلءَ الْعُيُونِ فِي كُلِّ نَادِي
 أَلْهَمَ اللَّهُ فِيكَ صَبْرًا جَمِيلًا * كُلُّ مَنْ بَاتَ نَاطِقًا بِالضَّادِ
 (٦) بَيْتٌ فِي حُلَّةِ النَّعِيمِ وَبَيْتَانَا * فِي ثِيَابٍ مِنَ الْأَمْسَى وَالشَّهَادِ
 وَسَكَنْتَ الْقُصُورَ فِي بَيْتِ خُلْدٍ * وَسَكَّنَا عَلَيْكَ بَيْتَ الْحَدَادِ

(١) اليم : البحر ، و « تقيس » (بالجر) على قول بعض النحويين ، والنصب أرجح ، للفصل بين « كم » وتمييزها بالجواز والمجرور . وأودت : هلكت . وذو الأوتاد : لقب لفرعون ورد ذكره في القرآن .

(٢) جهين ، يريد جهينة ، وهي قبيلة من قضاة . ويشير الشاعر إلى المثل المعروف : « وعند جهينة الخير اليقين » . يضرب لمن يعرف الأمور على حقيقتها ، وأمله من قول الشاعر :
 تسائل عن حصين كل ركب * وعند جهينة الخير اليقين

والجواد : الكريم .

(٣) فيه ، أى في « البلى » السابق في البيت الذي قبله . وكفى « بكثرة الرماد » عن سعة جوده ، وكثرة إطعامه للناس . (٤) الغوادي : السحب تنشا غدوة ؛ الواحدة غادية .

(٥) ملء العيون ، كناية عن هيئة الناس إياه وإعظامهم له إذا رأوه .

(٦) الأمسى : الحزن .

وقال يرثيه أيضا :

(١) لا والأَمْسَى وتَلَهَّبِ الأَحْشَاءُ * ما بَاتَ بِعَدِكَ مُعْجَبٌ بِوَفَاءِ
أَنْى حَلَّتْ أَرَى عَلَيْكَ مَاتِمًا * فَلِمَنْ أَوْجَهُ فَيْسِكَ حُسْنَ عَزَائِى؟
(٢) لَبْنِكَ ، أَمْ لِدَوِيكَ ، أَمْ لِلْكَوْنِ ، أَمْ * لِلدَّهْرِ ، أَمْ لَجَمَاعَةِ الْجَوَزَاءِ؟
(٣) أَوْدَى (سُلَيْمَانُ) فَأَوْدَى بَعْدَهُ * حُسْنُ الْوَفَاءِ وَبَهْجَةُ الْعَلِيَاءِ
لَا تَحْمِلُوهُ عَلَى الرِّقَابِ قَدْ كَفَى * مَا حَمَلَتْ مِنْ مَنِيَّةٍ وَعَطَاءِ
(٤) وَذَرُّوا عَلَى نَهْرِ الْمَدَامِجِ نَعْشَهُ * يَتَرَى بِهِ لِلرَّوَضَةِ الْفَيْحَاءِ
(٥) تَاللهِ لو عَلِمْتَ بِهِ أَعْوَادُهُ * مُذْ لَامَسَتْهُ لَأَوْرَقَتْ لِلرَّأَى
خُلُقُ كَضَوِّ الْبَدْرِ ، أَوْ كَالرَّوِضِ ، أَوْ * كَالزَّهْرِ ، أَوْ كَالنَّجْمِ ، أَوْ كَالْمَاءِ
(٦) وَشِمَائِلُ لو مَازَجَتْ طَبَعَ الدُّجَى * مَا بَاتَ يَشْكُوهُ الْمُحِبُّ النَّائِى
وَعَمَامِدُ نَسَجَتْ لَهُ أَصْكَفَاتِهِ * مِنْ عِقْفَةٍ ، وَسَمَاحَةٍ ، وَبِإِبَاءِ
(٧) وَمَنَاقِبُ لولا المَهَابَةُ وَالتُّقَى * قُلْنَا مَنَاقِبُ صَاحِبِ الْإِمْرَاءِ
(٨) وَعَزَائِمُ كَانَتْ تُفْلُ عَزَائِمُ الـ * مَأْخِذَاتِ ، وَالْأَيَّامِ ، وَالْأَعْدَاءِ

- (١) الأَمْسَى : الحزن . وقوله : « ما بَات » الخ ، أى لم يبق بعد موتك وفاء يعجب به أحد من الناس .
(٢) الجوزاء : برج فى السماء معروف . ويريد « جماعه الجوزاء » : الكواكب التى يتألف منها هذا البرج . (٣) أودى : هلك . (٤) الفيحاء : الواسعة ؛ ويريد بها منزله فى الجنة .
(٥) أعواده : يريد أعواد نعشه . (٦) النائى : البعيد . يريد أنه لو كان ليل أخلاقه وسجايه ماشكا العاشق طوله عليه ومبده فيه . (٧) صاحب الإمراء : رسول الله صلى الله عليه وسلم . (٨) تفل : تمل . والأحداث : حوادث الزمن وشدائمه .

عَظَلْتُ فَنَ الشَّعْرِ بَعْدَكَ وَأَنْطَوَى * أَجَلُ الْقَرِيضِ وَمَوْسِمُ الشُّعْرَاءِ
 (١)
 وَاللُّؤْلُؤُ اسْتَعَصَى عَلَيْنَا نَظْمُهُ * بِسُموطٍ مَدَحٍ أَوْ سُمُوطٍ هَنَاءِ
 (٢)
 إِلَّا عَلَى طَرَفٍ بَكَكَ وَشَاعِرٍ * أَحْيَا عَلَيْكَ مَرَايِيَ الْخَنَسَاءِ
 (٣)
 شَوْقَتَنَا لِلتُّرْبِ بَعْدَكَ وَاشْتَى * فِيهِ الْإِقَامَةُ وَاحِدُ الْعُدْرَاءِ
 (٤)
 ثَبَّتْ فُؤَادَكَ يَا قَلِيلَ تَصَبُّرِي * وَأَشْرَحَ (لَا لِي أَبَاطِيهِ) بُرْحَانِي
 فِي جَنَّةِ الْفِرْدَوْسِ بَاتَ عَزِيزُهُمْ * ضَيْقًا بِسَاحَةِ أَكْرَمِ الْكُرْمَاءِ

رثاء الملكة فكتوريا^(٥)

[نشرت في ٢٤ يناير سنة ١٩٠١ م]

أَعَزَّى الْقَوْمَ لَوْ سَمِعُوا عَزَائِي . * وَأَطْلُنْ فِي مَلِيكَتِهِمْ رِثَائِي
 وَأَدْعُو الْإِنْجِلِيزَ إِلَى الرِّضَاءِ * بِمُحْكِمِ اللَّهِ جَبَّارِ السَّمَاءِ
 فَكُلُّ الْعَالَمِينَ إِلَى فَنَاءِ

- (١) السموط : جمع سمط (بالكسر) ، وهو خيط النظم مادام فيه الخب ، فإذا لم يكن فيه فهو سلك .
 (٢) الخنساء ، هي تماضر بنت عمرو بن الحارث ، وتكنى أم عمرو . والخنساء : لقب ظب عليها ، وأكثر شعرها في رثاء أخويها معاوية ومهضر ، فحُرب بها المشل في الحزن . وقد ثبت في الجاهلية ، وأدركت الإسلام وأسلمت . وتوفيت في أول خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه سنة ٨٢٤ .
 (٣) واحد العُدراء : عيسى المسيح عليه السلام ، إشارة إلى أنه في السماء ، فهو يود أن يستبدل بها الأرض لشرفها بدفن الفقيد فيها .
 (٤) البرحاء : شدة الحزن والمنا .
 (٥) الملكة فكتوريا ، هي الكسندرينا بنت ادوارد ، وهو الدوق كنيث ، رابع أبناء الملك جورج الثالث . ولدت سنة ١٨١٩ م ، وتولت عرش إنجلترا في سنة ١٨٣٧ م ، وتوفيت سنة ١٩٠١ م .

أَشْمُسُ الْمُلْكِ أَمْ شَمْسُ النَّهَارِ * هَوَتْ أَمْ تِلْكَ مَالِكَةُ الْبَحَارِ

(١)

فَطَرَفُ الْغَرْبِ بِالْعَبْرَاتِ جَارِي * وَعَيْنُ السِّمِّ تَنْظُرُ لِلْبُخَارِ

بِنَظَرَةٍ وَاجِدَ قَلْبِي الرَّجَاءِ

أَمَّا لِكَةِ الْبَحَارِ وَلَا أَبَالِي * إِذَا قَالُوا تَقَالَى فِي الْمَقَالِ

فَمِثْلُ عُلَاكِ لَمْ أَرَّ فِي أَلْعَالِي * وَلَا تَاجًا تَاجِيكَ فِي الْجَلَالِ

وَلَا قَوْمًا كَقَوْمِكَ فِي الدَّهَائِ

(٢)

مَلَأْتُ الْأَرْضَ أَعْلَامًا وَجُنْدًا * وَشَدَّتْ لِأُمَّةٍ (السَّكْسُونِ) مَجْدًا

(٣)

وَكُنْتُ لِفَالِهَا يُنْمًا وَسَعْدًا * تَرَى فِي نُورِ وَجْهِكَ إِنْ تَبَدَّى

سُعُودَ الْبَدْرِ فِي بُرْجِ الْهَنَاءِ

(٤)

وَكُنْتُ إِذَا عَمَدْتُ لِأَخْذِ ثَارِ * أَسَلْتُ الْبَرْبَالَ أَسْدَ الضُّوَارِي

(٥)

وَسَيَّرْتُ الْمَدَائِنَ فِي الْبَحَارِ * وَأَمْطَرْتُ الْعُدُوَّ شُوَاطِ نَارِ

(٦)

وَذَرَّيْتُ الْمَعَاقِلَ فِي أَلْهَوَاءِ

- (١) السِّم : البحر . والواجد : الحزين . والمعنى أن البحر ينظر إلى البواخر الإنجليزية نظرة قلق على مستقبلها بعد موت الملكة فكتوريا . (٢) السكسون : صنف من الغزاة الذين وفدوا إلى بريطانيا مع الإنجليز من الشرق ، من الدنمارك وشمالي ألمانيا الغربي ، بعد جلاء الرومان عنها سنة ٤١٠ م . وقد انتشروا في الجزيرة بالتدريج ، وباد أمامهم السكان الأصليون ، ومن بقى قرأ إلى جبال الغالة أو إلى غيرها من الجهات القاصية ؛ وكان الإنجليز والسكسون يعيشون أول الأمر في ولايات مستقلة متفصل بعضها عن بعض ، ثم ما لبثوا أن اتحدت كلمتهم ، وأعترفوا بالزعامة لأعظم ولاية من بين تلك الولايات ؛ وهي ولاية وسكس ، وتلقب ولايتها في أوائل القرن التاسع بالملوك . (٣) تبدى ، أي بدا وظهر . (٤) «أسلت النخ» أي جعلت البريسيل بالشجعمان كما يسيل الماء . والضواري : الجريئة التي تعودت الصيد ولازمت . (٥) يريد «بالمداين» : السفن الكبيرة . وشواطئ النار (بالضم وبالكسر) : حرها ولهبها . (٦) ذريت المعاقل ، أي نسفت الحصون وفرقت أجزاءها في الهواء .

(١)
أَعَزَّى فِيكَ تَاجَكَ وَالسَّيْرَى * أَعَزَّى فِيكَ ذَا الْمَلِكِ الْكَبِيرَى
(٢)
أَعَزَّى فِيكَ ذَا الْأَسَدِ الْهَصُورَى * عَلَى الْعَلَمِ الَّذِي مَلَكَ الدُّهُورَى

وَزَلَّلَ تَحْتَهُ أَهْلَ الْوَلَاةِ

(٣)
أَعَزَّى فِيكَ أَبْطَالَ النَّزَالِ * وَمَنْ قَاسُوا الشَّدَائِدَ فِي الْقِتَالِ
(٤)
وَأَلْقَوْا بِالْعَدُوِّ إِلَى الْوَبَالِ * وَلَمْ يَمْنَعَهُمْ فَوْقَ الْجِبَالِ
(٥)
لَهَيْبُ الصَّيْفِ أَوْ قُرُ الشَّتَاءِ

(٦)
بَيْتَانِ كَتَبَا عَلَى قَبْرِ السَّيِّدِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْكَوَاكِبِي

فِي سَنَةِ ١٩٠٢ م

هُنَا رَجُلُ الدُّنْيَا، هُنَا مَهِيظُ الثَّقَى * هُنَا خَيْرُ مَظْلُومٍ، هُنَا خَيْرُ كَاتِبٍ
(٧)
قُفُّوا وَأَقْرَعُوا أُمَّ الْكِتَابِ وَسَمُّوا * عَلَيْهِ فَهَذَا الْقَبْرُ قَبْرُ (الْكَوَاكِبِي)

- (١) يريد « بالملك الكبير » إدوارد السابع ابن الملكة فكتوريا .
(٢) الأسد : رمز متخذ للدولة الإنجليزية . والمصور : الكاسر . (٣) الصحيح « قاسوا » ،
بفتح السين وسكون الواو ، وضم السين في هذا البيت لفرضية الوزن . (٤) الوبال : الهلاك .
(٥) القر (بضم القاف) : البرد . يريد : أن الحر والبرد لم يمنعا من تساق الجبال .
(٦) ولد السيد عبد الرحمن الكواكبي بحلب سنة ١٢٦٥ هـ ، وتعلم على أساتذة عصره علوم الأدب
والشريعة ، وطالع من الكتب ما يتعلق منها بعلم الاجتماع من تاريخ وفلسفة ، ثم درس بعض العلوم الطبيعية
والرياضية ، فنال من ذلك حظا وافرا ، وساح في بلاد العرب وشرق أفريقيا وبعض بلاد الهند ، وألف
كتابه المشهور بن (أم القرى) و (طبايع الاستبداد ومصارع الاستعباد) ، وتوفي في سنة ١٩٠٢ م
(٧) أم الكتاب : الفاتحة .

رثاء محمود سامي البارودي^(١) باشا

[نشرت في ٢٢ يناير سنة ١٩٠٥]

(٢)

رُدُّوا عَلَيَّ بَيَانِي بَعْدَ (محمود) * إِنِّي عَيِّتُ وَأَعْيَا الشَّعْرُ مَجْهُودِي

مَا لِلْبَلَاغَةِ غَضْبِي لَا تُطَاوِعُنِي * وَمَا لِحَبْلِ الْقَوَافِي غَيْرَ مَمْدُودِي؟

(٣)

ظَنَنْتُ سَكُوتِي صَفْحًا عَنْ مَوَدَّتِهِ * فَأَمَلَسْتَنِي إِلَى هَمٍّ وَتَسْيِيدِ

(٤)

وَلَوْ دَرْتُ أَنَّ هَذَا الْخَطْبَ أَغْنَيْنِي * لَا طَلَقْتُ مِنْ لِسَانِي كُلَّ مَعْقُودِ

(٥)

لَيْسَ لَكَ يَا مُؤَنِّسَ الْمَوْتَى وَمُوحِّشَنَا * يَا فَارِسَ الشَّعْرِ وَالْهَيْجَاءِ وَالْجُودِ

(٦)

مُلْكُ الْقُلُوبِ - وَأَنْتَ الْمُسْتَقِيلُ بِهِ - * أَبْقَى عَلَى الدَّهْرِ مِنْ مُلْكِ (ابن داود)

(٧)

لَقَدْ تَزَحَّتْ عَنِ الدُّنْيَا كَمَا تَزَحَّتْ * عَنْهَا لِبَالِيكَ مِنْ بَيْضٍ وَمِنْ سُودِ

(٨)

أَغْمَضْتَ عَيْنَيْكَ عَنْهَا وَازْدَرَيْتَ بِهَا * قَبْلَ الْمَمَاتِ وَلَمْ تَحْفَلْ بِمَوْجُودِ

(٩)

لَيْسَ يَا شَاعِرًا ضَنْ الزَّمَانُ بِهِ * عَلَى النَّهْيِ وَالْقَوَافِي وَالْأَنَاشِيدِ

(١) انظر التعريف بالبارودي في الحاشية رقم ١ من صفحة ٧ ج ١ (٢) ردوا على بياني،

أي أعيدوه إلى بعد أن عزب عني من هول المصاب . وعي يعيا (من باب رضى) : كل وتعيب .

(٣) أي ظننت البلاغة سكوتي عن رثاء الفقيد إعرافا عن مودته وتناسيا لصحته فتركتني أعذب بالهم

والسهر . (٤) أغمه : أسكته وعقد لسانه . (٥) الهيجاء : الحرب .

(٦) يريد « بابتن دارد » : نبي الله سليمان عليه السلام ، وبه يضرب المثل في سعة الملك .

(٧) تزحّت : بعدت . والبيض والسود : إشارة إلى أيام نعم فيها البارودي بالعز والجاه ، وأخرى

شق فيها بالأسر وكف البصر ومصادرة المال والنهي . (٨) يشير بقوله : « أغمضت عينيك »

إلى أن الفقيد كان قد كف بصره في آخر حياته فحاش ضريرا . وازدريت بها : احتقرتها واستخففت بها .

ولم تحفل : لم تبال . (٩) النهي : العقول ؛ الواحدة نهية (بالضم) .

- (١) تَجْرِي السَّلَاسَةُ فِي أَثْنَاءِ مَنَاطِقِهِ * تَحْتَ الْفَصَاحَةِ جَرَى الْمَاءِ فِي الْعُودِ
(٢) فِي كُلِّ بَيْتٍ لَهُ مَاءٌ يَرِفُ بِهِ * نَعَارُ مِنْ ذِكْرِهِ مَاءُ الْعَنَاقِيدِ
لَوْ حَنَطُوكَ بِشِعْرِ أَنْتَ قَائِلُهُ * غَنَيْتَ عَنْ نَفَحَاتِ الْمِسْكِ وَالْعُودِ
(٣) حَلَيْتَهُ بَعْدَ أَنْ هَدَّبَتْهُ بِسَنَا * عَقْدَ بَمَدْحِ رَسُولِ اللَّهِ مَنضُودِ
(٤) كَفَاكَ زَادًا وَزَيْنًا أَنْ تَسِيرَ إِلَى * يَوْمِ الْحِسَابِ وَذَلِكَ الْعَقْدُ فِي الْجِيدِ
لَيْتَكَ يَا خَيْرَ مَنْ هَزَّ الْبِرَاعَ، وَمَنْ * هَزَّ الْحُسَامَ، وَمَنْ لَبَّى، وَمَنْ نُودَى
(٥) إِنْ هَدَّ رُكْنُكَ مَنُكُوبًا فَقَدْ رَفَعْتَ * لَكَ الْفَضِيلَةَ رُكْنًا غَيْرَ مَهْدُودِ
إِنَّ الْمَنَاصِبَ فِي عَزْلِ وَتَوَلِيَةٍ * غَيْرُ الْمَوَاهِبِ فِي ذِكْرِ وَتَحْلِيدِ
(٦) أَكْرَمَ بِهَا زَلَّةً فِي الْعُمُرِ وَاحِدَةً * إِنَّ مَعَ أَنْكَ فِيهَا غَيْرُ مَحْمُودِ
(٧) سَلُّوا الْجَاهِلَ قَضَتْ أَرْبَابُهُ وَطَرًا * دُونَ الْمَقَادِيرِ أَوْ فَازَتْ بِمَقْصُودِ

(١) السلاسة : الرقة والانسجام .

(٢) يقال : رف النبات يرف رفيقا ، إذا كثر مأواه من النضرة والنضاضة واهتز وتمايل . وقد شبه به أبيات البارودي في حسن روثها وطلاوتها . وماء العناقيد : الخمر . (٣) السنا : النور . والمنضود : المنظوم . ويشير بهذا إلى قصيدة البارودي التي عارض بها قصيدة البوصيري في مدح النبي صلى الله عليه وسلم ، وبماها : (كشف الغمة في مدح خير الأمة) وأولها :

ياسارى البرق يسم دائرة العلم * واحد الغمام إلى حى بذى سلم

(٤) الجيد : العنق . (٥) يشير إلى ما نكب به البارودي في حياته من عزله من مناصب الحكومة ، وتقيده ، وغير ذلك .

(٦) يريد « بالزلة » اشتراك الفقيد في الثورة العوايية .

(٧) الجا : العقل . والوطر : الحاجة . أى إن القول وإن ربح رأيا لا تملك مع المقادير شيئا .

- (١) كنت الوزير وكنت المستعان به * وكان همك هم القادة الصيـد
(٢) كم وقفة لك والأبطال طائرة * والحرب تضرب صنيدياً بصنديـد
(٣) تقول للنفس إن جاشت إليك بها * هذا بجالك سودى فيه أو يـدى
(٤) نسخت (يوم كريد) كل ما قتلوا * في يوم (ذى قار) عن (هاني بن مسعود)
(٥) نظمت أعداك في سلك القناء به * على روى ولكن غير معهود
(٦) كأنهم كلم والموت قافية * يرى به عربى غير رغيد
(٧) أودى (المعري) تقي الشعر مؤمنه * فكاد صرح المعالي بعده يودى

(١) الصيد : جمع أميد ، وهو الرفع رأسه كبراً وزهوا . (٢) طائرة : أى مولية فى سرعة من الخوف والفرح . والصندي : البطل الشجاع . (٣) جاشت النفس : اضطربت من الخوف . وبها ، أى بالحرب ، وبأدبيد : هلك . (٤) فى سنة ١٨٦٦ م انتفض أهل جزيرة كريد على الدولة العلية : فأرسلت مصر جيشاً لمساعدتها على تأديهم . وكان البارودى « رئيس ياورحوب » وقد أبدى هناك من الشجاعة والإقدام والدهاء والحزم ما أطلق الألسنة بمدحه والإعجاب به ، وقد أبلى الجيش المصرى فى إنحاد تلك الثورة البلاء الحسن حتى أحمدها ، وكان قائد تلك الحملة المصرية شاهين باشا ، ومدتها خمسة آلاف مقاتل . ويوم ذى قار : يوم كان بين بكر بن وائل والفرس ، وهو من أعظم أيام العرب وأبلغها أثراً فى انتصاف العرب من العجم . وذو قار ، هو الموضع الذى وقعت فيه هذه الواقعة ، وهوين الكوفة وواسط . وقد ذكر الشاعر هنا هانى بن مسعود ، والمعروف فى هذه الحرب هو هانى بن قبيصة ابن هانى بن مسعود الشيبانى ، وكان من قواد العرب الذين اشتهروا فى هذه الواقعة ، وهو الذى أودع عنده النعمان بن المنذر ودائمه ، وبسبب ذلك وقعت هذه الحرب . (٥) به ، أى بيوم كريد . والروى : الحرف الذى تبنى عليه القصيدة . جعل وقوع القتلى قليلاً بجانب قليل كآيات القصيدة يضم فيها البيت الى مثله على روى واحد ، ولكن الفقيده قد نظم أعداءه فى سلك الموت على روى مبتدع لم يعهده الناس من قبل . (٦) الرعيد : الجبان . وشبه الموت الذى عم الأعداء بالقافية ، لانتحادها فى جميع آيات القصيدة . (٧) أودى : هلك . والمعري ، هو أبو العلاء المعري الشاعر الفيلسوف المعروف ، شبه به البارودى فى شعره المشتمل على الموعظة والحكمة . والصرح : كل بناء عال . ويودى ، أى يهدم ويتقضى .

وَأَوْحَشَ الشَّرْقُ مِنْ فَضْلِ وَمِنْ أَدَبٍ * وَأَقْفَرَ الرُّوحُ مِنْ شَذْوٍ وَتَغْرِيدٍ
 وَأَصْبَحَ الشَّعْرُ وَالْأَسْمَاعُ تَبِيدُهُ * كَأَنَّهُ دَسَسَ فِي جَوْفٍ مَمْعُودٍ ^(١)
 أَلَوِي بِهِ الضَّعْفُ وَاسْتَرَخَتْ أَصْتُهُ * فَرَّاحَ يَعْتَرُّ فِي حَشْوٍ وَتَعْقِيدٍ ^(٢)
 وَأَنْكَرْتُ نَسَمَاتُ الشُّوقِ مَرَبَّعَهُ * تُثِيرُهَا خَطَرَاتُ الْخُرْدِ الْخُودِ ^(٣)
 لَوْ أَنْصَفُوا أَوْدَعُوهُ جَوْفَ لُؤْلُؤَةٍ * مِنْ كَثَرِ حِكْمَتِهِ لَا جَوْفَ أُخْدُودٍ ^(٤)
 وَكَفَّنُوهُ بِدَرَجٍ مِنْ مَحَائِفِهِ * أَوْ وَاصِغٍ مِنْ قَيْصِ الصَّبِيحِ مَقْدُودٍ ^(٥)
 وَأَنْزَلُوهُ بِأُفْقٍ مِنْ مَطَالِيعِهِ * فَوْقَ الْكَوَاكِبِ لَا تَحْتَ الْجَلَامِيدِ ^(٦)
 وَنَاشَدُوا الشَّمْسَ أَنْ تَنْحَى مَحَاسِنَهُ * لِلشَّرْقِ وَالْغَرْبِ وَالْأَمْصَارِ وَالْيَدِ ^(٧)
 أَقُولُ لِلْيَلِ الْغَادِي بِمَوْصِيكِهِ * وَالنَّاسُ مَا يَبْتَغُونَ مَكْبُودٍ وَمَقْذُودٍ ^(٨)
 غُضُّوا الْعُيُونَ فَإِنَّ الرُّوحَ يَصْحَبُكُمْ * مَعَ الْمَلَائِكِ تَكْرِيمًا (لَمْعُودٍ) ^(٩)

- (١) الممعد : الذي امتلأ معدته فلا يستريح ما يأكله . (٢) ألوى به : ذهب به .
 والأصنة : جمع عنان (بالكسر) ، وهو سير الحمام . وكفى باسترخاء أعة الشعر عن ضعف بنائه ، وركاكة
 ألقاظه ، واضطراب قفله . والحشو : فضول الكلام الزائدة عن الغرض .
 (٣) مرَبَّعُهُ : منزله . والأصل في المربع : المنزل يقام فيه في وقت الربيع . والخرْد : جمع خرقة ،
 وهي العذراء . والخود (بالضم) : جمع نخود (بالفتح) ، وهي الشابة الحسنة الخلقة . والمراد أن الغزل
 والنسب في الشعر قد ذهبا بذهاب البارودي .
 (٤) الأخدود : الحفرة المستطيلة في الأرض ، يريد بها القبر . (٥) الدرج (بالفتح) :
 ما يكتب فيه . والمقدود : المشقوق . (٦) الجلاميد : الصغور ، الواحد جلود .
 (٧) اليسد : القلوات ، الواحدة بيداء . (٨) الملا : الجماعة . والمكبود : المصاب
 في كبده . والمقذود : المصاب في قواده . (٩) يريد « بالروح » : الروح الأمين ، وهو جبريل
 عليه السلام .

- (١) يَا وَيْحَ لِلْقَبْرِ قَدْ أَخْفَى سَنَا قَرِير * مُقْسِمُ الْوَجْهِ مَحْسُودِ التَّجَالِيدِ
(٢) يَا وَيْحَهُ حَلَّ لِبَدِهِ ذُو قَرِيحَتِهِ * لَمَّا يَنْحَذِرُ الْمَعَالِي أَلْفَ مَوْلُودِ
(٣) فَرَائِدُ خُرْدٍ لَوْ شَاءَ أَوْدَعَهَا * تُحْصِي الْجَدِيدَ بِجِلَاتِ الْمَوَالِيدِ
(٤) كَانَهَا وَهِيَ بِالْأَلْفَاظِ كَاسِيَةً * وَحُصْنُهَا بَيْنَ مَشْهُودٍ وَمَحْسُودِ
(٥) لَأَيُّ خَلْفٍ بِالْأُورِ قَدْ آنَسَقَتْ * فِي بَيْتٍ يُعْقَانُ تَسْتَهْوِي نُهَى الْغَيْدِ
(٦) (مَحْمُودُ) إِنِّي لَا أَسْتَحْيِيكَ فِي كَلِمِي * حَيًّا وَمَيِّتًا وَإِنْ أَبَدْتُ تَقْصِيدِي
(٧) فَاعْذِرْ قَرِيضِي وَأَعِذِرْ فَيْسَكَ قَائِلَهُ * كِلَاهُمَا بَيْنَ مَضْعُوفٍ وَمَحْنُودِ

(١) سَنَا القبر: ضوؤه . ومقسم الوجه : يجمل كله ، كأن كل قسم منه أخذ قسطا من الجمال . وتجاليد الإنسان : جسمه وبدنه .

(٢) ذو (هنا) : بمعنى الذي ، في لغة طيء . والتلذر (بالكسر) : البيت . ويريد بقوله : « ألف مولود » : فصائده .

(٣) الفرائد : الجواهر النفيسة ، لأنها مفردة في نوعها . والخرد : اللائ التي لم تنقب ، الواحدة خريدة ؛ شبه فصائده بالفرائد الخرد في قفاستها وصياتها من الابتال . وحصى الجديد : من يقيد المعاني الجديدة التي يتكرها الشعراء . ويريد بقوله : « لو شاء » الخ : أن له معاني مبتدعة جديدة أن تسجل باسمه كما تسجل المواليد .

(٤) كاسية ، أى حالية منجلمة كما يجمل الإنسان بكسائه .

(٥) الدهقان (بالكسر ويضم) : الثاجر ؛ فارسي معرب . والغيد : جمع غيداء ، وهي المرأة المختبة لنا . وقد شبه في هذا البيت المعاني في شعر الفقيده باللائ ، والألفاظ بالبور في أنها تشف عما تضمنت من المعاني كما يشف البور عما وراءه .

(٦) قصد الشاعر (بالضعيف) : راصل عمل القمائد وأطال .

(٧) المضعوف : الضعيف . والمحدود : المحروم والمنوع من الخير . والمراد أنه حرم الإجابة في رثاء الفقيده .

رثاء الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده^(١)

[نشرت في ٢٢ أغسطس سنة ١٩٠٥ م]

- (٢) مَسْلَامٌ عَلَى الْإِسْلَامِ بَعْدَ مُحَمَّدٍ * سَلَامٌ عَلَى أَيَّامِهِ النَّضْرَاتِ
 عَلَى الدِّينِ وَالْدُّنْيَا، عَلَى الْعِلْمِ وَالْجَمَا * عَلَى الْبِرِّ وَالْتَّقْوَى ، عَلَى الْحَسَنَاتِ
 لَقَدْ كُنْتُ أَخْشَى مَادِي الْمَوْتِ قَبْلَهُ * فَأَصْبَحْتُ أَخْشَى أَنْ تَطُولَ حَيَاتِي
 فَوَالْمَنَى - وَالْقَبْرِ بَيْنِي وَبَيْنَهُ - * عَلَى نَفْسَةٍ مِنْ تِلْكَ النَّظَرَاتِ^(٣)
 وَقَفْتُ عَلَيْهِ حَاسِرَ الرَّأْسِ خَاشِعًا * كَأَنِّي حَيَالُ الْقَبْرِ فِي عَرَفَاتِ^(٤)
 لَقَدْ جَهِلُوا قَدْرَ الْإِمَامِ فَأَوْدَعُوا * تَجَالِيدَهُ فِي مُوْحِشٍ بِفَلَاةِ^(٥)
 وَلَوْ ضَرَحُوا بِالْمَسْجِدَيْنِ لَأَنْزَلُوا * يَخْسِرُ بِقَاعِ الْأَرْضِ خَيْرُ رَفَاتِ^(٦)
 تَبَارَكْتَ هَذَا الدِّينُ دِينَ مُحَمَّدٍ * أَيْتَرَكُ فِي الدُّنْيَا بَغِيرَ حِمَاةٍ ؟
 تَبَارَكْتَ هَذَا عَالِمُ الشَّرْقِ قَدْ قَضَى * وَلَانَتْ قَنَاةُ الدِّينِ لِلْعَمَزَاتِ^(٧)

(١) انظر التعريف بالشيخ محمد عبده في الحاشية رقم ٣ من صفحة ٤ من الجزء الأول .
 (٢) النضرات : ذرات الحسن والرواق . (٣) والمنى : كلمة يخسر بها على ما فات .
 (٤) حاسر الرأس : عار به . وحيال القبر : تلقاءه وأمامه . (٥) تجاليد الإنسان : جسمه
 وبدنه . والفلاة : الصحراء الواسعة . (٦) ضريح البيت : حفرته ضريحاً . ويريد « بالمسجدين » :
 المسجد الحرام بمكة ، وبيت المقدس . ورفات الميت : ما يلي وتكسر من عظامه . يقول : لو أنهم حفروا
 بأحد المسجدين ضريحاً لهذا الجسم لكان حرياً بذلك ، لأنه خير جسم يدفن في خير بقعة من الأرض .
 (٧) قضى : مات . والقناة : الرخ . ولين القناة : نخاية عن الضعف والوهن . ويريد « بالعمزات » :
 المطاعن الموجهة إلى الإسلام من أعدائه .

- (١) زَرَعْتَ لَنَا زَرْعًا فَأَخْرَجَ شَطَاءُ * وَبُنْتَ وَلَمَّا نَجَّتِ الشَّمَرَاتِ
 (٢) فَوَاهَا لَهُ أَلَّا يُصِيبَ مُوقَّعًا * يُسَارِفُهُ وَالْأَرْضُ غَيْرُ مَوَاتٍ
 (٣) مَدَدْنَا إِلَى الْأَعْلَامِ بَعْدَكَ رَاحِنًا * فُرِدَّتْ إِلَى أَعْطَافِنَا صَفِرَاتِ
 (٤) وَجَالَتْ بِنَا تَبْغِي سِوَاكَ عُيُونُنَا * فَعُدْنَ وَآثَرْنَ الْعَمَى شِرْقَاتِ
 (٥) وَأَذَوَكَ فِي ذَاتِ الْإِلَهِ وَأَنْكَرُوا * مَكَانَكَ حَتَّى سَوَّدُوا الصَّفَحَاتِ
 رَأَيْتَ الْأَذَى فِي جَانِبِ اللَّهِ لَذَّةً * وَرُحْتَ وَلَمْ تَهْمُ لَهُ بِشَكَاةِ
 (٦) لَقَدْ كُنْتَ فِيهِمْ كَوْبًا فِي غِيَابِهِ * وَمَعْرِفَةً فِي أَنْفُسِ نَصِيبَاتِ
 (٧) أَبْنَتْ لَنَا التَّزْيِيلَ حُكْمًا وَحِكْمَةً * وَفَرَّقْتَ بَيْنَ النُّورِ وَالظُّلُمَاتِ
 وَوَقَّعْتَ بَيْنَ الدِّينِ وَالْعِلْمِ وَالْجَمَا * فَأَطْلَعْتَ نُورًا مِنْ ثَلَاثِ جِهَاتِ
 (٨) وَقَفَّتْ (هَانُوتُو) وَ(رَيْنَانُ) وَقَفَّةً * أَمَدَكَ فِيهَا الرُّوحُ بِالنَّفَحَاتِ

(١) شطاء الزرع : فراخه أو مستبده . وكنى بالزرع : عما قام به الفقيد من ضروب الإصلاح . وبنت : بعدت .
 (٢) الضمير في « له » يرجع إلى الزرع . ويشارفه : يشرف عليه . والأرض الموات : البلدة التي لا تنبت . يخشى ألا يجده الزرع من بعده بعد الفقيد مع خصوبة الأرض وقبولها لما يفرس فيها .
 (٣) يريد « بالأعلام » : المشهورين من العلماء . والراح : جمع راحة ، وهي الكف . والأعطاف : الخواصر . وصفرات ، أي خاليات . (٤) شرقات ، أي محرات من البكاء . (٥) يشير بهذا البيت وما بعده إلى المطاعن التي كان يوجهها أعداء الفقيد إليه ، وينشرونها في بعض الصحف تشهيراً به ، وتحقيراً من شأنه . (٦) الغياب : الظلمات . (٧) يشير بهذا البيت إلى الدروس التي كان يلقيها الأستاذ الإمام في تفسير القرآن . (٨) هانوتو : هو جبرائيل هانوتو السياسي المؤرخ الفرنسي . ولد في ١٩ نوفمبر سنة ١٨٥٣ م ، وقد كتب مقالات في الطعن على الإسلام . ورينان ، هو أرنست رينان الفرنسي ، ولد في ٢٧ فبراير سنة ١٨٢٣ م ، وقد كان قساً كاثوليكياً ؛ وهو مشهور بمطاعنه في الدين الإسلامي كصاحبه السابق ، وقد ردّ الفقيد على مطاعنها . وتوفي رينان في سنة ١٨٩٢ م . والروح : جبريل .

- (١) وَخِفْتَ مَقَامَ اللَّهِ فِي كُلِّ مَوْقِفٍ * خِفَاكَ أَهْلُ الشُّكِّ وَالنَّزَاتِ
(٢) وَكَمْ لَكَ فِي إِغْفَاءِ الْفَجْرِ يَقْظَةً * نَقَضْتَ عَلَيْهَا لَذَّةَ الْمَجَاعَاتِ
(٣) وَوَلَّيْتَ شَطْرَ الْبَيْتِ وَجْهَكَ خَالِيًا * تُنَاسِي إِلَهَ الْبَيْتِ فِي الْخَلَوَاتِ
(٤) وَكَمْ لَيْلَةٌ طَانَتْ فِي جَوْفِهَا الْكَرَى * وَنَبَّهَتْ فِيهَا صَادِقَ الْعَزَمَاتِ
(٥) وَأَرْصَدْتَ لِلْبَاغِي عَلَى دِينَ أَحْمَدٍ * شَبَابَةَ يَرَاجِ سَاحِرِ النَّفَّاتِ
(٦) إِذَا مَسَّ خَدَّ الطَّرِيسِ فَاضَ جَبِينُهُ * بِأَسْطَارِ نُورٍ بَاهِرِ اللَّعَاتِ
(٧) كَانَ قَرَارَ الْكَهْرَبَاءِ بِشِقِّهِ * يُرِيكَ سَنَاهُ أَيْسَرِ اللَّسَاتِ
فِيَا سَنَةً مَرَّتْ بِأَعْوَادِ نَعِيشِهِ * لَأَنْتِ عَلَيْنَا أَشْأَمُ السَّنَوَاتِ
(٨) حَطَمْتَ لَنَا سَيْفًا، وَعَطَلْتَ مِئْبَرًا * وَأَذَوَيْتِ رَوْضًا نَاضِرَ الزُّهْرَاتِ
(٩) وَأَطْفَأْتَ نِيرَاسًا وَأَشْعَلْتَ أَنْفُسًا * عَلَى بَحَارَاتِ الْحُزْنِ مُنْطَوِيَاتِ

(١) النزات : الوسوس .

(٢) الإغفاء : النوم . « وقضت عليها » إلخ ، أى أنه خلع على اليقظة لذة الهبة فصار يتلذذ من اليقظة تلذذ الناس بالهبة ، أى النوم .

(٣) البيت : الكعبة .

(٤) الكرى : النوم . وصادق العزمات ، من إضافة الصفة إلى الموصوف ، أى العزمة الصادقة .

(٥) أُرصدت : أعددت وهيات . واليراج : القلم . وشبابه : سه . ونفثات القلم : ما يفيض به من كلمات تشبها لها بما ينثثه الساهر في العقد .

(٦) الطريس (بالكسر) : الصحيفة التي يكتب فيها .

(٧) سناء : ضوءه ونوره . يقول : كان الكهرياء مستقرة في شق هذا القلم ، فجرد اللسان يظهر نوره .

(٨) حطمت : كسرت . وأذويت : أذبلت .

(٩) النيراس : المصباح .

رَأَى فِي لِبَالِكَ الْمُنَجِّمُ مَا رَأَى * فَأَنْذَرَنَا بِالْوَيْلِ وَالْعَثَرَاتِ^(١)
 وَنَبَّاهُ عِلْمَ النُّجُومِ بِحَادِثٍ * تَبَيَّنَتْ لَهُ الْأَبْرَاجُ مُضْطَرِبَاتِ
 رَمَى السَّرَطَانَ اللَّيْثَ وَاللَّيْثُ خَادِرٌ * وَرُبَّ ضَعِيفٍ نَافِذِ الرِّمَاتِ^(٢)
 فَأَوْدَى بِهِ خَتْلًا فَمَالَ إِلَى الثَّرَى * وَمَالَتْ لَهُ الْأَجْرَامُ مُنْحَرِفَاتِ^(٣)
 وَشَاعَتْ تَعَاوِى الشُّهْبِ بِالْمَجِّ بَيْنَهَا * عَنْ النَّيِّرِ الْهَاسِ إِلَى الْفَلَوَاتِ^(٤)
 مَشَى نَعْشُهُ يَخْتَالُ عَجَبًا بِرَبِّهِ * وَيَخْطُرُ بَيْنَ اللَّسِّ وَالْقُبُلَاتِ^(٥)
 تَكَادُ الدُّمُوعُ الْجَارِيَاتُ تُقْلَهُ * وَتَدْفَعُهُ الْأَنْفَاسُ مُسْتَعِرَاتِ^(٦)
 بَكَى الشَّرْقُ فَأَرْتَجَّتْ لَهُ الْأَرْضُ رَجَّةً * وَضَاقَتْ عَيْنُ الْكَوْنِ بِالْعَبَرَاتِ
 فِيهِ الْهِنْدُ مَحْزُونٌ وَفِي الصِّينِ جَارِعٌ * وَفِي (مِصْرَ) بَاكِ دَائِمُ الْحَسَرَاتِ
 وَفِي الشَّامِ مَفْجُوعٌ، وَفِي الْفُرْسِ نَادِبٌ * وَفِي تُونِسَ مَا شَتَّتَ مِنْ زَفَرَاتِ
 بَكَى عَالَمُ الْإِسْلَامِ عَالِمَ عَصْرِهِ * سِرَاجَ الدِّيَابِجِ هَادِمَ الشُّبُهَاتِ^(٦)

(١) يريد « بالمنجم » : أحد المنجمين ، وكان قد تنبأ بوقاة الأساذا الإمام في السنة التي توفي

فيها ، وكتب ذلك في تقويمه السنوي .

(٢) رى السرطان ...
 الخ ، إشارة الى أن المرحوم الإمام مات بالسرطان ، وهو هذا الداء المعروف . والليث خادر ، أى
 والأسد في أبعته . ويطلق السرطان أيضا على برج في السماء يقابله برج الأسد الذي أطلق الشاعر
 عليه لفظ الليث ، واستعمل الشطر الأول في المعنيين ، كما يدل عليه سياق الكلام في الأبيات التالية .

(٣) أودى به : ذهب به . واختل : الخداع . والأجرام : الأفلak .

(٤) وبه : صاحبه .

(٥) تقله : يحمله . ومستعرات : مشتعلات من الحزن .

(٦) الديابجى : الظلمات .

(١) مَلَاذَ عِيَايِلِ ثِمَالِ أَرَامِلِ * غِيَاثَ ذَوِي عُدْمِ إِمَامَ هُدَاةِ
 فَلَا تَتَّصِبُوا لِلنَّاسِ تِمْنَالَ (عَبْدِهِ) * وَإِنْ كَانَ ذِكْرِي حِكْمَةً وَثَبَاتِ
 فَلَا تَلَاخِشْنِي أَنْ يَضِلُّوا فَيُؤْمِتُّوْا * إِلَى نُورِ هَذَا الْوَجْهِ بِالسَّجْدَاتِ
 فَيَاوِيحَ لِلشُّورَى إِذَا جَدَّ جَدُّهَا * وَطَاشَتْ بِهَا الْآرَاءُ مُشْتَجِرَاتِ
 وَيَا وَيْحَ لِلْفُتَيَا إِذَا قِيلَ مَنْ لَهَا؟ * وَيَا وَيْحَ لِلْخَيْرَاتِ وَالصَّدَقَاتِ
 بِحِكْمَتِنَا عَلَى فَسْرِدِ وَإِنْ بُكَاءُنَا * عَلَى أَنْفُسِ اللَّهِ مُنْقَطِعَاتِ
 تَعْمِدُهَا فَضْلُ الْإِمَامِ وَحَاطَهَا * بِإِحْسَانِهِ وَالذَّهْرِ خَيْرُ مُوَاتِي
 فَيَا مَتَزِلَا فِي (عَيْنِ شَمْسٍ) أَظْلَى * وَأَرْغَمَ حُسَايِدِي وَغَمَّ عِيْدَاتِي
 دَعَائِمُهُ التَّقْوَى وَآسَاسُهُ الْهُدَى * وَفِيهِ الْأَيْدِي مَوْضِعُ اللَّيْنَاتِ
 عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ، مَا لَكَ مُوَحِّشًا * عَبُوسَ الْغَفَايِ مُقْفِرَ الْعَرَصَاتِ

- (١) الملاذ (بالفتح) : الملجأ . وعيائل : جمع عيل (بتشديد الياء) . وعيل الرجل : من يتكفل بهم ويمونهم ويقوم عليهم . وثمان الأراميل : من يقوم بأمرهن ويعينهن . والغياث : المنقذ والمعين . والعدم : الفقر . (٢) يؤمِتُّوْا : يشيروا . وقد رد الشاعر بهذا البيت على ما اقترحه بعضهم من إقامة تيمال للإستاذ الإمام . (٣) يريد « بالشورى » مجلس شورى القوافين وكان الفقيه عضوا به . وطاشت : انحرفت عن القصد . ومشتجرات : مشتبات لا يتميز فيها الحق من الباطل . (٤) حاطها : صانها وحفظها . والمواقي : المواقف المسامدة . (٥) عين شمس : ضاحية من ضواحي القاهرة معروفة ، وكان فيها بيت الفقيه . (٦) دعائم البيت : عموده . والأيدى : النعم . واللبنات : ما يضرب من الطين للبناء ، الواحدة لبنة . (٧) الموحش : الخالي الذي ليس به ساكن . ومقانيسه : منازل التي كان ينزل بها ما كنوه ، الواحد منى . وعمراته : ساحاته .

- (١) لقد كنت مقصودَ الجوانبِ أهلاً * تطوف بك الآمالُ مبهلاتِ
(٢) مشابهةً أرزاقٍ ، ومهبطَ حكمةٍ * ومطلعَ أنوارٍ ، وكثرةً عظامِ

رثاء مصطفى كامل باشا^(٣)

[نشرت في ١٢ فبراير سنة ١٩٠٨]

- (٤) أيا قبرُ هذا الضيفُ آملُ أميةً * فكبرُ وهلُّ وألقَ ضيفك جاثياً
(٥) عزيزُ علينا أن نرى فيك (مصطفى) * شهيدَ الملا في زهرة العمرِ ذوايا
(٦) أيا قبرُ لو أنا فقدناه وحده * لكانَ الناسُ من جوى الحزنِ شافياً
ولكن فقدنا كلَّ شيءٍ بفقده * وهيئات أن يأتي به الدهرُ ثانياً
فيا سائلي أينَ المروءةُ والوفا * وأينَ الجحْمُ والرأي؟ ويحك هاهنا
(٧) هيناً لهم فليأمنوا كلُّ صائحٍ * فقد أَسِكتَ الصَّوتُ الذي كان طالياً

(١) منزل أهل : طامر بأهله . ومبهلات : داعية متضرعة .

(٢) المثابة : المرجع . أى إن الناس كانوا يرجعون الى هذا البيت في طلب أرزاقهم .

(٣) ولد المرحوم مصطفى كامل باشا صاحب اللواء بمدينة القاهرة في ١٤ أغسطس سنة ١٨٧٤ م . وبعد أن نال شهادة الدراسة الثانوية دخل مدرسة الحقوق الخديوية والحقوق الفرنسية في وقت واحد ، ثم ذهب الى فرنسا ، ومنها أخذ شهادة الحقوق ، وبدأ حياته السياسية في سنة ١٨٩٥ م . وكانت باكورة أعماله كتابه الذي رفعه الى رئيس مجلس النواب الفرنسي في ٤ يولية سنة ١٨٩٥ م ؛ ثم كان زعيم النهضة الوطنية في مصر ، الى أن توفي في سنة ١٩٠٨ م بعد أن ألف الحزب الوطني . (٤) جثا الرجل

يجثو : جلس على ركبتيه ؛ والمراد هنا : الخضوع . (٥) الذارى : الذابل .

(٦) التامى : اقتداؤك بمن سواك في الصبر على المصائب . وجوى الحزن : حرقته .

(٧) الضمير في « لهم » : للإنجليز .

(١) ومات الذى أحيا الشعور وساقه * الى المجد فاستحيا النفوس البواليا
 مدحتك لما كنت حيا فلم أجد * وإنى أجد اليوم فيك المراثيا
 (٢) عليك، وإلا ما لدا الحزن شاملا * وفيك، وإلا ما لدا الشعب بايا
 يموت المداوى للنفوس ولا يرى * لما فيه من داء النفوس مداويا
 (٣) وكأنيما حينما كنت ساهدا * فأشهدتنا حزنا وأمسيت غافيا
 (٤) شهيد العلاء، لا زال صوتك بيننا * يرت كما قد كان بالأمس داويا
 (٥) يهيب بنا : هذا بناء أفتنه * فلا تهيدموا بالله ما كنت بايا
 (٦) يصبح بنا : لا تشعروا الناس أنى * قضيت وأن الحى قد بات خاليا
 يُشيدنا بالله ألا تفرقوا * وكونوا رجالا لا تسرروا الأعدايا
 (٧) فروى من هذا المقام مطلة * تُشارفكم عسى وإن كنت باليا
 فلا تحزنوها بالخلاف فإنى * أخاف عليكم فى الخلاف الدوايا
 (٨) أجل، أيها الداعى الى الخير إنا * على العهد ما دمتما فتم أنت هانيا
 بناؤك محفوظ، وطيفك مائل * وصوتك مسموع، وإن كنت نائيا

(١) استحيا، أى أحيا . والاستحيا (لغة) : الاستبقاء . يقال : استحيا فلان فلانا ، إذا أبقاه حيا .

(٢) عليك ، أى عليك الحزن . وفيك ، أى فيك البكاء .

(٣) الساهد : الساهر . والنافى : النائم . (٤) المروف (دوى) بتشديد الواو ، واسم

الفاعل منه : مدق . وأما (دوى) بالتحفيف ، فهو استعمال شائع فى كلام أهل المصر .

(٥) أهاب به : صاح به ودعاه . (٦) قضى : مات .

(٧) شارفه : نظر إليه من علو . (٨) أجل ، كلمة تقال فى الجواب بمعنى «نعم» .

عَهْدُكَ لَا تَبْكِي وَتُشْكِرُ أَنْتِ يُرَى * أَخُو الْبَاسِ فِي بَعْضِ الْمَوَاطِنِ بَاكِيًا
 (١)
 فَرَّخَصَ لَنَا الْيَوْمَ الْبُكَاءَ وَفِي غَيْدٍ * تَرَانَا كَمَا تَهْوَى جِبَالًا رَوَاسِيَا
 فَيَا نَيْلُ إِنْ لَمْ تَجْهْرِ بَعْدَ وَفَاتِهِ * دَمًا أَحْمَرًا لَا كُنْتَ يَا نَيْلُ جَارِيَا
 وَيَا (مِصْرُ) إِنْ لَمْ تَحْفَظِي ذِكْرَ عَهْدِهِ * إِلَى الْحَشْرِ لَا زَالَ أَنْجِلَا لَكَ بَاقِيَا
 وَيَا أَهْلَ (مِصْرُ) إِنْ جَهِلْتُمْ مُصَابِكُمْ * ثَقُّوا أَنَّ نَجْمَ السَّعْدِ قَدْ غَارَ هَاوِيَا
 (٢)
 ثَلَاثُونَ عَامًا بَلْ ثَلَاثُونَ دُرَّةً * يَجِيدُ اللَّيَالِي سَاطِعَاتِ زَوَاهِيَا
 (٣)
 سَتَشْهَدُ فِي التَّارِيخِ أَنَّكَ لَمْ تَكُنْ * قَتَى مُفْرَدًا بَلْ كُنْتَ جَيْشًا مُغَازِيَا

رثاء مصطفى كامل باشا أيضا

أنشدها في حفل الأربعين في ٢٠ مارس سنة ١٩٠٨ م

(٤)
 نَثَرُوا عَلَيْكَ نَوَادِي الْأَزْهَارِ * وَأَتَيْتُ أَنْثَرُ بَيْنَهُمْ أَشْعَارِي
 زَيْنَ الشَّبَابِ وَزَيْنَ طُلَابِ الْعُلَا * هَلْ أَنْتَ بِالْمُهْجِ الْحَزِينَةِ دَارِي؟
 (٥)
 غَادَرْتَنَا وَالْحَادِثَاتُ بِمَرَصِدٍ * وَالْعَيْشُ عَيْشُ مَنَلَةٍ وَإِسَارِ

(١) الذي وجدناه أنه يقال: «رخصت له» ورخصته في كذا «أى أذنت له فيه» بعد النهي عنه .
 ولم نجد في كتب اللغة أنه يقال: رخصت له كذا بحذف «في» كما استعمله الشاعر في هذا البيت ،
 إلا أن يقال: إنه ضمن الترخيص معنى التسهيل والتيسير، لحذف الفاء . والرواسي: الرواسخ .

(٢) توفي مصطفى كامل باشا عن اثنين وثلاثين سنة ، فالثلاثون في هذا البيت عدد تقريبي .

(٣) تشهد، أى الثلاثون عاما .

(٤) نوادي الأزهار: الرطبة المبتلة بالندى . (٥) بمرصد، أى أن الحوادث ترقبنا وتتحين

الفرص لمداومتنا . والمرصد، هو مكان الرصد، أى المراقبة .

- (١) ما كَانَ أَحْوَجَنَا إِلَيْكَ إِذَا حَدَا * حَادٍ وَصَاحَ الصَّائِحُونَ : بَدَارِ
 أَيْنَ الْخَطِيبُ وَأَيْنَ خَلَابُ النَّهْيِ؟ * طَالَ انْتِظَارُ السَّمْعِ وَالْأَبْصَارِ
 (٢) بِاللَّهِ مَا لَكَ لَا تُجِيبُ مُنَادِيًا * مَاذَا أَصَابَكَ يَا أَبَا الْمَغْوَارِ
 (٣) قُمْ وَانْحَ مَا خَطَّتْ يَمِينُ (كُرُومِي) * جَهْلًا بِيَدَيْنِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ
 (٤) قَدْ كُنْتَ تَغْضَبُ لِلِكُنَانَةِ كُلِّهَا * هَمَّتْ وَهَمَّ رَجَاؤُهَا بِعِشَارِ
 (٥) غَضَبَ التَّنْقِي لِرَبِّهِ وَكَنَاهِ * أَوْ غَضَبَةَ (الْفَارُوقِ لِلْمُخْتَارِ)
 (٦) قَدْ ضَاقَ جِسْمُكَ عَنْ مَدَاكَ فَلَمْ يُطِقْ * صَبْرًا عَلَيْكَ وَأَنْتَ شُعْلَةُ نَارِ
 (٧) أَوْدَى بِهِ ذَاكَ الْجِهَادُ وَهَدَّاهُ * عَزَمَ يَهْدُ جَلَائِلَ الْأَخْطَارِ
 (٨) لَعِبْتَ يَمِينَكَ بِالْيَرَاعِ فَأَعْجَزْتَ * لَعِبَ الْقَسَوَارِسَ بِالْقَنَا الْخَطَّارِ
 (٩) وَجَرَيْتَ لِلْعَلِيَاءِ تَبْنِي شَاوَهَا * بِفَرَى الْقَضَاءِ وَأَنْتَ فِي الْمِضَارِ

(١) بدار : اسم فعل أمر بمعنى بادر، أى أسرع . (٢) المغوار : الكثير الغارات على الأعداء .
 ويشير بهذه الكنية إلى قول الشاعر :

وداع دعا : يا من يجيب إلى الندى * فلم يستجبه عند ذاك مجيب

فقلت ادع أخرى وارفع الصوت بجمرة * لعل أبى المغوار منك قريب

(٣) يشير بهذا البيت إلى ما كتبه اللورد كرومر عميد الدولة الانجليزية في مصر من طعن على الدين

الإسلامي . (٤) العثار : الكبور والتعس . (٥) الفاروق : عمر بن الخطاب رضى الله

تعالى عنه . والمختار : النبي صلى الله عليه وسلم .

(٦) مداك، أى غاية ما تطمح إليه من المال . (٧) أودى به : ذهب ، « وهده

عزم » انخ، أى أن عزمه الذى يذهب بالشدائد قد ذهب بحسه وأفناه . (٨) القنا : الرياح .

والخطار : من صفات الرمح ، لاضطرابه واهتزازه . (٩) الشار : النهاية . ويريد

« بالقضاء » : الموت .

(١) أَوْكَلَمَا هَزَّ الرَّجَاءُ مُهَنَّدًا * بَدَرْتُ إِلَيْهِ غَوَائِلُ الْأَقْدَارِ
(٢) عَزَّ الْقَرَارُ عَلَى لَيْلَةٍ نَعِيَةٍ * وَشَهِدْتُ مَوَكِبَهُ فَقَرَّ قَرَارِي
(٣) وَتَسَابَقَتْ فِيهِ النُّعَاةُ فَطَائِرٌ * بِالْكَهْرِبَاءِ ، وَطَائِرٌ يُخَارِ
(٤) شَاهَدْتُ يَوْمَ الْحَشْرِ يَوْمَ وَفَاتِهِ * وَعَلِمْتُ مِنْهُ مَرَاتِبَ الْأَقْدَارِ
وَرَأَيْتُ كَيْفَ تَفَى الشُّعُوبُ رِجَالَهَا * حَقُّ الْوَلَاءِ وَوَاجِبَ الْإِجَارِ
(٥) تَسْعُونَ أَلْفًا حَوْلَ نَعِشِكَ خُشْعٌ * يَمْشُونَ تَحْتَ (لِوَائِكَ) السَّيَّارِ
خَطُّوا بِأَدْمُعِهِمْ عَلَى وَجْهِ الثَّرَى * لِلْحُزْنِ أَطْطَارًا عَلَى أَطْطَارِ
أَنَا يُوَالُونَ الضَّجِيجَ كَأَنَّهُمْ * رَكِبُ الْحَجِيجِ بِكَمْبَةِ الزُّوَارِ
وَتَحَالُمُ أَنَا لِقَرِطٍ خُشُوعِهِمْ * عِنْدَ الْمُصَلَّى يُنْصِتُونَ لِقَارِي
فَلَبَّ الْخُشُوعُ عَلَيْهِمْ فُدمُوعِهِمْ * تَجْرِي بِلاَ كُلِّحٍ وَلَا أَسْتِنَارِ
(٦) قَدْ كُنْتُ تَحْتَ دُمُوعِهِمْ وَزَفِيرِهِمْ * مَا بَيْنَ سَيْلٍ دَافِقٍ وَشَرَارِ
أَسْعَى فَيَاخُذُنِي اللَّهَيْبُ فَأَنْتَنِي * فَيَصُدُّنِي مُدْفِقُ التَّيَّارِ

(١) المهند : السيف . وغوائل الأقدار ، أى المهلكات منها . (٢) يريد بقوله : « وشهدت »
الخ : أنه لما رأى وفاء الأمة للفقيد في جنازته هدأت نفسه . (٣) يريد « بالطائر بالكهرباء » :
الرسائل البرقية . « وبالطائر بالبخار » : القطار . (٤) وعلمت منه مراتب الأقدار ، أى كيف
تنزل الأمة عظامها منازلهم التى يستحقونها . (٥) اللواء : العلم . ويشير إلى جريدة اللواء التى
كان يصدرها الفقيد .

(٦) بلا كلح ، أى بلا عبوس ولا تقطع . والمسموع : كلاح وكلوح (بالضم فيهما) . والاستنار
من الأنف معروف . ويريد « تجرى بلا كلح ولا استنار » : أن الدموع تجري بطبيعتها بلا عبوس
ولا غيره مما يصحب الدموع عادة .

- (١) لَوَلَمْ أَلِدْ بِالنَّعِشِ أَوْ بِظِلَالِهِ * لَقَضَيْتُ بَيْنَ مَرَاجِلٍ وَبِحَارِ
 كَمْ ذَاتٍ خَذِرَ يَوْمَ طَافَ بِكَ الرَّدَى * هَتَكْتَ عَلَيْكَ حَرَائِرَ الْأَسْتَارِ
 سَفَرَتْ تُودِّعُ أُمَّةً تَحْمُولَةً * فِي النَّعِشِ لَا خَبْرًا مِنَ الْأَخْبَارِ
 (٢) أَمِنْتُ عُيُونَ النَّاسِطِينَ فَمَزَقْتُ * وَجْهَ الْجَمَارِ فَلَمْ تَلُذْ بِجَمَارِ
 قَدْ قَامَ مَا بَيْنَ الْعُيُونِ وَبَيْنَهَا * سِتْرٌ مِنَ الْأَحْزَانِ وَالْأَكْدَارِ
 (٣) أُدْرِجَتْ فِي الْعِلْمِ الَّذِي أَصْفَيْتَهُ * مِنْكَ الْوِدَادَ فَكَانَ خَيْرَ شِعَارِ
 (٤) عَلَمَانِ مِنْ فَوْقِ الرُّءُوسِ كِلَاهُمَا * فِي طَيْهِ بَيْتٍ مِنَ الْأَسْرَارِ
 (٥) نَادَاهُمَا دَاعِي الْفِرَاقِ فَأَمْسَيَا * يَتَعَانَقَانِ عَلَى شَفِيرِ هَارِي
 (٦) تَاللَّهِ مَا بَجَزَعَ الْحُبُّ وَلَا بَكَى * لِنَوَى مَرْوَعَةٍ وَبُعْدِ مَنَارِ
 (٧) بَجَزَعَ (الهِلَالِ) عَلَيْكَ يَوْمَ تَرَكْتَهُ * مَا بَيْنَ حَرَّاسِي وَحَرَّ أَوَارِ
 مُتَلَفَّتَا مُتَحَجِّرًا مُتَخَفِّرًا * رَجُلًا يُنَاضِلُ عَنْهُ يَوْمَ نِفَارِ

- (١) قضى : هلك ومات . والمراجل : القصور ؛ الواحد مرجل (بكسر فسكون) . ويريد « بالمراجل والبحار » : ما أشار إليه في البيت الأسبق من الزفرات والدموع .
 (٢) الخمار : ما تغطى به المرأة وجهها . (٣) يقال : أدرجه في الثوب : إذا لفه فيه وطواه . ويريد « بالعلم » : علم مصر . (٤) يريد « بالعلمين » : الفقيه ، تشبيها له بالعلم في ارتفاعه وشهرته ، وعلم مصر الذي لف فيه النعش .
 (٥) شفير كل شيء : حافته . والهارى : المنهار .
 (٦) النوى : البعد .
 (٧) الهلال : شعار الدولة العثمانية والولايات التابعة لها التي كانت منها مصر إذ ذاك . والأسى : الحزن . والأوار : الظما ، ويريد به ما تركه فراقه في النفوس من تعطش إليه .

- (١) إِنَّ الثَّلَاثِينَ أَلَى بَكَ فَانْحَرْتُ * بَاتَتْ تُقَاسُ بِأَطْوَلِ الْأَعْمَارِ
 قَمَّتْ إِلَى التَّارِيخِ يَضَعُ صَعَائِفَ * يَبْضَاءُ مِثْلَ صَعَائِفِ الْأَبْرَارِ
 (٢) شَبَّهَتْ بِنُقْطَةِ عَطْرِية * وَسِعَتْ مُحْصَلُ رَوْضَةِ مِعْطَارِ
 خَلَقَتْهَا كَالْمَشْقِ يَحْكُو حَدُّوْهَا * رَاجَى الْوُصُولِ وَمُقْتَنِى الْآثَارِ
 (٣) مَاذَا عَلَى السَّارَى - وَهْنٌ مَنَائِرُ - * لَوْ سَارَ بَيْنَ تَجَاهِلٍ وَقِفَارِ
 (٤) مَا زِلْتُ تَخْتَارُ الْمَوَاقِفَ وَغَمْرَةَ * حَتَّى وَقَفْتَ لَذَلِكَ الْجَبَّارِ
 (٥) وَهَدَمْتَ سُورًا قَدْ أَجَادَ بِنَاءَهُ * فِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ وَالْأَنْهَارِ
 (٦) وَوَصَلْتَ بَيْنَ شَكَايَا وَمَشَايِخِ * فِي (الْبَرْلَانِ) أَعِزَّةُ أَخْيَارِ
 (٧) كَشَفُوا الْغِطَاءَ عَنِ الْعُيُونِ فَأَبْصَرُوا * مَا فِي الْيَكَاثَةِ مِنْ أَدَى وَضَرَارِ
 (٨) تَبَدَّلُوا كَلَامَ (اللُّرْدِ) جِئِنَ تَبَيَّنُوا * حَقَّقَ الْمَغِیْظَ وَلَهْجَةَ الثَّرْنَارِ
 (٩) وَرَمَاهُمْ يُجَلِّدِينَ رَمَوْهُمَا * فِي رُتْبَةِ الْأَصْفَارِ لَا الْأَسْفَارِ

- (١) يريد الثلاثين سنة التي ذكرها في مراثيه السابقة في قوله "ثلاثون عاما ... الخ" . وقد قدما أن الفقيه قد توفي عن اثنتين وثلاثين سنة ، فالثلاثون عدد تقريبي . (٢) الروضة المعطار : الكثيره الزهور والرياحين . ومحصلها : ما يحصل من رياحينها وأزهارها . (٣) وهن ، أى الثلاثون عاما . والمناثر : جمع منارة ، وهى ما يهتدى به . يريد أن سارى الظلمات لا يضل وهو يهتدى بهذه الأعلام الواضحة . (٤) يريد «بالجبار» اللورد كرومر ؛ ويشير إلى مواقفه معه فى حادثة دنشواى وغيرها . (٥) الأوتاد : الجبال . ويضرب بفرعون المثل فى الجبروت والبغى ؛ شبه اللورد كرومر به . (٦) الشكاة : الشكوى . ويريد «بالبرلمان» : البرلمان الإنجليزى . (٧) كشفوا ، أى مشايخ البرلمان . (٨) الحق : الغيظ . والثرنار : الذى يكثر الكلام تكلفا ويخرج عن الحق . (٩) يشير «بالمجلدين» : ما كتبه اللورد كرومر لحكومته عن مصر . والأسفار : الكتب ؛ والواحد سفر (بالكسر) .

(١)
 وَأَمَّا عَلَى تِلْكَ الْمَوَاقِفِ إِنِّهَا * كَانَتْ مَوَاقِفَ لَيْثٍ غَابِ ضَارِي
 (٢)
 لَمْ يَلُوهْ عَنْهَا الْوَعِيدُ وَلَا تَنَّى * مِنْ عَزِيمَةِ قَوْلِ الْمُرِيبِ : حَذَارِ
 فَاهْنًا بِمَنْزِلِكَ الْجَدِيدِ وَنَمَّ بِهِ * فِي غِبْطَةٍ وَأَنْتُمْ بِخَيْرِ جِسْوَارِ
 (٣)
 وَأَسْتَقْبِلِ الْأَجَرَ الْكَبِيرَ جَزَاءَ مَا * مَهَّيْتَ لِلْأَوْطَانِ مِنْ أَوْطَارِ
 (٤)
 نِعَمَ الْجَزَاءِ وَنِعَمَ مَا بُلِّغْتَهُ * فِي مَنْزِلَيْكَ وَنِعَمَ عُقْبَى الدَّارِ

رثاء قاسم أمين بك^(٥)

[نشرت في ٦ يونية سنة ١٩٠٨ م]

(٦)
 لِلَّهِ دَرُكٌ كُنْتُ مِنْ رَجُلٍ * لَوْ أَهْمَلْتُكَ غَوَائِلُ الْأَجَلِ
 (٧)
 خُلِقَ كَأَنْفَاسِ الرِّيَاضِ إِذَا * أَسْتَحَرَّنَ غَبَّ الْعَارِضِ الْمَطِيلِ

- (١) الضاري : الجري، المعود على الصيد . (٢) لم يلوه : لم يصرفه . والمريب : ذو الريبة .
 يريد به هنا : المتهم في وطنيته ، المشكوك في إخلاصه لبلاده . (٣) الأوطار : جمع وطر ،
 وهو البنية والحاجة . (٤) في منزلك ، أى الدنيا والآخرة .
 (٥) ولد قاسم أمين سنة ١٨٦٥ م ، وبعد أن أخذ حظه من التعلم في مصر سافر الى فرنسا حيث
 درس الحقوق ، وعاد في سنة ١٨٨٥ ، ثم تدرج في المناصب القضائية حتى صار قاضيا بمحكمة الاستئناف
 الأهلية ، وهو أول من نادى بتحرير المرأة المصرية ، وله في ذلك كتابان : (تحرير المرأة) و(المرأة الجديدة) .
 واشترك أيضا في الدعوة الى إنشاء الجامعة مع صديقه المرحوم سعد زغلول باشا ، وتوفي رحمه الله
 في ٢٢ أبريل سنة ١٩٠٨ م عن ثلاث وأربعين سنة .
 (٦) الغوائل : الدواهي المهلكة ، الواحدة غائلة .
 (٧) أسحر : صار في السحر . والعارض : السحاب المعترض في الأفق . والمطيل : المتتابع المطر ،
 العظيم القطر . والنسيم المنبعث عن الرياض أنقى ما يكون عقب المطر وفي السحر .

(١) وشمائل لو أنها مُزِجَتْ * بطبائع الأيام لم تحل
 (٢) جَمُّ المَحمِدِ غير مُتَّهِم * جَمُّ التَّواضِعِ غير مُبْتَدَل
 (٣) يَا دَوْلَةَ الْأَخْلَاقِ رَافِلَةٌ * مِنْ (قَائِمٍ) فِي أَنْهَجِ الْحَلَلِ
 كَيْفَ أَنْطَوَيْتِ بِهِ عَلَى عَجَلٍ * أَكْذَا تَكُونُ مَصَارِعُ الدُّوَلِ؟
 (٤) يَا طَالِعًا لِلشُّرْقِ لَجَّ بِهِ * نَحْسُ النُّحُوسِ فَقَرَّ فِي (زُحَلِ)
 هَلَّا وَصَلْتَ سُورَاكَ مُتَقِلًا * عَلَّ السُّعُودَ تَكُونُ فِي الثَّقَلِ
 (٥) مَالِي أَرَى الْأَجْدَاثَ حَالِيَةً * وَأَرَى رُبُوعَ النَّيْلِ فِي عَطَلِ
 (٦) فَإِذَا الْكَأَنُّ أَطْلَعَتْ رَجُلًا * طَاحَ الْقَضَاءُ بِذَلِكَ الرَّجُلِ
 أَوْ كَلَّمَا أَرْسَلَتْ مَرِيَّةً * مِنْ أَدْمِي فِي إِثْرِ مُرْتَجِلِ
 (٧) هَاجَتْ بِي الْأُخْرَى دَفِينِ أَسَى * فَوَصَلْتُ بَيْنَ مَدَامِجِ الْمُقِلِ
 إِنِّي خَافَتِي فِيمَا لَفَعْتُ بِهِ * شِعْرِي فَهَذَا الدَّمْعُ يَشْفَعُ لِي
 (٨) وَلَقَدْ أَقُولُ وَمَا يُطَالِنِي * عِنْدَ الْبَدِيَّةِ قَوْلُ مُرْتَجِلِ
 يَا مُرْسِلَ الْأَمْثَالِ يَضْرِبُهَا * قَدْ عَزَّ بِعَذِّكَ مُرْسِلُ الْمَثَلِ

(١) لم تحل، أى لم تحول ولم تتغير. والمعنى أن شمائله من الثبات على الخير بحيث لو مزجت بطبائع الأيام المتقلبة لأكسبتها ثباتاً على ما يحب الناس. (٢) المبتدل: الممتن. (٣) رافلة: نجر الذيل متبقرة. (٤) لج به: ألح عليه. وزحل: كوكب معروف من الخمس، وهو عند المنجمين كوكب نحس. (٥) الأجداث: القبور؛ الواحد جدث (بالتحريك). وحالية: مزدانة. والعطل: التجرد عن الزينة. (٦) طاح به: ذهب به. (٧) «هاجت بي الأخرى» الخ، أى أثار المرثية الأخرى ما خفى من حزن. (٨) طاوله: غالبه.

(١)

يا رَائِشَ الآرَاءِ صَائِبَةً * يَرْمِي بَيْنَ مَقَاتِلِ الْخَطَلِ

(٢)

لِلَّهِ آرَاءٌ شَاوَتْ بِهَا * فِي الْخَالِدِينَ نَوَائِغَ الْأَوَّلِ

(٣)

قَدْ كُنْتَ أَشْقَانَا بِنَا وَكَذَا * يَشْقَى الْأَيُّ بِصُحْبَةِ الْوَكْلِ

(٤)

لَمْ يَفِي عَلَيْكَ قَضَيْتَ مُرْتَجِلًا * لَمْ تَشْكُ ، لَمْ تَسْتَوْصِ ، لَمْ تَقُلْ

(٥)

غَلَّ الْقَضَاءُ يَدَ الْقَضَاءِ فَذَا * يَبْكِي عَلَيْكَ وَذَاكَ فِي جَذَلْ

شَغَلَتْكَ عَنْ دُنْيَاكَ أَرْبَعَةٌ * وَالْمَرْءُ مِنْ دُنْيَاهُ فِي شُغْلٍ :

(٦)

حَقٌّ تَنَاصَرَهُ وَمَقْخَرَةٌ * تَمْشِي إِلَيْهَا غَيْرَ مُتَحِيلِ

(٧)

وَحَقَائِقُ لِلْعِلْمِ تَنْشُدُهَا * مَا لِلْحَكِيمِ بَيْنَ مَنْ قَبْلَ

(٨)

وَفَضِيلَةٌ أُعْيَتْ سِوَاكَ فَلَمْ * تَمُدُّ إِلَيْهِ يَدًا وَلَمْ يَصِلْ

(٩)

إِنْ رَأَيْتَ رَأْيًا فِي الْجَبَابِ وَلَمْ * تُعَصِّمْ ، فِتْلَكَ مَرَاتِبُ الرُّسُلِ

(١) الرائش : الذي يلزق الريش على السهم ليكون أسرع في مضيه إلى الغرض . والخطل (بالتحريك) :

الخطأ والفساد . (٢) شأوت : سبقت . (٣) الوكل (بالتحريك) : الضعيف العاجز

الذي يكل أمره إلى غيره . ويشير بهذا البيت إلى ما لقيه الفقيه من ضروب النقد الشديد والظلم الجارح حين

أخرج كتابه : (تحرير المرأة) و(المرأة الجديدة) . (٤) قضيت مرتجلا ، أي مت من غير علة

ظاهرة . وتستوصى ، أي توصى . ولم نجد فيما راجعناه من كتب اللغة استوصيت بمعنى أوصيت .

(٥) القضاء (الأول) ، بمعنى الموت (والثاني) بمعنى الفصل في الخصومات . والجلل (بالتحريك) :

الفرح . (٦) المتحل : الذي يدعى لنفسه ما لغيره . (٧) تنشدها : تطلبها .

والقبل : الطاقة . (٨) أعيت : أعجزت ، ولم تمدد ... الخ ، أي لم تمدد الفضيلة إلى سواك

يدا ولم يصل إلى نواها . (٩) ريت : رأيت ، مغلف الهمة للوزن . ويشير بهذا البيت إلى دعوة

الفقيه إلى سفور المرأة . وتلك ، أي العصمة .

الْحُكْمُ لِلْأَيَّامِ مَرْجُومُهُ * فِيمَا رَأَيْتَ فَنَمَ وَلَا تَسْلِي^(١)
 وَكَذَا طُهَاءُ الرَّأْيِ تَذَرُّهُ * لِلدَّهْرِ يُنْضِجُهُ عَلَى مَهْلِ
 فَإِذَا أَصَبْتَ فَأَنْتَ خَيْرُ فَنَى * وَضَعَ الدُّوَاءَ مَوَاضِعَ الْعِلَلِ
 أَوَّلًا ، فَحَسْبُكَ مَا شَرُفَتْ بِهِ * وَتَرَكْتَ فِي دُنْيَاكَ مِنْ عَمَلِ^(٢)
 وَأَمَّا عَلَى دَارِ مَرَرْتُ بِهَا * قَفَرًا وَكَأَنَّ مُلْتَقَى السَّبِيلِ^(٣)
 أَرَخَصْتُ فِيهَا كُلَّ غَالِيَةٍ * وَذَكَرْتُ فِيهَا وَقْفَةَ الْطَّلَلِ^(٤)
 سَاءَ لُتْنُهَا عَنْ (قَاسِمٍ) فَأَبَتْ * رَدَّ الْجَوَابِ فُرَحْتُ فِي خَبَلِ^(٥)
 مُتَعَذِّرًا يَتَّابُنِي وَهْنٌ * مُتَرَجِّحًا كَالشَّارِبِ الثِّمَلِ^(٦)
 مُتَذَكِّرًا يَوْمَ (الإمام) بِهِ * يَوْمَ أَتُوتُ بِذَلِكَ الْبَطْلِ^(٧)
 يَوْمَ أَحْتَسِبْتُ - وَكُنْتُ ذَا أَمَلٍ - * تَحْتَ التَّرَابِ بَقِيَّةَ الْأَمَلِ
 جَاوِزًا حُبَّتَكَ الْأَلَى ذَهَبُوا * بِالْعَزْمِ وَالْإِقْدَامِ وَالْعَمَلِ^(٨)
 وَأَذْكُرْ لَهُمْ حَاجَ الْبِلَادِ إِلَى * تِلْكَ النُّهَى فِي الْحَادِثِ الْجَلَلِ

- (١) شبه في هذا البيت صاحب الرأي يرسله في الناس ويركه ينفذ الى عقولهم شيئا فشيئا حتى يثبت ، بظاهي الطعام الذي يضعه على النار تنضجه شيئا فشيئا حتى يتم نضجه ، وبصير صا لحالتناوله .
- (٢) يريد « بالدار » دار الفقيد . وملق السبل ، أى جمع الواقدين من كل طريق . ونصب « قفرا » على الحال .
- (٣) الغالية ، أى الدمة الغالية التى لا تسيل إلا فى أشد المصائب . والطلل (بالتحريك) : الشاخص من آثار الدار .
- (٤) الخبل : الجنون . (٥) الوهن : الضعف . والمترج : المتمايل سكرًا . والنشوان : (٦) الإمام ، هو المرحوم الشيخ محمد عبده . ويوم اتتويت به ، أى يوم رمانى فيه الزمان وقصدنى بمكروهه .
- (٧) احتسبه : قدبه واعتده فيما يدخر عند الله .
- (٨) الحاج : جمع حاجة .

قل (للإمام) إذا التقيت به • في الجحسين باسحرم السؤل:
 إن الحقيقة أصبغت هدفا • للراكين مراكب الزل
 لله آثار لكم خلدت • صاح الزوال بها فلم تزل^(١)
 لله أيام لكم درجت • طالت غوارفها ولم تغل^(٢)
 نعم الظلال لو أنها بقيت • أو أن ظلا غير متفصل

ذكرى مصطفى كامل باشا

أنشدها في المنفل الذي أقيم منديله لإحياء ذكره الأول

[نشرت في ١٢ فبراير سنة ١٩٠٩ م]

طوفوا بأركان هذا القبر واستلموا • وأفضوا هنا لك ما تقضى به الذم^(٣)
 هنا جنات تعالى الله بآرثه • ضاقت بآماله الأقدار والهمم
 هنا قم وبنان لآح بينهما • في الشرق فجر تهي ضوء الأمم
 هنا قم وبنات طالما نثرا • نثرا يسير به الأمثال والجسم
 هنا الكي الذي شادته هزائمهم • لطالب الحق ركننا ليس ينهيم^(٤)
 هنا الشهيد، هنا رب اللواء، هنا • حامي الدمار، هنا الشهم الذي صلبوا^(٥)

(١) درجت: مضت وذهبت • والوراث: جمع عارثة، وهي العطية، المعروف، طاعة بمعنى مفعولة،

(٢) استلم القبر: قبله أو لمسه بيده • (٣) الكي: النجاس • (٤) اللواء:

الصيغة التي كان يصدرها الفقيه، والدمار: كل ما يلزمك حفظه وحمايته والدفاع عنه •

يَا أَيُّهَا النَّائِمُ الْهَانِي بِمَضْجَعِهِ * لِيَهْنِكَ النَّوْمُ لَا هَمٌّ وَلَا سَقَمٌ
 بَاتَتْ تُسَائِلُنَا فِي كُلِّ نَازِلَةٍ * عَنْكَ الْمَنَابِرُ وَالْقُرَطَاسُ وَالْقَلَمُ
 تَرَكْتَ فِيْنَا فَرَاغًا لَيْسَ يَشْغَلُهُ * إِلَّا أَيْ ذِكْرُ الْقَلْبِ مُضْطَرِمٌ
 مُنْقَرُ النَّوْمِ سَبَاقٌ لِغَايَتِهِ * آثَارُهُ عَمَمٌ أَمَالُهُ أَمَمٌ
 إِنِّي أَرَى وَفُؤَادِي لَيْسَ يَكْذِبُنِي * رُوحًا يَحْفُ بِهَا الْإِبْكَارُ وَالْعِظَمُ
 أَرَى جَلَالًا، أَرَى نُورًا، أَرَى مَلَكًا * أَرَى نُحْيَا يُحْيِينَا وَيَتَنَسِّمُ
 اللَّهُ أَكْبَرُ، هَذَا الْوَجْهُ أَعْرِفُهُ * هَذَا قَتَى النَّيْلِ هَذَا الْمُفْرَدُ الْعَلَمُ
 غُضُّوا الْعُيُونَ وَحَيُّوهُ تَحِيَّتَهُ * مِنْ الْقُلُوبِ إِذَا لَمْ تُسْعِدِ الْكَلِمُ
 وَأَقْسِمُوا أَنْ تَذُودُوا عَنْ مَبَادِيهِ * فَتَحْنُ فِي مَوْقِفٍ يَحْلُوبُهُ الْقَسَمُ
 لَيْلِكَ نَحْنُ الْأَلَى حَرَكْتَ أَنْفُسَهُمْ * لَمَّا سَكَنتَ وَلَمَّا غَالَكَ الْعَدَمُ
 جِئْنَا نُوَدِّي حِسَابًا عَنْ مَوَاقِفِنَا * وَنُسْتَعِذُّ وَنُسْتَعِدِّي وَنَحْتَكِمُ
 قِيلَ اسْكُتُوا فَسَكَّتْنَا ثُمَّ أَنْطَقْنَا * عَسْفُ الْجُفَاةِ وَأَعْلَى صَوْتِنَا الْأَلَمُ
 قَدْ أَتَيْنَا وَلَمَّا نَطْلُبُ جَلَالًا * إِنَّ الضَّعِيفَ عَلَى الْحَالَيْنِ مُتَّهِمٌ

(١) مضطرم، أى مشتمل غيره وحمية . (٢) منقر النوم : مسهد . وعمم، أى عامة شاملة .

(٣) المحيا : الوجه . (٤) أسعده : أعانه .

(٥) تذودوا : تدفوا . (٦) غاله : أهلكه .

(٧) نستمد : نطلب المدد، أى المعونة . ونستعدي : نستنصر .

(٨) العسف : الظلم . ويريد «بالجفاة» : المحتلين . (٩) اطلب : طلب . والجلل :

قالوا : لقد ظلموا بالحق أنفسهم * والله يعلم أن الظالمين هم
 (١)
 إذا سكثنا تاجوا ، تلك عادتهم * وإن نطقنا تنادوا : فتنة هم
 (٢)
 قد مر عامنا والأمر يجرئنا * أننا وآونة تشابنا النقم
 (٣)
 فالناس في شدة والدهر في كلب * والعيش قد حار فيه الحاذق الفهم
 (٤)
 وللسياسة فينا كل آونة * لون جديد وعهد ليس يحترم
 (٥)
 بيتنا نرى جمرها تخشى ملاسيه * إذا به عند لمس المصطلي فحم
 (٦)
 تصبني لأصواتنا طورا لتخدعنا * وتارة يزدهيها الكبر والصمم
 (٧)
 فمن ملاينة أستارها خدع * إلى مصالبة أستارها وهم
 (٨)
 ماذا يريدون ؟ لا قرت عيونهم * إن الكفانة لا يطوى لها علم
 (٩)
 كم أمة رغبنا فيها لما رتمت * لها - على حولها - في أرضها قدم
 (١٠)
 ما كان ربك رب البيت تاركها * وهي التي ببحال منه تعصم
 (١١)
 لييك إنا على ما كنت تعهده * حتى تسود وحتى تشهد الأمم
 (١٢)
 فيعلم النيل أنا خير من وردوا * ويستطيل آخيا لا ذلك ألهم

(١) تاجوا : تساروا .

(٢) حزم الأمر : اشتد عليه وضغطه .

(٣) كلب الدهر (بالتحريك) شدة وإلحاحه بما يسوء . (٤) يريد بهذا البيت : أن للسياسة

أحوالا مختلفة لحينا تكون نارا حامية ، وحينا فحمة باردة . (٥) الوهم (بكون الماء) ،

معروف . وحركة الشاعر للضرورة . (٦) رتمت : ثبتت . والحول : القوة .

(٧) البيت : الكعبة .

(١) هذا الغراس الذى واليت منيته * بنحير ما والت الاضواء والنسم
 اُمتسى واضحى وعين الله تحرسه * حتى نما وحلاه المجىء والشمم
 (٢) فانظر اليه وقد طالبت بواسقه * تنابها ولائف الحاسد الرغم
 يايتها النشء سيروا في طريقته * وثابروا، رضى الأعداء أو تقموا
 (٣) فكلكم (مُصطفى) لو سار سيرته * وكلكم (كامل) لو جازه السام
 (٤) قد كان لا وانيا يوما ولا وكلا * يستقبل الخطب بساما ويقتحم
 (٥) وانت يا قبر قد جئنا على ظملا * فخذ لنا بجواب، جادك الديم
 (٦) أين الشباب الذى أودعت نضرته * أين الحلال - رعاك الله - والشيم؟
 (٧) وما صنعت بآمال لنا طويت * يا قبر فيك وعنى رسمها القدم؟
 (٨) ألا جواب يروى من جوائحننا * ما للقبور اذا ما نوديت نجيم؟
 ثم أنت، يكفيك ما عانيت من تعب * فنحن في يقظة والشمل ملتئم
 هذا (لواؤك) خفاق يظللنا * وذاك شخصك في الأجداد مرثيم

- (١) واليت منيته، أى لم تقطع عن تهده . والنسم (حركة) والنسيم : (كلاهما) نفس الريح؛ وقيل : النسم أول هبوبها . « بنحير ما والت » الخ، أى بأحسن ما تمتد الشمس والنسيم حياة النبات .
 (٢) البواسق : ما طال وارتفع من الأشجار . والرغم (بالسكون، وحرك وسطه الضرورة) : التراب .
 ولائفه الرغم : كناية عن الذلة والمهانة . (٣) جازه : جاززه . (٤) الوكل (حركة) : العاجز الذى بكل أمره إلى غيره . (٥) الديم : جمع ديمة، وهى السحابة التى يدوم مطرها فى سكون بلا رعد ولا برق؛ ويقال : جادته الديم، إذا أصابه بغير ماؤها . وهو كناية عن الدعاء بالخير والنعيم .
 (٦) الحلال : الخصال . (٧) الرسم : ما بقى من آثار الديار . وعفاه القدم : نحاه وطمس آثاره
 (٨) وجم يجم : سكنت عن الكلام وبجز من كثرة الهم .

(١)
رثاء تولستوى

[نشرت في نوفمبر سنة ١٩١٠ م]

(٢)
رثاك أمير الشعر في الشرق وأنبرى * لمذكك من كتاب مضر كبير
ولست أبالي حين أرثيك بعده * إذا قيل عني قد رثاه صغير
فقد كنت عوناً للضعيف وإننى * ضعيف ومالي في الحياة نصير
ولست أبالي حين أبكيك للورى * حوتك جنان أم حواك سعيير
فلانى أحب النايغين لعلمهم * وأعشق روض الفكر وهو نصير
دعوت الى عيسى فضججت كائس * وهز لها عرش وماد سسير
وقال أناس إنه قول ملحيد * وقال أناس إنه لبشير

(١) ولد تولستوى الفيلسوف الرومى المشهور في ٢٨ أغسطس سنة ١٨٢٨ م . وقد عاش في أملاكه يزرعها ويقسم مائغله بينه وبين فلاحيه ، ثم وزعها بينهم على الرغم من معارضة ذويه له . ومن كتبه : (الحرب والسلام) و(أين المخرج) . وله من الروايات المشهورة : (البعث) و(القيامة) . واتهم في آخر حياته بالخروج على الكنيسة ، فحكمت بكفره ، وكانت وفاته في ٢١ نوفمبر سنة ١٩١٠ م .

(٢) يريد « بأمير الشعر » : المرحوم أحمد شوقى بك ، وله في رثاء تولستوى قصيدة مطلعها :

« تلستو » تجرى آية العلم دمعها * عليك ويبكى بئس وفقير

ويريد « بالكاتب الكبير » : الأستاذ أحمد لطفى السيد وقد رثى تولستوى بكلمة صدر بها الجريدة ، وعنوانها : (مات الرجل) نشرت في ٢٤ نوفمبر سنة ١٩١٠ م .

(٣) « حوتك جنان » الخ ، أى أنه لا يبالى حين يرثيه أكان الفقيده مؤمناً أم كافراً .

(٤) ماد : اضطرب .

(١) وَلَوْلَا حُطَامٌ رَدَّ عَنْكَ بِكَادِهِمْ * لَضَيَّقَتْ بِهِ ذَرْعًا وَمَاءَ مَصِيرٍ
 وَلَكِنْ حَمَاكَ الْعِلْمُ وَالرَّأْيُ وَالْجَمَا * وَمَالٌ - إِذَا جَدَّ التَّرَالُ - وَفِيرٍ
 إِذَا زُرْتَ رَهْنَ الْمُحْبَسِينَ بِمُخْفَرَةٍ * بِهَا الزُّهْدُ نَارُ وَالذِّكَا سَتِيرٍ
 وَأَبْصَرْتَ أَنْسَ الزُّهْدِ فِي وَحْشَةِ الْبَلَى * وَشَاهَدْتَ وَجَهَ الشَّيْخِ وَهُوَ مُنِيرٍ
 وَأَيَقَنْتَ أَنَّ الدِّينَ لِلَّهِ وَحْدَهُ * وَإِنْ قُبُورَ الزَّاهِدِينَ قُصُورٍ
 فَقِفْ ثُمَّ سَلِّمْ وَاحْتَشِمْ إِنْ شَيْخَنَا * مَهِيْبٌ عَلَى رَغَمِ الْفَنَاءِ وَقُورٍ
 وَسَائِلُهُ عَمَّا غَابَ عَنْكَ فَإِنَّهُ * عَلِيمٌ بِأَسْرَارِ الْحَيَاةِ بِصِيرٍ
 يُخَبِّرُكَ الْأَعْمَى وَإِنْ كُنْتَ مُبْصِرًا * بِمَا لَمْ تُخْبَرْ أَحَرَفٌ وَمُسْطُورٍ
 كَأَنِّي بَسَمْعِ الْغَيْبِ أَسْمَعُ كُلَّ مَا * يُجِيبُ بِهِ أَسْنَادُنَا وَيُجِيرُ
 يُنَايِكَ : أَهْلًا بِالَّذِي عَاشَ عَيْشَنَا * وَمَاتَ وَلَمْ يَدْرَجْ إِلَيْهِ غُرُورٍ
 قَضَيْتَ حَيَاةً مِلْؤُهَا الْبِرُّ وَالتَّقَى * فَأَنْتَ بِأَجْرِ الْمُتَّقِينَ جَدِيرٍ
 وَسَمُوكَ فِيهِمْ فَيَلْسُوفًا وَأَمْسَكُوا * وَمَا أَنْتَ إِلَّا مُحْسِنٌ وَمُجِيرُ
 وَمَا أَنْتَ إِلَّا زَاهِدٌ صَاحَ صَبِيحَةٍ * يَرِنُ صَوْدَاهَا سَاعَةً وَيَطِيرُ

(١) الحطام : المال . والكباد : المكيدة . يشير الى ثروة تولستوى التى كان يملكها ثم نزل منها بعد وفاتها بين الفقراء . وقد ذكر ذلك فى ترجمته . (٢) رهن الحبسين ، هو أبو العلاء المعزى ، سمى نفسه به ، وكان لزم بيته فلم يخرج منه مطلقا ، فأراد بأحد الحبسين : البيت . وبالأخر : العمى . ونار : مقيم . وستير ، يريد أنه مستور ، بمعنى مدفون . (٣) يريد « بالشيوخ » : أبا العلاء . (٤) الاحتشام : الحياء . (٥) أطار الجواب يحيره : رده . (٦) عيشنا ، أى عيش الزاهدين . ويدرج : يمشى .

(١) سَلَوْتَ عَنِ الدُّنْيَا وَلَكِنَّهُمْ صَبَّوْا * إِلَيْهَا بِمَا تُعْطِيهِمْ وَتَمْسِيرُ
 حَيَاةُ الْوَرَى حَرْبٌ وَأَنْتَ تُرِيدُهَا * سَلَامًا وَأَسْبَابُ الْكِفَاحِ كَثِيرُ
 أَبَتْ سُنَّةُ الْعُمَرَانِ إِلَّا تَتَّحَرَّأَ * وَكَذْحًا وَلَبَّوْا أَنَّ الْبَقَاءَ يَسِيرُ
 تُحَاوِلُ رَفَعَ الشَّرِّ وَالشَّرُّ وَاقِعٌ * وَتَطْلُبُ مُحَضَّ الْخَيْرِ وَهُوَ عَسِيرُ
 وَلَوْلَا امْتِرَاجُ الشَّرِّ بِالْخَيْرِ لَمْ يَقُمْ * دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْإِلَهَ قَدِيرُ
 وَلَمْ يَبْعَثِ اللَّهُ النَّبِيَّ لِلْهُدَى * وَلَمْ يَتَطَّلِعْ لِلْسَّرِيرِ أَمِيرُ
 وَلَمْ يَعْشَقِ الْعَلِيَاءَ حُرٌّ وَلَمْ يَسُدْ * كَرِيمٌ وَلَمْ يَرْجُ الْبِرَّاءَ فَقِيرُ
 (٢) وَلَوْ كَانَ فِينَا الْخَيْرُ مُحَضًّا لَمَادَعَا * إِلَى اللَّهِ دَاعٍ أَوْ تَبَلَّجَ نُورُ
 وَلَا قِيلَ هَذَا فَيَلْسُوفُ مَوْقُوقٌ * وَلَا قِيلَ هَذَا عَالِمٌ وَخَيْرُ
 (٣) فَكَمْ فِي طَرِيقِ الشَّرِّ خَيْرٌ وَنِعْمَةٌ * وَكَمْ فِي طَرِيقِ الطَّيِّبَاتِ شُرُورُ
 (٤) أَلَمْ تَرَ أَنِّي قُتِلْتُ قَبْلَكَ دَاعِيًا * إِلَى الزُّهْدِ لَا يَأْوِي إِلَى ظَهِيرِ
 (٥) أَطَاعُوا (أَبِيْقُورًا) وَ(سُقْرَاطَ) قَبْلَهُ * وَخُولِفْتُ فِيمَا أُرْتَبَى وَأُشِيرُ

(١) صبا : مال وحن . وتميرهم : تأتيمهم بالميرة ، وهي الطعام .

(٢) تبليج ، أشرق . (٣) يلاحظ أن الرفع في قوله « شرور » آخر البيت لضرورة حركة

الروى ، وإلا فالوجه نصبه على الأرجح ، الفصل بينه وبين « كم » الخبرية بـ « شرور » : أوجره ، على

مذهب بعض النحويين . (٤) الظهير : المعين . (٥) ولد أبيقور الفيلسوف الإغريقي

سنة ٣٤٢ ق م في جزيرة ساموس ، وأسس في أثينا مدرسة في حديقته منزله . وتوفي سنة ٢٧٠ ق م . واشتهر

بدعوته إلى طلب اللذات في الحياة ، وأخطأ الناس ففهموا من فلسفته الإباحية المطلقة . وسقراط :

فيلسوف يوناني معروف ، عاش من سنة ٤٦٨ ق م إلى سنة ٤٠٠ ق م . ولم يعرف مذهبه في اللذة

بالضبط ؛ من أجل ذلك وجدت مذاهب مختلفة بعده تنسب إليه ، منها مذهب اللذة .

(١) ومِتُّ مَاتَ عِ طَامِعٍ * عليها ولا أَلْقَى الْقِيَادَ ضَمِيرُ
 إِذَا هُ تَ لِلظُّلَمِ زُرُّ تَشَيَّتْ * له فَوْقَ أَكْتَافِ الْكَوَاكِبِ دُورُ
 أَفَاضَ نَا فِي النَّصِيحَةِ جَاهِدًا * ومَاتَ كِلَانَا وَالْقُلُوبُ صُخُورُ
 (٢) فَكَمْ قِيلَ عَنْ كَهْفِ الْمَسَاكِينِ بَاطِلٌ * وَكَمْ قِيلَ عَنْ شَيْخِ (الْمَعْرَةِ) زُورُ
 (٣) وَمَا صَدَّ عَنْ فِعْلِ الْأَذَى قَوْلُ مُرْسَلٍ * وَمَا رَاعَ مَقْتُونَ الْحَيَاةَ نَذِيرُ

رثاء رياض باشا^(٤)

أنشدها على قبره في حفل الأربعين

[نشرت في ٢٩ يولييه سنة ١٩١١ م]

(٥) (رياضُ) أَفِقْ مِنْ غَمْرَةِ الْمَوْتِ وَاسْتَمِعْ * حَدِيثَ الْوَرَى عَنْ طَيْبٍ مَا كُنْتَ تَصْنَعُ
 أَفِقْ وَاسْتَمِعْ مِنِّي رِثَاءَ جَمْعَتِهِ * تُشَارِكُنِي فِيهِ الْبَرِيَّةُ أَجْمَعُ
 لَتَعْلَمَ مَا تَطْوِي الصُّدُورُ مِنَ الْأَسَى * وَتَنْظُرَ مَقْرُوحَ الْحَشَا كَيْفَ يَحْزَعُ

(١) عليها ، أى على الأرض . وإلقاء القياد : كناية عن الإذعان والطاعة . والقياد بالكسر :
 الحيل يقاد به .

(٢) كهف المساكين : ملجؤهم . ويريد به هنا : تولستوى . وشيخ المعزة ، هو أبو العلاء المعرى
 السابق ذكره . ويريد بهذا البيت . أن كلا الرجلين قد اتهم بما ليس فيه ، ورماء الناس في عقيدته
 ومذهبه بما هو برى منه . (٣) راعه : أفزعه . والمفتون : المخدوع .

(٤) كان رياض باشا من رجال عباس باشا الأول ، وتولى عدة مناصب عالية في عهد إسماعيل
 وتوفيق وعباس الثاني ، وأسندت إليه رئاسة مجلس النظار ثلاث مرات ، وزك الحكم في ١٤ أبريل
 سنة ١٨٩٤ م ، وتوفي بالأسكندرية في ١٧ يونيو سنة ١٩١١ وكان معروفا بالعدل والشدة في تنفيذ
 الأحكام ، وكانت له أياد بيضاء في تنظيم شؤون الداخلية . (٥) الغمرة : الشدة .

لئن تَكُ قد عُمِّرْتَ دَهْرًا لَقَدْ بَكَى * عَلَيْكَ مَعَ الْبَاكِ خَلَاتُكُ أَرْبَعُ :
 مَضَاءُ وَإِقْدَامُ وَحَزْمٌ وَعَزْمَةٌ * ^(١) مِنَ الصَّارِمِ الْمَصْقُولِ أَمْضَى وَأَقْطَعُ
 رُحِمَتْ ، فَمَا جَاءَ يُنَوِّهُ فِي الْعُلَا * ^(٢) بِصَاحِبِهِ إِلَّا وَجَاهُكَ أَوْسَعُ
 وَلَا قَامَ فِي أَيَّامِكَ الْيَبِضُ مَا جَدُّ * يُنَازِعُكَ الْبَابَ الَّذِي كُنْتَ تَقْرَعُ ^(٣)
 إِذَا قِيلَ : مَنْ لِلرَّأْيِ فِي الشَّرْقِ أَوَّمَاتُ * إِلَى رَأْيِكَ الْأَعْلَى مِنَ الْغَرْبِ اصْبِعُ
 وَإِنْ طَلَعَتْ فِي (مِصْرَ) شَمْسٌ نَبَاهَةٌ * ^(٤) فَمِنْ بَيْتِكَ الْمَعْمُورِ تَبْدُو وَتَطْلُعُ
 حَكَمْتَ فَمَا حَكَمْتَ فِي قَصْدِكَ الْهَوَى * ^(٥) طَرِيقُكَ فِي الْإِنْصَافِ وَالْعَدْلِ مَهِيْعُ
 وَقَدْ كُنْتَ ذَا بَطِيشٍ وَلَكِنْ تَحْتَهُ * ^(٦) نَزَاهَةٌ نَفِيسٌ فِي سَبِيلِكَ تَشْفَعُ
 وَقَفْتَ (لِإِسْمَاعِيلَ) وَالْأَمْرُ أَمْرُهُ * ^(٧) وَفِي كَفِّهِ سَيْفٌ مِنْ الْبَطِيشِ يَلْمَعُ
 إِذَا صَاحَ لَبَّاهُ الْقَضَاءُ وَأَسْرَعَتْ * إِلَى بَابِهِ الْأَيَّامُ ، وَالنَّاسُ خُشَعُ
 يُذِلُّ - إِذَا شَاءَ - الْعَزِيزَ وَتَرْثِي * ^(٧) إِرَادَتُهُ رَفَعَ الذَّلِيلَ فَيُرْفَعُ
 فِي كَرَّةٍ مِنْ لَحْظِهِ وَهُوَ حَاسٍ * تُدْكُ جِبَالٌ لَمْ تَكُنْ تَتَزَعَزَعُ

(١) الصارم المصقول : السيف المجلج . (٢) تنوّه به : رفع ذكره .

(٣) أرمات : أشارت . (٤) المهيع من الطريق : البين الواضح .

(٥) يقول : إن ابتعاد الفقيه عما يدنس أرباب الحكم من المظالم كان يشفع له عند الناس

إذا أخذهم بالقسوة والعنف في تنفيذ الأحكام . (٦) يشير إلى معارضته (إسماعيل باشا)

الحدادي عند ما أراد نفي (إسماعيل باشا صديق) ، وكان رياض باشا الرجل الوحيد الذي عارض

في هذا النفي ، وطلب محاكمته علناً ليعلم جرمه .

(٧) تدك : تهدم .

(١) وفي كَرَّةٍ مِنْ لَحْظِهِ وَهُوَ بِاسْمٍ * تَسِيلُ بِحَارٍ بِالْعَطَاءِ قَتْمِرُ
 (٢) فَمَا أَغْلَبُ شَاكِيَ الْعَزِيمَةِ أَرْوَعُ * يُصَارِعُهُ فِي الْغَابِ أَغْلَبُ أَرْوَعُ
 (٣) بِأَجْرًا مِنْ ذَاكَ الْوَزِيرِ مُصَادِمًا * إِرَادَةَ (إِسْمَاعِيلَ) وَالْمَوْتُ يُسْمَعُ
 (٤) وَفِي الثَّوَرَةِ الْكُبْرَى وَقَدْ أَحْدَقَتْ بِنَا * صُرُوفُ اللَّيَالِي وَالْمَنِيَّةُ مَشْرَعُ
 (٥) نَظَرْتُ إِلَى (مِصْرٍ) فَسَاءَكَ أَنْ تَرَى * حُلَاهَا بِأَيْدِي الْمُسْتَطِيلِينَ تَنْزَعُ
 (٦) وَلَمْ تَسْتَطِعْ صَبْرًا عَلَى هَتِكِ خَدْرِهَا * فَفَارَقَتْهَا أَسْوَانُ وَالْقَلْبُ مُوجَعُ
 (٧) وَعُدْتَ إِلَيْهَا حِينَ نَادَاكَ نِيلُهَا : * أَقْلَ عَثَرَتِي فَالْقَوْمُ فِي الظُّلْمِ أَبْدَعُوا
 (٨) فَكُنْتَ (أَبَا مُحَمَّدٍ) غَوًّا وَعِصْمَةً * إِلَيْكَ دُعَاءُ الْحَقِّ تَأْوِي وَتَفْزَعُ
 (٩) وَكَمْ نَابِغٍ فِي أَرْضِ (مِصْرٍ) حَمِيَّتِهِ * وَمِثْلُكَ مَنْ يَحْيِي الْكَرِيمَ وَيَمْنَعُ

- (١) تمرع، أى تفيض بالحب والخير . (٢) الأغلب : الأسد ، لفظ رقبته . وشاكى العزيمة ، أى ذو شوكة وحدة في عزمته . والأروع : من يعجبك بشجاعته . (٣) والموت يسمع : كناية عن قرب . (٤) أحدقت بنا : أحاطت . وصروف الليالي : نوائها . والمشرع : المورِد . (٥) المستطيلون : المتجبرون . (٦) الأسوان : الحزين . (٧) العثرة : الكبوّة والزلة . وإقالتها : إنهاض صاحبها والأخذ بيده . يشير بهذا البيت والأبيات الثلاثة قبله : إلى هجرة الفقيد من مصر إلى أوروبا ، عند ما ثار الضباط في عهد إسماعيل في ١٨ فبراير سنة ١٨٧٩ م ، لأن ناظر المالية إذ ذاك السير (ريفريس ولس) رأى أن يفت ٢٥٠٠ ضابط على سبيل الاقتصاد من غير أن يدفع لهم المتأخر من مرتباتهم ، فظاهره أمام نظارة المالية ، وأوسعوا نوبار باشا رئيس النظارة (ولس) لكما وضربا ، وكادوا ينالون من الفقيد ، وكان وزيرا للداخلية في هذه الوزارة ؛ وقد بقى الفقيد في أوروبا حتى دعاه المنفور له توفيق باشا لتولى رئاسة النظارة ، فعاد إلى مصر في ٣ سبتمبر سنة ١٨٧٩ م . (٨) منع الشاعر (محمودا) من الصرف لضرورة الشعر . (٩) يشير بقوله « وكَمْ نابغ » والأبيات الأربعة الآتية بعد : إلى ترحيب الفقيد وتعضيده للسيد جمال الدين الأفغانى حينما ترك الأستانة إلى مصر سنة ١٨٧١ وإلى ما كانت تمدّه به حكومة رياض من مساعدة مالية ، ذلك إلى أنها رخصت له في إلقاء محاضرات في الأزهر لينشر آراءه ويستفيد الناس من علمه .

رَعَيْتَ (بِجَمَالِ الدِّينِ) ثُمَّ اصْطَفَيْتَهُ * فَأَصْبَحَ فِي أَفْيَاءِ جَاهِكَ يَرْتَعُ^(١)
 وَقَدْ كَانَتْ فِي دَارِ الْخِلَافَةِ ثَاوِيًا * وَفِي صَدْرِهِ كَثْرٌ مِنَ الْعِلْمِ مُودِعُ^(٢)
 فَجِئْتَ بِهِ وَالنَّاسُ قَدْ طَالَ شَوْقُهُمْ * إِلَى الْمَعْيِ بِالْبَرَاهِينِ يَصْنَدِعُ^(٣)
 فَحَرَّكَ مِنْ أَفْهَامِهِمْ وَعُقُولِهِمْ * وَعَاوَدَهُمْ ذَاكَ الذِّكَاؤُ الْمُضْصِيعُ^(٤)
 وَوَلَّيْتَ تَحْرِيرَ الْوَقَائِعِ (عَبْدَهُ) * بِخَاءَ بِمَا يَشْفِي الْغَلِيلَ وَيَنْقَعُ^(٥)
 وَكَانَتْ لِرَبِّ النَّاسِ فِيهِ مَشِيئَةٌ * فَأَمَسَتْ إِلَيْهِ النَّاسُ فِي الْحَقِّ تَرْجِعُ^(٦)
 وَجَاءُوا (بِابْرَاهِيمَ) فِي الْقَيْدِ رَاسِفًا * عَلَيْهِ مِنَ الْإِمْلَاقِ ثَوْبٌ مُرْقِعُ^(٧)
 فَأَلْفَيْتَ مِلءَ الثَّوْبِ نَفْسًا طَمُوحَةً * إِلَى الْجَبَدِ مِنْ أَطْهَارِهَا تَطْلُعُ^(٨)
 فَأَطْلَقْتَهُ مِنْ قَيْدِهِ وَأَقْلَتَهُ * وَمَا كَانَ فِي تِلْكَ السَّعَادَةِ يَطْمَعُ
 وَكَمْ لَكَ فِي (مَصِيرِ) وَفِي (الشَّأْمِ) مِنْ يَدٍ * لَهَا أَيْنَ حَلَّتْ نَفْحَةٌ تَنْضَوُّغُ^(٩)

(١) الأفياء : الظلال ؛ الواحد في .

(٢) ثاويًا : مقبلاً .

(٣) الأملئ : الذكي المتوقد . ويصنع بالبراهين : يجهر بها . (٤) عبده ، أى الشيخ محمد عبده ، وكان رياض باشا قد عهد إليه في سنة ١٨٨٠ م بالإشراف على تحرير الوقائع المصرية حيث خصص فيها قسم للحركة الأدبية والعمرانية . والغليل : شدة العطش . ونقعه : إرواؤه .

(٥) أى وكانت لله مشيئة في أن يكون الشيخ محمد عبده عظيم القدر ، موثلاً للفق .

(٦) يريد بابراهيم : ابراهيم الحلباوى بك المحامى المعروف . ويشير بهذا البيت والبيتين اللذين بعده إلى ما كان من طعن الحلباوى على الحكومة والمجىء به منهما أمام رياض باشا ، فأفس منه رياض ماسر به ففعا عنه ، وتولاه برعايته . (٧) نفساً طموحة ، أى مستشرقة إلى معالى الأمور ، متطلعة إليها . والمسموع ، طموح ، بلا تاء في آخره ، للذكر والمؤنث . والأطهار : الخلق من الثياب ؛ الواحد طمر (بالكسر) . (٨) تنضوغ : تتشر رائحتها .

(١) رَفَعَتْ عَنِ الْفَلَاحِ عِبَاءَ ضَرِيَّةٍ * يَنْوُءُ بِهَا أَيَّامَ لَا غَوْتَ يَنْفَعُ
 (٢) وَأَرْهَبَتْ حُكَّامَ الْأَقَالِيمِ فَأَرَعَوْا * وَكَانُوا أَنَاسًا فِي الْجَهَالَةِ أَوْضَعُوا
 (٣) نَخَافُوكَ حَتَّى لَوْ تَنَاجَوْا بِنَجْوَةٍ * لَخَالُوا (رِيَاضًا) فَوْقَهُمْ يَتَسَمَعُ
 (٤) أَقَمَتْ عَلَيْهِمْ زَاجِرًا مِنْ نُفُوسِهِمْ * إِذَا سَأَلْتِ أَمْرًا لَهُمْ قَامَ يَرُدُّ
 (٥) سَلِ النَّاسَ أَيَّامَ الرِّشَا مُسْتَفِيزَةً * وَأَيَّامَ لَا تَجْنِي الْبَذَى أَنْتَ تَزْرَعُ
 أَكَلَتْ (رِيَاضُ) عَنْهُمْ غَيْرَ غَافِلٍ * يَرُدُّ الْأَذَى عَنْ أَهْلِ (مِصْرَ) وَيُدْفَعُ
 (٦) (مُؤْتَمَرِ الْإِصْلَاحِ) وَالْعُرْفِ، قَدَمَضَى * (رِيَاضُ) وَأَوْدَى الْوَازِعُ الْمُتَوَرِّعُ
 (٧) وَكَانَ عَلَى كُرْسِيِّهِ خَيْرَ جَالِسٍ * لَهَيْبَتِهِ تَعْنُو الْوُجُوهُ وَتَحْشَعُ
 (٨) فَيَا وَيْلَنَا إِنْ لَمْ تَسُدُّوا مَكَانَهُ * بِذِي مِرَّةٍ فِي الْخَطْبِ لَا يَتَضَعُّعُ

(١) العبء : الحمل . وينوء بها : لم يستطع حملها والنهوض بها . والغوث : المعين والناصر .
 ويشير إلى الغاء رياض باشا بعض الضرائب ، وكان مجموع ما ألغى منها أربعة وعشرين ضريبة ، منها
 عوائد الجمارك الداخلية التي كان يتضجر منها الفلاحون ، والضريبة الشخصية ، وضريبة الوزن .

(٢) ارعوى : كف وانتهى . وأوضعوا في الجهالة ، أي انغمسوا فيها واسترسلوا .

(٣) تناجوا : تشاروا . والنجوة : ما ارتفع من الأرض . يريد المكان البعيد عن الرقباء .

(٤) يردع : يزجر .

(٥) الرشا : جمع رشوة (بتقليد الراء) ، وهي معروفة « وأيام لا تجنى » الخ ، أي أيام كان يحرم

العامل ثمره عمله . (٦) يشير إلى أثر الفقيد في مؤتمر الإصلاح الذي انعقد في سنة ١٩١١ م ،

وتوالت جلساته خمسة أيام . وكان لهذا المؤتمر غرضان : أولهما النظر في حال المسلمين الاقتصادية

والاجتماعية والأدبية . والثاني الرد على مطالب الأقباط التي طلبوها في مؤتمرهم المنعقد بأسبوط قبل ذلك

في ٦ مارس من السنة المذكورة . وكان الفقيد رئيسا لهذا المؤتمر الإسلامي ، أو المؤتمر المصري . وأودى :

ذلك . والوازع : الزاجر . والمتورع : المتخرج . (٧) تعنو : تذل وتخضع .

(٨) المزة : القوة والعزيمة .

بَعِيدَ مَرَامِ الْفِكْرِ أَمَا جَنَانُهُ * فَسَرَحْتُ ، وَأَمَّا عِزُّهُ فَمَمْنَعُ^(١)
 قِيَانَا صِرَ الْمُسْتَضْعِفِينَ إِذَا عَدَا * عَلَيْهِمْ زَمَانٌ بِالْعَدَاوَةِ مُوَلَّعُ^(٢)
 عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ مَا قَامَ يَتَنَنَّا * وَزِيرٌ عَلَى دَسْتِ الْعُلَا يَتَرَبَّعُ^(٣)

رثاء الشيخ على يوسف صاحب المؤيد^(٤)

أنشدهما في الحفل الذي أقيم لتأبينه بمنزل السادات

[نشرت في ٥ ديسمبر سنة ١٩١٣ م]

صُوتُوا يَرَاعَ (مَلِيٌّ) فِي مَتَاحِفِكُمْ * وَشَاوَرُوهُ لَدَى الْأَرْزَاءِ وَالنُّسُوبِ^(٥)
 وَأَسْتَلِهُمُوهُ إِذَا مَا السَّرَايُ أَخْطَأَتْكُمْ * يَوْمَ النَّضَالِ عَنِ الْأَوْطَانِ وَالنَّشَبِ^(٦)
 قَدْ كَانَ مَسْلُوءَ (مِصْرٍ) فِي مَكَارِهَا * وَكَانَ بَجْمَرَةِ (مِصْرٍ) سَاعَةَ الْغَضَبِ^(٧)
 فِي شِقِّهِ وَمَرَامِيهِ وَرِيقَتِهِ * مَا فِي الْأَسَاطِيلِ مِنْ بَطِيشٍ وَمِنْ عَطَبِ^(٨)
 كَمْ رَدَّ عَنَّا وَصَيْنَ الْغَرْبِ طَائِحَةً * مِنْ الرُّزَايَا وَكَمْ جَلَّى مِنَ الْكُرْبِ^(٩)

- (١) الجنان : القلب . (٢) مولع : منغم . (٣) الدست : المجلس .
 (٤) ولد الشيخ على يوسف الكاتب المعروف صاحب المؤيد في بعصفورة من أعمال مديرية جرجا ، وحفظ القرآن ، وتلقى مبادئ العلوم في بلدة بني عدى من أعمال منغلوط ، ثم أرسل إلى الأزهر فتعلم فيه بعض علوم اللغة والدين ، وأنشأ جريدة المؤيد ، ظهر أول عدد منها في ديسمبر سنة ١٨٨٩ م ، وكان المرحومان رياض باشا وسعد زغلول باشا من أكبر أنصاره على القيام بعبء هذه الصحيفة ، وتوفي في سنة ١٩١٣ م ، وكان كاتباً معروفاً بالجدل وقوة اللمحة ، وتولى مشيخة مجادة الوفاية .
 (٥) النشب : المال . (٦) ريقة القلم : مداده . والعطب : الهلاك .
 (٧) جلى : كشف .

- (١) له صريرٌ إذا جَدَّ التَّزَالُ به * يُنْسِي الكُجَّةَ صَلِيلَ الْبَيْضِ والقُضْبِ
 (٢) ما ضَرَّ مَنْ كَانَ هَذَا فِي أَنَامِلِهِ * أَنْ يَشْهَدَ الْحَرْبَ لَمْ يَسْكُنْ إِلَى يَلْبِ
 (٣) فَلَوْ رَأَى (أَبْنُ أَوْسٍ) مَا قَرَأَتْ لَهُ : * (السَّيْفُ أَصْدَقُ أَنْبَاءٍ مِنَ الْكُتُبِ)
 أَلَا فَتَى عَرَبِيٌّ يَسْتَقِلُّ بِهِ * بَعْدَ الْفَقِيدِ وَيَحْيَى حَوْزَةَ الْأَدَبِ
 (٤) وَيَمْنَعُ الْحَقَّ أَنْ يُغْشَى تَبْلُجُهُ * مَا فِي السِّيَاسَةِ مِنْ زُورٍ وَمِنْ كَذِبِ
 أَوْدَى فَتَى الشَّرْقِ، بَلْ شَيْخُ الصَّحَافَةِ بَلْ * شَيْخُ الْوَفَائِيَّةِ الْوَضَاحَةِ الْحَسَبِ
 (٥) أَقَامَ فِينَا عِصَامِيًّا فَعَلَّمَنَا * مَعْنَى الثَّبَاتِ وَمَعْنَى الْجَدِّ وَالْدَّابِ
 وَرَاحَ عَنَّا وَلَمْ تَبْلُغْ عَزَائِمُنَا * مَدَى مُنَاهَا وَلَمْ تَقْرُبْ مِنَ الْأَرْبِ
 (٦) قَالُوا عَجَبْنَا لِمَصْرِ يَوْمَ مَصْرَعِهِ * وَقَدْ عَجَبْتُ لَهُمْ مِنْ ذَلِكَ الْعَجَبِ

(١) صرير القلم : صوته في الكتابة . وصليل البيض والقضب : أصوات السيوف . والكجة : الشجمان ؛ الواحد كجى . (٢) اليلب : الدرع من الجلود . يريد أن من كان هذا القلم من أسلحته شهد الحروب بغير درع يقيه أسلحة الأبطال ، وحسبه هذا القلم وقاية له . (٣) يريد حبيب بن أوس الطائي المعروف بأبي تمام . والشرط الثاني من هذا البيت هو مدر بيت له من قصيدة يمدح بها المنصور بالله الخليفة العباسي حين فتح عمورية ، وعجز البيت :

* في حده الحد بين الجد واللعب *

لخافظ يقول : إن أبا تمام لو رأى هذا القلم لعرف فضله على السيف .

(٤) يغشى تبلجه ، أى يحجب إشرافه . (٥) العصامي : الذى ساد بنفسه لا بأبائه ،

نسبة الى عصام الذى يقول فيه الشاعر :

* نفس عصام سؤدت عصاما *

والدأب في العمل : الاستمرار عليه والاجتهاد فيه . (٦) قالوا عجبنا ... الخ ، أى عجبنا

لأهل مصر في تلقيهم نعي الفقيه في فتور وقلة الكراث .

(١) إِنَّ الْأَلَى حَسْبُهَا غَيْرَ جَارِعَةٍ * لَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْأَشْيَاءِ مِنْ كَثَبِ
 تَالِهٍ مَا جَهِلَتْ فِيهِ مُصِيبَتَهَا * وَلَا الَّذِي فَقَدَتْ مِنْ كَاتِبِ الْعَرَبِ
 (٢) لَكُنْهَا أَلِفَتْ وَالْأَمْرُ يَحْزُبُهَا * فَقَدَ الرِّجَالِ وَمَوْتَ السَّادَةِ النَّجْبِ
 (٣) وَعَلِمَتْهَا أَلْيَالِي أَنْ تُصَابِرَهَا * فِي الْحَاثَاتِ وَإِنْ أَمَنَّ فِي الْحَرْبِ
 (٤) كَمْ أَرْجَفُوا بَعْدَ مَوْتِ الشَّيْخِ وَارْتَقَبُوا * مَوْتَ (المُؤَيَّدِ) فِينَا شَرُّ مُرْتَقَبِ
 وَإِنْ يَمُتْ يَمُتِ الْآمَالُ فِي بَلَدٍ * لَوْلَا (المُؤَيَّدِ) لَمْ يَنْشَطْ إِلَى طَلَبِ
 (٥) صُبَابَةٍ مِنْ رَجَاءٍ بَيْنَ أَضْغَاعِنَا * قَدْ بَاتَ يَرْشُفُ مِنْهَا كُلُّ مُغْتَصِبِ
 (٦) أَلَمْ يَكُنْ لَبْنِي (مِصْرٍ) وَقَدْ دُهِمُوا * مِنْ سَاسَةِ الْعَرَبِ مِثْلَ الْمَعْقِلِ الْأَشْبِ
 كَمْ أَنْبَرَتْ فِيهِ أَقْلَامٌ وَكَمْ زُرِفَتْ * فِيهِ مَنَائِرٌ مِنْ نَظْمٍ وَمِنْ خُطَبِ
 وَكَانَ مَيْدَانٌ سَبَقَ لِلْأَلَى غَضَبُوا * لِلدِّينِ وَالْحَقِّ مِنْ دَائِعٍ وَمُخْتَسِبِ
 (٧) فَكَمْ يَرَاغِ حَكِيمٍ فِي مَشَارِعِهِ * قَدْ التَّقَى يِرَاغِ الْكَاتِبِ الْأَرَبِ

(١) الكثب (بالتحريك) : القرب . أى لا ينظرون الأمور على حقائقها .

(٢) حزبه الأمر : اشتد عليه وضغطه .

(٣) الحرب (بالتحريك) : اشتداد الغضب . (٤) أرجف القوم : خاضوا في الأخبار

السيئة على أن يوقعوا بين الناس الاضطراب من غير أن يصح عندهم شيء . (٥) الصبابة :

البقية . يقول : ان المؤيد بقية من رجاء وعزاء يلوذ بها كل منصوب الحق . (٦) الضمير

في « يكن » للمؤيد . والمعقل : الحصن . والأشب : المتنع بما حوله من السياج والسلاح ، وهو من

قولهم : شجر أشب ، أى ذو شوك مشبك بعضه ببعض .

(٧) المشارع : المناهل ، الواحد مشرع (يفتح الميم والراء) . والأرب : البصير الفطن .

(١) أَيْ الصَّحَائِفِ فِي الْقُطْرَيْنِ قَدْ وَسِعَتْ * رَدَّ (الإمام) مُنْزِيلَ الشُّكِّ وَالرَّيْبِ
 (٢) أَيَّامَ يَحْصِبُ (هَانُوتُو) بِفَرِيَّتِهِ * وَجَهَ الْحَقِيقَةِ وَالْإِسْلَامُ فِي نَحَبِ
 مَالِي أَعَدَّ آثَارَ الْفَقِيدِ لَكُمْ * وَالشُّرُقُ يَعْرِفُ رَبَّ السَّبْقِ وَالْغَلَبِ
 لَوْلَا (المؤيد) ظَلَّ الْمُسْلِمُونَ عَلَى * تَنَاضُرٍ بَيْنَهُمْ فِي ظُلُمَةِ الْحُجُبِ
 (٣) تَعَارَفُوا فِيهِ أَرْوَاحًا وَصَمُّهُمْ * رَغَمَ التَّنَائِي زِمَامٌ غَيْرُ مُنْقَضِبِ
 فِي مِصْرَ فِي تُونِسَ فِي الْهِنْدِ فِي عَدَنَ * فِي الرُّوسِ فِي الْفُرْسِ فِي الْبَحْرَيْنِ فِي حَلَبَ
 هَذَا يَحْرُثُ إِلَى هَذَا وَقَدْ عَقِدَتْ * مَوَدَّةٌ بَيْنَهُمْ مَوْصُولَةُ السَّبَبِ
 (أَبَا بُثَيْنَةَ) نَمَّ يَكْفِيكَ مَا تَرَكَتْ * فِينَا يَدَاكَ وَمَا عَانَيْتَ مِنْ تَعَبِ
 جَاهَدْتَ فِي اللَّهِ وَالْأَوْطَانِ مُحْتَسِبًا * فَأَرْجِعْ إِلَى اللَّهِ مَأْجُورًا وَفُزْ وَطِبَ
 (٤) وَأَحْمِلْ يُثْنَاكَ يَوْمَ النَّشْرِ مَا تَشَرَّتْ * تِلْكَ الصَّحِيفَةُ فِي دُنْيَاكَ وَأَنْتَسِبَ

(١) يريد «الإمام»: الشيخ محمد عبده، ويشير إلى رده على هانوتو الذي نشره في صحيفة المؤيد.

(٢) يحصب: يرى. والفريّة: الكذب. والنحب (يسكون الجاء، وفتحها هنا لضرورة الوزن):

أشد البكاء.

(٣) التناي: التباعد. ومنقضب: منقطع.

(٤) وانتسب، أي انتسب إلى تلك الصحيفة فهي حسبك من نسب.

رثاء على أبي الفتوح^(١) باشا

أنشدها في الحفل الذي أقسم لتأيينه في الجامعة

[نشرت في ٩ فبراير سنة ١٩١٤ م]

(٢)

جَلَّ الْأَمَى فَتَجَمَّلِي * وَإِذَا آيَّتِ فَأَجْمَلِي

يَا مِصْرُ قَدْ أَوْدَى قَتَا * كِ وَلَا قَتَى إِلَّا (عَلِي)

قَدْ مَاتَ نَابِغَةُ الْقَضَا * وَغَابَ بَذْرُ الْحَفِيلِ

(٣)

وَمَدَا الْقَضَاءُ عَلَى الْقَضَا * فَصَابَهُ فِي الْمَقْتَلِ

حَلَّالُ عَقْدِ الْمُعْضِلَا * تِ قَضَى بِدَاءِ مُعْضِلِ

(٤)

وَيْحَ الْيَخَانَةِ مَا هَا * فِي غَمْرَةٍ لَا تَتَجَلِي

بَاتَتْ وَكَارِثَةُ تَمْرِهَا * وَكَارِثَةُ تَلِي

يَا زَهْرَةَ الْمَاضِي وَيَا * رَيْحَانَةَ الْمُسْتَقْبَلِ

كُنَّا نَعِدُّكَ لِلشَّيْدَا * يُدِ فِي الزَّمَانِ الْمُقْبِلِ

(١) على أبو الفتوح باشا، هو ابن أحمد أبو الفتوح باشا. ولد يلقاس من أعمال الغربية في سنة ١٨٧٣ م وبعد أن أخذ حظه من التعلم في مصر سافر إلى أوروبا لتلقي علوم القانون بكلية مونبلييه بفرنسا، ولبت فيها ثلاث سنوات نال بعدها شهادة الليسانس، وقد شهد له أساتذته في تقاريراتهم الرسمية بأنه يكتب اللغة الفرنسية كأحد أبنائها. وكان ينشر بعض المباحث في المجلات الفرنسية، وعاد إلى مصر في سنة ١٨٩٥ م. وأُتْرَ منصب تولاه في الحكومة المصرية وكالة المعارف في ٥ أبريل سنة ١٩١٠ م، وتوفي في ٢٨ ديسمبر سنة ١٩١٣ م.

(٢) يريد « بالقضاء » الأول : الموت، وبالثاني : الفصل في الخصومات.

(٤) الغمرة : ما يتمر الناس، أي يشملهم من الخطوب والأرزاء.

يا لابس الخلق الكريم * يم المطمئن الأمثل

فارتقا في حين حـا * جتنا ولم تتمهل

يا راميا صدر الصبا * ب رماك رمي الأجل^(١)

يا حافظا غيب الصديد * بق ويا كريم المقول^(٢)

أي الحميد غضة * بجلالك لم تتجمل^(٣)

تلهو لداتك بالصبا * لهوا وأنت بمنزل^(٤)

تسعى وراء الباقيـا * ت الصالحات وتعتلي^(٥)

بين المحابر والدفا * تر داببا لا تأتلي

أدركت علم الأبريد * بن وحزت فضل الأول^(٦)

أدنى مرامك همـة * فوق السماء الأعزل

وأجل قصيدك أن ترى * (مضرا) تسود وتعتلي^(٧)

درج الأجابة بعد ما * تركوا الأسى والحزن لي^(٨)

لم يحل لي من بعدهم * عيش ولم أتعلل

(١) الأجل : الصقر ، وهو معروف بالحذر والحرس . يقول : أصابك الموت الذي يصيب

أشد المخلوقات حذرا وحما . (٢) المقول : اللسان . (٣) الغضة : الناضرة .

(٤) لداتك : من ولدوا معك . (٥) لا تأتلي : لا تقصر . (٦) السماء : اسم يطلق

على نجمين قريبين ، وهما الأعزل والراح ، وسمى أعزل ، لأنه لا شيء بين يديه من الكواكب ؛ وهو

من منازل القمر ؛ والراح ليس من منازل . (٧) درج الأجابة : ذهبوا ومضوا .

(٨) أتعلل : أتشاغل وأتلهى .

لى كلِّ عامٍ وقفةٌ * حرى على مُترَحِّلٍ
 أبكى بكاءَ الشاكِلا * تِ وَأَصْطَلِي ما أَصْطَلِي^(١)
 لم يبق لي يومُ الفقي * يدِ عَزِيمَةٍ لم تُفَلِّ
 يومَ عبوسٍ قد مَضَى * بَفَسْتِي أَغْرَ مُحْجَلٍ^(٢)
 مَنْ لَمْ يُشَاهِدْ هَوْلَهُ * عندَ القَضَاءِ الْمُتَزَلِ
 لم يَدْرِ ما قَصَمَ الظُّهُو * رِ ولا أَنْخِزَالَ الْمَفْصِلِ^(٣)
 يا قَبْرُ وَيْحَكَ ما صَنَعْتَ * تَ بَوْجِهِهِ الْمُتَهَلِّلِ
 عَبَّسْتَ مِنْهُ نَضْرَةً * كَانَتْ رِياضَ الْمُجْتَلِي^(٤)
 وَعبَّسْتَ مِنْهُ بَطْرَةً * سَوْدَاءَ لَمَّا تَتَّصِلِ^(٥)
 يا قَبْرُ هَلْ لَعِبَ الْبَلَى * بِلِطَافِ تِلْكَ الْأَمَلِ؟
 لَهْفِي عَلَيْهَا فِي الطُّرُو * سِ تَسِيلُ سَيْلَ الْجَدُولِ^(٦)
 لَهْفِي عَلَيْهَا فِي الْجَدَا * لِ تَحُلْ عَقْدَ الْمُشْكِلِ
 لَهْفِي عَلَيْهَا لِلرَّجَا * يِ وَلِلْعَفَاةِ السُّؤْلِ^(٧)

(١) اصطلت النار : قاسى حرها .

(٢) أغر محجل ، أى مشهور المكانة معروف المنزلة . والأغر والمحجل : أصابهما من صفات الخيل .

(٣) انخزال المفصل : انفصاله . (٤) المجتلى : الناظر المستوضح للأشياء .

(٥) لما تنصل ، أى لم تخرج من لونها بعد ، وهو السواد . يريد أنها لم يدركها الشيب .

(٦) الجدول : النهر الصغير .

(٧) العفاة : طلاب المعروف ؛ الواحد عاف (كقاض) .

يَا قَبْرُ ضَيْفِكَ بَيْنَنَا * قَدْ كَانَ خَيْرَ مُؤْمِلٍ
لَمْ يَنْقِضْ كِبَرًا بِنَا * دِيهِ وَلَمْ يَتَبَدَّلِ
إِنِّي حَلَلْتُ رِحَابَهُ * فَتَزَلَّتْ أَكْرَمَ مَثَرِ
وَنَهَلْتُ مِنْ أَخْلَاقِهِ * فَوَرَدْتُ أَعْدَبَ مَنَهَلِ^(١)

رثاء فتحي وصادق

قالها في رثاء الطيارين العثمانيين فتحي بك وصادق بك اللذين سقطت بهما الطائرة قرب دمشق، وكانا يعترضان

الطيران من دمشق إلى القدس ثم إلى مصر، ويؤمل فيها وصول الطيار الآخر نوري بك سالما

[نشرت في أول أبريل سنة ١٩١٤ م]

أُخْتِ الْكَوَاكِبِ مَا رَمَا * لِكَ وَأَنْتِ رَامِيَةُ النَّسُورِ؟^(٢)
مَاذَا دَهَاكَ وَفَوْقَ ظَهْرٍ * بَرِكِ مَرِيضُ الْأَسَدِ الْهَاصُورِ؟^(٣)
خَضَعْتَ لِأَمْرَتِهِ الرِّيَا * حُ مِنْ الصَّبَا وَمِنْ الدُّبُورِ^(٤)
فَقَدْ يُصَرِّفُ مِنْ أَعْيُنِهَا تَصَارِيفَ الْقَدِيرِ^(٥)
(فَتَحِي) وَهَلْ لِي إِنْ سَأَلْتُ * ت عَنْ الْمِصْبِيَةِ مِنْ مُحِيرِ؟^(٦)
وَيَلَاهُ هَلْ جُزَّتِ الْحُدُودُ * دَ وَأَنْتِ تُخْتَرِقُ السُّتُورِ؟

(١) نهلت : شربت . (٢) أخت الكواكب، يخاطب الطائرة .

(٣) مريض الأسد : موضع ربوضه ، أى بركه . والهاصور : الذى بهصر فريسته ، أى يكسرها .

(٤) الصبا : ريح الشمال . والدبور : الريح التى تقابلها . (٥) المحير : المحجب .

(٦) جزت الحدود ... الخ . يقول : هل جاوزت الحدود التى تفصل بين العالمين : عالم السماء وعالم

الأرض ، واخترقت الحجب التى بينهما ؟

(١) فَرَمَاكَ حُرَّاسُ السَّمَاءِ * وَتِلْكَ قَاصِمَةُ الظُّهُورِ
 (٢) أَمْ ظَارَ مِنْكَ السَّابِحَاتُ * وَأَنْتَ تَسْبَحُ فِي الْأَثِيرِ
 حَسَدَتِكَ حِينَ رَأَيْتَكَ وَحْدًا * ذَكَ قَدْ كَالَفَلَكَ الْمُنِيرِ
 (٣) وَالْعَيْنُ مِثْلُ السَّهْمِ تَنْدُ * فُذُّ فِي التَّرَائِبِ وَالنُّحُورِ
 حَاوَلْتَ أَنْ تَرِدَ الْمَجَرَّةَ * وَالْوُرُودُ مِنَ الْعَسِيرِ
 فَوَرَدْتَ يَا (فَتَحَى) الْجَمَا * مَ وَأَنْتَ مُنْقَطِعُ النَّظِيرِ
 وَهَوَيْتَ مِنْ كَيْدِ السَّمَاءِ * وَهَكَذَا مَهْوَى الْبُذُورِ
 إِنْ كَانَ أَعْيُنُكَ الصُّعُورِ * دُ بِذَلِكَ الْجَسَدِ الطُّهُورِ
 فَاسْبَحْ بِرُوحِكَ وَحْدَهَا * وَأَصْعَدْ إِلَى الْمَلِكِ الْكَبِيرِ
 (٤) إِنْ رَاعِنَا صَوْتُ النَّعْيِ * وَفَاتِنَا نَبَأُ الْبَشِيرِ
 فَلَعَلَّ مَنْ ضَمَّتْ يَدَا * هُ عَلَى الْيَكَاةِ بِالسَّرُورِ
 أَنْ يَسْتَجِيبَ دُعَاءَهَا * فِي حِفْظِ صَاحِبِكَ الْآخِرِ
 بَاتَتْ تُرَاقِبُ فِي الْمَشَا * رِقَى وَالْمَغَارِبِ وَجْهَ (نُورِي)

(١) يريد بهذا البيت تشبيهه بالجن الذين كانوا يسترقون السمع من السماء فتعرفهم بشبهها المرسله عليهم .

(٢) السابحات : الكواكب . قال تعالى : (والسابحات سبحا) . (٣) يجارى في هذا

البيت ما هو شائع بين الناس من اعتقادهم في تأثير العين ، وأنها تصيب كما يصيب السهم .

(٤) راعنا : أفرعنا .

رثاء الدكتور شبلي شميل^(١)

أنشدما في الحفل الذي أقيم في نادي جمعية الاتحاد السوري في مساء الأحد

٩ فبراير سنة ١٩١٧ م

سَكَنَ الْفَيْلَسُوفُ بَعْدَ اضْطِرَابٍ * إِنَّ ذَاكَ السُّكُونُ قَصْلُ الْخَطَابِ
لَقِيَ اللَّهَ رَبَّهُ فَاتْرَكُوا الْمَرُ * ءَلَدَيَانِيهِ فِسِيحَ الرَّحَابِ
حَزَنَ الْعِلْمُ يَوْمَ مِتَّ وَلَكِنْ * أَمِنَ الدِّينُ صَيِّعَةَ الْمُرْتَابِ^(٢)
كَنتَ تَبْنِي بَرْدَ الْيَقِينِ عَلَى الْأَرْ * ضٍ وَتَسْعَى وَرَاءَ لُبِّ الْأَلْبَابِ
فَاسْتَرَحْ أَيُّهَا الْمَجَاهِدُ وَاهْدَأْ * قَدْ بَلَغْتَ الْمُرَادَ تَحْتَ التُّرَابِ
وَعَرَفْتَ الْيَقِينَ وَأَنْبَلَجَ الْحَقُّ لَعَيْنَيْكَ * مَا طَعَا كَالشَّهَابِ^(٣)
لَيْتَ شِعْرِي وَقَدْ قَضَيْتَ حَيَاةً * بَيْنَ شَكٍّ وَحَيْرَةٍ وَأَرْتِيَابِ
هَلْ أَتَاكَ الْيَقِينُ مِنْ طُرُقِ الشُّكِّ * فَشَكُّ الْحَكِيمِ بَدْءُ الصَّوَابِ
كَمْ سَمِعْنَا مُسَائِلًا قَبْلَ (شِبْلِي) * عَاشَ فِي الْبَحْثِ طَارِقًا كُلَّ بَابِ
أَطْلَقَ الْفِكْرَ فِي الْعَوَالِمِ حُرًّا * مُسْتَطِيرًّا يُرِيغُ هَنَّاكَ الْجِجَابِ^(٤)

(١) الدكتور شبلي شميل ، هو الطبيب اللبناني تزيل مصر، وكان من أشهر الأطباء . ولد في نحو سنة ١٨٥٠ م ، في قرية كفر شيا من قرى ساحل لبنان ، وهي القرية التي ولد فيها الشيخ فاضل اليازجي . وتعلم العلوم الطبيعية والطب في كلية الأمريكان ببيروت وأتم علومه في أوروبا . وهو مشهور بمباحثه الطبيعية والاجتماعية العميقة ، وله من الآراء المتعلقة بالعقيدة الدينية ما أنكره الناس عليه ، وإلى هذا يشير حافظ في قصيدته تلك . ومن أشهر كتبه : كتاب (النشوء والارتقاء) . وتوفي سنة ١٩١٧ م .

(٢) المرتاب : الشاك في العقيدة . (٣) انبلج : أضاء وأشرق . (٤) يرغ : يطلب .

يَقْرَعُ النُّجُومَ سَائِلًا ثُمَّ يَرْتَدُّ إِلَى الْأَرْضِ بَاحِثًا عَنْ جَوَابِ
أَعْجَزَتِهِ مِنْ قُدْرَةِ اللَّهِ أَسْبَابًا * بَطَّوَاهَا مُسَبِّبُ الْأَسْبَابِ
وَقَفْتُ دُونَهَا الْعُقُولُ حَيَارَى * وَأَنْتَنِي هَبْرَزِيًّا وَهُوَ كَابِي^(١)
لَمْ يَكُنْ مُلِحِدًا وَلَكِنْ تَصَدَّى * لَشُؤُونِ الْمُهَيِّمِ الْوَهَّابِ
رَامَ إِدْرَاكَ كُنْهِ مَا أَعْجَزَنَا * سَقْدِيمًا فَلَمْ يَقْضَ بِالطَّلَابِ
إِلَيْهِ شِبْلِي قَدْ أَكْثَرَ النَّاسُ فِيكَ أَلْ * مَقُولَ حَتَّى تَفْتَنُّوا فِي عِتَابِي
قِيلَ : تَرَى ذَاكَ الَّذِي يُنْكِرُ النَّوْ * رَوْلًا يَهْتَدِي بِهِدْيِ الْكِتَابِ؟
قُلْتُ : كُفُّوا فَإِنَّمَا قُتُّ أَرَى * مِنْهُ يَخْلَا أَمْسَى طَوِيلَ الْغِيَابِ
أَنَا وَاللَّهِ لَا أُحَاطِيهِ فِي الْقَوُ * لِ فَقَدْ كَانَ صَاحِبِي لَا يُحَاطِي^(٢)
أَنَا أَرَى شَمَائِلًا مِنْهُ عِنْدِي * كُنَّ أَحْلَى مِنَ الشَّهَادِ الْمُنْذَابِ^(٣)
كَانَ حُرًّا لَأَرَاءٍ لَا يَعْرِفُ الْخُلْدَ * بَلْ وَلَا يَسْتَيْبِحُ غَيْبَ الصُّعَابِ^(٤)
مُفْضِلًا مُحْسِنًا عَلَى الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ * بِرِجْمِيعِ الْفُؤَادِ رَحْبَ الْجَنَابِ^(٥)
عَاشَ مَا عَاشَ لَا يُلِيقُ عَلَى الْأَيْتَامِ مَالًا وَلَمْ يَلِنْ لِلصُّعَابِ
كَانَ فِي الْوَدِّ مَوْضِعَ الثَّقَةِ الْكُتُبِ * بَرَى وَفِي الْعِلْمِ مَوْضِعَ الْإِعْجَابِ

(١) الهبرزي : المقدام . والكابي : العائر المنكب على ربهه .

(٢) الشهاد والشهد ، كلاهما بمعنى واحد . (٣) الخلل : الخلداع . (٤) المفضل :

المنعم . وجميع الفؤاد ، أى مجتمعه لا تفترق قلبه النواصب . (٥) يقال : فلان لا يليق درهما

لسنائه ، أى لا يمسكه .

نَكَبَ الطُّبُّ فِيهِ يَوْمَ تَوَلَّى * وَأَصِيبَتْ رَوَائِعُ الْآدَابِ
 (١) وَخَلَا ذَلِكَ النَّيْدِيُّ مِنَ الْأَذَى * سِيسَ وَقَدْ كَانَ مَرَّتَعِ الْكُتَابِ
 (٢) وَبَكَتْ قَعْدَهُ الشَّامُ وَنَابَتْ * فَوْقَ مَا نَابَهَا بِهَذَا الْمُصَابِ
 (٣) كُلُّ يَوْمٍ يَهْدُ رُكْنٌ مِنَ الشَّأْ * م، لَقَدْ أَذْنَتْ إِذَا بِالْخَرَابِ
 (٤) فَهِيَ (بِالْيَزِجِيِّ) وَ(جُرْجِي) وَ(شَبِلِي) * فُجِعَتْ بِالثَّلَاثَةِ الْأَقْطَابِ
 فَعَلَى الرَّاحِلِ الْكَرِيمِ سَلَامٌ * كَلَّمَا غِيبَ الثَّرَى لَيْثَ غَابِ

رثاء جورجي زيدان^(٥)

سنة ١٩١٤

دَمَانِي رِفَاقِي وَالْقَوَائِي مَرِيضَةٌ * وَقَدْ عَقَدَتْ هُوجُ الْخُطُوبِ لِسَانِي
 بَحِثْتُ وَيْ مَا يَعْلَمُ اللَّهُ مِنْ أَسَى * وَمِنْ تَكْمِدٍ قَدْ شَفَنِي وَبَرَانِي

- (١) الندى : مجتمع القوم . (٢) ناه بالحلل : نهض به مع جهد ومشقة وتناقل .
 (٣) آذنت : أعلمت . (٤) يريد الشيخ إبراهيم اليازجي الشاعر اللبناني المعروف . (انظر
 التعريف به في الحاشية رقم ٦ من صفحة ١٨٤ من هذا الجزء) . وجرجي ، هو جورجي زيدان (وسبقني
 التعريف به في الحاشية الآتية بعدها) . (٥) ولد بجورجي زيدان في بيروت عاصمة لبنان
 في سنة ١٨٦١ م ، وتلقى بعض العلوم في مدارسها الابتدائية ، ثم ترك التعليم وهو لم يبلغ الثانية عشرة من
 عمره ، فبدأ ميله إلى العلم والأدب جعله لا يدع فرصة يستفيد منها إلا انتهزها ، إما بمطالعة ما تصل إليه يده
 من الكتب ، وإما بتقريبه من رجال العلم حتى صار من أعلام التاريخ والأدب المشهورين ، وهو منشئ مجلة
 الهلال المعروفة . وكانت وفاته في أغسطس سنة ١٩١٤ م ، وتأليفه كثيرة ، منها : كتاب (تاريخ مصر الحديث) ،
 و(تاريخ التمدن الإسلامي) ، و(تاريخ الماسونية) ، وغيرها من الكتب . (٦) مرض القوائى :
 كناية عن قلة مواعاتها لإياه وعصيانها عند إرادته لها . وشبه الخطوب والمصائب في ثورانها وتقلبها واشتداد
 وقعها بالرياح الهوج ، وهي التي لا تستوى في هبوبها وتقلع الخيام ، الواحدة هوجاء .

مَلَيْتُ وَقُوفِي بَيْنَكُمْ مُتْلَهِّفًا * عَلَى رَاحِلٍ فَارَقْتُهُ فَشَجَانِي ^(١)
 أَنِي كُلَّ يَوْمٍ يَبْضَعُ الْحُزْنَ بَضْعَةً؟ * مِنَ الْقَلْبِ إِنِّي قَدْ فَقَدْتُ جَنَانِي ^(٢)
 كَفَانِي مَا لَقِيتُ مِنْ لَوْعَةِ الْأَسَى * وَمَا نَانِي يَوْمَ (الإمام) كَفَانِي
 تَفَرَّقَ أَحِبَائِي وَأَهْلِي وَأَنْحَرْتُ * يَدُ اللَّهِ يَوْمِي فَأَنْتَظَرْتُ أَوَانِي ^(٣)
 وَمَالِي صَدِيقٌ إِنْ عَثَرْتُ أَفَالَنِي * وَمَالِي قَرِيبٌ إِنْ قَضَيْتُ بَكَانِي
 أَرَانِي قَدْ قَصُرْتُ فِي حَقِّ صُحْبَتِي * وَتَقْصِيرُ أَمْثَالِي جِنَايَةُ جَانِي ^(٤)
 فَلَا تَعْذِرُونِي يَوْمَ (فَتَحَى) فَإِنِّي * لِأَعْلَمُ مَا لَا يَجْهَلُ الثَّقَلَانِ ^(٥)
 فَقَدْ غَابَ عَنَّا يَوْمَ غَابَ وَلَمْ يَكُنْ * لَهُ يَنْبَ هَالَاتِ النَّوَابِغِ ثَانِي ^(٦)
 وَفِي ذِمَّتِي (لِلْيَازِجِيِّ) وَدَيْعَةً * وَأُخْرَى (لِزَيْدَانَ) وَقَدْ سَبَقَانِي

- (١) يبضع : يقطع . والبضعة (بالفتح) : القطعة . والجنان : القلب .
- (٢) يريد « بالإمام » : الشيخ محمد عبده . (٣) أقلت فلانا عثرته : صفحت عنها ودفعت عنه ما يتوقع من شرها . وقضيت : مت . (٤) الثقلان : الإنسان والجن . ويريد « بفتحى » : أحمد فتحي زقزلوق باشا العالم القانوني المعروف ، ولد في سنة ١٨٦٣ م ببيانة من أعمال مركز فوة ، وآخر منصب تولاه وكالته لنظارة الحفانية . وتوفي في سنة ١٩١٣ م ، وله كثير من الكتب النافعة المترجمة من اللغات الأجنبية ، وشرح للقانون المدني . وقد مات فتحي ولم يرثه الشاعر ، وهو لهذا يعترف بتقصيره ، ويطلب الى الناس ألا يعذروه في ذلك .
- (٥) الهالة : دارة القمر التي تحيط به . (٦) يريد « باليازجي » : الشيخ إبراهيم اليازجي الشاعر اللبناني المعروف ، وهو ابن ناصيف بن عبد الله بن ناصيف ، ولد ببيروت سنة ١٨٤٧ م وكان شاعرا ناثرا متصرفا في أنواع أخرى من العلوم . وتوفي سنة ١٩٠٨ م . وهو منشئ مجلة البيان ومجلة الضياء ، الأولى في سنة ١٨٩٧ م والثانية في سنة ١٨٩٨ م . وآل اليازجي معروفون بكثرة من تخرج منهم من العلماء والأدباء والشعراء .

فَيَا لَيْتَ شِعْرِي مَا يَقُولَانِ فِي الثَّرَى * إِذَا التَّقِيَا يَوْمًا وَقَدْ ذَكَرَانِي
 وَقَدْ رَمَى بِالطَّرْفِ يَنْ جُمُوعَكُمْ * وَلَمْ يَشْهَدَا فِي الْمَشْهَدَيْنِ مَكَانِي
 أَيْجُلُ بِي هَذَا الْعُقُوقُ وَإِنَّمَا * عَلَى غَيْرِ هَذَا الْعَهْدِ قَدْ عَرَفَانِي
 دَمَانِي وَفَانِي يَوْمَ ذَاكَ فَلَمْ أَكُنْ * ضَيْتِنَا وَلَكِنْ الْقَرِيضُ عَصَانِي
 وَقَدْ تُحْرِسُ الْأَحْزَابُ كُلَّ مُفَوِّهِ * يَصْرِفُ فِي الْإِنْشَادِ كُلَّ عَنَانِ^(١)
 أُنْسَاهُمَا وَالْعِلْمُ فَوْقَ ثَرَاهُمَا * تَتَكَسَّرُ مِنْ أَعْلَامِهِ عَلَمَانِ^(٢)
 وَكَمْ قُزْتُ مِنْ رَبِّ (الْهَلَالِ) بِحِكْمَةٍ * وَكَمْ زِنْتُ مِنْ رَبِّ (الضِّيَاءِ) بِبَيَانِ^(٣)
 (أَزِيدَانُ) لَا تَبْعُدْ وَتِلْكَ عُلَالَةٌ * يُنَادِي بِهَا النَّاعُونَ كُلُّ حُسَانِ
 لَكَ الْأَثَرُ الْبَاقِي وَإِنْ كُنْتَ نَائِيًا * فَأَنْتَ عَلَى رَغَمِ الْمَنِيَّةِ دَانِي^(٤)
 وَيَا قَبْرَ (زَيْدَانِ) طَوَيْتَ مُؤَرَّخًا * تَجَلَّى لَهُ مَا أَضْمَرَ الْقَتِيَانِ^(٥)
 وَعَقْلًا وَلَوْعًا بِالْكُنُوزِ فَإِنَّهُ * عَلَى الدَّرْعِ غَوَاصٌ يَجْرِي (عُمَانِ)^(٦)
 وَعَزَمًا شَامِيًا لَهُ أَيْتِمَا مَضَى * شَبَا هِنْدُوَانِي وَحَدَّ يَمَانِي

(١) المفوّه : المنطق . والعنان : سير الجوام . ويريد بقوله « يصرف في الإنشاد... الخ » :
 أنه يذهب فيه كل مذهب . (٢) رب الهلال : جورجي زيدان ، ورب الضياء : الشيخ إبراهيم
 اليازجي . والهلال والضياء : صفيّتان معروفتان .
 (٣) العلالة : ما يتعلل به الإنسان ، أي يتلهى به عن مراده إذا لم يظفر به . والحسان من الرجال
 (بضم الحاء وتحقيف السين) : الحسن منهم . (٤) تجلّى : تكشف . والقتيان : الليل والنهار .
 (٥) عمان : كورة من بلاد العرب معروفة بمغاص التؤلؤ . (٦) شبا هندواني ، أي سن رخ
 منسوب الى الهند . وحد يمان ، أي حد سيف مصنوع باليمن .

- (١) وَكُنَّا إِذَا جَاءَتْ عَلَى الطَّرِيسِ جَوْلَةً * تَمَازِلُ إِعْجَابًا بِهَا الْبَلَدَانِ
(٢) أَشَادَتْ بِذِكْرِ الرَّاشِدِينَ كَأَنَّمَا * قَتَى (الْقُدْسِ) مِمَّا يُنْبِتُ الْحَرَمَانِ
(٣) سَأَلْتُ حُمَاةَ النَّشْرِ عَدَّ خِلَالِهِ * فَمَالَى بِمَا أَحْيَا الْقَرِيضَ يَسْدَانِ

رثاء إبراهيم حسن باشا ومحمد شكرى باشا^(٤)

- أنشدهما في الحفل الذى أقيم لنا بينهما في مدرسة القصر العرنى في ٢٣ فبراير سنة ١٩١٧ م
(٥) لَا مَرَجَبًا بِكَ أَيُّهَا الْعَامُّ * لَمْ يُرْعَ عِنْدَكَ لِلْأَسَاءَةِ ذِمَامُ
فِي مُسْتَهْلَكِ رُغْتِنَا بِمَاتِمٍ * لِلنَّافِعِينَ مِنَ الرِّجَالِ تُقَامُ
عَلَمَانٍ مِنْ أَعْلَامِ (مِصْرَ) طَوَاهِمَا * فِيكَ الرَّدَى فَبِكُتُبِهِمَا (الْأَهْرَامُ)
غِيَبَتْ (شُكْرَى) وَهُوَ نَائِبُهُ عَصِيرُهُ * وَأَصْنَعْتُ (إِبْرَاهِيمَ) وَهُوَ إِمَامُ

(١) البلدان : مصر والشام . (٢) أشاد بذكره : رفعه بالثناء عليه . ويريد « بالراشدين » :
خلفاء الإسلام ، و « قَتَى القُدْسِ » : الفقيه . والحرمَان : مكة والمدينة . يقول : إن الفقيه أثنى على
الخلفاء الراشدين ورفع ذكركم في كتبه ، فكأنه من أهل الجواز مع أنه فلسطينى . (٣) تقول : مالى
يد بهذا الأمر ، اذا عجزت عنه . وأحيا القريض ، أى أجبر الشعر .

(٤) الدكتور إبراهيم حسن باشا ، هو ابن حسن رفعت مدير إحدى مديريات مصر ، ولد بالقاهرة
في ٢٥ فبراير سنة ١٨٤٤ م ، وبعد أن أخذ حظه من تعلم الطب في مصر وأوربا تولى بعض مناصب طبية
كان آخرها رئاسة مدرسة الطب سنة ١٨٩٨ م ، وبعد إحالته إلى المعاش كان يقضى الصيف في أوربا
والشتاء في مصر ، وقد حالت الحرب العظمى وهو في أوربا دون عودته إلى وطنه ، فمضى السنين الأخيرة
بعيدا عنه إلى أن توفى في ٤ يناير سنة ١٩١٧ م . وأما الدكتور محمد شكرى باشا فقد كان طبيباً خاصاً
بأمراض النساء ، وله في هذا الفرع من الطب شهرة واسعة ، وتولى تدريسه في مدرسة الطب . وكانت ولادته
في نحو سنة ١٨٥٢ م ، ووفاته في مستهل سنة ١٩١٧ م . (٥) الأساءة : الأخطاء ،
الواحد آس (كقاض) .

خَدَمَا رُبُوعَ النَّيْلِ فِي عَهْدَيْهِمَا * وَالطَّبُّ نَبْتُ لَمْ يَحْذِهِ غَمَامُ^(١)
وَالنَّاسُ بِالْغَرْبِيِّ فِي تَطْيِيهِ * وَلِعُوا حَتَّى بَعْدِ الْمَزَارِ وَهَامُوا
حَتَّى أَنْبَرَى (شُكْرَى) فَأَثَبَتْ سَبْقَهُ * أَتَى أَبْنَ (مِصْرَ) مُجَرَّبٌ مَقْدَامُ
وَأَقَامَ (إِبْرَاهِيمُ) أَبْلَغَ حُجَّةٍ * أَتَى الْعَرِينَ يَحُلُّهُ ضَرْغَامُ^(٢)
وَتَرَسَّمِ الْمُتَعَلِّمُونَ خُطَاهُمَا * فَأَنْشَقَّ مِنْ عَلَيْهِمَا أَعْلَامُ^(٣)
قَدْ أَقْسَمُوا لِلطَّبِّ أَنْ يَسْمُوا بِهِ * فَوْقَ السَّمَاءِ فَبَرَّتِ الْأَقْسَامُ^(٤)
وَعَدَتْ رُبُوعَ الطَّبِّ تَحْكِي جَنَّةٍ * فِيهَا (لُبْقِرَاطُ) الْحَكِيمِ مَقَامُ
وَرَأَى مِلِيلُ النَّيْلِ أَنَّ أَسَاتَهُ * بَذُّوا الْأُسَاةَ فَلَمْ يَرَوْهُ سَقَامُ^(٥)
يَا (مِصْرُ) حَسْبُكَ مَا بَلَغَتْ مِنَ الْمُنَى * صَدَقَ الرَّجَاءُ وَصَحَّتِ الْأَحْلَامُ
وَمَشَى بَنُوكَ كَمَا اشْتَهَيْتَ إِلَى الْعَلَا * وَعَلَى الْوَلَاءِ - كَمَا عَلِمْتَ - أَقَامُوا
وَمَدَدَتْ صَوْتِكَ بَعْدَ طُولِ خُفْوَتِهِ * فَدَعَا بِعَافِيَةٍ لَكَ الْإِسْلَامُ
وَرَفَعَتْ رَأْسُكَ عِنْدَ مُفْتَخِرِ النَّهْيِ * بَيْنَ الْمَالِكِ حَيْثُ تُحْنِي الْهَامُ^(٦)
كَمْ فِيكَ جَرَّاحٌ كَأَنَّ يَمِينَهُ * عِنْدَ الْجَوَاحِةِ بَلَسَمُ وَسَلَامُ^(٧)

(١) جاده النعام : أمطره . (٢) العرين : ماوى الأسد . والضرغام : الأسد .

(٣) فأنشق من عليهما أعلام ، أى تخرج عليهما فى الطب أمثالهما فى النبوغ . (٤) السماء : اسم
لكوكبين تقدم الكلام عليهما فى حواشى هذا الديوان . (٥) بذوا الأساة : غلبوهم وفاقوهم

فى الطب . (٦) الهام : الهمس . وإحناء الهام : كناية عن التصاغر والانكسار والتسليم للخصم .

(٧) يلاحظ أن الأرجح فى قوله « جراح » النصب ، للفصل بينه وبين « كم » بالجار والمجرور ،

ولكن الشاعر جرى على مذهب بعض النحويين فى جزمه « كم » مع الفصل ، ومنه قول الشاعر :

* كم بجود مقرف نال الغنى *

والبلسم : دواء تضمد به الجراح .

(١) قد صَبَغَ مَبْضَعُهُ وَإِنْ أَجْرَى دَمًا * مِنْ رَحْمَةٍ بِفَرْيَحِهِ لَسَامَ
 وَمَوْفِقِ جَمِّ الصَّوَابِ إِذَا آتَوَى * دَاءُ الْعَلِيلِ وَحَارَتْ الْأَفْهَامُ
 (٢) يُلْقِي بِسَمْعٍ لَا يَحُونُ إِذَا هَفَّتْ * أُذُنٌ وَخَانَ الْمِسْمَعِينَ صِمَامُ
 (٣) وَإِذَا غُضِّبَ الدَّاءُ أَبْهَمَ أَمْرُهُ * عَرَفَتْ خَفِيَّ دَيْبِهِ الْإِبْهَامُ
 يَسْتَنْطِقُ الْآلَامَ وَهِيَ دَفِينَةٌ * نَرَسَاءُ حَتَّى تَنْطِقَ الْآلَامُ
 (٤) كَمْ سَلَّ مِنْ أَيْدِي الْمَنَايَا أَنْفُسًا * وَثَنِي عِنَانَ الْمَوْتِ وَهَوَزُؤَامُ
 (٥) وَمُطَبِّبٍ لِلْعَيْنِ يَحْمِلُ مِيسْلَهُ * نُورًا إِذَا غَشَى الْعُيُونُ قَتَامُ
 (٦) وَكَأَنَّ إِثْمِدَهُ ضِيَاءُ ذَرَّةٍ * (عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ) فَأَنْجَلَى الْإِظْلَامُ
 (٧) وَمُطَبِّبٍ لِلطُّفْلِ لَمْ تَثْبُتْ لَهُ * سِنَّةٌ وَلَمْ يَدْرُجْ إِلَيْهِ فِطَامُ
 يَشْكُو السَّقَامَ بِنَظَرِيهِ وَمَالَهُ * غَيْرُ التَّفَرُّزِ وَالْأَيْنِ كَلَامُ
 (٨) فَكَمْ اسْتَشَفَّ وَكَمْ أَصَابَ كَأَنَّمَا * فِي نَظَرَتَيْهِ الْوَحْيُ وَالْإِلْهَامُ
 وَمَوْلِدٍ عَرَفَ الْأَجِنَّةُ فَضْلَهُ * إِنَّ أَعْسَرَتْ بِوَلَادِهَا الْأَرْحَامُ
 كَمْ قَدْ أَنَارَ لَهَا بِحَالِكَةِ الْحَشَا * سُبُلًا تَفْضِلُ سُلُوكَهَا الْأَوْهَامُ

- (١) المَبْضَعُ : المَشْرُط . (٢) الْمَسْمَعَانِ : الْأُذُنَانِ . (٣) إِنَّمَا ذَكَرَ الْإِبْهَامَ
 لِأَنَّ الطَّبِيبَ يَلْبَسُ بِيَدِهِ مَوْضِعَ الدَّاءِ مِنْ جِسْمِ الْمَرِيضِ ، فَكُنِيَ بِالْإِبْهَامِ عَنْ الْيَدِ . (٤) الزُّؤَامُ :
 الْكَرْبَةُ الْمَجْهُزَةُ عَلَى صَاحِبِهِ . (٥) الْمِيلُ : الْمُرُودُ الَّذِي تَكْمُلُ بِهِ الْعَيْنُ . وَالْقَتَامُ : الظُّلَامُ .
 (٦) الْإِثْمِدُ : الْكَمَلُ . وَيُشِيرُ « عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ » عَلَيْهِ السَّلَامُ : إِلَى مَا أَجْرَاهُ اللَّهُ عَلَى يَدِهِ مِنْ
 إِبْرَاءِ الْأَكْمَةِ . قَالَ تَعَالَى حِكَايَةً عَنْهُ : (وَأَبْرَأُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ وَرَاحِي الْمَوْتِ بِإِذْنِ اللَّهِ) .
 (٧) يَدْرُجُ : يَمْشِي . (٨) الضُّبَيْرُ فِي (اسْتَشَفَّ) لِلطَّبِيبِ ، السَّابِقُ ذَكَرَهُ .

(١)
لولا يده سَطَا على أبدانها * كَرَبُ النَحَاضِ وَشَفَّهَا الإِبْلَامُ
فَبِهَوْلَاءِ الْغُرَيَّا (مِصْر) أَهْنَيْ * فَبِمِثْلِهِمْ تَتَفَاخَرُ الْإَيَّامُ
وَعَلَى طَيِّبَيْكَ اللَّذِينَ رَمَاهُمَا * رَامِيَ الْمُنُونِ تَحِيَّةً وَسَلَامُ

(٢) رثاء المغفور له الشيخ سليم البشري

أَشَدُّهَا عِنْدَ دَفْنِهِ

[نشرت في ١٧ أكتوبر سنة ١٩١٧ م]

أَيْدِرِي الْمُسْلِمُونَ بَمَنْ أَصِيبُوا * وَقَدْ وَارَوْا (سَلِيًّا) فِي التُّرَابِ
(٣)
هَوَى رُكْنُ الْحَدِيثِ فَأَيُّ قُطْبٍ * لَطَّلَابِ الْحَقِيقَةِ وَالصَّوَابِ
(٤)
(مَوْطَأَ مَالِكٍ) عَزَّ (البُخَارِي) * وَدَعَّ لِلَّهِ تَعَزِيَّةً (الْكِتَابِ)
فَمَا فِي النَّاطِقِينَ فَمُ يُوَفِّي * عَزَاءَ الدِّينِ فِي هَذَا الْمُصَابِ
(٥)
قَضَى الشَّيْخُ الْمُحَدِّثُ وَهُوَ يَمْلِي * عَلَى طُلَايِهِ فَضَلَ الْخُطَابِ

- (١) شفها : هزلها . (٢) ولد الشيخ سليم البشري في سنة ١٢٤٨ هـ في محلة بشر من أعمال مركز شبراخيت من مديرية البحيرة ، ولما بلغ التاسعة حضر إلى مصر ، وكان قد أتم حفظ القرآن ؛ وبعد أن أتم تعلمه في الأزهر تولى التدريس فيه ، ثم عين شيخاً لمسجد السيدة زينب ، وبعد ذلك ببضعة أعوام عين شيخاً وقيماً للسادة المالكية ، ثم اختير عضواً في مجلس إدارة الأزهر ؛ وتولى مشيخة الأزهر مرتين ، ومات رحمه الله في سنة ١٣٣٥ هـ بعد أن عمر ما يقرب من تسعين سنة .
- (٣) كان الفقيه مشهوراً بتبحره في علوم الحديث ، وإلى هذا يشير الشاعر . (٤) موطأ مالك ، كتاب لمالك بن أنس في الحديث مرتب على أبواب الفقه . ويريد «بالبخاري» : كتاب الجامع الصحيح الذي وضعه الإمام البخاري محمد بن إسماعيل . ويشير الشاعر إلى حرمان هذه العلوم الثلاثة : فقه مالك ، والحديث ، والتفسير التي كان يدرسها الفقيه مضطجاً بها .
- (٥) قضى : مات .

(١) وَلَمْ تَنْقُصْ لَهُ التَّسْعُونَ عَزْماً * وَلَا صَدَّته عَنْ دَرْكِ الطَّلَابِ
 وَمَا غَالَتْ قَرِيحَتَهُ اللَّيَالِي * وَلَا خَانَتْهُ ذَاكِرَةُ الشُّبَابِ
 أَشْيَخَ الْمُسْلِمِينَ نَأَيْتَ عَنَّا * عَظِيمَ الْأَجْرِ مَوْفُورَ الثُّوَابِ
 لَقَدْ سَبَقَتْ لَكَ الْخُسْنَى فَطُوبَى * لِمَوْقِفِ شَيْخِنَا يَوْمَ الْحِسَابِ
 إِذَا أَلْقَى السُّؤَالَ عَلَيْكَ مُلْقٍ * تَصَدَّى عَنْكَ بِرُّكَ لِلْجَوَابِ (٢)
 وَنَادَى الْعَدْلُ وَالْإِحْسَانُ إِنَّا * نُزَكِّي مَا يَقُولُ وَلَا نُحَاجِي (٣)
 قِفُوا يَا أَيُّهَا الْعُلَمَاءُ وَأَبْكُوا * وَرَوْوا لِحَدِّهِ قَبْلَ الْحِسَابِ
 فَهَذَا يَوْمُنَا وَلَنُحْنُ أُولَى * بِبَذْلِ الدَّمْعِ مِنْ ذَاتِ الْخِضَابِ (٤)
 عَلَيْكَ تَحِيَّةُ الْإِسْلَامِ وَقَفَّا * وَأَهْلِيهِ إِلَى يَوْمِ الْمَتَابِ

رثاء المغفور له السلطان حسين كامل^(٥)

[نشرت في أول نوفمبر سنة ١٩١٧ م]

دُكَّ مَا بَيْنَ صَفْوَةٍ وَعَشِي * شَاخٍ مِنْ صُرُوحِ (آلِ عَلِيٍّ) (٦)
 وَهَوَى عَنْ سَمَاوَةِ الْعَرْشِ مَلَكٌ * لَمْ يُنْمِغْ بَعْدَهُ الذَّهَبُ (٧)

- (١) درك الطلاب : إدراك الطلب والحاجة . (٢) يريد « باللق » : الملك الذي يتول حساب الميت على ما عمل . (٣) كان الفقيد معروفًا بالإحسان إلى الفقراء ، وكان لهم من مرتبه قدر معلوم كل شهر . (٤) ذات الخضاب : المرأة . (٥) انظر الحاشية رقم ٧ من صفحة ٦٧ من الجزء الأول . (٦) دك : هدم ، وآل علي ، أي آل محمد على جد الأسرة المالكة . (٧) يريد « بسماوة العرش » : أعلاه . والملك (بسكون اللام) ، لغة في الملك (بكسرهما) .

قد تَسَاءَلْتُ يَوْمَ مَاتَ (حُسَيْنٌ) * أَفْقَدْنَا بِفَقْدِهِ كُلَّ شَيْءٍ؟
 أَمْ تَرَى يُسْعِدُ الْيَكَّانَةَ بَارِدٌ * بِهَا وَيَقْضِي لَهَا بُلْطَفٍ خَفِيٌّ؟
 لَمْ تَكُنْ تُدْرِكُ النُّفُوسَ مُرَادًا * فِي زَمَانِ الْمَتَوَجِّ الْعَالَوِيِّ^(١)
 لَمْ تَكُنْ تَبْلُغُ الْبِلَادُ مِنْهَا * تَحْتَ أَفْيَاءٍ عَذْلِهِ الْكُسْرَوِيِّ^(٢)
 لَمْ يَكُنْ يَنْعَمُ الْفَقِيرُ بِعَيْشٍ * مِنْ نَدَاهُ وَفَيْضِهِ الْحَاتِمِي^(٣)
 حَجَبَ الْمَوْتُ مَطْلَعَ الْجُودِ يَا (مُضَى) * بِخُودِي لَهُ بَدَمْعٍ سَنِيٍّ^(٤)
 وَمَضَى وَاهِبُ الْأُلُوفِ فَوَلَّتْ * يَوْمَ وَلَّى بِشَاشَةِ الْأَرْيَحِيِّ^(٥)
 وَقَضَى كَافِلُ الْيَتَامَى فَوَيْلٌ * لِلْيَتَامَى مِنَ الزَّمَانِ الْعَتِي^(٦)
 كَمْ تَمَنَّى لَوْ عَاشَ حَتَّى يَرَانَا * أَمَّةٌ ذَاتَ مَنَّةٍ وَرُقِيْ
 غَالَهُ الضَّعْفُ حِينَ شَمَّرَ لِلْإِصْدَ * مَلَايَ فِي مُلْكِهِ بَعْزِيمٌ فَتِي
 حَبَسَ الْخَطْبُ فِيكَ أَلْسِنَةَ الْقَوَى * لِ وَأَعْيَا قَرِيحَةَ الْعَبْقَرِيِّ^(٥)
 وَإِذَا جَلَّتْ أَلْخَطُوبُ وَطَمَّتْ * أَنْجَزَتْ فِي الْقَرِيضِ طَوَقَ الرَّوِيِّ^(٦)
 إِنَّ شَرَّ الْمُصَابِ مَا أَطْلَقَ الدَّمَ * سَعَ وَرَاعَ الْمُفَوِّهِينَ بِسِي

(١) الأفياء: الظلال . وكسروي: نسبة الى كسرى من ملوك الفرس ، وكان يقال له : الملك العادل .

(٢) الحاتمي : نسبة الى حاتم الطائي المعروف بالجوذ . والفيض : العطاء .

(٣) الأريحي : الواسع الخلق الذي يرتاح للعروف .

(٤) العتي : الظالم المتجبر .

(٥) الطوق : الطاقة والجهد . وكنى بالروى عن الشعر ، كما يكنى عنه بالقافية أيضا .

(٦) المفوه : المنطوق . والعي : عدم القدرة على الكلام .

لَمَفَّ نَفْسِي عَلَى أَنْبِطَاكِ لِلضَّيِّ * فِي وَدْيَالِكَ الْحَدِيثِ الشَّهِيِّ
 (١)
 يَحْسَبُ الدَّارَ دَارَهُ وَهُوَ يَمْشِي * فَوْقَ زَاهِي إِسْطَاكِ الْأَحْمَدِيِّ
 (٢)
 خُلِقَ مِثْلَمَا تَشَقَّتْ أَرْيَحُ الْـ * زُرُّ هَرِيرِ جَادَتِهِ زَوْرَةُ الْوَشِيِّ
 (٣)
 وَاهْتَزَّازُ الْعُرْفِ مِثْلُ اهْتَزَّازِ الْـ * يَفِّ فِي قَبْضَةِ الشُّجَاعِ الْكِيِّ
 وَحَبَاءُ عِنْدَ الْعَطِيَّةِ يَنْفِي * تَجَلَّ السَّائِلِ الْكَرِيمِ الْأُيِّي
 (٤)
 وَاخْتِبَارُ يَتْنِي عِنَانَ الْعَوَادِي * وَوَقَارُ يَزِينُ صَدْرَ الْوَدِيِّ
 رَحِمَ اللَّهُ (يَا حُسَيْنُ) خِلَالًا * فَيْكَ لَمْ يَجْتَمِعَنَّ فِي نَفْسٍ حَى
 يَا كَرِيمًا حَلَّتْ سَاخَ كَرِيمٍ * وَضَعِيفًا حَلَّتْ سَاخَ الْقَسْوَى
 (٥)
 قَدْ كَفَاكَ الشَّهَادُ فِي الْعَيْشِ فَأَهْنَأُ * يَا أَلَيْفَ الضُّسْنَى بَنُومَ هَنِي
 وَيَجَّ (مَضْرِي) فَأَيُّ خَيْطٍ رَجَاءٍ * قَطَعَتْهُ رَنَاتُ صَوْتِ النَّعِي

-
- (١) البساط الأحمدي، يكنى به عن سهولة الجانب وسماحته وعدم الكلفة .
 (٢) تشقت : شمت . وأريح الزهر : ريحه . والوشى : مطر أول الربيع .
 (٣) الاهتزاز للعرف : كناية عن الانبساط للبذل والارتياح للعطاء . والكى : الشجاع .
 (٤) يتنى عنان العوادي، أى يصرف حوادث الأيام ويردّها عن قصدّها . والندى : مجتمع القوم .
 (٥) يشير بقوله « يا أليف الضنى » : الى ما كان يماثيه الفقيد في آخر أيامه من مرض وأرق .

رثاء باحثة البادية^(١)

[نشرت فى سنة ١٩١٨ م]

(مَلَك) النَّهَى لَا تَبْعِدَى * فَاخْلُقْ فِى الدُّنْيَا سِيرَ
 لِّى أَرَى لَكَ سِيرَةً * كَالرَّوْضِ أَرْجَهُ الزَّهْرُ^(٢)
 رَبِّى أَبُوكَ النَّاشِئِ * مَنْ فَعَّاشَ تَحْمُودَ الْأَثَرِ
 وَسَلَّصْتَ أَنْتِ سَبِيلَهُ * فِى النَّاشِئَاتِ مِنَ الصَّغَرِ^(٣)
 رَبِّيتِهِنَّ عَلَى الْفَضْلِ * لِمَةِ وَالطَّهَارَةِ وَالْخَفَرِ^(٤)
 وَعَلَى أَتْبَاعِ شَرِيعَةٍ * نَزَلَتْ بِهَا آيُ السُّورِ
 فَلَبَّيْتُكُمْ فَضْلًا عَلَى الْ * مَا حَيَاءُ أَنْتِ أَوْ ذَكَرِ
 لِلَّهِ دَرَكٌ إِنْ نَزَرُ * تِى وَدَّرَ (حَفْنَى) إِنْ نَزَرَ^(٥)
 قَدْ كُنْتَ زَوْجًا طَبَّةً * فِى الْبَدْوِ عَاشَتْ وَالْحَضَرَ

(١) باحثة البادية ، هى السيدة ملك ناصف بنت المرحوم حنفى ناصف بك ، ولدت بالقاهرة سنة ١٨٨٦ م وتلقى مبادئ العلوم فى مدارس أولية مختلفة ، ثم دخلت المدرسة السنية فنالت الشهادة الابتدائية فى سنة ١٩٠٠ م ، ثم نالت إجازة التدريس من قسم المعلمات ، ومارست التعليم فى مدارس البنات الأميرية ، وتوفيت فى سنة ١٩١٨ م . وكانت من فضليات الكتاتيب والباحثات ، بذلت جهدا كبيرا فى الدعاية الى نهضة المرأة المصرية بعد المرحوم ناصف أمين بك ، وكانت تفضل السفر على الحجاب ، ولها مقالات كثيرة طبعت كلها فى كتاب سمته (النشائيات) وسلسلة محاضرات ألقتها فى إدارة الجريدة التى كان يصدرها حزب الأمة ، وإلى هذه المقالات وتلك المحاضرات يشير حافظ فى هذه القصيدة .

(٢) أَرْجَهُ : طيبه . (٣) الْخَفَرُ : شدة الحياء . (٤) يشير بقوله : « فى البواخ » : الى أنها كانت زوجا لعبد الستار الباسل بك أحد مشايخ عرب الفيوم . والعلبة : الماهرة الخاذقة بعملها .

(١)
 سَادَتْ عَلَى أَهْلِ الْقُصُوفِ * رِيسُودَتْ أَهْلَ الْوَبْرِ
 غَرِيبَةً فِي عَالِيهَا * مَرْمُوقَةٌ بَيْنَ الْأَسْرِ
 شَرِيقَةً فِي طَبْعِهَا * مَحْدُورَةٌ بَيْنَ الْجَمْرِ
 بَيْنَنَا تَرَاهَا فِي الطُّرُوفِ * سِي تَخُطُّ آيَاتِ الْعِبَرِ
 وَتُرِيكَ حِكْمَةً نَائِيَةً * عَمَلَكِ الْحَوَادِثِ وَآخِثَبَرِ
 فَإِذَا بِهَا فِي مَطْبَخِ * تَطْهَرُ الطَّعَامَ عَلَى قَدَرِ
 وَإِذَا بِهَا قَعَدَتْ تَحِيَةً * طُ وَتَرْتَضِي وَخَسَرَ الْإِبْرَ
 نَحَرَتْ بِوَالِدِهَا وَوَا * لِدُهَا بِحِلْيَتِهَا أَفْتَحَرَ
 بِالْعِلْمِ حَلَّتْ صَدْرَهَا * لَا بِالْأَلْيِ وَالْدَّرِ
 فَانْظُرْ شَمَائِلَ فَكْرِهَا * بِاللَّهِ يَوْمَ (الْمُؤْتَمَرِ)
 وَاقْرَأْ (مُحَاضَرَةَ الْجَرِيدِ * مَدَّةً) وَالْمَقَالَاتِ الْغُرَرِ
 وَأَرْجِعْ إِلَى مَا أَوْدَعْتَ * عِنْدَ الْمَجَلَّاتِ الْكُبَرِ

(١) أهل الوبر : هم أهل البادية ، لأن بيوتهم من الوبر .

(٢) الطروس : الصحائف التي يكتب فيها . (٣) على قدر ، أى بحساب .

(٤) يريد المؤتمر الإسلامي الذي انعقد في سنة ١٩١١ م وتوالت جلساته خمسة أيام ، وكان لهذا المؤتمر غرضان : أولهما ، النظر في حال المسلمين الاقتصادية والاجتماعية والأدبية ؛ والثاني ، الرد على مطالب الأقباط التي طلبوها في مؤتمرهم المنعقد بأسسيوط قبل ذلك في ٦ مارس من السنة المذكورة . وكان رئيس المؤتمر الإسلامي المرحوم رياض باشا ، وقد ألفت الفقيده محاضرة في هذا المؤتمر تتعلق بشؤون المرأة .

تَلَمَّ بَأَنَا قَدْ قَدَّ * نَا خَيْرَ رَبَّاتِ الْفِكْرِ
 ذَنْبُ الْمَنِيَّةِ فِي أَغْيَا * لِ شَبَابِهَا لَا يُقْتَرِ
 يَا لَيْتَهَا عَاشَتْ (لِمَصْد) * وَلَمْ تُغَيِّبْهَا الْحُفَرُ
 كَانَتْ مِثَالًا صَالِحًا * يُزِيحُ وَكَثْرًا يُدْخِرُ
 إِنِّي رَأَيْتُ الْجَاهِلَا * تِ السَّافِرَاتِ عَلَى خَطَرِ
 وَرَأَيْتُ فِيهِنَّ الصُّبَا * نَةً وَالْعَقَافَ عَلَى سَفَرِ
 لَا وَازِعٌ - وَقَدْ أَنْطَوْتُ * (مَلَكٌ) يَقِيرُ الضَّرَرُ^(١)
 لَا كَانَ يَوْمِكَ يَوْمَ لَا * حَ الْحَزْنُ مُخْتَلَفِ الصُّورِ
 عَلِمْتُ هَاتِفَةَ الْقُصُورِ * رِ نُوحَ هَاتِفَةِ الشُّجَرِ^(٢)
 وَتَرَكْتُ أَتْرَابَ الصُّبَا * حُزْنَا يُقَطِّعُ الشُّعْرُ^(٣)
 يَبْكِينَ عَهْدَكَ فِي الصُّبَا * حِ وَفِي الْمَسَاءِ وَفِي السُّحْرِ
 وَتَرَكْتُ شَيْخَكَ لَا يَبِي * هَلْ غَابَ زَيْدٌ أَوْ حَضَرَ^(٤)
 ثَمَلًا تُرْتَحِّهُ الْهُمُورُ * مُ إِذَا تَحَامَلْ أَوْ خَطَرَ^(٥)
 كَالْفَرَجِ هَزَّتْهُ الْعَوَا * صِفٌ فَالْتَوَى ثُمَّ أَنْكَسَرَ

(١) الوازع : الزاجر . (٢) يريد «هاتفة القصور» : الباكية من النساء ، و «هاتفة الشجر» :

الناثحة من الطير . (٣) أتراب الإنسان : لداته ، الواحد ترب (بكسر التاء وسكون الراء) .

(٤) يريد «بالشيخ» : أباها . ويشير بقوله «هل غاب زيد» ... إلخ إلى ما كان أبوها مشتهرا به

من علم النحو واللغة وما اليهما من علوم العربية ، وذلك لأن مدار الأمثلة في النحو على «زيد» .

(٥) ترتحه : تميله هنا وهنا .

(١) أو كالبناء يُريدُ أن * يَنْقُضَ مِنْ وَقَعِ الْحَسْرِ
 قد زَعَزَعَتْهُ يَدُ الْقَضَا * وَزَلَزَلَتْهُ يَدُ الْقَدَرِ
 أَنَا لَمْ أَذُقْ قَعْدَ الْبَيْدِ * بِنَ وَلَا الْبَنَاتِ عَلَى الْكِبَرِ
 (٢) لَكِنِّي لَمَّا رَأَيْتُ * مَتَ فَوَادَهُ وَقَدْ أَنْفَطَرَ
 وَرَأَيْتُهُ قَدْ كَادَ يُحْ * سِرُّ زَائِرِيهِ إِذَا زَفَرَ
 وَشَهِدْتُ أَنِّي خَطَا * خَطْوًا تَخْبَلُ أَوْ عَثَرَ
 أَذْرَكْتُ مَعْنَى الْحُزَنِ جُزْ * نِ الْوَالِدَيْنِ ، فَمَا أَمَرَ
 (٣) وَشَهِدْتُ زَوْجَكَ مُطَرِّقًا * مُسْتَوْحِشًا بَيْنَ السُّمَرِ
 (٤) كَالْمُدْلَجِ الْحَسِيرَانِ فِي الْ * بَيْدَاءِ أَخْطَأَهُ الْقَمَرُ
 فَعَلِمْتُ أَنَّكَ كُنْتَ عِفْ * دَ هَنَائِهِ وَقَدْ أَنْتَرُ
 صَبْرًا أَبَا (مَلِكٍ) فَإِنَّ الْبَاقِيَاتِ لِمَنْ صَبَرَ
 وَبَقَدِرِ صَبْرِ الْمُبْتَلَى * طُولُ الْمُصِيبَةِ وَالْقِصَرِ
 كُنْ أَنْتَ أَنْتَ إِذَا تُسَا * كُنْتَ أَنْتَ إِذَا تُسَرَّ
 يَا بَرَّةً بِالْوَالِدَيْنِ * بِنِ أَبُوكَ بَعْدَكَ لَا يَقْسِرَ
 فَسَلِي إِلَهَكَ سُؤْلَوَةً * لِأَيْسِكَ فَهُوَ بِهِ أَبْسَرُ
 وَلِيَهْنِكَ الْحَدْرُ الْجَدِيدِ * دُ فَذَلِكَ دَارُ الْمُسْتَقَرِّ

(١) من وقع الحور، أى من وقوع الضعف به . (٢) انفطر : انشق .
 (٣) السمر : مجلس السهار بالليل . (٤) المدلج : السارى بالليل .

رثاء محمد فريد بك^(١)

[في سنة ١٩١٩ م]

(٢) مَنْ لَيَوْمٍ نَحْنُ فِيهِ مِنْ لَغْدٍ * مَاتَ ذُو الْعَزْمَةِ وَالرَّأْيِ الْأَسَدُ
 (٣) حَلَّ (بِالْجُمُعَةِ) حُزْنٌ وَأَمْسَى * وَمَشَى الْوَجْدُ إِلَى يَوْمِ (الْأَحَدِ)
 وَبَدَأَ شِعْرِي عَلَى قِرْطَاسِهِ * لَوْعَةً سَالَتْ عَلَى دَمْعٍ جَمَدٍ
 أَيُّهَا النَّيْلُ لَقَدْ جَلَّ الْأَمْسَى * كُنْ مِدَادًا لِي إِذَا الدَّمْعُ نَفَدَ
 (٤) وَادْبُلِي يَا زَهْرَةَ الرُّوضِ وَلَا * تَبْسِمِي لِلطَّلِّ فَالْعَيْشُ نَكِدُ
 (٥) وَالزَّمِ النَّوْحَ أَيَا طَيْرُ وَلَا * تَبْتَهِجِ بِالشَّدْوِ فَالشَّدْوُ حَدَدُ

(١) المرحوم محمد فريد بك ، هو ابن فريد باشا ناظر الدائرة السنية . ولد في مدينة القاهرة في رمضان سنة ١٢٨٤ هـ ، يناير سنة ١٨٦٧ م . وبيته من أكبر بيوت مصر وأجددها ، وقال شهادة الحقوق في مايو سنة ١٨٨٧ ثم اشتغل بالدائرة السنية ، ثم انتقل إلى النيابة العمومية ، ثم إلى نيابة الاستئناف . وقد أنعم عليه بالرتبة الثانية في أغسطس سنة ١٨٩١ م وكان من أقوى دعاة النهضة الوطنية ، والآخذين بيد الوطنيين من الكتاب وأصحاب الصحف ، واستقال من منصبه وقيد اسمه في جدول المحامين أمام المحاكم الأهلية في أول يونيو سنة ١٨٩٧ م ، وظل مشغولا بالمحاماة سبع سنين ثم ترك كل عمل ليفرغ لخدمة الأمة من الناحية السياسية ، فكان خير عون للرحوم مصطفى كامل باشا وقد صحبه في كثير من رحلاته إلى أوروبا ، واختاره مصطفى كامل لرئاسة الحزب الوطني في فبراير سنة ١٩٠٨ م وتوفي في برلين عاصمة ألمانيا في ١١ نوفمبر سنة ١٩١٩ م وأحضرت جثمانه إلى مصر ، ودفنت قرب مسجد السيدة قهيصة .

(٢) يريد « باليوم والغد » : الحاضر والمستقبل . والأمد : الأصوب .

(٣) الأمسى : الحزن . وكنى « بيوم الجمعة والأحد » عن سلبى مصر وقبطها .

(٤) الطل : الندى ، وأخف المطر أضعفه .

(٥) شدو الطير : ترنمه وتغريده . والحدد : الحرام الذى لا يحل أن يرتكب .

فلقد ولّى (فريد) وأنطوى * ركن (مصر) وفتاها والسند
 خالد الآثار لا تمسح إلى * ليس يبلى من له ذكر خالد
 زرت (برلين) فنادى سميتها : * نزلت شمس الضحى برج الأسد^(١)
 واختفت شمسك فيها وكذا * تختفي في الغرب أمار الأبد
 يا غريب الدار والقبر ويا * سلوة (النيل) اذا ما الخطب جد^(٢)
 وحساما قل حديّ الردى * وشهاباً ضياء وهنا ونحمد^(٣)
 قل لصب (النيل) إن لا قبته * في جوار الدائم الفرد الصمد^(٤)
 إن (مصر) لا تنهى عن قصيدها * رغم ما تلقى وإن طال الأمد
 جئت عنها أحمل البشرى إلى * أول البائين في هذا البلد
 فاستريح وأهنا ونم في غبطة * قد بذرت الحب والشعب حصده^(٥)
 آثر (النيل) على أمواله * وقسواه وهواه والولد^(٥)
 يطلب الخير (لمصر) وهو في * شقوة أحلى من العيش الرغد^(٥)

- (١) يحتمل هذا البيت معنيين : أحدهما أنه يريد وصف الفقيد بالقوة وجلال الشأن ، فشبه حين نزل برلين مدينة القسوة بالشمس حين نزل برج الأسد ، والثاني ما يقوله قدماء المنجمين من أن نزل الشمس في برج الأسد دليل على وقوع الموت ، ويكون هذا البيت بالمانى الثانى ترشيحا للبيت الذى بعده .
 (٢) قل حديّ : ثلهمما . والوهن : يحو من نصف الليل . (٣) صب النيل : عاشقه . ويريد به (المرحوم مصطفى كامل باشا) . (٤) آثر النيل : فضله . يشير بهذا البيت الى هجرة الفقيد الى أوربا في سبيل بلاده وتركه ماله وأهله وولده . (٥) العيش الرغد : العيب الواسع . ويشير بهذا البيت الى ما تجرعه الفقيد في غربته من بؤس وشقاء ، وإيثاره هذا البؤس على العودة الى وطنه المحتل .

- (١) ضَارِبٌ فِي الْأَرْضِ يَبْنِي مَارَبًا * كَلَّمَا قَارَبَهُ ، عَنْهُ ابْتَعَدُ
 (٢) لَمْ يَعْبه أَنْ تَجَنَّى دَهْرُهُ * رَبِّ جَدِّ حَادٍ عَنْ مَجْرَاهُ جَدِّ
 (٣) يَسْتَجِمُّ الْعَزَمَ حَتَّى إِنْ بَدَتْ * فُرْصَةُ شَدِّ إِلَيْهَا وَصَمَدُ
 (٤) فَهَوَ لَا يَتَّبِعِي عِنَانًا عَنْ مُنَى * وَهُوَ هَجِيرَاهُ (مَنْ جَدَّ وَجَدَ)
 (٥) فَأَيَادِيهِ إِذَا مَا أُتْكِرَتْ * إِنَّمَا تُتْكِرُهَا عَيْنُ الْحَسَدِ
 فَقَدَّتْ (مِصْرُ فَرِيدًا) وَهِيَ فِي * مَوْطِنٍ يُعَوِّزُهَا فِيهِ الْمَدَدُ
 (٦) فَقَدَّتْ (مِصْرُ فَرِيدًا) وَهِيَ فِي * لَهْوَةِ الْمَيْدَانِ وَالْمَوْتُ رَصَدُ
 (٧) فَقَدَّتْ مِنْهُ خَيْرًا حَوْلًا * وَهِيَ وَالْأَيَّامُ فِي أَخْذٍ وَرَدِّ
 لَمْ يَكْذُ يُتَمَتِّعُهَا الدَّهْرُ بِهِ * فِي رُبُوعِ (النَّيْلِ) حَيًّا لَمْ يَكْذُ
 (٨) لَيْتَهُ عَاشَ قَلِيلًا فَتَرَى * شَعْبَ (مِصْرٍ) عَيْنُهُ كَيْفَ اتَّحَدَ
 وَيَحْ (مِصْرٍ) بَلْ فَوَيْحًا لِلثَّرَى * إِنَّهُ أَبْلَغُ حُزْنًا وَأَشَدَّ
 (٩) كَمْ تَمَنَّى وَتَمَنَّى أَهْلُهُ * لَوْ يُوَارَى فِيهِ ذِيَاكَ الْجَسَدُ

(١) ضرب في الأرض : ذهب فيها ساعيا .

(٢) الجسد (بالكسر) : الاجتهاد . (وبالفتح) : الحظ . ومجراه ، أى طريقه . يقول : رب

اجتهاد أخطأه الحظ فلم يفد صاحبه ولم يثمر . (٣) يستجم العزم ، أى يريحه ؛ يقال : إني

لأستجم قلبي بشئ ، من اللهو حتى أقوى على الحق ، أى إني لأجعل قلبي يتفكك بشئ من اللهو ليستجمع قوته .

وصمد : قصد . (٤) هجيراه ، أى دأبه وشأنه وعادته . (٥) الأيادي : النعم .

(٦) شبه مصر في ميدان الجهاد بلهوة الرحي ، وهى بفتح اللام وضمها ، ما يلقى في فيها الطحن .

(٧) الحؤول : الحاذق البصير بتحويل الأمور . (٨) يشير بهذا البيت الى اتحاد مسلمي مصر

وقبطلها في سنة ١٩١٩م ، تحت رئاسة المرحوم سعد زغلول باشا . (٩) يوارى : يدفن .

لَمَفِّ تَفْسِي هَلْ (يَبْرُلِينَ) أَمْرُو * فوق ذاك القبرِ صَلَّى وسَجَدُ؟
 هَلْ بَكَتْ عَيْنُ فَرَوْتَ تُرْبَهُ * هَلْ عَلَى أَجْجَارِهِ خَطٌّ أَحَدُ؟^(١)
 هَاهُنَا قَبْرُ شَهِيدٍ فِي هَوَى * أُمَّةٍ أَيْقَظَهَا، ثُمَّ رَقَدَ

رثاء عبد الله أباطه بك^(٢)

[أُنشد هذين البيتين على قبره في سنة ١٩١٩ م.]

يَا عَابِدَ اللَّهِ نَمَّ فِي الْقَبْرِ مُغْتَبِطًا * مَا كُنْتَ عَنْ ذِكْرِ رَبِّ الْعَرْشِ بِاللَّاهِي
 يَا رَحْمَةَ اللَّهِ هَذَا قَبْرُهُ فَقِيْفِي * وَأَيْسَى رُوحَهُ يَا رَحْمَةَ اللَّهِ

رثاء عبد الحميد رمزي

قَالَهَا عَلَى لِسَانِ إِبْرَاهِيمَ رَمْزِي بَكَ فِي حِفْلِ تَأْيِينَ ابْنِهِ عَبْدِ الْحَمِيدِ، وَكَانَ طَالِبًا
 بِالْمَدَارِسِ الثَّانَوِيَّةِ، وَلَمْ يَقُو أَبُوهُ عَلَى الْكَلَامِ فِي هَذَا الْحِفْلِ، فَتَابَ عَنْهُ حَافِظُ وَقَالَ
 هَذِهِ الْقَصِيدَةُ :

[نُشِرَتْ فِي ٦ مَارِسِ سَنَةِ ١٩٢٠ م.]

وَلَدِي، قَدْ طَالَ سُهُدِي وَنَحِيْبِي * جِئْتُ أَدْعُوكَ فَهَلْ أَنْتَ بُحْبُوبِي؟
 جِئْتُ أُرْوِي بِدُمُوعِي مَضْجَعًا * فِيهِ أَوْدَعْتُ مِنَ الدُّنْيَا نَصِيْبِي

(١) خط أحد، أي كتب على أججار هذا القبر البيت الآتي بعده .

(٢) عبد الله أباطه بك، هو ابن السيد أباطه باشا، كان عضواً بالجمعية التشريعية، وتقلد عدة

لَا تَحْفَ مِنْ وَحْشَةِ الْقَبْرِ وَلَا * تَبْتَئِسْ إِنِّي مُوَافٍ عَنْ قَرِيبٍ
 (١)
 أَنَا لَا أَتْرُكُ شَيْئًا وَحْدَهُ * فِي جَدِيبٍ مُوَحِّشٍ غَيْرِ رَحِيبٍ
 (٢)
 أَوْحِينَ أَبْتَزِّدْهُرِي قُوَّتِي * وَذَوِي عُودِي وَوَقَانِي مَشِيبِي
 وَآكَتَسَى غُصْنُكَ مِنْ أَوْرَاقِهِ * تَحْتَ شَمْسِ الْعِزِّ وَالْجَاهِ الْخَصِيبِ
 وَرَجَّوْنَا فِيكَ مَا لَمْ يَرْجُهُ * مُنْجِبُ الْأَشْبَالِ فِي الشَّيْلِ النَجِيبِ
 (٣)
 يَنْتَوِيكَ الْمَوْتُ فِي شَرِّحِ الصَّبَا * وَالشَّبَابُ الْغَضُّ فِي الْبُرْدِ الْقَشِيبِ
 (٤)
 لَمْ يَدْعُ آسِيكَ جُهْدًا إِنَّمَا * غَابَ عِلْمُ اللَّهِ عَنْ عِلْمِ الطَّيِّبِ
 (٥)
 إِيهِ يَا (عَبْدَ الْحَمِيدِ) انْظُرْ إِلَى * وَالِدِ جَمِّ الْأَسَى بِأَدَى الشُّحُوبِ
 ذَاهِلٍ مِنْ فَرْطِ مَا حَلَّ بِهِ * يَنْ أَرَايَكَ يَمْشِي كَالْغَرِيبِ
 كُلَّمَا أَبْصَرَ مِنْهُمْ وَاحِدًا * هَزَّهُ الشُّوقُ إِلَى وَجْهِ الْحَبِيبِ
 يَسْأَلُ الْأَغْصَانِ فِي إِزْهَارِهَا * عَنْ أَخِيهَا ذَلِكَ الْغُصْنِ الرَّطِيبِ
 (٦)
 يَسْأَلُ الْأَقْمَارَ فِي إِشْرَاقِهَا * عَنْ مُحِبِّهَا غَابَ مِنْ قَبْلِ الْمَغِيبِ
 (٧)
 غَمَرَ الْحُزْنَ نَوَاحِي نَفْسِهِ * وَأَذَابَتْ لَبَّهُ سُودُ الْخُطُوبِ
 فَهُوَ لَا يَنْفَعُهُ الْعَيْشُ وَهَلْ * تَصْلُحُ الْأَبْدَانُ مِنْ غَيْرِ قُلُوبِ؟

(١) الشبل : ولد الأسد . ويعني «بالجديب الموحش» : القبر . (٢) ابتز : سلب . وذري
 عوده : ذبل ويحف . (٣) ينتويك : يقصدك . وشرخ الصبا : ربهاته . والقشيب : الجدبد
 (٤) الأسى : الطيب . (٥) الأسى : الحزن . والشحوب : تغير اللون من حزن أو نحوه .
 (٦) محبا الإنسان : وجهه . (٧) غمر الحزن نواحي نفسه ، أى شملها .

طالبي يا شمس قبرا ضمه * بالتحايا في شروق وغروب
واسكنني يا رحمة الله به * واجعلي قبضك منهل السكوب

رثاء عبد الحليم المصري الشاعر المعروف

[نشرت في ٨ يولييه سنة ١٩٢٢ م]

لَكَ اللهُ قَدْ أَسْرَعَتْ فِي السَّيْرِ قَبْلَنَا * وَأَثَرَتْ يَا "مِصْرِي" سَكْنِي الْمَقَابِرِ
وَقَدْ كُنْتَ فِينَا يَا قَتَى الشَّعْرِ زَهْرَةً * تَفْتَحُ لِلْأَذْهَانِ قَبْسَ النُّوَاطِرِ
فَلَهْفِي عَلَى تِلْكَ الْأَنَامِلِ فِي الْبَيْلِ * فَكَمْ نَسَجَتْ قَبْلَ الْبَيْلِ مِنْ مَفَانِرِ
وَيَا وَجَّحَ لِلْأَشْعَارِ بَعْدَ نَجِيهَا * وَوَجَّحَ الْقَوَافِي سَاقَهَا غَيْرُ شَاعِرِ
تَزَوَّدْتَ مِنْ دُنْيَاكَ ذِكْرًا مُخَلِّدًا * وَذَاكَ لَعَمْرِي نِعَمَ زَادُ الْمُسَافِرِ
وَأَوْرَثْتَنَا حَزَنًا عَلَيْكَ وَحَسْرَةً * عَلَى فَقْدِ سَبَاقِ كَرِيمِ الْحَاضِرِ
فَلَمْ تَتَّوِيا (عَبْدَ الْحَلِيمِ) بِحُفْرَةٍ * وَلَكِنْ بَرَوْضٍ مِنْ قَرِيْبِكَ نَاضِرِ
فَسِدِّيَوَانُكَ الرِّيَّانُ يُغْنِيكَ طَيْبُهُ * عَنْ الزَّهْرِ مَطْلُولًا يَحْوِذُ الْمَوَاطِرِ
فَسَامِرُ (أَبَا بَكْرٍ) هُنَاكَ فَلِمَئِنَّهُ * سَيَظْفَرُ فِي عَدْنٍ بِخَيْرِ مُسَامِرِ

- (١) نجيها، أى من يتنجس بها . (٢) الحاضر: المجالس . (٣) ثوى بالمتزل : أقام به . (٤) الزهر المطلول : المبلل بالطل . والجود : المطر الكثير . والمواطر : السحب . (٥) يشير بهذا البيت إلى قصيدة لعبد الحليم المصري في سيرة أبي بكر الصديق رضى الله تعالى عنه وأزله : أفضنى أبا بكر طيهم قوافيا * وأمطر لسانى حكمة ومعانيا

هَنِيئًا لَكَ الدَّارُ الَّتِي قَدْ حَلَّتْهَا * وَأَعْظَمُ بَيْنَ جَاوَرَتِهِ مِنْ مُجَاوِرِ
(١)
عَلَيْكَ سَلَامٌ مَا تَرْتَمُّ مِنْ شِدَّةٍ * وَقَامَ خَطِيبٌ فَوْقَ هَامِ الْمَنَابِرِ

ذِكْرُ الْأَسْتَاذِ الْإِمَامِ الشَّيْخِ مُحَمَّدٍ عَبْدِهِ (٢)

أَشَدُّهَا فِي الْحَفْلِ الَّذِي أقيمَ بِالْجَامِعَةِ الْمِصْرِيَّةِ فِي يَوْمِ الثَّلَاثَةِ ١١ يُولْيَةِ سَنَةِ ١٩٢٢ م

وَقَدْ ضَمَّنَهَا رِثَاءُ الْمَرْحُومِ حَقْنِي نَاصِفٍ بِكَ

(٣)
أَذْنْتُ شَمْسُ حَيَاتِي بِمَغِيبِ * وَدَنَا الْمَنَهْلُ يَا نَفْسُ فِطْيِي
(٤)
إِنْ مَنْ سَارَ إِلَيْهِ سَيْرَنَا * وَرَدَّ الرَّاحَةَ مِنْ بَعْدِ اللُّغُوبِ
(٥)
قَدْ مَضَى (حَقْنِي) وَهَذَا يَوْمُنَا * يَتَدَانِي فَأَسْتَثْبِي وَأُنْبِي
وَأَرْقِيهِ كُلَّ يَوْمٍ إِنَّمَا * نَحْنُ فِي قَبْضَةِ عَلَامِ الْغُيُوبِ
أَذْكُرِي الْمَوْتَ لَدَى النَّوْمِ وَلَا * تُغْفِلِي ذِكْرَتَهُ عِنْدَ الْهُبُوبِ
وَأَذْكُرِي الْوَحْشَةَ فِي الْقَبْرِ فَلَا * مُؤْنَسٌ فِيهِ سِوَى تَقْوَى الْقُلُوبِ
قَدَّمِي الْخَيْرَ أَحْتِسَابًا فَكَفَى * بَعْضُ مَا قَدَّمْتِ مِنْ تِلْكَ الذُّنُوبِ
رَاعَنِي فَقَدْ شَبَابِي وَأَنَا * لَا أَرَاكَ الْيَوْمَ مِنْ فَقْدِ مَشْبِي
حَنْ جَنْبَايَ إِلَى بَرْدِ الثَّرَى * حَيْثُ أُنْسِي مِنْ عَدُوِّ وَحْيِي

(١) هَامِ الْمَنَابِرِ: رِثَاءُهَا؛ الْوَاحِدَةُ هَامَةٌ. (٢) انْظُرِ الْحَاشِيَةَ رَقْمَ ٣ ص ٤ مِنَ الْجُزْءِ الْأَوَّلِ.

(٣) أَذْنُهُ بِالْأَمْرِ: أَعْلَاهُ بِقُرْبِهِ. وَالْمَنَهْلُ: الْمَوْزِدُ؛ يُرِيدُ بِهِ الْمَوْتَ. (٤) اللُّغُوبُ: الْعَبَثُ.

(٥) اسْتَثْبِي: اطْلُبِي الثَّوَابَ مِنْ اللَّهِ. وَأُنْبِي: أَرْجِعِي إِلَيْهِ بِالطَّاعَةِ.

(١) مَضَجَّ لَا يَشْتَكِي صَاحِبُهُ * شِدَّةَ الدَّهْرِ وَلَا شِدَّةَ الْخَطُوبِ
 (٢) لَا وَلَا يُسَيِّمُهُ ذَاكَ الَّذِي * يُسَيِّمُ الْأَحْيَاءَ مِنْ حَيْثُ رَتِيبِ
 (٣) قَدْ وَقَفْنَا سِتَّةَ نَبْكِ عَلَى * حَالِ الْمَشْرِقِ فِي يَوْمٍ عَصِيبِ
 وَقَفَ الْخَمْسَةُ قَبْلِي فَمَضَوْا * هَكَذَا قَبْلِي وَإِنِّي عَنْ قَرِيبِ
 وَرَدُّوا الْحَوْضَ تَبَاطًا فَقَضَوْا * بِاتِّفَاقٍ فِي مَنَآيَاهُمْ عَجِيبِ
 (٤) أَنَا مُذْ بَانُوا وَلَّى عَهْدُهُمْ * حَاضِرُ اللُّؤْمَةِ مَوْصُولُ النَّحِيبِ
 هَدَّأَتْ نِيرَانُ حُزْنِي هَدَاةً * وَأَنْطَوَى (حَقْنِي) فَعَادَتْ لِلشُّبُوبِ
 فَتَذَكَّرْتُ بِهِ يَوْمَ أَنْطَوَى * صَادِقُ الْعَزْمَةِ كَشَافُ الْكُرُوبِ (٥)

(١) شدة الخطوب، أى حملتها عليه . (٢) يريد « بالرتيب » : العيش الثابت المتكرر بحال واحدة لا تتغير؛ والذي وجدناه في كتب اللغة بهذا المعنى : الراتب لا الرتيب . (٣) يشير بهذا البيت وما بعده إلى قصة عجيبة ، وهي أنه لما توفى المرحوم الشيخ محمد عبده رثاه على القبر ستة من الخطباء والشعراء ، أولهم الشيخ أحمد أبو خطوة ، ثم حسن حاصم باشا ، ثم حسن عبد الرازق باشا الكبير ، ثم قاسم أمين بك ، ثم حفي قاسم بك ، ثم حافظ إبراهيم بك . وأتفق أن مات الأربعة الأولون على ترتيب وقوفهم في الرثاء ، فلاحظ ذلك المرحوم حفي بك قاسم ، فبعث إلى حافظ بهذه الأبيات :

أَتَذَكَّرُ إِذَا نَحَا عَلَى الْقَبْرِ سِتَّةٌ * نَعْتَدُ آثَارَ الْإِمَامِ وَنُسَدِّبُ
 وَقَفْنَا بِرَتِيبٍ وَقَدْ دَبَّ بَيْنَنَا * بِمَاتَ عَلَى وَفْقِ الرِّثَاءِ مَرْتَبُ
 أَبُو خَطْوَةٍ وَلَّى وَقَفَاءَ حَاصِمٍ * رَجَاءَ لِعَبْدِ الرَّازِقِ الْمَوْتِ يَطْلُبُ
 قَلْبِي وَغَابَتْ بَعْدَهُ شَمْسُ قَاسِمٍ * وَعَمَّا قَلِيلٍ نَجْمٌ يَحْيَا بِغَسْرِبِ
 فَلَا تَحْشُ مَلِكًا مَحْيَا وَأَنْ أَمْتُ * لِمَا أَمْتُ إِلَّا خَائِفٌ تَسْرُقُ
 نَفَاطِرُ وَقَعَ تَحْتَ الْقَطَارِ وَلَا تَحْفُ * وَنَمُوحُ تَحْتَ بَيْتِ الْوَقْفِ وَهُوَ مَحْرُوبُ
 وَخَضَ بِلُجْجِ الْمُهَيَّجِ أَعْزَلَ آمِنَا * فَإِنَّ الْمَنَا يَا عَنكَ تَنَآى وَتَهْرَبُ
 فَلَمَّا تَوَفَّى حَفْنِي بَعْدَ ذَلِكَ نَفِمْ حَافِظَ مَرِثَتِهِ تِلْكَ . (٤) بَانُوا : بعدوا .

(٥) يريد « بصادق العزيمة » : المرحوم الشيخ محمد عبده :

- (١) يَوْمَ كَفَّنَاهُ فِي آمَالِنَا * وَذَكَّرْنَا عِنْدَهُ قَوْلَ (حَبِيب) :
- (٢) عَرَفُوا مَنْ غَيَّبُوهُ وَكَذَا * تُعْرِفُ الْأَقْمَارُ مِنْ بَعْدِ الْمَغِيبِ
- (٣) وَفَجَعْنَا بِإِمَامٍ مُصْلِحٍ * عَامِرِ الْقَلْبِ وَأَوَّابٍ مُنِيبِ
- كَمْ لَهُ مِنْ بَاقِيَاتٍ فِي الْهُدَى * وَالنَّدَى بَيْنَ شُرُوقٍ وَغُرُوبِ
- (٤) يَبْذُلُ الْمَعْرُوفَ فِي السَّرِّكَامَا * يَرْقُبُ الْعَاشِقُ إِغْفَاءَ الرَّقِيبِ
- يُحْسِنُ الظَّنَّ بِهِ أَعْدَاؤُهُ * حِينَ لَا يَحْسُنُ ظَنُّ بَقَرِيبِ
- تَنْزِلُ الْأَضْيَافُ مِنْهُ وَالْمُنَى * وَالْخِلَالُ الْغُرَى فِي مَرَعَى خَصِيبِ
- (٥) قَدْ مَضَتْ عَشْرٌ وَسَبْعٌ وَالنَّهْيُ * فِي ذُبُولٍ وَالْأَمَانِي فِي نُضُوبِ
- (٦) تَرْقُبُ الْأَفَقَ فَلَا يَبْدُو بِهِ * لَامِعٌ مِنْ نُورِ هَادٍ مُسْتَتِيبِ
- وَتُنَادِي كُلُّ مَأْمُولٍ وَمَا * غَيْرُ أَصْدَاءِ الْمُنَادِي مِنْ مُجِيبِ
- (٧) دَوَى الْجُرْحِ وَلَمْ يَقْدَرْ لَهُ * بَعْدَ ثَاوِي (عَيْنِ شَمْسٍ) مِنْ طَيِّبِ
- (٨) أَجْدَبَ الْعِلْمُ وَأَمْسَى بَعْدَهُ * رَائِدُ الْعِرْقَانِ فِي وَادٍ جَدِيدِ

(١) حبيب ، هو ابن أوس الطائي ، المكنى أبا تمام ، الشاعر المعروف .

(٢) يلاحظ أن هذا البيت قد ورد في شعر حبيب بن أوس بمعناه قال يرثي إسحاق بن أبي ربيع :

قَدْ عَلِمْتَ مَا رَزَيْتَ إِنَّمَا * يَعْرِفُ فَقَدْ الشَّمْسُ عِنْدَ الْمَغِيبِ

ولم يرد بلفظه كما توهمه عبارة حافظ في البيت الذي قبله . (٣) الأتواب : كثير الرجوع إلى الله .

والمُنِيب : من أناب ، بمعنى رجع . . (٤) الإغفاء : النوم . (٥) النضوب : الجفاف .

(٦) مستتیب ، أى يطلب ممن ضل طريق الهدى أن يثوب إليه ، أى يرجع . (٧) دوى :

صارذا داء . والثاوى : المقيم . وعين شمس : البلد الذي كانت يسكنه القعيد ، وهى ضاحية من

ضواحي القاهرة معروفة . (٨) الرائد : الطالب .

- (١) رَحْمَةُ الدِّينِ عَلَيْهِ كَلَّمَا * نَحَرَجَ التَّفْسِيرُ عَنْ طَوِّقِ الْأَرِيْبِ
 رَحْمَةُ الرَّأْيِ عَلَيْهِ كَلَّمَا * طَاشَ سَهْمُ الرَّأْيِ فِي كَفِّ الْمُصِيبِ
 رَحْمَةُ الْفَهْمِ عَلَيْهِ كَلَّمَا * دَقَّتِ الْأَشْيَاءُ عَنْ ذَهْنِ اللَّيْبِ
 رَحْمَةُ الْحِلْمِ عَلَيْهِ كَلَّمَا * ضَاقَ بِالْحِذَانِ ذُو الصَّدْرِ الرَّحِيبِ
 لَيْسَ فِي مَيْدَانِ (مِصْرِ) فَارِسُ * يَرْكَبُ الْأَخْطَارَ فِي يَوْمِ الرُّكُوبِ
 (٢) كَلَّمَا شَارَفَهُ مِتَافَتِي * غَالَهُ الْمِقْدَارُ مِنْ قَبْلِ الْوُثُوبِ
 (٣) مَا تَرَى كَيْفَ تَوَلَّى (قَاسِمُ) * وَهُوَ فِي الْمَيْعَةِ وَالْبُرْدِ الْقَشِيبِ
 (٤) أَتَيْتِ الْأَحْيَاءُ ذِكْرِي (عَبِيدُ) * وَهِيَ لِلْأُسْتَاثِ مِنْ مِسْكٍ وَطِيبِ
 (٥) إِنْهُمْ لَوْ أَنْصَفُوهَا لَبَنَوْا * مَعَهْدًا تَعْتَادُهُ كَفُّ الْوُهُوبِ
 (٦) مَعَهْدًا لِلدِّينِ يُسْقَى غَرْسُهُ * مِنْ نَمِيرٍ فَاضٍ مِنْ ذَاكَ الْقَلِيبِ
 وَنَسِينَا ذِكْرَ (حَفْنِي) بَعْدَهُ * وَدَقْنَا فُضْلَهُ دَفْنِ الْغَرِيبِ
 (٧) لَمْ تَسْلُ مِنْهُ عَلَيْهِ دَمْعَةٌ * وَهُوَ أَوْلَى النَّاسِ بِالْأَمْعِ الصُّبِيبِ

- (١) الطوق : الجهد والطاقة . والأريب : العاقل البصير . ويريد « بالتفسير » : تفسير القرآن الكريم ، وكان الفقيد يتولى تدريسه بالأزهر .
 (٢) شارفه : أشرف عليه ودنا منه . (٣) ميمة الشباب : أزملة . والقشيب : الجليد .
 وقاسم ، هو المرحوم قاسم بك أمين .
 (٤) أستاذ الطيب : شمه . (٥) تعتاده ، أى تتعود الإتيان عليه وتتمهده بالبدل .
 (٦) الماء النمر : الناجع فى الرى . والقليب : البئر . ويريد به الفقيد .
 (٧) الصيب : المنصب .

(١) سَكَنْتُ أَنْفَاسُ (حَقْنِي) بَعْدَ مَا * طَبَّيْتُ فِي الشَّرْقِ أَنْفَاسَ الْأَدِيبِ
عَاشَ خَضْبَ الْعُمَرِ مَوْفُورًا لِحِجَا * صَادِقَ الْعِشْرَةِ مَأْمُوتَ الْمَغِيبِ

(٢) تَأْيِينَ حَسَنَ عَبْدِ الرَّازِقِ بَاشَا وَإِسْمَاعِيلَ زُهْدِي بَكْ

قالها في الحفل الذي أقامه الأحرار الدستوريون لتأيين الفقيدين
[يوم الأربعاء ٢٦ ديسمبر سنة ١٩٢٢ م]

عَلَمَانِ مِنْ أَعْلَامِ مِصْرَ * رَعَدَا الرَّدَى فَطَوَاهُمَا
(حَسَنُ) وَ(زُهْدِي) لَمْ يَدْرُغَا * بِالشَّبَابِ كَلَامُهُمَا
سَلَكَا سَبِيلَ الْحَقِّ مَا * عَاشَا وَمَا أَوْلَاهُمَا!
دَاسَ الْأَثِيمُ جَاهُمَا * نَحْتِ الدُّبْحِ وَدَهَاهُمَا
فَرَمَى النَّهْيَ وَالْفَضْلَ نَحْجُ * سَمِعَيْنِ حِينَ رَمَاهُمَا
إِنْ تَذَكَّرُوا هِمَّ الرَّجَا * لِي فَقَدَّمُوا ذِكْرَاهُمَا
أَوْ تَسْأَلُونِي عَنْ شَيْءٍ * لَدَى مَبْدَأِ نَهْمَاهُمَا

(١) سكون الأنفاس : كناية عن الموت . ويريد بقوله « طبيت في الشرق أنفاس الأديب » :

أن أدباء الشرق قد تخرجوا عليه ، وأخذوا من أدبه وفضله ما طابت به منشأتهم وارتفع به أديبهم .

(٢) في مساء الخميس ١٦ نوفمبر سنة ١٩٢٢ م ، اعتدى معتد على عضوين من أعضاء حزب الأحرار

الدستوريين ، هما المرحومان حسن عبد الرزاق باشا وإسماعيل زهدي بك ، فرماه بالرصاص ولم يمهلهما

الأجل إلا أياما ، فتوفي إسماعيل بك أولا ، وتوفي حسن باشا بعده ، وكان مبعث هذا الاعتداء الخلاف

السياسي بين الأحزاب .

رثاء إسماعيل صبرى باشا^(١)

أنشدها في حفل التابين الذى أقيم في فناء مدرسة المغالين بالمنيرة في مايو سنة ١٩٢٣ م ، وحين وقف لإنشاد هذه القصيدة أكثر المجتمعون التصفيق ترحيبا به ، فقال مرتجلا :

أَكْثَرْتُمُ التَّصْفِيقَ فِي مَوْطِنٍ * كَانِ الْبُكَاءُ فِيهِ بِنَا أَلِيقَا
فَاكْرُمُوا (صَبْرِي) بِإِنْصَاتِكُمْ * وَلْيُعْذِرِ الدَّمْعُ إِذَا صَفَّقَا

ثم ابتدأ في إنشاد قصيدته :

(٢) نَمَاكَ النِّعَاةُ وَحُسْمُ الْقَدَرِ * وَلَمْ يُغْنِ عَنَّا وَعَنكَ الْحَذَرُ
(٣) طَوَتْ ذَبْحَةُ الصَّدْرِ صَدْرَ النَّدَى * فَلَمْ تَطْوِ إِلَّا يَجِلَّ الْعَبْرُ
(٤) فَأَمْسَيْتَ تُذَكِّرُ فِي الْغَابِرِينَ * وَإِنْ قَلَّ مِثْلُكَ فَيَمَنْ غَبَرَ
(٥) إِذَا ذُكِرَتْ سِيرُ النَّاهِيْنَ * فَسِيرَةُ (صَبْرِي) تَجِبُ السِّرُّ
(٦) لَقَدْ كُنْتَ بَرًّا بِظُلِّ الشَّبَابِ * فَلَمَّا تَقَلَّصَ كُنْتَ الْأَبَرُّ

(١) ولد المرحوم اسماعيل صبرى باشا في سنة ١٨٥٤ م ، وبعد أن أخذ حظه من التعلم في مصر ونال شهادة الحقوق ، سافر الى أوربا فأتى علومه القانونية هناك ، وقال الشهادة من كلية اكس ، وبعد عودته الى مصر تولى عدة مناصب قضائية وإدارية ، وأتم منصب تولاه وكالة الحقاينة ، واعتزله في سنة ١٩٠٧ ، وكانت وفاته في ربيع سنة ١٩٢٣ م . وشعره معروف بالرقة ولطف الصياغة وجودة النسيب ، كما اشتهر بالإجادة في المقطعات الصغيرة ، وإلى هذا يشير حافظ في مرثيته . (٢) حسم القدر : قضى (بالبناء للجهول فيها) . ويريد « بالقدر » : الموت . (٣) يشير الى أن الفقيد توفى بالذبححة الصدرية ، وقد عاش مصابا بها زحمة الله أعواما طويلة . والنسدى : مجلس القوم ومتداهم . (٤) الغابرون : الماضون . (٥) تجب السير : تقطعها وتذهب بها . يقول : إنه إذا ذكر الفقيد لم يذكر سواء في الناهيين من الرجال . (٦) تقلص الظل : تقبض . يريد أنه قد بعد عن الإثم في شبابه ، فلما ذهب شبابه كان بعده عن الإثم أشد .

فَلَمْ تَسْتَبِقْ تَزْوَةً فِي الصَّبَا * وَلَمْ تَسْتَبِخْ هَفْوَةً فِي الْكِبَرِ
 أَهْنَى الثَّرَى أَمْ أَعَزَّى الْوَرَى * لَقَدْ فَازَ هَذَا وَهَذَا خَسِرَ
 (١) أَوَّلَ يَوْمٍ لَعَهْدِ الرَّبِيعِ * تَحْتَفُ الرِّيَاضُ وَيَذْوِي الزَّهْرُ ؟
 (٢) وَيَذْبُلُ زَهْرُ الْقَرِيضِ الثَّرَى * وَيُقْفِرُ رَوْضُ الْقَوَافِي الْغُرَى
 (٣) لِيَهْدَأُ (عُمَانُ) فَتَوَاصِهِ * أَصِيبَ وَأَسَى رَهِينَ الْحُفَرِ
 (٤) فَقَدْ كَانَ يَتَعَادَهُ دَائِبًا * بِكُورًا رَوْحًا لَتَهَبِ الدَّرَرُ
 (٥) يَقُولُ فَيُرِخُصُ دُرُّ التَّحُورِ * وَيُغْلِي بُحْمَانُ بَنَاتِ الْفِكْرِ
 (٦) يَسُوقُ الْقِصَارَ فَيَأْتِي الْعِشَارَ * وَكَمْ مِنْ مُطِيلٍ مُمِلٍّ عَثَرَ
 قِصَارَ وَحَسَبُ النَّهْيِ أَنَّهَا * لَهَا مُعْجَزَاتُ قِصَارِ السُّورِ
 رُحِمْتَ، فَقَدْ كُنْتَ حُلَاوَاللَّسَانِ * جَلِيَّ الْيَانِ صَدُوقَ الْخَبَرِ
 (٧) قَلِيلَ التَّعْجِبِ جَمِّ الْأَنَاءِ * حَكِيمَ الْوُرُودِ حَكِيمَ الصَّدْرِ
 (٨) شَمَائِلِكَ الْغُرْهُنَّ الرِّيَاضِ * رَوَى عَنْ شَذَاهَا نَسِيمُ السُّحَرِ

- (١) ذوى الزهر : ذبل . ويشير بهذا الى أن وفاة الفقيده كانت في فصل الربيع .
 (٢) القريض الثرى : الغنى بمانيه وألقاظه . (٣) عمان : كورة من بلاد العرب معروفة بالؤلؤ المستخرج من بحرها . ويريد الشاعر بهذا البيت تشبيه شعر الفقيده بالؤلؤ الذى يؤتى به من بحر عمان .
 (٤) يعتاده دائبًا ، أى يواظب على استخراج الآلى منه ليرصع بها شعره . (٥) الجمان : اللؤلؤ ، الواحدة جملة . ويريد « بنات الفكر » : معانى الشعر . (٦) يشير الى أن الفقيده كان أجود ما يكون شعره فى المقطوعات القصيرة . (٧) الأناء : التانى . ويريد « بحكيم الورد ... » الخ : أنه بصير بمواقع الأمور يحسن الدخول اليها والخروج منها . (٨) الشذا : الرائحة الطيبة .

- (١) لها مثل رَوْحِ الدُّعَاءِ اسْتَجِيب * فعافى وآوى وأغنى وسرّ
 (٢) إذا ما وردت لها منهلًا * وردت نَمِيرًا لَدِيدَ الحَصَرِ
 (٣) وفيحرك في خضبه ثروة * لفكر الأديب إذا ما افتقر
 (٤) وشعرك كالماء في صفوه * على صفحته تراءى الصور
 (٥) عيون القصائد مثل العيون * وشعرك فيهن مثل الحور
 (٦) وكم لك شكوى هوى أو أسى * لها نقات تذيب الجمر
 (٧) هتفت بها مرة في الهجير * فكاد يدب إليك الشجر
 (٨) وكم كنت تُشعل فحم الدجى * بأنفاس صبّ طویل السهر
 فياويح قلبك ماذا ألح عليه من الداء حتى أنفطر
 أيخفق تحت الدجى وحده * لذكرى أليف سلا أو هجر

(١) الروح : الراحة .

(٢) النمر : الماء الناجع في الرى . وخصر الماء (بالتحريك) : برودته .

(٣) يريد بهذا البيت أن الأدباء يستمدون من معانيه إذا أوزنهم المعاني .

(٤) تراءى ، تراءى ، أى تبين وتظهر . (٥) عيون القصائد : نقائسها

وكرائمها . والحور في العين : اشتداد البياض والسواد في بياضها وسوادها ، واستدارة حدقتها ، ورقة جفونها .

(٦) الهجير : شدة الحر . ويشير بهذا البيت الى مقطوعة لرحوم اسماعيل صبرى باشا ، أولها :

يامرحة بحمسوار الماء ناضرة * سقاك دمي اذا لم يوف ساقبك

عار عليك وهذا الظل منتشر * فتك الهجير بمثل في فواحيك

(٧) يشير بهذا البيت الى مقطوعات الفقيده في النسيب والشوق ، وهي من أنفاس شهره .

(٨) يشير بهذا البيت الى قول الفقيده يخاطب قواده :

سلا القواد الذى شاطرته زمنا * حمل الصباية فأخفق وحلك الآنا

- (١) إِذَا قِيلَ (صَبْرِي) ذَكَرْتُ (الْوَلِيدَ) * وَمَرَّتْ بِنَفْسِي ذِكْرِي (عُمَرُ)
- (٢) يَزِينُ تَوَاضُعُهُ نَفْسَهُ * كَمَا زَانَ حُسْنَ الْمَلَّاحِ الْخَفَرَ
- (٣) زَكَّى الْمَشَاعِرَ عَفْهُ الْهَوَى * شَبَّهِ الْأَحَادِيثَ حُلُو السَّعَرِ
- لَقَدْ كُنْتُ أَغْشَاهُ فِي دَارِهِ * وَنَادِيهِ فِيهَا زَهَا وَأَزْدَهْرَ
- (٤) وَأَعْرِضُ شِعْرِي عَلَى مَسْمَعٍ * لَطِيفٌ يُحْسِنُ نُبُو الْوَتَرِ
- (٥) عَلَى سَمْعٍ بِاقِعَةٍ حَاضِرٍ * يَمِيزُ الْقَدِيمَ مِنَ الْمُتَبَكَّرِ
- (٦) فَيَصْقُلُ لَفْظِي صَقْلَ الْجُمَانِ * وَيَكْسُوهُ رِقَّةَ أَهْلِ الْحَضَرِ
- (٧) يُرْقِرُقُ فِيهِ غَيْرَ الْجَنَانِ * قَتَسْتَفُ مِنْهُ النَّهْيَ وَالْفِكْرَ
- كَذَلِكَ كَانَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - * إِمَامًا لِكُلِّ أَدِيبٍ شَعَرَ
- (٨) فَكُنَّا الْجَدَاوِلَ نُزَوِي الظَّمَاءَ * ظِلَاءَ الْعُقُولِ وَكَانَ النَّهْرَ
- (٩) زَهْدَتَ عَلَى شُهْرَةٍ طَبَّقَتْ * وَجَاهٍ أَظْلَ وَفَضْلٍ بَهَرِ

- (١) يريد «بالوليد وعمر» : أبا عبادة البحرى وعمر بن عبد الله بن أبي ربيعة القرشى المخزومي ،
الشاعرين المعروفين . شبه بهما التقيد في رقة الأسلوب ، وعذوبة الألفاظ ، وطراقة المعاني ، وحسن
النسيب . وكان اسماعيل صبرى رحمه الله ، يعجب كثيرا بشعر البحرى ويفضله على غيره من الشعر .
- (٢) الخفر : شدة الحياء . (٣) زكى المشاعر : طاهرها . وعف الهوى : عفيفه فلا يدعو
حبه الى ارتكاب ماثم . (٤) يريد بقوله «يحسن نبوالوتر» : أنه كان يدرك بلطف حسه ودقة
ذوقه ما بنا من الألفاظ والمبارات ، وقد عما جاوره ولم ينسجم معه في البيت أو القصيدة .
- (٥) الباقعة : الذكى العارف الذى لا يفوته شئ . (٦) يصقل لفظي ، أى يحلوه ويحسنه .
- (٧) العبير : الرائحة الطيبة . قستاف : تشم . والنهى : العقول .
- (٨) الجداول : الأنهار الصغيرة من النهر الكبير . (٩) أظل : أى امتد ظله واتسع .

(١) خَلَعْتَ الشَّبَابَ فَلَمْ تَبِكْ * وَسَلَّكَ أَنَّكَ لَمْ تُخْتَضِرْ
 (٢) وَقَدْ ذُقْتَ طَعْمَ الرَّدَى عِنْدَ مَا * أَصِيبَ قِطَارُكَ يَوْمَ السَّفَرِ
 (٣) فَأَقْسَمْتَ أَنَّكَ الْفَيْتَهُ * لَذِيذِ الْمَذَاقَةِ إِذْ تُخْتَضِرُ
 تَمَنَّيْتَ أَنْ لَمْ تَعُدْ لِلْحَيَاةِ * وَلَكِنْ أَبَاهَا عَلَيْكَ الْقَدَرُ
 (٤) وَكَمْ سَاعَةٍ بَيْنَ سَاعِ الْحَيَاةِ * سَقَّتْكَ الْمُرَارَ بِكَأْسِ الضُّجُرِ
 (٥) فَرُحْتَ إِلَى أَخِيهَا شَاكِيًا * أَذَاتَكَ مِنْهَا فَكَانَتْ أَمْرُ
 فَتَقَشَّتْ أَثْنَاءَهَا جَاهِدًا * بَعَيْنِي بِصَبْرِ بَعِيدِ النَّظَرِ
 (٦) فَلَمْ تَرَفِهَا عَلَى طَوْلِهَا * هَنِيئَةً صَفْوٍ خَلَّتْ مِنْ كَدَرِ

(١) احتضر فلان بالبناء للجهول : مات غضا شابا . (٢) يشير بهذا البيت والذين بعده الى ما حدث للفقيه أيام كان محافظا لمدينة الاسكندرية ، وذلك أنه بينما كان راكبا قطار الرمل عائدا الى منزله من زيارة صاحب السمو الخديوى عباس الثانى اذ اصطدم القطار الذى كان يقفه مع قطار آخر ، وقد أصيب فى هذه الحادثة كثيرون من الركاب باصابات مختلفة ، وتوفى بعضهم ، وقد أغشى على الفقيه إغماء طويلا ، وأصيب بارتجاج فى مخه ، حتى إنه كان بعد ذلك كثير النسيان من أثر ذلك ، كما أصيب برضوض فى كتفه الأيسر ، وكان ينعث الى جلسائه بأنه قد ذاق طعم الموت فى هذا الحادث فوجده لذيق المذاق ، وكان يتنى أن لم تعد اليه الحياة ثانية . (٣) احتضر فلان (بالبناء للجهول) : حضره الموت . (٤) الساع : جمع ساعة . والمرار بالضم : شجر شديد المرارة ، شبه الأحران والهموم بعصارة هذا النبات . ويشير بهذا البيت الى مقطوعة للفقيه فى الساعة ، أولها :

كَمْ سَاعَةٍ آلَمْنِي مَسَا * وَأَزْعَجْنِي يَدُهَا الْقَاسِيَه

(٥) يشير بهذا : الى قول الفقيه فى مقطوعة الساعة التى سبقت الإشارة إليها :

وَكَمْ سَقَّتْنِي الْمُرَارَ لَهَا * فَرِحْتُ أَشْكُوها إِلَى التَّالِيَه

فَأَسْلَمْتَنِي هَذِهِ عَنُوه * لِسَاعَةٍ أُخْرَى وَبِى مَا بِيَه

(٦) يشير بهذا البيت والذى قبله الى قول الفقيه فى مقطوعة الساعة أيضا :

تَقَشَّتْ فِيهَا جَاهِدًا لَمْ أَجِدْ * هَنِيئَةً وَاحِدَةً صَافِيَه

- (١) وما زِلْتَ تَشْكُو إِلَى أَنْ أَتَتْ * كَمَا تَشْتَهِي سَاعَةٌ لَمْ تَنْزُرْ
 (٢) فَلَا صَدَّ تَخْشَاهُ بَعْدَ الْوِصَالِ * وَلَا ضَعْفَ تَشْكُوهُ بَعْدَ الْأَشْرِ
 (٣) أَرِيحَ فُؤَادَكَ مِمَّا ضَنَّاهُ * وَصَدْرَكَ مِمَّا عَلَيْهِ أَنْكَدَرُ
 (٤) تَمَنِّيَتْهَا خُطْوَةً لِلْمَاتِ * تُفَرِّجُ عَنْكَ كُرُوبَ الْغَيْرِ
 (٥) وَهَذَا قَدْ خَطَاها وَنِلْتَ الْمُنَى * فَهَلْ فِي الْمَمَاتِ بُلُوغُ الْوَطَرِ
 صَدَقْتَ فِي الْمَوْتِ نَصْرُ الْأَبَى * عَلَى الدَّهْرِ إِنْ هُوَ يَوْمًا غَدَرَ
 (٦) مَلَيْتَ الثَّوَاءَ بَدَارِ الزَّوَالِ * فَمَاذَا رَأَيْتَ بَدَارِ الْمَقْصَرِ
 أَتَحْتَ التُّرَابِ يُضَامُ الْكَرِيمُ * وَيَشْقَى الْحَلِيمُ وَيَخْفَى الْقَمَرُ؟
 (٧) وَيَهْضُمُ حَقُّ الْأَدِيبِ الْأَرِيبِ * وَيُطْمَسُ فَضْلُ النَّبِيِّ الْأَغْرَ؟
 أَتَحْتَ التُّرَابِ تُسَاقُ الشُّعُوبُ * بِسَوِطِ الْعُبُودَةِ سَوَى الْبَقَرِ؟
 وَيَعْقَدُ مُؤْتَمَرٌ لِلْسَّلَامِ * فَتَخْرُجُ مِنْهُ إِلَى مُؤْتَمَرِ؟

(١) ساعة لم تنزُر : يريد ساعة الموت ؛ ويشير بهذا البيت إلى قول الفقيده في آخر مقطوعة الساعة :

يا شاكى الساعات أسمع صي * تنبئك منها الساعة القاضيه

(٢) الأشر : البطر؛ وقابله بالضعف لأن الأشر إنما يكون مع القوة والقدرة .

(٣) مما عليه أنكدَر، أى مما أنصبَّ عليه من الهموم .

(٤) الغير : تغيرات الزمان ونوائبه . ويشير بهذا البيت والذي بعده إلى قول الفقيده :

ياموت هانذا نخذل * ما أبقت الأيام منى

بنى وبينك خطوة * مات تخطها فرجت عنى

(٥) الوطر : الحاجة . (٦) الثواء : الإقامة .

(٧) الأريب : العاقل الفطن .

فَإِنْ كَانَ مَا عِنْدَنَا عِنْدَكُمْ * فَلَيْسَ لَنَا مِنْ شَقَاءٍ مَقَرٌ
يُخْضَمُ الْحَيَاةَ بَعِيدُ النِّجَاةِ * فَطُوبَى لِرَاكِبِهِ إِنْ عَبَرَ^(١)
فَعُدَّ سَالِكًا غَانِمًا لِلتَّرَابِ * كَرَأَيْكَ فِي الْمَوْتِ وَآهِنًا وَقَرَّ

رثاء سعيد زغلول^(٢)

أنشدها على قبر الفقيد بعد دفنه

[نشرت في ٢١ يولييه سنة ١٩٢٣ م.]

مَا أَنْتَ أَوْلَ كَوْنَكِ * فِي الْغُرْبِ أَذْرَكَهُ الْمَغِيبُ
فَهُنَاكَ أَقْمَارُ الْمَشَا * رِقٍ قَدْ أُتِيحَ لَهَا الْغُرُوبُ
دَاسَ الْجِسَامُ غَيْرِينَ خَا * لِكَ، وَهُوَ مَرْهُوبٌ مَهِيْبُ^(٣)
لَمْ يَنْشُدْ عَنْكَ الرَّيْدُ * سُسْ وَلَا رَمَى عَنْكَ الْخُطُوبُ^(٤)
يَا (سَعْدُ) كَيْفَ قَضَى (سَعِيدُ) * وَهُوَ مِنْ (سَعِيدٍ) قَرِيبُ؟

(١) الخضم : البحر .

(٢) نشأ سعيد زغلول في ظل خاله المغفور له سعد زغلول باشا ، وبعد أن تخرج في مدرسة الحقوق عين مساعدا للنيابة ، ثم انتقل الى الديوان السلطاني في أيام المغفور له السلطان حسين كامل ، ثم عاد الى النيابة ثانية ، ثم عين قاضيا في محكمة الزقازيق . ولما سئم خاله الوحدة ، وكان إذ ذاك منفيا بجبل طارق ، استدعاه إليه فكان معه في جبل طارق ، وصحبه في سفره بعد ذلك إلى أوروبا ، وقد أصيب بمرض لم يمهله إلا أياما ، وكانت وفاته في ١٠ يولييه سنة ١٩٢٣ م ، ثم نقل جثمانه من أوروبا الى مصر . (٣) العرين : مآوى الأسد . (٤) لم ينشده : لم يصرفه . ويريد « بالرئيس » رئيس الوفد المصري المرحوم سعد زغلول باشا .

عَجَبًا ! أَلَمْ يَأْتِ أُمَّةٌ * وَتَخَافُ جَانِبَكَ الْخُطُوبُ^(١)
 وَيُقَالُ ضَيْفُكَ وَابْنُ أَخٍ * يَتَكَ وَهُوَ عَنْ (مِصْرٍ) غَرِيبٌ؟
 نَبَّأْتُ أَنَّكَ قَدْ بَكَيْتَ * تَ وَهَالِكَ الْيَوْمُ الْعَصِيبُ
 وَإِذَا بَكَى (سَعْدٌ) بَكَتْ * لُبْكَائِهِ مِنَّا الْقُلُوبُ
 يَا (آلَ زُغَلُولٍ) ذَوَى * مِنْ رَوْضِكُمْ غَضَنٌ رَطِيبُ^(٢)
 فَقَدْتُ بِهِ (مِصْرٌ) فَتَى * أَخْلَاقُهُ مِثْلُكَ وَطِيبُ
 يَا (آلَ زُغَلُولٍ) وَعُو * دُكُّمُ عَلَى الْجُلَى صَلِيبُ^(٣)
 إِنِّي لَا أَتَجَلُّ أَنْ أَعْزِيَكُمْ وَكُلُّكُمْ أَرِيبُ^(٤)
 شَاكِي سِلَاحِ الصَّبْرِ مُدَّ * تَحَنُّنٌ لِدُنْيَاهُ لَيْبُ^(٥)
 خَطْبُ الْكِنَانَةِ فِي فَقِي * يَدِكُمْ نَحْطِيطِكُمْ يُشِيبُ^(٦)
 لَمْ يَتَّقْ مِنَّا وَاحِدٌ * إِلَّا لَهُ مِنْهُ نَصِيبُ

(١) يلاحظ أن في هذا الشعر إبطاء، لتكرير لفظ « الخطوب » في بيتين ليس بينهما غير بيت واحد .

(٢) ذوى : ذبل .

(٣) الجلى : المصيبة العظمى . وصليب ، أى صلب .

(٤) الأريب : ذو العقل والرأى .

(٥) شاكي سلاح الصبر ، أى متسلح بالصبر ، قوى به على مواجهة الخطوب .

(٦) « نَحْطِيطِكُمْ » ... الخ ، أى خطب مصر لأجل الخطب الذى أصبتم به يشيب الرأس لعظم هوله .

رثاء محمد سليمان أباظه بك^(١)

[في سنة ١٩٢٣ م]

مَنْ لَمْ يَذُقْ فَقْدَ أَلِفِ الصَّبَا * لَمْ يَذُرْ مَا أَبْدَى وَمَا أُخْفِيَ
 أَفْقَدَنِي الْمَوْتَ بِهِ وَافِيَا * لَا يَعْرِفُ الْخَلَّ وَلَا يَغْدِرُ^(٢)
 تَقَرَّأَ فِي عَيْنَيْهِ كُلَّ الَّذِي * فِي نَفْسِهِ عَنْ نَفْسِهِ يَسْتُرُ
 ثَلَاثَةٌ لَمْ تَعْرِ عَنْ عِفَّةٍ : * لِسَانُهُ وَالذَّيْلُ وَالْمِشْدَرُ^(٣)
 قَدْ كَانَ مُتْلَافًا لَأَمْوَالِهِ * وَكَانَ نَهَاضًا بَيْنَ يَعْتُرُ
 أَوْشَكَ أَنْ يُفْقِرَهُ جُودُهُ * وَمِنْ صُنُوفِ الْجُودِ مَا يُفْقِرُ
 أَصِيبَ فِيهِ الْمَجْدُ يَوْمَ أَنْطَوَى * وَالْعُرْفُ وَالسَّائِلُ وَالْمُعْسِرُ^(٤)

♦ ♦

كُنَّا عَلَى عَهْدِ الصَّبَا سَبْعَةً * بِمُسْتَطَابِ اللَّهِ وَنُسْتَأْثَرُ
 (البابلي) صَفْوَةُ فِتْيَانِنَا * وَ(ابن المولحي) الْكَاتِبُ الْأَشْهَرُ^(٥)
 وَ(صَادِقُ) خَيْرُنِي (مَسِيدُ) * وَ(بَيْرُمُ) إِذْ عُدَّه أَخْضَرُ
 وَكَانَ (عَبْدُ اللَّهِ) أُنْسًا لَنَا * وَأُنْسُ (عَبْدِ اللَّهِ) لَا يُشْكِرُ
 لَهُوْكَرِيمٌ لَمْ يَشِبْ صَفْوَهُ * رِجْسٌ وَلَمْ يَشْهَدْ مُسْتَهْتَرُ^(٦)

(١) محمد سليمان أباظه بك، هو ابن سليمان أباظه باشا ولد سنة ١٨٧٢ وتعلم في مدرسة البوليس ثم كان ضابطا الى سنة ١٨٩٧ م ثم تولى عدة أعمال أخرى آخرها وكراته لمصلحة الأملاك وتوفي سنة ١٩٢٣ م .
 (٢) الخلل : الخداع . (٣) المزرة : الازار . وعفة المزرة : كناية عن عفة ماتمته . (٤) العرف : المعروف . (٥) انظر التعريف بالبابل والمولحي (في الحاشية رقم ٥ صفحة ١٦٦ والحاشية رقم ٣ من صفحة ١٥٠ من الجزء الأول على الترتيب) . (٦) لم يشب : لم يخالط . والرجس : النجس .

(١) فكم لنا من مجلس طيب * يشاقه (هارون) أو (جعفر)^(١)
 قلَّب باللفظ كما نشئ * ونضير المعنى فما يظهر
 ونرسل النكتة مجبوكة * عن غيرنا في الحسن لا تصدر
 ثم أنطوى هذا وهذا وما * يطوى من الأيام لا ينشر
 كم دوحه أودى بها عصف * والنجم من مأمنه ينظر^(٢)

ذكرى المرحوم محمد أبي شادي بك^(٣)

عجبت أن جعلوا يوماً لذكركا * كأتنا قد تسينا يوم متعاكا
 إذا سلت (يا أبا شادي) مطوقة * ذكر الهديل فيق أنا سلوناكا^(٤)
 في مهجة (النيل) والوادي وساكنه * رجع لصوتك موصول بذكركا^(٥)
 قد عشت فينا نيمراً طاب موده * أسمى سجايا الفتى أدنى سجاياكا^(٦)

- (١) يريد هارون الرشيد، وجعفر بن يحيى البرمكي وذريته، وقد توفي جعفر مقتولاً بأمر الرشيد سنة ٨٧ هـ . (٢) الدوحة : الشجرة العظيمة . (٣) كان المرحوم محمد أبو شادي بك علياً من أعلام المحاماة وإليه انتهت رئاسة نقابة المحامين حيناً من الزمن كما كان صحفياً مبرزاً وأنشأ صحيفة يومية سماها « الظاهر » وانتخب عضواً في مجلس النواب وتوفي في ٣٠ يولية سنة ١٩٢٥ م . (٤) المطوقة : الحمامة ، لما يحيط بمنقها من لون يخالف سائر لونها . والهديل : زعم بعض الأعراب أنه فرخ من الحمام قديم مات ضيعة وعطشا ، فيقولون : ما من حمامة إلا وهي تبكي عليه . (٥) رجع الصوت : صده . (٦) التيمر : الماء الناجع في الري . ويريد بقوله « أسمى سجايا » = أن أعلى ما يلحى به الناس من صفات فاضلة هو أقل ما تتلى به من شيم ومكارم .

فما كأولائك في برٍّ وفي كَرِيم * أولى كريم ، ولا عُقْبَى كَعُقْبَا كَا
 قَضِيَةُ الْوَطَنِ الْمَغْبُونِ ، قَدْ مَلَأَتْ * أَنْحَاءَ نَفْسِكَ شُغْلًا عَنْ قَضَايَا كَا
 أَبْلَيْتَ فِيهَا بَلَاءَ الْمُخْلِصِينَ لَهَا * وَكَانَ سَهْمُكَ أَنِّي رِشْتَ قَتَا كَا^(١)
 أَجَمَلْتَ مَا فَصَّلُوهُ فِي قَصَائِدِهِمْ * حَتَّى لَقَدْ نَضُّرُوا بِالْحَمْدِ مَثْوَا كَا^(٢)
 لَمْ يُبْقِ لِي قَيْدَ شَبْرِ صَاحِبَائِي وَلَمْ * يَفْسَحْ لِي الْقَوْلَ لَا هَذَا وَلَا ذَا كَا
 يَا مُدْمِنَ الذِّكْرِ وَالتَّسْبِيحِ مُحْتَسِبًا * هَانَتْ فِي الْخُلْدِ قَدْ جَاوَزْتَ مَوْلَا كَا
 لَوْ لَمْ يَكُنْ لَكَ فِي دُنْيَاكَ مَفْخَرَةٌ * سِوَى (زَكَى) لَقَدْ جَمَلْتَ دُنْيَا كَا^(٣)

رثاء المغفور له سعد زغلول باشا

أنشدها في الحفل الذي أقيم لتأبين الفقيد في ٧ أكتوبر سنة ١٩٢٧ م

إِيهِ يَا لَيْلُ هَلْ شَهِدْتَ الْمُصَابَا * كَيْفَ يَنْصَبُ فِي النَّفُوسِ أَنْصَابَا؟
 بَلَّغَ الْمَشْرِقَيْنِ قَبْلَ أَنْبِلَاجِ الصُّبْحِ * أَنْتَ الرَّئِيسَ وَلِيَّ وَظَا^(٤)
 وَأَنْعَ لِلنِّيرَاتِ (سَعْدًا) فَ (سَعْدٌ) * كَانَ أَمْضَى فِي الْأَرْضِ مِنْهَا شِهَابَا
 قَدْ يَا لَيْلُ مِنْ سَوَادِكَ ثَوْبًا * لِلدَّرَارِي وَاللُّضْحَى جِلْبَابَا^(٥)

(١) رَأْسُ السَّهْمِ يَرِيشُهُ ، إِذَا الصَّوْقُ بِهِ الرِّيشَ لِيَكُونَ أَسْرَعَ فِي مَضِيهِ .

(٢) نَضُّرُوا ، مِنْ النُّضْرَةِ ، وَهِيَ الْحُسْنُ وَالْبَهْجَةُ . وَمَثْوَاكَ : قَبْرُكَ .

(٣) الْمُرَادُ « زَكَى » : الدُّكْتُورُ أَحْمَدُ زَكَى أَبُو شَادِي ، ابْنُ الْفَقِيدِ .

(٤) أَنْبِلَاجُ الصُّبْحِ : إِشْرَاقُهُ . (٥) قَدْ : أَقْطَعُ . وَالْدَّرَارِي (بِتَشْدِيدِ الْيَاءِ وَخَفْفَتِ لِلشَّعْرِ) ،

الْكُوَاكِبُ الْمُضِيئَةُ الصَّافِيَةُ الشَّعَاعَ .

(١)
 أَسْجِ الْحَالِكَاتِ مِنْكَ تَقَابًا * وَأَحْبُ شَمْسَ النَّهَارِ ذَاكَ النَّقَابَا
 قُلْ لَهَا: غَابَ كَوْكَبُ الْأَرْضِ فِي الْأَرْضِ * ضِضْ فَنِيْبِي عَنْ السَّمَاءِ أَحْتِجَابَا
 وَالْبَسِيْنِي عَلَيْهِ ثَوْبَ حِدَادٍ * وَأَجْلِسِي لِلْعَزَاءِ فَالْحُزْنِ طَابَا
 (٢)
 أَيْنَ (سَعْدُ) ؟ فَذَلِكَ أَوَّلُ حَفْلٍ * غَابَ عَنْ صَدْرِهِ وَعَافَ الْخَطَابَا
 لَمْ يَعُوْدْ جُنُودَهُ يَوْمَ خَطْبٍ * أَنْ يُنَادَى فَلَا يَرُدُّ الْجَوَابَا
 (٣)
 عَلَّ أَمْرًا قَدْ عَاقَهُ ، عَلَّ سُقْمًا * قَدْ عَرَاهُ ، لَقَدْ أَطَالَ الْغِيَابَا
 أَيْ جُنُودَ الرَّئِيسِ نَادُوا جِهَارًا * فَإِذَا لَمْ يُجِبْ فَشَقُّوا الثِّيَابَا
 (٤)
 إِنَّهَا النَّكْبَةُ الَّتِي كُنْتُ أَخْشَى * إِنَّهَا السَّاعَةُ الَّتِي كُنْتُ آبَى
 (٥)
 إِنَّهَا اللَّفْظَةُ الَّتِي تَنْسِفُ الْأَنْدَ * نَفْسَ نَسْفًا وَتَفْقُرُ الْأَصْلَابَا
 مَاتَ (سَعْدُ) ، لَا كُنْتُ يَا (مَاتَ سَعْدُ) * أَسِيْهَامًا مَسْمُومَةً أَمْ حِرَابَا
 (٦)
 كَيْفَ أَقْصَدْتُ كُلَّ حَيٍّ عَلَى الْأَرْضِ * ضِضْ وَأَحْدَثْتُ فِي الْوُجُودِ أَتْقِلَابَا؟
 (٧)
 حَسْرَةً عِنْدَ أَنَّه عِنْدَ آهِ * تَحْتَهَا زَقْرَةٌ تُذِيبُ الصَّلَابَا
 (٨)
 قُلْ لِمَنْ بَاتَ فِي (فِلَسْطِينَ) يَبْكِي * إِنَّ زِلْزَالَنا أَجَلٌ مُصَابَا

(١) يقال : حباه كذا وبكذا يحبوه ، إذا أعطاه إياه . (٢) عاف الشيء : كرهه وزهد فيه .

(٣) عراه : أصابه . (٤) آبى ، أى أكره . (٥) يريد باللفظة : (مات سعد) الواردة في البيت

التالى . والأصلاب : عظام في الظهر ذات فقار من لدن الكاهل الى العجب . وتفقرها ، أى تصيب هذه الفقار

فتكسرهما . (٦) أقصده : أصاب مقتله . (٧) الصلاب ، أى الحجارة الصلبة . (٨) يشير الى

زلزال فلسطين الذى حدث فى ١١ يولييه سنة ١٩٢٧ م ، والذى عم خطبه كثيرا من البلاد الفلسطينية ،

فدمر كثيرا من الدور ، وأهلك عددا ليس بقليل من الأتقى ، وقد تبرع الفقيد لتكوي هذا الزلزال بمئة جنيه .

- (١) قَدْ دُهَيْتُمْ فِي دُورِكُمْ وَدُهَيْنَا * فِي نُفُوسٍ أَبَيَّنَ إِلَّا أَحْتِسَابًا
 (٢) فَقَقَدْتُمْ عَلَى الْحَوَادِثِ جَفْنًا * وَقَقَدْنَا الْمُهَنْدَ الْقِرْضَابَا
 (٣) سَلَهُ رَبُّهُ زَمَانًا فَأَبَى * ثُمَّ نَادَاهُ رَبُّهُ فَأَجَابَا
 قَدَرُ شَاءَ أَنْ يُزَلَّزَلَ (مِصْرًا) * فَتَقَالَى فزَلَّزَلَ الْأَلْبَابَا
 (٤) طَاحَ بِالرَّأْسِ مِنْ رِجَالٍ (مِصْرٍ) * وَتَخَطَّى التُّحُوتَ وَالْأَوْشَابَا
 وَالْمَقَادِيرُ إِنْ رَمَتْ لَا تُبَالِي * أَرُءَوْسًا تُصِيبُ أَمْ أُذْنَابَا
 تَخَرَّجَتْ أُمَّةٌ تُشَبِّحُ نَعَشًا * قَدْ حَوَى أُمَّةٌ وَبَحْرًا عُيَابَا
 حَمَلُوهُ عَلَى الْمَدَافِيعِ لَمَّا * أَنْجَزَ الْهَامَ حَمْلُهُ وَالرَّقَابَا
 (٥) حَالَ لَوْنُ الْأَصِيلِ وَالْدَّمْعُ يَجْرِي * شَفَقًا سَائِلًا وَصُبْحًا مُذَابَا
 وَمَهَا النَّيْلُ عَنْ سُرَاهُ دُهُولًا * حِينَ أَلْفَى الْجُمُوعَ تَبْكِي أَنْتَحَابَا
 ظَنَّ يَا (سَعْدُ) أَنْ يَرَى مِهْرَجَانًا * فَرَأَى مَائِمًا وَحَشْدًا مُعْجَابَا
 (٦) لَمْ تَسُقْ مِثْلَهُ قَرَاعِينَ (مِصْرٍ) * يَوْمَ كَانُوا لِأَهْلِهَا أَرْبَابَا

- (١) احتساباً، أى إن هذه النفوس جعلت هذا المصائب وأحبا لها له فيما يندر لها عند الله .
 (٢) الجفن : الغمد . والمهند : السيف . والقريضاب : القطاع . يقول : إن ما ضاع من
 الفلسطينيين بالزلزال بالقياس الى ما ضاع منا كالغمد اذا قيس بالسيف . (٣) سله : شهره .
 (٤) طاح به : ذهب به . والتحوت : السفلة . والأوشاب : الأغلاط من الناس ؛ الواحد
 وشب (بالكسر) . (٥) يقول : إن لون الأصيل قد غيرته الدموع التي كانت تجري دماً ، فكانت
 كأنها شفق سائل ، أو صبح مذاب ؛ وفي لون الشفق والصبح حمرة وصفرة قشيان حمرة الدم وصفرة .
 (٦) مثله ، أى مثل هذا الحشد .

- (١) خَضَبَ الشَّيْبُ شَبَبَهُمْ بِسَوَادٍ * وَمَا الْيَضُّ يَوْمَ مِتَّ الْخَضَابَا
 (٢) وَاسْتَهَلَّتْ سَحْبُ الْبُكَاءِ عَلَى الْوَا * دِي فَغَطَّتْ خَضْرَاءَهُ وَالْيَابَا
 (٣) سَأَقْتُ (الْتِمِسُ) الْعَزَاءَ إِلَيْنَا * وَتَوَخَّتُ فِي مَذْحِكَ الْإِسْهَابَا
 لَمْ يَنْسُخْ جَارِعٌ عَلَيْكَ كَمَا نَا * حَتَّى لَا أَطْنَبَ الْمُحِبُّ وَحَابِي
 (٤) وَاعْتِرَافُ (الْتَامِيزِ) يَا (سَعْدُ) مَقِيَا * سُّ لِمَا نَالَ نَيْلَنَا وَأَصَابَا
 يَا كَبِيرَ الْفُؤَادِ وَالنَّفْسِ وَالْآ * مَا لِي أَيْنَ اعْتَرَمَتْ عَنَّا الذُّهَابَا؟
 كَيْفَ تَنْسَى مَوَاقِفًا لَكَ فِينَا * كُنْتَ فِيهَا الْمَهِيْبَ لَا أَلْمِيَابَا؟
 (٥) كُنْتَ فِي مِيعَةِ الشَّبَابِ حُسَامًا * زَادَ صَقْلًا فِرْنْدُهُ حِينَ شَابَا
 (٦) لَمْ يُنَازِلْكَ قَارِحُ الْقُومِ إِلَّا * كُنْتَ أَقْوَى يَدًا وَأَعْلَى جَنَابَا
 (٧) عِظْمٌ لَوْ حَوَاهُ (كُتْرَى أَنْوَشَرُ) * وَانْ (يَوْمَا لَضَاقَ عَنْهُ إِهَابَا
 (٨) وَمَضَاءٌ يُرِيكَ حَدَّ قَضَاءِ اللَّهِ يَقْرِي مَتْنًا وَيَحِطُّمُ نَابَا

- (١) يريد أن الشيوخ قد خضبوا شعورهم البيضاء بسواد الحداد، وترك النساء الخضاب حدادا على الفقيد . (٢) يقال : استهل المطر، إذا انهل واشتد أنصبابه . والياب : القفر . (٣) التمس : جريدة انجليزية معروفة . (٤) التاميز : نهر في جنوب إنجلترا، ويريد بالتاميز والنيل : أهليهما . (٥) ميعة الشباب : أوله . وفزند السيف : وشيه وجوهره . (٦) يريد « بالقارح » (هنا) : المكتمل القوة، المستحكم العقل والتجربة من الرجال . والقارح في الأصل من الأفراس : ما تمت أسنانه، وإنما تم في خمس سنين . (٧) كسرى أنوشروان : ملك من ملوك الفرس معروف . والإهاب : الجلد . أى إن بدن كسرى لا يتسع لمثل هذا السم والعتيم . (٨) يفرى المتن، أى يقصم الظاهر . ويحطم الناب : يكسره .

- (١) قد تَحَدَّيْتُ قُوَّةَ تَمَلَّا المَعْد * مُورَ مِنْ هَوْلِ بَطْشِهَا إِرْهَابَا
 (٢) تَمَلِّكَ الْبَرَّ وَالْبَحَارَ وَتَمَشِي * فَسَوْفَ هَامُ الْوَرَى وَتَنْجِي السَّحَابَا
 (٣) لَمْ يُنْهِنِهِ مِنْ عَزَمِكَ السَّجْنُ وَالنَّفْد * بِي وَسَاجَلَتَهَا (بِمَصْرَ) الضُّرَابَا
 (٤) سَائِلُوا (سَيْشِلَا) أَوْجَسَ خَوْفَا * وَسَلُّوا (طَارِقَا) أَرَامَ انْسِحَابَا؟
 عَزَمَةٌ لَا يَصُدُّهَا عَنْ مَدَاهَا * مَا يَصُدُّ الشُّيُولَ تَغَشَّى الْهَضَابَا
 لَيْتَ (سَعْدًا) أَقَامَ حَتَّى يَرَانَا * كَيْفَ نُعَلِّي عَلَى الْأَسَاسِ الْقِبَابَا
 قَدْ كَشَفْنَا بِهَذِيهِ كُلَّ خَافٍ * وَحَسِبْنَا لِكُلِّ شَيْءٍ حِسَابَا
 تَجَجُّ الْمُبْطِلِينَ تَمْضِي سِرَاحَا * مِثْلَمَا تُطْلِعُ الْكُؤُوسُ الْحَبَابَا
 حِينَ قَالَ : (اتَّهَيْتُ) قُلْنَا بَدَانَا * تَحْمِلُ الْعِيبَ وَحَدَانَا وَالصَّعَابَا
 (٥) فَاحْجُبُوا الشَّمْسَ وَاحْبِسُوا الرُّوحَ عَنَّا * وَأَمْنَسُونَا طَعَامَنَا وَالشُّرَابَا
 (٦) وَأَسْتَشِفُّوا يَقِيلُنَا رَغَمَ مَا نَدُ * بَقَى فَهَلْ تَلْمَحُونَ فِيهِ أَرْتِيَابَا؟
 (٧)

(١) يريد « بالقوة » : قوة الإنجليز . (٢) هَامُ الْوَرَى : رومهم ، الواحدة هامة . ويريد بقوله « وتنجي السحابا » أن هذه الدولة لها ملك واسع ، بحيث أمطر السحاب وأنرج زرعاً كان ما يجي من هذا الزرع لدولة الانجليز؛ وهو إشارة الى ما يروى من أن بعض الخلفاء رأى سحابة في الأفق فقال : امطري حيث تمطرين فان ما تخرجينه من الزرع تجي ثمراته اليانا . (٣) لم ينهه ، أى لم ينهه عن مطلبه ولم يصرفه . وساجلتها الضرابا ، أى حاربت هذه القوة كما حاربتك . (٤) سيشل : جزيرة انجليزية في المحيط الهندي تقع الى الشمال من جزيرة مدغشقر ، وقد نفى اليها سعد زقلول باشا هو وبعض أصحابه سنة ١٩٢١م ثم نقل من سيشل الى جبل طارق ، لأن جؤ سيشل أضربه . (٥) حين حضرت سعد الوفاة ، سئل : كيف أنت ؟ فقال : « أنا انتهيت » ، وإلى هذا يشير الشاعر . (٦) الروح : نسيم الريح . (٧) استشف الشيء : تبينه من وراء حجاب . يقول في هذا البيت والذي قبله مخاطباً الانجليز : إنا على الرغم مما تصبرونه علينا من ألوان العذاب ثابتون على مبدئنا لانرتاب فيه ولا يزعجنا عنه مزجج .

- (١) قَدْ مَلَكَتُمْ فَمَ السَّبِيلِ عَلَيْنَا * وَفَتَحْتُمْ لِكُلِّ شَعْوَاءَ بَابًا
(٢) وَأَتَيْتُمْ بِالْحَائِمَاتِ تَرَامَى * تَحْمِلُ الْمَوْتَ جَائِمًا وَالْحَرَابَا
وَمَلَأْتُمْ جَوَانِبَ النَّيْلِ وَعَدَا * وَوَعِيدًا وَرَحْمَةً وَعَذَابَا
(٣) هَلْ ظَفِرْتُمْ مِنَّا بِقَلْبِ أَبِي * أَوْ رَأَيْتُمْ مِنَّا إِلَيْكُمْ مَثَابَا
(٤) لَا تَقُولُوا خَلَا الْعَرِينُ فِيهِ * أَلْفَ لَيْثٍ إِذَا الْعَرِينُ أَهَابَا
(٥) فَاجْمَعُوا كَيْدَكُمْ وَرُوعُوا حِمَاهَا * إِنَّ عِنْدَ الْعَرِينِ أَسَدًا غَضَابَا
جَزَعَ الشَّرْقُ كُلَّهُ لِعَظِيمِ * مَلَأَ الشَّرْقُ كُلَّهُ إِعْجَابَا
عَلَّمَ (الشَّامَ) وَ(الْعِرَاقَ) وَ(مَجْدَا) * كَيْفَ يُجْمَعُ الْجَمَى إِذَا الْخَطْبُ نَابَا
(٦) جَمَعَ الْحَقُّ كُلَّهُ فِي كِتَابِ * وَأَسْتَنَارَ الْأُسُودَ غَابًا قَفَابَا
وَمَشَى يَحْمِلُ اللَّوَاءَ إِلَى الْحَقِّ * وَيَتَلَوُّ فِي النَّاسِ ذَاكَ الْكِتَابَا
كُلَّمَا أَسَدَلُوا عَلَيْهِ حِجَابَا * مِنْ ظُلَامٍ أَزَالَ ذَاكَ الْإِجَابَا
(٧) وَاقِفٌ فِي سَبِيلِهِمْ أَيْنَ سَارُوا * عَلِيمٌ بِأَحْيَالِهِمْ أَيْنَ جَابَا

- (١) الشعواء : الغارة المنتشرة . (٢) يريد « بالحائِمَات » : الطائرات .
(٣) المَثَاب : الرجوع . يقول : إنكم بالغم في تعذيبنا ، فهل استطعتم أن تميلوا إليكم قلباً أياً من قلوبنا ، أو أن تمجدوا منا استسلاماً لكم .
(٤) العرين : بيت الأسد ومأواه . وأهاب : دعا .
(٥) راعه يروعه : أزعجه وخوّفه . والضمير في « حماها » لمصر .
(٦) يشير بهذا البيت والذي قبله إلى اقتفاء الممالك الشرقية أثر مصر واقتدائها بها في نهضتها والذود عن الأوطان .
(٧) أين جاب ، أى أين تنقل .

(١) أَيْ مَكْرِ يَدُقُّ عَنْ ذَهْنٍ (سَعْدٍ) * أَيْ خَتَلٍ يُرِيغُ مِنْهُ أَضْطِرَابًا؟
 (٢) شَاعَ فِي تَقْسِيهِ الْيَقِينَ فَوْقًا * هُ بِهِ اللَّهُ عَثَّةٌ أَوْ تَبَابًا
 عَجَزَتْ حِيلَةُ الشُّبَالِ وَكَانَ الشُّرُقُ لِلصَّيْدِ مَثْنَمًا مُسْتَطَابًا
 كُلَّمَا أَحْكَمُوا بِأَرْضِكَ نَفًّا * مِنْ فِخَايِجِ الدَّهَاءِ خَابُوا وَخَابَا
 (٣) أَوْ أَطَارُوا الْحَمَامَ يَوْمًا لِرَجَلٍ * قَابَلُوا مِنْكَ فِي السَّمَاءِ عُقَابًا
 (٤) تَقْتُلُ الدُّسَّ بِالْصَّرَاحَةِ قَتْلًا * وَتُسْقَى مُنَافِقَ الْقَوْمِ صَابًا
 وَتَرَى الصَّدْقَ وَالْصَّرَاحَةَ دِينًا * لَا يَرَاهُ الْمُخَالِفُونَ صَوَابًا
 (٥) تَعَشَّقُ الْجَسُوصُ صَافِي اللَّوْنِ مَهْمَا * وَالْمُضِلُّونَ يَعَشَّقُونَ الضُّبَابَا
 أَنْتَ أَوْرَدْتَنَا مِنَ الْمَاءِ عَدْبًا * وَأَرَاهُمْ قَسْدَ أَوْرَدُونَا السُّرَابَا
 قَدْ جَمَعْتَ الْأَحْزَابَ حَوْلَكَ صَفًّا * وَنَقَلْتَ الشُّيُوخَ وَالنُّوَابَا
 (٦) وَمَلَكْتَ الزَّمَانَ وَأَحْطَطْتَ لِلنِّبَا * بِي وَأَذْرَعْتَ بِالْأُنَاةِ الطُّلَابَا
 ثُمَّ خَلَقْتَ بِالْكِنَانَةِ أَبْطَا * لَا كَهُولًا أُعْسِرَةً وَشَسْبَابَا

(١) يدق : يفض ويخنى . والختل : الخداع . ويرىغ منه : يريد على الاضطراب
 والخوف . (٢) رلاه : حمله . والتباب : الخسران .

(٣) الحمام الزاجل : حمام كان يستعمل لنقل الرسائل . ويريد « بإرساله للزجل » هنا : السى
 لبث أخبار السوء وإضرار الفتنة . والعقاب : طائر من الطيور يسمى العرب بالكاسر .

(٤) تسقى (بالشد يد) : تسقى (بالنخيف) ، وشدد للبالغة . والصاب : عصاة شجر مر .

(٥) شبه في هذا البيت الصراحة في القول بصعوبة الجور ومفاته ، والتناقى بظلمة الغيم والضباب .

(٦) الأناة : التاني .

(١) قد مَشَى جَمْعُهُم إِلَى الْمَقْصِدِ الْأَمَدِ * حَتَّى يُغْذُونَ لِلْوُصُولِ الرِّكَابَا

يَتَنَوَّنَ الْعَلَا يَشِيدُونَ مَجْدًا * يُسْعِدُونَ الْبَنِينَ وَالْأَعْقَابَا

(٢) قَدْ بَلَوْنَاكَ قَاضِيًا وَوَزِيرًا * وَرَئِيسًا وَمِذْرَهًا خَلَابَا

فَوَجَدْنَاكَ مِنْ جَمِيعِ نَوَاحِي * لَكَ عَظِيمًا مُوَفَّقًا غَلَابَا

(٣) لَمْ يَنْسَلْ حَاسِدُوكَ مِنْكَ مُنَاهُمْ * لَا وَلَمْ يُلْصِقُوا بِعَلْيَاكَ حَابَا

(٤) نَمَّ هَنِيئًا فَقَدْ سَهِنْتَ طَوِيلًا * وَسَمِثْتَ السَّقَامَ وَالْأَوْصَابَا

(٥) كَمْ شَكَوْتَ الْمُهَادِلِي يَوْمَ كُنَّا * بِالْبَسَاتِينِ نَسْتَعِيدُ الشُّبَابَا

تَهَبُ اللَّهُوَ خَافِلِينَ وَكُنَّا * تَحْسَبُ الدَّهْرَ قَدْ أَنَابَ وَتَابَا

(٦) فَإِذَا الرُّزْءُ كَانَ مِنَّا بِمَرْمَى * وَإِذَا حَائِمُ الرَّدَى كَانَ قَابَا

حَرَمْنَا الْمَنُونُ ذِيَالِكَ الْوَجْهَ * لَهْ وَذَاكَ الْحِمَى وَتِلْكَ الرَّحَابَا

وَسَجَّيَا لَهْرًا فِي النَّفْسِ رَوْحَ * يَعْدِلُ الْفَوْزَ وَالْدُّهَاءَ أَلْجَابَا

(٧) كَمْ وَرَدْنَا مَوَارِدَ الْأَنْثَى مِنْهَا * وَرَشَقْنَا سُلَافَهَا وَالرُّضَابَا

وَمَرَحْنَا فِي سَاحِهَا فَنَسِينَا آلَ * مَاهِلَ وَالْأَصْدِقَاءَ وَالْأَحْبَابَا

(١) يقال : أخذ فلان السير وفي السير ، إذا أسرع . (٢) بلوناك ، أى اختبرتك .

والمدره : خطيب القوم ولسانهم ؛ ويطلق في هذا المعنى على الحماى : (٣) العاب : العيب .

(٤) الأوصاب : الأمراض والأوجاع الداعة . (٥) يريد « بالبساتين » : بساتين فتح الله

بركات باشا التى تقع قرية من مدينة بليس من أعمال الشرقية ، وقد كان الشاعر بها مع الفقيه .

(٦) قابا ، أى تريا . (٧) السلاف : ما تحلب وصال قبل العصر ، وهو أجود الخمر .

والرضاب : لعاب العسل .

ثم وَلَّتْ بِشَاشَةِ الْعَيْشِ عَنَّا * حِينَ سَارُوا فَوَسَّدُواكَ التُّرَابَا
خَفَّتْ فِيْنَا مَقَامَ رَبِّكَ حَيًّا * فَتَنْظُرُ بِجَنَّتَيْهِ الشُّوَابَا^(١)

رثاء أمين^(٢) الرافي بك

أنشدها في الحفل الذي أقامه الحزب الوطني لذكرى الشهداء في ١٦ فبراير سنة ١٩٢٨ م

أَمَّا (أَمِينُ) فَقَدْ ذُقْنَا لَمَصْرَعِهِ * وَخَطْبِهِ مِنْ صُنُوفِ الْحُزَنِ أَلْوَانَا
لَمْ تُنَسِّنَا ذِكْرَهُ الدُّنْيَا وَإِنْ تَسَجَّتْ * لِلزَّاحِلِينَ مِنَ الدَّسْيَانِ أَكْثَفَانَا^(٣)
مَضَى تَقِيًّا عَفِيفَ النَّفْسِ مُحْتَسِبَا * فَهَدَّ مِنْ دَوْلَةِ الْأَخْلَاقِ أَرْكَانَا^(٤)
بَجَرَتْ عَلَى سَنَنِ التَّوْحِيدِ نَشَأَتُهُ * فِي اللَّهِ وَالرَّأْيِ إِخْلَاصًا وَإِيمَانَا^(٥)
لَمْ يَلُوهُ الْمَالُ عَنْ رَأْيِ يَدَيْنِ بِهِ * (وَلَوْ حَمَلَتْ إِلَيْهِ الدَّهْرَ مَلَأْنَا)^(٦)
وَلَمْ يَلِنْ عَوْدُهُ لِلخَطْبِ يَرْهُقُهُ * قَسَا عَلَيْهِ شَدِيدُ الْعَيْشِ أَمَّ لَنَا
ظَلَمٌ مِنَ الْقَبْرِ أَنْ تَبْلَى أُنَاسُهُ * فَكَمْ رَمَتْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ خَانَا

- (١) تنظر : انتظر . ويشير بهذا البيت الى قوله تعالى : « ولئن خاف مقام ربه جنتان » .
(٢) ولد المرحوم أمين الرافي بك في ديسمبر سنة ١٨٨٦ م ، وتوفي في ٢٩ ديسمبر سنة ١٩٢٧ م ،
وهو الكاتب السيامي المعروف ، صاحب جريدة الأخبار ، وكانت له في النهضة القومية مواقف مشهودة .
(٣) محتسبا ، أى مدبرا عند الله ما قدمه من عمل صالح . (٤) السنن : الطريقة .
(٥) لم يلو ، أى لم يصرفه . والشطر الثاني عجز بيت للتنبي من قصيدة يمدح بها أبا سهل سعيد بن عبد الله ،
وصدوره : « ولا أسر بما غيى الحميد به » ومطلعها :

قد علم الين منا الين أجفانا * تدى وألف في ذا القلب أحرانا

- (٦) لان عوده : ضعف . ويرهقه : يحمله ما لا يطيق .

(١) كَانَتْ مَطِيَّةَ سَبَاقٍ جَوَانِبُهُ * يُرْوِيكَ فَيَاضُهَا صِدْقًا وَعِرْفَانًا
 عِشْرُونَ مَامَا عَلَى الطَّرْسِ الطُّهُورِ جَرَى * مَا خَطَّ فَاخِشَةً أَوْ خَطَّ بُهْتَانًا
 يَحُولُ بَيْنَ رِيَاضِ الْفِكْرِ مُقْتَطِفًا * مِنْ طَيْبِ مَغْرِمِهَا وَرَدًّا وَرَيْحَانًا
 فَيَنْشَقُّ الدَّهْنَ مِنْ أَسْطَارِهِ أَرْجَا * وَتُبْصِرُ الْعَيْنُ فَوْقَ الطَّرْسِ بُسْتَانًا (٢)
 (أَمِينُ) فَارَقْتَنَا فِي حِينٍ حَاجَتِنَا * إِلَى قَتَى لَا يَرَى لِلْإِلَهِ سُلْطَانًا
 إِلَى أَمِينٍ عَلَى أَوْطَانِهِ يَقِظُ * ذِي مِرَّةٍ يَتَلَقَّى الْخَطْبَ جَذْلَانًا (٣)
 أَيْلَسُ الْخَزْمَ مَنْ لَأَنْتَ مَهْزَتُهُ * وَأَنْتَ تَخْرُجُ مِنْ دُنْيَاكَ عُرْيَانًا؟ (٤)
 إِنْ الْقَنَاعَةَ كَثُرَتْ حَارِسُهُ * تَرَى بِهِ الْقُوَّةَ يَاقُوتًا وَمَرْجَانًا (٥)
 فَمَا سَعَيْتَ لَغَيْرِ الْحَمْدِ تَكْسِبُهُ * وَلَا رَضِيتَ لَغَيْرِ الْحَقِّ إِذْمَانًا
 أَوْدَى بِكَ (السُّكْرُ) الْمُضْنِي وَلَا يَعْجَبُ * أَنْ يُورِثَ الْخُلُومُ مَرَّ الْعَيْشِ أَحْيَانًا (٦)
 مَا هَانَ خَطْبُكَ وَالْأَخْلَاقُ وَالْهَلَاةُ * تَبْكِي عَلَيْكَ إِذَا خَطَبُ أَمْرِي هَانًا (٧)
 (أَمِينُ) حَسْبُكَ مَا قَدَّمْتَ مِنْ عَمَلٍ * فَأَنْتَ أَرْجَحْنَا فِي الْحَشْرِ مِيزَانًا

(١) يريد «بالسباق» : القلم . ويريد «جوانبه» : شقيه . وفياضها ، أى التى تفيض بالمعاني والأفكار .

(٢) أريج الزهر : تفتحته وطيب ريحه . والطرس : الصحيفة يكتب فيها .

(٣) المِرَّة : القوة والشدة . والجلد لان : الفرح (بكسر الراء) . (٤) الخز : الحرير .

ومن لانت مهزته ، أى من كان ضعيفا فى طلب الحق والدفاع عنه ، وكان لينا لفاصب وطنه .

(٥) يريد بقوله : «ترى به القوت...» الخ : أنه يكفى من حطام الدنيا بالقوت ، ويرى أنه يعدل

الياقوت والمرجان فى نفاستهما ، فلا يمتد طمعه الى عرض الدنيا قناعة منه . (٦) أودى به :

ذهب به وأهلكه . والسكر ، هو ذلك المرض المعروف ، وبه مات الفقيد . (٧) والهة : حزيمة .

أَبَشْرُ فَإِنَّكَ فِي أَخْرَاكَ أَسْعَدْنَا * حَظًّا وَإِنْ كُنْتَ فِي دُنْيَاكَ أَشْقَانَا
 بَلَّغْ ثَلَاثَتَكُمْ عَنَّا تَحِيَّتَنَا * وَأَذْكُرْ لَهُمْ مَا يُعَانِي قَوْمَنَا الْآثَا^(١)
 وَأَضْرَعْ إِلَى اللَّهِ فِي الْفِرْدَوْسِ مُبْتَلَا * أَنْ يَحْرُسَ النَّيْلَ مِمَّنْ رَامَ طُغْيَانَا

رثاء الدكتور يعقوب صروف^(٢)

أشدها في الحفل الذي أقيم لتأبينه بدار الأوبرا الملكية في ٢٠ مارس سنة ١٩٢٨ م

أَبَيْكَ وَعَيْنُ الشَّرْقِ تَبْكِي مَعِي * عَلَى الْأَرِيبِ الْكَائِبِ الْأَلْمِي^(٣)
 جَرَى بَعْضُ الدَّمْعِ مِنْ أَجْلِهِ * فَزَادَ فِي الْجُسُودِ عَلَى الطُّيُوعِ^(٤)
 نَقْصٌ مِنَ الشَّرْقِ وَمِنْ زَهْوِهِ * فَقَدْ الْيَرَّاعِ الْمُعْجِزِ الْمُبْدِعِ^(٥)
 لَيْسَ لِمُصْرِ فِي رِجَالِهَا * حَظٌّ وَلَا لِلشَّامِ فِي أَرْوَاعِ^(٦)
 مُصَابٌ (صُرُوفٌ) مُصَابٌ الْهُي * فَلْيَبْكِي كُلُّ فُؤَادٍ يَسِي^(٧)
 حُرْمٌ بِالْأَمْسِ وَأَكْثَانُهُ * تَلْسُجُهَا الْأَقْدَارُ لِلصَّرَعِ^(٨)
 يَا صَائِغَ الدَّرِّ لَتَكْرِيمِهِ * صُغْتُ لِمَنْعَاهُ مِنَ الْأَدْمَعِ

- (١) يريد «بالثلاثة» : المرحومين : مصطفى كامل ، ومحمد فريد ، وعلى فهى كامل .
 (٢) انظر التعريف بالدكتور يعقوب صروف (في الحاشية رقم ٢ من صفحة ١٥٤ من الجزء الأول) .
 (٣) الأريب : العاقل . والألمي : الذي المتوقد . (٤) يريد «بعض الدمع» : الدمع الذي يمنع عند نزول المصائب غزاة راقية من البكاء . (٥) الزهو : الكبر والفخر . (٦) الأروع : الشهم الذي الفؤاد . (٧) يمي : يحفظ . (٨) يشير بقوله «كرم بالأمس» : إلى الاحتفال باليوبيل الذهبي لمجلة المقتطف الذي أقيم في سنة ١٩٢٧ م ، وأشده فيه حافظ قصيدة نشرت في هذا الديوان .

قَدْ زَيْنَ الْعِلْمَ بِأَخْلَاقِهِ * فَعَاشَ مِثْلَ الْعَيْنِ وَالْمِسْمَعِ
 تَوَاضَعُ وَالْكِبَرُ دَابُّ الْفَتَى * خَلَا مِنَ الْفَضْلِ فَلَمْ يَنْقَعِ
 تَوَاضَعُ الْعِلْمِ لَهُ رَوْعَةٌ * يَنْهَارُ مِنْهَا صَلَفُ الْمُدْعَى^(١)
 وَحُلَّةُ الْفَضْلِ لَهَا شَارَةٌ * أَزْهَى مِنَ السِّبْقَيْنِ وَالْمِدْفَعِ
 يُشْبِعُ مَنْ حَصَلَ مِنْ عِلْمِهِ * وَهُوَ مِنَ التَّحْصِيلِ لَمْ يَشْبَعِ
 مُبَكَّرٌ تَحْسَبُهُ طَالِبًا * يُسَاقُ الْفَجْرَ إِلَى الْمَطْلَعِ
 قَدْ خَالَتِ الْأَسْقَامُ أَضْلَاعَهُ * وَالرَّأْسُ فِي شُغْلٍ عَنِ الْأَضْلَعِ
 مَاتَ وَفِي أُنْمُلِهِ صَارِمٌ * لَمْ يَنْبُ فِي الضَّرْبِ عَنِ الْمَقْطَعِ
 صَاحِبَهُ تَحْسِينِ عَامًا فَلَمْ * يَخُنْ لَهُ عَهْدًا وَلَمْ يَخْدَعْ^(٢)
 مُوَفَّقًا أَتَى جَرَى مُلْهَمًا * مَا ضَلَّ فِي الْوَرْدِ عَنِ الْمَشْرِعِ^(٣)
 لَمْ يَبْرِهِ بِإِيسَى رَبِّهِ * وَلَمْ يَحْزُهُ جَاهِلٌ أَوْ دَعَى^(٤)
 فِي النَّقْلِ وَالتَّصْنِيفِ أَرْبَى عَلَى * مَدَى (أَبْنِ بَجْرِ) وَمَدَى (الْأَصْمَعِيِّ)^(٥)

(١) الصلف: الكبر. (٢) شبه القلم بالصارم، وهو السيف، ونبا السيف عن الضريبة ينبو: كل وارتد عنها. (٣) المشرع: المورد الذي يستقي منه. (٤) خفف الياء في «دعى» لضرورة القافية. (٥) يريد «بالنقل»: ترجمة الكتب والمباحث من اللغات الأجنبية، وكان الدكتور صروف من أمهر العلماء في هذا الباب. وابن بجر، هو أبو عثمان عمرو بن بجر الجاحظ المتوفى بالقالج النصفى سنة ٨٢٥٥ هـ ولد بالبصرة ونشأ بها، وأخذ العلم عن جهابذة اللغويين والرواة، وتخرج في علم الكلام على أبي إسحاق النظام، ونصر مذهب الاعتزال. ومؤلفاته كثيرة لا يتسع لها المقام. والأصمعي، هو أبو سعيد عبد الملك بن قريب، ولد سنة ١٢٣ هـ ونشأ بالبصرة، وأخذ العربية والحديث والقراءة عن أئمتها، وأكثر الخروج إلى البادية، وشافه الأعراب وسماكنهم، وكان من ندماء الخليفة الرشيد، وتوفى في سنة ٢١٦ هـ، وأكثر مؤلفاته في اللغة.

أَيَّ سَبِيلٍ لِلْهُدَى لَمْ يَرِدْ * وَأَيَّ بَابٍ مِنْهُ لَمْ يَقْصِرْ
 يَقْتَطِفُ الزَّهْرَ وَيَخْتَارُهُ * كَالنَّحْلِ لَا يَعْفُو عَنِ الْأَيْنِعِ^(١)
 فَتَحَسَّبُ الْقُرْءَا فِي جَنَّةٍ * عَقُولُهُمْ فِي رَوْضِهَا تَرْتَمِي
 (صُرُوفٌ) لَا تَبْعُدُ فَلَسْتَ الَّذِي * يَطْوِيهِ طَائِرِي ذَلِكَ الْمَضْجَعِ
 أَسْكَنَكَ الْمَوْتَ وَلَكِنَّهُ * لَمْ يُسَكِّتِ الْآثَارَ فِي الْمَجْمَعِ
 ذِكْرَاكَ لَا تَنْفَكُ مَوْصُولَةً * فِي مَعْهَدِ الْعِلْمِ وَفِي الْمَصْنَعِ

رثاء عبد الخالق ثروت باشا^(٢)

أنشدها في الحفل الذي أقيم بالأوبرا الملكية لتأبينه في يوم السبت ١٠ نوفمبر سنة ١٩٢٨ م

لَعِبَ الْبَسْلَى بِمَلَايِبِ الْأَلْبَابِ * وَنَحَا بِشَاشَةِ فَمَّكَ الْخَلَابِ^(٣)
 وَطَوَى الرَّدَى (عَمْرُو) الْكِئَانَةَ غَافِلًا * وَرَمَى شِهَابَ دَهَائِهِ بِشِهَابِ^(٤)

- (١) لا يعفو عن الأينع، أي لا يترك الناضر من الزهر إلا أصاب منه طعمه .
 (٢) عبد الخالق ثروت باشا، هو ابن اسماعيل عبد الخالق باشا، من كبار رجال مصر في عصره .
 ولد ثروت باشا في سنة ١٨٧٣ م، وبعد أن تعلم في مصر ونال شهادة الحقوق تقلد عدة مناصب قضائية وإدارية، وهو أول مصري تولى منصب النيابة العمومية، وتولى رئاسة الوزارة في سنة ١٩٢٢ م، وتم في عهد وزارته حصول البلاد على تصريح ٢٨ فبراير المعترف فيه من بريطانيا باستقلال مصر وسيادتها .
 ثم رأس الوزارة مرة أخرى أيام تآلف الأحزاب المصرية، ثم اعتزل السياسة أخيراً، وسافر إلى باريس للاستشفاء بها، فتوفي في ٢٢ سبتمبر سنة ١٩٢٨ م . وكان من سقاس مصر المعترف بمخدراتهم وبصرهم بشؤون السياسة والحكم .
 (٣) يريد «بملاييب الألباب» : وصف الفقيد بسحر المنطق . وفي كتب اللغة أن ميم الفم تشدد في الشعر كما هنا .
 (٤) يريد بقوله «عمر الكئانة» : تشبيه الفقيد بعمر بن العاص المخزومي أحد الصحابة رضي الله تعالى عنهم، وكان معروفاً بالدهاء والكياسة والخروج من مأزق الأمور، والقوة على مكابدة الخصوم، وهو فاتح مصر في خلافة عمر بن الخطاب، وكان أميراً عليها حتى عزله عنها عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه، وتوفي في خلافة معاوية سنة ٤٣ هـ .

مَنْ كَانَ يَدْرِي يَوْمَ سَافَرَانَهُ * سَفَرٍ مِنَ الدُّنْيَا بِغَيْرِ إِيَابٍ
 حَزِنْتُ عَلَيْهِ عُقُوبَتَنَا وَقُلُوبَنَا * وَبَكَتْ، وَحَزِنُ الْعَقْلُ شَرُّ مُصَابٍ
 الْقَلْبُ يُنْسِيهِ الْغِيَابُ أَلْفَهُ * وَالْعَقْلُ لَا يُنْسِيهِ طَوْلُ غِيَابٍ^(١)
 بِالْأَمْسِ مَاتَ أَجَلُنَا وَأَعَزَّنَا * جَاهًا وَأَبْقَانَا عَلَى الْأَحْقَابِ^(٢)
 وَالْيَوْمَ قَدْ ظَالَ الْحِمَامُ أَسَدَنَا * رَأْيَا فَطَاحَ بِحِكْمَةٍ وَصَوَابٍ
 رَأْسٌ يَدْبُرُ فِي الْخَفَاءِ كَأَنَّهُ * قَدَرٌ يَدْبُرُ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ^(٣)
 حَقٌّ إِذَا أَرْضَى الثُّهَى وَتَنَاسَقَتْ * آيَاتُهُ رَاعَ الْوَرَى بِعُجَابٍ^(٤)
 يَمْشِي عَلَى سَنَنِ الْيَمْحَا مُتَمَهِّلًا * بَيْنَ الْعُدَاةِ الْكَثَرِ وَالْأَحْبَابِ^(٥)
 تَنَثَّرُ الْأَقْوَالُ عَنْ جَنَابِهِ * مِنْ شَانِيٍّ وَمُنَاصِرٍ وَنَحَابِ^(٦)
 لَا الْمَدْحُ يُغَيِّرُهُ وَلَا يُلَوِّي بِهِ * عَنْ تَجْدِيدِ الْمَرْسُومِ وَقَعِ سَبَابِ^(٧)
 حُلُوُ التَّوَاضُّعِ لَمْ يُخَالِطْ نَفْسَهُ * زَهْوُ الْمِدْلِ يُحَاطُ بِالْإِعْجَابِ^(٨)
 حُلُوُ الْأَنَاءِ إِذَا يُسْوَسُ وَعِنْدَهُ * أَنْبُ التَّعَجُّلِ آفَةُ الْأَقْطَابِ^(٩)
 حُلُوُ السُّكُوتِ كَتُوكِبٍ مُتَالِقٍ * وَاللَّيْلُ سَاجٍ أَسْوَدُ الْجَلْبَابِ

- (١) يريد بقوله : « أجلتنا » الخ المرحوم سعد زغلول باشا زعيم الأمة . والأحقاب : الدهور .
 (٢) غال : أهلك . والحمام (بكسر الحاء) : الموت . (٣) تناسقت ، أى توافقت وتناهت
 على نسق ونظام واحد . (٤) السنن (بالتحريك) : الطريق . والجحج : العقل . والكثرة : الكثيرة .
 (٥) الشانئ : المبعض . (٦) ألوى به عن الطريق . حاد به عنه . والتجدد : الطريق البين
 الواضح ، قال تعالى : (وهديناه النجدين) . (٧) الزهو : الكبر . (٨) الأناة : التأني في الأمر .
 (٩) المتألق : المشرق . وسجا الليل يسجو : ركد ظلامه ودام .

يَهْدِي السَّبِيلَ لِسَالِكِيهِ وَلَمْ يَرِدْ * شُكْرًا وَلَمْ يَعْمَلْ لِنَيْلِ ثَوَابِ^(١)
 مُتَمَكِّنٌ مِنْ نَفْسِهِ لَمْ يَعْرِهْ * قَلَقُ الضَّعِيفِ وَحَيْرَةُ الْمُتَرَاتِبِ^(٢)
 يَزِنُ الْأُمُورَ كَأَنَّمَا هُوَ صَرِيفٌ * يَزِيحُ النُّضَارَ بِدَقَّةٍ وَحِسَابِ
 وَيَحُلُّ غَامِضَهَا بِشَاقِبٍ ذَمِينِهِ * حَلَّ الطَّيِّبِ عَنَاصِرَ الْأَعْشَابِ^(٣)
 وَيَقْيِسُ شُقَّتَهَا بِمَقْيَاسِ النَّهْيِ * فَتَرَى صَحِيحَ قِيَاسِ (الْأَصْطِرْلَابِ)^(٤)
 مُتَبَسِّمٌ وَعَلَى مَعَارِفٍ وَجْهِهِ * آيَاتُ مَا يَلْقَى مِنْ الْأَوْصَابِ^(٥)
 شِيمٌ تَرُدُّ النَّاقِمِينَ لَوْدِهِ * وَشَمَائِلُ تَسْتَلُّ حَقْدَ النَّابِيِ^(٦)
 يُرِضِي الْمُرْتَلَّ فِي الْكَنِيسَةِ صُنْعُهُ * كَيْسًا وَيُرِضِي سَاكِنَ الْمِحْرَابِ^(٧)
 يَرْتَاحُ لِلْعُشْرِوفِ لَا مُتَرَجِّحًا * فِيهِ وَلَا هُوَ فِي الْجَيْسِلِ مُرَافِيِ^(٨)
 يُرَوِّى الصَّدِيقَ مِنَ الْوَفَاءِ وَلَمْ يَكُنْ * بِالْحَاسِدِ النُّعْمَى وَلَا الْمُغْتَابِ^(٩)
 لَمْ يَبْسُدْ فِينَا جَاوِزًا أَوْ غَاضِبًا * لَا هُمْ إِلَّا غَضَبَةُ النَّوَابِ^(١٠)
 وَبُكَاءُهُ فِي يَوْمٍ (سَعِيدٍ) زَادَنِي * عَلِمًا بَأَنَّ الْيَوْمَ يَوْمُ تَبَابِ

(١) لم يعره، أى لم يصبه .

(٢) الشقة : المسافة . والاصطرلاب : آلة تعرف بها المسافات بين النجوم ، وهى كلمة يونانية

الأسفل . (٣) معارف الوجه : ملاحظته وما يعرف به . والأرصاب : الأمراض ؛ الواحد

وصب (بالتحريك) . (٤) يريد أن هذه الشمائل تستخرج حقد العدو الممرض عنه وترده الى

مودة . والنابى : المنصرف عنه . (٥) الكيس : العقل . يقول فى هذا البيت : إنه بسياسة

وعقله ينال رضا المسلمين والنصارى . (٦) لا مترجحا ، أى لا مبالا ربحا . (٧) لاهم ، أى

الاهم . ويريد بهذا البيت أنه لا يغضب لشخصه ولا يحزن لمنفعة فاته ، وإنما يغضب غضبة النابى عن

الأمة فى سبيل المصلحة العامة . (٨) التباب : الخسران .

- (١) قَامَتْ صِعَابٌ فِي مَسَالِكِ سَعِيهِ * مِنْ بَعْدِ (سَعْدٍ) دُعِمَتْ بِصِعَابِ
 (٢) فَظْهِرُهُ عِنْدَ النَّضَالِ وَرُكْنُهُ * أَمْسَى حَلِيثَ جَنَادِلٍ وَتُرَابِ
 (٣) لِلَّهِ سِرٌّ فِي بِنَايَةِ (ثُرُوتٍ) * سُبْحَانَ بَانِي هَذِهِ الْأَعْصَابِ
 إِنِّي سَأَلْتُ الْعَارِفِينَ فَلَمْ أَفْزُ * مِنْهُمْ عَلَى عِرْفَانِهِمْ بِجَوَابِ
 (٤) هُوَ مُسْتَقِيمٌ مُلْتَوٍ، هُوَ لَيْنٌ * صُلْبٌ، هُوَ الْوَاعِي، هُوَ الْمُتَغَابِي
 (٥) هُوَ حَوْلٌ، هُوَ قَلْبٌ، هُوَ وَاضِحٌ * هُوَ غَامِضٌ، هُوَ قَاطِعٌ، هُوَ نَابِي
 (٦) هُوَ ذَلِكَ الطَّلَسُ مِنْ أَعْيَا الْجَمَا * حَلًّا وَمَاتَ وَلَمْ يَقْزُ بِطَلَابِ
 (٧) هُوَ مَا تَرَاهُ مُفَاوِضًا كَيْفَ أَنْبَرَى * لِكَبِيرِهِمْ بِذَكَائِهِ الْوَثَابِ
 (٨) لَمْ يَأْتِ مِنْ بَابٍ لَصِيدِ دَهَائِهِ * إِلَّا نَجَا بِدَهَائِهِ مِنْ بَابِ
 (٩) وَيَظُلُّ يَرْقُبُهُ وَيَغْزُو كِبَرَهُ * بِلُيُونَةٍ وَلِبَاقَةٍ وَخِلَابِ

- (١) دُعِمَتْ بِصِعَابٍ، أى صِعَابٌ فوق صِعَابٍ . والتدعيم : التقوية . يشير بهذا البيت والذي بعده الى أن الفقيه كان يفاوض الإنجليز في القضية المصرية سنة ١٩٢٧ م قبل موت سعد في وزارة الائتلاف، فلما مات سعد في أثناء تلك المفاوضة، أمن البريطانيون ذلك الجانب المخوف، وتشددوا فيما كانوا يريدون منحه لمصر قبل ذلك، وعاد ثروت بمشروع للعاهدة لم يقبل .
 (٢) الظهير : الممين . ويريد به سعدا . والجنادل : الحجارة .
 (٣) بِنَايَةِ ثُرُوتٍ، أى تكوينه وخلقه (بفتح فسكون) . (٤) الواعى : الحافظ . والمتغابي : مدعى الغبارة .
 (٥) الحَوْلُ القلب : الحاذق البصير بتقلب الأمور وتحويلها، لا تؤخذ عليه طريق إلا تقلد في غيرها .
 (٦) الضمير في «مات» ، للفقيه، وفي «يفز» : للجم .
 (٧) كبيرهم، أى كبير الإنجليز، ويريد به المستر أوستن تشمبرلين وزير خارجية إنجلترا، وهو الذى كان يفاوض الفقيه إذ ذاك .
 (٨) الضمير في «يأتى» : لكبير الإنجليز . وفي «نجى» : ثروت .
 (٩) الخلاب : الخاتلة والدهاء .

- (١) وَيَرُوضُهُ حَتَّى يَرَى أَشْطُولَهُ * خَشْبًا تَنَاقَرُ فَوْقَ ظَهْرِ عُبَابٍ
(٢) وَيَرَى صُنُوفًا مِنْ ذَكَاءٍ صُفِّقَتْ * دُونَ الْجَنَى تُعْبَى أَسْوَدَ الْغَابِ
(٣) وَأَتَى بِأَقْصَى مَا يَنَالُ مُفَارِصُ * يَسْتَعِي بِغَيْرِ كَتَائِبٍ وَحِرَابِ
(٤) وَأَسْتَلَّ مِنْ أَشْدَاقِ آسَادِ الشَّرَى * عَلَمًا عَضَضْنَ عَلَيْهِ بِالْأَنْيَابِ
(٥) خَلَقًا خَبَا ضَوْؤُهُ الْهَلَالِ لَطِيفُهُ * جَمَّ التَّوَجُّعَ دَائِمِي الْأَهْدَابِ
فَاخْضَرَّ فَوْقَ رُبُوعٍ مِصْرَ عُدَّة * فِي مَنِيَّتِ خَضِيبٍ وَرَحْبِ جَنَابِ
(٦) إِنْ فَاتَهُ بَعْضُ الْأَمَانِي فَاذْكُرُوا * أَنَا أَمَامَ مُحَنِّكِينَ صِلَابِ
(٧) قَدْ جَازَ تِهَاءَ الْأُمُورِ وَلَمْ يَكُنْ * فِي وَغْرِهَا وَهْكَؤُودِهَا بِالْكَابِ
(٨) رَجُلٌ يُفَارِصُ وَخَدَهُ عَنْ أُمِّهِ * إِنْ لَمْ يَفْزَ فَوْزًا فَلَيْسَ بِعَابِ
(٩) رَفَعَ الْحِمَايَةَ بَعْدَ مَا بُسِطَتْ عَلَى * أُنْبَاءِ (مِصْرَ) وَأَيَّدَتْ بِكِتَابِ

- (١) يروضه، أى يسوسه، وأصله من رياضة الدواب، أى تدليلها وتيسير ما صعب منها. والعباب، بركة البحر.
(٢) الجنى، أى مصر، يريد بهذا البيت: أن ذكاء الفقيه كان حصنا للبلاد وقوة لها.
(٣) الكتائب: فوق الجيش. (٤) يشير بهذا البيت إلى تصريح ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢م الذى رفع الحماية عن مصر، واضرف الإنجليز فيه باستقلالها. والفضل فى ذلك لثروت باشا الذى كان رئيسا للوزارة إذ ذاك. ويريد «آساد الشرى» الإنجليز. (٥) يصف هذا العلم المصرى بأنه رث بال من طول ما حانى من أذى للمستعبرين، وأن ضوء الهلال قد خبا حزنا لطيفه بأيدى الفاسقين. ونخص الهلال بالذكر، لأنه شعار هذا العلم. (٦) يريد «المحنكين الصلاب»: الإنجليز. والمحنك: الذى أسكنه التجارب. (٧) التيهاء: الصحراء التى يفضل فيها السائر. والكؤود من العقبات: الصعبة الشاقة على من صدها. والكابى: العائر. (٨) فوزا، أى فوزا كاملا. والعاب: العيب. (٩) يريد الكتاب الذى أرسلته حكومة الإنجليز الى المنفور له السلطان حسين كامل على يد الجنرال مكسويل قائد الجيوش البريطانية فى مصر إذ ذاك بوضع مصر تحت الحماية البريطانية، وذلك فى ديسمبر سنة ١٩١٤م.

وَأَتَى (لِمِصْرَ) وَأَهْلَهَا بِسَيَادَةٍ * مَرْفُوعَةٍ الْأَعْلَامِ وَالْأَطْنَابِ
 غَفَرًا فَلَسْتُ بِبَالِغٍ فِيكَ الْمَدَى * إِنِّي غَذَّذْتُ إِلَى مَدَاكَ رِكَابِي^(١)
 كَمْ مَوْقِفٌ لَكَ فِي الْجِهَادِ مُسَجِّلٌ * بِشَهَادَةِ الْأَعْدَاءِ وَالْأَنْصَابِ
 فِي خَطْبِ مِصْرَ (بَطْرِيسَ) أَنْحَمْتَهَا * مَشْبُوبَةً كَانَتْ عَلَى الْأَبْوَابِ^(٢)
 أَلَفْتُ بَيْنَ الْعُنُصَرَيْنِ فَأَصْبَحَا * رَتَقًا، وَكُنْتُ مُوَفِّقَ الْأَسْبَابِ^(٣)
 خَالَفْتُ فِيكَ الْجَاذِبِينَ فَلَمْ أُنْخَ * حُزْنَا عَلَيْكَ وَأَنْتَ مِنْ أَتْرَابِي
 النَّوْحُ فِي الْجُلَى أَجْتِهَادُ مُقْصِرٍ * أَلْفَى دُمَاءَ الصَّبْرِ غَيْرُ مُجَابِ^(٤)
 فَأَنَا الَّذِي يَبْكِي بِشِعْرِ خَالِدٍ * يَبْقَى عَلَى الْأَجْيَالِ لِلْأَعْقَابِ
 قَدْ كُنْتُ يُحْسِنُ بِي وَتَرْقُبُ جَوَلَتِي * فِي حَلَبَةِ الشَّعْرَاءِ وَالْكُتَابِ
 وَتَهَشُّ إِنِّي لَأَقْتَنِي وَتُحْصِنِي * بِالْبِشْمِيرِ فِي نَادِيكَ وَالتُّرْحَابِ
 فَأَذْهَبَ كَمَا ذَهَبَ الرِّيعُ بَنُورِهِ * تَأْمَسِي الرِّيَاضُ عَلَيْهِ غَبٌّ ذَهَابِ^(٥)

- (١) غَذَّذْتُ : أَمْرَعْتُ . يقول : إنه قد حث مطايا الشعر واجتهد في أن يبلغ مدى وصف الفقيد فلم يستطع . والذي في كتب اللغة : «أغذذت» بالهمز في أوله .
 (٢) بشير يهد البيت والذي بعده إلى الفتنة التي كادت تشتعل تارها بين الأقباط والمسلمين حين قتل بطرس غالي باشا ، وكان الفضل في إخماد هذه الفتنة ، ورجوع الطائفتين إلى ما تقتضيه الحكمة ومصلحة الوطن ، لمراقبة الفقيد في هذه القضية ضد الورداني ، قاتل بطرس باشا ، وكان اذ ذاك نائباً عمومياً .
 (٣) رتقا : ملتصين . (٤) الجلى : ما جل وعظم من النواصب .
 (٥) النور (بفتح النون) : زهر النبات . و«تأمسى الرياض» ... الخ ، أى تحزن لذهابه ، ويذوى نباتها لغيابه .

رثاء محمود سليمان باشا^(١)

[نشرت في ١٩ فبراير سنة ١٩٢٩ م]

مُسَدِي الْجَمِيلِ بِلَا مَنْ يُكَدِّرُهُ * وَمُكْرِمِ الضَّيْفِ أَمْسَى ضَيْفَ (رَضْوَانِ)^(٢)
 تَجْتَازُنَا عَبْقَةً مِنْ رَوْضَةٍ أَثْفِ * إِذَا أَلَمْتُ بِنَا ذِكْرِي (سُلَيْمَانِ)^(٣)
 فُكِّلَ (لَا لَ سُلَيْمَانِ) إِذَا جَزَعُوا * رُدُّوا النُّفُوسَ إِلَى صَبْرِ وَسَلْوَانِ
 مَا إِنْ رَأَيْتُ دَفِينًا قَبْلَ شَيْخِكُمْ * تَحْتَ التُّرَابِ وَفَوْقَ النُّجُومِ فِي آنِ
 قَضَيْتَهَا مِثْلَةً فِي كُلِّ وَاحِدَةٍ * تُعِدُّ زَادَكَ مِنْ يَرْوِيهِ إِحْسَانِ^(٤)
 فَكَمْ صَفَحْتَ عَنِ الْجَانِي وَلَمْ تَرَهُ * وَكَمْ غَرَسْتَ وَكَانَ الْمُعْزِزُ الْجَانِي^(٥)
 وَكَمْ أَقَلْتَ كَرِيمًا عِنْدَ عَثْرَتِهِ * وَكَمْ مَشَيْتَ بِصُلْحٍ بَيْنَ إِخْوَانِ^(٦)
 إِنِّي رَأَيْتُكَ قَبْلَ الْمَوْتِ فِي فَلَكَ * مِنْ الْجَلَالِ عَلَى جَنَّتِيهِ نُورَانِ
 نُورُ الْيَقِينِ وَنُورُ الشَّيْبِ بَيْنَهُمَا * سَكِينَةٌ حَرَّكَتْ نَفْسِي وَوَجَدَانِي
 عَلَى جَبِينِكَ آيَاتُ الرِّضَا ارْتَسَمَتْ * وَبَيْنَ جَنَّتِكَ قَلْبٌ خَيْرٌ وَسَنَانِ^(٧)

(١) محمود سليمان باشا، كان عميد الأسرة السلطانية المعروفة بالصعيد، ومن كبار رجال النهضة الوطنية، ورئيساً للجنة الوفد المركزية، وهو والد صاحب الدولة محمد محمود باشا رئيس الوزارة سابقاً، وكانت وفاته في ٢٢ يناير سنة ١٩٢٩ م، وقد نيف على التسعين ... (٢) مسدي الجميل : معطيه . والمن : عند النعم والصنائع تعبيراً بها . (٣) «تجتازنا عبقة» الخ ... ، أى تمر بنا نقعة من طيب روضة مصونة لم يتنذل ، شبه ذكره بطيب الرياض المصونة . (٤) هذا العدد الذى ذكره الشاعر لعمر الفقيه إنما هو على وجه التقريب . (٥) المعوز : الفقير السئ الحال . ويريد «بالجاني» الأثرل في هذا البيت : مقترف الجناية ؛ و (بالثاني) : مجتنى الثمار . (٦) يقال : أقلت فلاناً عثرته ، إذا صفحت عنه ودفعت ما نزل به من مكروه . (٧) الوسنان : النائم .

- (١) قَسَمْتَ مَا جَمَعْتَ كَفَّالَكَ مِنْ نَشَبٍ * عَلَى يَنِيكَ فَكُنْتَ الْوَالِدَ الْحَانِي
- (٢) مَالٌ حَلَالٌ مُزَكَّى مَا خَلَطْتَ بِهِ * مِلِّمْ تَحْتِ وَلَا حَقًّا لِلنَّاسِ
- زَهَدْتَ فِيهَا وَهَامَ الْعَايِدُونَ لَهَا * يَجْمَعُ فَإِنْ يُعَانِي جَمْعَهُ فَاِنِي
- يَكْسِرُهُ وَكِسَاءٍ عِشْتَ مُقْتَبِطًا * تُسَبِّحُ اللَّهَ فِي سِرٍّ وَإِعْلَانٍ
- (٣) أَقَرَّ عَيْنَيْكَ فِي دُنْيَاكَ أَنْ رَأَا * (مُحَمَّدًا) يَتَرَاءَى فَوْقَ (كَبْوَانَ)
- (٤) قَضَيْتَ فِي الْأَوْجِ مِنْ عِزِّكَمَا وَكَذَا * يَقْضِي (سُلَيْمَانُ) فِي عِزٍّ وَسُلْطَانٍ
- (٥) أَتَجَبَّتْ أَرْبَعَةٌ سَادُوا بِأَرْبَعَةٍ : * فَضْلٍ وَبُئِلٍ وَإِحْسَانٍ وَعِزِّ فَإِنْ
- (٦) أَوْرَثَهُمْ شَمًّا هَشَّ الْإِبَاءُ لَهُ * وَأَوْرَقَتْ فِي ذُرَاهُ عِزَّةُ الشَّانِ
- (٧) يَذْكُرْنَ بَرًّا رَحِيمًا قَدْ أَقَامَ لَهُمْ * صَرَحًا مِنَ الْمَجْدِ أَعْلَى رُكْنِهِ الْبَانِي
- (٨) كَمْ نِعْمَةٍ لَكَ يَا (مُحَمَّدُ) عِنْدَ أَبِي * بِشُكْرِهَا لَكَ عِنْدَ الْمَوْتِ أَوْصَانِي

- (١) النشَب : المال . (٢) السحت : ما خبث من المكاسب ولزم عنه العار .
- (٣) يريد محمد محمود باشا ، وكان رئيسا للوزارة حين موت والده ، وكبوان : اسم كوكب زحل .
- (٤) قضيت : مت . والأوج : القلق . ويريد «سليمان» : ويضرب مثلا في علو المنزلة .
- (٥) يريد أولاده الأربعة ، وهم محمد محمود ، وحفني محمود ،
- وعبد الرحمن محمود ، وعلى محمود . (٦) الشم : كناية عن الرفعة وشرف النفس ، وهي في الأصل ، ارتفاع قسبة الأنف وحسنها وأسنواء أعلاها وانتصاب الأرنبة . وهش : ارتاح . وذراه : أعاليه .
- (٧) الضمير في قوله « يذكرون » : للصفات السابق ذكرها في البيت السابق ، وهي الشم والإباء وعزة الشأن . إذ ليس فيما سبق ما يصلح جعله مرجعا لهذا الضمير غيرها .
- (٨) يشير الشاعر بهذا البيت إلى أن أباه إبراهيم أفندي فهمي مهندس قناطر ديروط كان له اتصال بالفقيد ، وكان للفقيد عليه كثير من الأيادي والتمن .

تأين محمد المويلحي بك^(١)

أبيات قالها وهو يسير خلف نعشه

[نشرت في ١٨ أبريل سنة ١٩٣٠ م]

غاب الأديبُ أديبُ (مضير) واختفى * فلتبكيه الأقلامُ أو تتقصصنا

لمني على تلك الأنايل في البلى * كم سطررت حكاها وهزرت مرهفا

مات (المويلحي) الحسانُ ولم يمُت * حتى غزنا «عيسى» العقول وثقفا^(٢)

وقال يرثيه أيضا :

أنشد هذه القصيدة في حفل التأين الذي أقيم في مسرح حديقة الأزبكية في ١٣ يونيو ١٩٣٠ م

دمعة من دموع عهد الشباب * كنت خباتها ليوم المصاب^(٣)لبت اليوم يا (محمد) لما * راعني نئي أكتب الكتاب^(٤)هدأت لوعتي وسرت قليلا * عن فؤادي ولطفت بعض ما بي^(٥)موكب الدفن خلف نعشك يمشي * في احتساب وحسرة وانتحاب^(٦)لم يجاوز منازل البدر عدا * من بقايا الصديق والأحباب^(٧)

(١) انظر التعريف بمحمد المويلحي بك (في الحاشية رقم ٣ صفحة ١٥٠ من الجزء الأول) .

(٢) الحسان : الحسن من الرجال . ويريد «بعمي» : كتاب الفقيس ، وهو حديث عيسى بن

هشام المعروف . (٣) خص عهد الشباب لأنه عهد الفتوة ، وفيه يجد الإنسان معينا من الامل وقوة

على البكاء . (٤) راعني : أفزعني . (٥) سرت عن فؤادي : أي كشفت عنه الهم والمزن .

(٦) في احتساب ، أي في طلب الثواب . (٧) منازل البدر : مواضع التي ينزل فيها في دورانه ،

وهي اثنا عشر منزلا . يقول : إن عدد الذين شيعوه قد بلغ مبالغ هذه المنازل في القلة وعلو المنزلة .

لَمْ يَسْرِ فِيهِ مَنْ يُحَاوِلُ أَجْرًا * عِنْدَ حَيِّ مُؤَمِّلٍ أَوْ يُحَايِي
 (١) مُوَكَّبٌ مَاجَ جَانِبَاهُ بِحَفْلٍ * مِنْ وَفُودِ الْأَخْلَاقِ وَالْأَحْسَابِ
 شَاعَ فِيهِ الْوَفَاءُ وَالْحُزْنُ حَتَّى * ضَاقَ عَنْ حَشْدِهِ فَيَسِيحُ الرَّحَابِ
 فَكَانَ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ تَمْشِي * فِيهِ مِنْ هَيْبَةٍ وَعِزٍّ جَنَابِ
 تَمَنَّى قِيَاصِرُ الْأَرْضِ لَوْفًا * زَتْ لَدَى مَوْتِهَا بِهَذَا الرِّكَابِ
 (٢) رَبِّ نَعِشْ قَدْ شَبِعَتْهُ الْوُفُ * مِنْ سَوَادٍ تَعْلُوهُ سُودُ الثِّيَابِ
 لَيْسَ فِيهِمْ مِنْ جَازِعٍ أَوْ حَزِينٍ * صَادِقِ السَّعْيِ أَوْ أَلِيفٍ مُصَابِ
 كُنْتَ لَا تَرْتَضِي النُّجُومَ مَحَلًّا * فَلِمَاذَا رَضِيتَ سُكْنَى التُّرَابِ !
 (٣) كُنْتَ رَاحَ النُّفُوسِ فِي تَجَلِّسِ الْأَنْدِ * مِيسِرَ وَرَاحِ الْعُقُولِ عِنْدَ الْخِطَابِ
 (٤) كُنْتَ لَا تُرْهِقُ الصَّدِيقَ بَلْوَمٍ * لَا وَلَا تَسْتَبِيحُ غَيْبَ الصُّحَابِ
 وَلَئِنْ بَتَّ عَاتِبًا أَوْ غَضُوبًا * لَقَرِيبُ الرِّضَا كَرِيمُ الْعِتَابِ
 (٥) جَزَتْ سَبْعِينَ حِجَّةً لَا تَبَالِي * بِشَهَادِ تَعَاقَبَتْ أَمْ يَصَابِ
 (٦) وَسَوَاءٌ لَدَيْكَ وَالرَّأْيُ حُرٌّ * رَوْحُ (نَيْسَانَ) أَوْ لَوَافِحُ (آبِ)

(١) ماج : اضطرب . (٢) سواد الناس : عامتهم . (٣) الراح : الخمر
 (٤) ترهق الصديق ، أى تؤذيه وتجعله ما يسيء ويؤلم . (٥) الشهاد : غسل النحل .
 والصاب : عصارة شجر شديد المرارة . يريد حلول الزمان وممره . (٦) الروح : الريح . ونيسان ،
 شهر من شهور السنة المسيحية ، ويقابله إبريل حيث يكون الربيع . واللوايح من الرياح : الحارة .
 وآب ، شهر من شهور السنة المسيحية ، ويقابله أغسطس ، حيث يشتد القيظ . يقول : إنه سواء لديه
 في سبيل رأيه الحر ما يلاقيه من نعيم الزمان وشقائه .

يَا شُجَامًا وَمَا الشَّجَاعَةُ إِلَّا الـ * بِرُّ لَا الْخَوْضُ فِي صُدُورِ الصَّعَابِ

(١)

كُنْتَ نِعَمَ الصَّبُورِ إِنْ حَزَبَ الْأَمْرُ * رُسِدَتْ مَسَارِحُ الْأَسْبَابِ

(٢)

كَمْ تَجَمَّلْتَ وَالْأَمَانِيُّ صَرَعَى * وَتَمَسَّكَتِ وَالْحِظُّوْظُ كَوَابِي

(٣)

عِشْتَ مَا عِشْتَ كَالْجِبَالِ الرَّوَاسِي * فَوْقَ نَارٍ تُذِيبُ صَمَّ الصَّلَابِ

(٤)

مُؤَثِّرَ الْبُؤْسِ وَالشَّقَاءِ عَلَى الشُّكَى * وَبَى وَإِنْ عَضُّكَ الزَّمَانُ بِنَابِ

(٥)

كُنْتَ تَخْلُو بِالنَّفْسِ وَالنَّفْسُ تُشَوِي * مِنْ كُؤُوسِ الْمُحُومِ وَالْأَوْصَابِ

(٦)

فَقُسِّرَى بِالذِّكْرِ عَنْهَا وَتَنَفَّى * مَا عَرَاهَا مِنْ غُصَّةٍ وَأَكْتِنَابِ

(٧)

وَتَرَى وَحْشَةً أَنْفِرَادِكَ أَنْسَا * بِحَدِيثِ النَّفُوسِ وَالْأَلْبَابِ

(٨)

بَنَتْ عَنْهَا وَمَا جَنِّتَ وَقَدْ كَا * بَدَتْ بِأَسَاءِهَا عَلَى الْأَحْقَابِ

(٩)

وَبَدَتْ الثَّرَاءُ تَبْدُلُ فِيهِ * مِنْ إِبَاءٍ فِي بَدْلِهِ شُرَابِ

(١٠)

لَوْ شَهِدْتُمْ (مُحَمَّدًا) وَهُوَ يُمْلِي * آيَ "عِيسَى" وَمُعْجَزَاتِ الْكِتَابِ

(١١)

وَقَفَّتْ حَوْلَهُ صُفُوفُ الْمَعَانِي * وَصُفُوفُ الْأَلْفَاظِ مِنْ كُلِّ بَابِ

(١) يقال : حزبه الأمر ، إذا اشتد عليه وضغطه . وسدت مسارح الأسباب ، أي سدت مذاهب

العيش والرزق . (٢) تجملت ، أي لم تظهر الجزع . وكوابي ، أي عوارض .

(٣) صم الصلاب ، أي الحجارة الشديدة الغليظة الصلبة . (٤) الأوصاب : الآلام ؛

الواحد وصب (بالتحريك) . (٥) الذكر : القرآن ، وكان الفقيه يكثر تلاوته في آخر أيامه .

(٦) بنت : بعدت . وعنها ، أي عن الدنيا . والأحقاب : السنون .

(٧) الثراء : الغنى . والعاب : العيب . والضمير في « بدله » : يعود على الإباء . يقول : إنك عفت

الغنى الذي لا ينال إلا بالتل وقد الإباء ، وفقد الإباء شر ما يعاب به الأبى .

(٨) آي عيسى ، أي آيات نوحاه « حديث عيسى بن هشام » .

- (١) لَعَلِّمْتُ بَاتَ عَهْدَ (أَبْنِ بَجْرِ) * عَاوَدَ الشَّرْقَ بَعْدَ طُولِ أَحْتِجَابِ
 (٢) أَدَبٌ مُسْتَوٍ وَقَلْبٌ بِجَمِيعٍ * وَذَكَاءٌ يُرِيكَ ضَوْءَ الشَّهَابِ
 عِنْدَ رَأْيٍ مُوَفِّقٍ، عِنْدَ حَزْمٍ * عِنْدَ عِلْمٍ، يَفِيضُ فَيْضَ السَّحَابِ
 (٣) جَلَّ أَسْلُوبُهُ النَّقِيُّ الْمُصَنِّى * عَنْ غُمُوضٍ وَتَفَرَّةٍ وَأَضْطِرَابِ
 (٤) وَسَمَّا تَقَدَّه التَّزْيِيهُ عَنِ الْمُهْجِ * سِرًّا شَيْبَ مَرَّةٍ بِالسَّبَابِ
 ذُقْتَ فِي غُرْبَةِ الْحَيَاةِ عَنَاءَ * فَلَقِيَ الْيَوْمَ رَاحَةً فِي الْإِيَابِ
 (٥) بَلَغَ (الْبَابِلِيُّ) عَنِّي سَلَامًا * كَعَمِيرِ الرِّيَاضِ أَوْ كَالْمَلَابِ
 (٦) كَانَ تَرْبِي وَكَانَ مِنْ نَعِيمِ الْمُبْدِ * يَدِيعُ - سُبْحَاتِهِ - عَلَى الْأَتْرَابِ
 فَارِسٌ فِي النَّدَى إِذَا قَصَرَ الْفَرْ * سَأُنُّ عَنْهُ وَفَارِسٌ فِي الْجَوَابِ
 يُرْسِلُ النُّكْتَةَ الطَّرِيفَةَ تَمْشِي * فِي رَقِيقِ الشُّعُورِ مَشَى الشَّرَابِ
 (٧) قَدْ أَثَارَ (الْمُحَمَّدَانِ) دَفِينًا * فِي فُؤَادِي وَقَدْ أَطَارَا صَوَابِي
 خَلَّفَانِي بَيْنَ الرَّفَاقِ وَجِيدًا * مُسْتَكِينًا وَآمِنًا فِي الْغِيَابِ

(١) ابن بجر، هو أبو عثمان عمرو بن بجر الملاحظ الكاتب المتكلم المعروف .

(٢) وقلب جميع، أى مجتمع لا تفرقه الحوادث والشدائد .

(٣) يريد « بالنفرة » تنافر الألفاظ وعدم اتساق بعضها مع بعض .

(٤) المهجر (بالضم) : القبيح الفاحش من الكلام . وشيب : خلط . (٥) يريد « بالبابل » .

محمد البابلي بك . (انظر التعريف به في الحاشية رقم ٥ من صفحة ١٦٦ من الجزء الأول) وغير الرياض .

طبيها . والملاّب : كل عطر مائع ؛ وهو لفظ فارسي معرب . (٦) ترب الإنسان : نظيره في السن .

(٧) المحمدان ، محمد المويلحي ، ومحمد البابلي .

رثاء عبد الحليم العلايلي بك^(١)

[نشرت في ٦ مايو سنة ١٩٣٢ م]

- (٢) يا بنَ (عبد السلام) لا كانَ يومٌ * غِبتَ فيه عن هالة الأحرارِ
 كنتَ فيهِم كالرميحِ بآسٍ وليناً * كنتَ فيهِم كالكوكبِ السَّيَّارِ
 (٣) يا عريقَ الأصولِ والحسبِ الوَضِّ * ساجِ والنَّبلِ يا كريمَ الحوارِ
 كنتَ قرواً بدوحةِ العِزِّ تأوى * تحتَ أفنانهِ عفاةُ الدِّيارِ
 (٤) قصفتُهُ المنوْتُ وهو نَصيرٌ * مُورِقٌ عودُهُ جَنى الثَّمارِ
 (٥) كنتَ تأسو جراحَهُم وتَقِيهِم * وتُقِيلُ العِثارَ عندَ العِثارِ
 خانَ نطقي ولم تُخِنِّي دُموعي * لَهَفَ نَفْسي - فقَصَّرتُ أشعاري
 (٦) غيرُ بدعٍ إذا نَظَّمْتُ رِثائي * في صديقٍ من الدُّموعِ الجَواريِ
 (٧) فَمِنَ الحُزَنِ ما يَدُكُ الرُّوايى * وَمِنَ الحُزَنِ ما يَهْدُ الضُّواريِ

- (١) عبد الحليم العلايلي بك ، هو ابن عبد السلام العلايلي بك من سراة دمياط المعروفين ، وقد اشترك في النهضة الوطنية زماناً طويلاً ، وكان عضواً بارزاً في حزب الأحرار الدستوريين ، وأنتخب (مكثراً) عاماً لهذا الحزب ، وكان عضواً في مجلس النواب في بعض السنين ؛ وتوفي في ٣ مايو سنة ١٩٣٢ م .
- (٢) الهالة : دارة القمر ، شبه بها جماعة الأحرار الدستوريين . (٣) الحسب الوضاح : المشهور . (٤) الدوحة : الشجرة العظيمة المتسعة الظل . والأفنان : الأغصان . والعفاة : طلاب المعروف . (٥) تأسو جراحهم : تداويها وتبرئها . وتقيم : تحفظهم . وأقلت فلانا عثرته ، إذا وقع في خطأ فدغبت عنه ما يتوقع من طاقته وصفتت عن زلته .
- (٦) البدع : الغريب . (٧) يدك : يهدم . والرؤاسى : الجبال . والضواري : السباع المولعة بالاقتراس ، الواحد ضار .

وقال يرثيه أيضا :

[نشرت في ١٦ يونيو ١٩٣٢ م]

مَضَيْتَ وَتَحْنُ أَحْوَجُ مَا نَكُونُ * إِلَيْكَ وَمِثْلُ خَطْبِكَ لَا يَهُونُ
 بَرَّغَمُ (النَّيْل) أَنْ عَدَّتِ الْعَوَادِي * عَلَيْكَ وَأَنْتَ خَادِمُهُ الْأَمِينُ
 بَرَّغَمُ (الثَّغِير) أَنْ غُيِبَتْ عَنْهُ * وَأَنْ تَزَلَّتْ بِسَاحَتِكَ الْمَنُونُ^(١)
 أَجَلُ مُنَاهُ لَوْ يَحْيِيكَ مَيِّتًا * لَيَجْبُرُ كَسْرُهُ ذَاكَ الدَّفِينُ^(٢)
 أَسَالَ مِنَ الدَّمُوعِ عَلَيْكَ بَحْرًا * تَكَادُ بِلُجَّةٍ تَجْرِي السَّيْفِينُ^(٣)
 وَقَامَ النَّادِبَاتُ بِكُلِّ دَارٍ * وَكَتَبَرُ فِي مَآذِيهِ الْأَذِينُ^(٤)
 أَصِيبَ بِذِي مَضَاءٍ أَرِيحِي * بِهِ عِنْدَ الشَّدَائِدِ يَسْتَعِينُ^(٥)
 فَتَى الْفَتَيَانِ فَاتَتْكَ الْمَنَايَا * وَغُصْنُكَ لَا تُطَاوِلُهُ غُصُونُ^(٦)
 مَهَيَّبَتِكَ حَقَبَةً فَصَحِبْتُ حُرًا * أَيُّهَا لَا يُهَانُ وَلَا يُهَيَّنُ^(٦)
 تَبِيلَ الطَّبِيعِ لَا يَغْتَابُ خِلَا * وَلَا يُؤْذِي الْعَشِيرَ وَلَا يَمْسِينُ
 تَطَوَّعَ فِي الْجِهَادِ لَوَجْهِهِ (مَضِير) * لَهَا حَامَتُ حَوَالِيهِ الظُّنُونُ
 وَلَمْ يَثْنِ الْوَعِيدُ لَهُ عِنَانًا * وَلَمْ تَحْنُثْ لَهُ أَبَدًا يَمِينُ

(١) يريد « بالثغر » : مدينة دمياط . والمنون : الموت . (٢) يشير بهذا البيت إلى

أن الفقيد دفن برفقة الإمام الشافعي بمصر ولم يدفن بدمياط . (٣) الأذنين : المؤذن . ويشير

بقوله « وكبر... الخ » : إلى ما كان مألوفاً من أنه إذا مات عظيم قام المؤذنون ينعونه بالكبير على الماذن

في غير أوقات الأذان . (٤) الضمير في قوله « أصيب » . للثغر السابق ذكره . والأريحي :

الذي يرتاح للعروف . (٥) الحقبة : الدهر . (٦) مان يمين : كذب .

وَلَمْ تَنْزِلْ بِعِزَّتِهِ الدُّنْيَا * وَلَمْ يَمَلِّقْ بِهِ ذُلٌّ وَهُونٌ
 مَضَى لِسَبِيلِهِ لَمْ يَحْنِ رَأْسًا * وَلَمْ يَسْبِرْخْ سِرِّيَّتَهُ الْيَقِينُ
 تَرَكْتَ أَلْفَةً تُرْجُو مُعِينًا * وَلَيْسَ سِوَى الدُّمُوعِ لَهَا مُعِينُ^(١)
 تَتَوَحُّ عَلَى الْقَرِينِ وَأَيْنَ مِنْهَا * وَقَدْ خَالَ الرَّدَى — ذَاكَ الْقَرِينُ^(٢)
 سَمِعْتُ أُنَيْنَهَا وَاللَّيْلُ سَاحِجٌ * فَمَزَّقَ مُهْجَتِي ذَاكَ الْأَيْنُ
 فَقَدْ مَا نَيْتُ قَدَمًا مَا يُعَانِي * عَلَى مَلَاتِهِ الْقَلْبُ الْحَزِينُ^(٣)
 مِنْ الْخَفَرَاتِ قَدْ نَعِمْتُ بِزَوْجٍ * سَمَا بِجَلَالِهِ أَثَبُّ وَدِينُ
 أَقَامَتْ فِي النَّعِيمِ وَلَمْ تُرَوِّعْ * فَكُلُّ حَيَاتِهَا رَغَدٌ وَلِينُ
 لَقَدْ تَسَجَّ الْعَفَافُ لَهَا رِدَاءً * وَزَانَ رِدَاءَهَا انْخَدَرُ الْمَصُونُ
 دَهَاهَا الْمَوْتُ فِي الْإِلْفِ الْمُفَدَّى * وَكَدَّرَ صَفْوَهَا الدَّهْرُ الْخَلُوفُ^(٤)
 فَكَادَ مُصَابُهَا يَأْتِي عَلَيْهَا * لِسَاعَتِهَا وَتَقْتُلُهَا الشُّجُونُ^(٥)
 رَيْبِيَّةٌ نَعْمَةٌ لَمْ تَبُلْ حُزْنًا * وَلَمْ تُشْرِقْ بِأَدْمُعِهَا الْجُفُونُ^(٦)
 وَقَتٌ لَا أَلْفِيهَا حَيًّا وَمَيِّتًا * كَذَلِكَ كَرِيمَةُ (اللُّوزِي) تَكُونُ
 سَتَكْنِفُهَا الْعِنَايَةُ كُلَّ شَرٍّ * وَيَحْرُسُ خَدْرَهَا (الرُّوحُ الْأَمِينُ)

- (١) يريد «بالألفة» : زوجه . (٢) سَمَا الليل : سكن وهدا . (٣) الخفرات :
 ذوات الحياء ، الواحدة خفرة (بفتح أوله وكسر ثانيه) . (٤) يَأْتِي عَلَيْهَا : يذهب بها ويهلكها .
 (٥) لم تبُلْ حُزْنًا ، أى لم تعرفه ولم تذق مرارته . وشَرِقَ الجفن : احمر من البكاء .
 (٦) اللوزي : لقب لامرأة مريفة بشعر دمياط معروفة ، وكانت زوج الفقيد منها .

رثاء محمود الجمولي

وهو ابن المرحوم عبده الجمول المغني المعروف ، وكان قد مات بعد قرانه بقليل

(١) شَوْقُنِي أَيُّهَا الْفَرَقْدَانِ * لَبْدِرِ تَمَّ غَابَ قَبْلَ الْأَوَانِ

(٢) وَكُلَّمَا أَشْرَقْنَا مَرَّةً * عَلِمْنَا عَيْنِي نَظْمَ الْجُمَانِ

(٣) عَلَى عَزِيْزٍ قَدْ تَوَلَّى وَلَنْ * يُؤُوبَ حَتَّى يَرْجِعَ الْقَارِظَانِ

عَجَلْتُ يَا (محمود) فِي رِحْلَةٍ * قَرَّتْ بِهَا أَعْيُنُ حُورِ الْجَمَانِ

(٤) كَأَنَّمَا آخِرُ عَهْدِ الْهَنَاءِ * قَدْ كَانَ مِنَّا لَيْلَةَ الْمَهْرَجَانِ

رثاء حبيب المطران باشا^(٥)

(٦) أَعَزَّى فِيكَ أَهْلَكَ ، أَمْ أَعَزَّى * عَفَاةَ النَّاسِ ، أَمْ هِمَمَ الْكِرَامِ؟

(٧) وَمَا أَذْرِي أَرُكِّنُ أَلْجَاهِ أَوْدَى * وَقَدْ أَوْدَيْتَ أَمْ رُكْنُ الشَّامِ؟

(١) يريد : أنه كلما رأى الفرقدين تذكر ذلك البدر فاشاق إليه .

(٢) الجمَان : اللؤلؤ؛ الواحدة جمانة ، شبه بها الدموع . (٣) القارظان : رجلان من

عزّة خرجا يجنيان القرظ فلم يرجعا ، ولا عرف لهما خبر ، ففُضِرَ بهما المثل لكل غائب لا يرجي إيايه .

(٤) المهرجان : عيد للفرس ؛ ويطلق الآن على كل حفل وعيد ؛ ويريد به هنا حفل العرس .

(٥) كان حبيب المطران باشا سر يامن سراة الشام ، وكان قصره في بعلبك مقصد الوزراء والوجهاء ،

وقد نزل به المرحوم الأستاذ الشيخ محمد عبده في بعض أيام إقامته بالشام حين كان منفيا بها بعد الثورة

العراقية . (٦) العفاة : جمع عاف ، وهو طالب المعروف . (٧) أوردى : هلك .

رثاء المرحوم أحمد البابلي

بَدَأَ الْمَاتُ يَدِبُ فِي أَثْرَائِي * وَبَدَأَتْ أَهْرُفُ وَحْشَةِ الْأَحْبَابِ
 يَا بَابِلُ فِدَاكَ الْفُكَّ فِي الْعَبَا * وَفِدَا شَبَابِكَ فِي التُّرَابِ شَبَابِي
 قَدْ كُنْتُ خُلَصَانِي وَمَوْضِعَ حَاجَتِي * وَمَقَرَّ آمَالِي وَغَيْرِ مَهَابِي^(١)
 فَادْهَبْ كَمَا ذَهَبَ الْكَرَامُ مُشَيِّعًا * بِالْجَدِّ مَبِيكًا مِنَ الْأَحْبَابِ

تعزية المرحوم محمود سامي البارودي باشا في أبنته

وَدَيْعَةً رُدَّتْ إِلَى رَبِّهَا * وَمَالِكُ الْأَزْوَاجِ أَوَّلِي يَهَا
 أَلَمْ يَكُنْ صَبْرُكَ فِي بُعْدِهَا * يَرْبُو عَلَى شُكْرِكَ فِي قُرْبِهَا^(٢) ؟

وقال يرثيها أيضا :

يَتَى السَّرَائِرِ خُسْنَةً دَفْنُوكِ * أُمُّ فِي الْحَاوِجِ خُلْسَةً خَبْنُوكِ^(٣)
 مَا أَنْتِ مِمَّنْ يَرْتَضَى هَذَا الثَّرَى * نَزْلًا فَهَلْ أَرْضُوكِ أُمُّ غَبْنُوكِ^(٤) ؟

(١) الخُلَصَانُ (بالضم) : الخالص من الأخدان ، يستوى فيه الواحد كما هنا ، والجماعة أيضا .
 يقال : هو خُلَصَانِي ، وهم خُلَصَانِي .

(٢) يَرْبُو : يَزِيدُ ؛ والمستعمل في هذا المعنى : أَرْبَى يَرْبِي .

(٣) السَّرَائِرُ : جمع سريرة ، وهي السر والمراد هنا : موضعه . وخُسْنَةٌ : أي بخلا بها . والمحاوِج : جمع محاجر (وزان مجلس) ، وهو مادار بالعين . «يريد» أن حرصهم على الفقهيدة و بظاهم بها جعله يظن أنهم دفنوها في ضمايرهم أو في عيونهم ، فهو يستفهم عن أيها دفنت فيه . (٤) النزل : المكان المهيأ للنزول به .

- (١) يا بِنْتَ (مُحَمَّدٍ) يَعْزُّ عَلَى الْوَرَى * لَمَسُ التُّرَابِ لِحْسَمِكَ الْمَنُوكِ
(٢) تَرَكُوا شَبَابَكَ فِيهِ نَهْبًا لِلْبَلَى * وَاهَا لِفَضِّ شَبَابِكَ الْمَتْرُوكِ
(٣) وَخَثَوَهُ فَوْقَ سَنَّاكَ يَأْتُمُّ الضُّحَى * فَبَكَى لَهُ بَدْرُ السَّمَاءِ أَخُوكِ
(٤) دَاسَ الْجَمَامُ عَمِيرِينَ أَسَادِ الشَّرَى * يَا لَيْتَ شِعْرِي أَيْنَ كَانَ أَبُوكِ؟
(٥) عَهْدِي بِهِ يَلْقَى الرَّدَى بِمُهْنَدٍ * يَعْلُوهُ غَمْدٌ مِنْ دِمٍّ مَسْفُوكِ
(٦) يَا تَقْسَ (مُحَمَّدٍ) وَأَنْتِ عَلِيْمَةٌ * بِطَرِيقِ هَذَا الْعَالَمِ الْمَسْلُوكِ
(٧) عَهْدُوكِ لَا تَتَصَدِّعِينَ لِحَادِثٍ * أَوْ أَنْتِ بَاقِيَةٌ كَمَا عَهْدُوكِ
(٨) هَذَا التُّرَابُ - وَأَنْتِ أَعْلَمُ - مُلْتَقَى * هَذَا الْوَرَى مِنْ سُوقَةٍ وَمُلُوكِ
(٩) هَلْ أَنْتِ إِلَّا بَيْنَ جَنْبَيَّ مَا جَدٍ * صَعْبِ الشَّكِيمَةِ لِلْخَطُوبِ ضَعُوكِ
(١٠) يُغْضِي بِحَضْرَتِهِ الزَّمَانُ فَيَلْتَقَى * عِزُّ الْمَلِكِ وَذِلَّةُ الْمَمْلُوكِ

(١) المنوك : المجهود المفضى .

(٢) الغض : الطرى الناعم .

(٣) خثا التراب على الميت يخثوه : هاله عليه . والسنا : الضوء .

(٤) الجمام (بالكسر) : الموت . وعمرين الأسد : ماواه . والشري : مأسدة بجانب الفرات يضرب

بأسادها المثل . ويريد «بعمرين الأسد» : بيت أبيها .

(٥) المهند : السيف .

(٦) التصدع : التشقق . (٧) أنت : يخاطب تقس البارودي .

(٨) صعب الشكيمة ، أى أنوف أبى لا يتقاد .

(٩) يغضى الزمان ، أى يستحي منه ويهابه .

ملاحظة - أشير في نهاية هذه القصيدة في طبعة هذا الديوان السابقة الى أنها قصيدة طويلة ،

وأنه لم يثمر منها إلا على هذه الأبيات ، وقد بحثنا نحن أيضا عن بقيتها فلم نجد لها .

”من مرثية وهمية“

بلغ حافظاً أن جورج الخامس ملك إنجلترا قد توفي، فلم يكد يسمع هذا النبأ
حتى بدأ ينظم قصيدة في رثائه، ثم تبين له بعد عدم صحة هذا الخبر وقد وقفنا على
ييتين من هذه المرثية، وهما :

إِنَّ الَّذِي كَانَتْ الدُّنْيَا بِقَبْضَتِهِ * أَمْسَى مِنَ الْأَرْضِ بِحَوِيهِ ذِرَاعَانِ
وَضَابَ عَنْ مُلْكِهِ مَنْ لَمْ تَغِبْ أَبَدًا * عَنْ مُلْكِهِ الشَّمْسُ مِنْ عِزِّ وَسُلْطَانِ



قصائد لم تنشر في الطبعة الأولى .

من شعر حافظ في ثورة سنة ١٩١٩

وَلَّتْ بِشَاشَةِ دُنْيَانَا وَدُنْيَاكَ * وَفَارَقَ الْإِنْسُ مَعْنَانَا وَمَعْنَاكَ
حَمَاكَ دُونِي أَسْوَدٌ لَا يُطَاوِلُنَا * شَاكِيَ السِّلَاحِ فَكَيْفَ الْأَعْزَلُ الشَّاكِي
وَجَسْمُونِي عَلَى ضَعْفِي وَقَوَّيْهِمْ * أَنْ أُمْسِكَ الْقَوْلَ حَتَّى عَنْ تَحَايَاكَ
وَأَرْصِدُوا لِي رَقِيًّا لَيْسَ يُخْطِئُهُ * هَجَسُ الْفَوَادِ إِذَا حَاوَلْتُ ذِكْرَكَ
يُحْصِي تَرَدُّدَ أَنْفَاسِي وَيَمْنَعُنِي * نَفْحَ الشَّمَائِلِ إِنْ جَازَتْ بَرِّيَاكَ
مُنِعْتُ حَتَّى مِنَ النَّجْوَى وَسَلَوِيهَا * وَكَمْ تَعَلَّيْتُ فِي الْبَلَوَى بِنَجْوَاكَ
مَا كَادَ يَأْتِي عَلَى نَفْسِي وَيُورِدُنِي * مَوَارِدَ الْحَتْفِ إِلَّا حُبُّكَ الزَّاكِي
تَنَاولْتُ مَا وَرَاءَ النَّفْسِ غَايَتُهُ * وَقَرَّرْتُ خَلَجَاتِ الْقَلْبِ مَتَوَاكِي
وَوَظَنُّ أَهْلَكَ بِي سُوءًا وَأَرْمَضَنِي * قَوْلُ الرُّشَاةِ وَدَعْوَى كُلِّ أَفَّاكِي
قَالُوا سَلَا عَنْكَ غَدْرًا وَابْتَغَى بَدَلًا * وَكَانَ بِالْأَمْسِ مِنْ أَوْفَى رَمَائِكَ
كَمْ لِي أَحَادِيثُ شَوْقٍ لَا تُنَاجِيهَا * زَهْرُ الرِّيَاضِ وَلَا يَسْمُو بِهَا الْحَاكِي
إِنْ تُشْكِرِيهَا فَكَمْ طَارَ الرِّوَاءُ بِهَا * إِلَى حِمَاكَ وَكَمْ قَدْ عَطَّرَتْ فَاكِي
مُسْتَعْلِمِينَ إِذَا مَا الْعَمْرَةَ انْحَسَرَتْ * مَنْ صَدَّ عَنْكَ وَمَنْ بِالنَّفْسِ فَدَاكَ
رَمَيْتُ مِنْكَ إِلَى أَنْ خَاطَبْتَنِي وَتَرَى * وَلَمْ أَخُنْ فِي إِسَارِي عَهْدَ نَعْمَاكَ

برقية من حافظ إلى الخديو عباس

جاءت الأنبياء بسقوط مدينة أدرنة التابعة لدولة الخلافة العثمانية يوم
الاحتفال بزفاف كريمة الخديو إلى نجل الصدر الأعظم جلال باشا ، فأرسل
حافظ هذه البرقية إلى الخديو :

عَيْدُ هُنَا ، وَهَنَّاكَ قَامَ الْمَأْتَمُ * مَلِكٌ يَنْسُوحُ ، وَتَابِعٌ يَسْتَرْجِمُ .
عَجَبًا أَرَى تِلْكَ الدَّمَاءَ فَهَا هُنَا * دَمٌ فَرَحِي ، وَهَنَّاكَ لِلْقَتْلِ دَمٌ
فَأمر الخديو بإزالة معالم الزينات مشاركة للخليفة وللعالَم الإسلامي
في تلك النكبة .

قصر الدوبارة وقصر عابدين

قصر الدوبارة هو القصر الذي يقيم فيه المعتمد البريطاني ممثل الاحتلال
وصاحب السلطة الفعلية في البلاد .

وقصر عابدين هو قصر الخديو صاحب السلطة الشرعية والخاضع للسلطان الإنجليزي .
وفي هذين البيتين يعقد حافظ مقارنة بين كلا الحاكمين .

قصر الدوبارة ما للشيك رابضًا * والذئب في قصر الإمارة يَحْجِلُ
إني سمعتُ بعابدينَ عَوَاءَهُ * فَعَجِبْتُ كَيْفَ يَسُودُ مَنْ لَا يَعْقِلُ

من حافظ شاعر مصر إلى فؤاد ملك مصر

يَا مَلِيكَ بِرَغْمِهِ يُلْبَسُ النَّاسُ * جَ وَرَقَى لِعَرْشِهِ مَمْلُوكًا
إِنْ أُتِمَّتْ يَدَاكَ تَحْرِيبَ مِصْرٍ * فَلَقَدْ مَهَّدَ الْحَرَابَ أَبُوكَ^(١)
أَبْقَى شَيْئًا — إِذَا مَضَيْتْ ذَمِيمًا * عَنْ قَرِيبٍ — يَأْتِي عَلَيْهِ بَنُوكَا^(٢)

(١) يشير إلى الخديو إسماعيل الذي أفلس مصر وأدانها بتبذيره وامرأته حتى سقطت في براثن
الاحتلال والديون الأجنبية . (٢) يقول الشاعر للـك فؤاد لا ترتكب المقامد كلها ،
حتى يجد أبنائك من بعدك شيئًا يفسدونه ، فالفساد متأصل فيهم أصولًا وفرعًا .

إلى بانى الهرم

من شاعر مصر الكبير حافظ إبراهيم إلى فرعون مصر العظيم ، بانى الهرم
ومسخر الملايين .

من الشاعر فى عهد الحرية الشخصية وحكم الديمقراطية ، إلى فرعون
فى عهد الملوك الآلهة والرعايا العبيد .

من ابن مصر فى القرن العشرين بعد الميلاد ، إلى سيد مصر فى القرن العشرين
قبل الميلاد .

البلاغ الأسبوعى

فَخَرَّ الْعِلْمَ لِيَبْنِيَ آيَةً * فوق شَطِّ النيلِ تبدو كالْعِلْمِ^(١)
هِيَ ذِكْرٌ خَالِدٌ لَكُنْه * مَابَسَّ الْوَجْهَ إِذَا الذِّكْرُ ابْتَسَمَ
كُلُّ مَا فِيهَا عَلَى إِعْجَازِهَا * أَنَهَا قَبْرٌ لَجَبَّارِ حُطَمِ^(٢)
لَيْتَهُ سَخَّرَ مَا فِي عَهْدِهِ * مِنْ قُوَى فِي ضَيْرِ تَقْدِيسِ الرَّمَمِ
مِنْ فَنُونٍ أُعْجِزَتْ أَطَوَاقُنَا * وَمَلُومٍ عِنْدَهَا الْفِكْرُ وَجَمَمِ
وَبَنَانٍ مَبْدَعَاتٍ صَوَّرَتْ * أَوْجُهَ الْعُذْرِ لِعِبَادِ الصَّنَمِ^(٣)
أَبْدَعَتْ مَا أَبْدَعَتْ ثُمَّ انْطَوَتْ * وَعَلَى أَسْرَارِهَا الدَّهْرُ خَسَمَ

(١) العلم : الجبل .

(٢) الحطم : البالى — وحطام الشيء بقاياه .

(٣) يريد الشاعر أن يقول إن الأبدى الماهرة التى صنعت تلك التماثيل جعلت للناس العذر

فى مجادتها لدقة الصنع وجمال التصوير .

من شاعر مصر إلى أبناء مصر

قلت بعد ائتلاف حزبي الوفد والأحرار الدستوريين

البلاغ الأسبوعي ٢٦ نوفمبر سنة ١٩٢٦

قد غَفَوْنَا وَاتَّقَبَهْنَا فَمَإِذَا * نَحْنُ غُرْفِي ، وَإِذَا الْمَوْتُ أُمُّ^(١)
 ثُمَّ كَانَتْ فَتْرَةٌ مَقْدُورَةٌ * غُرْفِينَا الدَّهْرُ ضَعُفَ فَهَجَمَ
 فَمَا سَكْنَا فَكَانَتْ قُوَّةٌ * زَلَزَلَتْ رُكْنَ اللَّيَالِي فَانْهَدَمَ^(٢)
 كَانَ فِي الْأَنْفِيسِ جُرْحٌ مِنْ هَوًى * نَظَرَ اللَّهُ إِلَيْهِ فَالْتَمَأَ
 فَتَشَدَّنَا الْعَيْشَ حُرًّا طَلَقًا * تَحْتَ ظِلِّ اللَّهِ لَا ظِلَّ الْأُمِّ
 وَحَقِيقُ أَنْ يُوفَى حَقُّهُ * مَنْ يَحْبِلُ اللَّهَ وَالصَّبِيرَ احْتَصِمَ
 آفَةُ الْمَرْءِ إِذَا الْمَرْءُ وَنَى * آفَةُ الشَّعْبِ إِذَا الشَّعْبُ انْقَسَمَ
 لَيْسَ مِنْهُ مَنْ يَنْيَ أَوْ يَنْتَنِي * أَوْ يَغُتُّ النَّيْلَ فِي رَعْيِ الذِّمِّ
 نَشَاءَ مَصِيرَ ، نَبِّئُوا مَصْرًا : بِكُمْ * تَشْتَرُونَ الْمُقَصِّدَ الْأَسْمَى ، بِكُمْ
 بِنِضَالٍ يُثْقِلُ الْعِزْمُ بِهِ * وَسُهَادٍ فِي الْعُلَا حُلُوفِ الْأَلَمِ
 أَنَا لَا أَنْفَرُ بِالْمَاضِي ، وَلَا * أَحْسَبُ الْحَاضِرَ يُطْرَى أَوْ يُذَمُّ
 كُلُّ هَمْسٍ أَنْ أَرَاكُمْ فِي غَيْدٍ * مِثْلَ مَا كُنْتُمْ أُسُودًا فِي أَجَمِّ

(١) أم — قريب .

(٢) المعنى أن في تماسكنا قوة فهزت الهمال ونكباتها التي سلطتها علينا .

فالفتى كل الفتى من لو رأى * فى اقتحام النار عِزًّا لا فتحم
 لا تظنوا العيش أحلام المنى * ذاك عهد قد تولى وانصرم
 هو حرب بين فقير وفتى * وصراع بين بُرٍّ وسقم
 هو نارٌ ووقودٌ فإذا * غفل الموقد فالنار حم^(١)
 فانفضوا النوم وجدوا للعلا * فالعلا وقف على من لم ينم
 ليس يجنى من تمنى وصلها * وانيأ أو وادعاً غير الندم
 والأمانى شر ما تمنى به * همة المرء إذا المرء اعتم
 تُحمِد العزم وتثني حده * فهي كالماء لإحماد الضرم^(٢)
 وانظروا اليابان فى الشرق وقد * ركزت أعلامها فوق القمم
 حاربوا الجهل وكانوا قبلنا * فى دجى عميائه حتى انهزم
 فاسألوا عنها الثريا لا الثرى * إنها تحتل أبراج المم
 همم يمشى بها العلم إلى * أنبل الغايات لا تدرى السأم
 فهي أنى حاولت أمراً مشت * حلقها الأيام فى صف الخدم
 لا تُبالى زلزلت من تحتها * أم عليها النجم بالنجم اصطدم
 اتخذت شمس الضحى رمزاً لها * وكفى بالشمس رمزاً للعظم
 فهي لا تالو صعوداً تبغى * جانب الشمس مكاناً لم يرم

(١) الجم - الرماد .

(٢) الضرم - النار .

التبرع للتعليم

أقامت نقابة المعلمين حفلة في دار الجامعة المصرية مساء الجمعة ٢٩ من أكتوبر سنة ١٩٢٠ تكريماً لمحسنى المنوفية : حسنين عبد الغفار وعبد العزيز حبيب ومحمود السيد أبو حسين لتبرعهم بسبعين فدانا من أطيانهم في المنوفية أوقفوها على التعليم .

ودعى حافظ للاشتراك في تكريمهم ، فآلى هذه القصيدة :

ثَلَاثَةٌ مِنْ سَرَاةِ النَّيْلِ قَدْ حَسُّوا * عَلَى مَدَارِسِنَا سَبْعِينَ فِدَانَا
أَحْيَا بِهَا أَمَلًا قَدْ كَانَ يَخْنُقُهُ * بِجُلِّ الْغَنَى وَجَهْلٌ قَدْ تَفَشَّانَا
وخالَفُوا سُنَّةً فِي مَصْرَ شَائِعَةً * بَرَّتْ عَلَى الْعِلْمِ وَالْآدَابِ خُسْرَانَا
فَلَمَّا هُمْ سَرَاةِ النَّيْلِ أَنْ يَقْفُوا * عَلَى الْقُبُورِ وَإِنْ لَمْ تَحْيُوا إِنْسَانَا
فَكَمْ ضَرْبٌ خَلَاءَ لَأَرْفَاتَ بِهِ * تَرَى لَهُ فِي مَنَاحِ النَّيْلِ «أَطْيَانَا»
وَكَمْ حَبْوَسٍ عَلَى الْمَوْتِ وَفَلَّتْهَا * يَشْرَى الْجُبَاةُ بِهِ خَوْصًا وَرِيحَانَا
وَالْعِلْمُ فِي حَسْرَةٍ، وَالْعَقْلُ فِي أَسَفٍ * وَالِدَيْنُ فِي نَجَلٍ مِمَّا تَوَلَّانَا
مَا كَانَ ضَرَّ سَرَاةِ النَّيْلِ لَوْ فَعَلُوا * شَرُّوْاكُمْ ، فَبَنَوْا لِلْعِلْمِ أَرْكَانَا^(١)
تَقْدَى عَيُونُ بَنِي مَصِيرٍ بِمَظْهَرِهِمْ * فِي «الرَّيْلِ» حَيًّا ، وَفِي «حُلْوَانٍ» أَحْيَانَا^(٢)

(١) شرواكم أى مثل فعلكم وصنيعكم .

(٢) تقضى أى تؤذى — ويعيب الشاعر على الأثرياء بخلفهم في الاتفاق على العلم وتمتعهم بمباهج

الحياة مابين رمل الإسكندرية صرغا وحلوان شتاء .

(١)
 يبغون أن تحتوى الدنيا خزائنها * ويزرعوا فلوات الله أقطاناً
 وليس فيهم أخو نفع وصالحه * ولا ترى لهم برّاً وإحساناً
 يا مصر حَتَّامٌ يشكو الفضل في زمن * يجنى عليه ويمسى فيك أسواناً (٢)
 قد سأل واديك خصباً مُتَمِّعاً متى * تسيل أرجاؤه عثماً وعرفاناً

إلى الدكتور طه حسين

عند ما أصدر الدكتور طه حسين مؤلفه « في الشعر الجاهلي » شنَّ عليه جامدو الفكر حملة بتكفيره وبخروجه على الإسلام، وتعالى بعضهم فطالبوا باهتداده ، وكان منهم المرحوم الدكتور عبد الحميد سعيد الذي كان عضواً بمجلس النواب ورئيساً لجمعية الشبان المسلمين وقتئذ فقال حافظ :

إن صحَّ ما قالوا ، وما أَرْجَفُوا * وألصقوا زوراً بدين العميد
 فكُفِّرْ طه « عند دِيَانِهِ » أَحَبُّ من إسلام عبد الحميد

من حافظ إلى الشيخ عبد الرحيم الدمرداشي

لما ترجم حافظ كتاب البؤساء لفكتور هوجو، أقبل الفضلاء على تعزيده بالاشتراك في أعداد من نسخ الكتاب ، عدا شيخ الطريقة الدمرداشية وكان من أغنى أغنياء البلاد .

فلما انتهى طبع الكتاب ، أرسل إليه حافظ نسخة هدية ، وكتب عليها
 إهداء :

(١) الفلوات جمع الفلاة وهي الصحراء الواسعة .

(٢) حَتَّام أى حتى متى — أسوان أى حزين .

هَدِيَّةٌ مِنْ شَاعِرٍ بَائِسٍ * إِلَى الدَّمَرْدَاشِيِّ وَلِيِّ النَّعَمِ
يُشْرِكُ بِاللَّهِ وَلَا يَشْتَرِكُ * فِي نَسْخَةٍ فِيهَا ضَرْوبُ الْحِكَمِ

مداعبة لحافظ

كان حافظ مدعوا لإلقاء قصيدة في حفل جمعية رعاية الأطفال بمدينة
الأزبكية ، وعند دخوله أراد المشرف أن يداعبه ، فطلب منه التذكرة ، فقال
له إنه حافظ إبراهيم وجاء للمشاركة في الاحتفال السنوي كعادته بقصيدة ، فزعم
المشرف أنه لا يعرفه ، وعليه أن يثبت شخصيته بيتين يرتجلهما .

فضحك حافظ وقال له : لم أر أخيث منك مشرفا .. وارتل هذين

البيتين :

رِياضُ الأَزْبَكِيَّةِ قَدْ تَحَلَّتْ * بِأَنْجَابِ كَرَامِ أَنْتَ مِنْهُمْ
فَهَبْهَا جَنَّةً فُتِحَتْ لِحَيْرٍ * وَأَدْخَلْنَا مَعَ الْمَعْفُوفِ عَنْهُمْ

وخحك المشرف وقال : تفضل يا حافظ بك ...

شهداء العلم

جريدة السفور — ١٥ أبريل سنة ١٩٢٠

في سنة ١٩٢٠ أوفدت مصر أول بعثة دراسية من شبابها النابه إلى أوروبا لاستكمال دراساتهم العليا في جامعاتها وقد ذهبوا جميعا ضحية حادث أليم وقع للقطار الذي كان يقلهم عبر إيطاليا في أكبر كارثة للسكك الحديدية شهدتها أوروبا .

وكان وقع المصائب الفادح بالغ الألم والأثر في مصر وفي سائر البلاد العربية والأجنبية . وقد رثاهم شاعر النيل بهذه القصيدة التي ألفت في حفل جريدة السفور التي أقيمت مساء ١٤ من أبريل سنة ١٩٢٠ .

عَلَّمُونَا الصَّبْرَ يُطْفِئُ مَا اسْتَعَرَّ * إِنَّمَا الْأَجْرُ لِمَفْجُوعٍ صَبَرَ
صَدَمَةٌ فِي الْغَرْبِ أَمْسَى وَقَعُهَا * فِي رُبُوعِ الشَّرْقِ مَشُومَ الْأَثَرِ
زَلَزَتْ فِي أَرْضِ مِصْرٍ أَنْفُسًا * لَمْ يُزَلِّزْهَا قَرَارُ الْمُؤْتَمَرِ^(١)
مَا اصْطَدَامَ النُّجُومُ بِالنُّجُومِ عَلَى * مَا كُنِيَ الْأَرْضُ بِأَذَى وَأَمَرِ
قَطَفَ الْمَوْتُ بَوَاكِرَ النَّهْيِ * بَحْنَى أَجْمَلَ طَاقَاتِ الزَّهْرِ
وَعَدَا الْمَوْتُ عَلَى أَقْسَارِنَا * فَتَهَاوُوا قَرًّا بَعْدَ قَرِ
فِي سَبِيلِ النَّيْلِ وَالْعِلْمِ وَفِي * ذِمَّةِ اللَّهِ قَضَى الْإِثْنَا عَشَرَ
أَيُّ بَدُورِ الشَّرْقِ مَاذَا نَابَكُمْ * فِي مَسَارِ الْغَرْبِ مِنْ صَرْفِ الْغَيْرِ
نَبَأًا قَطَعَ أَوْصَالَ الْمَنَى * وَأَصَمَّ السَّمْعَ مِنَّا وَالْبَصَرَ
كَمْ بِمِصْرٍ زَفَرَةٌ مِنْ حَرِّهَا * كُنْثَسُ الْأَعْفَرِ، وَالطَّيْرِ وَكَرِ^(٢)

(١) المؤتمر هو مؤتمر الصلح بباريس الذي عقد عقب الحرب العالمية الأولى وحاول زعماء مصر حضوره للطالبة بجلالة الإنجليز عن مصر ، ولكن منع الزعماء من حضوره وأصدر المؤتمر قراره بالابقاء على الأوضاع في مستعمرات الدول المنتصرة ومنها إنجلترا .

(٢) ذكر الطير أي لزم ذكره — والمعنى أن الزفراء الحارة على شهدائنا كانت من الفسوة والشدة كالريح السموم التي تكنس التراب وتلزم الطير وكره من حرارتها وهجيرها .

كم أب أسوانَ دَائمَ قَلْبُهُ * مستطيرِ اللَّبِّ مَفْقُورِ الظَّهَرِ
 سَاهِمَ الوجهِ لما حَلَّ به * سَادِرَ النظَرِ مِن وَقْعِ الخَبَرِ
 كم بها والدِةٌ والهِمةُ * عَصَّتْهُا النُّكْلُ بِنَايَ فَقَرِ
 ذَاتِ تَوَيْجٍ تَحْتَ أَذْيَالِ الدُّجَى * عَلَّمَ الْأَشْجَانُ سُكَانَ الشَّجَرِ^(١)
 تَسْأَلُ الْأَطْيَارَ عَنْ مَوْنِهَا * كَمَا صَفَّقَ طَيْرٌ وَاصْطَحَرَ
 تَسْأَلُ الْأَنْجَمَ عَنْ وَاحِدِهَا * كَمَا غَوَّرَ نَجْمٌ أَوْ ظَهَرَ
 تَهَبُ الْعَمَرَ لِمَنْ يُنْبِئُهَا * أَنَّهُ أَفْلَتَ مِنْ كَفِّ الْقَدَرِ

وَيَجْ مَصِيرٌ ، كُلُّ يَوْمٍ حَادِثٌ * وَبَلَاءٌ مَا لَهَا مِنْهُ مَقَرٌ
 هَانَ مَا تَلَقَّاهُ إِلَّا خَطْبُهَا * فِي تَرَاثٍ مِنْ بَنِيهَا مُدْنَرٌ
 قَدْ ظَلَمْتُمْ بِجَدِّهِمْ فِي قُلُوبِهِمْ * إِنَّمَا نَقَلْتُهُمْ أَحَدَى الْكَبَرِ^(٢)
 فَسَوَاءٌ فِي تَرَابِ الشَّرِيقِ أَمْ * فِي تَرَابِ الْغَرْبِ كَانَ الْمُسْتَقَرُّ
 أَلَيْتُمْ أَنْ نَرَى يَوْمًا لَنَا * فِي رُبُوعِ الْعِلْمِ شَيْبَرًا قُنُوسَرٌ
 أَضَيْتُمْ أَنْ تُقِيمُوا بَيْنَهُمْ * شَاهِدًا مِنَّا لِكُتَابِ السَّيْرِ
 وَمَزَارًا كُلًّا يَمُمُّهُ * نَاشِئٌ حَيًّا نَرَاهُ وَادَّكِرُ
 وَدَلِيلًا لِابْنِ مَصِيرٍ كُلِّهَا * قَامَ فِي الْغَرْبِ بِمَصِيرٍ فَانْتَعَزِرُ
 كَمْ مَسَلَّاتٍ لَنَا فِي أَرْضِهِمْ * صَوَّرَتْ مُعْجَزَةً بَيْنَ الْمُسَوَّرِ

(١) سَكَانَ الشَّجَرِ مِمَّ الْعَلِيرِ .

(٢) لَمْ يَرْضَ حَافِظٌ عَنْ نَقْلِ جِثَّتِهِمْ إِلَى مَصْرِ لِيُدْفَنُوا فِيهَا ، بَلْ آثَرَانِ يَدْفَنُوا حَيْثُ مَا تَوَا كَرَمَ

لِجَدِّ مَصْرِ وَكَفَّاحِهَا فِي سَبِيلِ الْعِلْمِ .

فَمَنْ رَمَزَنَا لِعَصُورٍ قَدْ خَلَتْ * أَشْرَقَ الْعِلْمُ مَلِيهَا وَازْدَهَرَ
فَاجْعَلُوا أَمْوَاتَنَا الْيَوْمَ بِهَا * خَيْرَ رَمِيزٍ لِرَجَاءٍ مُتَنْظَرِ

أُمَّةَ الطُّلُبَانِ خَفَّفَتِ الْأَسَى * بِصَنِيعٍ مِنْ أَيْدِيكَ الْغُورِ
جَمَعْتَ كَفَّالِكَ عِقْدًا زَاهِيًا * مِنْ بَنِينَا فَوْقَ وَادِيكَ انْتَرِ
وَمَشَى فِي مَوَكِبِ الدَّفْنِ لَهُمْ * مِنْ بَيْنِكُمْ كُلِّ مِسَاجٍ أُغْرِ
وَسَعَى كُلُّ رِيٍّ مُفْضِلٍ * بِأَيْدِي الْأَحْزَانِ تَحْفُوضُ النَّظَرِ
وَبَكَتْ أَفْلَاحُكُمْ أَفْلَاحَنَا * بِدُمُوعٍ رَوَّضَتْ تِلْكَ الْحُفَرِ^(١)
وَصَنَعْتُمْ - صَنَعَ اللَّهُ لَكُمْ - * فَوْقَ مَا يَصْنَعُهُ الْجِلُّ الْأَبَرِ^(٢)
قَدْ بَكَيْنَا لَكُمْ مِنْ رَحْمَةٍ * يَوْمَ "مِسِينَا" فَأَرْخَصْنَا الدَّرَرَ
لِحِفْظِكُمْ وَشَكَرْتُمْ صُنْعَنَا * وَبَنُو الرُّومَانِ أَوَّلَى مَنْ شَكَرَ

أَيُّ شَبَابٍ النِّيلِ لَا تَقْعُدُ بِكُمْ * عَنْ خَطِيرِ الْمَجْدِ أخطَارُ السَّفَرِ
إِنَّ مَنْ يَعَشُّقُ أَسْبَابَ الْعُلَا * يَطْرَحُ الْإِحْجَامَ عَنْهُ وَالْحَذَرَ
فَاطْلُبُوا الْعِلْمَ وَلَوْ جَسْمَكُمْ * فَوْقَ مَا تَحْمِلُ أَطْوَاقُ الْبَشَرِ
نَحْنُ فِي عَهْدٍ جِهَادٍ قَائِمٍ * بَيْنَ مَوْتٍ وَحَيَاةٍ لَمْ تَقِرْ

(١) روضت الحفر ، أى جمعت قبور أبنائنا روضة من الرياض لكثرة ما سقطت من الدموع .

(٢) مسينا مدينة إيطالية دمرها زلزال مرروع وسارعت مصر بمساعدة إيطاليا بالبركات ، وكان حافظ بنى اشتركوا فى الدعوة لنجدتها بقصيدة من روائع شعره الإنسانى ، وهى منشورة فى الديوان بعنوان زلزال مسينا .

رثاء فقيد العلم والوطن
محمد عاطف بركات باشا^(*)

القيت في حفل تأبينه

المقطع في ١٣ سبتمبر ١٩٢٤

تَمَنَّيَ المَجدَ والمَحمَـدَ غَالِي * آلَ زَغُولٍ فَاصْبِرُوا لِلْيَالِي
قَدْ هَوَى مِنْكُمْ ثَلَاثَةُ أَقْمَا * رِيَخَتِ مِنْهُمْ بَرُوجُ المَعَالِي
مَاتَ «فَتَحَى»، وَمَنْ لَنَا بِمَجَاهُ * وَأَفَانِيں فِكْرِهِ الجَوَالِي
كَانَ ائْجُوبَةُ الزَمَانِ ذِكَا * وَمَضَا فِي كُلِّ أَمْرٍ عُضَالِي
و «سَعِيدٌ» وَكَانَ غَصِينَا نَدِيَا * فَتَحَّتْ فِيهِ زَهْرَةُ الآمَالِي
وَقَضَى «عَاطِفٌ» وَكَانَ عَظِيَا * صَادَقَ العَزِيمَ مُطْمَآنَ الحِلَالِي
يَهْزِلُ النَاسُ وَالزَمَانُ، وَيَأْبَى * غَيْرَ جِدِّ مُوَاصِلِي وَنِضَالِي
سَاهَدُ الرَّأْيِ، نَائِمُ الحَقْدِ، لَاهِ * عَنِ مَلَاهِي الْوَرَى، عَفِيفُ المَقَالِي
قَدْ جَلَا سَيْفَ عَزِيمِهِ صَبَقِلَ الـ * مِنْغِي، فَأَرْبَى عَلَى السُّيُوفِ العُصَالِي
وَمَتَّ رَأْيَهُ التُّجَارِبُ حَتَّى * بَاتَ أَمْضَى مِنْ نَافِذَاتِ النَّبَالِي
يَا شَهِيدَ الإِصْلَاحِ غَادَرْتَ مِصْرَا * وَهِيَ تَجْتَازُ هَوْلَ دَوْرِ ائْتِقَالِي

(*) محمد عاطف بركات باشا أحد رجالات مصر الذين اشتغلوا بالتعليم ، ورأس حيناً مدرسة القضاء الشرعي ، وظل يعمل في خدمة الحكومة حتى رقي إلى منصب وكيل وزارة المعارف العمومية ، وكان له الأثر الكبير في تطوير التعليم في مصر ، وكان يمت بصلة القرابة للزعيم سعد زغلول ، حيث كان الزعيم في منزلة خاله .

(١) يشير الشاعر إلى سبق نفي الإنجليز لعاطف بركات مع الزعيم سعد زغلول .

لو تَرَيْتِ لاسْتِطَالَ بِكَ النِّيبُ * لُ عَلَى هَذِهِ الْخُطُوبِ التَّوَالِي
غَيْرَ أَنْ الرَّدَى ، وَإِنْ كَثُرَ النَّاسُ * سُ ، حَرِيصٌ عَلَى الْبَعِيدِ الْمَنَالِ
كَلَّمَا قَامَ مُصْلِحٌ أَجَلْتُهُ * عَنْ مَنَاهُ غَوَائِلُ الْآجَالِ
يُخْطَفُ النَّابِغُ النَّبِيُّ وَيَبْقَى * خَامِلٌ الذِّكْرُ فِي نَعِيمٍ وَخَالِ
أَيَعِيشُ الرِّبَالُ فِي الْغَابِ جِيلاً * وَيَمُرُّ الْغُرَابُ بِالْأَجْيَالِ

* *

كُنْتَ فَوْقَ الْفَرَاشِ وَالسَّقْمُ بَادٍ * لَهَفَ نَفْسِي عَلَيْكَ وَالْجَسْمُ بِالِ
لَمْ يُزَحِّحْكَ عَنْ نَهْوِضِكَ بِالْأَعْيَا * دَاءٌ يَهْدُ أَسَدَ الدَّحَالِ
شَغَلَتْكَ الْجَهُودُ وَالْمَدَاءُ يَمْشِي * فِيكَ مَشَى الْمَحَازِرِ الْمُقْتَالِ
لَمْ يَدْعُ مِنْكَ غَيْرَ قُوَّةِ نَفْسٍ * تَتَجَلَّى فِي هَيْكَلٍ مِنْ خَيَالِ
عَجَزَ السَّقْمُ عَنْ بُلُوغِ مَدَاهَا * فَمَضَتْ فِي سَبِيلِهَا لَا تَبَالِي
لَمْ تَزَلْ فِي بِنَاءِ الْفَيْسِ حَتَّى * هَدَمَ الْمَوْتُ عُمْرَ بَانِي الرِّجَالِ
عَجَبَ النَّاسُ أَنْ رَأَوْا سَرَطَانَ الْ * بَحْرِ قَدْ دَبَّ فِي رُؤُوسِ الْجِبَالِ
مَنْ رَأَى «عَاطِفًا» وَقَدْ وَصَلَ الْأَشْ * مَغَالَ بَعْدَ الْمُدُّو بِالْأَشْغَالِ
ظَنَّ ، أَوْ كَادَ ، أَنْ أَوَّلَ نَوْمٍ * نَامَهُ كَانَتْ تَحْتَ تِلْكَ الرِّمَالِ
أَوْ رَأَى قُوَّةَ الْعَزِيمَةِ فِيهِ * وَهُوَ فَوْقَ الْفَرَاشِ بِأَدَى الْهَزَالِ
ظَنَّ بِأَسِّ الْحَدِيدِ قَارَقَ مَثْوَا * هُ اجْتَوَاءً وَحَلَّ عَوْدَ الْخِلَالِ

* *

قَدْ تَبَيَّنَتْ كُلُّ مَعْنَى فَأَنْسَكَ * تَ عَلَى السَّالِفِينَ مَعْنَى الْمُحَالِ
 رُمْتُ فِي أَشْهَرِ صَلَاحِ أُمُورٍ * دَمَرْتُهَا يَدُ الْعَصُورِ الْخَوَالِ
 رُمْتُ إِصْلَاحَ مَا جَنَّتْ يَدُ « دَنَلَوْ » * بَ « عَلَى الْعِلْمِ السَّنِينَ الطَّوَالِ
 وَقَلِيلٌ عِنْدِي لَهَا نَصْفُ جِيلٍ * لِمَجْدٍ مُوَفَّقٍ فَعَالِ
 لَمْ تَكُنْ مَصْرُ بِالْعَقِيمِ وَلَكِنْ * قَدْ رَمَاهَا أَعْدَاؤُهَا بِالْحَيَالِ^(١)
 أَفْسَحُوا لِلْجِيَادِ فِيهَا مَجَالًا * قَدْ أَضَرَ الْجِيَادَ ضَيْقُ الْمَجَالِ
 أَصْبَحَتْ فِي الْقِيُودِ تَمْشِي الْهُوَيْنَا * كَسَفَيْنِ يَتَغَبَّرْنَ بِحَرَى الْقَنَالِ
 فَاصْدَعُوا هَذِهِ الْقِيُودَ وَخَلُّو * هَا تَبَارَى فِي السَّبْقِ رِيحَ الشَّمَالِ
 حَرَفَ الْغَرْبُ كَيْفَ يَسْتَثْمِرُ الْجَدَّ * فَيَبْنِي بِفَضْلِهِ كُلَّ غَالِ
 وَدَرَى الشَّرْقُ كَيْفَ يَسْتَمِرُّ اللَّهُ * وَفَيُفِضِي بِهِ إِلَى شَرِّ حَالِ
 فَاتْرَكُوا اللَّهَ فِي الْحَيَاةِ وَجِدُّوا * إِنَّ فِي اسْمِ الرَّئِيسِ أَيْمَنَ قَالِ
 فَاصْنَعُوا صُنْعَ حَاطِفٍ وَادْكُرُو * آيَةَ الْمَجْدِ — ذِكْرَةَ الْأَبْطَالِ

يَا مُحِبَّ الْجِدَالِ نَمَّ مَسْتَرِيحًا * لَيْسَ فِي الْمَوْتِ مَنَقَدٌ لِلْجِدَالِ
 صَامِتٌ يُسَكَّتُ الْمَقَوَّةَ فَاعْجَبْ * وَبَطْلٌ يَسْبِرُ تَخْطُو الْجِبَالِ
 كُلُّ شَيْءٍ إِلَّا التَّحِيَّةَ يُرَبِّحِي * فَهِيَ لِلَّهِ ، وَالِدُنَا لِلزُّوَالِ^(٢)
 إِنْ بَكَتْ غَيْرَكَ النَّسَاءُ وَأَذْرَفُ * بِنَ عَلَيْهِ الدَّمُوعَ مِثْلَ اللَّالِ
 فَعَلَى الْمَصْلَحِينَ مِثْلِكَ تَبْكِي * ثُمَّ تَبْكِي جَلَائِلُ الْأَعْمَالِ

رثاء الأديب مصطفى لطفى المنفلوطى

مجلة النيل — ١٨ سبتمبر سنة ١٩٢٤

رَحِمَ اللهُ صَاحِبَ النُّظَرَاتِ * فَابَّ عَنَّا فِي أَحْرَجِ الْأَوْقَاتِ
 يَا أَمِيرَ الْبَيَانِ وَالْأَدَبِ النَّصْدَ * بِرِفْدٍ كُنْتَ نَخْرَ أُمَّ اللِّغَاتِ
 كَيْفَ غَادَرْتَنَا سَرِيعًا وَعَهْدِي * بِكَ يَا مُصْطَفَى كَثِيرَ الْأَنَاةِ
 أَقْفَرْتُ بِعَدِّكَ الْأَسَالِيبُ وَاسْتَرْ * نَحْيَ عِثَانُ الرِّسَالِ الْمُتَعَاتِ
 جَمَحَتْ بِعَدِّكَ الْمَعَانِي وَكَانَتْ * سَلَسَاتِ الْقِيَادِ مُبْتَدَرَاتِ
 وَأَقَامَ الْبَيَانُ فِي كُلِّ نَادٍ * مَاتِمًا لِلْبِدَائِعِ الرَّائِعَاتِ
 لَطَمْتَ «مَجْدَلِينَ» بِعَدِّكَ خَدَّيْ * بِهَا وَقَامَتْ قِيَامَةُ «الْعَبْرَاتِ»^(١)
 وَانْطَلَوْتَ رِقَّةَ الشُّعُورِ وَكَانَتْ * سُلُوكَ الْبِائِسِينَ وَالْبِائِسَاتِ
 كُنْتَ فِي مِصْرَ شَاعِرًا يَبْهَرُ الْآلَ * بِبَيِّنَاتِ شِعْرِهِ الْبَيِّنَاتِ
 فَهَجَرْتَ الشُّعْرَ السَّرِيَّ إِلَى التَّثْ * بِرِفْخَتِ الْكُتَّابِ بِالْمُعْجَزَاتِ
 مِتَّ وَالنَّاسُ عَنْ مُصَابِكَ فِي شُغْ * يَلِ بِمَجْرَجِ الرَّئِيسِ حَامِي الْحِمَاةِ^(٢)
 شُغِلُوا عَنْ أَدِيبِهِمْ بِمُنْجِي * بِهِمْ فَلَمْ يَسْمَعُوا نِدَاءَ النُّعَاةِ
 وَأَفَاقُوا بَعْدَ النِّجَاةِ فَالْفَوْا * مِثْلَ الْفَضْلِ مُقْفَرِ الْعَرَصَاتِ
 قَدْ بَكَكَ الرَّئِيسُ وَهُوَ جَرِيحٌ * وَدَمُوعُ الرَّئِيسِ كَالرَّحِمَاتِ

(١) «مجدلين» و «العبرات» و «النظرات» من الروايات التي ترجمها المرحوم المنفلوطى .

(٢) توفي المرحوم المنفلوطى يوم الاعتداء على الزعيم سعد زقاول في محطة مصر وهو متوجه إلى

لم تُبَقِّ يافتي المحامد مالا * فلقد كنت مغرماً بالهبات
 كم أسألت لك اليراعة سَيْلاً * من نُضَارٍ يفيضُ فيضَ الفُراتِ^(١)
 لم تُؤثِّل مما كَسَبْتَ ولم تَحْ * سِبْ على ما أرى حِسَابَ المماتِ
 مِتْ عن يافع ونحس بنات * لم تُخَلِّفْ لها سوى الذِّكْرِيَّاتِ
 وتُراثُ الأديب في الشرقِ حُزْنٌ * لبنيهِ ، وثروةٌ للرواة
 لا تخف عثرة الزمان عليهم * لا ، ولا صولة الليالي العسواتِ
 عينٌ سَعِدَتْ رَعاَهُم بعد عي * بن الله فأهدأ فقد وجدت المواتِ

رثاء أحمد حشمت باشا

كان أحمد حشمت باشا من رجالات مصر في العصر السابق ، ولى مناصب
 القضاء والإدارة ثم وزيرا للمعارف « التربية والتعليم الآن » .
 وقد ناصر الأدب واللغة العربية في عصر اشتدت حملة الاستعمار والمهشرين
 عليها شتة مسعورة ، وكانت له رغم منصبه الوزاري ووجود مستشار المعارف
 الإنجليزي ، مواقف مشهودة ، خرجت بفضلها اللغة العربية سليمة خالصة
 لأهلها ، وحفظت عليهم لسانهم العربي المبين .
 وكان من الطبيعي أن تقوم الصلة قوية متينة بين حشمت باشا وشاعر النيل ،
 وأن يقتربه الوزير اليه ، ويعينه رئيسا للقسم الأدبي بدار الكتب المصرية .
 فكان عملا جريئا من الوزير أن يعين في وظيفة حكومية ، أديبا يطارد الاستعمار
 ويطارده الاستعمار في عصر الاستعمار ..

(١) النضار : الذهب — الفرات : الماء العذب .

ولقد رثاه الشاعر سنة ١٩٢٦ بهذه المراثية المنبثقة من ضمير ووجدان الشاعر

الوطني الوفي الكليم .

حَبَسَ اللِّسَانَ وَأَطْلَقَ الدَّمَاعَ * نَاجٍ أَصَمَّ بِتَغْيِكَ السَّمْعَا
لَكَ مِثْنَةٌ قَدْ طَوَّقَتْ عُنُقِي * مَا إِنِ أُرِيدُ لَطَوِّفَهَا تَزْعَا
مَاتَ الْإِمَامُ وَكَانَ لِي كَنْفَا * وَقَضَيْتَ أَنْتَ وَكُنْتَ لِي دِرْهَمَا
فَلَيْشَمْتَ الْحُسَّادُ فِي رَجُلٍ * أَمَسْتَ مِنْهُ وَأَصْبَحْتَ صَرْعَى
وَلْتَحْمِلِ الْأَيَّامُ حَمْلَهَا * غَاضَ الْمَعِينُ وَأَجْدَبَ الْمَرْعَى
إِنِّي أَرَى مِنْ بَعْدِهِ شَلَالًا * يَدِ الْعُلَا وَيَأْتِفُهَا جَدْعَا
وَأَرَى النَّدَى مُسْتَوْحِشًا قَلْبًا * وَأَرَى الْمُرُوءَةَ أَقْفَرَتْ رُبْعَا
قَدْ كَانَ فِي الدُّنْيَا أَبُو حَسَنِ * بُولِي الْجَمِيلَ وَيُحْسِنُ الصَّنْعَا
إِنِ جَاءَ ذُو جَاهٍ بِمَحْمَدَةٍ * وَثَرَا شَأَهُ بِمِثْلِهَا شَفْعَا^(٢)
فَإِذَا نَظَرْتَ إِلَى أَنَامِلِهِ * تَنَدَى ، حَسِبْتَ بِكَفِّهِ تَبْعَا
سَلْنِي فَلَانِي مِنْ صَنَائِعِهِ * وَسَلِ « الْمَعَارِفَ » كَمْ جَنَّتْ نَفْعَا
قَدْ أَخَصَّبَتْ أُمُّ اللِّغَاتِ بِهِ * خِصْبًا أَدْرُ لِأَهْلِهَا الضَّرْمَا
تَاللَّهِ لَوْلَا أَنْ يُقَالَ أَنِّي * بِدَمًا ، لَطُفْتُ بِقَبْرِهِ سَبْعَا
قَدْ ضَمِنْتُ ذَرْمًا بِالْحَيَاةِ وَمَنْ * يَقِفْ أَجْبَتَهُ يَضِقُ ذَرْمَا

(١) الإمام هو الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية سابقا وقد رثاه الشاعر بقصيدة في هذا الديوان .

(٢) شَأَهُ أى زاد عليه ، والوتر الواحد والشفع الاثنان ، ومنها صلاة الوتر ذات الركعة الواحدة ،

وصلاة الشفع ذات الركعتين .

وَعَدَوْتُ فِي بَلَدٍ تَكْتَفِينِي * فِيهِ الشُّرُورُ وَلَا أَرَى دَفْعًا
 تَمَّ مِنْ صَدِيقٍ لِي يُحَاسِنُنِي * وَكَأَنَّ تَحْتَ ثِيَابِهِ أَفْعَى
 يَسْعَى فَيُخْفِي لِيَنْ مَلَمَسِهِ * عَنِّي مَسَارِبَ حَيَّةٍ تَسْعَى
 تَمَّ حَاوَلْتُ هَدْيِي مَعَاوِلُهُمْ * وَأَبَى إِلَهُ فَرَادَنِي رَفْعًا
 أَصْبَحْتُ فَرْدًا لَا يُنَاصِرُنِي * غَيْرَ الْيَاقِينِ ، وَأَصْبَحُوا جَمْعًا
 وَمَنَاهُمْ أَنْ يَحِطُّوا بِيَدِي * قَلَمًا أَثَارَ عَلَيْهِمُ النُّقْعَا
 وَلَرُبُّ حُرِّ عَابِهِ تَقَرُّ * لَا يَصْلُحُونَ لِتَقْلِيلِهِ شَيْئًا
 مَنْ ذَا يُوَاسِنِي وَيَكْلَأُنِي * فِي هَذِهِ الدُّنْيَا وَمَنْ يَرْعَى
 لَا جَاهَ يَحْمِي ، وَلَا مَدَدَ * عَنِّي يَرُدُّ الْكِدَ وَالْقَسْدَا
 بَكَ كُنْتُ أَدْفَعُ كُلَّ عَادِيَةٍ * وَأَجِيبُ فِي الْجُلِيِّ إِذَا أَدْعَى
 وَأَقْبِلُ عَثْرَةَ كُلِّ مَبْتَلِي * وَأَفِي الْحَقُوقَ وَأُنْجِحُ الْمُسْعَى
 حَتَّى نَسَى النَّاعِي أَبَا حَسَنِ * قَوَّدَتْ لَوْ كُنْتُ الَّذِي يُنْعَى
 غِيْظُ الْعِدَاةِ فَاوَلُوا سَفَهًا * مِنْهُمْ لِحَبِيلٍ وَدَادِنَا قَطْعًا
 رَأْمُو لَهُ بَنَاتًا - وَقَدْ حَمَلُوا * ظَلَمًا - فَكَانَ لَوْصِلِهِ أَدْعَى

* *

يَا دَوْحَةً لِلْبَرْقِ قَدْ تَشَرَّتْ * فِي كُلِّ صَالِحَةٍ لَهَا فُرْمَا
 وَمَنَارَةٌ لِلْفَضْلِ قَدْ رُفِعَتْ * فَوْقَ الْكِنَانَةِ نُورُهَا شَعْمَا
 وَمَنَابَةُ لِلرِّزْقِ أَحْمَدُهَا * مَارِدٌ مِسْكِينًا وَلَا دَعَا
 إِنِّي رَيْثُكَ وَالْأَسَى جَلُّ * وَالْحَزَنُ يَصْدَعُ مَهْجَتِي صَدْمَا
 لَا غُرْوَ إِنْ قَصُرْتُ فِيكَ فَقَدْ * جَلَّ الْمَصَابُ وَجَاوَزَ الْوُسْعَا
 سَأَيْتُكَ حَقُّكَ فِي الرِّثَاءِ كَمَا * تَرْضَى ، إِذَا لَمْ تُقْدِرِ الرُّجْعَى

فلسفہ سائنس

القصاصد

—

(حرف الهمزة)

٥٨	هل رأيتم موقعا كمل	في الأطباء يستحق الثناء
٢٠٥	لي كساء أنعم به من كساء	أنا فيه أتبه مثل الكساء
٢١٣	يبابك النحاس والسعود	وموقف اليأس والرجاء
٢٣٩	هذا الظلام آثار كامن داني	يا ساقبي على الصهباء
٢٥٢	ألبسوك الدماء فوق الدماء	وأروك العدا بعد العدا
٤٢٨	خلقت لي قمسا فأرصدتها	لحزن والبلوى وهذا الشقاء
٤٤٩	لا والأسي وتلهب الأحشاء	ما بات بملك معجب بوفاء
٤٥٠	أعزى القوم لو سمعوا عزائي	وأطن في مليكتهم رثائي

(حرف الألف)

١٩٦	تسأيت منكم لمحت عرا	وضاعت جهود على ما أرى
٢٢٢	بنادى الجزيرة كف سامة	وشاهد بربك ما قد حوى

(حرف الباء)

١٣	ماذا اقترت لهذا العبد من أدب	قد عهدتكم رب السبق والغلب
١٥	لمحت جلال العيد والقوم هيب	فلهي آي الملا كيف تكتب
٢٣	بصكرا صاحبي يوم الإياب	وقفا بي بعين شمس قفا بي
٢٦	لو يتعلمون اللائي مثل ما فطمت	مذغبت عنا عيون الفضل والأدب
٣٨	أجهمي كاد يملو نجمه	في سماء الشعر نجم العرب
١٥٤	شيطان قد خيرا الوجود فأدركا	ما فيه من علل ومن أسباب
١٦٠	أحرق الدف لو رأيت شكيا	وأفض الأذكار حتى يغيبا

صفحة		
١٦١	أديم وجهك يا زنديق لو جعلت	منه الوقاية والتجديد للتكبد
١٦٦	أخى والله قد ملئ الوطاب	وداخلنى بصحبتك ارتباب
١٧٦	ملكتم على عنان الخطب	وبرتم بقسدى مماء الرتب
١٨٨	قل للتقيب لقد زرنا فضيلته	فإذا فاضله حراس وجباب
٢٣٣	عجب الناس منك يا بن سلبا	ن وقد أبصروا لديك عجيبا
٢٥٦	علمت اليراع فلا تعجبى	وضعت اليباب فلا تعسبى
٢٦٥	إن كنتم تبتلون المال عن رهب	فنحن ندموكم للبذل عن رغب
٢٦٨	لمصر أم لربوع الشام تنسب	هنا العلاء وهناك المجد والحسب
٢٧٢	حياكم الله أحيوا العلم والأدبا	إن تنشروا العلم ينشر فيكم العربا
٣٠٢	قضيت عهد حداثتى	ما بين ذل واغتراب
٣٢٠	(عبد العزيز) لقد ذكرتنا أمما	كانت جوارك فى لهو وفى طرب
٣٢١	لا تلم كفى إذا السيف نبا	صح منى العزم والدهر أبى
٣٣١	أيمضى معانيك القريض الملهب	هل أن صدر الشعر لادح أرحب
٣٣٦	(قصر الدبارة) هل أذاك حديثنا	فالشرق ربيع له وخبج المغرب
٣٦٢	أجل هذه أعلامه ومواكبه	هنا لم فليسحب الذيل ساحبه
٤٢٣	(قصر الدبارة) قد نقض	ت المهسد نقض الناصب
٤٢٤	سكت فأصغروا أدي	وقلت فأصغروا أدي
٤٢٦	جرب حطى قد أفرغته طمعا	يباب أستاذنا (الشيبي) ولا عجا
٤٣٠	ماذا أصبحت من الأسفار والنصب	وطبك العربيين الوخذ والخطب
٤٣٥	دميت بها على هذا الثباب	وما أوردتها غير السراب
٤٥٢	هنا رجل الدنيا هنا مهبط التقى	هنا خير مفلوم هنا خير كاتب
٤٨٦	صوفوا يراع (على) فى متاحفكم	وشاوروه لدى الأرزاء والنوب
٤٩٥	مكن الفيلسوف بعد اضطراب	إن ذاك السكون فصل الخطاب
٥٠٣	أهدرى المسلمون بمن أميروا	وقد واروا سلبا فى التراب

صفحة		
٥١٤	ولدى قد طال مهدي ونحبي	جئت أدعوك فهل أنت مجيبي
٥١٧	أذنت شمس حياتي بمنيب	دنا المهمل يا قس فطبي
٥٢٨	ما أنت أول كوكب	في الغرب أدركه المنيب
٥٣٢	إيه يا ليل هل شهدت المصابا	كيف ينصب في النفوس انصبا
٥٤٤	لعب البلى بملاعب الألباب	وعما بشاشة فك الخلاب
٥٥٢	دمعة من دموع عهد الشباب	كثت غباها ليوم المصاب
٥٦٠	بدأ الممات يدب في آرائ	وبدأت أعرف وحشة الأحباب
٢٧٢	حياكم الله أحبوا العلم والأدبا	إن تنشروا العلم ينشر فيكم العربا

(حرف التاء)

٥٥	فيك السعيدان اللذان تباريا	يا مصر في الخيرات والبركات
١٣١	إليكن يهدي النيل ألف تحية	معطرة في أسطر عطرات
١٩٦	يا كاتب الشرق ويا خير من	تسلو بنو الشرق مقامه
٢٥٣	رجعت لنفسي فاتهمت حصاني	وناديت قومي فاحتسبت حياتي
٣١٨	أحيائنا لا يرزقون بدمهم	وبألف ألف ترزق الأموات
٣١٨	أحيائنا لا يرزقون بدمهم	وبألف ألف ترزق الأموات
٣٨٣	(ليلى) ما أنا حى	يرجى ولا أنا ميت
٤٥٨	سلام على الإسلام بعد عهد	سلام على أيامه النضرات

(حرف الحاء)

٧١	(للونا) شهرة في الطب تاهت	بها مصر وتاه بها مديني
١٤٨	أهل الصحافة لا تفلوا بعده	لساؤكم قد زانها (المصباح)
٢٤٢	وفتيان أنس أفسدوا أن يبدوا	بجيوش الدجى ما بين أنس وأفراح
٢٤٢	مرث كمر الورد بينا أجنلى	لمصباحها إذ أذنت براح
٤٠٨	ما لي أرى الأكام لا تفتح	والروض لا يذكر ولا ينفع

صفحة

٤١١	أهرق قدتك مشارق الإصباح . وأمل ثامك من نهار ضاحي
٤٢٦	سليل الطين لم تلتنا شقاء . وكم خطت أماننا ضريحا

(حرف الدال)

٧	تعمدت قتل في الهوى وتميدا . لنا أثمت عيني ولا لحظه اعتدى
٣٣	أهنيك أم أشكو فراقك قائلا . أيا ليتني كنت السجين المصفدا
٥٠	إن هتوك بها فلت مهشا . إن همدتك قبلها محسودا
١٤٤	أرايت رب التاج في . همد الجلولس وقد تبدى
١٥٣	يا كوكب الشرق أشرق . فالجادات تبحر
١٩٥	لقد بت محسودا عليك لأنني . فتاك وهل خير المنم بمحمد
٢٢١	أرحمونا بني اليهود ككفاكم . ما جمعتم بمحمدكم من تقود
٢٤٣	نعمرة في (بابل) قد صهرجت . هكذا أنسر ساخام اليهود
٢٤٧	ومن عجب قد قلدوك مهندا . وفي كل لحظه منك سيف مهند
٢٦١	معنا حديثا كقطر الندى . بلحده في النفس ما جمددا
٢٦٤	مالي أرى بحر السبا . سعة لا يفي بحسزرا ومدا
٣٢٤	أيها القنائمون بالأمس فينا . هل نسيتم ولاتنا والسودادا
٣٤٥	بنات الشعر بالنفحات جسودي . فهذا يوم شامرك الهيمد
٣٤٠	قئ الشعر هذا موطن الصدق والمدي . فلا تكذب التاريخ إن كنت منشدا
٣٥٧	لأرضي الله عهدنا من جدود . كيف أمسيت يابن (عبد الحميد)
٤٠٣	وقف الخلق يتظرون جميعا . كيف أبغى قواعد الحميد وعدي
٤٢٢	لقد طال الحيات ولم تكفوا . أما أرضاكم ثمن الحيات
٤٤٥	ردا كؤوسكا من شبه مفزود . فليس ذلك يوم الراح والعود
٤٤٧	أيهذا الثرى إلام التماذي . بعد هذا أنت غرثان مادي
٤٥٣	ردوا مل ياني بعد (محمود) . إن هيت وأعيا الشعر بمجودي
٥١١	من ليوم نحن فيه من لفسد . مات ذو العزمة والرأي الأسد

(حرف الراء)

١١	مطالع سعد أم مطالع أقار	تجلت بهذا العيد أم تلك أشعارى
١٥	في عيد مولانا الصنيد	و عيد مولانا الكبير
١٨	لمحت من مصر ذاك التاج والقمر	فقلت للشعر هذا يوم من شعرا
٢٦	إن صؤورك فإنما قد صؤورا	تاج الفخار ومطلع الأنوار
٣١	قصرت عليك العمر وهو قصير	وغالبت فيك الشوق وهو قدير
٥٧	رباك والملك الكريم على التقى	وعلى الزاهة والضير الطاهر
١١٤	يا كاسى الأخلاق فى	بلد عن الأخلاق عارى
١٥٠	قلم اذا ركب الأنامل أو جرى	مجدت له الأفلام وهى جوارى
١٦٧	شجنتنا مطالع أقارها	فسالت نفوس لتذكراها
١٨٥	كحافظ إبراهيم لكنه	أجمل خلقا منه فى الظاهر
١٨٩	قل للرئيس أدام الله دوله	بأن شاعره بالباب منظر
١٩١	شكرت جميل صنعكم بدمعى	ودمع العين مقياس الشعور
١٩١	وافى كتابك يزدرى	بالدر أو بالجوهـر
١٩٤	طال الحديث طيكم أيها السر	ولاح للنوم فى أجفانكم أثر
٢٠٤	لا غرو إن أشرق فى منزلى	فى ليلة القدر نجى الوزير
٢٠٤	أحمد كيف تنسانى وبني	وبينك يا أنى صلة الجوار
٢٢٧	طاصف يرتقى وبحر يفسر	أنا بالله منهما مستجير
٢٣٤	كأنى أرى فى الليل نصلا مجزدا	يطير بكتنا صفحته شرار
٢٣٦	يا ساهد النجم هل للصبح من خبر	إنى أراك على شئ من الضجر
٢٤٧	أنا العاشق العانى وإن كنت لا تدرى	أعينك من وجد تطفل فى صدرى
٢٤٧	قالت الجوزاء حين رأت	جفنه قد واصل السهرا
٢٥٠	سائلوا الليل عنهم والنهارا	كيف باتت نساؤهم والعدارى
٢٩٢	هذا صبي هائم	تحت الظلام هيام حائر

صفحة		
٢٩٩	واسبق الفجر الى روض الزهر	أيها الومى زر نبت الربا
٣٠٧	تدرا لله لنا أن تنشرا	أيها الطفل لك البشرى فقد
٣٢٤	ومورد الموت أم الكوثر	أساحة للحرب أم محشر
٣٥١	هلال رآه المسلمون فكبروا	أطل على الأكوان والخلق تنظر
٣٩٠	في المشرقين صلا وطار	أهلا بأول مسلم
٤٢٣	أصبح في الإيام كالعشر	كم حددوا يوم الجلاء الذى
٤٣٦	قد منها من شدة السهر	ما لهذا النجم في السحر
٤٣٧	بجود (سدوم) وهو من أظلم البشر	لقد كانت الأمثال تضرب بيننا
٤٦٥	وأتيت أنثر بينهم أشعارى	ثروا عليك نواذى الأزهار
٤٧٨	لمدحك من كتاب مصر كبير	رثاك أمير الشعر في الشرق وانبرى
٤٩٣	ك وأنت راميصة النصور	أخت الكواكب مارما
٥٠٧	فانخلق في الدنيا سير	منك النهى لا تبعدى
٥١٦	وآثرت يا مصرى سكنى المقابر	لك الله قد أمرعت في السير قبلنا
٥٢٢	ولم يغن عنا وعنك الحذر	نعاك النعاة وحرم القدر
٥٣٠	لم يدرب ما أبدى وما أضمر	من لم يلق فقد أليف العبا
٥٥٦	غبت فيه عن حالة الأحرار	يا بن (عبد السلام) لا كان يوم

(حرف السين)

١٠٣	أسمى بأمر الرئيس	أتيت سوق عكاظ
١٨٨	ليس لي فيها أنيس	أنا في الحيزة نار
٢٤١	بينهم وبين ظن وحسن	أرشدك الديك أن يصيح ونفسى
٢٤٦	فإن في الحب حياة النفوس	يا أيها الحب امتزج بالخشى
٢٩٦	وهكذا يسؤثر عن (نفس)	أجاد (مطران) كعادته
٣٠٦	وجلالا بيوم عيد الجلوس	إن يوم احتفالكم زاد حسنا

(حرف العين)

٣٤	ما أنت إلا عاشق مدعى	هجمت يا طير ولم أجمع
١١٩	بشعر أمير الدولتين ورجى	بلايل وادى النيل بالشرق ابجى
١٤٢	بيان وراع الجامعة	قد راع دار العدل طفد
١٤٣	بمدك من أرائك النافعة	قد أجديت دار الجا والنهى
١٥٨	بارك الله فى (ظلال الدموع)	قد قرأنا ظلالكم فاشغينا
١٦١	يخط ومن يتلو ومن يسمع	هنا يستغيث الطرس والنفس والذى
١٩٦	وفاته ما فيه من إبداع	من لم ير المعرض فى اتساع
٢٠٣	وعينى لازمت سكب الدموع	تمى يا بايلى إليك شوقى
٢٥٩	لرجال الدنيا القديمة باعا	أى رجال الدنيا الجديدة مدوا
٣١٨	طلع النهار وأفسزع	أنشى مريقى إذا
٤٣٨	ولا قيل أين الفتى الأسمى	مرضنا فما عادنا نأند
٤٨١	حديث الورى عن طيب ما كنت تصنع	(رياض) أفق من غمرة الموت واستمع
٥٤٢	على الأريب الكاتب الأسمى	أبكى وعين الشرق تبكى معى

(حرف الفاء)

٢١	وانصفت من قمى وذوالب ينصف	صدفت عن الأهواء والخرى يصدف
٥٥٢	فلتلكه الأقسام أو تنقصنا	غاب الأديب أديب (مصر) واختنى

(حرف القاف)

٤٠	وسطا على جنينك هم مقلق	سكن الظلام وبات قلبك يحقق
١١٨	ميس العروس مشت على استبرق	ما بال (دندرة) تميمى تهاديا
١٤١	بآية الإعجاز فى الخلق	أيا يدا قيد خصها ريبا
٢٠٧	والسمع يملكه الكذب الخاذق	وجدوا السبيل الى التقاطع بينا
٢١٢	ولكل عصر واحد لا يلحق	يا (جالك) إنك فى زمانك واحد

صفحة		
٢٧٩	كم ذا يكابد عاشق ويلاقى	فى حب (مصر) كثيرة العشاق
٢٩٨	لا أبالى أذى الصدوق لخطي	أنت يا رب من ولاء الصديق
٣٧٢	لى فىك حين بدا سناك وأشرقا	أمل سألت الله أن يتحققا
٤٠٠	لا هم إن الغرب أصبح شعله	من هولاء أم الصواعق تنرق
٥٢٢	أكثرتم التعففىق فى موطن	كان البكا فىه بنا ألقا

(حرف الكاف)

٣٦	لله عىد عكبر	يزهو بنور جعنىك
١٠٩	أحمد الله إذ سلمت لمصر	قد رماها فى قلبها من رماكا
١٣٣	سما الخليليان فى المعالى	وجاز شأواهما السهاكا
١٦٠	عطلت فن الكهرباء فلم يمجىد	شيثا يعوق مسيرها إلاكا
٢٠١	يا شاعر الشرق اتشد	ما ذا تحاول بعد ذاك
٢٤٨	ظنى الحمى بالله ما منسركا	إذا رأينا فى الكرى طيفكا
٣١٤	كم وارت غض الشباب ومبته	بفرام راقصة وحب هلوكة
٥٣١	عجبت أن جعلوا يوما لذكراكا	كاننا قد نسينا يوم منماكا
٥٦٠	بين السرائر منسة دفنوك	أم فى المهاجر خلصة نخبوك

(حرف اللام)

٤	بلقتك لم أنسب ولم أتفزل	ولما أقف بين الهوى والتذلل
٥	قالوا صدقت فكان الصدوق ما قالوا	ما كل متسبب للقول قسوال
٦٧	هنيئا أياها الملك الأجل	لك العرش الجديد وما يظلل
٧٥	فى ساحة (البدوى) حلت ساحة	عز البلاد بمنزها موصول
٩٨	لقد عاشرتنا فلبثت فىنا	مثالا للتزامسة والسكال
١١٠	الشعب يدعو الله يا (زخلول)	أنت يستقل على يدك النيل
١٣١	نشد قرأناكم فهشت نهانا	فانقبسنا نورا بضوء السبىلا

صفحة

١٤٨	أضفى (نجيب) وكبلا	لنا ونعم الوكيل
١٥٣	(عثمان) إنك قد آتيت موقعا	شروى سميك جامع التنزيل
١٥٩	جرائد ما خط حرف بها	لغير تفريق وتضليل
١٥٩	لا تعجبوا فليكنكم لعبت به	أيدى البطالة وهو فى تضليل
١٧١	يا صارما أف التواء بنمده	وأبى القرار ألا تزال مقبلا
٢٠٠	سيرا أيا بدري معاء الملا	واستقبلا الم ولا تأفلا
٢٠٣	أدلال ذاك أم كمل	أم تناس منك أم مل
٢٠٩	* يادولة القواضب الصقال *	
٢٣٧	ضمت بين النهى وبين الخيال	يا حكيم القوس يابن المعال
٢٣٧	أفضيه فى الأشواق إلا أفلو	بطىء مرى أبدى الى الليث ميله
٢٧٥	شبحا أرى أم ذاك طيف خيال	لا بل فتاة بالعسراء حبال
٣١٠	أياها الطفل لا تخف عنت الده	مر ولا تخش عاديات الليالى
٣١٢	أى رجال الدنيا الجديدة مهلا	قد شأوتم بالمعجزات الرجالا
٤٧٠	لله درك كنت من رجل	لو أمهلتك غوائل الأجل
٤٩٠	جل الأسمى فتجمل	وإذا أبيت فأجمل

(حرف المسم)

٥٠	منى نلتها يا لابس المجد معلما	أدينا ودنيا زادك الله أنما
٥٥	لم نجد ما بنى بقدرك فى الحج	لم فهدى الى حماك الكريم
٥٦	إلى دعيت الى احتفالك بخاة	فأجبت رغم شوافى وسقامى
٥٨	جازى مرثها فهاج القراما	ردماني فزرتها إلساما
٦٣	وسع الفضل كله صدرك الرح	ب فن شاء قلبنى وسامه
٧٢	يحييك من أرض الكفاة شاعر	شفوف بقول البقيرين مغرم
١٠٦	أفصر الزعفران لأنت قصر	خليق أن يتيه على النجوم
١٥٠	أحييت ميت رجائنا بصحيفة	أثنى عليها الشرق والاسلام

صفحة		
١٦٢	وذكرى ذلك العيش الرخيم	أثرت بنا من الشوق القديم
١٧٢	وعصافى الطبع السليم	ملككت على مذهبى
١٩٧	* من واجد متفر المنام *	
٢٠٢	لا يؤدى لئىل هذا الخصاص	إن مضيك يا أخى بالسلام
٢٤٦	يا (جوليا) أنكر فيه الغرام	تمثل إن شئت فى منظر
٢٤٨	وفى النور والظلماء والأرض والسما	أذنتك ترابىن فى الشمس والضوى
٢٨٣	أم شهاب يشق جوف الظلام	صفحة البرق أو مضت فى المنام
٢٨٨	دأى القواد ولىله لا يعلم	كم تحت أذيال الظلال متيم
٣١٦	ش ولم تحسوا عليه القياما	أيها المصلحون ضاق بنا العيد
٣٣٩	حواشيه سقى بات ظلها منظما	لقد كان فينا الظلم فوضى فهذبت
٣٦٧	أهم ذاد نومك أم هيام	لقد فصل الدجى فقى تنام
٣٧٦	بلى (البسفور) عن (مصر) السلاما	بالذى أبراك ياريج الخزامى
٣٨٠	فاستفق يا شرق واحذر أن تناما	طمع ألقى عن الغرب اللثاما
٤٠٢	عهد كرام فىك ملوا وسلموا	(أيا صوفيا) حان التفرق فاذكرى
٤١٩	وابن الكائنة فى حماء يضام	قد مر عام يا (سعاد) وعام
٤٢٠	فكان لكم بين الشعوب ذمام	بنيتم على الأخلاق أساس ملككم
٤٢٢	واطمسوا النجم واحرمونا النسيما	حولوا النيل واجهبوا الضوء عنا
٤٢٨	ومدت وما أعقبت إلا التندما	سميت الى أن كدت أنتل الدما
٤٧٤	واقضوا هنالك ما تقضى به الذم	طوفوا بأركان هذا القبر واستلهوا
٥٠٠	لم يرع عنسك لاساة ذمام	لامرحبا بك أيها العام
٥٢١	مر عدا الردى فطسواهما	هلان من أعلام مصر
٥٥٩	صفاء الناس أم همهم الكرام	أعزى فىك أهلك أم أعزى

(حرف النون)

٣	حائل لو شئت لم يكن	حال بين الجفن والوسن
٢٨	واقض المناسك من قاص وعين داني	مطف بالأريكة ذات العز والشان

صفحة		
٤٤	وأجل عيد جلوسك الثقلان	أثنى الجميع عليك والحرمات
٦٣	ذكرى الأوائل من أهل وجيران	يا صاحب الروضة الفناء هجت بنا
٩٨	فتنظري يا (مصر) سمحري بيانه	ورد الكانة عبقري زمانه
١١٨	أدب السرى وياقنى الفتيان	يا كاسى الخلق الرضى وماحب الد
١٣٣	وطالع اليمن من (بالشام) حيان	حيا بكور الحيا أرباع لبنان
١٤٢	ماذا اعتددت لجرح العاشق العانى	قل للطبيب الذى تغنى الجراح له
١٤٨	لناس قالوا معجز ثانى	هذا كتاب منذ بدا مره
١٤٩	بشرك فوق هام الأولينا	أراك - وأنت بنت اليوم - تمشى
١٥٩	ج هبت لا ترم الحصونا	يا ساكن البيت الزجا
١٧٩	أرهفت للقول ذهنى	يا يوم تكريم (حفى)
١٨٤	وبى أديب الزمان	يا سيدي وإماى
١٨٧	صاد ويسقى ربا مصر ويسقينا	عجبت للتيل يدري أن بلبله
١٨٩	نصف المدافع فى أثنى البساتين	يرغى ويزبد بالقافات تحسبها
٢٠٧	فنسوا بالليل وضاح الجبين	لاح منها حاجب الناظرين
٢١٥	ما دهم الكون أيها الفرقدان	نبهاني إن كنتا تعلبان
٢٣٨	فأثنى قافلا الى السودان	أنكر النيل موقف الخزان
٢٣٨	فما منك بالباكي الحزين	يا من خلقت الدمع لط
٢٤٤	جئدوا بالله عهد الثائين	فتية الصباء خير الشارين
٢٤٦	منيا يخشى نزال الجفون	غضى جفون السحرا وفارحمى
٢٤٨	واختار غرتك القرا له سكا	سأله ما لهذا الحال مفردا
٢٤٩	ودلويسرى بها الروح الأمين	سور عندي له مكتوبة
٣١٥	وذودا عن تراث المسلمين	أعيدوا مجدنا دنيا وديننا
٣١٩	وتنظر ما يجرى به الفتيان	رويدك حتى يحقق العلمان
٣٢٨	ج ربا شمس ذلك المهرجان؟	أين يوم (القتال) ياربة النسا

صفحة		
٣٩٧	حسدت روائع حسنها (برلين)	قد آثار هناك كريمة
٤٠١	من ورحلت أرقب بجمهته	خرج القوافي محتججا
٤٢٠	تصيد البط بؤس العالمينا	الم تر في الطريق إلى (يكاد)
٤٢١	فصاحبكم ومصابنا سيان	لا تذكرنا الأخلاق بعد حياتكم
٤٢٣	إلا بقية دمع في مآقينا	لم يبق شيء من الدنيا بأيدينا
٤٣٨	فيا ليتني ويا ليتني	فمن بنفسي وأشقيتي
٤٩٧	وقد فقدت هوج الخطوب لسان	دعاني رفاقي والقوافي مريضة
٥٤٠	ونخطبه من صنوف الحزن ألوانا	أما (أمين) فقد ذقنا لمصره
٥٥٠	ومكرم الضيف أسى ضيف رضوان	مسدي الجليل بلا من يذكره
٥٥٧	إليك ومثل خطبك لا يهون	مضيت ولحن أحوج ما تكون
٥٥٩	لبدر تم طاب قبل الأوان	شوقنا أيها المسرقدان
٥٦٢	أسى من الأرض يحويه ذراطان	إن الذي كانت الدنيا بقبضته

(حرف الهاء)

٣٧	ودان لك المقدار حق أمناه	ترامى لك الإقبال حتى شهدناه
١٤١	مد زانه شرف النهي	شرف الرئاسة يا محمد
٢١١	هل حاة القسوالى أينما تاهوا	باليلة ألهمنى ما أنيسه به
٤٣٤	ومر بي فبك عيش لست ألساء	كم مر بي فبك عيش لست أذكركه
٥١٤	ما كنت من ذكر رب العرش باللاهى	يا طاب الله ثم في القبر مغتبطا
٥٦٠	وما لك الأرواح أول بها	وديمة ردت إلى ربها

(حرف الياء)

٧٧	أنى إلى ساحة (الفاروق) أهدىها	حسب القوافي وحسب حين ألقيا
٣٩٦	تقصيد الحبيب وبالرماية	أى (مكهون) قدمت بال
٤٦٣	فكبر رهل وألق ضيفك بجائيا	أيا قبر هذا الضيف آمال أمة
٥٠٤	شاخ من صروح آل علي	دك ما ينز نضوة وعش

فلسفہ

قصائد لم تنشر في الطبعة الأولى

صفحة

(حرف التاء)

٥٧٩ ربحم الله صاحب النظرات غاب هنا في أخرج الأوراق

(حرف الدال)

٥٧١ إن صح ما قالوا ، وما أرجفوا وألصقوا ذورا بدين العميد

(حرف الراء)

٥٧٣ علمونا المبر يطفى ما استمر إنما الأجر لمفجوع مبر

(حرف العين)

٥٨١ حبس اللسان وأطلق الدمعا ناع أسم بنعك السمعا

(حرف الكاف)

٥٦٥ ولت بشاشة دنيانا ودنياك وفارق الأنس مغشاة ومغشاة

٥٦٦ يا مليكا برغمه يلبس التا ج ويرق لعرشه مملوكا

(حرف اللام)

٥٦٦ قصر الدوبارة ماليتك رابضا والذنب في قصر الإمارة يحجل

٥٧٦ ثمن المجد والمحامد غالى آل زغلول قامبروا لبالى

(حرف الميم)

٥٦٦ هيد هنا ، وهناك قام الماتم ملك ينوح ، وتابع يترنم

٥٦٧ ينخر العلم لينى آية فوق شط النيل تبدو كالعلم

٥٦٨ قد حقنونا واتبيننا فإذا نحن غرقى ، وإذا الموت أم

٥٧٢ هدية من شاعر بأش إلى الدمرداشى ولى النعم

٥٧٢ رياض الأزيكية قد تحلت بانجباب كرام أنت منهم

(حرف النون)

٥٧٠ ثلاثة من سراة النيل قد حبسوا على مدارسنا سبعين قدانا

مطابع الهيئة العامة للكتاب

رقم الإيداع بدار الكتب ١٩٨٧/٧٣٨٥

ISBN ٩٧ - ٠١ - ١٥٣٦ - ٣

نمّ الحادوة الرفع بواسطة

مكتبة عمل

ask2pdf.blogspot.com